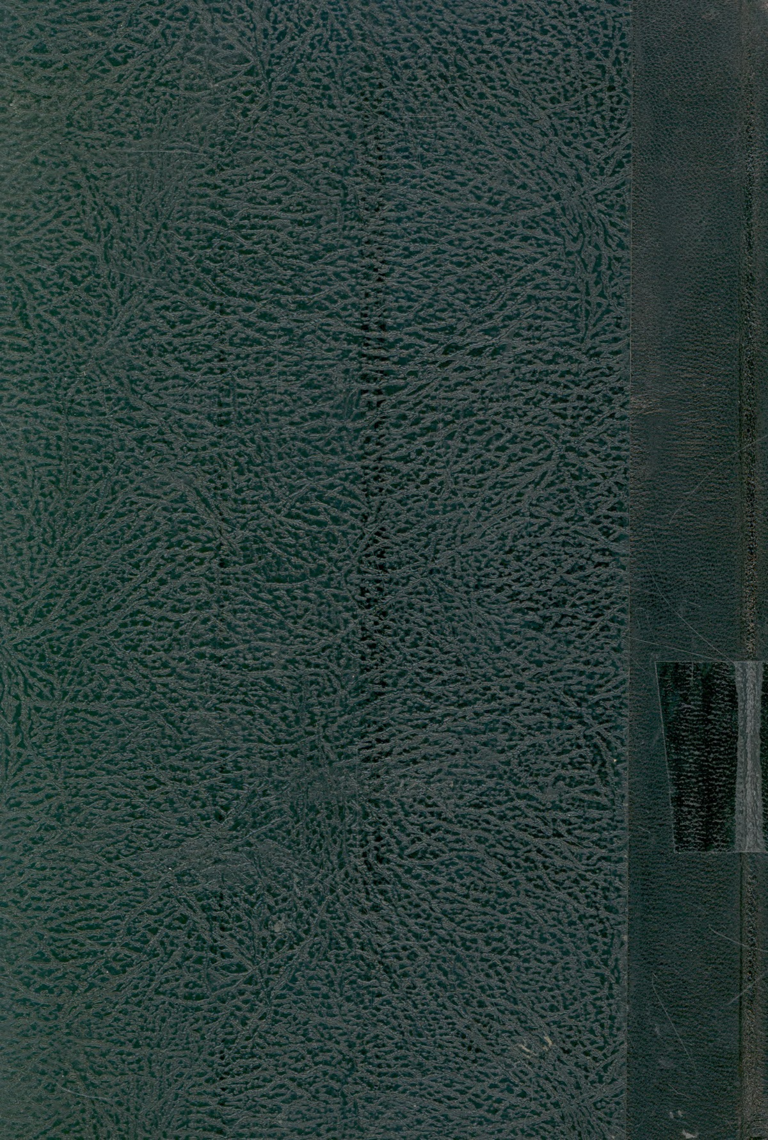


الفلسفة افلاطون وافلاطون الفلسفة	# جمهورية افلاطون هدية المقتطف لقرائه عام ١٩٢٩	تحفة ثمينة للغة العربية

ليس في تاريخ الباحثين رجل اعلى في الفلسفة كعباً ، وابعد في الشهرة مدًى ، وارسخ في الخلود قدماً من افلاطون اليوناني ، امام المفكرين في كل العصور

خمسة وعشرون قرناً — ما اطولها — نشأت فيها مذاهب ، وبادت مذاهب ، وطلعت مواكب وافلت كواكب ، وافلاطون لا يزال نجمهُ متألقاً في سماء الشهرة والمجد ، جالساً على عرش الفلسفة ، قابضاً على صولجانها ، حتى قال فيه امرسن فيلسوف اميركا عبارته الشهيرة افلاطون هو الفلسفة ، والفلسفة هي افلاطون ، واذا اتخذنا اثر الرجل الفكري مقياساً لعظمته فافلاطون اعظم المفكرين في تاريخ هذا السيار . فان مؤلفاتهِ اعظم تراث ورثهُ العقل البشري عن اساطين الحكمة والادب والفن . « وجمهورية افلاطون » هي فريدة عقد مؤلفاتهِ ، او كما قالت الانسكلوبيذيا البريطانية انها « اعظم مؤلفات اعظم مفكر في التاريخ »

قال الكاتب دورانت الشهير اذا رغبت في كل المباحث على اختلاف وجهاتها فاقرأ جمهورية افلاطون ففيها تجد مباحث ما وراء الطبيعة ، والآداب وفلسفة النفس واللاهوت ، والسياسة ، والفن وتقف فيها على مبادىء تحرير النساء ، والاشتراكية واليوجينية والارستقراطية والديموقراطية » ذوت نضارة مؤلفات عديدة وزال بهاؤها ، حتى في حياة مؤلفها ، اما جمهورية افلاطون فلا تزال شمساً تسطع انوارها بعد وفاة مؤلفها باكثر من الفي سنة

ان ترجمة هذا الكتاب النفيس الى اللغة العربية يسد فراغاً كبيراً . وقد قام بهذا العمل الجليل الاستاذ حنا خباز . محتفظاً بصوغ العبارات الافلاطونية دون تحريف ولا تزويد الا ما دعت الضرورة لجعلها مفهومة باللغة العربية

الكتاب كبير الحجم عويص الابحاث ، وسيكون ثمنه بعد الطبع نصف جنيه مصري ونرى تقديمه هدية لقراء المقتطف امراً يتناسب مع ثقة القراء بالمقتطف وقدرنا لهم تلك الثقة قدرها

وسيكون لابراز هذا الكتاب بالثوب العربي ، لاول مرة في التاريخ ، رنة تردد اصداها آفاق البلدان العربية ، واقسام المهجر في القارات الخمس . ولا شك في انهُ يضيف الى ثروة اللغة العربية كنزاً كانت محرومة منهُ الى الآن

***



ما زال يجمع نفسهُ في زورهِ . . .
النسر يتحفز للانقضاض

انظر صفحة ٦
مقتطف يوليو ١٩٢٨

المقتطف

الجزء الاول من المجلد الثالث والسبعين

١ يوليو (تموز) سنة ١٩٢٨ — الموافق ١٣ محرم سنة ١٣٤٧

كلمات للدكتور صروف

مقياس العقول

ما من احد يتعذَّر عليهِ ان يرى الفرق الشاسع بين رجل حكيم حصيف الرأي حسن النظر في العواقب، وبين بليد ابله لا يعي شيئاً او غرّ احمق يتقلَّب مع الاهواء كما لا يتعذَّر على احد ان يحكم بان الحجر الكبير اثقل من الصغير اذا كانا من نوع واحد. ولكن النسبة الحقيقية بين الحجرين لا تعلَم الاَّ بالمقياس او بالميزان وكذلك النسبة بين العقول لا تعلم تماماً الاَّ اذا وُجد لها مقياس. وكل معارف الناس لا تبلغ مبلغ العلم الحقيقي ما لم تقس بمقياس حتى تظهر النسبة بينها. والمقياس اساس كل العلوم الطبيعية والكيماوية. واذا اريد ان يجعل ما يعرف من امور الانسان علماً حقيقيًّا فلا بدَّ من استعمال المقياس فيها. ولا يخفى ان امور الانسان الجسدية تقاس بسهولة فيقاس طولهُ وثقلهُ وقوة عضلاتهِ واتساع صدرهِ وطول شعرهِ ولون بشرتهِ ودقة سمعهِ وحدة بصرهِ ونحو ذلك. وقد حاول بعض العلماءِ استنباط وسيلة او مقياس لقياس قواه العقلية ايضاً فاذا نجحوا في ذلك افادوا نوع الانسان فائدة لا تقدَّر فيبطل تعليم مَن عقلهُ لا يقبل العلم او لا ينتفع بهِ واستخدام مَن لا يصلح للخدمة التي يدعى اليها سواء كانت سياسة مملكة او قيادة جيش او ادارة معمل او نحو ذلك من الاعمال الكبيرة او الصغيرة. ونحن نعتمد الآن على الاختبار في اختيار الاكفاءِ لهذه الاعمال لكن الاختبار ليس مقياسا دقيقاً بل هو بمثابة الحكم على ثقل الحجر من مجرَّد النظر اليهِ او من روزهِ باليد فانهُ لا يقوم مقام وزنهِ بالميزان وكذلك الاختبار لا يقوم مقام المقياس اذا وُجد

الاشعة الكونية وتكوُّن العناصر

الاستاذ ملكَنْ يثبت ان تكوّن

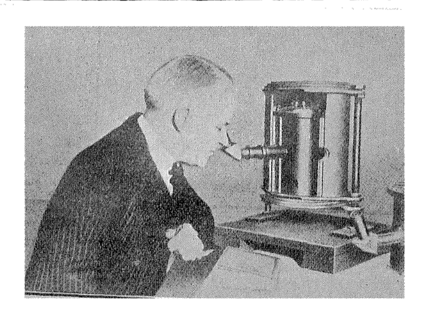
العناصر المركبة من دقائق الكهربائية او من العناصر البسيطة

جارٍ الآن في الفضاء وهو مصدر الاشعة الكونية

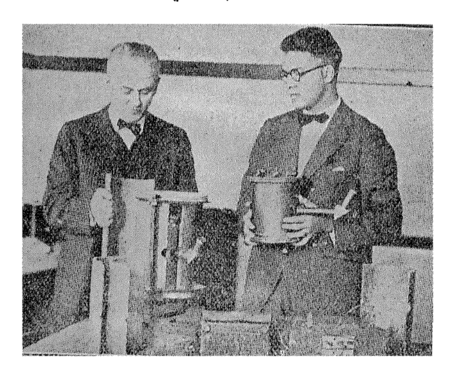
اشرنا في باب الاخبار من مقتطف يونيو الماضي اشارة مقتضبة الى رأي الاستاذ ملكن الجديد في ان الاشعة الكونية التي كشفها انما هي رسائل تأتينا من الفضاء، لتنبئنا بان عمل التكوين — اي تكوين العناصر — لا يزال جارياً الآن في السدم الاولية . وقد اطلعنا على تفصيل الخبر في مجلتي العلم العام والسينتفك اميركان فاقتطفنا منهما ما يلي :

مهما كان النور ساطعاً وسواء كان نور الشمس او نور مصباح فان ورقة رقيقة تحجبهُ. ومنذ عهد غير بعيد (سنة ١٨٩٥) كشف النور المسمى باشعة اكس او اشعة رنتجن وثبت انهُ اقوى نفوذاً من نور الشمس وانهُ ينفذ مواد كثيرة لا ينفذها نور الشمس فنستطيع ان نرى بهِ عظام الانسان لانهُ ينفذ اللحم ولا ينفذ العظام ونرى بهِ ما في صندوق خشبي من نقود الذهب لانهُ ينفذ الخشب ولا ينفذ الذهب . والرصاص اشهر المواد التي لا ينفذها هذا النور فان لوحاً من الرصاص ثخنهُ نحو سنتمتر ونصف سنتمتر يحجبهُ وعليهِ ترى المشتغلين بالراديوم واشعة اكس يلبسون في ايديهم كفوفاً من الرصاص وعلى اجسامهم اغطية من الرصاص ويضعون الراديوم في انابيب مبطنة بالرصاص لان لهذه الاشعة والاشعة التي تصدر من الراديوم فعلاً قويًّا يميت الخلايا الحيّة . وقد مات اكثر من عالم واحد من المشتغلين بالراديوم لحروق اصابتهم من تعرضهم لاشعتهِ

وقد ثبت حديثاً انهُ تصل الى الارض من الفضاء اشعة اشد نفوذاً من اشعة اكس لانها تنفذ لوحاً من الرصاص سمكهُ نحو ١٧ قدماً . اي انها تفوق اشعة اكس نحو ٤٠٠ ضعف في قوة نفوذها . واشترك في اكتشاف هذه الاشعة الاستاذان غوكل وهس السويسريان والاستاذ كولهرستر الالماني والاستاذ ملكن الاميركي ومساعدوهُ . الآ



الاستاذ روبرت ملكن العالم الطبيعي الاميركي المشهور



الاستاذ ملكن ومساعده الدكتور كمرون يجهزان الكترسكوباً مغلفاً بألواح الرصاص السميكة لقياس الاشعة الكونية

انها نسبت الى الاخير وتعرف باسمهِ كما تعرف اشعة اكس باسم رنتجن لانهُ اثبت وجود هذه الاشعة وقوة نفوذها وان مصدرها من الفضاء خارج جو الارض بل خارج المجرة بسلسلة من التجارب العلمية البديعة لخصناها من رسالة لهُ في مقتطف مارس الماضي صفحة ٣١٦ فما هو سرّ هذه الاشعة ؟

انها رسل تأتينا من الفضاء تنبئنا ان عمل التكوين جارٍ الآن في السدم التي تصدر منها . هذا قول القاهُ الدكتور ملكن على جماعة من اكبر علماء اميركا اعضاء اكادميتها العلمية . والاستاذ ملكن من اشهر علماء الطبيعة المعاصرين ولد سنة ١٨٦٨ في بلدة مورسيون بولاية الينوي وابوهُ قسيس فيها وتلقى العلم في كلية اوبرلن ثم نال رتبة دكتور في الفلسفة من جامعة كولومبيا حيث اتصل بالاستاذ ميخائيل پيوبن (راجع ترجمتهُ في مقتطف مارس الماضي ص ٢٩٣) فاشار عليهِ ان يذهب الى جامعات المانيا للتوسع في موضوع العلم الذي انقطع لهُ فانتظم في جامعتي برلين وغوتنجن ولما عاد الى اميركا درّس في كلية اوبرلن اولاً ثم صار استاذاً للطبيعيات في جامعة شيكاغو ثم عيّن اخيراً مديراً للمعمل العلمي في معهد كاليفورنيا الصناعي . ومن اشهر اعمالهِ اشتغالهُ باستفراد الكهرب وقياسهِ فنال على ذلك جائزة نوبل للطبيعيات سنة ١٩٢٣ واصيب بهزة كهربائية كادت تقضي عليهِ

هذا الرجل العالِم لا يلقي الكلام على عواهنهِ بل يقيس كل كلمة بمقياس من الدقة كما قاس الكهرب وهو اصغر ذرة من الكهربائية كشف عنها العلم الحديث حتى الآن

قال الاستاذ ملكن ما خلاصتهُ : ان عمل التكوين جارٍ الآن ولا اريد بالتكوين تكوين العوالم ولا تولد الاحياء التي تقطنها بل اريد تكوين الذرات الدقيقة التي تبنى منها المواد سواء كانت جامدة او تحركها نسمة الحياة . فان درسي للاشعة الكونية اثبت لي ان وراء النجوم اماكن تتكون فيهِ اربعة عناصر من جواهر الهدروجين والهليوم وان هذه العناصر هي الاكسجين الغاز اللازم للحياة والمغنزيوم المعدن الذي يحترق بنور لامع فتصوَّر بنورهِ الصور الفوتغرافية في الظلام والسلكون الذي يدخل في تركيب الرمل والزجاج وغيرها والحديد . والمرجح ان الاشعة الكونية التي تصلنا هي قوة تنطلق من السدم اللولبية خارج المجرة نتيجة لاتحاد جواهر الهدروجين والهليوم لتكوين العناصر المذكورة من اتحادها .

كان الاستاذ ملكن ومساعدهُ الدكتوركمرون يشتغلان ذات ليلة بمراجعة مادوناهُ عن هذه الاشعة القوية بعد تجاربهما الجديدة وهما يعجبان لقوتها وشدة نفوذها واذا خطر للدكتور ملكَنْ خاطر فجائي مؤداهُ ان فعلاً طبيعيًّا واحداً يستطيع ان يطلق اشعةهذه قوتها. وهذا الفعل هو تحول عنصر الهدروجين او عنصر الهليوم الى عناصر اثقل وزناً واعقد تركيباً في بناءِ جواهرها كالسلكون والحديد

وكان اينشتين قد استنبط طريقة رياضية دقيقة لحساب القوة التي تصدر من عمل كهذا فاخذ العالمان يشتغلان ليحسبا مقدارالقوة التي تصدر من تحوُّل جواهر الهدروجين او جواهر الهليوم الى جواهر الاكسجين او السلكون او الحديد فوصلا الى نتيجة مطابقة لما توقعاهُ لان قوة الاشعاع الذي ينتظر صدورهُ حين حدوث فعل طبيعي من هذا القبيل يعادل قوة الاشعة الكونية التي كشفها ملكن وعين قوتها تعييناً دقيقاً

ولكن لماذا يصدر اشعاع قوي حين تتحول جواهر الهدروجين الى هليوم ، او جواهر الهليوم الى اكسجين ؟

ان جوهر الهليوم يفوق جوهر الهدروجين اربعة اضعاف وزناً ولكن وزن جوهر واحد من الهدروجين ليس ربع وزن جوهر واحد من الهليوم بل اكثر من ربع قليلاً [1] فاذا اتحدت اربعة جواهر من الهدروجين زاد مقدار قليل من الهدروجين فماذا يحدث لهذا المقدار القليل؟ يتحول قوة تنطلق اشعة صغيرة الامواج شديدة النفوذ وبعض هذه الاشعة التي تصل الارض هي الاشعة الكونية التي كشفناها

يحدث ذلك في السدم اللولبية خارج المجرة ولكن ليس ما يمنع حدوثهُ في الارض فالثابت ان غاز الهليوم يوجد في الكهوف التي يوجد فيها الغاز الطبيعي (الخلقي) والمحتمل ان يكون الغاز الخلقي قد تكوَّن من غاز الهليوم على هذا النمط

ولا يعرف العلماءُ قوة من القوى التي اخضعت لمطالب العلم تستطيع ان تحدث فعلاً كهذا ولكن قد يأتي يوم يستطيع الاطباءُ ان يستخدموها في معالجة الامراض . وقد يكون لها اثرٌ هام في جميع الاحياءِ

(١) وزن الهدروجين الجوهري ١٫٠٠٧٧٨ ووزن الهليوم الجوهري ٤٫٠٠٠٥٤ وهو اقل من اربعة اضعاف وزن الهدروجين مع ان اربعة جواهر من الهدروجين تتحد لتوليد جوهر من الهليوم فالفرق بين اربعة اضعاف وزن الاول ووزن الثاني يتحول قوة تنطلق في الفضاء اشعة

القويُّ يأكل الضعيف

أمثلة غريبة من عالم الحيوان

اظهرما في هذا الكون من الآيات بين الاحياء آية سُطّرت في اديم الارض ورحاب الفضاء — وهي ان القويَّ يأكل الضعيف . وعلى هـذه الآية بنى علماء البيولوجيا والطبيعة اقوالهم وشروحهم في تفسير قواعد الحياة ومنها اشتقوا قولهم «الانتخاب الطبيعي وتنازع البقاء وبقاء الاصلح» اي ان القويَّ يبيد الضعيف ويرث الارض بعده إما بالاعتداء عليهِ مباشرة كما تفعل الضواري من الحيوان وكما كان الانسان يفعل في عهد همجيتهِ وإما بالاعتداء عليهِ بواسطة وتلك الواسطة هي الطبيعة بما فيها من حرّ وبرد وجوع وعري ومرض. فان هذه العوامل كلها تساعد القوي على الضعيف او تقرض الضعيف من امام القوي فالصحيح والغني اصلح للبقاء وابعد عن الفناء من السقيم والفقير

وتاريخ الانسان من بدء ظهوره على هذه الارض الى عهدنا الحاضر شاهد على ان هذا المبدأ لم يتغير بتغير احوال الناس في معايشهم وارتقائهم من حال البداوة والهمجية الى حال الحضارة والمدنية . فقد كانت طوائف البشر فيما مضى كطوائف الحيوان في كل زمان ومكان — يبتلع القوي الضعيف ويهضم حقوقهُ

والحيوان يعتدي بعضهُ على بعض ويفترس بعضهُ بعضاً بطرق شتى واساليب مختلفة. فمن السمك نوع يسمى الرامي تشبيهاً لهُ برامي السهم عن القوس او البصّاق وانما سمي كذلك لانهُ اذا رأى حشرة على نبتة نبتت قرب الشاطىء دنا منها الى اقرب ما يمكنهُ ثم ملأ فمهُ ماء وقذف بهِ على الحشرة فتسقط في الماء فيلتهمها . وهو يصيب غرضهُ وقلما يخطئهُ ويكثر وجودهُ في انهار جزائر الهند الشرقية واهل جاوى وما جاورها يصيدونهُ من الانهار ويحفظونهُ في بركهم للعب والتسلية وذلك انهم يلتقطون لهُ الذباب ويدنونهُ منهُ فيقذف عليهِ الماء من فيهِ حتى يقع في البركة فيلتقمهُ

ومن الحيوان ما يصطاد فريستهُ بكمونهِ لها حيث يرَى ولا يرُى لعلمهِ بالسليقة ان منها ما هو شديد الحذر والتوقي على نفسهِ كالتمساح فانهُ يتربص لفريستهِ في الماء او بين الاعشاب اياماً لا يبدي حراكاً كانهُ ميت حتى تمرّ من امامهِ فينقضّ عليها كالبرق الخاطف . ومن الافاعي نوع يتعلق بالاشجار من ذنبهِ متدلياً ويبقى كذلك

لا يتحرك حتى يعسر التمييز بينهُ وبين الغصون التي حولهُ . فاذا مرَّت فريستهُ تحت الشجرة التي بنفسهِ عليها . وهكذا يفعل بعض انواع العلق في حراج افريقية فانهُ يعلق بغصون الاشجار حتى اذا مرَّ انسان او دابة تحتهُ سقط عليهما ليمتص دمهما

ومنها النسر ملك الكواسر . وصف بعضهم صيد بعض انواعهِ لفريستهِ نثراً بمثل ما وصف المتنبي الاسد ملك الوحوش شعراً من قصيدتهِ في بدر بن عمار فقال : يحلق ملك الكواسر في الجوّ ثم ينقض فجأةً على شجرة بجانب نهر يرصد فريستهُ منها بعين تقدح شرراً وتتبين الاشباح بجلاء ولو كانت على حدود الافق واذن تكاد تسمع دبيب النمل في قراهُ . وتراهُ آونة بعد اخرى ينظر الى اسفل خشية ان لا يطرق مسمعهُ وئيد الظبية وخشفها . وتجثم انثاهُ على شجرة في الضفة المقابلة وتصيح فيهِ حيناً بعد حين كانها توصيهِ بالصبر وتحثهُ على السهر فينشر جناحيهِ ثم يطويهما وينحني الى الامام ويردُّ عليها بصراخ كانهُ قهقهة الضاحك او عربدة الشارب الثمل ويعود فيستوي في مجثمهِ كالملك على عرشهِ . فتمرُّ من تحتهِ اسراب البط تباعاً سراعاً ترد الماء فلا يرمقها بنظرة كبراً وترفعاً

وفيما هو على تلك الحال يطرق اذنهُ واذن انثاهُ صوت اوزة عن بعد فتصيح الانثى صيحة شديدة وتأخذهُ هزة فينتفض كأن قد بللهُ القطر ويتحفز للانقضاض على فريستهِ حتى اذا مرَّت امامهُ جمع نفسهُ في زورهِ وانبعث من مكمنهِ انبعاث السهم عن قوسهِ او الشهاب الثاقب من فلكهِ وهو يصعق صعقات قوية تصيب اذن الاوزة فتقع عليها وقع الصاعقة وتحاول الفرار منهُ ولكن اين المفرُّ وسلطان الطير هو الطالب . فتحاول القاء نفسها في الماء فيمنعها من ذلك بان ينازلها من اسفل فيضطرها الى البقاء طائرةً حتى تقع غنيمة بين براثنهِ

ومن السمك نوع يصيد فرائسهُ بالحيلة فان لهُ شبه عرف معلقاً بانفهِ فيدفن نفسهُ في الوحل ويبقي العرف فوق الماء فاذا رأت صغار السمك العرف اجتمعت حولهُ ظناً ان هناك غنيمة باردة فيفتح فاهُ بغتة فتنحدر الى جوفهِ وهو لم يحرّك لصيدها ساكناً

ومن الحشرات ما يحفر في الارض حفرة مستديرة جوانبها من التراب والرمل الناعم فاذا مرّت حشرة اخرى بها هوت الى اسفل فاصطيدت

والعناكب تقنص صيدها بشباك تحوكها فمنها ما يقف لفريستهِ بالمرصاد وسط شبكتهِ ومنها ما يختبئ قرب الشبكة في ثقب من الحائط فاذا وقعت الفريسة في الشبكة المنصوبة ،

جعلت العنكبوتة تغزل الخيوط وتلفها حولها لتمنعها من الهرب . ومن هذه العناكب عنكبوتة في مدغسكر حيَّرت علماء الحيوان مدة طويلة فان في وسط الشبكة التي تحوكها خيطاً غليظاً لم يهتدوا الى فائدتهِ مع طول المراقبة ولم يروها تستخدمهُ لغرض من الاغراض . والغريب انهُ اذا ازيل اسرعت فغزلت خيطاً آخر غيره ُ . واتفق انهُ بينما كان احد العلماء يراقب عنكبوتة من هذه العناكب رأى جندباً كبيراً قد وثب الى وسط الشبكة وما كاد يفعل حتى وثبت العنكبوتة خلفهُ باسرع من لمح البصر وشدّت وثاقهُ بالخيط الكبير لان الخيوط الصغيرة لا تكفي لذلك

ومن الحيوانات حيوان يسمَّى آكل النمل وطريقة صيدهِ لها هي انهُ يبسط لسانهُ الطويل على الارض وكل نملة تمرُّ عليهِ تلصق بهِ لوجود مادة لزجة عليهِ فاذا اجتمع منها لقمة سائغة ازدردها هنيئاً مريئاً . وكثيراً ما يغرز لسانهُ في قرية للنمل ثم يخرجهُ منها محملاً صيداً . ومنها ما يصطاد جماعات كالكلاب البرية والذئاب والثعالب . روى بعضهم ان الكلاب البرية تجري خلف فريستها وهي تسابق الرياح وتستحثُّ بعضها بعضاً بالنباح حتى تخور قوة الفريسة رعباً وتعباً . واذا طاردت حيواناً لم ينقذهُ منها جريهُ ولا خفة حركتهِ ولا قوة عضلهِ ولا شدة بطشهِ . فالغزال والنمر والذئب والاسد عندها شرعٌ . تتبع الفهد الهندي عن كثب وتهجم عليهِ فيثخن فيها جرحاً وقتلاً فلا يثنيها ذلك عنهُ بل لا تزال بهِ حتى تنال مأربها منهُ

ومثل الكلاب البرية الذئاب فان شراستها مشهورة ولاسيما اذا دهمها الجوع . ففي الحرب تسير في اثر الجيوش فتستفرد المتخلفين من الجنود وتلتهم القتلى . او تهاجم المسافرين زرافات او تجتمع زوجين زوجين وتأخذ صيدها بالحيلة . فاذا عثر الزوجان منها بقطيع من الماشية حسبا للكلب الذي يحرس القطيع كلَّ حساب علماً منهما بشدة سهرهِ وقوة دفاعهِ ودقة شمّهِ فيحاولان خداعهُ بالطريقة الآتية وهي انهما يدنوان من القطيع مسترقين الخطى ثم يظهر احدهما امام الكلب ويختبئ الآخر منهُ فيهجم الكلب على الذئب الذي يراهُ فيهرب هذا امامهُ والكلب في اثرهِ فيغتنم الذئب الآخر الفرصة ويهجم على القطيع فيخطف منهُ شاة ويفرُّ الى حيث يقتسمها هو وشريكهُ

وزبدة القول ان هذا الكون اشبه بميدان يصول فيهِ الاحياء ويجولون ويتجالدون ويتطاعنون ويتسابقون تسابق خيل الطراد فلا يسبق الاَّ الجواد ولا يسلم الاَّ البطل او شديد الحيلة كثير الدهاء

آراء في الادب والعمران

للمرحوم الدكتور صروف

وذكريات شخصية من قلم الامير شكيب ارسلان

ليس المرحوم الدكتور يعقوب صرُّوف بمحتاج الى تأبين احد لهُ بنظم او نثر ولا إلى ترجمة احد لحياتهِ في كتاب او مجلة او جريدة سيارة . وكيف يحتاج الى تأبين أو إلى ترجمة من مئات اجزاء من المقتطف الحافل باعظم الفوائد واوسع المعارف منذ خمسين سنة تؤبنهُ وتنشر مآثرهُ . حتى لو قيل إن الدكتور صرُّوف عنوان للرقي العلمي في الشرق او انهُ هو بنفسه حقيقة كلية من جملة الحقائق التي يعنى الناس بالاطلاع عليها لترقية عقولهم لكان بذلك جديراً . وماذا عسى ان يقول الكاتب في مَن قال مدة نصف قرن بدون انقطاع — قال وابدع في المقال وكتب وصدق الرواية وحرر ونصح في التحرير وعلم وعمل بما علم ورقي أعلى مراقي الاطلاع التي امكنت مفكراً في هذا العصر وهو لا يرى نفسهُ شيئاً وكلما ازداد علماً ازداد تواضعاً وكلما عجب الناس من سعة علمهِ عجب هو من كونهم يرونهُ عالماً . وهـذا هو شأن العالم المحقق والفيلسوف الكامل الذي لا يزيدهُ تبطن اسرار الكون والتوغل في عالم الحقائق الاَّ معرفة بعجز الإنسان وبانهُ لم يؤت من العلم الاَّ قليلاً . ولقد قرن الدكتور صروُّف الى هـذا العلم الواسع والنظر النافذ والقلم الساحر خلقاً عظيماً قلما تحلى بهِ احد كأنما كانت فطرتهُ الاصلية جوهراً غالياً صافياً فجاءها صقال العلم المستمر مدة سبعين سنة كمالاً . فاصبحت تلك النفس الزكية درة وهاجة من جميع نواحيها تكاد تأخذ بالابصار . ولعمري ان نعمة العلم لا تتم الاَّ اذا ظهر في النفس فبعد ان يكون العلم نظريات وآراء يتجسم حركات واعمالاً . فتجد العلم الذي في مثل العلامة صروف قد لبس رداء الحياة وعقل بجنان ونطق بلسان واعرب عن ذات نفسهِ ببرهان . ولا عجب ان يكون العلماء الذين على نمط الاستاذ المرحوم ذوي نفوس تجول في آفاق هي أعلى من آفاق سائر الناس لانهم ينظرون إلى الاشياء لا من وراء حجب الاوهام ولا من خلال عوائق العلائق بل من أقرب الطرق وأوضحها وابعدها عن الاهواء. فبينما سائر الخلق لا يرون شبحاً الاَّ من دون ضباب ضلال ولا يتمثلون مادة الاَّ من خلال غواش مختلفة الاشكال يكون نظر هؤلاءِ العلماء الى الامور سواء كانت مادية او معنوية نظر الذي تجرد عن كل غاشية

وابصر الحق بعين صافية . فلهذا كنت ارى في اخلاق الطيب الذكر يعقوب صرُّوف من السجاحة والسماحة والنزاهة والعلو عن سفساف الامور والتزام معاليها ما لا اجده الاَّ في النادر الاندر من البشر ولاشك انهُ اذا كان اعلى افق من الناس متصلاً باقرب أفق من الملائكة فيكون فقيدنا طيب الذكر في الفوج الاول من الآدميين الفارطين الى ذلك الافق العالي

كنت في الخامسة عشر من العمر عند ما وقع نظري على الدكتور صرُّوف لاول مرة في حياتي وذلك في ادارة احدى جرائد بيروت وكان صاحب تلك الجريدة وهو اليوم في عالم البقاء يسأل الدكتور عن لفظة « ميناء » ومأخذها ومعناها فأخذ الدكتور يفسر لهُ هذه الكلمة ويذكر لهُ اشتقاقها ومواضع استعمالها وتاريخها من الكلام العربي فدهشت مما سمعت وعرفت مع حداثة سني يومئذٍ مزية العالم على الجاهل او المتعالم وقلت في نفسي : انظر الى هذا الرجل كيف سرد عن لفظة واحدة بسيطة جوابُها يقع في كلمة واحدة عبارةً طويلة لا تجد فيها مع طولها حشواً ولا حرفاً زائداً ولا ناقصاً . إن مثل هذا العالم لهو الذي ينبغي ان تشد اليهِ الرحال . وزاد إعجابي بما سمعت من العلم وما شهدت من اللطف والتواضع وانكار الذات وعدم الصنعة في كيفية الالقاء الذي سمعتهُ

ولم تساعدني الاقدار ان اشاهد الفقيد بعد ذلك الاَّ سنة ١٨٩٠ حينما قدمت الى مصر اول مرة وكنت في سن العشرين فدعاني اصحاب المقتطف الى الغداء عندهم وتذاكرنا في مواضيع كثيرة ولا يزال لتلك الزيارة اثرٌ منطبع في اعماق نفسي . ثم اتيحت لي مجالسة الفقيد مرة اخرى وكنت من قبل ذلك اكتب بعض المقالات الى المقتطف وكان المرحوم يستحث همتي في مواصلة الكتابة العلمية وقال لي مرة من ذاق لذة العلم يجد الكتابة في السياسة إسفافاً لا تطيب به نفسهُ . ولكنهُ كان كسائر العقلاء يرى انهُ لا بد من بعض الامور في هذه الحياة ولو أتاها الانسان مكرهاً

وكانت المكاتبة قلما تنقطع بيني وبين الاستاذ وانا في بعض الاحايين أراسل المقتطف ولي فيهِ مقالات وجمل كان تواضع المرحوم يحملهُ لاعلى نشرها فحسب بل استزادتي من امثالها . وكانت المحبة بيننا بلغت من المخالصة انهُ كان يستشيرني في امور تتعلق بنهج المقتطف والمواضيع التي ينبغي ان يتوخاها ومرة ارادني على ان اكتب بصورة مستمرة وان اجد للمقتطف مراسلين يصح الاعتماد على علمهم وبلاغتهم فجاوبتهُ بأني افضل ان اكون في الكتابة حرًّا غير مقيد بزمن ولا عدد وان لا اتقاضى على ذلك

شيئاً ولكنني استجدت لهُ اقلام فضلاء مشهورين راسلوا المقتطف بعد ذلك سنين طوالاً وكان منهم الاستاذ الشرتوني طيب الله ثراهُ والاستاذ كردعلي رئيس المجمع العلمي العربي الذي كنت انا الواسطة في مراسلتهِ للمقتطف وكانت هذه المجلة من منابر رقيهِ ومظاهر نبوغهِ . ومن هؤلاءِ المرحوم محمد ابو عز الدين رئيس محكمة استئناف الجزاء في لبنان الذي لولا منصبهُ القضائي لامتع قراء المقتطف باكثر جداً مما اتيح لهُ

ولما جئت مصر للمرة الثانية وذهبت منها الى طرابلس الغرب وذلك منذ سبع عشرة سنة اسعدني الحظ ايضاً بملاقاة الفقيد رحمهُ الله . وهذه آخر مرة تلاقينا بها لان الشواغل حالت دون كثرة الاجتماع وكنا من اهل بلاد لا تزال من حرب الى حرب فكانت السياسة الممقوتة تحول بيننا وبين من نهوى لقاءهم من جلة العلماء الذين الساعة من عشرتهم تزن الايام الطوال من عشرة سواهم . ثم جاءت الحرب العامة فانقطعت المواصلات كلها وبقينا لا يعلم الواحد عن الآخر شيئاً إلاَّ من افواه القادمين حتى اصيب المرحوم بفقد احد اخوتهِ فارسلت اليهِ بكتاب تعزية وجاوبني عليهِ واستؤنفت بعد ذلك المراسلة بيني وبينهُ عوداً على بدء . واني انقل الى القراء بعض اسطر من جوابه لان روحهُ الطاهرة تتجلى في جميع كتاباتهِ وكلام المرء مرآة كماله قال:

«تناولت صباح امس كتاب التعزية الذي تكرمتم علي به فزادني اعجاباً بفضلكم وافتخاراً بصداقتكم وايقاناً بحبكم ولقد اراني موت اخي ما لا استحقه من كثرة الاصدقاء والمحبين على تقصيري مع الجميع كما انه انذرني بقرب الاجل وانا شديد الشوق اليه لعلي ادرك شيئاً من الكثير الكثير الذي اجهله»

فلينظر القارىء ما بلغ من هذا الرجل حب العلم حتى اصبح يتوقع الموت بلذة المنتظر من وراء هذه الحياة حياة اخرى أوسع علماً واصح حكماً

ثم انه يقول : « من غريب الاتفاق انني قرأت ما كتبتموه في مجلة المجمع عن كتاب «مي» في المساواة قبيل وصول كتاب التعزية بساعات قليلة . والمساواة مقالات نشرت اولا تباعاً في المقتطف ثم جمعت وطبعت كتاباً على حدة فراقني جداً وصفكم له وارجح انها لم تترجم شيئاً ترجمة لانها تتكلم معي في كل المواضيع الادبية والفلسفية كما تكتب فانها قوية الذاكرة الى حد يفوق التصور وقد قرأت كثيراً من الكتب في اللغات التي تحسنها الفرنسوية والانكليزية والايطالية حتى لقد تستشهد في كلامها معي بابيات من شكسبير أو بيرون كما تستشهد بالمتنبي والمعري وحفظت ايضاً كثيراً من قصائد شوقي والمطران وحافظ واظنها تصوغ معانيها في ذهنها بالفرنسوية او الانكليزية قبلما تعبر عنها بالفاظها العربية والظاهر ان الذي طبع الكتاب عن مقالات المقتطف غير فيها بعض الالفاظ فصرها ولقد اصبتم واحسنتم بوصفكم للكتاب وكاتبته وانصفتموها »

ولما ترجمت كتاب « أناطول فرنس في مباذله » أحببت ان اطلع عليهِ المرحوم

الاستاذ وأعرض عليه نشره في المقتطف اذا شاء . فاستحسن الفكرة أولاً واشار إليَّ بارسال الكتاب حتى ينشرهُ في عدة أعداد من المقتطف ثم يجمعهُ كتاباً على حدة . وكنت قد رأيت فيما نقلهُ « جان جاك بروسون » عن اناطول فرانس كثيراً من الرفث والمجون مما حذفت منهُ شيئاً ولطفت شيئاً ولذت في اشياء منهُ بالمعاريض وظننت ذلك كافياً في تجريد الكتاب مما ينبو عنهُ نظر الادب وتحمر لهُ وجنة الخفر . واذا بالاستاذ يقول لي :

« الى ان اطلعت على ما بعثم به اليَّ من « المباذل » كنت احسب الرجل شيخاً جليلاً كبعض الذين عرفتهم في حياتي كفاندیك والبستاني واليازجي (يريد استاذه الدكتور فان ديك الشهير والمعلم بطرس البستاني والشيخ ناصيف اليازجي) لكن المباذل صورته لي كاحمد فارس الشدياق كما عرفته في « الساق على الساق » ثم رأيته بعد ذلك في مصر . ولا أرى ان كاتب سر أناطول فرانس أحسن في بعض ما نشره عن استاذه وقد أوصينا ان نذكر حسنات موتانا . فهل من حسن الذوق في هذا العصر ما كتبه عن (الهيجان والغلمة) وما رواه عن (الصبابات الاولى) و (العنانة والعجز) . لو كنا في عصر صاحب الاغاني لالتمسنا له عذراً بآداب العصر

«أما عصرنا هذا لاسيما بين المصريين والسوريين من قراء المقتطف فأتناول من يقول انه لا محل فيه لهذا التبذل والمجون ولو كان لي معرفة بالسكرتير لكتبت اليه اللوم على ذكر عجر أستاذه وبجره . قد يتغير العصر ويتغير نظر الناس في هذه الامور ويصيرون ينظرون الى تحريمها كما تنظر الى تحريم قطاع الطريق من اليونان وأكل الجبن في الصوم الكبير ولكن لا بد للمرء من ان يلبس لكل حالة لبوسها . ولولا اعتقادي أن رأيكم في هذه الامور مثل رأيي وانكم كنتم تتململون كلما وصلتم الى بجرة من هذه البجر وتودون أن لا يكون الرجل كذلك أو ان لا تذكر عنه تلك الهنة لما صارحتكم برأيي . وعليه فانا معيد اليكم الكراس مع هذا البريد راجياً قبول عذري ومسامحتي ان كنت ذكرت شيئاً يشف عن ظهوري فيه مظهر المعلم لمن أعده في المنزلة العليا بين المتأدبين بأدب النفس وأطال الله بقاءكم »

فوالله لقد قرأت هذا الكتاب والعرق ينحدر على وجهي من شدّة ما خجلت من رجل كنت اوفر لهُ من الحرمة مالا اوفرهُ لغيرهِ . ولم البث ان كتبت اليهِ بانهُ قد كان في الكتاب من الطامات الكبرى في هذا الموضوع مالا يلبس عليهِ رداء كما يقال ولقد حذفت منها ما ظننتهُ كافياً ولكنني خشيت اذا استقصيت الحذف من غضب هؤلاء الشبان الذين يسمونَ أنفسهم « بالمجددين » والذين قد يسخطون عليَّ ويرمونني بقوارص أنا في غنى عنها . على ان ملاحظتك كلها هي في محلها وما كان ينبغي لمثلي ان يتساهل من هذه العُجَر والبجر في شيء . ثم أردت ان امازحهُ فقلت «وأما ما قلتهُ عن تأدبي بأدب النفس فلقد كان ذلك ولكن فيما يظهر إقامتنا بأوربة منذ نحو عشر

سنوات قد زعزعت أركان هذا التأدب حتى صرنا نترجم مثل هذه الروايات »

ثم أعدت النظر على الكتاب فحذفت منهُ كل ما لحظت أنهُ يقع من خاطر الاستاذ صروف وأمثاله الكملاء موقعاً غير مقبول . ووقعت من أجل ذلك كما حسبت في السنة أولئك الشبان الذين نشروا في تخطئتي من جراء هذا الامر اكثر من مقالة . حتى قيل لي إن بعضهم عمد الى المواضع التي طويتها وأراد ان يترجمها ويسد بها بزعمه ذلك الخلل الذي ادخلتهُ أنا على الكتاب . ولكنهُ كان يهمني أن يرضى صروف ولا ينتقدني ولو انتقدني بعد ذلك مئات والوف. قيل إن السيد الجرجاني تناظر مع السعد التفتازاني بمجلس غاص وكان السيد شاباً حديث العهد وكان السعد شيخ العلماء في وقته فانتهى المجلس بأن السعد أقر للسيد وان السيد فلج على السعد امام ذلك الجمهور. فساء ذلك تلاميذ السعد ولما انصرف الناس قالوا لاستاذهم : ما كان ينبغي لك ان تسلم لرجل هو في سن أحد تلاميذك. فاجابهم وماذا اصنع اذا كان معهُ الحق . فقالوا لهُ : قد كان يمكنك ان تقول لهُ كيت وكيت في الجواب. فقال لهم. ولكنهُ يكون مماحكة ولا يكون من العلم في شيء . فقالوا لهُ : لكن الناس قد علموا الآن ان السيد أعلم منك . فقال لهم : أحب إليّ ان يعلمني الناس جاهلاً وان يعلمني السيد وحده عالماً. فانا كنت أوثر ان يكون الاستاذ صروف راضياً ولو تعرضت لسخط جمهور لا من الشباب فحسب بل من الكهول ايضاً

ولقد ترجم احد البلغاء من اصحابي تأليفاً فانتقده المقتطف في عبارات معلومة . فلم يمض على ذلك أيام حتى قرأت في احدى الجرائد جملة شديدة في الرد على المقتطف تحت امضاء مبهم فعلمت انهُ قد يكون الرد من قلم مترجم ذلك الكتاب او احد اصحابه فاسرعت بالكتابة الى صديقي هذا أعذلهُ على هذا الرد إن كان بقلمه او بعلمه ولما كتفِ بذلك حتى نشرت في (كوكب الشرق) جملة أُبين فيها فضل المقتطف واصحابه ورأيي الخاص في العلامة الدكتور صرُّوف. وبعد ايام جاءني الكتاب الذي يلي بعد الترجمة ...

«وقال لي بعضهم الآن ان في كوكب الشرق كلة من الامير عني وأتاني بالكوكب فاذا انا بتاج وصولجان وطيلسان . والصائغ والمفضل والمتفضل محب كريم لا يرى الا الحسنات ويعظمها الحب في عينيه ولست اجد كلاماً يفي بشكركم» ولما كان في الرد الذي تناول صاحبه به الدكتور صروف اشارة الى كونه نصير الزويمر . وهو خبر ناشىء عن وهم ككثير من الاخبار التي تعلق بالاذهان ولا صحة لها فقد اوضحت في دفاعي عن الدكتور الخطأ الواقع في هذا الظن . وقد اضحك الدكتور ما قيل عنه فكتب في جملة ما ذكره : « اما زويمر فهو يعدني كبر خصم له ومرادي ان اطلعه على ما كتبتم لاقوي حجتي عليه » .

لم يذكر لي في هذا الكتاب وهومؤرخ في ٣١ يوليو سنة١٩٢٥ انهُ صدرمقتطف أغسطس وقد كتب فيهِ عن رواية آخر بني سراج وقال لي هكذا :

« وطلبت منكم ان تعدلوا عما قلتموه في الصفحة ٣٦٦ فان اوروبة سائرة مختارة او غير مختارة الى ابتلاع مرافق الشرق ومتى زالت مرافقه من يد ابنائه أمسوا عبيداً فصيره الى الخراب ان لم يتفق رجاله ويغضوا عن كثير مما يفرق بينهم ولاسيما النعرة الدينية ويؤوبوا الى القول المأثور « الدين عند الله المعاملة » . وعسى ان تتمكنوا من هبوط مصر في الشتاء القادم فنواصل البحث في موضوع لا تسعه الاوراق واكرر الشكر الجزيل للامير الكريم »

فكنت في الحقيقة اعلل النفس بآمال لقاء هذا الصديق الكبير طاهر القلب وكبير العقل وواسع العلم. وطالما تخيلت ويا للاسف المجالس اللطيفة التي كنت سأحظى بها منهُ ولكن الاجل قضى على هذا الامل وكم من حسرة تنزل مع الانسان في التراب . ولما جاءني نعي المرحوم كان اول ما انطلق لساني بهِ قول اليازجي الكبير

قد كنت انتظر البشرى برؤيته فجاءني غير ما قد كنت انتظر

ولبثت اكرر هذا البيت ولا ازال اكررهُ كانهُ يشفي بعض ما في صدري. ثم لينظر الانسان الى ما كان عليهِ هذا الفقيد من حب الخير ونقاءِ الوجدان فقد كنت كتبت لهُ فيما كتبت من الاعتذار عن الرد الذي نشرهُ بعضهم عليهِ بسبب انتقادهِ للكتاب المترجم فقلت لهُ : ان المترجم قد يخسر بانتقاد رجل عظيم مثلهُ ليس خسارة ادبية فقط بل خسارة مالية . فكتب الي في مكتوب آخر بتاريخ ٣١ اغسطس سنة ١٩٢٥ يقول لي:

« وأؤكد لكم أنني لما قرأت قولكم أن المترجم قد يخسر بانتقادي خسارة مالية تحول غيظي منه الى غيظي من نفسي ولا ادري الآن كيف اكفر عما مضى »

ولم يلبث ان نشر في المقتطف قطعة طويلة من الترجمة حتى لا يظن القراء انهُ يغمط فضلها بمجرد انتقاد بعض عبارات . نعم قد كان في حب الخير والبعد عن الشر امة وحده وكنت قد ذكرت لهُ تصرف الدول التي تزعم انها حاميات الحق والعدل فيما نكثت بهِ من مواعيدها للعرب وما اظهرت من الجشع والطمع بسلب حقوقهم واحتلال بلدانها بعد الحرب الكبرى فاجابني اجزل الله ثوابهُ عن ذلك بما يأتي قال :

«اما رجال السياسة الذين اشرتم اليهم فقد رأيت منهم بعد الحرب ما صغرهم في عيني وجعلهم أحقر من ان ادافع عنهم من اكبرهم الى اصغرهم ابقاني الله واياكم داخل سياج العلم واطال الله بقاكم»

ولست أكبر هذه العبارة على صحة وجدان الفقيد ولكنني أذكرها في جملة حسناته الكثيرة

لوزان . شكيب ارسلان

نجوى التمثال

انظر تمثال نهضة مصر على الغلاف

أيُّها المفترشُ الصخرةَ يشدّ ذراعيه أقوى الشدّ كأنما يريد أن يقتلع الصخرة فيهما ، متناهضاً بصدره ليدلّ على أنه وإن ربَضَ فان الوثبة في يديه، متمطياً بصُلْبه ليُشير من جسمه الهادىء الى معانيه المفترسة ، مُقْعِياً على ذَنَبه ومتحفزاً بسائره كأنه قوةُ اندفاع تَهُمّ أن تنفلت من جاذبية الارض

وأنتِ أيتها الهيفاء تمثّل الانسانيةَ المتمدنة في نحافتها وهي كهذه الانسانية ضاربةٌ بذراعي أسدٍ في غِلَظ مِدْفعين .... حكيمةً في النظر كأنما تمدّ في سرائر الأُمم نظرة المتأمل، ولكنّ يدها كيد الحكمة السياسية على تركيبٍ عقليّ تحتهُ المخالب .... ساكنةً كأنها تمثال السلام ، على أنها في جوار الاسد كالسلام بين الشعوب تلمح فيه إنسانَ العالَم ووحشَ العالَم ....

يا أبا الهول

أأنت جوابٌ عن ذلك اللغز القديم الذي هو كلامٌ لا يتكلم وسكوت لا يسكت ، والذي أشار برأس الانسان على جسم الليث أنه قوة عمياء كالضرورة ولكنها مُبْصِرَة كالاختيار ، والذي أخرج من فنّي الغريزة والعقل فنّاً ثالثاً لا يزال في الارض ينتظر المرأة التي تلد إنساناً عظامهُ من الحجر؟

وأنت يا مصر

أواقفةٌ ثمّتَ للشرح والتفسير تقولين للمصريّ إن أجدادك يسألونك من آلاف السنين بهذا الرمز: ألاَ معجزةٌ من القوة تمطُّ عضَلات الحجر؟ ألا بَسْطَةٌ من العلم تجعلك ايها المصري وكأنك رأسٌ لجسم الطبيعة؟ ألا فنٌّ جديد ترفع به أبا الهول في الجو فتزيده على قوة الوحش وذكاء الانسان – خفّةَ الطير؟

أم تقولين للمصريّ إن أجدادك يُوصُونك بهذا الرمز أن تكون كالظهر الأسدي لا يُركَبُ مَطَاه، وكالرأس الانسانيّ لا تقيَّد حريتُه، وكالربضة الجبلية لا تسهل إزاحتُها، وكالإبهام المركَّب من غامضين متناقضين لا يتيسر به عَبَثُ العابث، وكالصراحة المجتمعة من عنصر واحد لا يغلط في حقيقتها أحد؟

أم تقولين يا مصر: إن تفسير أبي الهول الأول أن النهضة المصرية إنما تكون يوم تخرج البلاد من يصنع أبا الهول الثاني؟

***

تمثالُ النهضة أم صفحة من الحجر قد صوَّر الشعبُ فكره عليها ودوَّن فيها إحساسه بتاريخه ووصف بها إدراكه حياةَ المعاني السامية؟

أم هو كتابة فصل من التاريخ بقلم الحياة وعلى طريقةٍ من بلاغتها، خشيت عليه الفناء فدوّنته في أسلوبٍ من أساليب البقاء الحجريّ الصلد؟

أم ذاك يومٌ من أيام الأمة أحاله الفن من زمن الى مادة ومن

معنى الى حسٍّ، ومن خبَرَ الى مَنظَر، وكانوا يتكلَّمون عنه فجعله الفن يتكلم عن نفسه

أم هو تعبيرٌ عن تلك المعاني التي خلقتها نفوس هذا الجيل تخاطب بهِ النفوس الآتية لتتمّ عليها وتضيف فيه الى المعنى سرّ المعنى وتضع الكلمة الانسانية على لسان الطبيعة تتكلم بالتمثال كما تتكلم بالجيل؟

أم تركيبٌ سياسيٌّ اذا فسّرته اللغة كان معناه أن الثابت اذا احتاج الى من يثبته .... فلن يمحوهُ من ينكره، وأن الظاهر إن احتاج الى من يدل عليه .... فلن يخفيَهُ من لا يراه؟

***

بل أراكَ لا هول فيك يا أبا الهول الجديد. أفذاكَ من رقّة داخلتْكَ ورحمة جاءتك من مسّ يد المرأة .... أم الهولُ اليوم قد أصبح في العقل والعاطفة ومدّ العين النسائية الى بعيد....

أم لا يتم في هذه المدنية رأسُ رجل وجسمُ سَبُعٍ إلا .... بأنامل امرأة؟

ألاَ من يعلمني أهذه المرأة منك هي تهذيبٌ للانسان والوحش ام تكملةٌ عليهما

ألا من يأتيني بالحكمة فيك من وضع الرجل القوي رأساً ولا جسم، والأسد المفترس جسماً ولا رأس، ثم لا يكمل الا المرأة وحدها

إنما كنت يا أبا الهول لغز الصمت فلما أضيفت المرأة اليك أصبحت لغز النطق .... فيا للهول!   مصطفى صادق الرافعي

حجة الاسلام : الامام الغزالي

عالماً في الاخلاق وفيلسوفاً

١ — الغزالي عالماً في الاخلاق

مصادرنا لهذا المبحث عدا كتابات الغزالي الاصلية وهي مرجعنا الاول ، كتابان : الاول للدكتور زكي مبارك في (الاخلاق عند الغزالي) وهو فريد في بابهِ . والثاني كتاب الدكتور زويمر Zwemer الذي اسماهُ (مسلم يفتش عن الحق) . ولنا على الكتابين عدة انتقادات ليس هذا مكانها وانما نقول أن الاول تنقصهُ تلك الطريقة العلمية في البحث ، التي تقضي بان يكون للكاتب غاية كبرى يسوق اليها جميع ابحاثهُ الثانوية ، وتحتم عليهِ فوق ذلك نوعاً من الترتيب والتبويب في البحث مهما كان اساسهُ ، وكلا الامرين مما تفقدهُ بتاتاً عند قراءتك الكتاب . واما الثاني ففي الاصل الانكليزي علمي مرتب ، لكنهُ مصبوغ بل مشوه بما للمؤلف من غايات تبشيرية لا يجهلها المطلع على كتاباته ، فلما جاءت الترجمة العربية المشوهة بعنوان (الغواص واللآلئ) ملأى بالاغلاط المطبعية وغير المطبعية زادت في الطين بلة

وبين هذين الكاتبين جدال عنيف مثاره علاقة الغزالي بالانجيل . وقد يحسن ان نعرض للقارئ خلاصة هذا الخلاف . يتفق الاثنان على ان الغزالي طالع الانجيل وتأثر بتعاليمه . الا ان الدكتور زويمر يريد ان يسند هداية الغزالي ورجوعه الى حظيرة الايمان ، الى تأثير الانجيل . بينما الدكتور مبارك ينكر ذلك ويقول «ان الغزالي لم يضلّ (يريد زهده وتصوفه) الا حين تعلق باهداب الآداب السلبية التي دعا اليها الانجيل» . ونحن نعتقد ان في الرأيين مبالغة ، إذ لم يكن الانجيل سوى كتاب واحد من مئات الكتب التي اطلع عليها الغزالي ، ولذلك يستبعد كثيراً ان يكون لها في حياته ذلك الاثر الموهوم ، اللهم الا اذا اخبرنا عن ذلك هو بنفسهِ

والغزالي كغيره من مفكري القرون الوسطى في الشرق والغرب ، مصطبغ بروح العصر كل الاصطباغ . ولذلك كان محور تفكيره الحياة السرمدية في الآخرة لا هذه الحياة الدنيا الزائلة . وقد تفشت هذه الروح في بقية مبادئهِ وآرائهِ فاذا أكثر كتاباته متسمة بهذا الانتحاء . فهو يقول « ان الدنيا منزل من منازل السائرين الى الله

تعالى والبدن مركب ، فمن ذهل عن تدبير المنزل والمركب لم يتم سفره»[1] . وما اشاراته الى هذا العالم وكلامه عنهُ كما ترى الا كوسيلة للعالم الآخر . ونتيجة هذا الميل انك ترى الغزالي يهتم بالفضائل الفردية وخصوصاً السلبية التي تنجي منها ، دون ان يعير نصف ذاك الاهتمام بل ولا جزءًا منهُ للفضائل الايجابية التي تعمل على اصلاح المجتمع . والسعيد عندهُ — كما يقول الدكتور مبارك في كتابه المشار اليهِ — من نجا بدينه ولو خسر دنياه

الغزالي وبسكال

ولسنا نلومهُ على مثل هذا المعتقد فهو الشائع عهدئذٍ بين اكثر المفكرين نذكر منهم ابا العلاء المعري الشاعر الفيلسوف المشهور . وقد اخذ بهِ المفكر النابغة بسكال Pascal الذي عاش زهاء خمسة قرون بعد الغزالي ، إذ انتحى في الفلسفة ميلاً صوفيًّا اقعدهُ في نفس المرتبة التي انتهى اليها الغزالي . وهو مثلهُ قد ابتدأ حياته بقوة قهارة وهمة لا تعرف الكلل او الملل حتى « ارغمهُ الضعف واضطرهُ العجز الى الرضى بالخمول في ظلال التنسك والزهد »

وقد نشر Miguel Asin استاذ اللغة العربية في جامعة مدريد رسالة بالاسبانية سنة ١٩٢٠ عنوانها (المقدمات الاسلامية لرهان بسكال) اماط فيها اللثام عن كثير من الحقائق الكامنة . فبسكال كان قد اشتغل كثيراً في اوائل حياتهُ بالحساب المتفاوت حتى استقر في صميم دماغه كثير من قواعده . ولذلك حين انتابهُ ذلك التغير السريع الذي اشرنا اليهِ ، وتمكنت من نفس هذا النابغة تلك الهيستيريا الدينية الغريبة، اصبح يرجع بتفكيره الى ما كان قد وقر في نفسهِ واستقر في عقله الباطن من مشاكل الصبا وابتدع على الاثر نظرية في التنسك والصد عن الحياة ما فتئت شعار فريق كبير من المفكرين حتى يومنا هذا [2]

والحوار في هذه النظرية اصبح مشهوراً . فبسكال يقول : يمكن ان لا تكون الآخرة حقيقة واقعة ، ولكن بما اننا نخاطر حالة تحقيقها ، بالوقوع في شقاء ازلي اعني النار الابدية التي يهددنا بها الدين ، وبما ان ملذات الحياة الدنيا التي يأباها الدين علينا محدودة متناهية ، فالعقل يقضي والحكمة ان نقلع عن هذه المسرات الزائلة

(١) راجع كتابه (جواهر القرآن) طبعة مصر ص١٨
(٢) راجع كتاب كارادي فو (مفكرو الاسلام) ج ٤ ص ١٧٧

لتخلص من عذاب ابدي لا يزول . بشرط ان لا تكون الارجحية منعدمة بتاتاً

وهذا الحوار عينه اتبعهُ الغزالي في كتابه الاحياء (ج ٤ ص ٤٣) مع الدهريين والاطباء والفلكيين وهم الذين ما زالوا في ريب من نفي الآخرة بتاتاً ، فلا يجزمون بعدم وقوعها . فلهؤلاءِ يقول انهُ لمجرد مثل هذا الشك الضئيل، على العقل السليم عليهم بهجران هذه الحياة والعمل للآخرة والاستعداد لها . وهاك فحوى مثاله : رجل عاقل يقدَّم لهُ طعام يشتهيهِ، لكنهُ يشك (مجرد شك) في كونه مسموماً ، فهل يتناول منهُ لقمة مهما بلغت لذتها ، فيعرّض بنفسه للهلاك ، ام هل يكبح جماح الشهوة الموقتة فينجو من خطر الموت الدائم ؟ ! !

وقد انبرى لنقد هذه النظرية المعروفة برهان بسكال عدد كبير من مفكري العصر، وعلى رأسهم Prudhomme المفكر الافرنسي. وجماع ما تدحض بهِ امران. الاول اتباعك عقيدة او ديناً من الاديان لتردّدك في امر وقوعهِ لا يمكن ان يسمى ايماناً بالمعنى الصحيح . والثاني انهُ ما زالت هنالك عدة اديان كلها تهدّد بالعذاب لمن شك في الآخرة ، ولا يبلغ الوعيد في اي منها درجة العدم ، فالعقل حينئذٍ يقضي باتباع اكثرها وعيداً واشدها عذاباً ! ! !

والمؤمنون في نظر الغزالي ثلاث طبقات : منهم من يجعل كل اتكاله على القرآن والسنة ايماناً وهؤلاء الاكثرية الساحقة من الشعب، ومنهم من يطمح لان يرفع عقيدته من الاستسلام الى درجة البرهان ويقين المعرفة ، والى هؤلاء وجَّه الغزالي كتاباتهِ التي حمل فيها على الفلاسفة ، ليكفّوا ويتبروا ، ومنهم من يسمو على مثل هذه الاعتبارات فيقنع ويؤمن بالقلب والالهام[٣] . والدين في نظامه الاخلاقي ليس مجرد قواعد ومعتقدات ، بل هو في تجاريب الروح واختباراتها الداخلية . ولذلك فالغزالي يطنب في « الاحياء » وفي غير « الاحياء » من مؤلفاته بذكر القلب وهو عندهُ عرش العقل ومهد تلك الاختبارات الروحية السامية

طريقته في البحث الاخلاقي

ونضرب هنا مثالاً لطريقة الغزالي في البحث الاخلاقي عن وساوس القلب. وفيهِ دلالة على ميله للترتيب والتوضيح في اكثر ابحاثهِ . فهو يقسم بحثه الى خمسة ابواب. يعالج في الاول تسرّب الوسواس الى القلب اما بالاغراء او بتزيين السلطة. وفي الثاني

(٣) راجع كتاب دي بور (تاريخ الفلسفة في الاسلام) ص ١٥٤

الطرق التي يسلكها الوسواس الى القلب كالشهوة والحسد والترف وفي الثالث مشكلة الوساوس المغتفرة وغير المغتفرة وأهم ما يراعى في ذلك النية . وفي الرابع هل تنقطع الوساوس اوقات الذكر ام لا ، فيقول ان لا فائدة للذكر ولا نفع للتعاويذ بدون الصلاح والتقوى . وفي الخامس امكان تحول القلوب من حالة الى حالة ، باسرع من لمح البصر . وفي كل فصل منها شروح وافاضات لا يسمح لنا المقام بعرضها وانما اتينا بهذا القدر اليسير ليتذوّق القارئ الكريم شيئاً من اسلوب الغزالي وامياله

٢ — الغزالي فيلسوفاً

أقرب مؤلفات الغزالي الى الفلسفة كتابه (تهافت الفلاسفة) الذي كتبَهُ ايام كان استاذاً في بغداد ، يقضُّ الشك مضجعهُ . وقد ألّف في تلك الاثناء وقبل ان اعتزل بسوريا كما رأيت ، كتاب (مقاصد الفلاسفة) عرض فيهِ آراء الفلاسفة كما هي دون ادنى تعرض . ثم تلاهُ بكتاب آخر لينقض فيهِ تعاليمهم هو التهافت المذكور . وقد كان بودّه بعد ان عرض وهدم تشييد فلسفتهِ الخاصة في كتاب على حدة ، بيد أن عدل عن هذا القصد (بعد ان طرأ عليهِ ذلك الانقلاب الروحي الذي وصفناهُ) الى كتاب ديني فوق كل شيء هو (احياء علوم الدين) . ولا يقتصر «الاحياء» على المباحث الاخلاقية العويصة والموضوعات اللاهوتية الجافة ، ففيهِ ابحاث طريفة جدًّا بالنسبة للوقت الذي كتبت فيهِ ، كالموسيقى واثرها ، والطبيعة البشرية وضعفها ، والراحة وفوائدها وهلمّ جرًّا

يقول الغزالي في الشك في نهاية كتابهِ (ميزان الاعمال) : «ولو لم يكن في مجاري هذه الكلمات الاّ ما يشكك في اعتقادك الموروث لتنتدب للطلب ، فناهيك بهِ نفعاً . اذ الشكوك هي الموصلة للحق ، فمن لم يشك لم ينظر ومن لم ينظر لم يبصر ومن لم يبصر بقي في العمى والضلال » . وليس هذا مجرد قول او إدعاء إذ فيما عرفناهُ عن حياة الغزالي دليل واضح بان الرجل ابتلى هذا الشك وعمل بهِ قبل ان يدعو اليهِ

الغزالي وديكارت

وتلك هي طريقة ديكارت بعينها ، فقد ارتاب كما ارتاب الغزالي وبقي في شكه زمناً غير قليل. وكما ارتاب الغزالي لنشوء المرء على دين أبيه ، فقد ارتاب هذا الفيلسوف عند ما رأى التقليد شائعاً بين الناس ، مع اختلاف في العادات والمعتقدات . وغنيٌّ عن البيان ان الغزالي قد سبق ديكارت في ذلك بنحو ستة قرون . على ان

الفرق مع ذلك بينهما كبير ، فبينما ترى الغزالي يخرج من تيه شكه « بنور الله الذي لا يعرفهُ العلم » على ما يقول الدكتور مبارك ثم تسمعهُ في المنقذ يقول : « ثم لما احسست بعجزي وسقط بالكلية اختياري التجأت الى الله تعالى التجاء المضطر الذي لا حيلة لهُ فأجابني الذي (يجيب المضطر اذا دعاهُ) وسهّل على قلبي الاعراض عن الجاه » . ترى ديكارت وقد خرج باساس للعلم مكين . فلجأ ديكارت في النهاية العقل المجرّد عن كل تأثير ، وملجأ الغزالي الايمان بالقلب والاستسلام !

فالغزالي اذن وان لقبناهُ بالفيلسوف اكثر من مرة ، لا يقبل لنفسهِ مثل هذا اللقب لو اتيح لهُ فسمعهُ . لانهُ على ما يقول لم يدرس الفلسفة الاّ ليدلّ على مغالط الفلاسفة . ومع ذلك فان Renan الفيلسوف الفرنسي يلقبهُ بأكثر فلاسفة العرب ابتكاراً واعمقهم تفكيراً ، ويجاريهِ في هـذا الحكم فريق كبير ممن تعمقوا في درس الفلسفة الاسلامية . ويهمنا ان نذكر هنا ان قول الغزالي او ادعاءهُ لم يسلم بهِ حتى الذين عاصروهُ ، كما يشير هو الى ذلك في «المنقذ» حين يتكلم عن الفلاسفة والامامية فيقول : « فجمعت تلك الكلمات ورتبتها ترتيباً محكماً مقارناً للتحقيق واستوفيت الجواب عنها حتى انكر بعض اهل الحق مني مبالغتي في تقرير حججهم وقال هذا سعي لهم »

الشك في اخلاصه

واما ما دعا الى الشك في اخلاص الغزالي المتصوف فامور ثلاثة لا تخلو من الاهمية: اولها ذلك الانتقال العجيب من عالِم متردد الى صوفي مستسلم ،وعظيم الفرق بين الشك والتوكل في الحالتين . والثاني قولهُ في بعض مؤلفاتهِ (كالمضنون بهِ على غير اهلهِ) باخفاء بعض الآراء والنظريات عن العامة من افراد الشعب ومثل قولهِ في جواهر القرآن « وهذه العلوم الاربعة اعني علم الذات والصفات والافعال وعلم المعاد اودعنا من أوائلهِ ومجامعهِ القدر الذي رزقنا مع قصر العمر وكثرة الشواغل والآفات وقلة الاعوان والرفقاء بعض التصانيف . لكنا لم نظهرهُ فانهُ يطل عند اكثر الافهام ويستضر به الضعفاء وهم اكثر المترسمين بالعلم » . والثالث استعمالهُ في الكتابة ذلك الاسلوب التصويري الخيالي الذي ادى الى سوء فهمهِ في عدة مواضع. فابن رشد مثلاً وهو من اقطاب خصومهِ يتهمهُ بنشر نظرية الصدور في الافلاطونية الحديثة لان الغزالي في كتابهِ (المشكاة) يضرب مثالاً بسيطاً عن انتشار اشعة الشمس ليوضح مرماهُ , ويتهمهُ موسى الزِبوني الفيلسوف اليهودي بعدة مؤلفات ، لم تصلنا ولكن

لا يبعد ان يكون اعداؤهُ قد دسوا لهُ بعض الآراء في كتبهِ كما فعلوا مع فخر الدين الرازي وغيره في جدلهم الديني المعروف

ويجاري القدماء بهذا الشك في صحة تصوف الغزالي بعضُ العلماء الحديثين مثل غوش Gosche الالماني ، الذي يقول بان الغزالي لم يكن مخلصاً فيما قالهُ في كتابهِ المنقذ، وانهُ مجرَّد دفاع مصطنع لاهل العصر الذين كانوا يشكون في سلامة معتقدهِ كما رأيت. بيد ان مكدونالد Macdonald وهو من مستشرقي الاميركيين وقد خصص جانباً كبيراً من حياتهِ لدراسة حياة الغزالي ينكر مثل هذه التهم ويدافع عنهُ فيقول «ولا صحة البتة في قول البعض بان الغزالي خرج على الفلسفة بعد ان اهتدى بنورها مدة ، لانهُ لم يدرس الفلسفة بالحقيقة الاَّ بعد ان ابتدأت شكوكه ، ولم يكن في يوم من الايام ذلك الطالب الفاتر كابن سينا ، فهو لم يخضع كامل عقلهِ للفلسفة مطلقاً . واما القول ايضاً بانهُ كان مرائياً في عقيدتهِ ، لهُ فلسفة خصوصية يقتصر في نشرها على القلائل، ويموّه على العوام بتمسكهِ بالدين وقواعده ، فقول لا اساس لهُ من الحقيقة . وذلك لان تطورهُ الفكري يميل بهِ بل يحتم عليهِ اتباع تلك الغاية التي سعى اليها من التقشف والاتصال بربهِ مباشرة . واما ان يتخذ التقليد سلطة فذلك مما لم يتفق ، مع عقليتهِ في بداية شكهِ، فكيف يلتجأ اليها بعد ما ابتلاهُ من صروف التردد والارتياب»[1]

التوفيق بين العلم والدين

والسبب لاثارة هذا الشك في اخلاص الغزالي ، على ما نظن ، محاولتهُ ان يوفق بين العلم والدين في كثير من المواضع في مؤلفاتهِ . الامر الذي حمل بعض المطلعين عليها على الظن بانهُ يراوغ فيما يعتقدهُ . والحقيقة ان الغزالي كان قد صرف مدة في دراسة الفلسفة توغل في اثنائها بين المبادئ الفلسفية وتعاليمها المختلفة حتى تأثر بها عقلهُ واصبح من الصعب حتى ومن المستحيل ان لا يعلق بعباداتهِ شيء منها رغم ارادتهِ ومهما كانت الغاية التي درس الفلسفة من اجلها . وفي مقدمة السيد المرتضى التهامي لكتابهِ (اتحاف السادة)وهو اشهر شرح «للاحياء» ،استعارة وجيزة اقتبسها عن السبكي في دفاعهِ عن الغزالي هي في نظرنا اجمل واصح تعبير لهذا التناقض الذي تصادفهُ بعض الاحايين في مطالعة الغزالي والذي ادى الى مثل ما قدمنا من الشك في اخلاصهِ.

---

(١) راجع مجلة جمعية المستشرقين الاميركية ج ٢٠ ص ١٠٠

فهو يشبّه الغزالي بمجاهد غيور ، كرّ على الكافرين ، وما زال في محاربتهم حتى هزمهم الاّ انهُ كان قد تلطخ بدمائهم الرجسة ، فحاول تطهير ثيابهِ ليتقرب الى الله بالصلاة غير ان علماء المسلمين لا يجمعون على انهُ وفق الى هذا التطهير . وفي ذلك اعتراف ضمني من السبكي عما كان يحوم حول الغزالي من شكوك

الغزالي وهيوم

والغزالي في كتابهِ «التهافت» لا يكتفي بدحض آراء الفلاسفة فيما اختلف عليهِ معهم من المسائل فحسب . اذ تراهُ في تقدمِ هذا وعرضهِ لآرائهِ يميل الى الشك في سلطة العقل نفسه . بل هو يكاد ينكر قدرتهُ مطلقاً ولو تحفّظ فلم يبح بذلك صراحة . وهذا ما تعثر عليهِ حين تتبع مجرى الكتاب العام او تلمس غايتهُ الرئيسية . فالغزالي في تحطيمهِ لآراء الفلاسفة بشأن قانون العلية ، يسبق هيوم Hume الفيلسوف المشهور بسبعة قرون، فهو يثبت بالجدل والمنطق على عادتهِ اننا لا نعرف عن العلة والنتيجة شيئاً، وان كل ما نعرفهُ هو ان الاشياء يتّبع بعضها البعض الآخر . بيد ان الغزالي شأنهُ حينما قابلناهُ بديكارت الافرنسي لم يلجأ بعد ذلك الى سلطة العقل المجرد كما فعل هيوم بل استسلم للوحي والالهام

الغزالي وكانت

وهنالك امر آخر تلاحظهُ عند درسك لكتابات الغزالي وخصوصاً «التهافت» . فقد يتراءى لك انهُ في ابحاثهِ عن اللانهاية كالازل ودوام العالم ، يتدرج ببراهينهُ الى ما لا حد لهُ ثم يبلغك نقطة في الجدل ترى انك تستطيع بها ان تفهم الامر على وجهين، يناقض الواحد منهما الآخر . على اننا لا نقول بان الغزالي يدين بهذا الرأي وكل ما نبديه هو ان الغزالي يتسم بهذا المظهر في ابحاثهِ لانهُ يكيف السلسلة الواحدة من التفكير والمنطق لتوصلك الى نتيجتين متباينتين . فان صدق هذا التخمين وهو معقول ، كان الغزالي من اتباع مذهب تباين المبادئ وتناقضها او ما يسمونهُ (Antinomianism) ويكون بذلك قد اشار الى عجز العقل المجرد ، فسبق كانت Kant الفيلسوف الالماني الذائع الصيت في موضوع كتابهِ المشهور (نقد العقل المجرد) كما سبق ايضاً ديكارت وبسكال وهيوم على ما رأينا (١)

القدس شكري مهتدي ب . ع

(١) راجع (مفكرو الاسلام) ج ٤ ص ١٧٣

الطعام واختلاف قامات الاجناس

هل طعام الصينيين سبب قصرهم ؟

مباحث علمية طريفة

تقدم العلماءُ تقدماً كبيراً في مباحث الغذاء واثرهِ في الصحة والنمو . وقام حديثاً فريق منهم يربط هذه المباحث بنشوء الانسان وتاريخ ارتقائهِ وتفرقهِ شعوباً واجناساً. فقال اذا كان لنوع الطعام هذا الاثر العظيم في نمو الجسم وصحتهِ افلا يجوز ان يكون الصينيون واليابانيون والكوريون واهالي جاوى وغيرهم من شعوب الشرق الاقصى قصار القامة لانهم اكثر طعامهم الارز ؟ او لا يجوز ان يكون بعض سكان افريقيا واوربا كبار القامة لانهم وقعوا على طعام من شأنهِ ان يزيد نمو الجسم وقوتهُ ؟ او لا يجوز ان يكون الانسان نفسهُ قد بلغ ما بلغهُ الآن من حيث شكلهُ وقامتهُ لانهُ اصاب في فجر نشوئهِ طعاماً خاصًّا ؟ وانهُ لو اصاب طعاماً مختلفاً وزاول تناولهُ لكان نشأ وشكلُ جسمهِ من حيث الطول والقصر والضخامة والنحافة غير ما هو الآن ؟

لقد ثبت بالتجارب والامتحانات العلمية الدقيقة ان جسم جرذ من الجرذان وصفاتهِ الحيوية تتوقف على تركيب طعامهِ الكيماوي . والجرذ لايخفى اساس التجارب التي يقوم بها العلماءُ للنفوذ الى اسرار الغذاءِ واثرهِ في الجسم الحيّ . فهو حيوان آكل للعشب واللحم في آنٍ واحد ومع ان مدى عمرهِ لا يزيد على ثلاث سنوات فقد ثبت ان افعال جسمهِ تشابه افعال جسم الانسان من حيث هضم الطعام وامتصاصهِ وتمثيلهِ وهلمَّ جرًّا . فاثر الاطعمة المختلفة في جسم الجرذ تماثل الى حدٍّ بعيد اثرها في جسم الانسان وبذلك تمكن العلماءُ من ان يتقدموا في مباحث الغذاءِ التقدم الذي اشرنا اليهِ في صدر هذا المقال

اثبت الاستاذ مكَّلُم من اساتذة مدرسة علم الصحة «الهيجين» بجامعة جونز هبكنز في تجارب اعادها مراراً اموراً جديرة بالعناية والنظر. فكان يأخذ كل مرة طائفة من الجرذان عدد افرادها ثمانية ويقسمها الى فريقين متعادلين ويغذي الفريق الاول بمقدار معين من الماءِ والحنطة ويغذي الفريق الثاني بمثل ما يغذي بهِ الفريق الاول تماماً بعد ما يضيف اليهِ بضع اوراق لفت او بنجر . فكانت النتيجة في كل التجارب التي جربها ان جرذان الفريق الاول بلغ جرم اجسامها جرم فيران كبيرة وجرذان

الفريق الثاني بلغ جرم اجسامها ضعف اجسام الجرذان في الفريق الاول وفيما عدا ذلك لم يوجد فرق ما بين افراد الفريقين

وتناول هذه المباحث الدقيقة طائفة من علماء اليابان بقصد تطبيقها على الناس فأخذوا يضيفون الى الاطعمة التي يتناولها تلاميذ بعض المدارس شيئاً من الاطعمة التي تتناولها الاجناس البيضاء ولا يتناولها اليابانيون عادة في المدارس او في البيوت. واستمروا في تجريب هذه التجربة سنين متعاقبة فظهر لهم ان تلاميذ المدارس الذين تناولوا طعامهم بعد هذه الاضافة زاد طولهم بضع بوصات على تلاميذ المدارس الاخرى الذين لم يتناولوا ما تناولهُ هؤلاء. وما يقال في طول القامة يطلق على وزن الجسم ايضاً. ثم جربت هذه التجربة في جماعة من التلاميذ بمدينة بلطيمور الاميركية فأيدت نتيجتها النتائج التي وصل اليها اليابانيون. وعليهِ يصح الاستنتاج بان اجسام الشعوب الكبيرة القامة بلغت ما بلغتهُ من الضخامة بسبب مواد غذائية تناولوها قروناً متعاقبة ولم يتناولها الصينيون واليابانيون

وهناك باحث آخر يدعى الكولونل ماكريسن من اطباء مصلحة الصحة الهندية لاحظ ان اجسام قبائل «السخ» و«الپاتان» اكبر من اجسام قبائل «المدراسي» وغيرهم من سكان الهند مع ان كل هذه القبائل تعيش ظاهراً في احوال متماثلة من الفقر وشظف العيش. ولما تناول البحث في ذلك ثبت لهُ ان طعام قبائل السخ والپاتان يختلف اختلافاً بيّناً عن طعام القبائل الاخرى لان القبائل الاولى تتناول كثيراً من الالبان آناً جبناً وآناً قريشة وكثيراً من الخضراوات الورقاء وبعض اللحم. وهذه المواد كانت مفقودة من طعام الآخرين. ولكي يثبت ان هذا الفرق في الطعام هو سبب الفرق في كبر القامة اخذ، كالاستاذ مكلُم طائفة من الجرذان من اصل واحد وعمر واحد وقسمها الى فريقين غذّى الفريق الاول منهما بطعام قبائل السخ والپاتان والفريق الثاني بالطعام الذي يتناولهُ عامة الهنود فبلغ افراد الفريق الاول حجماً كبيراً وبقي افراد الفريق الثاني صغاراً نحافاً واعاد التجربة مراراً فكانت النتائج واحدة

وبعد ذلك توسّع في التجربة وجاء بطائفة كبيرة من الجرذان وقسمها الى فرق مختلفة واطعم كل فريق منها الطعام الذي يتناولهُ احد الاجناس عادةً. فمنها فريق تناول الطعام الذي يتناولهُ فقراء العمال الانكليز ومنها فريق تناول الطعام الذي يتناولهُ اليابانيون وهلمّ جرّا. فكان افراد الفريق الذي تناول الطعام الذي تأكلهُ قبائل السخ

والياباني عادةً كبيرة الجرم ملساء الجلد . وكانت افراد الفريق الذي تناول طعام عمال الانكليز الفقراء تقارب الفريق السابق جرماً ولكنها كانت خشنة الجلد ميّالة الى النزاع والحرب . اما الفريق الذي تناول طعام اليابانيين وسكان فيلبين وجاوى فكانت افرادهُ صغيرة القامة وظهرت فيها بعض صفات هذه الشعوب

***

وهنا تعترضنا مسألة خطيرة اخرى وهي: هل لاختلاف الطعام اثر في نشوء الصفات الخاصة التي تتميز بها الشعوب بعضها عن بعض؟ وهل تاريخ شعب من الشعوب كان يختلف عما هو مدوّن لو انهُ اصاب طعاماً غير الطعام الذي جرى عليهِ ؟ وهل اذا غيرنا الطعام الذي يتناولهُ شعب من الشعوب الآن نستطيع ان نغير بعض مميزاتهِ الجسدية والنفسية ؟

لا يستطيع الباحث ان يخرج من المباحث المتقدمة باجوبة شافية عن هذه الاسئلة . ولكن مما لا ريب فيهِ ان للغذاءِ اكبر نصيب في كثير من الامراض التي تصيب مختلف الشعوب وتضعف ابناءها عن العمل وقد تخمد فيهم شعلة الذكاءِ والنبوغ

فالبري بري مرض يصيب ملايين من سكان الهند والشرق الاقصى على الاخص فيميت منهم نحو مائة الف كلّ سنة ويتفشى غالباً بين الشعوب التي تعتمد في طعامها على الارزّ الابيض المقشور ويمكن منعهُ بابدال الارز الابيض المقشور بالارز الاسمر غير المقشور . وذلك لان في قشرة حبة الارز عناصر غذائية لازمة للصحة والنمو . وهي الفيتامين . ومرض البلاغرا يصيب سكان الولايات الجنوبية بالولايات المتحدة الاميركية وهو يفشو بين القبائل التي لا تتناول غذاءً كافياً ويكون غذاؤهم في الغالب الذرة وهي لا تحتوي على كل العناصر اللازمة للصحة والنمو

وهناك نوع من الامراض التي تصيب العين كالعشاوة سببهُ فقد ڤيتامين (A) من الطعام وقد اثبت احد العلماءِ انهُ يمكن احداث بعض الامراض الجلدية باستخلاص بعض عناصر الغذاءِ من الطعام واحدث احد الاطباءِ اليابانيين قرحاً في المعدة على هذه الطريقة ثم شفاها باطعام المصاب الطعام كاملاً . ولا يخفى ان الكساح سببهُ قلة التغذية ويشفى بتناول زيت كبد الحوت (زيت السمك)

فما تقدم يتضح ان للتغذية شأناً كبيراً في احداث بعض الفروق بين اجناس البشر وفي حفظ صحتهم . والامم التي تأخذ بما يكشفهُ العلماءُ من اسرار الغذاء تستطيع ان تمنع كثيراً من الامراض التي تصيب ابناءها وتطيل اعمارهم فتمهد لهم سبيل الزعامة بين الامم

خمسة في سيارة

٦

اقبل الصيف بحره الشديد وأخذ كثيرون من اعيان المصريين والاوربيين يستعدون لمغادرة القطر المصري قاصدين الى مصايف اوربا . ومن اشهر مدن الاصطياف والاستشفاء التي يقصد اليها المصريون وغيرهم فيشي المشهورة بمياهها المعدنية في كل انحاء العالم. وفي المقالة التالية وصف الاستاذ الجريديني فيشي والاستشفاء بمائها وصفاً بليغاً فيه كثير من التهكم اللطيف بعد مقدمة عالج فيها موضوعاً عمرانياً جليلا هو موضوع التفرنج واقتباس الشرقيين للمدنية الاوربية

الشرقيون واقتباس المدنية الاوربية

.. وكانت السيارة تسير خبباً والسكون مخيّماً على القوم حتى يكاد النوم يدخل عليهم خلسةً ذلك انهم كانوا يسيرون في طريق سهل معبّد طويل يصل ما بين السي واكس له بان ثم يعرج في منبسط من الارض لا حدّ لهُ يخترق مديرية البوي ده دوم (Puy de Dome) في طريقهم الى فيشي

فخاف صاحبنا المصري عقبى السكون لعلهُ يدخل الملل الى النفوس فيقضي على أنس هذه الصحبة فجمع كما يقول الافرنج—كل شجاعتهِ في يديهِ وقذف بها في وجه السيدة الافرنسية قائلاً اني والحق يقال معجب بكِ يا سيدتي كل الاعجاب

فذعر الافرنسي وقال ما هذا . امطارحة غرام فجائي رويدك اشفق على صحتك

وضحك منهُ القوم فزال ماكان بهِ من حياء وقال . لا . لا . هذه سيدة شرقية مثلي احببت ان اعرب عن اعجابي بها وتقديري لها

فابتسمت السيدة وقالت وما الذي فعلت حتى استأهلت تقديرك

قال اني اعرف في مصر عدداً غير قليل من السيدات اللائي يمتن بنسب كريم الى اصلك اللبناني او السوري ولكنني ما عرفت منهنّ الاّ القليل القليل الذي يفخر بعروبتهِ

فانت وقد ولدتِ في فرنسا ولا تعرفين كلمة واحدة من العربية اراكِ اذا سئلتِ قلت انك « بنت عرب » واذا فاخرتِ زوجك فاخرتهِ باصلك العربي

اما اللواتي اعرفهن عندنا فيعرفن العربية ويخفينها ويقلدن الافرنج محتقرات كل ماهو عربي

فما هو السر في هذا ؟ اخطىء انا ام هنَّ من الخاطئات ؟ قالت اني استغرب ما تقول واكاد لا اصدقهُ — اني اعترف بما يوافقني عليهِ كل عاقل بان المدنية الغربية خير المدنيات وانها على كل حال المدنية الغالبة فمن لم يماشها ضلَّ السبيل ووقف في المؤخرة ولكنني لا اتنازل عما يكوّن شخصيتي مهما كانت الحال

فليست المدنية الغربية في لغة يرطن بها او في هندام يؤتزر بل بمقوّمات اخرى مادية ومعنوية . فاذا ما اعتنقت المدنية الغربية اعتنقت مقوماتها وابقيت لنفسي « شخصيتها » ومزيتها . ألا ترى ان المدنية الغربية تشمل الافرنسي والانكليزي والتلياني والاميركي . فهل ترك هذا لغتهُ لذاك او طلق شخصيتهُ حبًّا في تلك ؟ لا . فلماذا لا تشمل المدنية الغربية شخصية مصرية واخرى لبنانية وهكذا. ولماذا لا اكون عربية اللغة غربية المدنية . وهل رأيت رجلاً ذا قيمة يطمع ان يكون كاتباً في غير لغتهِ او هل يطمع الانكليزي مهما اتقن الافرنسية ان يصير ذا شأن في الادب الافرنسي

لا . لا . ليس لنبيٍّ كرامة الاَّ في وطنــهِ . وانك اذا عرست بهؤلاء الغربيين عرْسي بهم لرأيت انهم لا يحترموننا اذا هدمنا شخصيتنا جرياً وراء تقليدهم. انهم اقوام ذوو كبرياء فلن نبلغ منهم مبلغاً ان لم نحتفظ بكبريائنا

وقطع الانكليزيُّ الحديث فقال بل نحن — وانا اتكلم عن جنسنا الانكليزي — كالجوز او كاللوز لا بدَّ من كسرهِ قبل ان تأكلهُ

وكانت هذه من الذّ دقائق العمر عند صاحبنا المصري وازداد اعجابهُ بالسيدة اللبنانية واحترامه لها وكاد لولا حرمة الموقف وحرمة الزوج وحرمة ألسن السوء ان يهمّ بيديها يقبلها ولكنهُ امسك وحفظ الامر في قلبهِ

واسرعت السيارة وحميت الشمس وظهر الغبار على الارض يتناول وجوه القوم وعيونهم يذكر المصري بلادهفذكر اخواناً لهُ هناك يصبحون ويمسون ومثل هــذا الغبار مخيّم ابداً عليهم فحسب نفسهُ في نعيم اذا قاس نفسه بهم فما تذمر ولا تشكى مما جعل الافرنسي يقول والله انك ايها المصري اوفرنا ادباً فلم نسمع منك شكوى من حرّ او تذمراً من تراب . فسكت صاحبنا دقيقة او دقيقتين ثم قال « اشكرك». وهكذا الى ان هبطت بهم السيارة فيشي

فيشي

وما اخطأ من اعلن عنها فقال انها ربة مدن المياه المعدنية . فهي اشبه شيء بالكنيسة الكاثوليكية جامعة شاملة تضم الاجناس من مشارق الارض ومغاربها يحجون اليها مجمعين على ان ماءها طاهر مقدس يحيي الاموات متنازعين في ما سوى ذلك

اجلس على كرسيك في وسط الحديقة المؤدية الى ينابيع المياه وارقب الناس يمرون

هذا قادم مع صديق لهُ يتكلم مشيراً برأسهِ وبيديهِ تحسب جسمهُ في ناحية وبذلتهُ في ناحية اخرى من سوء ما خاط الخياطون ، وشاربه عزّ عليهِ فلا غنى لهُ عن شعرة واحدة منهُ وقد يطيب لهُ جوار شعره فيطلق لحيته او لا يحلقها الاَّ مرتين في الاسبوع. هذا فرنسوي لا غش فيهِ ! والفرنسويون معظم النازلين في فيشي وهي ارخص مدن المياه في فرنسا واطيبها طعاماً . وقد يكون هذا الامر علة الامر الآخر

وهذا رجل اسمر يكاد يضع برنيطتهُ على مؤخر رأسه ولكنهُ حسن الهندام بطيء الخطى — فهو مصري .

أما الاجناس الاخرى فلا تعد ولا تحصى ولا يستطيع الناظر ان يميزها الاّ من لغاتها . فالرطانات هنا اكثر من ان تعرف وأغربها الرطانة العربية التي ينطق بها الجزائريون والتونسيون والمراكشيون

فكم حاول صاحبنا المصري ان يفهم ما يقولون على غير جدوى حتى انهُ جلس الى بعضهم فرأى انهم اذا أحبوا ان يفهموا شيئاً عبروا عنهُ بالفرنسوية الاَّ بعضاً يتكلم ما يقرب أن يكون لغة عربية فصيحة ولكنهم أقل من ان يذكروا

ولا أدري لماذا يلبس هؤلاء القوم لباسهم الاهلي في فرنسا وهم لا يتكلمون الاَّ لغتها ولا يعرفون الاَّ ارضها وليس لباسهم مما ترتاح اليهِ العين او يألفهُ الذوق السليم . فليس هو مما يعتزُّ بهِ الشرقي بحال من الاحوال وليس هو مما يرضي الغربيين

***

منظر عجب هؤلاء الناس زوار فيشي رجالهم ونساؤهم . اعطى الطبيب كلاًّ منهم كأساً وقال اشرب بحساب ففي هذا النهار تشرب خمسين غراماً في الساعة الحادية عشرة وخمسين منها بعد نصف ساعة من نبع كذا وفي اليوم التالي أو ما بعده تشرب سبعين

غراماً من النبع كذا في الساعات ذاتها .وهذا نبع يشفي من هذا الداء وذاك يشفي من ذاك الداء ، وبين النبعين مسافة تقاس بالاشبار

فترى المريض المسكين أو الموهوم المسكين واقفاً يتلمس الماء من فتيات يدرن كالاقمار حول أنابيب الماء لا ينبسن ولا يغلظن القول لمن يلح

فوالله لتحسبنَّ هذه الينابيع كعبة يحج اليها هؤلاء الآلاف كأن الايمان يأبى الا ان يكون المحرك الاكبر في اعمال البشر ، المريض منهم والصحيح

فاذا شرب فريق حل محله فريق آخر وهكذا حتى يتم الله نعمته على الوافدين

ثم تراهم وقد انتشروا في حديقة الكازينو ذهاباً واياباً تحت اشجار باسقة هـذا يمشي وذاك يعدو وذلك مستلقٍ على ظهرهِ سيّان في ذلك الذكر والانثى فتخالهم يحشرون الى ربهم في سكوت وهدوء وترتيب . فانك لاتكاد تسمع لهذا الجمع دويًّا في أي مجلس حلّوا وهذه آية من آيات النظام في المدنية الغربية. اما الحمامات فحدث عنها ولا حرج . غرف متعددة موسومة بارقام وفي كل منها نوع من الاستحمام يختلف عن الآخر اختلافاً الفهُ ذو الفن في اقتناص المال .فمن حمام وانت واقف الى آخر وانت على جنبك الايمن او على جنبك الايسر الى آخر وأنت على ظهرك يتلقفك رجل رجل — دع عنك مختلف درجات الحرارة في هذه الحمامات فعددها يزيد عمّا في الترمومتر من درجات

هذا وانت في الماء فكيف اذا قضي عليك فوصف لك الحمام الكهربائي او الحمام بالهواء الساخن او التمرس بالآلات الميكانيكية تحركها الكهرباء

***

أما اطباء فيشي فقوم عليهم السلام . أبت عليهم المدن الكبرى ان يظهروا فيها علمهم ونبوغهم فيمموا محطات المياه المعدنية تحت جناح الشركات المالية التي تنشىء هذه المدن وتهيىء لها ما تهيىء من أسباب الراحة واللهو والاستشفاء مردفة الامر بجيش من الدعوة والتبشير علا الصحف

فاذا سمعت الطبيب يصف لك كيف تأخذ هذا الحمام وكيف تشرب الكأس من الماء ظننت في الامر سرًّا وفي هذه المياه شيئاً لا يمسهُ الاَّ المستظل بظل الطبيب الظليل

ومن اليهِ من ارباب الفن الطاهرين . فاذا ما خبرت الامر وعرفتهُ وجدت حماماتهم لا تختلف عما تألفهُ في بيتك وعما يمكنك فعلهُ لو اهتممت بعض الاهتمام بابسط مبادىء علم الصحة

وأما الماء فباح لا ضرر عليك ان جرعتهُ مرة واحدة او مرتين . وهذه الينابيع لا يبعد أحدها عن الآخر بعداً يجعل معدنه مختلفاً عن معدن الآخر

ولكنك ان أُصبت في الكبد فلك جرعات من هذا الماء او في الكلى فجرعات من ذلك او في المعدة فمن الآخر وقد تدور بها جميعاً تذوقها واحداً واحداً ولست تدري أين تبدأ وأين تنتهي حتى ترى صديقاً لك مصاباً بمثل علتك فتراهُ يشرب غير ما تشرب ويدور على عكس ما تدور فتقف حائراً ولكنك لا تستطيع الشك في امر الطبيب

يعودك طبيبك المرة الاولى في غرفتك فيصف لك ما يصف من ماء للجوف وماء للجسم وتنفذ امرهُ ثم تعود اليهِ بعد اسبوع او اقل فتدخل عليهِ فيقعدك الى جانبهِ يسألك بكل وقار وتهيب اذا كنت متعباً من الماء الذي شربت ! وماذا شربت ؟ انك بللت ريقك بشيء قليل لم تشعر بهِ اكثر من شعورك بهذا الهواء الذي تتنشق فلم تتعب ؟ تجيبهُ انك لم تتعب فيزيد لك الجرعة ثم يضرب لك موعداً آخر وهكذا الى ان يأتيك الفرج وتنتهي ايامك وعددها واحد وعشرون ثم ترحل فوالله لن تدري أكنت تضحك من نفسك أم كان الطبيب العالم يضحك منك .

***

ولكن صاحبة فيشي شركة مالية غنية قوية للحكومة ضلع وافر في دخلها فهي تبذل كل أسباب الراحة وتوفر كل انواع العيش الهنيء حتى تجعل فيشي قبلة للناس اجمعين

فما هو غرض الشركة ومن أين يعود عليها الربح الوافر ؟

فمياه فيشي المعدنية مباحة للجمهور بلا مقابل الا ما يباع منها للبلاد الاجنبية وأجر الحمامات ليس مما يعود على صاحب هذا البناء الضخم بربح . والحدائق الغناء مع غابة فيشي الواسعة الاطراف لا بد لصيانتها من مال يبذل ولا يدفع الوافد الا جعلا ضئيلا لا يذكر لدى دخولها . والشركة كريمة على الاطباء وارباب الصحف تغدق عليهم حماماتها ومسارحها مجاناً . فما هو السر في ذلك ؟

السر كله في الكازينو ! وما الكازينو الاَّ عمارة جمعت البهو الجميل الواسع والحديقة الغناء مرصوصة بالازهار وبالكراسي راحة للمتعبين وبانغام الموسيقى تصدح في الليل وفي النهار — وكل ذلك طريق يقاد منهُ الزوار الى بهو العاب القمار

وهذا البهو عَجَبٌ في عَجَب . موائد خضراء تملأُ الجوانب يدعو اليها الندل ومن اليهم دعاءً مستجاباً فتجلس النساء عاريات أو نصف عاريات والرجال مرتدين السواد فتتبعثر الملايين وتتناقلها الايدي من هنا ومن هناك فتذوب في اثناء هذا الانتقال وتتسرب في ثقوب المائدة الخضراء

***

وقد زار صاحبنا المصري فيشي غير مرة وكانت لهُ زورة واحدة في كل مرة الى هذا البهو بهو القمار فما رأى فيهِ شيئاً الاَّ تكالُب الناس على المال ووجوههم كوجوه الوحوش الضارية خلا معظمهم من حسن العشرة او من أدب الكمال يستوي في ذلك الغني والفقير والامير المزيف والامير الحسيب النسيب . وافظع ما في هذا المعرض السيدات . فانك لا تدري لماذا تتهافت هذه العجائز على موائد القمار الاَّ لكي يزدن في قبح الخَلق قبحاً في الخُلق . بل جارتهن الصبايا مقصوصات شعورهن فتساوى رأس الفتاة برأس الفتى وتساوى الطبعان خشونة بفعل هذه الموائد

رحم الله اياماً كان النساء يضفرن غدائرهن مخافة الضلال في الشعر ورحم زمناً كان سدل الشعر على الاكتاف آية من آيات الجمال . فقد مرَّت بنا نحن الرجال عصور فوق عصور ننظر الى الشعر فنعدهُ متمماً لجمال المرأة ، هكذا صور المصورون وهكذا شبب الشعراء . ونحن لا نطلب من سيداتنا الآن عصوراً أخرى حتى نألف هذا الجمال الغلامي بل بضع سنين لا تزيد على اصابع اليدين

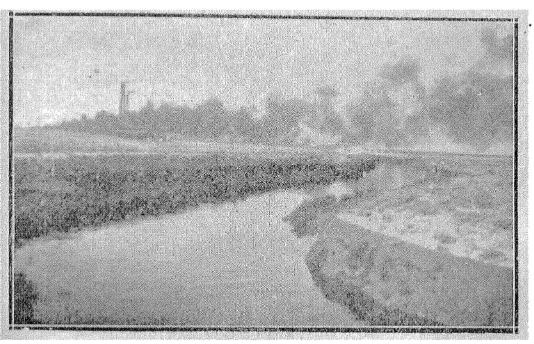
اما من هذه الساعة الى ذلك الميعاد فلتسمح لنا سيداتنا أن نستقبح رأس الغلام على جسم المرأة

تلكم فيشي انزع منها الكازينو تَرها جنة من جنان الارض. وألبسها الكازينو فهي كما هيه — وما ادراك ماهيه — نار حامية

سامي الجريديني



بحيرة من النفط حيث تفجرت البئر قرب بابا قرقر في كركوك
ولعل البحيرة التي رآها الاسكندر كانت هناك



صور أخرى لآبار النفط على مقربة من كركوك حيث تفجرت بئر واندفقت
فجرى النفط نهراً واشتعل بعضه كما ترى ولا يزال مشتعلاً

مقتطف يوليو سنة ١٩٢٨
امام الصفحة ٣٣

النفط في العراق

اما العراق فالنفط معروف في جميع انحائهِ ومعظمهُ في وادي دجلة من زاخو شمالاً الى بغداد جنوباً . فالنفط في زاخو ينبع من عيون على نهر الخابور اي خابور دجلة لا خابور الفرات. وعلى مقربة من زاخو في قرية تسمَّى شَرانِش معدن من الفحم لا بأس بهِ[١] ثم الى الجنوب من الموصل حمَّام علي ذكرهُ ياقوت في معجمهِ قال « دير القيَّارة وهو على اربعة فراسخ من الموصل في الجانب الغربي من اعمال الحديثة مشرف على دجلة وتحتهُ عين القار وهي عينٌ تفور بماء حار وتصبّ في دجلة وقد ذكرناها سابقاً في الحمَّامات ويخرج معهُ القار فما دام القير في مائهِ فهو ليّن ممتدّ فاذا فارق الماء وبرد جفَّ . وهناك قوم يجمعون هذا القير ويفرقونهُ من مائهِ بالقفاف» الى ان قال « ويقصدون هذا الموضع للتنزه والشرب ويستحمون من ذلك الماء الذي يخرج مع القار لانهُ يقوم مقام الحمَّامات في قلع البثور وغيرها من الادواء . ولهُ قائم وكل دير لليعقوبية والملكانية فعندهُ قائم وديارات النسطورية لا قائم لها »

قلت ولا يزال اهل الموصل وغيرهم يقصدون هذا الموضع . اما الدير فقد عفت آثارهُ وذهب الدهر برهبانهِ وخمورهم ولم يبقَ لاهل الموصل الا عيون الكبريت والقار ومياه دجلة

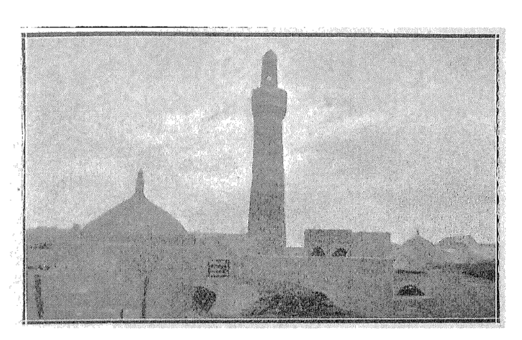
وقال في مادة قيَّارة : « وعين القيَّارة بالموصل ينبع منها القار وهي حمَّة يقصدها اهل الموصل ويستحمون فيها ويستشفون بمائها » . وذكرها في الحامات وسماها حمام علي كما يسميها اهل الموصل في ايامنا وقال انها « عين ماؤها حارّ كبريتي يقول اهل الموصل ان بها منافع » . وقد مررت بهذا المكان غير مرة وهو كما وصفهُ ياقوت

وقال في الحَمَّة انها العين الحارة يستشفي بها الاعلاء والمرضى وقال ان في بلاد العرب حمَّات كثيرة وذكر بعضاً منها والحمَّات هي الحامات الحارَّة ويسميها الاطباء ثرماي وهي يونانية ومن الحمات المشهورة في الشرق حمَّام علي هذا وحمام طبرية وحمام حلوان بمصر ومياههُ كبريتية

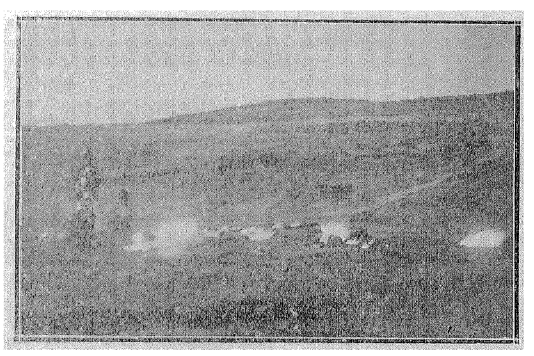
(١) شرانش هذه قرية في جبال الكرد على حدود تركيا بيوتها ثلاثة عشر بيتاً عددتها واحداً واحداً وفيها مدرسة خربة خرج منها جماعة من العلماء لم يبق من ذريتهم الا الملا ناجي وقد عد لنا من اجداده احد عشر عالماً كانوا يعرفون العربية ولهم تآليف معروفة

ثم الى الجنوب من ذلك المكان وعلى اربعة واربعين ميلاً الى الجنوب من الموصل وعلى الجانب الغربي من دجلة مكان يعرف بالقيَّارة وهو مشهور مرَّ بهِ ابن جبير في سفرهِ من بغداد الى الموصل ووصفهُ احسن وصف قال: « مررنا بموضع يعرف بالقيارة بمقربة من دجلة وبالجانب الشرقي منها وعن يمين الطريق الى الموصل فيهِ وهدة من الارض سوداء كأنها سحابة قد انبط الله فيها عيوناً كباراً وصغاراً تنبع بالقار وربما يقذف بعضها بحباب منهُ كأنها الغليان . ويصنع لهُ احواض يجتمع فيها فتراهُ شبه الصلصال منبسطاً على الارض اسود املس صقيلاً رطباً عطر الرائحة شديد التعلُّك فيلصق بالاصابع لاول مباشرة من اللمس. وحول تلك العيون بركة كبيرة سوداء يعلوها شبه الطحلب الرقيق اسود تقذفهُ الى جوانبها فيرسب قاراً . فشاهدنا عجباً كنا نسمع بهِ فنستغرب سماعهُ . وبمقربة من هذه العيون على شط دجلة عين اخرى منهُ كبيرة ابصرنا على البعد منهُ دخاناً فقيل لنا ان النار تشعل فيهِ اذا ارادوا نقلهُ فتنشف النار رطوبتهُ المائية وتعقدهُ فيقطعونهُ قطرات ويحملونهُ وهو يعم جميع البلاد الى الشام الى عكة الى جميع البلاد البحرية . ولاشك ان على هذه الصفة هي العين التي ذكر لنا انها بين الكوفة والبصرة »

ومررت بالقيارة سنة ١٩٢١ وكنت في حاشية جلالة الملك وكنا عائدين من الموصل فامر جلالتهُ بالوقوف هناك فنزلنا لمشاهدة عيون النفط وهي العيون التي لفتت الانظار الى العراق ونفطهِ وكان ذلك سنة ١٩٠٥ على ما اذكر . وكان الترك والالمان قد انشأوا بعض المنازل.والادوات لاستخراج النفط وتقطيرهِ ثم زاد فيها الانكليز كثيراً . وكان هناك مهندس انكليزي يدير العمل فأرانا الاداة التي يُستخرج بها النفط من الآبار وهي كالدالية اي الشادوف المصري مؤلفة من عمود في رأسهِ خشبة مستعرضة طرفها الواحد اطول من الآخر وفي طرفها القصير سلسلة قد علّقت فيها دلو من حديد شبيهة بالاسطوانة وفي الطرف الطويل من الخشبة حبل يشدهُ رجل فاذا شدَّهُ ارتفعت الدلو من البئر واذا ارخاهُ نزلت وامتلأت نفطاً . فكان الرجل يشدُّ الحبل فترتفع الدلو فيتناولها رجل آخر ويصبّ النفط في حوض هناك ثم يعيدها الى فم البئر فيرخي الرجل الآخر الحبل فتنزل الى البئر وهكذا على التوالي . وقد جعلت الدلو في شكل اسطوانة طويلة لضيق البئر



قبر النبي دانيال والفتية الثلاثة في كركوك



اطمة في كركوك وهي عين من النار يقال لها بابا قُرْقر ويظن انها اتون النار المتقدة التي فيها الفتية الثلاثة على ما جاء في سفر دانيال

وكان النفط ينبط من بئر اخرى بالضغط في اسفلها كما ينبط الماء ولم يكن من حاجة لاستخراجهِ بالدلاء او بواسطة اخرى . ثم ارانا ادوات التقطير وهي انابيق كبيرة من الحديد تحمى بايقاد النفط والقار تحتها اقتصاداً في النفقة . واخذ يصف لنا استخراج النفط وتقطيره ُ واشار الى البئر التي كان النفط يتدفـق منها وقال ان هـذه البئر اذا زيد في عمقها خرج منها في ساعة واحدة لا اقل من ثمانية آلاف غالون من النفط الاسود فظننت الرجل مبالغاً لانهُ كان مهندساً بحريًّا والبحريون مشهورون بالمبالغة فلما فتحت بئر كركوك منذ اشهر مضت وقذفت في الجو الوفاً من القناطير رأيتهُ صادقاً في قولهِ غير مبالغ . وكان احد ظرفاءِ العراقيين معنا وكثيراً ما كان يقول ايام حكومتنا في الشام ماذا يريد منا هؤلاءِ الانكليز « هالشوية الزيت فليأخذوها ويروحوا عنا » فلما رأينا تدفق النفط بهذه الصورة التفت اليهِ احـد الحاضرين وقال « ما رأيك في هالشوية الزيت فالحرب كلها على هالشوية الزيت » !

ومن غرائب القدَر ان آخر قتال بين الانكليز والترك او بالحري بين الانكليز والالمان وقع على مقربة من هذا المكان ولا تزال آثار الخنادق باقية هناك . وكان ذلك قبل الهدنة بايام قليلة فانتصر الانكليز ومروا على « شوية الزيت » ودخلوا مدينة الموصل وعقدت الهدنة وانتهت الحرب والحمد لله

ومن الاماكن المشهورة في نفطها مدينة كركوك وهي على نحو ٢٠٠ ميل الى الشرق من بغداد وقد مررت بها غير مرة ورأيت المكان الذي يقال لهُ بابا قـرقـر بضم القافين ولفظهما كالجيم المصرية سمي بذلك لقرقرة النار فيهِ وهو في منبسط من الارض الصلبة قربهُ عيون كثيرة من النفط وهي لبيت معروف في كركوك يقال لهم آل النفطجي وهم يملكونها مئات من السنين ولهم منها مورد يقتسمونهُ بينهم . وعسى ان الشركة لا تضيع حقهم متى استخرجت النفط وانقطع المورد عنهم

اما بابا قُـرقُـر فهو مكان يخرج منهُ غاز خَـلقي يحترق من ذاته متى لامس الهواء وهو من اغرب ما يرى في هذه البلاد فاذا نكشت باصبعك او بعود رأيت اللهَـب يخرج من الارض واذا حاولت سدَّهُ بالتراب خرجت النار من مكان آخر . والارض التي تخرج منها النار لا تزيد مساحتها عن بضعة امتار مربعة يرى فيها بضعة عشر ثقباً يخرج من كل واحد منها نار ملتهبة لا تختلف في لونها عن لهيب المصباح وقد قيل لي ان النار

قد تتحول الى مكان آخر غير المكان الذي رأيتها فيهِ لكنها لا تبعد كثيراً عنهُ . وهي النار التي رآها الاسكندر كما تقدم . ولعل المجوس عبدوها كما عبدوا النار التي تخرج في باكو ولكنني لم ارَ اثر معبد لهم هناك

ولما مررت بكركوك لم تكن الشركة قد عثرت على النفط بمقدار يذكر ثم وردت الاخبار منذ بضعة اشهر ان النفط اندفع من بئر كانوا يثقبونها على مقربة من بابا قرقر وارتفع في الجو بضع مئات من الامتار وكان يقذف في اليوم الواحد ما يقدَّر بسبعة آلاف طن اي نحو ٣٥٠٠٠٠ صفيحة من الصفائح المعروفة

وكان انفجار البئر في ١٣ تشرين الاول (اكتوبر) بلا سابق انذار وجرى نهر من النفط وملأ الخيران حتى صار بحيرة وخشي على كركوك من الغرق . اما المهندسون والعمَّال فانهزموا ثم عادوا لرد فوهة البئر فمات ثلاثة منهم اختناقاً بالغاز احدهم مهندس اميركي والاثنان الآخران عراقيان. ثم لما كان السابع عشر من الشهر سدُّوا البئر بعد ان ذهب منها ضياعاً ما تقدر قيمتهُ بالالوف

وتحفر الشركة الآن في اماكن اخرى بين بغداد وكركوك والنفط معروف في هذه الاماكن منها طُوزخُرماتو وكُفرِي وغيرها ويحتمل ان يتفجَّر النفط هناك كما تفجر في كركوك

والنفط والقار في العراق كلهِ ولكن الاماكن التي مر ذكرها هي في المنطقة التي نالت الشركة امتيازاً للتنقيب فيها . اما الاماكن الاخرى التي فيها نفط وقير فهي هيْت والرماديّ على الفرات والقير فيهما كثير جدًّا . وقد مر بنا في وصف القيَّارة ان ابن جبير ذكر عيناً من القار بين الكوفة والبصرة ولعلها في المكان الذي كان يعرف بذي قار وفيهِ كانت الموقعة المشهورة بين بني شيبان والفرس ولا يعرف مكانهُ بالتحقيق ويظن انهُ المقيَّر اي اور الكلدانيين او المكان المعروف بابي غار على خمسة عشر ميلاً منهُ . ومن الغريب ان ابن جبير لم يذكرهُ بل ذكر عين القار بين الكوفة والبصرة ولم اسمع بعين من القار هناك غير ان في كتاب جولوجية العراق اشارة تدل على وجود القار قرب أُور الكلدانيين اي قرب المقيّر . اما تحقيق مكان ذي قار فيقتضي بحثاً اكثر من هذا وقد وعد الشيخ علي الشرقي من ادباء النجف ان يفعل ذلك

بغداد امين المعلوف



قهر الاوقيانوس الباسيفيكي بالطيارة

اربعة شجعان الاول والرابع اميركيان والثاني والثالث اوستراليان قموا بطيارتهم « الصليب الجنوبي » من اوكلاند في كاليفورنيا الى برزبان في اوستراليا فبلغوها في ثلاث مراحل انتهت الاولى في جزائر هواي والثانية في جزائر فيجي وكانت المسافة التي اجتازوها ٧٣٤٠ ميل

العلم والعمران بعد غد

الطيارة في اوستراليا

لا شك في ان الطيران ارتقى ارتقاءً سريعاً في السنوات الاخيرة . فزادت سرعة الطيارات حتى صارت نحو ٣٠٠ ميل في الساعة وطالت مدة بقائها في الجوّ حتى بلغت نحو ٥٥ ساعة وقد تتضاعف هذه المقاييس في الغد القريب . ولكن هذا مما لا يأبه لهُ الرجل العامي لان انتظام خطوط الطيران ومضاعفتها هما الامران اللذان سوف يغيران طرق معيشتهِ وهذا من شأنهِ احداث انقلاب في طرق النقل في البلدان غير الغاصة بالسكان، ففي استراليا قد أخذت المعيشة تتغير عند المستعمرين الذين يعيشون منعزلين عن سائر الجماعات في براريٍّ شاسعة اذ اصبحت الرسائل والرزم «الطرود» تجلب اليهم والاصدقاء يأتونهم عن طريق الهواء فزالت من اذهانهم آلام العزلة لانهم يستطيعون الفرار منها

وفي هذا الموضوع يقول اديب استرالي : « ان قائدي الطيّارات التجارية قد قرّبوا عقارب الساعة الى الامام مائة سنة على اقل تقدير فكأَن سكان البراري الاسترالية انتقلوا من اوائل القرن التاسع عشر حين كانت المركبات والجياد اشهر وسائل النقل والانتقال الى القرن العشرين بطياراتهِ التي تسابق الرياح »

بدأ هؤلاءِ الطيارون تاريخ حياتهم العملية كطيارين حربيين في الحرب العالمية فلما وضعت تلك الحرب اوزارها وانتهت مدة خدمتهم اشتروا طياراتهم القديمة وجاءُوا بها من ميادين الحرب في فرنسا وفلسطين واخذوا يشوّقون ابناءَ وطنهم الى ركوبها على سبيل « النزهة » مقابل اجرة تبلغ خمسة جنيهات انكليزية يتقاضونها من كل راكب في الدفعة الواحدة . ثم بدأُوا في حمل الرزم والركاب الى الاماكن البعيدة فتمكنوا بذلك من توسيع خطوط المواصلات التجارية رويداً رويداً حتى سهل عليهم اختراق تلك القارة المترامية الاطراف من الشرق الى الغرب ومن الشمال الى الجنوب قاطعين مسافة ١٥٠٠ ميل فوق المفازة التي بين مدينتي برث ودربي في استراليا و ٤٨٠ ميلاً من اديليد الى ملبورن و ٥٠٠ ميل من ملبورن الى سدني و ٥٠٠ ميل من سدني الى بريسبين

وقد قال المستر كاتول في ذلك « ان المرء لا يستطيع العثور على شيءٍ لم تنقلهُ طيارات البريد ، فقد رأيت مرة طيارة تقل في دفعة واحدة راكبين او ثلاثة

ركاب وعدة شرائح من لحم البقر وجملة من الخراف المذبوحة وعدة قناطير من الرسائل والرزم وتابوتاً معلقاً تحت سطح الطيارة وقبعات نسائية وبضائع زجاجية — ثم قطعت تلك الطيارة الف ميل في الجو من غير ان تنكسر فيها قشرة بيضة واحدة او زجاجة مصباح»

اما في كوينزلاند حيث يوجد افراد من الشعب يمتلك كل منهم مراعي لتربية الماشية تزيد مساحاتها على مساحة انكلترا نفسها فقد شرع المستأجرون الذين استأجروا تلك المراعي من الحكومة الاسترالية في استخدام الطيارات لتفقّد قطعانهم ولا عجب إذ يبلغ ما يربيه بعضهم مائتي الف رأس من الماشية

ومن أولئك المستأجرين شيخ في السبعين من عمره قطع باحدى الطيارات في يوم واحد من عهد قريب مسافة ١٢٠٠ ميل على حين انه كان قبلاً يقطع هذه المسافة عينها في ستة اسابيع على صهوة الجواد . ومرضت امرأة في مزرعة قصية من تلك المزارع الاسترالية فأرسلت الى المستشفى حيث عملت لها عملية جراحية ثم قضت اسبوعاً واحداً هناك واعيدت الى بلدتها وهي على بعد ٨٥٠ ميلاً على نقالة من نقالات المرضى وضعت في طيارة فلم تصب المريضة بسوء ما

زد على ذلك أن الطيارات الكشافة تستخدَم في التنقيب عن عمال مناجم الذهب الضالين الذين يموتون ظمأً او الذين يحتاجون الى العناية الطبية فتحمل الماء الى الفريق الاول واسباب الشفاء الى الفريق الثاني. وفي بعض آفاق استراليا حيث تصل المياه الى درجة الغليان اذا تركت وشأنها تحت حرارة الشمس قد يكون جلب الطعام الطازج والمشروبات المبردة بالثلج على متن الطيارات نعمة لا يدرك قيمتها الشعب الذي نشأ وعاش في البلدان العامرة. وعلاوة على سرعة الطيارات فان مخترعيها وصناعها لا يألون جهداً في سبيل جعلها امينة الجانب يصح الاعتماد عليها حتى تنتظم بها خطوط المواصلات

ومن امثال ذلك ان مصلحة الطيران في كوينزلاند تدعي مايقول المستر كانتول : « قد سيّرت الطيارات الى مسافات تربي على اربعة ملايين ميل من غير ان يصيب أي راكب من ركابها او سائق من سائقيها أو ميكانيكي بها خدش في اصبعه. ولتلك المصلحة سائق واحد عصامي علّم نفسهُ الطيران ، وآخر انقضى عليه عشر سنين يطير فوق بلدان وعرة المسالك من غير ان يحدث لطيارته حادث ما »

وهذا كله يشير الى اتجاه العمران في بلدان مترامية الاطراف قليلة السكان مثل استراليا وافريقية ، على حين ان كل مملكة في اوربا تقوّي منشآتها الجوية بما في طاقتها

وقد علت المانيا من ساماها في الطيران المدني فأصبحت لها السيادة الحقيقية في نقل الركاب من شرق اوربا الى غربها . وفازت حكومة ايطاليا من عهد حديث بموافقة مجلس نوابها على تخصيص مبلغ طائل من المال لترقية وسائل الطيران فيها . وحتى روسيا قد بدأت في شراء كثير من الطيارات وبنائها

العالم في الهواء

ومع ذلك ارى اننا لا نزال في فجر عصر الهواء . واثر هذا العصر الجديد في العمران انما يتجلى للرجل العامي حينما يتعوّد امتطاء طيارة في الهواء كما يمتطي احدى السيارات الآن ، وعند ما تكتظ الطرق الرئيسية الجوية بطيارات السياح والمسافرين والتجار وغيرهم من الذين يقصدون الى زيارة اصدقائهم او عائلاتهم او معاملهم وعملائهم على بعد مئات من الاميال في أقصر وقت

فهل من شك الآن في حدوث هذا في المستقبل القريب ؟ إني ارى الامر لا ريب فيهِ وما على العلماء الا اختراع طيارة رخيصة اكثر اتقاناً من الطيارات التي صنعت حتى اليوم بحيث لا تستهدف للتحطُّم ولا تكون مبعثاً للخطر بسبب اهمال قائدها او بلادته فتصبح الطيارات اكثر وقاية لركابها مما هي الآن. ويجب الاكثار من صنع هذا النوع حتى يولع بهِ الناس ويألفوا ركوبه آمنين مطمئنين زرافات لا فرادى

وعندئذٍ يتحقق حلم احد روّاد الطيران الآليّ ونعني بهِ المهندس الانكليزي المخترع (السير جورج كايلي) الذي اكتشف السطح المائل منذ مائة سنة وهو اول قاعدة من قواعد الطيران بآلة اثقل من الهواء . فقد تنبأ هذا المستنبط الكبير حينئذٍ ان لا بدّ من حلول يوم تتاح فيهِ السباحة في الجو

وفي مدينة لندن يتسنى للمرء أن يجول في شارع بوند فيبتاع بسهولة طيارة صغيرة تعرف بطيارة العث Moth كما يبتاع مسواكاً لتنظيف اسنانه ثمنها ٧٣٠ جنيهاً انكليزيًّا وهي ذات جناحين يطويان خلفها ليسهل ايداعها في مستودع صغير كمستودع السيارات ولا تحتاج الاّ الى ميدان صغير للنزول على الارض . وهناك ثمانية مطارات يسوغ للطالب تعلم الطيران فيها . ففي شهر مارس من السنة الماضية ١٩٢٧ نال شاب في الخامسة عشرة من سنهِ وشيخ في الخامسة والستين نصيباً وافياً من التمرن يخولها قيادة احدى هذه الطيارات بعد ان قضيا زمناً قصيراً في التعلم

فاذا ما اقتنى امرؤ طيارة من هذا الصنف أمكنهُ ان يدفع ثمنها اقساطاً شهرية كل

قسط ١٥٠ جنيهاً انكليزيًّا . ومتى صار الاقدام على الطيران غير خطِرٍ خطرَهُ الحالي على المبتدىء فيهِ ، ازدحم الجو بالطيارات الصغيرة وحينئذٍ فلا مراء أن اصحابها يستخدمونها في جلب مشترواتهم من الحوانيت

ونحن نتوقع حصول ذلك في أقل من ربع قرن . هذا اذا صدقنا أنبياء الطيران المدني. فاذا تمَّ هذا الامر باتت السيارة منبوذة لان الطيارة وقتئذٍ ستجري على الغبراء كما تطير في الهواء فتخفف الازدحام الشديد في وسائل النقل المستعملة الآن

ولا بدَّ ان ينجم عن ذلك استخفاف الدول بالحدود التي تفصلها بعضها عن بعض وتغيير هندسة مباني المدن حتى تصير سقوفها محطات لنزول الطيارات الصغيرة وبناء المطارات الكبيرة في مراكز الاعمال .وحينئذٍ لا بدَّ لكل مملكة حافلة بالسكان كانكلترا أو المانيا من توزيع سكانها في الارياف المجاورة للمدن المزدحمة فيتمكن صاحب العمل من السكنى على بعد مائة ميل من مقر عملهِ فيجيئهُ بالطيارة كما يجيئهُ الآن بالسكك الحديدية الكهربائية التي تصل الضواحي البعيدة بمدينة لندن

وحتى الآن لم توضع خطط بشأن اكتظاظ الجو بالمواصلات او فيما يتعلق بصعوبة نزول عدة طيارات في آن واحد في مكان واحدة . ولكننا لا نشك ان مثل هذه القواعد لا مندوحة عن وضعها كما انهُ لا بدَّ من استخدام شرطة في الجوّ لتقييد سرعة الطيارين واخلاء ساحات متسعة لنزول الطيارات آمنة في اواسط المدن الآهلة بالسكان الغاصة بالصناعات

وقد تقع تقلبات جوهرية اذا فكَّر فيها المرء اوجس منها واستفاد في الوقت نفسهِ. بيد ان افتتاح عصر الهواء لا بدَّ ان يسفر عن تغيرات في العلائق بين الاجناس البشرية بعضها مع بعض ، تفوق في خطورتها ما حدث منها حتى الآن

اما كوننا نظل محتفظين بحدود العادات العتيقة ولاسيما عاطفة التفرد بالجنسية ومتمسكين بالحدود العقلية ، والمطامع المفرقة ، والبغضاء ، في الوقت الذي يصبح فيهِ الجو حرًّا ولكل فرد منا في وسعهِ النزول في اراضي الآخرين الآهلة وغير الآهلة بالسكان ، فامر فيهِ نظر . وهناك مسألة اخرى لا بدَّ ان يكون لها اثر كبير في مستقبل العمران وهي: هل يوحّد الطيران اقطاراً كبيرة من المعمورة على ما يقضي بهِ التبادل الصناعي ، وحرية المواصلات ، والقوانين العامة ، وشيوع لغة واحدة يتبادل التفاهم بها الجميع كما يتفاهمون بلغتهم الوطنية ، والتعاون على انتاج ضروريات الحياة وكمالياتها وتوزيعها بين الناس ؟

هذا من جهة . ومن جهة اخرى نرى للمسألة وجهاً حافلاً بالخطر والروع . ذلك ان الجو قد يغدو غير حرٍّ ، وقد يكون فجر عصر الهواءِ بدء نهاية عمراننا الحالي . فاذا اضرمت نار حرب اخرى بين الدول التي عنيت بشؤون الطيران استحال على الغواني ان يجتَن الاسواق بطياراتهنَّ لابتياع حاجاتهنَّ ولجأ كل تاجر الى خقٍّ[1] من اخقاق الارض يتوارى فيهِ خيفـة وابل القذائف التي تنهال عليهِ من اسراب الطيارات القتالة التي تحلق فوق رأسهِ فلا يستطيع مغادرة مكمنهِ الاَّ نادراً

اذن فالامر كما رأيت متوقف على ارادة الانسان نفسهِ. وهذا مما يجعلنا نرتاب في وجود ضمان قوي يمنع تلك الحرب مع ما بلغهُ الجمهور من المستوى العقلي والادبي اذ الانسان لا يتقدم عقليًّا وادبيًّا تقدم العلماءِ في السيطرة على القوة التي يخضعونها لمطالبهِ

مصادر القوة

وما اعظم القوة التي اخذت تخضع لمطالبهِ ! فالعلماءُ الذين حادثتهم او الذين اطالع كتبهم ما زالوا يبحثون عن موارد جديدة للقوة او بالاحرى عن المصادر الدائمة للقوة التي اماطوا اللثام عنها حديثاً. وذلك لانهم كانوا متوجسين خيفة لقلة مصادر القوة الشائع استعمالها بين الجمهور الآن والتي يحتمل ان تنفد عاجلاً او آجلاً . فيقولون ان هذه المصادر تبقى تمدّنا بالقوة ما بقينا احياء . غير ان العلماء يتطلعون الى المستقبل ويرسمون الخطط لرخاءِ الاجيال المقبلة

ومما يحفلون بهِ : مصادر الفحم الحجري ، والنفط ، والطعام . وقد حدثنا الاستاذ (صدي) وهو بحاثة جليل في اشعة الراديوم وغيرهِ من مصادر القوة والضوءِ فقال : « انا نستنفد كل سنة من الوسائط الطبيعية التي نستعين بها على حياتنا ما كان يكفي اسلافنا مدة قرن من الزمان، ولذا نرى ان نفاد مصادر القوة التي يعتمد اليها ابناءُ العصر الحالي لم يعد امراً بعيد الوقوع » . وايَّد هذا الرأي الاستاذ هولداين وهو من ازكى علماء انكلترا في هذا الزمان إذ قال :—« ان نفاد مناجم الفحم الحجري ومنابع النفط سوف يتم في قرون قليلة »

اما الطعام فاذا قسنا الطوائف المشتغلة في الصناعات ، بالجماعات العاملة في الفلاحة وهي التي تمون العالم بالغذاءِ الفينا النسبة مختلة اختلالاً ينفي الطمأنينة من الافئدة . فالحواضر تعج بالاقوام الوافدين اليها من الحقول والقرى ، لان في المدن من مظاهر

[1] الخق — والجمع اخقاق — الشق في الارض

الحضارة الخلابة ما يستهوي القلوب ويؤدي الى الزيادة الفادحة في سكانها وخصوصاً بعد التقدم في مكافحة الامراض الوبائية واستئصال شأفتها فتمكنت الحكومات من المحافظة على حياة الصغار بعد ان كانت حياتهم مهددة بمختلف الامراض وكانت النسبة المئوية للوفيات منهم مروعة فانخفضت انخفاضاً كبيراً وزاد حظ الكبار من الحياة زيادة عظيمة

تصنع السيارات والجراموفونات وسائر المصنوعات التي تمس اليها حاجة الحضارة فتنهال على الشعوب انهيالاً متزايداً على الدوام فان لم يتيسر لصناعها مقايضتها بالطعام اللازم لهم قضوا سغباً أو اضطروا الى العودة الى الحقول حيث يعانون شظف العيش إذ حاصل الارض لا يكفي لربوات الخلق التي لا بدَّ ان تنص بهم الارض في المستقبل

ومن الممكن، وبعض علمائنا يرى ذلك محتملاً ، حيال تضاؤل غلات العالم وعجزها عن سد عوز الناس من القوت ، أن يوفى هذا النقص من الاطعمة الصناعية التي تركب في المصانع الكيماوية . وهي ثمرة من ثمار علومنا العصرية

ومعلوم ان الاطعمة الكيماوية تحتوي على الوقود الحيوي الذي تفتقر اليهِ الآلة البشرية — أي بنية الانسان — وتأتي بنتائج تماثل من كل الوجوه نتائج العناصر الكيماوية التي تدخل الجسم بما نتناولهُ الآن من الوان الغذاء الطبيعي . وفي زمننا هذا يدرس كثيرون من العلماءِ هذا العلم الجديد ونعني بهِ الكيمياء الحديثة الخاصة بالغذاء

بيد ان بعض علماءِ الفسيولوجيا والكيمياء قد اقدموا على التنبؤ بحلول اليوم الذي فيهِ يأتي الغذاء الى الانسان عفواً صفواً لم يُخالِق لهُ وجهاً ولم يمد اليهِ يداً ، وذلك بأن يقصد المرء من فورهِ الى القوة الحيوية التي هي مصدر الحياة التي تستمد من الشمس فتكمن في الجواهر الفردة . ومتى وصل الانسان بدنه بآلة كهربائية معينة انقاد لهُ من مراكزها وقود حيويٌّ كافٍ لاضطلاعه بعبء عملهِ اليومي

غير ان رأياً كهذا لم يجل بخاطري وانما هو من بنات أفكار المستر ولز فلنضرب عن تفصيلهِ صفحاً في هذا الكتاب الذي اطلقت عليهِ اسم (ما بعد غد) لانهُ اقرب الى خيال الشعراءِ الآن منهُ الى حقائق العلماء

أما الذي ارجح حدوثه في المستقبل القريب أشد الترجيح فهو مضاعفة غلات الاطيان بالوسائل الكيماوية ووقاية الحاصلات من الآفات الطبيعية او التقلبات الجوية . ويبدو لي أن هذا امر قريب المتناول قياساً على ما حصل في بلاد نروج حيث استخدم

الضباب الصناعي (الذي سبق ابتداعه في إبان الحرب العظمى لاحداث غيوم من الدخان تختفي وراءها البوارج وصفوف الجنود) لوقاية الحاصلات من الصقيع وذلك بتغطيتها بالبخار الساخن . ومن المحتمل في القريب العاجل تنشؤ صنوف جديدة من الثمار والخضراوات عن طريق التطعيم العلمي فيستطيع البستاني انتاج نوعين مختلفين من الفواكه من نبات واحد . ولعلك تستغرب هذا الاستنتاج ولكنهُ امر واقع لا ريب فيهِ ،مارسهُ ونجح فيهِ في مدينة (رين) بفرنسا الاستاذ لوسيان دانيال اذ ولَّد نباتاً ينتج طماطم فوق سطح الارض وبطاطس تحت سطحها

وكيفما كان الامر فان طرقاً غريبة كهذه قد تسفر عن نتائج ضئيلة لا تكفي لمجاراة ما يحتاج اليهِ البشر من الغذاء في عمرانهم المادي ومطالبهم الحيوية

وهذا كما سبق القول يسبب وجل العلماء بشأن المستقبل ،ذلك الوجل الذي يستنهض عزائمهم لاستنباط موارد للقوة يمكن تحويلها الى قوة مولدة للنشاط الحيوي وربما للغذاء نفسهِ اذا مست الحاجة . ومهما تكن النتيجة فاني أرى أن العلماء لا يقلعون عن مواصلة البحث عن قوة جديدة لشدة شغفهم بالاستطلاع وطموحهم الى اكتناهِ اسرار الحياة والوقوف على الاصل الحقيقي للقوة الحيوية

اما المستقبل فيلوح لنا انهُ سيكون حلبة سباق بين العلماءِ وبين نفاد المؤن خشية ان يؤدي الامر بالانسان الى التقهقر الى عصر الهمجية فالموت . غير ان العلماء قد أعدوا للامر عدتهُ من قبل فجدّوا في سبيل الوصول الى موارد القوة التي لا تنفد

وقد قال كيماوي رفيع المقام وهو الاستاذ صدي : « إن الجنس البشري ما انفك يعول في حياته على القوة المستمدة من الشمس، فكل شيء متحرك بنفسهِ او فيهِ القدرة على التحرك يمتلك قوة اذا تتبعنا سيرها حتى مبعثها وجدناها في الغالب صادرة من الشمس . فقطرات السكك الحديدية الواسقات في القفار ،والبواخر الشاخنات في البحار والكائنات الحية من دبابة وسباحة وطيارة انما تتحرك بالقوة التي توافيها بها الشمس اشعة هي احياناً ضوء واخرى حرارة . هذه القوة المشعة تتحول في الزراعة الى قوة يمكن خزنها في الغذاء فينتفع بها الاحياء . كما ان القاطرة التي تسير اما بالبخار ،واما بالزيت تتحرك ايضاً بقوة الشمس ، التي ادخرت في ازمان غابرة في النبات ، وما زالت دفينة في الفحم الحجري والغاز الطبيعي والنفط وما اليها » ***

[في الشهر القادم يبحث في اشهر هذه المصادر التي يبحث عنها العلماء]

الالعاب الاولمبية والرياضة البدنية

حفلات هذه الالعاب

اهتم المصريون في اثناء الشهر الماضي بانباء الالعاب الاولمبية ومباراة فرقة كرة القدم المصرية فيها . وعلى ذكر ذلك ننشر فيما يلي وصفاً للالعاب الاولمبية كما كان يقيمها اليونان الاقدمون

عقد اليونانيون حفلات الالعاب الاولمبية الترويضية لغاية مقدسة هي تكريم زعيم آلهتهم (زفس) الاولمي وزوجتهِ (جونون) وعند ما تغلب الرومان على اليونان شاركوهم بهذه الالعاب. وكانت الناس تتسابق زرافاتٍ ووحداناً من كل فج وصوب لشهود الحفلات الاولمبية بشوق ولذة غريبين فكثر كلفهم بها وزاد تكريمهم للظافر فيها وتتويجهِ بورق الزيتون الذي اعتقدوا انهُ اثمن من الذهب لانهُ رمز اثينة (ميترڤه) حامية عاصمتهم المسماة باسمها.فتتغنى شعراؤهم بمدحهِ وطار صيتهُ بين الناس عامة حتى كان يفضي بهم الحال الى تأليههِ احياناً

والحفلات كانت تقام في كل اربع سنوات مرةً اي في السنة الخامسة ولذلك قسموا زمانهم الى اولمبيادات كل (اولمبياد) اربع سنوات . وزمنها البدر الاول من الانقلاب الصيفي اي نحو اول شهر تموز (يوليو) . فتبطل فيها الحروب والمشاحنات والمنازعات ويتفرغ الناس لها فتكون اشهُر اللعب كاشهر الحُرُم عند القدماء . فاذا اضطرُّوا الى الحرب في وقت الاحتفالات ابطلوها الى ان ينهوا احتفالاتهم فيعودوا اليها

وكانت الالعاب بادىء بدء تمكث يوماً واحداً فقط . وبقيت هكذا الى زمن الاولمبياد السابع والسبعين.فاخذت تزداد حتى صارت خمسة ايام ثم ستة ايام ثم اسبوعاً كاملاً .وعينوا اول يوم منها للذبائح والثاني لسباق الرجّالة والثالث لحرب البنكراسيوم (اي المصارعات الخمس والمصارعة البسيطة) والاخيرين لسباق الخيل والمركبات .وكان لكل اولمبيادة نوع من المسابقات الخاصة لامحل لتفصيلها

وكانت المحاضرة اولاً ثم اضيفت اليها المصارعة سنة ٧٠٨ ق.م وبعد ذلك الملاكمة سنة ٦٨٨ ق.م والمسابقة بالمركبة ذات الخيول الاربعة سنة ٦٨٠ ق.م

وعدَّد اوميروس في النشيد الثالث والعشرين من الالياذة العربية البستانية والصفحة ١٠٩٤ من الالعاب الترويضية السباق صفحة ١٠٧٣ و١٠٩٢ وفصلهُ تفصيلاً

مطولاً ثم الملاكمة ١٠٩٢ والصراع ١٠٩٤ والحُضْر ١٠٩٦ والطّعان ١٠٩٩ والكرة ١١٠١ والنضال (المباراة في رمي السهام) ١١٠٢ والمراشقة ١١٠٤ فالصيد والقنص والغوص والفروسية الخ

وكان لرمي الكرات الحديدية شأن عندهم وكانوا في الملاكمة يشدُّون النطاق على الحقوين ويلبسون قفافيز (جمع قفّاز بمعنى كفّ) من جلد في ايديهم كما يفعلون اليوم قال اوميروس في ترجمة الياذته العربية :

شدَّ لهُ النطاق حول الخصر والجُمْعَ[1] غشّى جلد ثور برّي
فنزلا الساحة يرفعانِ كفّيهما معاً ويلكمانِ
واللكام كان قبيحاً واقل قباحة منهُ البراز

توزيع الجوائز

وكانوا يحفلون باليوم الاخير لانهُ المخصص لتوزيع الجوائز والاكاليل على الفائزين بين ضوضاء الناس وجلبات الحاضرين . واذ ذاك ينادون باسم الغالب واسم والدهِ وقبيلتهِ وبلادهِ ويطوفون بهِ بالتبويق . ويسجلون ظفرهُ . ويأخذونهُ بموكب فاخر الى البريتانيوس حيث تُعَدُّ لهُ وليمة نفيسة. ومن الغريب انهم كما كانوا يجيزون الغالب لظفرهِ كانوا يجيزون المغلوب بشيء لجبر خاطرهِ الكسير لانهُ لا يتبارى الا الاكفاء . ولهذا كانت تتجدَّد عزائمهم وتستعاد قواهم لاستئناف الالعاب

وفي السنين الثاني والعشرين الاولى من الحفلات الاولمبية كانت جوائز الغالبين تصنع من الفضة. ثم استبدلت بها اغصان الزيتون لتقديسها من حيث كونها رمزاً لمينرفه او اثينة الاهة الحكمة وحامية عاصمتهم كما سبقت الاشارة

وكان القضاة الذين ينصَّبون للحكم في السبق عند اجراء الالعاب الاولمبية يتصدرون في ذلك الملعب او المضمار باكسيتهم القرمزية واكاليل الغار فوق رؤوسهم فيأمرون المنادي باعلان الجوائز ونائليها على رؤوس الاشهاد

وعدا الجوائز والاكاليل التي تتوج بها عمدة الالعاب والحَكَم الظافرين كان الحاضرون ينثرون عليهم دراهم الازهار ودنانيرها ومضفور الاكاليل وجاديلها احتفاءً وتكريماً

(١) الجمع الكف المفتوحة

وكان طول الفسحة التي يلعبون بها (او المضمار) ست مائة قدم وكلها مفروشة ارضها بالرمال اللينة ويستعدُّون للعب بخلع ثيابهم ويبتدئون بها على اثر نفخ البوق الذي كان ينبههم الى مشارفة اللعب

واما الاغنياء الظافرون بالفوز ولاسيما في سباق العجلات فكانوا يقيمون المآدب الفاخرة والحفلات المتقنة لتلك الجموع الكثيرة التي شهدت الالعاب وهنأتهم بغلبتهم

وكان الظافر ينال شرفاً سامياً وذكراً طيباً ويشيّد من مالهِ ومال وطنيّيهِ هيكلاً لاولمبيه وكان الوطنيون يشتركون معهُ بذلك لما ينالهم من الفخر الوطني بغلبتهِ واستظهارهِ على زملائهِ الكثيرين . وعند عودتهِ الى وطنهِ يقابلهُ وطنيُّوهُ باحتفالات عظيمة ومواكب فخمة فرحين بهِ فيدخل وطنهُ بثوبهِ القرمزي على عجلة تجرها اربعة من الخيول البيضاء والشعب يخفرهُ

وكان من عادتهم في المبالغة بالحفاوة بهِ ان يهدموا قسماً من جدار باب المدينة . وفي ذلك (رمزٌ) مغزاهُ : « أن مدينة فيها ابطال يقاتلون ويظفرون ليست بمحتاجة الى جدران تقيها هجمات الاعداءِ » ويحملون امام الظافر المصابيح وتحفر لهُ التماثيل وعليها شارتهُ وكل ذلك على نفقة الحكومة الوطنية

وكان الشعراءُ المشهورون يهنئونهُ بقصائدهم الرائعة متغنين بمفاخرهِ وحذقهِ ومما يجدر بالذكر في هذا المقام ان دياغوراس اشهر ابطال القدماءِ في هذه الالعاب المقدسة عندهم كان ينال الغلبة في كل انواع المصارعات والمبارزات الاولمبية فلذلك نظم لهُ الشاعر (بندار) قصيدةً بليغة كان يتناشدها المصلون في هيكل مينرڤه الاهة الحكمة في ليندى حيث نقشت على جدرانهِ بحروفٍ ذهبية [1] ومعناها :

« في هذا المكان حيث يضحَّى بالخراف ويحتفل بالالعاب الاولمبية نال دياغوراس اكليل الغلبة والظفر مرتين . وقد استظهر على اقرانهِ مرتين في الايسمّ ونال الجائزة الاولى في نيمه واثينه . وكان دائماً هو الغالب في ارغوس واركاوى وثبب — وانا اشاهدهُ بامّ عيني — ست مرات خارجاً من الميدان فائزاً منصوراً . وقد نقش اسمهُ في (ميغار) على عمود الغالب » . اه

---

(١) ولعل العرب اخذوا من هنا تعليق القصائد على جدران الكعبة منقوشة بماء الذهب كالمعلقات والمذهبات الخ وكانت سبع قصائد معروفة في آدابهم يعدونها من ابلغ منظومهم

واصل دياغوراس من رودس وقدكان آية في الالعاب والتروُّض فترعرع ابناؤهُ الثلاثة واثنان من حفدتهِ على براعتهِ باحرازهم اكاليل الظفر مثلهُ في كثير من الالعاب . ولهذا نالت أُسرتهُ احتراماً عظيماً فكانت لها امتيازات خاصة بها منها ان ادارة الالعاب سمحت لابنتهِ كليوبطره ان تدخل الميدان

ولما هرم دياغوراس بقي احترامهُ مرعيًّا فكان يستقدم الى الملعب الاولمبي ويشاهد انتصار اولاده اجيلاس وداماجيت ودوريوس ويسرُّ بهم لأنهم خلفوهُ في حذقهِ . ومن عجيب ما كان يجري اذ ذاك ان الحاضرين كانوا ينقلون الاكاليل عن رؤوس اولادهِ . ويضعونها على رأسهِ ثم يحملونهُ على الايدي الى هيكل زفس والناس يهتفون لهم على جانبي الطريق وينثرون الازهار والطيوب . حتى انهُ في آخر مرة بعد ان شهد الالعاب وظفر اولادهُ حمل الى الهيكل بين الجلبة والهتاف وكان المحتفلون بهِ يقولون لهُ : « مت ياديا غوراس اذ ليس في طاقتك ان تكون معبوداً بعدُ » فمات قبل وصولهِ الى الهيكل متأثراً من كثرة الاحترام وازدحام المفاخر عليهِ

وهكذا كان الغالب يعيش سحابة عمرهِ معزَّز الجانب رفيع القدر فيجلس في كل الحفلات في المكان الممتاز اكراماً لهُ . ويسمونهُ (بطل المدينة)

وفي مدينة (اسبرطه) كان الغالب ينال الشرف . وفي (اثينة) كان الظافر في الاولمبية يُجاز بخمس مائة درخمة. وصار بعد ذلك تقدم لهُ نفقة طعامهِ مجاناً طول عمرهِ

وقد ضربوا مثلاً بالاحتفالات التي جرت في بلدة (اكراجنت) فانهم كانوا يقيمون الغالب على عجلة تجرها اربعة رؤوس من الخيل البيض يحدق بها السكان كحراس ووراءها اهل الظافر ممتطين عربات يجرُّ كل عربة جوادان ابيضان

وكان لكل فائز الحق بنصب تمثال لهُ من الرخام او الشَبَه (البرونز) في اولمبيه يصوَّر عارياً كما كان يلعب ويتروض عارياً لخفتهِ والتمكن من تحركهِ بسرعة وانتظام

ولهذه الاسباب اتقنت صناعة الشعر والنقش والخطابة وتبارى النابغون فيها وهذا من جملة تأثيرات التروض في آداب الامم فوق منافعهِ الصحية والعقلية

وكانت توزع الجوائز والاكاليل ايضاً على النابغين من الشعراءِ والخطباءِ والنقاشين

ولقد تلا هيرودوتوس المؤرخ اليوناني الشهير امام المحفل الاغريقي تاريخهُ النفيس الذي وصف فيهِ حروب مادي الكبيرة فوقع من نفوسهم احسن موقع واعجبوا بفصاحة تعبيراتهِ وسمّوا كتبهُ التسعة المؤلف منها تاريخهُ باسم (الموسات التسع) الاهات الفنون

المرأة اليونانية والرياضة

كانت المرأة اليونانية تشتغل بغزل الصوف خاضعة لرجلها او اهلها ملازمة لبيتها واما الاسبرطيون المشهورون بقوتهم وبسالتهم فربوا بناتهم على نحو ما ربُّوا بنيهم بالتمرين على الالعاب الترويضية ومدح الشعراء لهنَّ فكنَّ اقوى نساءِ اليونان واصحهنَّ اجساماً فولدن اولاداً اصحاءَ باسلين . ومما امتازوا بهِ التفرد بالتروُّض والتجافي عن الفنون فلم ينشأ منهم خطباءُ ولا مهندسون ولا نقاشون ولا فلاسفة ولكن نبغ منهم ابطال اشداءُ وباسلات مشهورات يشجعن الرجال على اقتحام ساحات الوغى والتجالد على القراع والصدام . ومما روى من ذلك : ان امرأة منهنَّ علمت ان خمسة من بنيها قتلوا في الحرب . فقالت للمخبر : ليس هذا ما اسألك عنهُ . فهلاً كتب النصر لنا — فقال : نعم — قالت : اذن فلنحمد الآلهة . وقتلت امرأة اسبرطية ولدها لفرارهِ عند زحفهِ على الاعداء قائلة لهُ : ان نهر (الادروتاس) لا تجري مياههُ ليشرب منها الوعول

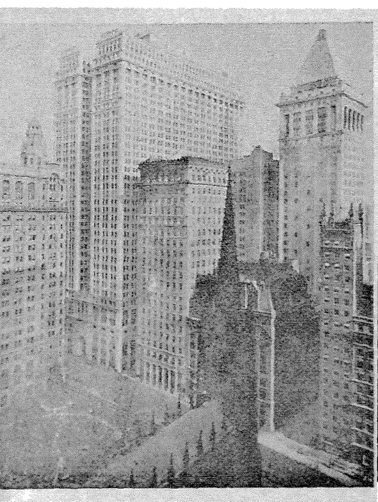
ولقد نقل اليونانيون معهم هذه الالعاب باُصولها الى البلدان التي دوَّخوها . ومما ظهر في بلادنا اكتشاف السيدة الفرنسية دنيزلي لاسر Mme Denyse le Lesseur سنة ١٩٢١ لصحيفة في مدينة صور نقش عليها صورة اوطيوخوس احد ابطال المصارعين فيها . وعليها كتابة يونانية تدل على نيل ذلك المصارع قصب السبق مراراً في الالعاب الاولمبية التي اشتهرت عندنا كما اشتهرت في جبال الاولمب

وسنة ١٨٦٢ م كشف في صيدا اثر عليهِ شعر يوناني في مدح ديوثيمس أحد المتروضين لتفوقهِ في حفلة الالعاب الاولمبية في صيدا على زملائهِ [1] . الى غير ذلك مما يدل على شيوع هذه الترويضات التي كانت لها طرق مختلفة وانواع كثيرة ربما عدنا الى ذكرها في فرصة ثانية

زحلة عيسى اسكندر المعلوف
(صاحب مجلة الآثار)

(١) راجع مقالة منشيء هذه المباحث في مجلة المجمع العلمي العربي الدمشقي (٢ : ١٦١) بعنوان (آثار صور وصيدا الحديثة)





مباني نيويورك الشاهقة على مقربة من مدخل وول ستريت

وول ستريت شارع الاموال بنيويورك

شرقي في اميركا

٢

المصارف المالية

المصارف المالية في الولايات المتحدة منتشرة انتشاراً يقف عنده طمع المستزيد حتى في اطراف البلاد النائية وقراها الصغيرة . فمنها ما هو للتجارة والصناعة والزراعة والرهونات والتأمين والتوفير . حتى ان مصرفاً كبيراً يدعى « بنك العشر » اي عشر الريال يقبل الودائع التي لا تتجاوز غرشين صاغ . وكلها خاضعة لمراقبة شديدة من جانب الحكومة تمرُّ عليها لجان معينة تفحص دفاترها من وقت لآخر حتى اذا رأت نقصاً معيّناً في الرأسمال اجبرتها بحكم القانون على ايقاف اعمالها حرصاً على الاموال المودعة فيها . ونظام المصارف المالية هناك دقيق جدًّا ومحكم وكلها تعتمد في الازمات الشديدة على مساعدة بنك البنوك او Federal Reserve Bank . وقد اطلعت في مجموعة خطب المالي المصري الشهير سعادة طلعت بك حرب على تفاصيل هامة لهذه النظم يجدر بكل من يهمهُ هذا الموضوع ان يقرأها بتروٍّ وامعان فماليات البلاد هي الكل في الكل حين يدور البحث حول الاستقلال والطرق المؤدية اليهِ

الجماعة والفرد

يمكنني ان اقول وانا مطمئن الى الحقيقة ان جوَّ الولايات المتحدة لم يعد صالحاً لحياة الفرد . فالشركات اي الجماعات هي التي تتولى الاعمال حتى انهُ من المتعذر عليك ان تجد مطعماً اميركيًّا او دكاناً اميركيًّا مهما كان صغيراً لا تديرهُ شركة اميركية . ومما يؤسف لهُ ان السوريين هناك لا يزالون كما كانوا في بلادهم وكما نرى المصريين في مصر وكما نرى كل اصحاب الاعمال في كافة البلاد العربية يشتغل واحدهم بهمة لا تعرف الملل وكفاءةٍ هي موضع الاعجاب ولكنهُ يحاول وهو منفرد بنفسهِ ان يقاوم تيار الشركات الجارف اي المستحيل . وهذه حالة لن تدوم اذ لا بد من احد امرين : اما ان يجاروا الوسط الذي يعيشون فيهِ واما ان يخرجوا منهُ او يبتلعهم تيارهُ والمنتظر ان اولادهم الاميركيي المولد والجنسية والتربية والذين لا يتكلمون العربية الاَّ قليلاً سيخلعون الثوب القديم ويلبسون الجديد ويتمشون مع روح العصر فيسيرون في اعمالهم جماعات قوية متضامنة ولا شك ان شركاتهم ستصيب من النجاح ما اصابهُ آباؤهم افراداً . اما الاندية في

الولايات المتحدة فعدّد منها ولا تعد وحدّث عنها ولا حرج . اندية للرجال ومثلها للسيدات والفتيان والفتيات من كل طبقات الهيئة الاجتماعية ولكل ناحية من نواحي الحياة الادبية والاقتصادية والسياسية والرياضية . لا يكتفي الاعضاء في كثير من هذه الاندية بان يجتمعوا ويتبادلوا الافكار بل يعينون يوماً من كل اسبوع فيهِ يتناولون الطعام معاً اما في ناديهم اذا كان رحباً ومهيأً لذلك واما في احدى رداه الفنادق الكبرى التي يتفقون معها على ان تتقاضى ريالاً واحداً عن كل شخص .وحينئذٍ لا يتجاوز وقت تناول الطعام عشرين دقيقة يقف بعدها خطيب الحفلة يتكلم من عشرين الى ثلاثين دقيقة في موضوع يهمُّ السامعين أُعلن عنهُ من قبل . وكثيراً ما يكون الخطيب غريباً عنهم يدعونهُ خصيصاً لهذا الغرض وقد يكون من بلاد نائية فيدفعون لهُ نفقات سفرهِ واحياناً اجراً يتقاضاهُ وقد يبلغ هذا الاجر رقماً لا يستهان بهِ . والمصطلح عليهِ في ظرف كهذا ان يقف رئيس النادي بعد سماع الخطاب فيعلن ان الخطيب مستعد لان يجيب عن الاسئلة التي تطرح عليهِ استيضاحاً لنقطة قد تهم احد الحاضرين . والامر الذي يستوقف النظر في مثل هذه الاجتماعات هو الحرية التامة في ابداء وجهة نظر قد تخالف فكرة السامعين جميعاً والاصغاء التام لكل كلمة تقال والكياسة والادب في الاستفهام والاستجواب والدقة في المحافظة على النظام والوقت ففي الوقت المعين اي حوالي الظهر ترى الكل جالسين في محالهم ولا تدق الساعة الثانية الا وقد نهضوا جميعاً وانصرف كل الى عملهِ. تنشر الجرائد المحلية ملخص ما يدور في اجتماع كهذا واعمدتها مفتوحة لمن اراد ان يتوسع في الموضوع سياسيًّا كان او تجاريًّا او صناعيًّا .وكثيراً ما يلقى صاحب فكرة جديدة او مشروع جديد تعضيداً ماليًّا في مثل هذه الاوساط فيتمكن من مواصلة مباحثهِ وتجاربهِ وقد يصبح هو والذين ساعدوهُ بين عشية يوم وضحاه من اصحاب الثروات الاميركية الطائلة . والمثل الانكليزي « الوقت هو المال » معمول بهِ في كل الولايات المتحدة وقد يكون اسهل عليك ان تقابل اميراً او ملكاً متوَّجاً من ان تقابل واحداً من كبار رجال الاعمال في اميركا واذا اسعدك الحظ وحدّد لك كاتم سرّهِ موعداً بعد ان يطلعهُ على الغرض من زيارتك وربما كان ذلك بعد يوم او اسبوع او اكثر فيجب عليك ان تكون في الدقيقة المعينة حاضراً والاَّ فاتتك الفرصة وهيهات ان ترجع . وقد قال لنا المرحوم القاضي جاري وكان مديراً لشركة الفولاذ الشهيرة يوم زار مصر . اني اجتهد ان اقابل كل الذين يقصدونني اذ ربما

كان في ذلك فائدة ما ولكني لا اقابل الثرثار غير مرة واحدة !

في جوّ الاندية الهادي يروج نشر الدعايات لمختلف الغايات وانتم تعلمون ان وقع الخطابة في نفوس السامعين قد يكون اشد من وقع القراءة في نفوس الذين يقلبون ما لا يحُصى من الجرائد اليومية والمجلات الاسبوعية والشهرية يبحثون عن موضوع يهمهم امرهُ غير ملتفتين لسواهُ . وقد اسعدني الحظّ بان دعيت للخطابة في كثير من الاندية الاميركية والسورية فتكلمت عن مصر وسورية وعن حالتهما السياسية ولاقتصادية والادبية وعن الصحافة العربية وعن جمعية الرابطة الشرقية والغرض منها على قدر ما كانت تسمح لي الحال ولكني مع الاسف كنت كمن يقرأ من حكايات الف ليلة وليلة . اذ لم اجد بين السامعين من يعرف شيئاً يذكر عن هذه البلاد والقليلون الذين زاروها عادوا منها مزوَّدين بالمعلومات الناقصة المشوّهة وقد تلقوها عن دليل وجدوهُ على ابواب الفنادق . كنت اجهد نفسي لاقنع الحاضرين بان الارض التي هبطت عليها الاديان العظيمة وقام فيها الرسل والانبياء والارض التي اشرقت منها مدنية الفراعنة لا تزال موجودة الى الآن ومأهولة بأناس لا يختلفون عن بقية بني البشر بشيء . وقد وجدت نفسي مرةً مضطراً لان اثبت ان القاهرة هي عاصمة البلاد المصرية وليست في سورية كما ظن احد محرري الجرائد الكبرى في ديترويت ! قد تقولون كيف يكون الامر كذلك وجماعات المرسلين والسياح والتجار يتوافدون الينا زرافات . ان ذلك صحيح ولكني اريد ان لا يغرب عن البال ان لكل طائفة منهم وسطاً مخصوصاً وغاية معينة وان خيراً للمرء ان يحكّ جلده بظفره وان يقوم هو بتعريف قومهِ وبلاده الى العالم المتمدن من ان يترك هذه المهمة الحيوية للاجانب

سيداتي وسادتي : تقرأون في هذه الايام كثيراً مما تنشرهُ الجرائد في كل اقطار العالم عن الاعمال العظيمة التي قام بها الاجانب في هذه البلاد حتى صيروها او يريدون ان يجعلوها جنّات تجري من تحتها الانهار ! معاذ الله ان انكر على احدٍ سعياً مشكوراً او ان ابخسهُ حقاً كسبهُ بجدهِ واجتهادهِ وبعيدة عني فكرة الخوض في مسائل السياسة العويصة الخارجة عن دائرة جمعية الرابطة الشرقية وانما اريد ان اذكر الى جانب الجهود التي بُذلت الفوائد التي عادت على اصحاب هذه الجهود . يقولون بانهم أحيوا الارض الموات وروجوا التجارة وقاموا بالمشروعات العمرانية وسهلوا المعاملات المالية الى غير ذلك مما ترى أثرهُ ظاهراً في عواصمنا وبنادرنا وارياقنا. ولكنهم اغفلوا

مُراجعة حساباتهم المدونة في دفاتر مسجلة في المحكمة المختلطة . تقدمت الزراعة ولكن الجانب الاكبر من اطيان مصر الزراعية مرهونة في البنوك العقارية تدفع فائدة حدها الادنى سبعة بالماية اي ما يزيد عن متوسط ايراد الاراضي الجيدة التربة وهذه الفائدة تعود شرعاً لاصحاب رأس المال . اتسع نطاق التجارة ولكن المصارف التي تساعدها أُنشئت برؤوس اموال اجنبية ووسعت دائرة اعمالها بالاموال الوطنية المودعة فيها والتي تدرّ عليها ربحاً وفيراً . خذوا الماء الذي نشربهُ والكهرباء التي تبدد ظلمات ليالينا الحالكة ووسائط النقل من ترام وسكك حديد زراعية وسيارات . خذوا مقاولات البناءِ والبنايات الشامخة التي تشاد فالمقاولون اجانب والبنايات كالاطيان تُرهن وما استُلف من تكاليفها يستنزف الجانب الاكبر من ايرادها . وبالاختصار ان هذه المظاهر العمرانية يعود جلُّ فائدتها على الاجانب . واذا كانت اموالهم تعود عليهم بارباح طائلة واذا كانوا قد تقاضوا اجوراً عالية عن كل عمل عملوهُ فما الداعي لهذا التبجح وهم يمرحون في مرعى خصيب ويتمتعون بامتيازات لا يحلمون بمثلها في اي بلدٍ من ارض الله الواسعة ؟ أشرت الى ما رأيتهُ في الولايات المتحدة من ان كل هذه الشركات وطنية بحتة وفي ذلك دليل على ان الوطن لن يكون لبنيهِ الاَّ اذا كانوا هم المالكين لمرافقهِ الحيوية والمسيطرين على مشروعاتهِ العمرانية والمتمتعين بما يدرهُ من الخيرات . لم يصل الاميركيون الى ما وصلوا اليهِ الاَّ بعد الجهد العظيم والدرس العميق والعمل المشترك وفي هذا الطريق يجب ان يسير المصريون وهم قد بلغوا سن الرشد وهذه الحقائق التي ادركها المفكرون منهم والى الغاية التي ذكرتها توجه جهود العاملين . نعم. لم يفكّر ولن يفكر احدٌ من المصريين ان يرمي الاجانب الى البحر بقضهم وقضيضهم ولكنهم يسعون ويجب ان يسعوا من الطريق المشروع للاستيلاء على هذه المشروعات حين تنتهي آجال امتيازاتها . يريدون كما يريد كل كريم ابي النفس ان ينزل الاجانب منهم على الرحب والسعة ولكني وانا واحد منهم يثقل على طبعي ان يجدني الاجنبي ضيفاً في بلادي وان يحسب نفسه صاحب المنزل . اريد ان اعطي ما لقيصر لقيصر ولكني لا اريد ان اعطيه ما هو لله وما هو ملك لذلك الشخص المعنوي المقدس الذي لا تذكرهُ الافواه الاَّ والقلوب متجهة نحو السماء واعني بهِ الوطن

الاحسان واعمال الخير

سيداتي وسادتي : ينظر المرء وهو في الولايات المتحدة الى الاعمال الخيرية التي

يقومون بها فلا يدري اذا كان البذل كرماً منهم او عادة اصطلحت عليها الامة بكل طبقاتها . تعمل حكومتهم كثيراً ولكن عملها لا يُذكر بجانب الاعمال العظيمة التي يقوم بها الافراد والجماعات في كل بلدٍ وحيث تمسُّ الحاجة . المستشفيات . الملاجيء . المدارس . الكنائس وكل ما من شأنه العناية بالشيوخ وبالاطفال والعمال والبنات والامهات . ولهم في جمع الاموال خطط منظمة واساليب مبتكرة يندرُ ان لم اقل يستحيل معها الفشل. واليكم ما شهدتهُ بنفسي في مدينة ديترويت التي اقمت فيها اربعة اشهر

كنت اقرأ في خلال هذه المدة في الجرائد عن « حملة » يقومون بها لجمع اربعة ملايين من الدولارات « لنسوة ديترويت » فما مررت في شارع او ركبت قطاراً كهربائيًّا او بخاريًّا او باخرة على نهرٍ الاَّ رأيت الاعلانات عن هذه الحملة مذيلة بدعوة حارة للاقبال عليها . تؤلف في مثل هذا الظرف لجنة من بعض السيدات والرجال وترسل قائمة باسماء اعضائها الى غرفة التجارة مع بيان للغرض الذي يراد جمع المال لاجلهِ وتحديد المبلغ فتدرس الغرفة التجارية الموضوع وتتأكد من ان الاعضاء هم من المشهود لهم بالنزاهة والمروءة وعمل الخير قبل ان تصادق مبدئيًّا على المشروع ثم يتناولهُ كاتما سرٍّ معيَّنان واحدٌ من قبل اصحاب المعامل والآخر من قبل اصحاب المحال التجارية او البائعين بالقطاعي فيعيدان درسه من كل نواحيهِ حتى اذا تأكدا من لزومهِ ونفعهُ صادقا على قرار الغرفة التجارية وارجعاهُ الى اللجنة القائمة بالعمل . فكل صاحب معمل او محل تجاري يطلع على هذا القرار يثق بان كاتم السرّ النائب عنهُ في الغرفة التجارية قد قام بواجبه واجرى التحريات اللازمة فليس عليهِ ان يضيع الوقت بالسؤال والجواب بل عليهِ ان يستشير قلبه وجيبه وان يجود بما تسمح نفسهُ . ولرعاة الكنائس اليد الطولى في انجاح مثل هذه الاكتتابات ولا يعرف مدى نفوذهم الاَّ الذين وقفوا على صلتهم المتينة باعضاء كنيستهم . وقد تمشى هؤلاء الرعاة مع روح العصر فتراهم في ايام الآحاد يخطبون الجماهير لا في موضوعات دينية فحسب بل يتناولون كل مايهم سامعيهم من الامور الاجتماعية والاقتصادية حتى والسياسية . وقد سمعت الدكتور بطلر رئيس جامعة كولومبيا في نيويورك يقدم في يوم احدٍ وفي الكنيسة مشروع معاهدة بين اميركا وفرنسا وضعهُ كما صرَّح بالاشتراك مع زميله استاذ التاريخ في الجامعة من غير ان يستشير حكومته او يطلعها عليهِ . قلت ان النشر قد يدوم اشهراً وفي بعض الاحيان اكثر من سنة ثم يُفتتح الاكتتاب لمدة لا تتجاوز الاسبوع كما هو المتبع في القروض الدولية . في هذه المدة

الوجيزة يجتمع الناس بالمئات والالوف كل يوم لتناول طعام الغداء في احد الفنادق الكبيرة وهناك يصلون ويخطبون ويرتلون ويأتون كل نوع من اساليب الدعاية الفعالة ثم يقدم كل فرع من فروع اللجنة الرئيسية نتيجة مساعيهِ في اليوم السابق وتدون باحرف كبيرة على جدران القاعة. قلت «فروع اللجنة» ومعنى ذلك ان اللجنة التي زكّتها غرفة التجارة تؤلف هيئة كهيئة اركان حرب وتقسم البلد الى مناطق وتضيف الى العاملين فيها كل من ترى فيهِ الاهلية من سيدات ورجال وتعين لكل فرقة رئيساً او رئيسة وتختص كل فرقة بالجهة التي تعرف اهلها حق المعرفة وتزورهم في منازلهم وفي محال عملهم وتقدم كل يوم حساباً عما جمعت . تناولت الغداء مع هذه الجماهير في فندق بوك كادلاك وكان ذلك يوم ثلاثاء وكان ميعاد قفل الاكتتاب يوم الخميس التالي فبلغت الاكتتابات في تلك الجلسة ثلاثة ملايين ومايتي الف دولار من اصل الاربعة ملايين المطلوبة . فنهض الرئيس وفاه بخطبة بليغة قال في آخرها ما معناهُ :

لم يبق لنا غير يومين لتغطية المبلغ الذي نريد جمعهُ .ومعنى ذلك ان كبار المكتتبين قد دفعوا ما ارادوا وانهُ يجب علينا ان نجمع ثمانماية الف دولار من صغار المتبرعين في يومين وهذا ما استبعدهُ جدًّا واني اخشى ان ينقضي الاجل المضروب قبل انجاز عملنا المشكور .ومن العار ان يقال بان ديترويت وهي ثالثة مدن الولايات المتحدة قد تقدمت لجمع مبلغ يصرف على تحسين حالة المرأة فيها ولم تجمعهُ في الميعاد الذي حدّدتهُ . لذلك ارجو كبار المكتتبين ان يراجعوا حساباتهم وان يضاعفوا المبالغ التي جادوا بها او يزيدوها ولكي اعطي المثل الصالح اقول اني اكتتبت من قبل بخمسين الف دولار واليوم اجعلهُ ماية الف . وقامت سيدة الى جانبهِ وقالت اني اكتتب بخمسين الفاً عوضاً عن خمسة وعشرين وتبرعت سيدة اخرى باربعين عوضاً عن عشرين. وكان فورد وامرأتهُ قد تبرعا باربعماية الف دولار وابنهُ وزوجتهُ بمبلغ مثله . وهكذا ربحت ديترويت في اليوم التالي وقد غطي الاكتتاب قبل نهاية الاسبوع بيوم . هذه هي الروح الاميركية باجمل مظاهرها . عندهم مال ولكنهم يجودون بهِ لكل عملٍ يقتنعون ان فيهِ نفعاً للانسانية ويتخطون حدود بلادهم وكلكم تعرفون شيئاً كثيراً عن اعمالهم في جهات العالم الاربع فلا حاجة بي للافاضة . وانما يلاحظ ان هذا المال لم يجمع لديهم وهم نيامٌ بل هو ثمرة علم ناضج وهمة لا تعرف الملل فالاميركي على الاطلاق يدخل ميدان العمل صغيراً معتمداً على نفسهِ لا على مال ابيهِ اذا كان غنيًّا فلا يخرج

منهُ مهما كثر مالهُ الاَّ بعد ان يترك فيهِ كل قواهُ العقلية والجسدية فكأنهُ آلة تدارُ ولا تقف الاَّ حين لا تعود صالحة للعمل وذلك يكون كما قيل لي بين الخمسين والستين من العمر . واذا تمنيت ان نتشبه بالاميركيين في امور كثيرة فاني لا اريد ان نسابقهم في هذا النوع من الاسراف في الحياة

سيداتي وسادتي : باسم جمعية الرابطة الشرقية اشكركم شكراً جزيلاً لتفضلكم باجابة دعوتها لسماع هذه المحاضرة واشكر الجامعة الاميركية التي تكرمت ففتحت ابواب قاعتها لهذه الغاية وارجو ان لا تستنتجوا من مقدمة محاضرتي اني غير مقدّر نهضتنا قدرها او ان ما ذكرتهُ عن الحالة الحاضرة يجعلني انسى الجهود العظيمة التي تبذل او المراحل التي قطعناها ولا نزال نقطعها بفضل سيدات ورجال هم موضع الفخر والاعجاب خصوصاً وانا اعلم بان تعبيد السكك السلطانية اصعب من السير عليها . كل ما ذكرتهُ لم يكن سوى بيان موجز لولع الاميركيين الشديد بتنظيم اعمالهم على احدث الطرق العلمية والعملية واشارة الى ان التشبه بالكرام فلاح

طلعت حرب بك

ومن الجحود لفضل العاملين ان لا انوّه في مثل هذا الموقف بذكر رجلٍ يريد ويقول ويعمل على ان تكون مصر للمصريين . الرجل هو طلعت بك حرب وحجر الزاوية في استقلال مصر الصحيح هو بنك مصر . اذا قلت ان الرجل بمقام الف فلا هو يرضى ولا انا اجسر ان اضع على اكتافهِ العريضة كل موارد مصر الاقتصادية وكل مستقبل مصر المالي. هو يعمل في وضح النهار ويتمنى ان يعمل معهُ كل محب لبلادهِ حريص على اعادة مجدها ورخائها . هو يعرف معنى التضامن وينادي قومه كي يلتفوا حول المشروعات النافعة ويسير في كل اعمالهِ بحكمة وروية ليأمن عثار التجارب الاولية. والذي اعرفهُ عنهُ ان صدرهُ يتسع لكل نقدٍ بريء يُراد بهِ الانتقال من حسنٍ الى احسن . ومن يقارن بين ما كان عليهِ بنك مصر يوم انشائهِ وما صار اليهِ في يومنا هذا بما تفرّع عنهُ من الشركات لا بد انهُ يؤمن بان « كل من سار على الدرب وصل » ومن يعامل بنك مصر ويلمس العناية الفائقة التي تُبذل لتسهيل المعاملات وراحة الجمهور وكفاءة وادب الموظفين فيهِ كبارهم وصغارهم يقتنع بان شباب مصر الناهض اذا قيّض لهُ من ينظم ويصرف جهودهُ في سبيل العمل النافع حقق كل املٍ جائزٍ فيهِ . ولكن بنك مصر مؤسسة واحدة والعاملون فيهِ قليل عديدهم وحاجة مصر ماسة لمؤسسات

كثيرة من نوعهِ . مصر اذا اقتصدت وقصدت قادرة ان لم يكن اليوم فغداً ان تدفع ديونها وان تشطب الرهونات عن اطيانها واملاكها وان تدير بنفسها حركة تجارتها وان تنمي صناعتها ولكن قبل الوصول الى هذه الغاية السامية يجب ان يكثر عدد الرجال الذين يضيفون الى علمهم الواسع انهم اذا اجتمعوا في وقت معين ولغاية معينة واذا عملوا فيداً واحدة وعلى خطة واضحة مرسومة متفق عليها . واذا قالوا كانوا الحكَم الذي تتطاول اعناق المصريين لسماع ما يقول

المرأة والنهضة

واني اعتقد بان نهضة مصر لن تكون جميلة وان الحديث عنها لن يكون حلواً الا اذا ذكر نصيب المرأة المصرية . يزعمون ان للهيئة الاجتماعية جسماً ويسمّون ان المرأة هي نصفه ويقولون ان الله جميل يحب الجمال . فهل لكم ان تقولوا لي انى يتأتى للجسم ان يكون جميلاً اذا كان نصفه مشلولاً وهل من الجمال ان يكون الساعد الايمن مفتولاً غليظاً طويلاً عريضاً والايسر صغيراً ضئيلاً مقيّداً ملفوفاً لا يصلح حتى للسلام عليكم ؟ جملوا العين بالتكحّل او بالكحل فهي لن تكون ساحرةً الاَّ اذا كان انسانها مرسلاً نظراتٍ صادقة . رفيقة الحياة يجب ان تفهم كل معاني الحياة . شريكة الحياة يجب ان تقوم بنصيبها من العمل . حاملة مستقبل وطنها بين ذراعيها يجب ان يكون لها فوق قلب الام الحنون عين المرشد الحكيم ورأس المفكر الذي يكيّف ذلك المستقبل بما يُعد لهُ من العدة . ليس حجاب المرأة برقعاً شفّافاً مرخيًّا فوق ملاءٍ وجهها تزيحهُ خطرات النسيم .حجاب المرأة عفافها وادبها . علمها وتربيتها . ومن شاء فليقل دينها فالفضيلة تأمر بها كل الاديان . سمعت منذ بضعة ايام المحاضرة النفيسة التي القتها في هذه الجامعة السيدة احسان احمد القوصي عن الاتحاد النسائي وهي عبارة عن تاريخ جميل لجهادٍ حسن . يبتدئ بصرخة من المرحوم قاسم بك امين ويصل الى حيث تقف اليوم السيدة هدى هانم شعراوي حاملة علماً مصريًّا في طيّاتهِ برنامج حافلٌ بجليل الاعمال .هي تريد ايواء الطفلة اليتيمة وتشغيل الفتاة الفقيرة وهي تريد ان لا تتزوج الشابة قبل ان تعرف الخير من الشر وتريد ان تحمي الزوجة باصلاح قانون وضع في غير الزمن الذي نعيش فيهِ وتريد ان تعلّم المرأة المصرية ليكون صوتها مسموعاً في المؤتمرات الدولية وفي كل مكان تتكلم فيهِ بنات جنسها وبالاختصار هي تريد ما لم ترد اكثر منهُ من قبل ايّة امرأةٍ اوروبية كانت او اميركية . ولكن مهما كانت ظروف

السيدة هدى هانم شعراوي والسيدات اللواتي يعملن معها مساعدة لهن" فالصعوبات التي تعترض كل جديد والبلاد في بدء نهضتها لا يمكن ان يكون لها طلاوة الجديد. فالاتحاد النسائي لم يجن شهداً الا ورأى دونهُ ابر النحل ولم يخط خطوة الى الامام الا والفضل كل الفضل فيها يرجع لاعضائه دون سواهن ولو غضب بعض الرجال الذين يريدون ان يكون لهم في كل عرسٍ قرص. واذكر اني سمعت اول محاضرة القتها النابغة مي" في النادي الشرقي ولم اكن قد تشرّفت بمعرفتها من قبل واذا بجالسٍ الى جانبي يهمس لآخر بانها ستتلو عليهم ما خطّهُ يراع غيرها. قلت في نفسي قد يكون سوء الظن من حسن الفطن ولكن الرواية اذا لم تكن مستندة الى الواقع فآفتها راويها. وها قد مرّت الايام وصار اسم مي اشهر من نار على علم واتضح بان ميًّا تهز قلمها بيدها وتخطب بقلبها ولسانها وصار لها في عالم الادب مكانة يحسدها عليها كثيرٌ من رجالهِ. اذن ترون من القليل الذي ذكرتهُ عن المرأة عندنا انها لا تقل عن غيرها استعداداً ومقدرة للقيام بواجب او على كسب حق منازع فيهِ واذا كانت في بداية عهدها الجديد لم تبلغ كل ما تصبو اليهِ وكل ما ينتظر منها فكل الدلائل تبشر انها تنظم صفوفها وانها ستخرج من المعارك التي تخوضها منتصرة باذن الله.

وختاماً ياسيداتي وسادتي. اذا كنت قد اشرت الى شيء مما يجب علينا اصلاحهُ والاكثار منهُ وتعميمهُ وانا عالمٌ بان للنمو والارتقاء سنّة وان التنظيم الذي انشدهُ لحياتنا العلمية والاقتصادية والاجتماعية كاساس لكل نجاح يحتاج الى وقت فارجو ان لا تحسبوني قليل الايمان بالمستقبل بل ثقوا وتأكدوا باني من الذين يجرّون سلسلة الامل حتى القبر. ولكن حبي للبلاد التي استظل سماءها واعيش من خيراتها وحنيني للبلاد التي ولدت وشبيت فيها يدفعاني لان استعجل القدر. أريد اذا تكلمنا عن نهضتنا ان تكون اعمالنا متناسبة مع اقوالنا. أريد ونحن سائرونَ في سبيل الرقي ان نكون خفافاً وان نوسع الخطى فالمرتقى صعب والمراحل شاقة. اريد اذا ذكرنا مجدنا الغابر ان لا تنام على ما فعل السلف بل انْ نعمل وان نترك وراءنا ما يفاخر بهِ الخلف. اريد اذا تحدث الناس عنا ان لا يقال باننا امانة مقدسة في ذمة التمدن بل ان يقال باننا من حاملي لوائهِ والسائرين مع الذين يدعون احتكارهُ على قدم الشرف والمساواة. اريد حين وحيث اذكر اسم مصر وسوريا ان ارفع رأسي بهما افتخاراً وان تنحني رؤوس السامعين لهما احتراماً والسلام

نسيم صيبعة

اصباغ النقوش المصرية

شاب من حولها الزمان وشابت وشباب الفنون ما زال غضا
رب نقش كأنما نفض الصا نع منه اليدين بالامس نفضا
ودهان كلامع الزيت مرت اعصر بالسراج والزيت وضا
شوقي

كيفما قلب المرء طرفهُ في الآثار المصرية القديمة يرى فيها من بدائع الصناعة ما يدهشهُ لا لانهُ يستعظم ذلك على اقوام يحسبهم عريقين في السذاجة لتوغلهم في القدم بل لانهُ لو قابلهُ بما يصنعهُ ابناء المصريين القدماء الآن لوجدهُ فوق طورهم عظمة واتقاناً بل لوجد بعضهُ يفوق ما يأتي بهِ الآن مهرة الصنَّاع في ارقى البلدان عمراناً فان فخامة الهياكل المصرية وجسامة عمدانها وكبر تماثيلها ومحاكاتها للاشياء الطبيعية كل ذلك يدهش العقول ويقضي بان صناعة البناء والنقش قد بلغت اعلى درجات الاتقان في ايام الاقدمين كما بلغت اشعارهم وحكمهم اعلى درجات البلاغة

ولقد ثبت من تحليل الاصباغ التي كان المصريون القدماء يلونون بها نقوش مبانيهم ان اكثرها معدني فالصبغ الاحمر الذي كان المصريون القدماء يستعملونهُ هو اكسيد الحديد الاحمر الطبيعي (المغرة) وقد وجد السر فلندرز بتري الاثري قطعاً كثيرة منهُ وحلّلت قطعة منها فوُجد فيها ٧٩ في المائة من اكسيد الحديديك وحللت قطعة اخرى فوجد فيها ٨١ في المائة من هذا الاكسيد. وجميع القطع الكبيرة التي وُجدت بين الآثار المصرية ملساء مستديرة من احد جوانبها كأنها اذيبت اولاً ثم صبت في اناء مستدير لكي تبرد لكن هذا التعليل بعيد والتعليل الاقرب انها كانت تحك مع قليل من الماء في اناء مستدير فينحلُّ جانب منها في الماء وهو الصبغ المطلوب وبذلك يستدير سطحها وينصقل وقد ثبت ذلك بالامتحان فحُكَّتْ هذه القطع في اناء مستدير مع قليل من الماء فخرج منها صبغ احمر جيد يلصق بما يدهن. ويشبه الاصباغ الحمراء التي على الآثار المصرية القديمة

وفي الآثار المصرية صبغ آخر اشد حمرة من الاول وأبهى لوناً وهو من قطع نقية من حجر الدم كانت تسحق وتغسل وتعرض للهواء مدة فيكون منها صبغ احمر ثابت لا تفعل بهِ الحوامض ولا الحرارة ولا الرطوبة ولا النور

والاصباغ الصفراء التي استعملها المصريون القدماء طبيعية ايضاً مثل اكسيد الحديد وهي اذا بلت كان ملمسها صابونياً وقوامها لزجاً كالزبدة ويجري قلم المصور بها بسهولة ولونها ثابت لا يتغير ولو لم تقوَ على الفواعل الكيماوية كالاصباغ الحمراء . وقد وجدت قطع منها في تل العمارنة وغيرهِ من الخرائب القديمة. وكان المصريون الاقدمون يمزجون الصبغ الاحمر بالاصفر فيكون منهما صبغ برتقالي اللون وقد وجد هذا الصبغ في مدفن نفرمت الذي كان من اهل بلاط الملك سنفرو احد ملوك الدولة الرابعة المصرية التي حكمت منذ ستة آلاف سنة اي قبل خوفو باني الهرم الاكبر من اهرام الجيزة . والنقوش عميقة على هذا القبر ومملوءة بهذا الطلاء ويقال فيها ان نفرمت « صنعها وكتب بها لمعبوداتهِ كتابة لا تفنى » ولقد اصاب في ما قال لان كل ما في تلك النقوش والكتابات من الاصباغ لم يزل ثابتاً الى يومنا هذا وسيبقى ابد الدهر ان لم تزلهُ ايدي الحمقى

وكان عندهم طلاء آخر اشدُّ صفرة وابهى لوناً من اكسيد الحديد وهو كبريتت الزرنيخ الاصفر المعروف بطعم الفار وهو طبيعي لا صناعي ولكنهم لم يستعملوهُ قبل ايام الدولة الثامنة عشرة من الدول المصرية . وكانوا ماهرين ايضاً بتطريق الذهب وجعلهِ ورقاً رقيقاً والصاقهِ بالخشب والجبس وما اشبه كما يفعل المذهبون الآن . وكانوا يستعملون طلاء اخضر طبيعياً من الحجر الملكي الاخضر وطلاء ازرق من الحجر الملكي الازرق وكلاهما من مركبات النحاس

وهذا من قبيل مواد الطلاء الطبيعية لكن الطلاء الازرق الذي كان كثير الشيوع عندهم صناعي لا طبيعي وكانوا يصنعونهُ قبل المسيح بالفين وخمسمائة سنة وهو نوع من الزجاج يصنع بمزج الرمل والجير (الكلس) والقلي ومعدن النحاس وحرقها معاً حتى يتكوَّن منها زجاج ازرق . وقد حُللت قطعة منهُ تحليلاً كيماوياً فوجد فيها جزءان في المائة من اكسيد النحاس وثمانية وثمانون جزءاً من السلكا وجزء من الصودا وثمانية اجزاء من الجير وقليل من اكسيد الحديد . ومعلوم ان عمل هذا الزجاج يقتضي مشقة عظيمة واعادة الامتحان مراراً متوالية ولا ينجح الصانع مرة حتى يفشل مراراً ومع ذلك تعلَّم صنَّاع المصريين بعد الامتحان والتكرار والمزاولة عمل هذه المادة الزجاجية واستعمالها طلاء ازرق بديعاً ولا بدَّ من انهم كانوا ينقون عناصرها ويمزجونها بعضها ببعض على نسب ومقادير معلومة فاذا كان حجر النحاس من جزئين الى خمسة في المائة

كان لون الطلاء ازرق صافياً واذا كان حجر النحاس من ٢٥ جزءاً الى ٣٠ كان لون الطلاء ازرق قاتماً او بنفسجيًّا وان كان اكثر صار لونهُ اسود واذا قلَّ القلي كثيراً فالحاصل مادة رملية لا قوام لها واذا كثر كثيراً فالحاصل جسم صلب لا يحك منهُ الطلاء المطلوب . ولذلك كان عليهم ان يزنوا العناصر كلها ويعلموا مقاديرها تماماً ومن ثمَّ استعمل الميزان في الاعمال الكيماوية . وكان عليهم ان يصهروا هذه المواد في اكوار مخصوصة ويراقبوا حرارتها مراقبة شديدة زماناً طويلاً ويمنعوا الغازات من العود الى المواد المصهورة والامتزاج بها لئلا تسودَّ من ذلك . وهذا كلهُ قد صنعوهُ واتقنوهُ بعد المزاولة الطويلة

ويظهر من شكل القطع الباقية الى الآن من هذه المادة الزجاجية انها كانت تحك في آنية مستديرة مع قليل من الماء فيخرج منها صبغ ازرق. وكانوا يضيفون اليها احياناً قليلاً من اكسيد الحديد وهم يصنعونها فيضرب لونها الى الخضرة او يقصّرون مدة الصهر فيكون لونها اخضر حائلاً

وكل انواع الطلاء الازرق المصنوع على هذه الصورة ثابت اللون لا تغيرهُ الشمس ولا الحوامض

وكان عندهم طلاء آخر صناعي قرنفلي اللون وهو نباتي الاصل فاذا احمي خرج منهُ دخان كثيف وزال لونهُ وبقي منهُ بقية بيضاء هي كبريتات الجير (جبسين) ومعلوم ان كبريتات الجير وكربونات الجير كانا يستعملان بكثرة كطلاء ابيض والظاهر ان المصريين القدماء كانوا يصبغونهما بمادة نباتية حمراء اللون فيصير منها طلاء قرنفلي والمادة النباتية الحمراء هي الفوَّة

ومعلوم ان جذر الفوة الذي يستخرج منهُ الصبغ الاحمر الثابت الذي يصبغ بهِ القطن يحتوي صبغاً ارجوانيًّا وصبغاً برتقاليًّا وصبغاً اصفر عدا الصبغ الاحمر المشهور وتستخرج منهُ هذه الاصباغ بهرسهِ ونقعهِ في الماء مدة من الزمان فتخرج منهُ الاصباغ بعضها قبل بعض وتتغير الوانها باضافة شيء من الحديد او الجير او الشب الابيض اليها . واذا اضيف الجبسين الى نقاعتهِ صُبغ بصبغ قرنفلي ورسب في قعر الاناء . والظاهر ان المصريين القدماء كانوا يفعلون ذلك . وقد ثبت هذا ايضاً بالحل الطيفي بالسبكتروسكوب . وقد أُمتحن ذلك فثبت منهُ ان المصريين القدماء كانوا يستخرجون الصبغ الاحمر من جذور الفوَّة

قبل ان يصيح الديك

قصة تبدأ في فندق ميناهوس عند سفح الاهرام وتستأنف في الموسكي
وحلوان وتختم في الصحراء

جلس ثلثة فتيان وفتاة حول مائدة صغيرة على دكّة في فندق ميناهوس ، تُشرف على البادية . وفيما هم يراقبون مغيب الشمس ويمتّعون انظارهم برؤية الشفق ، تصبغ محيّا الافق المغشّى بصفرة الحزن على فراق الغزالة ، أوحى اليهم جمال هذا المنظر الرائع ان يراعوا النظير ويجعلوا مدار حديثهم البحث في كلّ معنىً جميل وسامٍ كالايمان والإخلاص والصداقة والوفاء ومقتضياتها . فقالت الفتاة وعلى وجهها سيماء الرزانة والتروّي : « اما انا فقد يسهل عليَّ اغتفار اية نقيصة او جريمة كانت ما عدا الغدر والخيانة . وعندي ان الصداقة تستلزم الامانة التامة بلا قيدٍ ولا شرط »

وقال روبرت مارتن ،وكان اصغر الشبان الثلثة سنًّا ، بلهجة الحماسة والاقدام:—

« هذه حقيقة لا يختلف فيها اثنان . ولا يخون صديقهُ الاَّ كل سافلٍ ساقط الشأن »

وقال ديفد روك وعيناه ُ ناظرتان الى الغسق يرخي سدولهُ بعد تصرُّم الشفق :

« ولكن ما قولكم اذا اضطرّ الانسان الى ارتكاب الخيانة في سبيل إنقاذ نفسهِ او الدفاع عنها ؟ فالحياة كما تعلمون عزيزة وشهية . وقد يأتي على الانسان حين يرى فيهِ حياتهُ متوقفة على خيانة صديقهِ والتضحية بهِ »

فردّت عليهِ الفتاة بحزم ولطف : —

« لا يا مستر ديفد ! ما من شيءٍ على الإطلاق يسوغ خيانة الصديق وإسلامهُ للهلكة. وان الموت لافضل جدًّا من حياة موصومة بعار الغدروالخيانة.فالنار ولاالعار»

«ولاخير في ردّ الردى بنقيصةٍ كما ردَّهُ يوماً بسوءتهِ عمرُو »

فوقع كلامها احسن موقع في نفس ديفد وفتح عينيهِ فرأى للصداقة الحقيقية صورة اسمى جدًّا وابهى من صورتها التي كانت مرسومة قبلاً في ذهنهِ .وكان الشابّ الثالث فتىً شرقيًّا مليح الطلعة تلوح عليهِ سمات النبالة والذكاء . فنظر الى صديقهِ ديفد ومن فورهِ استدلّ على تأثير كلام الآنسة لورين فيهِ واقتناعهِ بصحة رأيها في الصداقة

ثم التفتت الفتاة اليهِ وسألتهُ : « ما رأي محمود بك في هذه المسألة ؟ ألا يستحقُّ الإخلاص في شرعك ان يكون في هذه المرتبة الرفيعة ؟ »

« بلى ايتها الآنسة الفاضلة . فلقد اصبتِ كبد الصواب في ما ذكرتهِ عن هذه الفضيلة الجليلة . وعندنا نحن معاشر الشرقيين ان الإخلاص — الاحتفاظ بالتقاليد ورعاية اواصر القربى وصلات الصداقة — من اسمى الفضائل . وفي وسعنا ان نضرب صفحاً عن اشياء كثيرة . وفي بعض الامور ترينا اشدَّ من الغربيين مساهلةً ومياسرة ونحن اصحاب القول « العفو من شيم الكرام » و « الكريم من عذر » ، الاَّ في نقيصة الخيانة او معرَّة الغدر فانها عندنا جريمة لا تغتفر . ففي اقترافها عار وهوان مدى الزمان ولله ما قالهُ واحدٌ من شعرائنا :

« فالمنايا ولا الدنايا وخير من ركوب الخنا ركوب الجنازهْ »

وقال الآخر :

« غير انَّ الفتى يلاقي المنايا كالحاتٍ ولا يلاقي الهوانا »

فقالت ايفا لورين خافضةً صوتها : « ومع ذلك تراني على الدوام شاعرة بالشفقة على الخائن الغادر . لذلك ارثي من صميم فؤادي لبطرس الرسول الذي بعد ما جاهر بانهُ مستعدٌّ لان يموت عن سيّدهِ ، انكرهُ كل الإنكار »

واقتبس ديفد روك كلام الانجيل . « قبل ان يصيح الديك مرتين تنكرني ثلث مرّات » . ونظرت الفتاة الى الشابّ المصريّ بين الخجل والاستحياءِ وقالت :

« لعلَّ لك بعض الإلمام بكتابنا فتذكر بقيَّة هذه القصة وكيف ان بطرس انكر المسيح جهراً امام الجميع و » ثم اسرت تتمَّة كلامها بصوت خفي مهموس قائلة « وللوقت صاح الديك » فقال محمود بك برقة ولطف : « نعم . ولكنَّ هذا الرسول نفسهُ ما لبث ان تذكر انكارهُ لسيدهِ فبكى بكاءً مرًّا ثم مات اخيراً شهيد السّيد الذي أنكرهُ » ثم نهض واقفاً وقال لها : — « لقد حان وقت رجوعي الى القاهرة . واخشى أن اكون قد أطلتُ مكثي عندك ايها الآنسة لورين وأسرفتُ في التثقيل عليك »

« لا . لم يكن شيء من ذلك على الإطلاق . ويسرنا دائماً ان تزورنا على السعة والرحب . واذا كان لابدَّ من ذهابك الآن أفلا تودُّ ان تودع ابي ؟ ولعلك تروم رؤية بعض الصور التي يريد ان يطلعك عليها »

ثم ذهبت بهِ الى ابيها . فقال روبرت مارتن مخاطباً ديفد روك بلسان التبرم والتذمر

« لا استصوب الإفراط في العناية بشأن هذا الشاب الوطني . واقلُّ ما فيهِ انهُ ليس بانكليزي»

« نعم ولكنهُ من صفوة الشبان علماً وادباً وتهذيباً ، علاوة على كونهِ شريف الاصل وكريم المحتد . وما دام السر هنري لورين راضياً عنهُ وغير مبدٍ اقل مانع لمصاحبتهِ ومصادقتهِ فمن الفضول أن نتعرَّض لما لا يعنينا »

فذهب روبرت عابساً مقطباً وبقي ديفد وحدهُ ينظر الى الظلام المطبق على الصحراءِ بين القلق والاضطراب . لانهُ هو نفسهُ ودّ لو كان مشمولاً برعاية ايفا لورين وملحوظاً بعين عنايتها وبعبارة اخرى نقول انهُ احبَّ هذه الفتاة الحسناء حبًّا تيَّمهُ وتصبَّاهُ حتى كان من دونهِ هيام قيس بليلاهُ . وكان يتوقع سنوح فرصة ينتهزها ويبوح فيها بوجدهِ وغرامهِ ويعرض عليها قبولهُ خاطباً لها

ولم يكن يشكّ في انَّ العلاقة التي بين الشابّ المصريّ والفتاة الانكليزيَّة لاتتعدَّى حدود الصداقة . وعلم فوق ذلك من صديقٍ لهُ انَّ محمود بك تجرَّع خيبة املٍ مرَّة في سبيل الحب من عهد غير بعيد . فإنَّ الفتاة التي شغف حبُّها فؤادهُ زُفَّت منذ ستة اشهر الى واحد من كبار التجار الاغنياء في القاهرة ولكنَّهُ طاعن في السنّ . ومما علمهُ من هذا الخبر ان محموداً باقٍ يعلّل نفسهُ بإمكان استرداد حبيبتهِ ياسمين وانتزاعها من يد المغتصب

وكان محمود صديقاً صادقاً للشابَّين الانكليزيَّين اللذين كانا كلاهما من موظفي الحكومة المصريَّة في القاهرة ، لا يألو جهداً في عمل ما يسرّهما وقضاءِ ما تمسُّ حاجتهما اليهِ . كان يُعيرهما جوادين من كرام خيلهِ ويدعوهما من وقت الى آخر لتناول الغداء او العشاءِ في بيتهِ الفخم الانيق في شارع شبرا . وكان مثلاً مضروباً في دماثة الاخلاق ورقّة الجانب ولين العريكة . فكان ديفد يأنس بهِ ويرتاح لمعاشرتهِ . امَّا روبرت فوجد ، او ادَّعى انهُ وجد في أثناءِ صحبتهِ ما أغارهُ من اختصاص الآنسة لورين لهُ بالرعاية والالتفات . وعلى توالي الايَّام ظلّ محمود يتعهّد ذينك الشابَّين بمعروفهِ وجميلهِ . فكان لهذا العمل الحميد احسن تأثير حتى في غيرة روبرت فاستأصل شأفتها من صدرهِ ولكنَّهُ لم ينفكّ غير مستحسن لسرور ايفا بصحبة محمود

٢

وفي الاسبوع الاول من العام الجديد ذهب السر هنري وكريمتهُ الى حلوان

لقضاء بضعة ايام . ودعوا ديفد وروبرت لحضور حفلة رقص في الفندق . وكان نور القمر الساطع اكبر معين على جلاء محاسن تلك الحفلة الشائقة . ولم تبدُ ايفا لورين قطّ لعيني ديفد بمثل البهاء الباهر والحسن الخالب الساحر اللذين بدت بهما في تلك الليلة . لكنّهما عند ما خرجا في فترة الرقص الى حديقة الفندق واطلا من جدارها على الصحراء الفسيحة الارجاء كان حديثهما خارجاً عن ذلك السهل المطمئنّ الذي نشر عليهِ ضياء القمر بساطاً من لجين وجعلهُ طيباً للنفس وقرة للعين

كان موضوع حديثهما نبأ القتل الصادع الذي ذاع في ذلك اليوم فارتجّت لهُ القاهرة — مقتل ياسمين الجميلة زوجة الكهل عليّ لا لا الصائغ الشهير في الموسكي . هذا الحادث الخطير استطار خبره فتناقلتهُ الالسنة مقترناً بذكر محمود بك . ولما بلغ مسمع ايفا استزادت ديفد إيضاحاً وتفصيلاً فاجابها بخلاصتهُ ان محموداً هام بياسمين الحسناء وهي هامت بهِ . ولكن كان حبّهما سرّاً مكتوماً . ويظهر ان قلب هذه الغادة كان كالغصن يميل مع كل ريح تهبُّ عليهِ وتسرُّ حديث الوجد اليهِ . وحدث انّ محموداً زارها مرّة في اثناء غياب زوجها ، على غير توقّع ولا انتظار فوجدها بين ذراعي محبّ آخر . ومن فورهِ أطلق عليهما الرصاص فقتلها وتوارى عن الابصار والى الآن لم يوقف لهُ على اثر .ولما فرغ ديفد من كلامهِ قالت ايفا والحزن آخذ منها كلّ مأخذٍ : « يالهُ من خبرٍ يبعث على الاسف والاكتئاب ! ولكن محموداً كان دائماً نموذج الرقّة واللطف وعنوان الرصانة وبعد النظر . فيصعب على من يعرفهُ ان يتصوّرهُ من زمرة القتلة سافكي الدماءِ »

« اظنّهُ اقدم على ارتكاب هذه الجريمة تشفّياً وانتقاماً بل بالحريّ عقاباً لياسمين على خيانتها . ولعلّ تربيتهُ الشرقيّة والعادات التي شبّ عليها تهوّن عليهِ ركوب هذا المركب الخشن »

« ولكنّهُ كان يحبّ ياسمين محبة تفوق الوصف مع كونها زوجة رجل آخر »

« نعم . وكان قد خطبها منذ وقت طويل . وفي اثناء غياب محمود عن القاهرة زوّجها ابوها للصائغ الكهل . فعوقبت تلك المنكودة الحظ بالقتل جزاء ما كانت عليهِ من سرعة التقلّب والتحوّل . أمّا محمود فقد لا يتاح لنا ان نراهُ بعد الآن »

« اذن لاذ باطراف الفرار ؟ »

« نعم . اوغل في الصحراء . وذهب الى حيث يتعذّر اقتفاء اثرهِ والقبض عليهِ .

واسوف نشعر بوحشة وغمٍّ على فراقهِ . لأ نهُ كان على جانب عظيم من حسن التناول وكرم الضيافة .

« هذا لسان حال الجميع — جميع معارفهِ واصدقائهِ . ولا أعلم هل هو آسف الآن على ما بدر منهُ في ساعة الغيظ والحنق ? ولا ادري هل زالت محبتهُ لياسمين عند ما تحقق خيانتها لهُ ? »

« ليست المحبَّة مما يسهل زواله بهذه السرعة »

قال ديفد هذا واستعان بضياء القمر الباهر وجلال البادية الساحر على حل عقدة لسانهِ وإعلان ما لم يبق عندهُ صبر على كتمانهِ . ولم يلبث ان رفع نظرهُ اليها وقال لها :

« اعلمي يا إيفا ان تعريضك بذكر المحبة هاج بي الشوق الى التصريح بما في نفسي فعدت غير قادر على السكوت عنهُ . افلا تدرين أني أحبّكِ وأني كنت هذه المدة كلها كاتماً محبتي لك غير بائح بسرها لاحد ? اولا تكافينني على هذه المحبة بمثلها — او على الاقل بما يساوي جزءا منها ? تريَّثي في الجواب ولا تعجلي ! أعيري هذه المسألة ما تستحقهُ من التأمل . واذا صحت عزيمتكِ على إجابة سؤلي كنت اسعد انسان في العالم! »

ثم ساد سكوت عميق رهيب وكأنَّ البادية نفسها اشتركت فيهِ واخذت نصيبها منهُ وبعث القمر بضيائهِ فضافح محيّا إيفا الجميل وكساهُ حلة لجينيَّة زادتهُ اشراقاً وبهاء . ونظر اليها ديفد وهو جالس بجانبها فرأى صدرها يخفق تحت ثوبها الحريريّ البنفسجيّ اللون . وبعد تأمّلٍ وجيز التفتت اليهِ وقالت :

« هل تعني ما تقول ? هل تحبّني ? أتروم ان اكون زوجة لك — يوماً ما ? »

« نعم . نعم . يا إيفا . هذا ما اعنيهِ . وانتِ — اترومين ان تجيبيني بالرضى والقبول? اني لشدة فرحي وابتهاجي أكاد اشكُّ في إمكان فوزي بهذه الامنيَّة العظمى ! »

فقالت وقد صبغ الحياء وجهها الناصع البياض وطبع على كل خدٍّ وردة :

« اذا كنت تروم الاقتران بي وأمهلتني قليلاً فإني مستعدَّة بملء السرور ان اصرّح بالرضى والقبول ! »

ولمـا عُرِض هذا الامر على ابيها السر هنري لورين لم يبدِ اقلّ معارضة ولكنَّهُ اشترط كتمان خبر الخطبة مدة الاسابيع التي كان مزمعاً ان يقضيها هو وابنتهُ في القاهرة . وقال للخطيب ان ابنتهُ لاتزال دون العشرين وان انتظار بضعة اشهر لايكون لهُ اقلّ تأثير في سعادتهما المستقبلة . فوافق ديفد على ذلك شاكراً مسروراً

٣

وكان قد سبق واتفق هو وروبرت ان يذهبا الى البادية راكبين ويقضيا ثلاثة — او أربعة — ايام مجوّلين في اطرافها . وربّما أن يكون ذلك في اثناءِ غياب السر هنري وايفا في الاسكندريّة . وكان روبرت لا يعلم شيئاً عن خطبة ديفد لإِيفا . وفي صباح اليوم التالي ، بعد ما برح السر هنري وابنتهُ القاهرة ، امتطى كلٌّ من الشابَّين حصانهُ وأغذَّا السير في طريق الصحراء

اما محمود بك فالأَخبار عنهُ ظلّت الى هذا الوقت منقطعة السبب ومنطمسة الاثر مع شدة اهتمام سكّان القاهرة بها واجتهادهم في تنسُّمها وتسقُّطها . لانهُ كان محبوباً مكرَّماً عند جميع الذين عرفوهُ وكثير ما هم . وكان الرأي العامّ مؤاسياً لهُ وعاطفاً عليهِ وقادراً لبسالتهِ حقّ قدرها . وقد بذلت الحكومة ما في طاقتها من الاجتهاد في التفتيش عنهُ فذهبت مساعيها ادراج الرياح ولم تقترن بشيءٍ من النجاح . وفيما كانت عزيمتها صائرة الى الوهن والفتور عرض لها ما شحذ حدّها وجدَّد نشاطها وهو قدوم رجلين من اعيان السودان تلوح عليهما امارات النبالة والوجاهة . هذان الرجلان قالا عند وصولها الى القاهرة انهما اخوا ياسمين القتيل وقد اتيا ليقتفيا اثر القاتل ويمكّنا العدالة من معاقبتهِ على ما جنتهُ يداهُ

وهذان الرجلان كانا موضوع حديث روبرت وديفِدْ حينما برحا القاهرة في يوم من ايام يناير قاصدين البادية . فقال روبرت :

« اني آسف جدًّا على ما يلقاهُ محمود بك من هذين الرجلين اذا تمكنا من العثور عليهِ » . وقال ديفد : « نعم لانهما سوف يوقعان بهِ اشدّ ضروب النكال . ولكنني اتوقّع انهُ اصبح الآن في مأمن من هذا الخطر . وارجو من صميم فؤادي ان يصح ظني هذا وينجو صديقنا محمود من ايدي مطارديهِ . وكان يجب على اختهما ان ترعوي عن طيشها ولا تمكر بمحمود الصادق الامين »

« تلك شيمة بعض النساء . فإِنَّ قلوبهنَّ كابي رياح[1] تدور باضعف هواء »

« وهي ايضاً شيمة بعض الرجال . ومن قديم الزمان اشتهر الانسان بنكث العهود ونقض المواثيق »

« نعم . ولكن شيوع هذه الخلّة الشنيعة بين النساء اكثر منهُ بين الرجال فلا

(١) مثل في الطيش وسرعة التقلب

يسهل على الرجل ان يغدر بخليلهِ كما يسهل على المرأة ان تخون صديقتها. اما انا فيصعب عليَّ ان اتصوَّر نفسي مسلماً صديقي للهلكة في سبيل إنقاذ حياتي »

فقال لهُ ديفد برزانة ووقار: « اخاف انهُ ليس في طاقتك تحقيق هذه الدعوى العريضة. فالحياة عزيزة وغالية وليس في استطاعة احدٍ ان يعلم كم يجب عليهِ ان يفعل ليحول دون انطفاء مصباح حياتهِ ودنوّ يوم وفاتهِ »

فردّ عليهِ روبرت بلهجة الصلف والعناد وقال: —

« على كلّ حال هذا شعاري. وهذه المشكلة — مشكلة الامانة حتى الموت — قلما تعرض للناس. ولكني واثق كلَّ الثقة باني مستعدٌ للعمل بموجب قولي هذا في اية حالة كانت ». وعند هذا الحدّ وقفا في كلامهما على هذا الموضوع وقضت التقادير ان يذكراهُ عما قليل

٤

وفي صباح اليوم التالي هبَّ عليهما إعصار[1] شديد انتشرت سحبهُ في جوّ البادية كلها انتشاراً كثيفاً مخيفاً حجب عنها ضياء الشمس وغشّى على الضارب في فلواتها بظلام دامس يعمي الابصار. وغادر ديفد وروبرت وجواديهما في اسوإِ حالةٍ. فلقي الجوادان ما لا يطاق من ضروب الإعنات والإرهاق وهما يخبطان براكبيهما على غير هدًى في ذلك الديجور المطبق ويتفصَّدان عرقاً. وعانى الفارسان ما لا يوصف من تلك الريح الهوجاء العاتية التي عصفت عليهما عصفاً عنيفاً برَّح بهما وكاد يوردها مورد التلف. فكانت الريح تلفحهما بلهيب يُذوي الجسوم ويُذيب حبّات القلوب وتثير الحصباء والرمال وتسفها في وجهيهما وتذيقهما امرّ كؤوس العناء والعذاب

وعند مغيب الشمس أخذ ديفد بعنان جوادهِ وثناهُ عن المسير وصاح باعلى صوتهِ منادياً رفيقهُ الذي حجبهُ عنهُ غسقُ الإعصار، وقائلاً لهُ:

« عبثاً نحاول يا روبرت مواصلة المسير تائهين ضالين ومستهدفين لخطر الموت جوعاً وعطشاً وإعياءً. فمن الصواب ان نفتش عن ملجإٍ نعتصم بهِ ونتوقَّع الفرج »

فاجابهُ روبرت بصوت يشفُّ عن شدة اللغوب وفرط الاعياء: —

« ولكن اين نجد هذا الملجا؟ ما لعين الملاجئ من اثر في هذه المفازة المهلكة.

---

(١) ريح تهب من الارض كالعمود نحو السماء. ويعرف بالهبوب والعرب تسميه زوبعة والهوجاء الريح التي تقلع البيوت. والعاتية الشديدة العصف

ويلاه ! هوذا الإعصار يستأنف الكرَّ بما لا مزيد عليهِ من الشدة والعنف ! »

وما فرغ من كلامهِ حتى ابصرا ريحاً زعزعاً تشنّ عليهما غارة شعواء وتمطرهما بوابل من الرمال والحصباء وكانا قبل تعرّضهما لها قد تقاربا ووقفا احدهما بجانب الآخر . فلما غشيتهما الزوبعة لطمت الجوادين لطمة شديدة فسقطا والقيا راكبيهما الى الارض . وكان من حسن حظّ ديفد أنَّهُ تمكّن من النهوض والقبض على عنان جوادهِ . لكنهُ لم يقدر ان يرى رفيقهُ . فهالهُ الامر لانَّ حالتهما الحاضرة تقضي بان يكونا قريبين احدهما من الآخر ليتّحدا متكاتفين على صدّ تيّار الإعصار ودفع ما تعرّضا لهُ من الاخطار. فصاح باعلى صوتهِ منادياً رفيقهُ باسمهِ مرّة بعد مرّةٍ من غير ان يلقى مجيباً . واخيراً سمع صوت مجيب ولكن من جهة اخرى

فظل ديفد رافعاً صوتهُ بالنداء وهو يتلقّى صدمات الاعصار ، قابضاً بيدهِ الواحدة على عنان جوادهِ ومتلمساً بيدهِ الاخرى طريقهُ تحت ستر الظلام الحالك. واذا بشخص عرض لهُ فجأة وخاطبهُ باللغة الفرنسية قائلاً لهُ ما ترجمتهُ : —

« أراك زائغاً عن طريق الهدى ». ثم كلمهُ باللغة الانكليزية بجدٍّ واهتمام قائلاً :—

« لم يدر قط في خلدي ان التقي السيد ديفد ضالاً في غمرة هذا الإعصار ! »

— « نعم . ولكن اصحيح انك انت محمود بك ؟ » — قال ديفد هذا لانهُ بالجهد استطاع ان يصدق ان هذا الشخص ذا اللحية والعباءة هو صديقهُ . فاجابهُ محمود هازاً كتفيهِ وباسماً بسمة التهكم والاستهزاء : —

« لك الحق ان تستغرب ذلك . ولكن هكذا قدّر فكان . وها انا الآن قاتلٌ لاجئٌ الى الفرار وهارب من وجه العدل

— « بلغني بمزيد الاسف كل ما اصابك. فهل انت بمأمن هنا او على الاقل سائر في طريق الامان ؟ »

— نعم. فبعد ثمانٍ واربعين ساعة تراني بمنجاة من كل خطر وبين اصدقاء يفتدوني بارواحهم ولا يسلموني . اما الآن فاني لاجئٌ الى مخبإٍ قديم ريثما تنكشف غمة هذا الإعصار. ويسرّني ان اعرض عليك مشاركتي في هذا الملجإ. اظنك لستُ وحدك هنا ؟»

— « معي روبرت فقط . وسنقبل كلانا دعوتك هذه بشكر يقصّر عنهُ الكلام »

— « اهلاً بكما ومرحباً ! واظنني ارى صديقك من خلال سُحب الإعصار»

(البقية في الجزء التالي) ترجمة : اسعد خليل داغر

وتخذتم موج الأثير بريدا

من قصيدة لحافظ بك ابراهيم

أنشدها في حفلة كلية البنات الاميركية بمصر في ٢٥ مايو الماضي

أي رجال الدنيا الجديدة مهلاً   قد شأوتم بالمعجزات الرجالا
وفهمتم معنى الحياة فأرصد   تم عليها لكل نقص كمالا
وحرصتم على العقول فحرّمـ   ـتم عصيراً يراه قوم حلالا
وقدرتم دقيقة العمر خرصاً   وسواكم لا يقدر الأجيالا
كم أحالوا على غدٍ كل أمر   والمحيل الامور يبغي المحالا
قد تحديتمو المنية حتى   همّ ان يغلب البقاء الزوالا
وطويتم فراسخ الارض طياً   ومشيتم على الهواء اختيالا
ثم سخرتمو الرياح فسستم   حيث شئتم جنوبها والشمالا
تسرجون الهواء ان رمتم السير   وفي الارض من يشد الرحالا
وتخذتم موجَ الاثير بريداً   حين خلتم ان البروق كسالى
ثم حاولتمو الكلام مع النجم   فحملتمو الشعاعَ مقالا
ومحا (فورد) آية المشي حتى   شرع الناس ينبذون النعالا
وانتزعتم من كل شبر بظهر الا   رض او بطنها المحجب مالا
وأقمتم في كل أرض صروحاً   تنطح السحبَ شامخات طوالا
وغرستم للعلم روضاً أنيقاً   فوق دنيا الورى يمدُّ الظلالا
وحللتم بأرضنا فعرفنا   كيف تنمون بيننا الأطفالا
ورأينا البنات كيف يثقفن   بعلم يزيدهنّ جمالا

ما وراء المجرة

العوالم الجزرية وعظمة الكون

احدث المباحث الفلكية

علم الفلك او علم الهيئة من اسمى العلوم واعلاها بالنفس. واذا اريد التدقيق فيه فهو من اعوص العلوم لانه مبني على ادق القوانين الرياضية والطبيعية وهو كذلك اول علم استقرى الانسان شيئاً من قواعده وادق علم وصلت اليه معارف البشر واسمى علم يتفرغ له كبار العلماء. وفيما يلي نبذة من احدث المباحث الفلكية في موضوع يفتن كل لب وهو سعة هذا الكون وعظمة مبدعه. فقد اثبت علماء الفلك حديثاً ان في الفضاء اكواناً عديدة كل كون منها مثل المجرة التي منها نظامنا الشمسي سعة وعظمة. حتى اذا صغرت ارضنا وصار حجمها حجم الجوهر الفرد بلغ حجم الكون الذي يرى بالتلسكوب حجم الارض وبلغ حجم الكون كله على ما يقضي بمذهب اينشتين الف مليون ارض منتشرة حولها في الفضاء. فما اصغر ارضنا ازاء هذا الكون العظيم! وما احقر امورنا ومنازعاتنا ازاء القوى التي تديره وتحركه!

ادرك القدماء ان في القبة الفلكية اجراماً غير الشمس والقمر والنجوم. لان الذين راقبوا السماء منهم في ليالٍ صافية شاهدوا قرب كوكبة الجبار وكوكبة المرأة المسلسلة تلك الغيوم المنيرة التي ندعوها بالسدم الآن. وقد اشار اليها ابو الحسن الصوفي أكبر علماء الفلك عند العرب فقال انهُ رأى سديم المرأة المسلسلة وسماهُ « لطخة سحابية » واشار اليهِ والى غيرهِ مما يماثلهُ بكلمة اللطخة او السحابي. على ان هذه الاجرام بقيت اسراراً مغلقة على الفهم البشري حتى كُشف التلسكوب فازاح اللثام عن حقيقتها

فلما استنبط غليليو تلسكوبهُ الكاسر ووجّههُ الى انحاء المجرة التي تظهر فيها السدم او اللطخ السحابية فثبت لهُ انها في الحقيقة مجاميع من النجوم تظهر قريبة بعضها من بعض لبُعدها فتتعذر رؤيتها نجماً نجماً. وفي آخر القرن السابع عشر استنبط السر اسحق نيوتن التلسكوب العاكس وعكف العلماء على اتقانهِ فلما انقضت مائة وخمسون سنة على استنباطهِ صنعت تلسكوبات كبيرة واستعمل اللورد رس احدها في البحث عن حقيقة السدم فوجد ان السديم الذي في كوكبة السلاقيين يظهر لدى رؤيتهِ بتلسكوب

قوي مجموعة من الكواكب منتظمة في شكل حلزوني . ومن ثم صار البحث عن السدم الجديدة والانقطاع لدرس اشكالها وبنائها من اكبر اعمال الفلكيين شأناً واعلقها بالبابهم . وقد كشفت حتى الآن مئات من السدم اللولبية وغيرها

وما كاد العلماء يكشفون هذا القدر منها حتى اخذوا يتكهنون في حقيقتها وذهبوا في ذلك مذاهب شتى . هل هي مجاميع من النجوم تظهر لطخاً سحابية لبُعْدها وانها اذا نُظر اليها بتلسكوب قويّ حلّلها الى اجزائها ؟ ام هي غيوم منيرة بنور النجوم القريبة منها ام هي غاز ملتهب منتشر في الفضاء ؟

في الجواب عن هذه الاسئلة اثبت السر وليم هجنس ان من السدم ما هو مجموع نجوم تُرى نجوماً لبُعْدها الشاسع ومنها ما هو في الحقيقة لطخ سحابية من الغاز الملتهب لان خطوطها الطيفية تماثل خطوط غاز بلغ من الحمو درجة اخذ يبعث عندها بمقادير القوة التي يتميز بها عن غيره من الغازات

ومن هذا القبيل سديم الجبار الكبير وغيرهُ من السدم المنتشرة في الفضاء . فاذا بلغت الغازات التي تتألف منها هذه السدم درجة كبيرة من الحموّ اطلقت تلك الاشعة التي لا تشعها الجواهر الاّ حين انحلالها ، وقد اثبت علماء الحل الطيفي ان في هذه السدم عناصر الهدروجين والهليوم واحياناً النتروجين والكربون وان فيها عنصراً لم يجدوا لهُ مثيلاً في عناصر الارض فاطلقوا عليهِ اسم «نبوليوم» اي السديمي

وليست كل السدم على درجة من الحرارة تحملها على ارسال اشعتها الى الفضاء فبعضها مضيء بالنور المنعكس عنهُ الصادر من الكواكب المجاورة لهُ في الفضاء . وبعضها بارد يمتص نور الكواكب الذي يصل اليهِ فتراهُ لطخاً مظلمة في صدر الكون ومن هذا النوع سديم مظلم في جهة الصليب الجنوبي يدعى باللغة الانكليزية غير العلمية «كيس الفحم» . وقد وقف الاستاذ برنار الاميركي حياتهُ على درس هذا النوع من السدم فذكر ١٨٠ سديماً منها تتباين من اللطخ الصغيرة الواضحة الحدود الى الغيوم السديمية التي تشاهد قرب كوكبة الحوّاء

فالاجرام السموية التي تعرف بالسدم تقسم الى قسمين اولها غيوم من الغاز الملتهب والثاني السدم اللولبية وما اليها وهي في الغالب مجاميع من النجوم تظهر لطخاً لبُعْدها

وكان الرأي اولاً ان هذه السدم اللولبية مجاميع صغيرة من النجوم تحيط بشمسنا

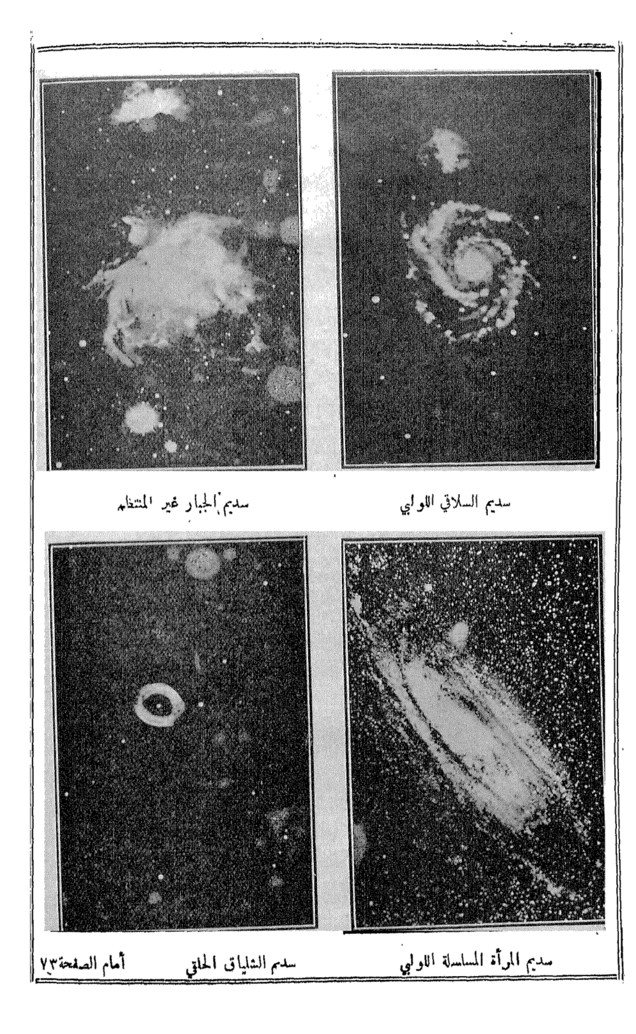
من كل الجهات . ولكن لما اتقنت آلات الرصد والتصوير والحلّ الطيفي ثبت للعلماء انها لا تقاس بنظامنا الشمسي لسعتها بل كل منها كون مستقل كالمجرة التي تحيط بنا . وثبت ايضاً ان في الفضاء الوفاً من السدم اللولبية كل منها سعتهُ سعة مجرتنا ولا يُعقل ان تكون ضمنها لذلك قيل ان كلاًّ منها كون مستقل بنفسهِ خارج مجرتنا واطلق عليها علماء الفلك من الاميركيين اسم « الاكوان الجزرية ».ولما كانت لفظة « كون » تطلق عادةً على كل ما ابدعهُ مبدع السموات والارض فاستعمالها في الانكليزية والعربية يخرج بذهن القراء عن منطوقها الاصلي ولكن اصطلح عليها علماء الافرنج فجاريناهم في ذلك

فالسدم من هذه الجهة تقسم الى قسمين ايضاً الاول السدم التي داخل مجرتنا والثاني السدم التي خارجها

لا يخفى ان مجرتنا مجموعة عظيمة من النجوم والسدم الغازية وهي تشتمل على كل الكواكب التي ترى بالعين المجردة والوف من الكواكب التي ترى بالتلسكوب وملايين اخرى لا ترى الاّ بالآلة الفوتغرافية فانها لبُعدها لا تترك اثراً في اللوح الفوتغرافي الحساس الاّ بعد ما يتعرض لنورها الضئيل القادم من اطراف الفضاء ساعات متوالية

والثابت من رصد المجرة بكل وسائل الرصد المعروفة انهـا قرص عدسي الشكل طول قطره نحو مائة الف سنة نورية وسمكهُ ٢٠ الف سنة نورية وان نظامنا الشمسي في وسطها تقريباً . وفي هذا القرص نحو ٣٠ الف مليون نجمة منتشرة في فضائهِ على ابعاد كبيرة . ولما كانت هذه النجوم لا يبعد احدها عن الآخر بعداً واحداً فان بعضها يرى مجتمعاً كتلاً كتلاً في انحاء مختلفة وهذه لبعدها تظهر كاللطخ السحابية كما ترى في كوكبتي الرامي وهرقل . وفي المجرة ايضاً سدم غازية بعضها منير وبعضهـا مظلم على ما مرَّ

نعود الآن الى السدم التي خارج المجرة وهي تلك الغيوم الغازية المنتشرة في الفضاء خارج المجرة كانتشار الجزائر في بحر مترامي الاطراف.واشهر العلماء الذين عنوا بدرس هذه السدم هو الاستاذ هبل من علماء مرصدجبل ولسن الاميركي. فقد اشار في رسالة حديثة لهُ نشرها في مجلة « الاستروفزكس » (علم الفلك الطبيعي) الى نتيجة بحثهِ في اربعمائة سديم منها . فقال ان منها سدماً غير منتظمة الشكل اي ليس لها شكل



سديم السلاقي اللولبي

سديم الجبار غير المنتظم

سديم المرأة المسلسلة اللولبي

سدم الشلياق الحلقي

أمام الصفحة ٧٣

قياسي خاص واشهرها ما يعرف « بغيوم مجلاّن » ترى من نصف الكرة الجنوبي ويحسبها رائيها جزءاً من درب التبان ولكنها في الواقع بعيدة عنهُ بعداً شاسعاً. ولكن السدم التي لها شكل خاص اكثر من السدم غير المنتظمة الشكل واكثرها اما اهليلجي الشكل او لولبيّهُ. ونور السدم الاهليلجية الذي حُلّل بالسبكترسكوب يثبت انها تماثل مجرتنا الى حدّ بعيد مما لا يترك مجالاً للشك في انها مجموعة نجوم كمجرتنا ويتعذر تصوير هذه النجوم واحدة واحدة لبعدها الشاسع. والمحتمل ان نجومها في طور التكون من الغاز الحامي الى حدّ الاضاءة وان الغاز الذي لا يدخل في تكوينها يغشاها كبرقع الحسناء

وبعض السدم في دور الانتقال من الشكل الاهليلجي الى الشكل اللولبي. والبعض الآخر لولبيّ لا غشّ فيهِ تظهر فيهِ الاذرع المكوفة التي تظهر عادة في السدم اللولبية كما ترى في الصفحة المقابلة في سديم السلاقي

وقد قيست ابعاد هذه السدم فثبت ان السديم الكبير في كوكبة المرأة المسلسلة يبعد عنا نحو ٩٠٠ الف سنة نورية وان السديم اللولبي الذي في كوكبة المثلث يبعد البعد نفسهُ تقريباً. ويظن ان الوفاً من السدم اللولبية الضئيلة تبعد عنا اضعاف ذلك. وقد وجد الاستاذان هبل وشيلي ان في جهة كوكبتي شعر برنيكي والسنبلة سدماً لا يقل بعدها عن مائة مليون من سني النور

وقد استعمل السبكترسكوب لمعرفة سرعة حركة هذه السدم في الفضاء فظهر ان سديم المرأة المسلسلة سائر نحو مجرتنا بسرعة ٣٠٠ كيلو متر في الثانية. ولكن اكثر السدم اللولبية تبتعد عنا بسرعة ٦٠٠ كيلو متر في الساعة

والطرق التي ابتكرها الباحثون لمعرفة جرم سديم من هذه السدم يتعذر بسطها هنا لصعوبتها ولكن يؤخذ من تطبيقها ان جرم السديم في كوكبة المرأة المسلسلة يساوي جرم شمسنا الفي مليون ضعف وان هذا السديم يستغرق ١٧ مليون سنة للدوران على نفسهِ مرة مع ان ارضنا تدور على نفسها مرة كل ٢٤ ساعة

***

مهما امعنا ببصرنا وآلاتنا في الفضاء فاننا لا نؤمل ان نصل الى نهايتهِ لا في الزمان ولا في المكان. وهذه الملايين التي تشعُّ في الفضاء تدهش العقل وتحيّر اللب. على اننا نشعر بطمأنينة حين تنظر الى ما كشفهُ العلماء عنها فنقول مع بسكال « اننا صغار، بل من اصغر الكائنات واضعفها. ولكننا نعرف اننا صغار وفي ذلك سرّ عظمتنا »

نوغوشي : العالم الياباني

وهذا جندي آخر من جنود العلم الباسلين سقط في ميدان الجهاد!

فقد فجع علماء الطب والبكتيريولوجيا بوفاة العالم الياباني الشهير الدكتور هديو نوغوشي في ٢١ مايو الماضي. قضى بالحمى الصفراء وهو عاكف على درس اسبابها وطرق انتشارها ووسائل معالجتها والوقاية منها في مدينة اكرا على الشاطىء الذهبي بافريقية الغربية بعد ما انتصر عليها انتصاراً باهراً في اميركا الوسطى واميركا الجنوبية. ولد سنة ١٨٧٦ في بلاد اليابان وتلقى علومهُ في جامعة طوكيو ومعهد الامراض المعدية. ثم سافر الى الولايات المتحدة الاميركية واوربا للتوسع في علم الطب وفي سنة ١٩٠١ عُيّن محاضراً في الباثولوجيا بجامعة بنسلفانيا ثم اتصل بعد ذلك بمعهد كارنجي ومنهُ انتقل الى معهد ركفلر سنة ١٩٠٤ وبقي من اعضائهِ الممتازين الى حين وفاتهِ

كان اول عالم تمكن من الحصول على مزدرعات نقية من مكروب السفلس اللولبي الشكل واول من اثبت ان اصل الشلل العام اتصال هذا المكروب بالدماغ باثبات وجودهِ في مخاخ المصابين بالشلل العام. واكتشف طريقة خاصة عدّل بها طريقة وسرمان المشهورة لتشخيص الزهري. ثم ابتكر لذلك كاشفاً خاصًّا يحقن في الجلد فاذا كان المحقون مصاباً بالزهري ظهرت مكان الحقنة بثرة صغيرة وحولها هالة حمراء ضاربة الى الزرقة في خلال مدة تتراوح بين ٦ ساعات و٢٤ ساعة واذا لم يكن المحقون مصاباً لم تحدث فيهِ الحقنة اثراً ما. وكان المعروف ان الطعم الواقي من الجدري مشوب دائماً بمكروبات اخرى غير مكروبات الجدري وكثيراً ما كانت هذه المكروبات تنقل الى المطعّم عدوى او تحدث فيهِ التهاباً. فاكبّ نوغوشي على البحث حتى كشف طريقة يستطيع ان يستحضر بها طعم الجدري نقيًّا من هذه الشوائب. وتمكن من استحضار مزدرعات نقية لمكروبات الكلب وشلل الاطفال. ولهُ في المجلات العلمية مقالات كثيرة تشهد لهُ بطول الباع في علمهِ وقد منحتهُ اكبر جامعات العالم اعلى رتبها العلمية

وفي سنة ١٩١٨ عزل مكروب الحمى الصفراء في اكوادور فوجد انهُ مكروب لولبيٌّ وزرعهُ في مزدرع نقي ثم حقن بهِ طائفة من خنازير الهند فاحدث فيها اعراضاً كاعراض الحمى الصفراء. وكان الدكتور ستمسن قد اشار الى وجود هذا المكروب في كُلْية مصاب بالحمى الصفراء ولكنهُ لم يعلق عليهِ شأناً ما. على ان نوغوشي جمع من

الادلة الوافية ما اثبت بهِ علاقة هذا المكروب (Leptospira Icteroides) النوعية بالحمى الصفراء . ثم استحضر القحة وامصلة تشفي من المرض وتقي منهُ ولكن مجلة ناتشر تعتقد انهُ لم تتح الفرصة بعد لاثبات فائدتها اثباتاً ينفي كل ريب

وكانت قد تألفت لجنة للبحث في هذه الحمى بافريقيا الغربية فوجدت ان القردة وغيرها من الحيوانات التي تقطن تلك البلاد منيعة عليها لا تصاب بها . ثم اثبتت ان مكروبها ينتقل بواسطة البعوض ولكن تعذر على رجالها العثور عليهِ .ولعلَّ ذلك ناشيء عن اختلاف طبيعة الحمى في افريقيا عنها في اميركا الشمالية والجنوبية . فكان هذا الاختلاف باعثاً حمل الدكتور نوغوشي على الذهاب الى اكرا لتناول البحث فيهِفاصيب بالحمى الصفراء وقضى بها .وبعد وفاتهُ شرّح الدكتور ينغ احد اطباء البعثة جثتهُ فاصيب هو بالحمى الصفراء ايضاً وقضى بها . وقد نشرت مجلة اللانسث الطبية في عددها الاخير مقالة للدكتور ادورد هندل من معهد ولكم بلندن اثبت فيها اكتشافهُ لقاحاً واقياًمن هذه الحمى الوبيلة . فعسى ان يكون لقاحهُ فعالاً في مكافحتها فان الذين ذهبوا ضحيتهامن رجال العلم لا يقوّم علمهم وفضلهم بمال .

وقد كتب احد اطباء الانكليز واصفاً اخلاقهُ واجتهادهُ فقال انهُ كان ادمث الناس خلقاً يجيءُ الى كل عامل جديد في معهد ركفلر ويحدثهُ في وداعة وطول اناة ويحثهُ على العمل ويعرض عليهِ مساعدتهُ وخبرتهُ حين يحتاج اليها. ثم اشار الى جلدهِ في البحث فقال انهُ يجرب التجربة مائة مرة حين يكتفي غيرهُ بعشرين وهذا سرّ نبوغهِ وتفوقهِ

كان الدكتور نوغوشي عضواً ممتازاً في معهد ركفلر الطبي بنيويورك مع انهُ ياباني الاصل ومسألة الخلاف بين الاميركيين واليابانيين على المهاجرة امر مشهور . الاّ ان العلم فوق الخلافات الجنسية والقومية ونوغوشي حين بلغ هذا المقام العلمي الرفيع صار من رجال الانسانية لان مباحثهُ تفيد الاسيوي والاوربي والاميركي والافريقي على السواء ولكنهُ لم يخرج عن كونهِ يابانيًّا تذكر اليابان معهُ كلما ذكر وينالها ما ينالهُ من فخر وتمجيد

وبعد هذا نقول ان تاريخ اليابان قديم ولكنهُ لا يضاهي تاريخ مصر في قدمهِ وعمرانها القديم زاهر ولكنهُ لا يستحق ان يقابل بعمران مصر . ونهضتها الحديثة احدث من نهضة مصر. فمتى يتاح لنا ان نذكر على صفحات مجلاتنا العلمية وصحفنا اليومية اسماء علماء لنا نفاخر بان نقرنهم الى اكبر علماء الارض ويزاحمنا على الفوز باستخدام نبوغهم مديرو اشهر المعاهد العلمية في الغرب ؟

العلم ميراث مجيد

كتاب « العلم والعمران »

[في اوائل اغسطس القادم تصدر ادارة المقتطف هديتها السنوية وهي كتاب نفيس سميناهُ « العلم والعمران » يقع في ٣٢٠ صفحة من حجم المقتطف ويحتوي على نحو ثلاثين بحثاً علميًّا لاكبر علماء الانكليز كاللورد لستر والسر وليم كروكس والسر ميخائيل فوستر واللورد بلفور والسر جوزف طمسن والسر راي لنكستر والسر اوليفر لدج والاستاذ شيفر والاستاذ باتسون والسر بارسنز والسر ارنست رذرفورد والسر ارثر كيث والسر ارثر افانس وغيرهم . ومن المواضيع التي عالجوها : العلم والطب . الخبز والعلم . العلم في مائة عام . الفلسفة والعلم . ارتقاء الطبيعيات . مبدأ الاتصال . الحياة . الوراثة . العلوم الهندسية بعد الحرب . بناء المادة الكهربائي . مذهب دارون في الميزان . مهد العمران القديم . الخ]

وفيما يلي نبذة من بحث السر ميخائيل فوستر ومنهُ يستدل القارئ على طريقة الكتاب واسلوبهِ وغايتهِ

العلم سائر الى الامام

لقد كُتب في كل صفحة من صفحات تاريخ العلم بحروف جليَّة يراها كل احد ان الحقائق العلمية لا تكشف دفعةً واحدةً ولا تكون مستقلة عن غيرها بل ان كل حقيقة منها هي ابنة حقائق اخرى سبقتها وستكون امًّا لحقائق اخرى تتلوها والعالِم يختلف عن الشاعر والمصور من هذا القبيل. فان الشعر فطري في النفس والشاعر ينشأ شاعراً واذا مات لم يرث صناعتهُ احد وقد يتغنى الناس بمدحهِ ادهراً ولكنَّ قريحتهُ تدفن معهُ واما العلم فمكتسب والعالِم يكتسب العلم اكتساباً بالدرس والبحث يأخذهُ عن غيرهِ وينميهِ بنفسهِ كانهُ نتيجة معارف الذين سبقوهُ واذا مات لم يدفن علمهُ معهُ بل يبقى ميراثاً لغيرهِ . وكم رأينا وكم سمعنا في اقوال القدماء آراء صارت حقائق عند المحدثين . ينطق العالم بكلمة فتقع في ارض بور ولا تثمر لان الارض غير معدَّة لها فتبقى كامنة الى ان تهيأ لها الافكار فيبرزها واحد من عالم الخفاء ويشتهر بها . وكان في الحقائق القديمة قوة تدفع العلماء الى اكتشاف حقائق جديدة فيكتشفونها وتنسب

اليهم والفضل في اكتشافها الى ما قبلها. ولذلك يبقى العلم متقدماً لان العالم ليس مستقلاً بنفسهِ بل هو من خدَمة العلم الذين يطيعون دافعاً يدفعهم الى الجري فيهِ وهذا الدافع كان قبلهُ ويبقى بعدهُ الى ما شاء الله. ففي كل الامور تقدم وتأخُّر وارتقاء وانحطاط واما العلم ففي تقدُّم دائم الاَّ ان سيرهُ لا يكون في خط مستقيم دائماً بل قد يتعرَّج ويتمعَّج وتظهر حقائقهُ كأنها تعود ادراجها ثم تسير في خطتها الاولى مرة ثانية ولكن منتهى سيرها الى الامام لا الى الوراء كمن يسير في خط لولبي لا في دائرة. وزدْ على ذلك ان العلم لا ينمو كما يُبنى البيت بوضع حجر فوق آخر فتبقى الحجارة الاولى على وضعها الى ما شاء الله بل كما ينمو الجسم الحي بتغير اطوارهِ على ما ترى في الجنين فان صورهُ المختلفة تتعاقب وتتغير اعضاؤهُ دواماً ولكنهُ يبقى هو في ذاتيتهِ ولو زاد نموًّا كل يوم عن الذي قبلهُ. وهذا شأن العلم يختلف تصوُّرهُ من عصر الى آخر وهو واحد وينمو كما ينمو الجنين. وتتضح صورتهُ رويداً كما تتضح صورة تلقى على الستار بالفانوس السحري وتتجسم كلما احكمتَ وضعها عليهِ حتى تصير في مركز ملتقى الاشعة

وتاريخ العلوم الطبيعية في القرن التاسع عشر والقرون التي سبقتهُ تاريخ ارتقاء مستمر ليس فيهِ ما يدل على التأخر ولا على الوقوف. وما يعلم بالبحث العلمي يبقى راسخاً وقد يضاف اليهِ او يغضُّ الطرف عنهُ مدةً ولكنهُ يبقى في محلهِ لا يزول. ولوثوقنا باستمرار هذا التقدُّم ترانا ننظر الى المستقبل بعين المتشوّف لنرى ما يكون من امر العلم فيهِ وما الدرجات التي يصل اليها بمرور الايام. ولا بدَّ من ان نسأل انفسنا حينئذٍ قائلين هل يقتصر العلم الطبيعي على ما يتعلق بملابسات الانسان او يتناول الانسان نفسهُ

ان المنافع المادية التي نالها نوع الانسان من تقدُّم العلوم كثيرة جدًّا لا يرتاب فيها احد فانهُ لا شبهة في ان العلم قلل المشاق وخفف الآلام وفي انهُ زاد الراحة والرفاهة ومهَّد العقاب وسهَّل الصعاب ولم تقتصر فوائدهُ على الاغنياء بل عمَّت الفقراء. وهذه الفوائد المادية كثيرة واضحة حتى يظن كثيرون انها كل الفوائد التي يمكن ان تنال من العلم. ولذلك يقال عن العلم انهُ نافع ماديًّا لا غير فهل هذا صحيح ؟

منافع العلم العقلية

يخامرنا الشك في ما تقدَّم حالما نفكر في تقدُّم العلم ونرى ان ما يُحسَب من

منافعهِ ماديًّا هو ايضاً تقدُّم في المعارف العقلية فان كل ما نتج عن العلم نتج عن سيادة الانسان على الطبيعة وهذه السيادة عقلية مدارها ازدياد مقدرة الانسان على استعمال القوى الطبيعية بدل قوتهِ او قوة غيرهِ من انواع الحيوان فهي توسُّع في استعمال العقل بدل استعمال العضلات

فهل يحسب احد ان ما حوَّل العقل الى ذلك لم يؤثر في العقل نفسهِ . وهل ذلك القسم من العقل الذي يشتغل في اظهار الحقائق العلمية آلة عمياء تُنتج ولا تعلم كيف تنتجها ولا هي شريكة في النفع الذي تسبّبهُ

ما هي اوصاف ذلك العقل العلمي الذي غيَّر علاقة الانسان بالطبيعة ولا يزال يغيرها ؟ اذا اردنا الجواب عن هذا السؤال لم نضطرَّ ان نبحث عن العقول الفائقة . نعم ان العلم تقدم على يد بعض النوابغ ولكن الفرق بين هؤلاء وبينَ من دونهم انما هو في الكم لا في الكيف لان العالِم بعصرهِ لا بنفسهِ والاوصاف التي تقود زيداً من العلماء الى اكتشاف حقيقة علمية خفية لا يعبأ بها الاَّ قليلون تقود عمراً الى اكتشاف حقيقة اخرى يطبّق ذكرها المسكونة ويقوم لها الناس ويقعدون

واوصاف العقل العلمي ثلاثة بنوع خاص

الاول انهُ يكون ميَّالاً بالطبع الى ما يبحث عنهُ اي انهُ يطلب الحق ويحب الحق والاَّ فلا يتسنى لهُ اكتشاف الحقائق الطبيعية . والحق الطبيعي حق مقرر لا شك فيهِ ولا ارتياب ولذلك ترى العالم الحقيقي لا يكتفي بكلمة «يحتمل» و «يجوز» ولا يساوي بين أمرين مختلفين ولو كان الاختلاف بينهما جزءًا من الف جزء من الشعرة . ومن يخالف ذلك يضلُّ سبيلاً ولا يزيد عن الحقيقة الاَّ بُعداً

الثاني انهُ يكون على أتم الانتباه دائماً فان الطبيعة تناجينا دواماً لتكاشفنا بأسرارها ولو باصوات خفية . وعلى رجل العلم ان يكون منتبهاً على الدوام اليها مستعدًّا ان يسمع صوتها ولو كان ركزاً ويرى اشارتها ولو خفيت عن الابصار

والثالث ان يكون شجاعاً صبوراً لان مسالك العلوم لا تخلو من العقبات وكثيراً ما يكون البحث عقيماً لا ينتج الاَّ الفشل او تتعرج سبله بعد استقامتها وتضيق بعد اتساعها فيرى الباحث انهُ ابتدأ والامل رائده والرجاء يهدي خطواته لكنهُ لا يلبث ان يقع في لجة اليأس وهناك يجب الصبر وتفيد الشجاعة الادبية فان شدد عزيمته نجا

من تلك اللجة والاّ غرق فيها ودفن عمله مع الاعمال التي شرع فيها الناس ولم يتموها

***

وكأني اسمع قائلاً يقول ان هذه الاوصاف غير خاصة برجال العلم بل عامة لهم ولغيرهم ممن يتوخى النجاح مهما كان مطلبه من الحياة . والقائل مصيب في قوله وهذا الذي اعنيه فان رجال العلم لا يمتازون على غيرهم بل هم مثل سائر الناس والعلم نفسه معارف عمومية منسّقة ومنظمة كما حدده هكسلي والعلماء من عامة الناس ولكنهم تخرجوا في هذه المعارف العمومية وتدربوا فيها . وهم ليسوا اقوى من غيرهم ولا افضل ولكنهم يملكون قوةً اكتسبوها من العلم الذي خدموهُ .وطالب العلم اذا تعلم ما عرفهُ العلماء قبلهُ هداهُ علمهم في سبل الرشاد وساعدهُ على اكتشاف امور جديدة وكانت الطبيعة نفسها خير مرشد لهُ . وكل بحث يزيد الباحث اقتداراً على مداومة البحث سواء جاء مثمراً او عقيماً وناموس الطبيعة قاضٍ ان من يطيعها تسهل عليهِ الصعاب فيجد كل خطوة اسهل من التي قبلها الى ان يخضع لها خضوعاً تامًّا فيجد نفسهُ قد صار سيّداً عليها

واذا دققنا النظر في فائدة البحث العلمي لم نعد نعجب من تقدم المعارف العلمية بل نرى ان النتائج المادية التي نتجت حتى الآن لا توازي ما ينتظر من العلوم كأن خدَمتها كانوا في الغالب من ضعاف العقول والعزائم . فلو دعت لخدمتها ذوي العقول الثاقبة الذين اضاعوا عمرهم سدًى في حل مسائل لا فائدة منها وفي مالا تتسع بهِ المعارف ولو دعت العدول الذين ساروا في الطريق السوي غير مسترشدين باحد لكان تقدم العلم على يدهم عظيماً جدًّا ولنجا الناس من كثير الاضاليل فاذا اعتبر رجال العلم ذلك وجدوا ان ما احرزوهُ قليل يدعوهم الى الخجل لا الى الافتخار

واذا كان في البحث العلمي فائدة ذاتية للباحث لانهُ يقويهِ ويرشدهُ في طريق الهدى ففائدتهُ المادية ليس كل ما يستفاد منهُ . وقد نهتم بامر الفوائد المادية اكثر مما يحق لها كما ينظر الطفل الى امهِ فيحبها لانها تطعمهُ الاطعمة الطيبة لكنهُ اذا كبر رأى ان عنايتها بهِ لم تكن تقتصر على ذلك بل انها كانت تربيهِ ايضاً وتدربهُ . وهذا شأننا إذا باهينا بمنافع العلم المادية وأغضينا الطرف عن ارشادهِ الاصلي

ليس بالخبز وحده . . .

ولا يعيش الانسان بالخبز وحده كما قال الكتاب لكنهُ يجد في العلم شيئاً آخر .

غير الخبز . اذا استطعنا ان ننمي سنبلتين من الحنطة حيث كانت سنبلة واحدة تنمو فذلك فوز عظيم ولكن اذا استطعنا ان نساعد انساناً حتى ينظر في اموره ويتدبرها بعين الحكمة والروية فذلك أمرٌ اعظم . والعلم يفعل الامر الاول ويفعل الامر الثاني أيضاً . والقول الذي نقلناهُ عن هكسلي وهو ان العلم معارف عمومية منسقة ومنظمة مفادهُ ان امور الحياة العمومية التي على عامة الناس أن يتدبروها يكون تدبرهم لها بالوسائل التي يتدبر بها العالم أمور العلم الخصوصية فما يفيده يفيدهم هم أيضاً

وتنتج الفائدة من العلم على اسلوبين فقط الاول ان يعترف للعلم بالمقدرة على تعليم الناس وان يطلبهُ كثيرون من غير الخاصة ومجمعنا غنيٌّ عن تذكيره بهذا الشرط لانهُ سعى منذ اول نشأتهِ في ضمّ كل من يلبي دعوته الى حظيرة العلم . والثاني ان الغاية المقصودة من العلم ليست جمع المعارف العمومية بل التمرُّن على البحث العلمي . فان الانسان قد يعرف كل الحقائق العلمية ويذكر كل ما وصل اليهِ العلماء ومع ذلك لا يكون عقله علميًّا ولكن ما من احد يبحث بحثاً علميًّا الاَّ وفيهِ شيءٌ من الذوق العلمي او العقلُ العلمي ولو لم يكن بحثهُ جديداً . وقد يصل الى حقيقة علمية دفعة واحدة من غير عناء شديد فتذيع الجرائد اسمهُ في كل الاقطار ويسعى كثيرون في اقتفاء خطواتهِ طمعاً في إحراز ما احرزهُ . وقد يبلغ اليها رويداً رويداً في الطريق الذي سار فيهِ من تقدمهُ اليها وهذا الاسلوب الاخير هو الاسلوب العلمي الصحيح الذي يبث في نفس الطالب روح البحث العلمي

وان كان في هذه المسألة خلاف فليس من غرضي الخوض فيهِ الآن ولكن ان كان ما قلتهُ صحيحاً فيخطىءُ كل من يقول ان تعليم العلم لا يفيد الاَّ اذا استعمل للنفع المادي . ولا ينكر ان العلوم الادبية استعملت لتهذيب النفوس وان العلوم الطبيعية لم تستعمل كذلك حتى الآن ولكن هذا لا يمنع استعمال هذه العلوم للغاية التي ذكرناها آنفاً وهي التهذيب العقلي الذي يصلح لكل طبقات الناس . وعلى اصحاب العلوم الادبية ان لا يخشوا من وجود العلوم الطبيعية في مدارسهم لانهُ إن كان اصحاب العلوم الطبيعية يلومون اصحاب العلوم الادبية اذا قصروا نظرهم على اعمال الانسان ولم يلتفتوا الى اعمال الطبيعة فالعلوم الطبيعية نفسها تلوم ذويها اذا قصروا نظرهم على الطبيعة ولم يلتفتوا الى اعمال الانسان وهو في نظرنا محور الطبيعة



طائفة من شهيرات النساء في التاريخ . ترى اسمائهن في باب الاخبار العلمية

باب شؤون المرأة

وتدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيه كل ما يهم المرأة واهل البيت معرفته من تربية الاولاد وتدبير الصحة والطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة وسير شهيرات النساء ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

الرجال والنساء: بين الابتكار والتقليد

هل الفريقان متساويان في القوى العقلية

والقدرة على استعمالها

اذا تناقشت مع زوجتك او اختك او صديقتك اعترفت كلٌّ منهنَّ ان النساء عامة اصغر قامة من الرجال واخف وزناً واضعف عضلاً واقل صبراً على المتاعب . ولكن اطلب اليهن ان يعترفن لك بانهنَّ اضعف ذكاء من الرجال وهناك الويل الاكبر والشر المستطير

فانهُ قد انقضت على الانسان عصور طويلة وتفوّق الرجل العقلي لا ينازعهُ فيهِ منازع. ولكن الحال انقلبت الآن. فالفتاة التي تحررت من قيود الماضي وفازت بنصيب كبير من الحرية في جميع مناحي الحياة اخذت تنازع الرجل دعواهُ بتفوقهِ العقلي

فما هي الحقيقة وهل النساء والرجال من طبقة واحدة في القوة العقلية ؟ ان الفيلسوف الالماني الكونت كيزرلنغ زار اميركا مؤخراً ولخص ما رآهُ فيها من التحول الاجتماعي بقولهِ انهُ رأى الجنس اللطيف مسيطراً على اميركا من اقصاها الى اقصاها

على ان هذا رأي مبني على مشاهدة قد تكون سطحية وتأمل قد لا تؤيدهُ الحقيقة والامتحان. ولكن الاستاذ بايز احد اساتذة جامعة كورنل الاميركية بحث في الموضوع بحثاً علميًّا . فانهُ تناول دماغ السيدة هلين جاردنر التي كانت زعيمة نسوية مشهورة قبل موتها ودرسهُ درساً علميًّا دقيقاً فكانت النتيجة التي وصل اليها انهُ وجد في درس هذا الدماغ ادلة وافرة على انهُ ليس ما يستلزم ان يكون دماغ المرأة اصغر او اضعف

من دماغ رجل من رتبتها . ذلك ان جامعة كورنل لديها مجموعة من ادمغة بعض الناس المشهورين الذين يوصون بحفظ ادمغتهم بعد موتهم فيها لتكون اساساً لدرس الدماغ وقد وهبت المسز جاردنر المذكورة دماغها لهذه المجموعة بعد وفاتها

فلما قال الدكتور پاپز قولهُ السابق تناولتهُ الجرائد ونشرتهُ باحرف كبيرة على انهُ فوز كبير للقضية النسوية . مع انهُ قول عالم حذر مقيد بقيود يصعب معها اطلاق الحكم بان دماغ المرأة ودماغ الرجل من رتبة واحدة

فقد وجد هذا الاستاذ ان دماغ مسز جاردنر يزن ١١٥٠ غراماً ولما قورن هذا الوزن بوزن دماغ المستر ويلدر احد مؤسسي مجموعة كورنل وُجد الدماغان من وزن واحد فكانت هذه المقارنة منشأ قول العالِم بانهُ لم يرَ ما يوجب ان يكون دماغ المرأة اصغر او اضعف من دماغ رجل من رتبتها . ومع ذلك فوزن كل من هذين الدماغين اقل من متوسط وزن الدماغ في الرجال وهو يتباين من ١٣٠٠ غرام او ١٤٠٠ غرام وقد عرف في التاريخ ثلاثة رجالٍ بلغ وزن دماغ كل منهم ٢٠٠٠ غرام اشهرهم تورجنيف الروائي الروسي الشهير

ولما تناول الاستاذ پاپز دماغ مسز جاردنر بتحليل نوعهِ وجد فيهِ «كثيراً من المادة السنجابية التي لا تفوقها مادة سنجابية في مجموعة الادمغة التي في جامعة كورنل»

فلدينا اذاً دماغ امرأة متوسط الحجم عالي النوع ومع ذلك لا نستطيع ان نثبت من هذه المقاييس شيئاً يتعلق بموضوعنا

ان قياس ذكاءِ رجل بكبر رأسهِ او صغرهِ صار امراً لا يعبأ بهِ الآن. فقد قرأت في الصحف اليومية منذ مدة خبرين استرعيا نظري . الاول ان احد العلماء عثر على جمجمة ليس لها مثيل في سعتها والآخر يتعلق بدماغ رجل مشهور بلغ حدًّا ادنى تقريباً من الصغر . فمن هما صاحبا هذين الدماغين

ان صاحب الاول رجل من متوحشي افريقيا . وصاحب الثاني اناتول فرانس اشهر كتاب فرنسا الذي توفي منذ ثلاث سنوات . ولقد ذكرت سابقاً ثلاثة رجال بلغ وزن دماغ كل رجل منهم ٢٠٠٠ غرام والغريب ان احد هؤلاءِ كان معتوهاً !

وعليهِ لا نستطيع ان نقيس ذكاء المرءِ بحجم رأسهِ او وزن دماغهِ

فما هو السبيل الى الفصل في هذه المسألة التي تهم الرجال والنساء على السواء لنعمد الى التاريخ . فقد جمع الاستاذ كاتل احد اساتذة الفلسفة العقلية بجامعة

كولومبيا سيَر الفٍ من اشهر نوابغ التاريخ فوجد انواحداً وثلاثين من هؤلاءِ النوابغ كانوا نساءً . اي ان نسبة الرجال العظام الى النساءِ العظيمات كانت نسبة ثلاثين الى واحد . وزد على ذلك ان الدكتور كاتل وجد ان ١١ امرأة من هؤلاءِ كنَّ ملكات ورثن الملك وراثةً وان ثمانيَ منهن حُسبن عظيمات لاسباب طارئة كاشتهارهن بالجمال وان عشراً اشتهرن بالادب وان المرأتين الباقيتين هما سافو الشاعرة اليونانية وسيرتها اشبهُ بالاساطير منها بالتاريخ المحقق والثانية هي جان دارك بطلة فرنسا المقدسة

فاكثر تفوق النساءِ كان بالتعبير عن معاني الحياة تعبيراً تتقد الحرارة والعاطفة في جوانبهِ . ولقد ثبت من بحثٍ حديث في مقارنة النساءِ المشهورات ان ٥١،٦ في المائة منهنَّ اشتهرن ككاتبات و ١١،٢ كممثلات ولم يشتهر بالعلم الاَّ سيدتان هما جاين اوفر ومدام كوري وتكادان تكونان السيدتين الوحيدتين اللتين امتازتا بذلك الاولى بعلم الاجتماع والثانية بالطبيعيات. والخلاصة ان هذا الوجه من البحث يفضي الى القول بان النساءَ لم يجارين الرجال في ميدان الارتقاءِ العقلي وترقية الفكر الانساني

فما هو السبب ؟ لماذا نجد النبوغ بين النساءِ نادراً

يقول بعض الرجال : « لان النساء اضعف ذكاءً من الرجال »

فيرد النساء : « ولماذا لا يظهر ذلك في مقاييس الذكاءِ التي ابتكرها الرجال واثبتوا بها ان متوسط ذكاءِ الفتاة في المدرسة اعلى من متوسط ذكاءِ الفتى وذلك حتى يبلغا سن المراهقة وحينئذٍ يسبقها الفتى . وانهُ اذا اخذنا متوسط ذكاءِ الفريقين قبل البلوغ وبعدهُ وجدناهما متقاربين » ؟

على اننا اذا نظرنا في الدروس التي تتفوق فيها الفتاة والدروس التي يتفوق فيها الفتى وجدنا الفتاة تظهر امضى ذكاءً في الدروس التي لا تحتاج الى نصيب كبير من التفكير والتحليل والابتكار كالتهجية وتعلم اللغات فانها تقبل على ما يجب ان تتعلمهُ بمحافظة قوية وتتعلمهُ للحال غير مترددة او متحيّرة فانها لا تقف مثلاً لتسأل عن سبب الاختلاف في تهجية لفظتين مع ان لفظهما واحد ؟ وذلك سبب تفوقها في نيل الدرجات المدرسية

اما الفتى فلا يسلّم بشيءٍ لان المعلم قالهُ او لانهُ قرأهُ في كتاب ولكنهُ يطلب ان يعرف السبب . تراهُ دائماً حائراً متسائلاً فيمتاز في دروس تحتاج الى البحث والمقارنة كالطبيعيات والكيمياءِ والتاريخ امتيازهُ بابتكار وسائل جديدة لعمل اعمال قديمة

وهذا الفرق بين الفتاة والفتى يستمرُّ فيهما بعد خروجهما من المدرسة . وعليهِ يصح القول ان عقل المرأة اقرب الى المحاكاة والتقليد من عقل الرجل كما ان عقل الرجل اقرب الى الابتكار والاقدام من عقل المرأة

فتردّ النساء على هذه الاقوال بقولهن « ان الفرصة لم تتح بعد للجنس اللطيف لكي يبرهن عن مقدرتهِ ونبوغهِ . فقد انقضت عليهِ عصور لزم فيها مقر العائلة يرضع النوابغ ، حين كان الرجال يكتشفون المكتشفات ويستنبطون المستنبطات ويبتكرون الآراء والمذاهب ويبنون الحضارة على اسس متينة

وفي هذا الجواب نصيب كبير من الصحة . ولكن لماذا لم تتفوق النساء في اعمال هي في الواقع من اعمال النساء لا من اعمال الرجال كابتكار الازياءِ النسوية وفرش البيوت وفلسفة الاطفال العقلية

كذلك نرى ان النوابغ الذين بلغوا اعلى ذرى الشهرة والعظمة لم يبلغوها بالسير على الدمقس والحرير . فكم بلوا من الوان الالم والعذاب والفشل والاعراض . ان كورو المصور الفرنسي مثلاً قضى ثلاثين سنة يتقلب على فراش الفقر والجوع قبلما تمكن من ان يبيع واحدة من صورهِ . وبيتهوفن الموسيقي الشهير كان على أعظم جانب من الفقر حتى انهُ لم يتمكن من صنع بذلة رسمية سوداء لدخول الاوبرا وادارة «سمفونيتهُ التاسعة »ففعل ذلك مرتدياً بذلة عادية خضراء اللون . وثيودور روزفلت كان مريضاً ضعيف البنية في حداثتهِ فغالب المرض والضعف حتى غلبهما قبلما صار رئيس امة وصيَّاداً مشهوراً . واضطر ديموستينوس الاثنيّ ان يتغلب على عاهتهِ قبلما صار من اعظم خطباءِ التاريخ . والدكتور جورجاس الذي فاز على الحمى الصفراءِ تلقى علومهُ الطبية في ثوبٍ مرقعٍ بقطع من قبعة قديمة . واذا اراد الكاتب ان يتوسع في ذكر النوابغ الذين من هذا القبيل لزمهُ لذلك مجلد ضخم

فاحتجاج المرأة بان الفرصة لم تتح لها لتظهر مقدرتها ونبوغها تضعف ازاء هذه المصاعب العظيمة التي لقيها اشهر نوابغ التاريخ وتغلبوا عليها

فتجيب النساءُ ان الفتاة تولد يحفُّ بها الشعور بضعفها وعدم مقدرتها فتضعف ثقتها بنفسها ويقضى على املها في القيام بعمل مفيد فتنكمش وتتراجع في ميدان الحياة بدلاً من ان تواجه مشكلاتها وتبتكر طرقاً لحلّها

ولكن هذا القول غير كافٍ لتعليل قلة النابغات . فكل انسان يمرّ في دور يشعر فيهِ انهُ محتقر مرذول عاجز عن القيام بعمل من الاعمال . واذا رجعنا الى التاريخ وجدنا طائفة من امجد صفحاتهِ مكتوبة باقلام رجال ضعاف استمدوا من ضعفهم قوة وانتزعوا الفوز من انياب الفشل . ويرتإي الاستاذ لوبا استاذ الفلسفة العقلية في جامعة برن مور ان في العالم مئات من الرجال اصحاب الاعمال المجيدة دفعهم الى طلب الترقي والتفوق شعورهم بضعفهم العقلي او الجسدي . فسرّ نجاحهم ليس تفوقهم على غيرهم ذكاءً ولكن تفوقهم على غيرهم مضاءً في استعمال ذلك الذكاء وان كان عاديًّا

وهذا هو سرّ انفراد الرجال بالنبوغ الى الآن . فذكاء الرجال ليس اعظم من ذكاء النساء . ولكن الرجال اكثر مضاء في استعمال هذا الذكاء او انهم كانوا كذلك حتى الآن

وسبب ذلك ان في جسم الرجل مقداراً من القوة البدنية اعظم منهُ في جسم المرأة . واذا سألت البيولوجيَّ عن سرّ ذلك اجاب ان السرَّ في الغدد الصماءِ فانهذه الغدد تفرز في الدم مفرزات تجعل جسم الرجل اكبر حجماً واقوى عضلاً وامضى عزيمة . فاذا وقفت بعضهذهالغدد عن افراز مفرزاتها لسبب ما فقدَ الرجل صفات الرجولة التي يمتاز بها . وقد نقل بعض العلماء هذه الغدد من ديكوزرعوها في دجاجة فظهرت في الدجاجة صفات الديك

وحين نفكر في رجل كاديصن يشتغل ١٦ ساعة كل يوم في معملهِ او كبادروسكي جالساً الى البيانو ١٢ ساعة كل يوم للتمرن عرفنا ما هو النبوغ . وقد قال اديصن في ذلك « النبوغ واحد في المائة إلهام و٩٩ في المائة عرق »

ولكن ما هو النبوغ ؟ هل يطلق النبوغ على تلك الاعمال العظيمة التي تستلفت النظر ويشار اليها في صفحات التاريخ كاستنباط آلة او اكتشاف حقيقة طبيعية او تدويخ مملكة او حفر تمثال او تصوير صورة او نظم قصيدة او غير ذلك . ألا يصح ان نطلق لفظة نبوغ على الاعمال الوديعة الهادئة التي تتم في زوايا البيوت من غير طنطنة او اعلان وهي في لزومها لترقية العمران عظيمة وخالدة كالاعمال التي تستلفت النظر ؟ اذا اتفقنا على ذلك فلا بدَّ من ان نحسب النساء اللواتي تفوقن في محبتهن وعطفهن وتدبيرهنَّ لبيوتهن في درجة واحدة من العظمة كالمخترعين والمكتشفين ورجال الفنون

لقد كانت المرأة منذ فجر التاريخ مدفوعة بعامل خفي لتتفوق وتمتاز حبيبةً وزوجة وامًّا وربة بيتٍ . ومن يستطيع ان ينكر عليها تفوقها في ذلك . حتى النساءُ اللواتي يوضعن في مصافّ الرجال من حيث مقدرتهنّ العقلية لم يفقدن هذا الشوق اللجوج . ويقال ان مدام كوري العالِمة الشهيرة كانت سائرة في اميركا بعد الحرب ولما مرَّت امام بيت صغير تحيط بهِ حديقة غناء التفتت الى رفيقها وقالت « لقد كنت اتوق كلَّ حياتي ان يكون لي بيت كهذا »

وفي هذا الشوق نعثر على السبب الاساسي لقلة النوابغ بين النساءِ على ما نفهم من لفظ « النبوغ » عادة . ذلك انهن لا يردن ان يكن نوابغ . بل يردن ان يكن نساءً وحسبهنَّ ذلك فخراً . انتهى عن مجلة العلم العام الاميركية

تعليم الاطفال

ما يجب ان يعلّموهُ وما يجب ان لا يعلّموهُ

اول ما يلاحظ في الاطفال كثرة السؤالات التي يسألونها حالما يتعلمون الكلام ورغبتهم في ان يلمسوا بايديهم ما يرون باعينهم ويغيروا شكل كلّ ما يقع في ايديهم اذا استطاعوا ذلك ويقلدوا كل ما يرون اما بالرسم على الورق او بجبل الطين وعمل التماثيل على صور واشكال شتى

والطفل يكثر من السؤال اعتقاداً منهُ ان ابويهِ وكلَّ كبير غيرهما يحيطون علماً بكلّ شيءٍ وقد جرت عادة اكثر الوالدين ان ينتهروا اطفالهم عند الاكثار من المسائل ظنًّا منهم انهُ من قبيل الفضول في الكلام وهذا وهم اذ لكل معلول علةٌ وعلّةُ اكثار الاطفال من السؤال تنبه قواهم العقلية ونموّها فاذا لم يجبهم والدوهم اجوبة ترضيهم لم يسكتوا بل تحوّلوا الى غيرهم واذا لم يرتضوا باجوبة هؤلاءِ عادوا وقد تولاَّهم الخذلان وخيبة الامل

ومن اعظم اغلاط الوالدين اشتغالهم بشؤون الحياة اليومية عن النظر في مصالح اطفالهم مهملين امر المستقبل تلهياً بالحاضر او تاركين تربية اولادهم للمصادفة او يسلمونهم الى المربيات والخادمات وهنَّ لا يعلمن مطالب الطفولة وواجباتها فيقلنَ في انفسهنَّ اذا كان الوالدون لا يهتمون باطفالهم افنكون نحن اكثر اهتماماً منهم بهم فيشرعنَ في العناية بمظاهرهم الخارجي ستراً لحاجاتهم الحقيقية

ومن عادة الاطفال عند ولادة اخ او اخت لهم ان يسألوا والديهم من اين اتى هذا المولود فيحار بعض الوالدين في الجواب عن هذا السؤال لاسيا وهم لا يريدون ان يضلّوا صغارهم ويجيب آخرون عليهِ بقولهم ان الله بعثهُ وآخرون انهم اشتروهُ او ان القابلة جاءت بهِ . والغالب ان الاولاد يسكتون على امثال هذه الاجوبة ولكنها اجوبة لا تفيدهم شيئاً ولا تبيّن لهم حقيقة . والذين يجيبون بها وباشباهها يعتمدون على قول من قال ان الجهل فضيلة وان اساس العفاف والطهارة قلة المعرفة وحجتهم في ذلك ان نواميس ولادة الاولاد قد حُطت عن مقامها السامي الى الدرك الاسفل فلا يحسن بالصغار ان يطّلعوا على حقيقتها

والحقُّ ان لا ظلام الاّ ظلام الجهل ومعظم الذين ساروا في ذلك الظلام عثروا وسقطوا سقوطاً لم ينهضوا منهُ وقليل منهم وصلوا الى سن البلوغ وقواهم سليمة من الضرّ والاذى . فهل يجب على الوالدين ان يخبروا اولادهم بسرّ وجودهم وهم صغار ويربوهم على المبادىء والتصورات السامية في خلال ذلك . هذا سؤال تصعب علينا الاجابة عنهُ لاننا لا نعلم ماذا تكون نتيجة ذلك . قالت كاتبة انكليزية مشهورة ما يأتي:—

« اذا سأل الولد الصغير امهُ حائراً من صنعني ومن اين اتيت فالغالب ان تجيبهُ على ذلك جواباً اولى بها ان لا تنطق بهِ وان يكن صحيحاً وهو ان الله صنعك. اذ هذا الجواب من حيث الصحة هو مثل قولها لابنها اذا افرط في الأكل واصيب بسوء الهضم ان الله ابتلاك بهِ . أليس خيراً لها ولهُ ان تقول انك اتيت من ابيك وامك يا ولدي فقد صنعت من جسمينا فانت جزء منا . وقد نموت فينا كما تنمو البزرة في الثمرة وحملتك شهوراً طوالاً تحت قلبي حيث صوّرت ولبثت الى ان ولدتك بالتعب والالم . الا يتعلّق قلب الولد بها متى اطلع على نسبتهِ اليها بهذا القول اكثر مما يتعلق بها بالقول الآخر الذي لا يروي بهِ غليلاً فيتطلب الحقيقة حتى اذا وجدها حفظها سرًّا لا يبوح به خشية ان تعدَّ معرفتهُ لهُ جرماً عليهِ »

هذا ما قالتهُ تلك السيدة وليس في تاريخ العمران ما يدلُّ على ان افشاء سر الحمل والولادة للاولاد اسلم عاقبة من اخفائهِ عنهم الى ان يبلغوا اشدهم. ويظهر لنا ان الاخفاء الى سنٍّ معيَّنٍ اسلم عاقبة وان صرف الاذهان عن هذا الموضوع أفاد الامم التي تصرف الاذهان عنهُ كما ان تنبيه الاذهان اليهِ منذ الصغر اضرَّ غيرهم من الامم. اما الاطفال فليس

من الضروري اخبارهم بكل شيء ولا هم يصرون على معرفة كل شيء . واي شيء نعلمهُ حق العلم حتى نخبرهم بحقيقتهِ فاذا قلنا لهم ان اخاكم الصغير هدية من الله لا نكون أبعد عن الصواب من قولنا لهم انهُ من والديكم ولا هو اسهل عليهم ادراكاً من قولنا لهم ان سوء الهضم من كثرة الطعام

وكما يجب على الوالدين ان يطلعوا اولادهم على ما تفيدهم معرفتهُ يجب عليهم ان يخفوا عنهم ما تضرهم معرفتهُ

تهذيب النساء

معرفة النفس باب الصلاح والاصلاح وعليهِ قال احد الفلاسفة « ايها الانسان اعرف نفسك » فان الذي يرى نفسهُ كما هو يسهل عليهِ اصلاح عيوبهِ والذي يرى نفسهُ فوق ما هو تخفى عليهِ عيوبهُ ولكنها لا تخفى على غيرهِ

لا نكاد نتصفح مجلة من مجلات الغربيين الشهيرة او نقرأ كتاباً من كتبهم الاجتماعية الاَّ ونرى فيهما بحثاً في الموضوعات العمرانية التي هي اساس التمدن الغربي كحرية المرأة ومقامها في الهيئة الاجتماعية وما اشبه . والغريب في ما يكتبونهُ عن المرأة عندهم انهم يصفون لك حالها باوصاف لا تكاد تميزها عن المرأة الهمجية فيغضون عن حسناتها ويكبرون سيئاتها قصد الاصلاح لا غير

اطلعنا في جزء قديم من احدى المجلات الانكليزية على مقالة تحت عنوان « تدبير المنزل والامة » قالت فيها ما خلاصتهُ لانهُ ينطبق علينا في بلدان الشرق : —

اذا جلنا في قرى البلاد نرى فيها كثيرين من الاولاد ذوي الاوجه المتقعة والاجسام الضئيلة والصدور الضيقة والافواه التي لا اسنان فيها مثلما نراهُ في اكثر شوارع لندن ازدحاماً . وعليهِ فلا يمكن ان يكون الازدحام سبب ذلك بل السبب الحقيقي الوحيد ان نساءنا لا يعلمن شيئاً من الواجبات التي فرضتها الطبيعة عليهن . فان البنات كثيراً ما يتزوجن ابكاراً وهن لا يعلمن ما اذا كنَّ صالحات لحمل الاولاد ولا كيف يربينهم بعد ولادتهم . وتراهنَّ يفتخرن بما تعلمن في المدارس من العلوم البسيطة فاذا سألتهن اين لننغراد او ما هي طريقة استخراج الفائدة المركبة فربما اجبنَ بالصواب ولكنَّ تمرينهنَّ على الاشغال المنزلية البسيطة على ايدي امهاتهن اولاً وايدي

مربيات يخترن لذلك ثانياً من الامور التي اهملت الآن بعد ما كان المعوَّل عليها في سالف الزمان . وغاية ما تسعى اليهِ البنت اذا لم تتزوج ان تدخل في خدمة التلغراف او تتعلم الكتابة على الآلة الكتابية لا ان تكون خادمة في المنازل. واما التي تتزوج فان في رأسها قدراً كافياً من المعرفة يجعلها تحتقر الاشغال البيتية وتكبُّ على قراءة الجرائد والمجلات الرخيصة الثمن التي تصدر بالالوف لمطالعة البنات اللواتي من طبقتها وتشتري معظم طعام عائلتها ولباسها من الخارج فلا تتعب بطبخ ولا خياطة وهمها الاول فطم طفلها باسرع ما يمكن تخلصاً من تعب الرضاع

وليس ثمت سوى وسيلة واحدة لاصلاح بنية الاولاد وهي تعليم النساء الواجبات المنزلية التي كانت فخر امهاتهنَّ وجداتهنَّ وسبب سعادتهنَّ مثل عمل الخبز والطبخ والخياطة وتربية الاولاد والعناية بانفسهنَّ قبل ولادة اولادهنَّ فان المرأة الانكليزية الآن من أكثر نساء الارض جهلاً لتدبير منزلها وقد كانت افضلهنَّ في ذلك منذ مائتي عام

وربَّ معترضة تقول لماذا اذهب الى المطبخ واراقب ما يجري فيهِ اذا كان عندي من هو اخبر مني بذلك . فالجواب انهُ اذا كانت المرأة تستطيع اقتناء الخدم وكانت الاعمال التي يعملونها على اتمّ المرام كما هي الحال عليهِ في بعض المنازل فلها بعض العذر في اهمال امور بيتها اتكالاً على همة خدمها وامانتهم . ولكن من رأيي ان تطّلع على كلّ ما يجري في منزلها وتراقب كلَّ حركة وسكنة بنفسها ان لم يكن لقصدٍ غير القدوة فكفى

وخير حلٍّ لهذه القضية ان تعلّم المرأة ان تدبير امور بيتها واولادها ليس امراً دنيئاً ولا هو علامة انحطاط عقليّ بل هو غاية وجودها وانهُ ما لم تدرك هذه الغاية لا يحقُّ لها ان تهتمَّ بجمعية ولا برياضة ولا بقراءة كتب الادب ولا بتعلم فنّ من الفنون الجميلة . وليس يصعب على المرأة ان تكون جميلة فتّانة وعالمة بتدبير شؤون بيتها معاً . فان النساء الفرنسويات يجمعن بين هذين الامرين فهنَّ افتن نساء الارض للعقول ومن افضلهنّ تدبيراً لمنازلهنّ والنساء الالمانيات قلما يبالين بالفنون الجميلة ولكنهنَّ صاحبات علم وخبرة في جميع الشؤون وموصوفات بحسن تدبير منازلهنَّ فلماذا لا تكون المرأة الانكليزية مثل الفرنسوية في حسن هندامها وكياستها ولباقتها ومثل الالمانية في علمها وتهذيبها وحسن تدبيرها لمنزلها . انتهى

باب المراسلة والمناظرة

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناه ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان . ولكن العهدة فيما يدرج فيه على اصحابه فنحن براء منه كله . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ويراعى في الادراج وعدمه ما يأتي : (١) المناظر والنظير مشتقان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيره عظيماً كان المعترف باغلاطه اعظم (٣) خير الكلام ما قل ودل . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستخار على المطولة

طاولة الزهر او النرد

في رواية « نال ودامان » الهندية

قرأت في مقتطف شهر مايو الماضي (صفحة ٦٠٠) ان لعبة النرد او طاولة الزهر استنبطت في القرن العاشر بعد الميلاد وفقاً لما نشرهُ المؤرخ الانكليزي جوزيف Strutt (سنة ١٨٠٢) فجئت بهذه العجالة لاثبات ان طاولة الزهر كانت معروفة منذ القرن العشرين قبل الميلاد فقد ورد ذكرها في رواية نال ودامان الهندية وهي من فصول كتاب مهابهاراته الشهير وهو احد الاسفار الثلاثة المقدَّسة عند الهنود ويرجع وضعهُ الى القرن العشرين قبل الميلاد. وفي روايات الهنود ان الناسك ڤياسا الذي طال عمرهُ على الارض (على رأيهم) الوفاً من السنين نظَّم ديوان مهابهاراته وهو يتضمن ٢٢٠٠٠٠ بيت ويعدُّ من اندر المؤلفات الى الآن في فصاحته وقصصه ونوادره وتمثيله العواطف البشرية وآداب النفوس . فترى في ديوان مهابهاراته انباء الحروب والمعارك التي اشتركت فيها الآلهة مع البشر ومناهج الغرام وقانون الآداب وتعاليم الدين والمباحث العلمية والخطب البليغة وغير ذلك ولا يقابلهُ عند الشرقيين في بلادنا غير الايلياذة والاوديسية لهوميروس الشاعر اليوناني الشرقي الشهير

ويُقسَّم ديوان مهابهاراته الى ١٩ فصلاً (او « برفان ») وفي الفصل الثالث منهُ رواية نال ودامان التي نحن في صددها وهي ترمي الى تقبيح لعب القمار وتبيين اضراره

وسوء عقباهُ . وهي طويلة وكثيرة الابواب وتقع في الفين وخمسمائة بيت تقريباً . وحرِيّة بان تنقل الى اللغة العربية ليرى لاعبو القمار غرورهم وغوايتهم وسوء منقلبهم فيما يسترسلون . وحسبنا ان نلمع الى مضمونها وهو انهُ كان وراء نهر الكنج في بلاد الهند مملكة نيشاداه ومملكة فيدرفه وكان على الاولى ملك حازم في شرخ الشباب مشهور بمحاسن جمالهِ ولطف خلقهِ وسرعة خاطرهِ واقدامهِ في الحروب وتضلعهِ من تعاليم « الفيدا » واحكامها حتى اصبح امام عصره ورئيس الدين في بلادهِ وكان يدعى « نال »

وكان على مملكة فيدرفه امير من افاضل الامراء اسمهُ « فيم » ولهُ ابنة فتّانة المحاسن تدعى « دامان » انتشر صيتها في الآفاق وملأ خبر جمالها الاندية والاسماع حتى بلغ مقام الآلهة في السماء. فطلبوها زوجةً لهم فأبت مجاراتهم فعقدوا مجلساً قرروا فيهِ ان ينتقموا منها ولا يتركوها حتى تكفّر عن معصيتها . واوعزوا الى ربّ الشر « اسكار » ان يصبّ عليها جام نقمتهُ اين حلّت وحيث رحلت . ولم يدر احد بما قرّروهُ بشأنها. ولا يخفى ان الامم في عصور الجاهلية جعلوا الآلهة كسائر الانس نفساً وجسداً ولم يعزوهم الاّ بالقدرة والخلود فجعلوا لهم طعاماً وشراباً ومجالس أنس وطرب. ونسبوا اليهم مجالسة البشر في ولائمهم وقالوا انهم يتناسلون ويستولدون الانسيات ويزوجون بناتهم من البشر ويماثلونهم بعواطفهم وشعائرهم وطرق معاشهم وملاهيهم وقصورهم ومركباتهم ومنهم البنّاء والحدّاد والساقي والساعي وهلمّ جرّا

وحان وقت زواج نال ملك نيشاواه فاجتمع اليهِ اقطاب مملكتهِ يحدثونهُ بمحاسن دامان ويحثونهُ على الاقتران بها وهو لم يعرفها . ونما خبرهم الى فيم والدها فاحب لو تمّ ذلك القران السعيد . وكان نال ممن يستميلهُ حب الحسان وتستهويه فتنة الجمال فيعنو لصولتهِ . فخالج قلبهُ حبها واخذ يترقب الفرص للاجتماع بها . وكان يوماً في البراري يتصيد على حسب عادة الامراء . فمرّ به سربٌ من الاوزّ فاحتال على واحدةٍ منها وقبض عليها . واخذ يقلّب نظرهُ في جناحيها فتحركت شفتاها بأعجوبةٍ من السماء وقالت لهُ: دعني واطلقني ايها الامير. فان اكلتني فلا اسدُّ جوعاً وان اطلقتني خدمتك اهنأ خدمةً. قال : وما هي فقالت اني اذهب الى دامان الحسناء اقول لها ان تختارك زوجاً لها دون سائر الامراء وتهنأ هي بك هناءً لا تتمتع بهِ مع غيرك . ففرح نال وقرّت عيناهُ باقوالها وحسبها آية مرسلة من السماء اليهِ . واضمر الحبّ لدامان وبات صريع الغرام من ذلك اليوم

فذهبت الاوزة للحال الى فيدرفه ومرَّت بالروضة التي خرجت اليها دامان وحامت حولها كأنها تقول لها امسكيني فمدَّت يدها وقبضت عليها واخذت تتفرَّس في محاسن خلقها وتكلمها وتأسف على وقوعها بين يديها . فتحركت شفتاها باعجوبةٍ وقالت لها . لا تأسفي على وقوعي بين يديكِ ايتها الحسناء . اني اتيت اعرض عليك الزواج بالملك نال الذي لا يليق الاَّ بك . وقد جئت اليك من عنده وسحرته بحبك فرأيتهُ مغرماً بك وقد خبلهُ حسنكِ . فاطلبيهِ يأتِ على عجل فاطلقت دامان الاوزة للحال وعادت الى قصرها مدلَّهة الفؤاد وباتت تلك الليلة رهينة الوساوس والبلبال حتى اصبحت كاسفة البال وعلى وجهها امارات الاصفرار . فوهم والدها انها مصابة بعلَّة فاراد استدعاء الاطباء فابت الاميرة فكشفت لهُ السرّ . فاستدعى للحال « نال » امير نيشاوا ومعهُ سائر الامراء . فابت دامان الاَّ التزوج من نال فسرَّ بهِ اقطاب المملكة والامراء وتمت الافراح وبعد ان قضى نال معهم بضعة ايام عاد الى مملكتهِ فاستقبلتهُ الرعية احسن استقبال . واسرع الامراء والاشراف يهنئونهُ ويدعون لهُ بالمسرات والافراح

وكان لنال اخٌ اسمهُ بوسكار يقيم في احدى المدن وحدهُ فأوحي اليهِ ان يقصد الى قصر اخيهِ الملك يلعب معهُ بطاولة الزهر وان يكون على ثقةٍ انهُ لا يصاب بخسارة لان الزهر الذي يحكم في الالعاب يعضدهُ وينعم عليهِ بما يريد بفضل رب الشرّ «اسكار» الذي اذا دخل الزهر عكس ما يوافق عدوَّهُ وهيَّأ ما يوافق صديقهُ فتخيل لبوسكار انهُ ملك الملك وهان عليهِ طرد اخيهِ مع زوجته منهُ . وقام من ساعتهِ فقطع الفيافي والانجاد حتى وصل الى العاصمة ودخل القصر فسلَّم على اخيهِ نال وهنأهُ بزواجهِ ودعا لهُ بالسعد والرغد في كل أوان وزمان ثم سألهُ ان يلعب معهُ بطاولة الزهر فقبل وكان الزهر يعاكس نال في كل رميةٍ حتى حار نال في امرهِ وكانت الخسارة تداهمهُ من حيث لا يتوقعها وما شعر الاَّ بفقدهِ امواله كلها مع مملكته نفسها ثم عنَّ لهُ ان يلعب على زوجته دامان فخسرها ايضاً وخرج من قصرهِ بخفيّ حنين لا يدري ماذا يعمل والى أين فاتى بوسكار الى زوجة اخيهِ دامان وأنبأها بما جرى لزوجها من الخسار وسألها اما ان ترحل واما ان تبقى في القصر زوجةً لهُ فأبت نفسها الاَّ ملازمة حليلها الاول وقالت لهُ لا افارق زوجي فحيث يذهب اذهب واني مشاركتهُ في احزانهِ كما شاركتهُ في افراحه . فخرجت مع زوجها نال الى البراري وغضب بوسكار على دامان من تجاسرها على ردّ طلبه ولكي ينتقم منها امر بقطعها من الشعب ومنعها مع

زوجها من كل مخالطة حتى في مقتضيات الحياة الضرورية حتى صار نال ودامان يقتاتان من عُشب البراري واوراق الاشجار وقضيا اياماً طويلة على تلك الحال وهما صابران على مضض البلوى من غير شكوى يقطعان البراري ويتسلقان الجبال ويصارعان الوحوش الضارية والافاعي الهائلة حتى التقيا بقافلة من النسّاك فسألهم نال ان يحسنوا اليهِ بأن يوصلوهُ مع زوجتهِ الى عاصمة مملكة فيدرفه وقصَّ عليهم ما جرى لهُ مع اخيهِ فأمروهُ حالا ان يركب مركبتهم نفسها وغيَّروا السير الذي كانوا يقصدونهُ واوصلوهُ الى فيدرفه مع زوجتهِ .ولبث نال زماناً طويلاً في قصر حميه الى ان جهز لهُ حموهُ جيشاً جراراً فسار بهِ الى القتال لاسترداد مملكته ولما قرب من الحدود خرج اليهِ اخوهُ بوسكار وكان جباناً « خوّاراً » لا يرد عليهِ ذكر القتال حتى يخلع قلبهُ وتتزلزل قدماهُ وقال لهُ يا اخي قد ربحت منك الملك بزهر الطاولة فما اولاك ان تستردّهُ بزهر الطاولة كذلك . على ان الآلهة كانوا قد غفروا ذنب دامان وحسبوا ما تكبدتهُ من الاتعاب والجوع والعري في البراري والجبال كفَّارةً تامة عن معاصيها فلم يتعرَّضوا هذه المرة للزهر فغلب نال اخاهُ في كل لعبةٍ وكل رمية . فاستردَّ الملك مع امواله وخزائنه وطرد اخاهُ بوسكار خارج المملكة واصدر الامر باعدام كل من لعب بزهر الطاولة لغير التنزه وترويح النفس . انتهت الرواية

أما طاولة الزهر التي كان الهنود يلعبون بها في تلك العصور الخالية فكانت على هيئة صليب مربَّع متساوي الاطراف وحجارتها كانت نفس حجارة الشطرنج وعددها ١٦ وكانوا يسمونها « اكشنجا » من « اكشا » الحجرة الواحدة والربع الذي تدور فيهِ « اكشافاتا » والقاء الزهر « اكشابانا » واللعبة كلها « اكشاديانم » واللاعب « اكشافايا » وربما اتينا على تفصيل اللعب نفسه ايضاً فنكتفي الآن بما ذكرناهُ

الارشمندريت الياس اسطفان

رئيس كنيسة السوريين الارثوذكس في الاسكندرية

علاقة التاريخ بالعلوم والآداب

ان الغرض الذي يخدمهُ التاريخ يمتّ الى العلم والادب بسبب. ولتعرُّف هذا السبب يجب ان ندرس اغراض العلم واغراض الادب

ان اغراض العلم الخالص واضحة ، فهو يعلمنا كيف نحصل على الغذاء ، والدواء ،

واللباس، وسرعة الانتقال من مكان الى آخر، والتراسل والاتصال مع ملايين الناس. وبمساعدة العلم الحديث زادت ثروة الناس المادية ، وتوفرت لهم اسباب الرفه والسعادة وان كان قد احتكرها فريق من الناس دون الفريق الآخر — وعلى العموم فهذه الزيادة الهائلة في قوى الانسان في حياتهِ الحاضرة بخيرها وشرها هي من عمل العلم الحديث . وفوائد مكتشفات العلوم الطبيعية الحديثة ومساوئها واضحة لنا جميعاً

واغراض الادب الخالصة وفوائدهُ واضحة كذلك — فهو يدخل السرور والعزاء والانتعاش على افكار الانسان . وفيهِ تهذيب لعقلهِ وروحه معاً

بقي ان نعرف اغراض التاريخ ومزاياهُ حتى نميز علاقتهُ بالعلم والادب . اما التاريخ فلا يقوم بما يقوم بهِ العلم الخالص مما اسلفناهُ . فمباحثهُ لا تزيد شيئاً في قوة الانسان المادية ولا في رفهه وسعادتهِ . حتى فرع التاريخ العلمي — التنقيب العلمي — فالجانب العلمي فيهِ انما هو في الاسلوب فقط . وبذلك لا يمكن ان تجاري نتائجه العملية في الاهمية نتائج المكتشفات في العلوم الطبيعية

فاكتشاف «كارتر» وزميله لمدفن «توت عنخ امون» لم يحدث أي تغيير في كيان المجتمع الاقتصادي ولا زاد في مقدار تسلط الانسان على الطبيعة . وقيمة اكتشافهِ الوحيدة تنحصر في توسيع الفكر البشري وفي زيادة تصور الانسان الماضي . فالحلي الثمينة والاثاث النفيس والآنية التي وجدت مطمورة في قبر ذلك الملك منذ آلاف السنين كلها مناظر جديدة مثيرة لنا جميعاً ولكنها لا تحدث أي تغيير مادي في العالم . فهي قد غذت أرواحنا فقط ولم تغذ جسومنا قط

فاذا اعتبرنا التاريخ كعلم . فمن ناحية النتيجة لا يمكن ان يكون لهُ من الشأن ما للعلوم الطبيعية. فضلاً عن ان التاريخ من ناحية الاسلوب والنتيجة ليس من الدقة والتحقيق كذلك الذي يمكن ان يقررهُ العالم في المعمل . فاي غاز او سائل لا يمكن تحليله بدقة كاملة . بعكس اي عصر من العصور او ثورة من الثورات . لان العصر او الثورة يمكن رسمها من الخارج فقط وبطريقة غير مضبوطة ، ولو كان مؤرخ احدها من كبار علماء التاريخ . اذ لا يمكن التحقق من اكثر من واحد من البليون من الحقائق التي كونت عوامل الثورة واحوالها او هيأت اسباب العصر الذي يراد شرحه . فمثلاً تحليل الثورة الروسية علميًّا يستلزم من بين الاشياء الكثيرة اللازمة لهذا التحليل معرفة كل حركات العمال في اوربا كلها منذ عهد الثورة الصناعية الى الآن . ورغم عدم ضبط التاريخ واستيفائه

اذا قيس بالمقياس العلمي فعمل المؤرخ يستحق العناء الذي ينفق عليه لان كتابة عصر او تحليل ثورة امتع والذ واكثر سوغاً للنفس من تحليل غاز او سائل

فالتاريخ علم ما دامت الروح التي يجمع بها ويرتب روح علمية ولكنهُ عند الشرح والاستنتاج يخرج الى ناحية اخرى . فتسقط عن المؤرخ تلك الصفة التي يتصف بها العالم الطبيعي . وعليهِ اذا كان من الضروري تقييد التاريخ في الاسلوب والنتيجة اذا اريد اعتباره كعلم خالص كذلك يجب تقييده اذا اريد اعتباره كادب خالص . وان كان لا يمكن تحديد مدى هذا التقييد بالضبط . فامثال « جبون وكروبتكن » يمكنهم ان يستخدموا ما يشاءون من الادب في كتاباتهم . اذ لديهم من المقدرة والذكاء والاستعداد ما يبيح لهم ذلك

اما على العموم فليس للتاريخ من الحرية الادبية ما للادب الخالص اذ يلزم ان يكون التاريخ رق الحقيقة . والا فقد اسم « التاريخ » . كما يجب ان لا يعتمد في مادة سرده على المخيلة — كما في الشعر والقصة — ولكن يجب الاعتماد فيها على الاسلوب العلمي الدقيق الذي يستعمل لاخراج حقيقة الماضي الصريحة

ويندر جدًّا ان يكون المؤرخ لا بل حتى « مؤرخ الحياة » على مقربة من مناظر الدرامة البشرية كما يتهيأ للروائي او الدرامي الذي يمكنهُ ان يكون في قلب الاشخاص الذين بدعهم بنفسه . وقد يكون « كرمول » كانسان امتع من « هاملت » لان الاول كان لهُ وجود . اما الآخر فمن خلق المؤلف . ولكننا لا يمكننا ان نعرف « كرمول » بالفعل كما نعرف « هملت » لان تدوينات التاريخ اقل التصاقاً باصحابها من القصة

صحيح ان « شكسبير » قد عالج موضوعات تاريخية فجعلنا نعرف « ريكاردُس الثاني » و « مرقس انطونيوس » عن طريق شروحهِ التحليلية لهما ولكن شروح التاريخ في العادة انقص واقل في التصوير من تصوير شكسبير لهذين الشخصين . على ان شكسبير لم يحاول قط عملاً تاريخيًّا ولكنهُ استخدم الشعر والقصة في موضوعات تاريخية . وهذا بالطبع لا يعد حقيقة تاريخية ولو ان التاريخ هو الذي اوحى بهِ

ومن جهة اخرى عند ما كتب المؤرخ الامريكي الشهير « جون ريد » عن الثورة الروسية ذكر الاشياء التي شاهدها بالفعل والاقوال التي سمعها بنفسه تاركاً للقراء الاثر الذي يحسون بهِ . فهو احد مشهوري المؤرخين لانهُ دوَّن بصدق حوادث الثورة وتأثيرها الفعلي مع الاقتراب من اشخاصها وهذا مما لا يوجد عادةً الا في القصة وحدها

وعدا تقصير التاريخ عن قوة تصوير الاشخاص عن كثب فانهُ يكابد نقائص اخرى، فترتيب الوقائع واوضاعها لا يمكن اخراجها بالضبط اذ كثيراً ما تتأخر النتائج احياناً فيضل الاستنتاج . وحتى تتناسب « الحقائق الفنية » مع مطالب «الحقائق التاريخية» يلزم المؤرخ ان يدور ويجتزىء

ويندر كثيراً ان تكون الحقائق التاريخية في غرابتها وتأثيرها اكثر مما عليهِ أية قصة . وعند ما تقع فرصة فذة في يدي استاذ من اصحاب القصص التاريخية (كثورة ١٦٨٨ في يدي ماكولي) نحصل على كتابة ممتعة غير عادية اذ يسير الفن والتاريخ معاً في تطابق تام . ولكن هذه الفرص الفذة نادرة فالتاريخ ادب في قمته ادب في مصاعبه

وهذه المصاعب هي التي تعطي التاريخ قيمته ففيها تسلية للقراء ومشغلة لفراغ الطلبة. اذ لذتنا في التاريخ تتوقف على مقدار اعتقادنا في صحة الحوادث التي يمكن تمثيلها والتي كان لها مرة وجود في زمن ومكان ما ، مهما يكن التمثيل ناقصاً

واذا اراد المؤرخ ان يرسم صورة صحيحة لعصر من العصور الماضية فهو في حاجة الى روح علمية لشرح العصر وفي حاجة كذلك الى فن الادب لكي يستطيع رسم الصورة التي بناها على اساس الحقائق . لان الحقيقة التي قامت في الماضي مع كل ما احاطها من التقييدات لا يمكن ان تسرد فقط في شكل احصائيات او في عدة حقائق صامتة . لان الماضي كان حيًّا تتقد في حوادثهِ حرارة الحياة . فعلى المؤرخ ان يعرضهُ للقراء مملوءًا حرارة وحياة اولاً . فالتاريخ الهادئ تاريخ كاذب لان الماضي للواقع لم يكن هادئاً . ومع هذا يلاحظ ان التاريخ الذي تلتظي في صفحاته حرارة الحياة يميل كثيراً عن جادة الصواب وخصوصاً اذا ما كانت حرارته مستمدة من التصور الشخصي لا من حياة الماضي كما هي

وعليهِ فالتاريخ اصعب انواع التآليف لانهُ يستلزم اتحاد الاساليب العلمية والادبية وهذا مما لا يكمل في مؤرخ واحد وعلى ذلك لا توجد تواريخ كاملة

وعدا هذا توجد انواع مختلفة من التاريخ وانواع مختلفة من المؤرخين ففي مكنة عالم واحد ان يفهم ما يلزمهُ فهمهُ عن بعض المسائل ولكن ليس في مكنة مؤرخ واحد ان يفهم كل ما كان في عقلية عصر او امة اذ ماضي الانسانية كبير جدًّا لا يحويهِ دماغ فرد واحد

ومما اسلفنا يظهر مدى اتصال التاريخ بالعلم والادب وعدم مكنة تجريده عن احدهما او عنهما معاً

محمود حسني العرابي

مكتبة المقتطف

المدرسة والاجتماع

تأليف الاستاذ جون ديوي — ترجمة الاستاذ متري قندلفت — صفحاته ٢٠٤ قطع صغير
طبع بمطبعة المعارف بمصر ويطلب منها

في هذا العصر الذي ارتقت فيهِ العلوم ارتقاءً سريعاً وتعددت فروعها ومناحي البحث فيها وكثرت مشاكل الحياة وتعقدت اصبح الطلاَّب ازاء المعارف التي يتلقاها في المدارس الابتدائية والثانوية والجامعة وعلاقتها بمعترك الحياة كركاب سفينة ضلّت طريقها وفقدت ربَّانها. لان حشو الدماغ بحقائق منثرة او منتظمة لا يفيد شيئاً في معترك الحياة الاَّ اذا جعلت مناهج الدرس شديدة الاتصال والارتباط بالحياة اذ بذلك يُعمَّد الطالب ليكون عضواً في المجتمع يأخذ منهُ ويعطيهِ شأن كل كائن حيّ. ولذلك نشأت فلسفة تعليمية جديدة كان الاستاذ جون ديوي الاميركي زعيمها واكبر الداعين اليها. وهذه الفلسفة تقوم على اركان كثيرة اهمها ركنان. الاول: ان التلميذ لا يتعلم شيئاً ما لم يعملهُ. وهذا القول يصدق على حقائق العلوم الطبيعية كما يصدق على تعلم المبادئ الادبية. والمعلم العصري يجب ان لا يكتفي بتعليم تلميذهِ « عن كذا وكذا » بل يجب ان يعلمهُ الشيء بممارستهِ. والركن الثاني هو ان التعليم يكون على اتمهِ اذا تناول كل قوى التلميذ العقلية لذلك يُعمد الآن الى تدريس بعض العلوم بتدريس سير نوابغها لان للسيرة الشخصية اثراً حيًّا في نفوس الفتيان والفتيات لا تجدهُ في كتب التعليم القديمة التي تذكر الحقائق مجردة من شعلة الحياة تثيرها وتنيرها

هذه هي فلسفة التعليم الجديدة التي يقتضيها العصر وضع اركانها ودعا اليها كما ذكرنا الاستاذ ديوي الذي يحسب اعظم فلاسفة الاميركيين ومن اكبر الفلاسفة المعاصرين على الاطلاق. ويسرنا ان الكاتب المجيد الاستاذ متري قندلفت قد عني بترجمة كتاب ديوي «المدرسة والاجتماع» الذي فُصّلت فيهِ قواعد هذه الفلسفة الجديدة والبواعث عليها واساليب تحقيقها. وقد قيل انهُ كان من اعظم المؤلفات اثراً في نهضة اميركا العلمية الحديثة فاحرِ بهِ ان يكون ذا فائدة كبيرة في معاهد الشرق. وعسى ان ينال

من الذيوع بين ارباب المدارس والمعلمين والقائمين على تدبير شؤون التعليم في مصر وسوريا والعراق ما يجعلهُ ذا اثر في نهضة الشرق العلمية كما كان ذا اثر في نهضة اميركا . وحبذا لو عني المترجم بوضع ملحق لهُ يطبق فيهِ القواعد الاساسية على براج التعليم في الشرق العربي

نسمات وزوابع

تأليف نقولا يوسف نيوفتوس — صفحاته ٢٠٢ قطع صغير — طبع بالمطبعة العصرية بمصر

مقالات من النثر الشعري في موضوعات خيالية وشعرية عناوينها تدلُّ عليها منها «صوت الامل» و«الصباح» و«اغنية الخريف» و«شجرة السعادة» وغيرها

قرأنا هذه القصائد النثرية فخيّل الينا انها بنات خيالٍ خصب ولكنها ليست آهات نفس شاعرة متأثرة تريد ان تفرج كربها او ان تعرب عن غبطتها . لان النفس الشاعرة المتأثرة لا تعمد الى هذه الصور المبهمة اذا شاءت الاعراب عمّا يخالجها . ولقد قرأنا من هذه القصائد عشراً او اكثر فكانت صور التعبير تخفي عنا حقيقة ما يرمي اليهِ الكاتب من وصف شعور او التصريح بحقيقية . فقد ضاعت معانيه وراء مصطلحات مثل «الينابيع الروحية القديمة» و«الموارد القدسية الحلوة» و«تائهاً في اشعة جمالك» و«تفريد العناصر» و«ديجور الاشواك» وما اليها

واي ظل للحقيقة في وصفهِ «للاعمى» الاَّ رصف الالفاظ في وصف العباب المربدّ واليم المظلم والعالم الادكن والفضاء الجهم

كذلك لا ندري الفائدة من ذكر عشرين إلهاً من آلهة المثولوجية اليونانية في مقالة لا تزيد على صفحة او صفحتين من صفحات المقتطف . لا ريب في ان درس الآداب اليونانية واللاتينية القديمة اساس التعليم «المدرسي» Classical ولكن طائفة كبيرة من فلاسفة التعليم المعاصرين يقولون بغير ذلك . يقولون بتعليم الآداب القديمة لمن يريد ولكن يجب الاَّ تكون جزءًا لا مندوحة عنهُ في براج التعليم العصري لان الحياة قصيرة وما يجب ان يتعلمهُ الانسان كثير والتعليم لا بدَّ ان يكون متصلاً بالحياة ليكون ذا فائدة . وماذا يهم ابناء العصر اذا كان الاله جوبيتر تزوج من الالاهة «سري» فولدت لها بروسبرين او برسفون . وهذا لا ينطبق على اسماء الآلهة المشهورين الذين صارت اسماؤهم جزءًا من كل لغة لانها اصبحت بمثابة اعلام للمعاني التي خُلقوا لها اولاً كفينوس

للحب ومترقًا للحكمة ومارس للحرب . وماذا يفيد ابناء العربية ان يقرأوا في مقالة واحدة اسماء هيبراس وايراباس وپلاتو وبروسبرين وثيمس وهيبية واتون وحرخيس لم ونكاد نجزم اننا لا نجد احداً من شبابنا المتعلمين ولو كان من خريجي كلية الآداب في اكسفرد او كمبردج يستطيع ان يدرك المعاني التي يقصد اليها بذكر هؤلاءِ الآلهة من غير ان يراجعها في معجم خاص بذلك

الاّ ايها الكتاب هاتوا في كتابا تكم اسماء غاليليو وكوبرنيكس وبيكون ولاپلاس ونيوتن وكانت وهلمهلتز وفراداي وباستور واديصن وفورد وامندصن وبرد، هؤلاءِ هم آلهة الحياة لابناءِ القرن العشرين. فبالانوار التي تشع من عقولهم ونفوسهم النيرة المنيرة نهتدي في طريق الحياة وعلى المبادىء التي كشفوها والمستنبطات التي استنبطوها والمذاهب الفلسفية التي ذهبوا اليها نشيدحضارتنا ونبني نفوسنا .نحن لا نقول انالشعر ليس لهُ مكانة سامية فيحضارة شعبلا تنا لعتقدمع شلي« ان الشعراء هم الابواقالتي تنفخ بها الى القتال وانهم المشترعون الذين لم يعترف بهم الناس » ونقول مع الشاعر العربي

ولولا خلال سنها الشعر ما درى بناة المعالي كيف تبنى المكارم

ولكننا نقول ان الشعر يجب ان يستمدَّ وحيهُ من الحياة ويكون مرآةً لها والاّ فهو لا يعزي ولا يسرّ ولا يثير . واية فائدة تجنى منهُ حينئذٍ

هات يا شاعر غنّنا الشعور الذي يثيرهُ فيك هؤلاءِ الابطال الذين يقتحمون المصاعب والاهوال في الاصقاع المتجمدة الشمالية آناً والصحارى المحرقة او عباب اليم او عناصر الهواءِ آونة فاخبارهم تملأُ صفحات الجرائد كل يوم . هات غنّنا بطولة الاطباء الذين يتقدمون للموت بقدم ثابتة وثغر باسم ليثبتوا سبب مرض من الامراض الفتاكة ويحققوا وسيلة لمكافحتهِ والوقاية منهُ فيكون موتهم مرقى يرتفع عليهِ العلم والعمران الى مرتبة اعلى . هات غنّنا صبر العلماءِ ومثابرتهم وجلَدهم في البحث عن الحقيقة مهما يقم في وجوههم من المصاعب والعقبات . هات غنّنا لوعة المبدعين من موسيقيين وكتاب وشعراء وغيرهم من ابناء الفن الذين عانوا مضض الجوع والاعراض والاحتقار احياناً فلم يقعدهم ذلكعن تصعيد تلك الزفرات الالهية انغاماً شجية وصوراً فتانة وتماثيل كانها قطع من الحياة سكنت فيها معاني الروح

بامثال هؤلاء يتمجد الانسان وتبنى الممالك وتشيد اركان الحضارة وترتفع النفوس بالتسبيح والاجلال الى عرش الاله

تقويم النيل

لصاحب السعادة امين سامي باشا

يحتاج الباحث في تاريخ مصر ولاسيما في القرون الوسطى الى مطالعة كتب شتى مطولة بعضها لمؤرخين تعوز رواياتهم الدقة وبعضها الآخر لاجانب لا يتيسر لكل طالب الوصول الى مؤلفاتهم ولذلك كانت الحاجة ماسة الى تاريخ عربي يجمع الحقائق من مختلف مظانها ويدقق في تحريها ويدع الزوائد جانباً ويقتصر على الجوهر بشرط ان يكون ممن توفروا على درس التاريخ وأقاموا على مطالعة مطولاته ووهبوا مزية التفريق بين الغث والسمين والتمييز بين الحق والباطل وقد أتاح الله لمصر هذا المؤرخ الكبير وهو صاحب السعادة امين سامي باشا عضو مجلس الشيوخ فأصدر الكتاب الموسوم « بتقويم النيل » وأتم الجزء الاول منهُ فقال جميع الذين اطلعوا عليهِ انهُ سد هذا النقص على أحسن ما يرام . وبين أيدينا الآن الجزء الثاني منهُ وهو من ابتداء استيلاء الدولة العلية على مصر الى آخر ولاية المغفور لهُ ابراهيم باشا بن محمد علي باشا وقد فصل فيهِ المؤرخ الكبير الحوادث التي وقعت في خلال هذه الفترة على طريقة علمية وأتى بها منسقة تنسيقاً حسناً واضحاً لا تعقيد فيهِ ولا ابهام ونظمها في سمط من التسلسل التاريخي الدقيق يوماً يوماً وشهراً شهراً ذاكراً أحوال مصر وما فعلهُ الولاة الذين حكموها من قبل الدولة العلية ثم اخبار الحملة الفرنسوية بقيادة بونابرت ثم رجوع مصر الى الدولة العلية وولاية محمد علي عليها بعبارات سلسة هي السهل الممتنع

وقد قال سعادة المؤلف في تقديم كتابهِ الى الجمهور ما يأتي صفحة ٢٧ :

«ولقد اجتزت القرون التي تخص هؤلاء الولاة الذين تولوا من قبل عصر محمد علي باشا ذاكراً من حوادثهم أهمها الى ان وصلت الى عصر محمد علي باشا الذي يهم الناس ذكر حوادثه مفصلة لأهميتها من جهة ولاتصال تاريخنا بها اتصالاً تاماً من جهة أخرى ، لذلك رأيت عند الشروع في الكلام عليه ان من الضروري ان اتوسع التوسع الكافي في إيراد أعماله الجيدة التي لايكفي لبيانها جزء من كتاب بل تحتاج الى عدة كتب قيمة إذ سيرته الغرّاء تجذب القلوب بمغناطيسها لانه احيا مصر بعد سقوطها وانتشلها من وهدتها — هذا الرجل المتمحض في الوطنية والاخلاص في كل عمله والذي جعل مصر ترتقي الى اوج السؤدد والفلاح حتى اصبحت في عصره في مقدّمة

الدول صاحبة الشأن لانه بارتقائه أريكة الحكم جلس معه على تلك الاريكة يشاركه في حكمه العدلُ والدينُ الصحيح

« ولقد خدم الملا باسره بتقديمه له صورة عقلية تشخص للناس حقيقة الجمع بين الروحانية والشجاعة ولقد تذكرنا حوادثه الشهيرة العظيمة الشأن التي تقدّم للمطلعين فوائد غراء تنطبع في مخيلاتهم منقوشة على احجار لاتقوى معاول الدهر على محوها فلقد كان رجوع العلم الى ربوعه معقوداً بنواصيه والتأسيسات التي كانت وسيلة للنتيجة الميمونة الطالع لانشاء الجيش المصري بالنسبة للتمدين لان الحرب وان كانت مجلبة للمصائب التي تتبعها فانها كانت من اقوى البواعث على ايجاد التمدين

« فانهُ ما من انقلاب ميمون الاَّ كان منبعثاً عن حرب متوَّجاً باسم فاتح فان أعظم الرجال الذين تركوا من بعدهم من جميل الذكر ما بهر العقول مثل الاسكندر وقيصر وشرلمان ونابليون ، كانوا قبل كل شيء محاربين وكان حضرة صاحب النبوّة والرسالة صلوات الله عليه وخليفتاه ابو بكر ، وعمر رضوان الله عليهما وساكن الجنان محمد علي باشا — كانوا قبل كل شيء مجاهدين ولا يوجد برهان على تأثير الحرب مباشرة في جميع فروع التمدين احسن مما جاءت به في حالة مصر

«ذلك ان كل شيء فيها كان على قدم الاجراء والعمل وكل شيء بدأ في عالم الوجود عقب الترتيبات العسكرية فمحمد علي باشا الذي ادرك مزايا فن تعبئة الجيوش ولزومه قبل كل شيء ان يجدَّ في البحث عن تقوية نفسه ورأى انه لاينال ذلك الا بقوة السلاح كان شغله الشاغل في تشكيل جيش فكان جيشه في الحقيقة جالباً لاستتباب الامن داخل البلاد ناشراً لواء سطوته في الخارج

«فتشكيل جيش منظم انتج النتائج العمومية الجزيلة الفائدة الكثيرة العائدة لمصر التي سبق التنويه بذكرها في هذا الجزء فأوجد النظام المحكم في قطر كان لايعرف الا الفوضى والهمجية وكان معرضاً لسلب ونهب وإيذاء العساكر الاشرار الظلمة الذين كانوا به من قبل وأمرائهم

« وبذلك انتظمت الامور ووجدت القوة وحل كل ذلك محل الانحلال والضعف ورفع شأن الامة العربية واهلها لسريان الروح الملية فيها واباء الضيم والتعويل على نفسها وهي الصفات اللازمة لامة مستقلة ، ومن طالع سعد مصر ان النتائج العملية التي بدت في الحال كثيرة متعددة في لفت الانظار بل ويمكن ان يقال انها كانت السبب

في جميع انواع التقدم والرقي الذي تكامل في مصر في تلك الحقبة »

وقد اهتم صاحب السعادة سامي باشا بنوع خاص بذكر مقاييس فيضان النيل من سنة ١٥١٧ الى سنة ١٨٤٨ ميلادية وعانى في سبيل جمع هذه المقاييس متاعب جمة حتى ظفر بها ما عدا بضع سنوات في اوائل حكم محمد علي وهو لا يزال مجداً في البحث عنها وقد اهتمت مصلحة المساحة على عهد الكابتن لايونس ومن اتى بعده من المديرين بكتاب سامي باشا هذا وطلبت منهُ مراراً ان يوافيها بنتائج بحثهِ في أمر المقاييس

وتوخى سعادة المؤرخ الاسهاب والتفصيل في تاريخ محمد علي فذكر اعماله الحربية واصلاحاته للادارة المصرية ولصناعة البلاد وتجارتها وجيشها وكل ما يتعلق بها وما انشأهُ من المدارس وما ارسلهُ من الرسالات العلمية الى أوربا وجمع في ذلك معلومات ثمينة من مصادر رسمية ولاسيما من دار محفوظات الحكومة ونشر بعض الوثائق في صورتها الاصلية وزين الكتاب بصور نادرة وبالجملة فان في هذا الجزء من كتاب « تقويم النيل» من المعلومات ما لم يسبق لغير سامي باشا نشره او تحقيقه فالكتاب يعد من اوثق المصادر لتاريخ لمصر في الحقبة التي اشرنا اليها

فنهنئ امين سامي باشا بما وفقهُ الله اليهِ من هذه الخدمة العلمية التي قدمها لبلاده ونرجو ان يكثر بين عظماء مصر العلماء المحققون والمؤلفون المدققون أمثاله

قبض الريح

تأليف ابرهيم عبد القادر المازني — صفحاته ٢٢٢ قطع صغير — طبع بالمطبعة العصرية بمصر

«انا الجامعة كنت ملكاً على اسرائيل في اورشليم ووجهت قلبي للسؤال والتفتيش بالحكمة عن كل ما عمل تحت السموات . . . . فاذا الكل باطل وقبض الريح »

«وانا ايضاً كالجامعة وجهت قلبي الى المعرفة وامتحنت نفسي بالسؤال وعللت روحي بالتفتيش . بنيت لنفسي امالاً . غرست لنفسي اوهاماً . عملت لنفسي جنات وفراديس غرست فيها احلاماً من كل نوع ثمر . . . وهذا كان نصيبي من كل تعبي . . . قبض الريح

« واستنفد العناء مجهودي كما تنفد السحابة أراقت ماءها على الارض»

هكذا يتقدم المازني الى القارئ في ضعة ودعة معللاً تسميتهُ لكتابهِ قبض الريح وآثار اللوعة والالم والمرارة تبدو في كل كلمة من كلماتهِ . فهل هذه المرارة ناجمة عن كونهِ يشعر بانهُ يزداد جهلاً لاسرار الكون كلما ازداد علماً واطلاعاً . فهو اذن

الحكيم الذي يدرك تقصيره عن ادراك اسرار الكون والحياة ولكنهُ بادراكه هذا وباعترافه اكثر حكمة واوسع علماً من المدَّعين . وهو لذلك حريٌّ بالمطالعة

وتلي مقدمتهُ مقالتهُ الاولى وفيها اشارة الى طريقتهِ في الكتابة والمطالعة . ولعلَّ هذه المرة الاولى يسير بنا احد كتابنا الى مخادع نفسهِ ويطلعنا على اسرار صنعتهِ . اصغ الى قولهِ : « وما اظن بي الاَّ ان الله جلت قدرتهُ قد خلقني على طراز عربات الرش التي تتخذها مصلحة التنظيم — خزان ضخم يمتلئ ليفرغ ويفرغ ليمتلئ . وكذلك انا فيما ارى . احس الفراغ في رأسي وما اكثر ما احس ذلك فاسرع الى الكتب التهم ما فيها واحشو بها دماغي . . . . حتى اذا شعرت بالكظة وضايقني الامتلاء رفعت يدي عن الوان الغذاء وقمت عنهُ متثاقلاً متثائباً مشفقاً من التخمة فلا ينجيني الاَّ ان افتح الثقوب واسحّ » ! .. ولعلَّ الاستاذ اراد ان يشير الى طائفة من الكتاب يعمدون الى الكتب يلخصونها او يترجمونها او يجمعون فصولاً يطلقون على مجموعها اسم كتاب تأليف فلان . فعمد الى هذه الصراحة يؤدبهم بها

على ان من يقرأ المازني لا يستطيع ان يعود بكل ما يقرأهُ في كتاباتهِ الى آراء وافكار التقطها من الكتب وقدمها حبراً على ورق من غير ان يصهرها في بوتقة من التأمل والتمحيص ويمزجها بكثير من الشعور والنظر الخاص ثم يخرجها اراء هي للمازني كما هي للرجل الذي يتهم المازنيُّ نفسهُ بانهُ نقل عنهُ

والكاتب الذي يستطيع ان يقول «وكثيراً ما يدفعني الى الكتابة احساس غامض الا انهُ من القوة بحيث لا يسعني مغالبتهُ فاتناول القلم وانا كالمسحور وكأن القلم هو الذي يثب الى يدي كما ينجذب الحديد الى المغناطيس . . . » نقول ان كاتباً يستطيع ان يقول هذا القول لا يمكن ان يكون الاكتظاظ المجرد سرَّ اندفاعهِ الى الكتابة كما ان الماء في عربة الرش قد يبقى فيها الى ان يأسن لا يدفعهُ الى السحّ ما «يدفع الكاتب من احساس غامض لا يسعهُ مقاومتهُ » وهذا هو سرُّ الكاتب المبدع وبهِ يختلف عن المترجم المأجور

ورأيهُ في الكتب ايضاً مشوب بشيء من المرارة فبعد ما كان في اول عهدهِ بها يذهب الى حانوت الكتب وينصرف منهُ « باثقل من حمل حمار » «ويغرق فيها بقية الشهر الى ما فوق الاذنين ان كان فوقها شيء يستحق الذكر » انقلب على الكتب وهو يقول «فلا انا افدت شيئاً سوى قمع الشباب . . . ولا انا فهمت الحياة كما ينبغي ان تفهم

او سددت نقصاً في تجاربي او استطعت ان استغني بظاهر هذا التجريب عن التجريب الشخصي وشر من ذلك اني اطلعت من هذه الكتب صورة او صوراً للحياة ليس اكذب منها ولا ابعد» ولكنه مع ذلك «تعاوده الحمى القديمة احياناً ويتناوبهُ الحنين الماضي الى الكتب . . . »

وهذا الكتاب نظرات في كتب حملهُ هذا الحنين على النظر فيها ولا يتسع مجال هذا الباب للنظر في نظراته فاكتفينا بالنظر في مقالته الاول « بين القراءة والكتابة » وهي الاولى من نوعها باللغة العربية على ما نعلم

القفص المهجور

نظم يوسف غصوب — طبع بمطبعة جدعون ببيروت

قطعة من الشعر أضيف اليها عشر قطع مثلها ، وصُدرت بمقدمتين ، فبلغت ٩٦ صفحة ، ممتازة بجمال في التنسيق والترتيب والطبع ، قدّمها ناظم ابياتها الاديب يوسف افندي غصوب « الى النفوس الموحشة ، المتألمة ، العطشى الى الحب والسعادة »

اما المقدمتان فلكاتبين معروفين ، أحدهما وديع افندي عقل : يصف المجموعة بانها « شعر ، لمثولها شعوراً روحانيًّا بسيطاً ، لا مركباً لفظيًّا أجوف » ويقول عن الشاعر غصوب انهُ « لم يتعدَّ في منظوماته هذه حدَّ المنحى الواحد من مناحي الشعر، اي انهُ جاء بها كلها شجية باكية تذوب أسىً وتألماً وتنتفض يأساً وقنوطاً » — والثاني عمر افندي فاخوري : يعرّفنا بان « يوسف غصوب أحد شعراء العصر الذين تأدبوا بآداب الفرنجة واقتبسوا من ثقافتهم » وان قراء مجموعته يجدون « آثاراً واضحة من تلك الآداب والثقافة » ويصف اسلوبهُ بانهُ « عربي مبين لا سمة للعجمة عليه » « وأن لهُ حظًّا من الموسيقى اللفظية غير يسير » ويرى ان القفص المهجور « حادث أدبي ذو شأن : زهرة نضرة في هذه الايام الجديبة ، في بيداء حياتنا الادبية »

وقد تصفحنا المجموعة فاذا شعر رقيق ، حسن التخيل ، هادئ ، فيه تصوير وصناعة ، وجدّة . وربما تطرف الناظم في الحرص على الاتيان بالجديد ، فزاد شطراً في مكان لا نرى الموسيقى الشعرية ترضاهُ ، ولا الصناعة ، كما فعل في « وحشة القلب » فزاد « علني واجد شقيقة نفسي » و « عيل صبري أيا شقيقة نفسي » ولم يحسن اختيار مكانهما في القصيدة . وربما عصته الالفاظ فقال غير ما يريد او غير ما يمكن ان يراد ،

كما يُرى وهو يرقب طلوع حبيبتهِ عليهِ في قصيدة « الانتظار » يقول :

أتُرى من مطارف الليل تبدو كرجاء من ظلمة الاكدار (؟)
توسع الخطو َخشيةً ، وخُطاها توقظ الحب في صدور البراري (؟)

والرجاء لا يبدو من ظلمة الاكدار ، وانما يطلع من َحلَك اليأس ، كما ان الحب لا يوقَظ في صدور البراري ، وإنما يوقظ في صدور البرايا !

ومثلهُ في القصيدة نفسها :

نصلت صبغة الظلام ، وهمَّت أنجم الليل (في الضحى) بالتواري

فانهُ اراد (في الفجر) كما هو بيّن ، ولم يسعفهُ الوزن فأطلع أنجم الليل في الضحى !

وربما أخطأ التعبير اللفظي خدمةً للوزن أو القافية ، كقوله في « الرؤيا » :

« فؤاد تجافاه الرجال عليل » أراد « جافاه » فأعوزه الوزن ، فزاد التاء ، وليس هذا بموضعها ، وقولهِ في « جنة الاحلام » :

عُقدت فوقهُ السماءُ بأوراق شقيقٍ ونرجسٍ وخزامِ

أراد « الخُزامى » فغلبتهُ القافية . والخزام واد بنجد ..

***

الى جانب هذا وامثاله في مجموعة « القفص المهجور » أغاريد تسكن لسماعها النفس الثائرة ويطمئن الى نغماتها القلب الواجف ، كقوله في « جنة الاحلام » :

قلت للقلب يا رفيق شقائي وعنائي في صحبة الايامِ
قد طوينا الحياة حتى بلغنا بعد شر المسير خير مقامِ
فلنقف عندهُ ونُسبلْ ستاراً دون وادي الدموع والاسقامِ
ولندعْ عالم الحقيقة إنَّا قد رضينا بعالم الاوهامِ
حيث نبني قصورنا راسخاتٍ باذخاتٍ في عاليات الغمامِ
لا ينال الزمانُ منها وليست تبلغ الريحُ برجهنَّ السامي
هذه غاية الامانيّ هلاَّ رقدة في ظلالها بسلام !

وقولهِ :

يا حبّ ما تبغي وقد ذهبت آمالنا وتقارب الأجلُ
رفقاً بقلب مات أكثرُهُ وتقاسمتْ فضلاتهِ العللُ

***

حب ابن ابي ربيعة وشعرهُ

تأليف الدكتور زكي مبارك — صفحاته ٣٣٥ قطع المقتطف — طبع بالمطبعة الرحمانية بمصر

الدكتور زكي مبارك اديب واسع الرواية شديد الملاحظة لهُ اسلوب طريف في مطالعة كتب الادب القديم واقتطاف ما يدور منها حول موضوع واحد ثم يبوبهُ ويعلق عليهِ ويخرجهُ للقراء بحثاً يجمع بين التالد والطريف. ومن هذا القبيل كتابهُ في « الموازنة بين الشعراء » وكتابهُ الذي بين ايدينا الآن « حب ابن ابي ربيعة وشعرهُ »

فعمر بن ابي ربيعة من ابلغ شعراء العرب وارقهم غزلاً وقد قيل في شعرهِ وفي الغواني اللواتي هام بهنَّ والهمنهُ اجود الشعر اخبار ونوادر متفرقة في كتب الادب العربي فجمعها الدكتور زكي الآن وبوَّبها جاعلاً الباب الاول في حب ابن ابي ربيعة والثاني والثالث في شعرهِ. وقد القى المؤلف هذه الفصول الثلاثة محاضرات في الجامعة المصرية سنة ١٩١٩ تحت اشراف الاستاذ احمد ضيف. ويليها بحث مستفيض في معشوقات ابن ابي ربيعة وما اشتهرنَ بهِ من جمالٍ وذكاء وخلق واشعارهُ فيهن وتحليل هذه الاشعار. والخلاصة ان الكتاب كشكول لاخبار العشق والمجون ونرى ان تمنع مطالعتهُ عن الاحداث الذين لم تكتمل فيهم قوة النفس على تمييز الشر ومكافحتهِ. وقد اعترف المؤلف في محاضرتهِ الاولى بذلك اذ يقول «انك ايضاً في حاجة الى شيء من الخلاعة ونصيب من المجون لتفهم الشاعر الفتى عمر بن ابي ربيعة »

واسلوب الدكتور مبارك الكتابي فصيح جزل لا تعثر فيهِ ولا غموض

كلمات جبران

لا نزيد قراء المقتطف علماً ومعرفة بجبران خليل جبران. وهذه الكلمات مجموعة من الآراء وجوامع الكلم لهذا الشاعر الروحانيّ اختارها من كتاباتهِ العربية وترجمها من كتاباتهِ الانكليزية الارشمندريت انطونيوس بشير منشيء مجلة الخالدات بدترويت من اعمال الولايات المتحدة الاميركية. والى القارىء مختارات من هذه الكلمات :

«الذكرى حجر العثرة في سبيل الامل»

« القلم صولجان ولكن ما اقل الملوك بين الكتاب»

«الشهرة عبء ثقيل يضعهُ الناس على ظهر الممتاز ليعرفوا مقدار عزمهِ فان نهض بعبئهِ وظلَّ سائراً رفع الى منزلة الابطال. وان زلت رجلهُ وسقط عدَّ من المنافقين الدجالين»

« لا يحفل المبتكرُ بالناقد الاَّ اذا صار المبتكر عقيماً »

وقد عني بطبع هذه الكلمات ونشرها يوسف افندي توما البستاني صاحب مكتبة العرب بالفجالة بمصر

علم المنطق الحديث

كانَ حضرة الاستاذ الفاضل محمد حسنين افندي عبد الرزاق استاذ التربية وعلم المنطق والفلسفة في مدرسة المعلمين العليا قد حاضر طلاب مدرسة المعلمين العليا في علم المنطق طبقاً لبرنامج عامي ١٩٢٥ و١٩٢٦ وكانت هذه المحاضرات فاتحة لعصر تدريس المنطق على الاسلوب الحديث الذي يشتمل على المنطق الاستنباطي والمنطق الاستدلالي بأسلوب سهل مع الشرح العملي واستنباط أمثلة كثيرة مبتكرة. وتضمنت المحاضرات طائفة كبيرة من الموضوعات التي لها اتصال بالمنطق القديم مما عني بدراستهِ علماء الغرب الحديثين ولم يتعرض لها مناطقة العرب . وقد رأى حضرتهُ طبع هذه المحاضرات في كتاب ليستفيد منها الطلاب وغير الطلاب من القراء فاصدر كتابهُ هذا في اواخر سنة ١٩٢٦ فاقبل عليهِ محبو علم المنطق من رجال العلم والادب فنفدت نسخهُ وقررت وزارة المعارف العمومية تدريسهُ في مدرسة المعلمين العليا فكان لا بد من اصدار طبعتهِ الثانية هذه التي عني بتنقيحها. فنثني على مجهود الاستاذ الفاضل ونعتبر كتابه في مقدمة كتب المنطق التي عني أصحابها بالمباحث العصرية المفيدة

والكتاب مطبوع طبعاً متقناً على ورق جيد في مطبعة دار الكتب المصرية وهو يقع في ٣٠٤ صفحات من قطع المقتطف ويباع في مكتبة هندية بشارع المناخ بمصر

روايات

﴿ الاميرة او الفتاة الفقيرة ﴾ تأليف نعمه طعيمه ابرهيم وقد عني بنشرها يوسف توما البستاني صاحب مكتبة العرب بالفجالة بمصر

﴿ شهداءُ الاخلاص ﴾ مترجمة عن اللغة الفرنسية بقلم المرحوم طانيوس عبده وقد عني بنشرها صاحب المطبعة العصرية

﴿ غابريلا الحسناء ﴾ نقلها عن اللغة الفرنسية الاديب اسكندر الخوري البيتجالي وطبعت بمطبعة بيت المقدس في القدس الشريف

﴿ عجائب الزمان ﴾ تأليف الجامي اكوب كبرئيل وقد طبعت بالمطبعة الكاظمية في العراق

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اول انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيه مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائله باسمه والقابه ومحل اقامته امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمه عند ادراج سؤاله فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمه (٣) اذا لم يدرج السؤال بعد شهرين من ارساله الينا فليكرره سائله وان لم ندرجه بعد شهر آخر نكون قد اهملناه لسبب كاف

(١) نور الحباحب

بغداد : في جبل لبنان حيوان صغير لا يزيد طوله على سنتيمتر واحد ولكنهُ عند ما يسير يظهر من مقدمة رأسهِ ضوء قليل لكنهُ شديد النصوع وذلك بين لحظة واخرى . اما لونهُ فاسود مائل الى اللون الرمادي قليلاً فما هو هذا الحيوان

ج . لعلكم تريدون الحباحب وهو حشرة صغيرة تكثر في سورية تضيء في الظلام من نفسها . ويشاركها في ذلك انواع اخرى من الحشرات والحيوانات البرية والبحرية كالاسماك المنيرة التي وصفناها وصورناها في مقتطف يناير سنة ١٩٢٦ والمظنون ان في الاماكن التي تنير من هذه الحشرات حويصلات دهنية يصل اليها الاكسجين من شعب دقيقة يشعل دهنها او يتحد بمادة فصفورية فيه فينير الاَّ ان ذلك غير محقق

والغالب ان الانارة تكون محصورة في الانثى والغرض منها اهتداء الذكر اليها وقد تكون في الذكر والغرض منها جذب الانثى اليهِ فهي من وسائل حفظ النوع

هذه الحشرات تمرُّ على الاطوار التي تمرُّ عليها الحشرات عادة فتكون بيضاً ثم دوداً ففراشاً والنور يكون في الدود والفراش معاً ولكنهُ يكون قرب الذنب لا قرب الرأس كما ذكرتم . وقد يكون النور في البيض

وقد بحث الاستاذ موراكا الياباني في نور الحباحب فوجد انهُ يخترق الاجسام غير الشفافة مثل اشعة رنتجن ويؤثر في الالواح الفوتغرافية

(٢) جنسية اينشتين

ومنهُ . هل العلامة اينشتين انكليزي ام الماني ؟

هو سويسريٌّ الماني ولد في بلدة أُلم

عقاطعة ورتمبرج سنة ١٨٧٩ وقضى حداثتهُ في مونخ ثم هاجرت اسرتهُ الى ايطاليا ودخل هو آرَوْ في سويسرا وبقي في سويسرا يتعلم ويعلم حتى سنة ١٩١١ حين قبل ان يشغل منصب استاذ الطبيعيات بجامعة براغ وكانت حينئذٍ جزءًا من امبراطورية النمسا والمجر وسنة ١٩١٣ انتقل الى معهد القيصر ولهلم الطبيعي ببرلين

(٣) التقويم الغريغوري

آن اربر . اميركا . ما هو التقويم الغريغوري فقد ذكر مؤخراً في المجلات والصحف اليومية حين الكلام على اصلاح التقويم . ولماذا سمي كذلك

ج . كان القدماء يحسبون السنة الشمسية ٣٦٥ يوماً وربع يوم فيضيفون يوماً الى كل سنة رابعة وهي سنة الكبيس . لكن السنة اقل من ٣٦٥ يوماً وربع يوم لانها تعدل ٣٦٥ ، ٢٤٢٢٤ فاذا اضيف يوم الى كل سنة رابعة زادت الايام يوماً كاملاً كل ١٢٩ سنة . وهذا منشأ الاختلاف بين الحساب الشرقي والحساب الغربي . وفي سنة ١٥٨٢ رأى البابا غريغوريوس الثالث عشر ان يصلح الحساب وكان الاعتدال الربيعي قد وقع في ١١ مارس بدلاً من ٢١ مارس فاسقط عشرة ايام من شهر اكتوبر فحسب اليوم الخامس منهُ اليوم الخامس عشر . ولكي لا يعود الخطأ اعتمدوا على هذه القاعدة وهي ان كل سنة لا تقسم على اربعة بدون باق هي سنة عادية اياما ٣٦٥ وكل سنة تقسم على اربعة بدون باق هي سنة كبيس اياما ٣٦٦ يستثنى من ذلك السنة التي تقسم على مائة بدون باق اي السنة الاولى من كل قرن فهذه تحسب سنة عادية في التقويم الغريغوري رغم انقسامها على اربعة بدون باق . وتحسب عدد ايامها ٣٦٥ وعليهِ حسبت سنة ١٩٠٠ سنة عادية في الحساب الغريغوري (نسبة الى غريغوريوس) على انها حسبت كبيسة في الحساب اليوليوسي (نسبة الى يوليوس قيصر) فزاد بذلك الفرق بين الطوائف الغربية والطوائف الشرقية يوماً واحداً عما كان قبلاً فصار ١٣ يوماً وسيبقى كذلك الى سنة ٢١٠٠

(٤) فائدة مدخنة القنديل

ومنهُ . ما هي فائدة المدخنة لقنديل البترول الذي كنا نستعملهُ في سورية . ولماذا اذا رفعناها عنهُ حدث دخان كثير واذا كانت موجودة لا يحدث دخان

ج . ان المدخنة تمنع مجاري الهواء من العبث بلهب القنديل ويسخن الهواء فيها فيصعد لخفتهِ فيأتي الهواء البارد من الثقوب التي تحت المدخنة حول اسفل الفتيلة او من ثقب في اسفل القنديل اذا كانت الفتيلة مستديرة وداخلها انبوب واصل الى اسفل

القنديل . وهـذا الهواء البـارد يقدم الاكسجين لاحتراق الكربون الذي في الزيت . فاذا رفعت المدخنـة او سدّت الثقوب المشار اليها لا يبقى الاكسجين كافياً لاحتراق كل الفحم الذي في الزيت فيصعد بعضهُ دخاناً فهي بمثابة المنفخ للنار

(٥) اختلاف مدة الحمل

المنصورة . هل تختلف مدة الحمـل باختلاف الاقاليم كما يختلف سن البلوغ . وما طول اطول مدة قرّرها الاطباء

ج . ان مدة الحمل لا تختلف باختلاف الاقاليم ومعدّلها ٢٧٠ يوماً وقد تزيد يوماً او اكثر الى عشرة . وقد ذكر الاطباء اولاداً ولدوا في الشهر السادس وعاشوا واولاداً ولدوا بعد ابتداء الحمل بعشرة اشهر شمسية

(٦) حياة السمك خارج الماء

الموصل. لم لا يعيش السمك الاَّ في الماء

ج . لان ليس لهُ رئتان يتنفس الهواء بهما . ولكن لهُ جهاز مخصوص يأخذ بهِ الاكسجين اللازم لحياتهِ من الهواء الذائب في الماء ما دام الماء حاوياً هواء كافياً . واذا اغلي الماء حتى طرد الهواء منهُ ثم برّد ووضع السمك فيهِ مات كما يموت خارج الماء

(٧) تجميد زيت كبد الحوت وفيتامينه

ريوده جانيرو برازيل . هل تجميد زيت كبد الحوت يميت المواد الفيتامينية التي فيهِ كما يميتها في الخضراوات الطبخ او الاغلاء

ج . المرجح ان التجميد لا يؤثر في محتويات زيت كبد الحوت الفيتامينية

(٨) صلع الاطفال

بغداد . عرفنا طفلاً في الشهر السادس من عمرهِ اصلع الرأس منذ ولادتهِ . فهل هذا الصلع وراثي وهل يستمرُّ ام ينمو على الرأس شعر حينما يتقدم الطفل في العمر

ج . الصلع التام الوراثي نادر جدًّا في الاطفال . ولكن يقصد بصلع الاطفال عامةً نمو شعر دقيق قصير على الرأس لا يلبث ان يحلَّ محلهُ الشعر الطبيعي حينما يتم الطفل السنة الاولى من عمرهِ

(٩) تحول العينين الزرقاوين

ومنهُ . عينا هذا الطفل زرقاوان وعينا والدهِ شهلاوان وعينا امهِ زرقاوان وليس في اسلافهما القريبين عيون زرقاء . فهل تبقى عيناهُ زرقاوين ام تتحولا

ج . المرجح انهما تتحولان شهلاوين

(١٠) كتاب تاريخ شامل

حيفا . ما هو اشمل كتاب عربي موجود الآن في تاريخ الممالك الشرقية في اسيا وافريقية وشعوبها من مستقلة ومستعمرة واساس رقيها وذروته وبدء انحطاطها وما دار عليها من الادوار التاريخية

ج . لا نعرف كتاباً عربياً يشتمل على

كل ما تريدون ولكنكم تجدون خلاصة طيبة في تاريخ هذه الممالك القديم الى حين سقوط رومية في القرن الخامس الميلادي في كتاب العصور القديمة .وهو ترجمة مؤلف نفيس للاستاذ برستد المستشرق الاميركي الشهير ترجمهُ الاستاذ داود قربان من اساتذة جامعة بيروت الاميركية وطبع بمطبعة بيروت الاميركية

(١١) كتاب عربي في تربية الدواجن

يافا . هل توجد كتب باللغة العربية تبحث في تربية الحيوانات الداجنة وما هي . وهل نجد في المجلات مباحث من هذا القبيل وما هي هذه المجلات

ج . نشرنا في باب الزراعة من مقتطفي فبراير ومارس الماضيين مقالة نفيسة للامير مصطفى الشهابي مدير املاك الدولة بدمشق الشام موضوعها « طرق التسافد في الدواجن » وهي فصل من كتاب عني حضرتهُ بوضعهِ في « تربية الدواجن » ولا نعلم هل هو قدمهُ للطبع ام لا فنشير عليكم بالكتابة اليهِ في هذا الموضوع

(١٢) اكتساب اللغة

بونس ايرس . هل تولد اللغة مع الطفل او يتعلمها بما يسمعهُ من والديهِ والذين حولهُ

ج . المقدرة على النطق تولد معهُ ولكن التكلم بلغة دون أخرى يتعلمهُ تعلماً من الذين حولهُ . فاذا ربي طفل مصري في بيت لا يتكلم اهلهُ الا الانكليزية نشأ وهو يتكلمها ولا يتكلم غيرها . واذا كان اهلهُ يتكلمون الفرنسوية او الروسية او الالمانية نشأ يتكلم اللغة التي يسمعها

(١٣) زرقة الجو

ومنهُ . ما حقيقة لون السماء الذي نراه حينما يكون الجوّ صحواً

ج . في ذلك رأيان الاول قديم وملخصهُ ان لون الماء الزرقة ويظهر فيهِ اذا كان مقداره كبيراً كما ترون في البحر الابيض المتوسط (بحر الروم) او كما ترون اذا وضعتم الماء في اناء من زجاج ارتفاعهُ قدمين او اكثر ووضعتم تحت الاناء ورقة بيضاء ونظرتم الى الماء من اعلى الى اسفل حتى ترى العين طبقة سميكة منهُ . وعليهِ يقال انهُ اذا كان البخار المائي منتشراً في الجوّ ظهر بهِ لون الجوّ ضارباً الى الزرقة

والثاني رأي جديد وذلك انهُ اذا مرَّ نور الشمس في طبقة سميكة من الهواء تكسر هذا النور واستطارت منهُ الاشعة الزرقاء والبنفسجية والتي فوق البنفسجية فالتي فوق البنفسجية لا ترى فتبقى البنفسجية والزرقاء ولكن الزرقاء تؤثر في شبكية العين اكثر من البنفسجية فيرى بها الجوّ ازرق لانهُ لا يعكس غيرها . واما بقية اشعة النور فتخترق الهواء وتصل الى الارض

باب الاخبار العلمية

اوجه القمر

في يوليو

	يوم	ساعة	دقيقة
البدر	٣	٤	٤٨ صباحاً
الربع الاخير	١٠	٢	١٦ مساءً
الهلال	١٧	٦	٣٥ صباحاً
الربع الاول	٢٤	٤	٣٨ مساءً
الحضيض	١٤	٥	٦ مساءً
الاوج	٢٦	٢	٦ مساءً

في اغسطس

	يوم	ساعة	دقيقة
البدر	١	٥	٣٠ مساءً
الربع الاخير	٨	٧	٢٤ مساءً
الهلال	١٥	٣	٤٩ مساءً
الربع الاول	٢٣	١٠	٢١ صباحاً
البدر	٣١	٤	٣٤ صباحاً
الحضيض	١٠	٦	٥٤ مساءً
الاوج	٢٣	٨	٤٢ صباحاً

في سبتمبر

	يوم	ساعة	دقيقة
الربع الاخير	٧	٠	٣٥ صباحاً
الهلال	١٤	٣	٢١ صباحاً
الربع الاول	٢٢	٤	٥٨ صباحاً
البدر	٢٩	٢	٤٢ مساءً
الحضيض	٤	٧	١٨ مساءً
الاوج	٢٠	٤	٠ صباحاً

السيارات

يوليو

عطارد . كوكب صباح

الزهرة . لا يشاهد

المريخ . يشرق الساعة الاولى صباحاً

المشتري . يشرق نحو نصف الليل

زحل . يغرب الساعة الثانية صباحاً

اغسطس

عطارد . يكون كوكب صباح في اول الشهر ثم لا يشاهد في آخره

الزهرة . كوكب مساء

المريخ . يشرق بعد منتصف الليل

المشتري . يشرق في الساعة العاشرة مساءً

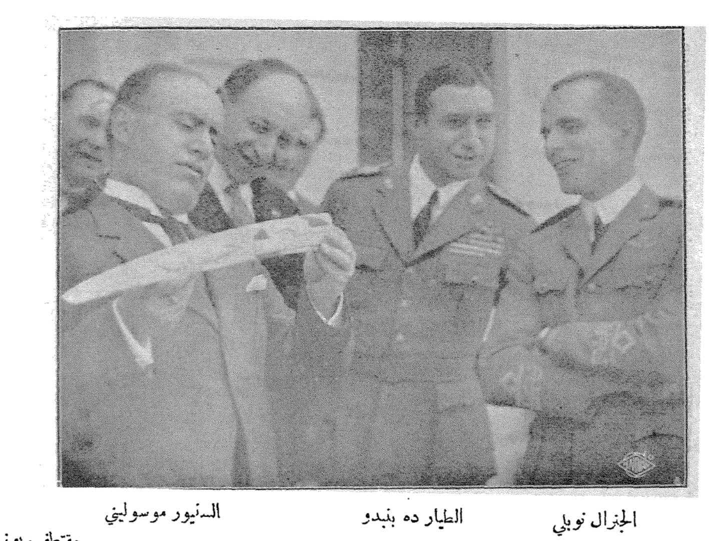
زحل . يغرب قرب منتصف الليل

سبتمبر

عطارد . والزهرة . وزحل . كواكب مساء

المريخ . يشرق في نحو الساعة الحادية عشرة مساءً

المشتري . يشرق في نحو الساعة الثامنة مساءً



الجنرال نوبلي   الطيار ده بنيدو   السنيور موسوليني

مقتطف يونيو ١٩٢٨

انباء الطيران

البلون ايطاليا

روّع العالم المتمدن حين انقضت ايام في آخر مايو واوائل يونيو من غير ان ترد اخبار عن الجنرال نوبلي ورفاقه الذين كانوا قد طاروا بالبلون ايطاليا لاستكشاف القطب الشمالي والاصقاع المتجمدة حولهُ وظُنَّ ان نكبة حلت بهم. ولكن لم تلبث الصحف ان اذاعت نبأ اشارات لاسلكية التقطها بعض المحطات الخاصة والعامة اذاعها الجنرال نوبلي بالآلة اللاسلكية التي كان قد اخذها معهُ وفي هذه الاشارات عيّن موقعهُ على قطعة من الجليد الطافي على ١٥ ميلاً من جزيرة « نورث ايست لاند » وهي من جزائر ارخبيل سبتسبرجن.

فلما عُرف مكانهُ هبَّ العالم المتمدن الى اعداد بعثات النجدة. فقام الطياران ريزر لارسن وهولم النروجيّان على طيارة الى المكان الذي عين في الاشارات اللاسلكية فلم يعثروا له على أثر وكان انعكاس النور عن سطح الجليد يبهر عيونهما فلم يروا نوبلي ورفاقهُ مع ان هؤلاءِ كانوا يرون الطيارة وراكبيها رأي العين. وبعدعودتهما ابرق نوبلي قائلاً انهُ رأى الطيارة ودهش لعودتها من غير ان يسعى رجالها لانقاذهم او امدادهم بالمؤونة والذخيرة. وكان الطيار الايطالي مداليناقد وصل من ايطاليا فذهب الى المكان المعين وكان يحمل في طيارتهِ آلة لاسلكية فجعل نوبلي يديره بها حتى وصلت طيارتهُ فوق البقعة التي كان نوبلي فيها فحدّق الطيار تحديقاً حتى رآهم نقطاً سوداء على سطح الجليد ورمى لهم طعاماً ولباساً وذخيرة. وحين كتابة هذه السطور اطلعنا في الصحف اليومية ان طيارة اسوجية فازت بالطيران الى البقعة التي يقيم فيها نوبلي وبعض رفاقهِ فالتقطتهُ ورجعت بهِ الى خليج الملك حيث ترسو الباخرة شيتاده ميلانو والبحث جارٍ عن بقية الرفاق

اين امندسن

كان امندسن ونوبلي رفاقاً في الرحلة الجوية التي عبرا فيها الاصقاع المتجمدة الشمالية من سبتسبرجن الى الاسكا فوق القطب الشمالي على متن البلون نورج سنة ١٩٢٦ وحدث بعدئذ جدال بينهما قضى على رابطة الصداقة التي تربط رائدين واجها من الاخطار معاً ما واجها. فلما فُقدت آثار نوبلي كان امندسن اول من طُلب اليهِ ان يعدَّ بعثة للبحث عنهُ فلبي الطلب واخيراً سافر مع الطيار الفرنسوي جيلبو على متن طيارة مائية الى المكان الذي قيل ان نوبلي مقيم فيهِ وقد انقضى اسبوع او اكثر منذ

سافرا لم يسمع لهما خبر . واكثر خوفنا ان امندصن قد لقي حتفهُ مع الطيار الفرنسوي في البحث عن نوبلي ورجالهِ . فاذا صحَّ ذلك فموتهُ مفخرة لهُ يخلد بها كما هو خالد بانهُ اول رجل بلغ القطبين. فقد كان اول من بلغ القطب الجنوبي سنة ١٩١١، وثالث من بلغ القطب الشمالي سبقهُ اليهِ الكومندر بيري سنة ١٩٠٩ مشياً على الاقدام والكومندر برد على متن طيارة في ١١ مايو ١٩٢٦

قهر الباسفيكي

وفي ٣١ مايو قام اربعة شجعان من الطيارين اوستراليان واميركيان على طيارة تدعى «الصليب الجنوبي» قاصدين الطيران فوق الاوقيانوس الباسفيكي الى استراليا فكانت مرحلتهم الاولى من كاليفورنيا الى جزائر هواي والمسافة بينهما ٢٤٠٠ ميل قطعوها في ٢٤ ساعة من الطيران المتواصل والمرحلة الثانية من جزائر هواي الى جزائر فيجي والمسافة بينها ٣٢٠٠ ميل قطعوها في ٣٤ مسافة وهي اطول مسافة اجتازها الطيارون فوق الماء . والثالثة من فيجي الى مدينة برزباين في استراليا وطولها ١٥٠٠ ميل قطعوها في ٢٠ ساعة لان عاصفة شديدة هبت في وجوههم فاخرتهم عن الوصول في الميعاد المضروب . وترى صورة الطيارين الاربعة امام الصفحة ٣٧ من هذا الجزء

الطيارة فرندشيب

وفي ١٧ و١٨ يونيو الماضي طارت الطيارة المائية فرندشيب من نيوفوندلند الى انكلترا وعلى متنها آنسة اميركية تدعى مس ايرهات ويصحبها المستر غوردن والمستر ستولتز فوصلت اوربا ظهر ١٨ يونيو ونزلت في بوريبرت على مقربة من لانلي وفي اليوم التالي وصلت الى سوثمبتون ومنها ذهب الطياران الى لندن فاستقبلا فيها بحفاوة عظيمة . فالمس ايرهارت اول سيدة فازت باجتياز الاوقيانوس الاتلنتيكي بالطيارة

الطيران الى القطب الجنوبي

ذكرنا في اعداد سابقة الرحلة التي يعدها الكومندر رتشرد برد للطيران الى القطب الجنوبي واستكشاف ما يحيط بهِ من الارض. وقد اطلعنا الآن في مجلة ناتشر ان الطيار الاسترالي ولكنز الذي طار في مايو الماضي من الاسكا الى سبتسبرجن وصل الى لندن وانعم عليهِ الملك بلقب سر وهو مهتم باعداد رحلة لاستكشاف الاصقاع المتجمدة الجنوبية من الجوّ . وعلاوة على ذلك فان الكومندر جفري من ضباط البحرية الانكليزية المتقاعدين قبل ان يتولى قيادة بعثة اميركية لريادة الاصقاع المتجمدة الجنوبية يستعمل فيها طيارتين تستطيع احداها ان تطير مسافة ستة آلاف ميل من غير ان تنزل الى الارض

كيف تنظم الرحلات الكبيرة

كشف كولمبوس العالم الجديد في ثلاث سفن شراعية هي النينا والبنتا والسانتاماريا . وطار الكومندر برد الى القطب الشمالي اولاً على متن طيارة من ذوات السطح الواحد تدعى جوزفين فورد . انفق الاول نحو ٤٠٠ جنيه على اكتشاف العالم الجديد . ولكن جريدتي نيويورك تيمس وسانت لويس بوست ودسپاتش انفقتا ٤٠ الف جنيه لتنفردا بنشر اخبار بعثتي برد وامندسن الى القطب الشمالي حين بلغتاهُ في ١١ و١٢ مايو سنة ١٩٢٦ وليس في هذا انتقاص لامندسن او لبرد . بل هو دليل على ان الرائد كما كان في الماضي اخذ يزول

كان الرائد بالامس رجلاً قويًّا مقداماً طموحاً يخترق البراريّ القاحلة مفرداً وحين يضطرّ يعيش عيشة سكانها المتوحشين فاذا كان في المناطق الاستوائية تناول التوابل في طعامهِ ليزيد مفرزات كبدهِ واذا كان في المناطق الباردة اضاف شحم الحوت الى اللحم المقدد طلباً للتدفئة واذا كان في جزائر البحر الجنوبي طلا جسمهُ بالادهان المختلفة ليقيهِ لسع الحشرات

اما الرائد اليوم فغيرهُ بالامس واول ما يجب ان يتصف بهِ مقدرتهُ على تنظيم امور الرحلة كما تنظم الاعمال المالية الكبيرة لان الرحلة في الحقيقة عمل مالي كبير ذلك ان بعثة الى القطب الشمالي او الى تبت او الى اواسط افريقية تحتاج الى نفقات تتراوح بين ٢٠ الف جنيه ومائة الف جنيه . لان بعثة لا تملك الباخرة التي تسافر عليها ولا يكون في عداد رجالها طائفة من العلماء الممتازين لا تستطيع ان تنشر اخبارها على صفحات الجرائد الاولى وعليهِ ترى ان زعيم بعثة علمية الى احد الاماكن المذكورة عليهِ ان يبدأ في تنظيم بعثتهِ كما يشرع صاحب صناعة جديدة في عرضها على الجمهور

ولنفرض انهُ ينوي ان يطير من نيويورك الى برلين مارًّا بالقطب الشمالي اولاً . فماذا يفعل ؟

يقدر اولاً النفقات التي لا بدَّ منها لشراء طيارة تفي باغراضهِ وسفينتين للنجدة ترابط احداهما من جهة اوربا والثانية من جهة اميركا ونفقات مساعديهِ من علماء ومهندسين وما يلزمهم من مؤونة وذخيرة وادوات فتبلغ النفقات نحو ٢٠٠ الف جنيه

فيعنى حينئذٍ باقناع رجال الحكومة بان هذه الرحلة لا بدَّ ان تكون ذات فائدة لرجال الحربية والبحرية فتمدهُ بمبلغ من المال ثم يتفق مع شركات الصور المتحركة

وبعض الجرائد على اختصاصها بصور الرحلة واخبارها لقاء مبلغ آخر وتتبارى شركات البنزين والزيت لتجهيز طيارتهِ وسفينتهِ بكل ما يلزمها من هذا القبيل اذا وعد ان يعلن عند نهاية الرحلة انهُ استعمل في رحلتهِ بنزينها وزيتها وتهتم الجمعيات العلمية برحلتهِ فتنتدب العلماء من اعضائها لمرافقتهِ من غير لقاء ينالونهُ منهُ

وتحاول الشركات الصناعية الكبرى ان تقنعهُ بتسمية طيارتهِ وسفينتهِ باسماءِ مصنوعات خاصة يريدون اذاعة شهرتها فقد قيل ان شركةً من شركات السجاير الاميركية عرضت على مدير احدى الرحلات الجوية الطويلة المدى في الصيف الماضي خمسة آلاف جنيه ليسمي طيارتهُ باسم صنفٍ من سجايرهم. ويتقدم بعد ذلك بعض الاغنياء الذين لا يعلمون كيف ينفقون اموالهم فيهبون مدير البعثة مبلغاً لا يستهان بهِ حتى اذا كشفت البعثة ارضاً جديداً سمَّتها باسمهِ فيكفل لنفسهِ الخلود

وهكذا يستطيع الرائد الحديث ان يجمع مالاً يكفيهِ للقيام برحلة كبيرة كالرحلات التي سبق ذكرها

الفلم الناطق والكتب المشهورة

معروف لدى قراء المقتطف المبدأ الذي بني عليهِ الفلم الناطق . ذلك ان اصوات الممثلين تحول الى امواج كهربائية في جهاز يشبه جهاز التلفون وهذه الامواج الكهربائية تتصل بمصباح كهربائي فتتحول التغيرات الدقيقة في المجرى الكهربائي الى تغيرات في قوة الضوء وضعفهِ . وهذه التغيرات ترسم فتوغرافيًّا على جانب الفلم الذي ترسم عليهِ صور الممثلين . ولدى عرض الفلم يعكس الفعل اي تتحول التغيرات النورية الى تغيرات في قوة المجرى الكهربائي وضعفهِ وهذه تؤثر في سماعة تلفون فتعيد اصوات الممثلين وكلامهم مسموعة

وقد اطلعنا الآن في مجلة العلم العام ان الدكتور هوتني مدير البحث العلمي في الشركة الكهربائية العامة يشتغل باتقان طريقة لصنع فلم تدوَّن فيهِ الكتب المشهورة حسبما يقرأها المشهورون بفصاحة اللفظ والالقاء وبذلك يتسنى لصاحب فلم من هذا القبيل ان يصغي في ساعتين او ثلاث ساعات الى قراءة كتاب قد تستغرقهُ قراءتهُ يومان من غير ان يتعب عينيهِ . ومتى اتقنت هذه الطريقة صار يباع الفلم منها بما لا يزيد على جنيه واحد كما تباع الكتب ويطلب من مخازن الادوات اللاسلكية التي صارت منتشرة في طول البلاد الاميركية وعرضها الآن

فاستنباط الدكتور هوتني آلة تجمع بين مبدأي التلفون والفلم الناطق ولا يمتُّ

بصلة ما الى ما حاولهُ المستنبط الانكليزي فورنيه دالب من صنع عين كهربائية تنظر الحرف الانكليزية وتحاول لفظها فيجيء اللفظ مشوَّهاً غير مفهوم

يوبيل جريدة الافكار الفضي

اقيمت في سان بولو بالبرازيل حفلة شائقة تكريماً للزميل والصديق الفاضل الدكتور سعيد ابو جمره صاحب جريدة الافكار لمرور خمس وعشرين سنة على جهادهِ الادبي في ميدان الصحافة

وقد خطب فيها فارس افندي الدبغي ذاكراً محامد الجالية السورية في البرازيل ومآثرها معدداً فضائل جريدة الافكار وقدم للمحتفى بهِ باسم اللجنة تمثالاً على قاعدة من المرمر وهنأهُ بفضائلهِ

وتلاهُ شفيق افندي معلوف فتلا رسالة وردت من اللجنة التي تألفت في ريو ده جانيرو وقدم باسمها قلمين من الذهب الخالص واعقب الرسالة بتلاوة ابيات نفيسة من الشعر بعث بها الشاعر المطبوع فوزي افندي معلوف. ثم وقف الشاعر المجيد سليم افندي عقل والقى قصيدة عامرة طرب لها الحضور. وتلاهُ المصور حنا افندي حلاج وقدم للمحتفى بهِ صورتهُ بالزيت ثم تكلمت السيدة سلوى سلامه ، فجورج افندي كعدي ، فحسيب افندي كعدي، فيعقوب افندي روادي بالبورتغالية، باسم النادي الرياضي السوري ، فخليل افندي قطيط باسم «جمعية متخرجي الجامعة الاميركية» فالآنسة الاديبة مريم زكا، فموسى افندي كريم بالبورتغالية، ففؤاد افندي عمر فعبد الله افندي بلحوص ملقياً قصيدة لجورج افندي مسره ، فسيادة الارشمندريت ايصائيا عبود . وبعد ذلك وقف الدكتور سعيد ابو جمره وعواطفهُ تبدو على وجههِ وتلا متأثراً عبارات الامتنان والشكر للجمهور الكريم وللصحافة والجمعيات

مجمع تقدم العلوم البريطاني

يلتئم هذا المجمع في اوائل سبتمبر القادم بمدينة غلاسجو ويرأسهُ السر وليم براغ العالم الطبيعي المشهور وقد اختار لخطبة الرآسة الموضوع التالي: «التقدم الحديث في العلوم الطبيعية وارتباط ذلك بشؤون الامم». ومن الخطب العلمية الشائقة التي ينتظر القاؤها في هذا المجمع خطبة عنوانها «اثر اللاسلكي في التعليم» للسر جون ريث واخرى عنوانها «اثر العلوم الهندسية في العمران» لرئيس قسم الهندسة السر وليم الس. واخرى موضوعها «علاقة الفسيولوجيا بالعلوم الاخرى» لرئيس قسم الفسيولوجيا الاستاذ لوفات ايفانس

شهيرات النساء

نشرنا في صدر باب شؤون المرأة وتدبير المنزل مقالة عنوانها « النساء والرجال بين التقليد والابتكار » ذهب فيها كاتبها الى ان النساء لسن اقلّ ذكاءً من الرجال ولكنهن اقل مضاءً منهم في استعمال ذكائهنّ وان ذلك يعلل ما ذكرهُ من ان نسبة النوابغ بين النساء الى النوابغ بين الرجال قليلة جدًّا. ونشرنا امام هذه المقالة صورة تحتوي على رسوم ١٢ سيدة من شهيرات التاريخ وهنّ كما يأتي من اليمين الى اليسار :

الصف الاول يحتوي على صور زيتية لطائفة من السيدات القديسات في العهد المسيحي الاول والقرون الوسطى . وقد اشتهرن بسمو النفس والخلق وتعلقهن بالدين المسيحي فحسبن قديسات

الصف الثاني . لوكريزيا بورجيا . كاترين ده مدتشي . مسالينا الامبراطورة الرومانية. واغريبنا الصغرى الامبراطورة الرومانية وقد اشتهرن في التاريخ باجرامهن

الصف الثالث : الملكة فكتوريا. الملكة اليزابث . كاترين الثانية . ماريا تريزا النمسوية وهنّ اربع نساء اشتهرن في التاريخ بحكمهن ممالك كبيرة

الصف الرابع . مدام ده پومپادور . نينون ده لانكلو . كليوباتره . اسبازيا خليلة بركليس وقد اشتهرن بجمالهن والتأثير بهِ للحصول على نفوذ سياسي واسع النطاق

نوغوشي

نوغوشي عالم ياباني من اكبر علماء البكتيريولوجيا في هذا العصر . قضى بالحمى الصفراء وهو يبحث عن مكروبها في البعوض



الذي ينقلها على شواطيء افريقية الغربية وقد نشرنا سيرتهُ وطرفاً من مباحثهِ في صفحتي ٧٤ و ٧٥ من هذا الجزء وهذه صورتهُ

المرأة والبحث في السرطان

اقترحت كلية الجراحين الاميركيين ان تمنح جائزة نوبل الطبية للدكتورة مود سلاي Slye الاميركية من اساتذة جامعة شيكاغو جزاءً لها على بحثها الدقيق في اسباب السرطان . وهي تحسب من اكبر الثقات في هذا الموضوع في اميركا

الوزارة المصرية الجديدة

في ٢٥ مايو الماضي صدر امر جلالة الملك باقالة الوزارة النحاسية بعدما استقال اربعة من اعضائها وكُلف محمد محمود باشا بتأليف الوزارة الجديدة فألفها على المنوال التالي :

محمد محمود باشا	للرآسة والداخلية
جعفر ولي باشا	للحربية والاوقاف بالنيابة
عبد الحميد سليمان باشا	للمواصلات
احمد خشبه باشا	للحقانية
نخله المطيعي باشا	للزراعة
علي ماهر باشا	للمالية
ابراهيم فهمي بك	للاشغال العمومية
احمد لطفي السيد بك	للمعارف
الدكتور حافظ عفيفي	للخارجية

سم الافاعي والنور

يقال ان سم الافاعي التي تقطن الصحراء هو افتك سموم الافاعي المعروفة. وقد خطر لاثنين من اعضاء اكادمية العلوم الفرنسوية ان ذلك قد يكون ناشئاً عن تعرض الافاعي لنور الشمس وان الاشعة التي فوق البنفسجي فعلت بها هذا الفعل. فاخذا مقداراً من سم بعض الافاعي المعروفة وعرضاهُ للاشعة التي فوق البنفسجي ثم امتحنا فعلهُ فوجدا انهُ ازداد فتكاً ولما حقنا بهِ حيوانات معيّنة وجدا ان فعلهُ بها اشد من فعل السم نفسهِ قبل تعريضهُ لهذهِ الاشعة

عيد هارفي

احتفلت كلية الاطباء الملكية بلندن في اواسط مايو الماضي بمرور ثلاثمائة سنة على ظهور كتاب هارفي الذي اثبت فيهِ اكتشافهُ لدورة الدم . فقد طبع هذا الكتاب في ربيع سنة ١٦٢٨ بمدينة فرانكفورت وكان مؤلفهُ في الخمسين من عمرهِ حينئذٍ

بلون ضخم للبحث العلمي

بني في برلين بلون كروي قطرهُ ٨٦ قدماً ينتظر ان يحلّق الى ارتفاع ٩ اميال فوق سطح البحر . والقصد منهُ ان توضع فيه مقاييس آلية للحرارة والضغط تدوّن من نفسها ادنى درجاتهما متى بلغ البلون هذا الارتفاع العظيم

سكان الولايات المتحدة الاميركية

قدرت مصلحة الاحصاء الاميركية ان سكان الولايات المتحدة يبلغون في اول يوليو ١٢٠ مليون نسمة بزيادة نحو ١٥ مليوناً على ما كانوا عليهِ سنة ١٩٢٠

الجزء الاول من المجلد الثالث والسبعين

صفحة

الى جمهور الادباء

جائزتان قدرهما ٢٠ جنيهاً مصرياً تمنحهما ادارة المقتطف

لصاحبي ابلغ قصيدتين تنظمان في موضوع

الرائد

نشرت ادارة المقتطف في السنة الماضية كتاب « الروّاد » وضمنته سير الرجال الذين ساروا في مناكب الارض العامرة والغامرة يرودون الصحاري القاحلة ويصعدون في قنن الجبال الشاهقة ويقتحمون مفازات الجليد والادغال التي تعجُّ بالحيوانات الضارية والافاعي السامة الرجال الذين اخضعوا عناصر الهواء فغلبوا النسر على دولته ونزعوا منه الجوَّ اسرارهُ وجعلوا سبلهُ ممهدة لمطالب الانسان. تراهم منذ فجر التاريخ يسير بعضهم في اثر بعض يحتقرون المشاق. يفشلون آناً وينتصرون آونة. حتى عنت لهم الارض وآتتهم خيراتها. ان صفحتهم لمن انصع الصفحات في تاريخ العمران. بل ان حديث اقدامهم وثباتهم ونبلهم وتفانيهم قصيدة بليغة محكمة الابيات تثير في النفس تلك النزعات العالية التي بها يتمجد الانسان

فادارة المقتطف تقترح على جمهور الادباء في انحاء العالم العربي ان ينظموا قصائد في هذا الموضوع. ترسم القصيدة منها صورة لما يعانيه « الرائد » مثلاً من الشوق الى الاكتشاف والعذاب في اقناع الناس بفائدة عمله وما يدفعه من حب الاقدام على ركوب متن المخاطر وما يلقاهُ من ضروب الاهوال ثم فوزهُ بغرضه او موتهُ قبيل تحقيقه ولكن بعد تمهيد الطريق لمن يليه من « الرواد ». وللشاعر ان يتمثل الرائد من شجعان الطيارين او البحّارة او روّاد الصحاري ومجاهل القارات او غيرهم

وقصدنا من كل ذلك أن نمهد للشعر العربي الدخول في ميادين فياضة بالصور الشعرية والمعاني الشديدة الاتصال باركان الحياة العصرية: وشروط المباراة فيما يلي

١ — ان تصل القصيدة ادارة المقتطف قبل ١٥ اكتوبر سنة ١٩٢٨ ٢ — يوقع الناظم القصيدة باسم مستعار ويضع اسمهُ الحقيقي في ظرف آخر مختوم يرسلهُ مع القصيدة ٣ — يمنح صاحب القصيدة الاولى عشرة جنيهات مصرية نقداً وما قيمتهُ ثلاثة جنيهات من مطبوعات المقتطف ويمنح صاحب القصيدة الثانية خمسة جنيهات مصرية نقداً وما قيمتهُ جنيهان من مطبوعات المقتطف ٤ — تعلن اسماء اعضاء لجنة التحكيم في المقطم في اواخر اكتوبر ٥ — حكم اللجنة نهائي ودخول المباراة اقرار بقبوله ٦ — كل القصائد التي ترسل للمباراة ملك المقتطف يحق له ان ينشر منها ما يشاء



صورة لرفائيل بيعت بمائة وسبعين الف جنيه

انظر الصفحة ١٤٣

مقتطف اكتوبر ١٩٢٨

المقتطف

الجزء الثاني من المجلد الثالث والسبعين

١ اكتوبر (تشرين الاول) سنة ١٩٢٨ — الموافق ١٧ ربيع الثاني سنة ١٣٤٧

كلمات للدكتور صروف

الجهاد سرُّ الارتقاء

يغالب الانسان الطبيعة فيغلبها تارة وتغلبهُ اخرى . وهذا شأنهُ منذ انتصبت قامتهُ بل شأن كل الاحياء من حيوان ونبات فانها كلها في جهاد دائم مع نواميس الكون وقوى الطبيعة وفي حرب عوان بين اجناسها وانواعها . وكم من جنس تلاشى ونوع انقرض في ثنايا ازمان الدهر . اسأل طبقات الارض واحافير المتحجرات تنبئك آثارها كما تنبئك رفات المعارك وساحات القتال . ولكن كانت نتيجة هذا الجهاد التدرُّج من البسيط الى المركَّب ومن الساذج الى المتقن ومما يكثر فيهِ التبذير الى ما يقلُّ . والانسان سيّد المخلوقات لم يبلغ ما بلغ من الارتقاء الا بعد ان توالت عليهِ قرون طوال وهو يقاوم الجذب والدفع والحر والبرد والمطر والقيظ والرياح والانواء وعوادي الامراض واسباب الادواء وكل عوامل الضعف والفناء . واذا تغاضى عن مقاومتها قضي عليهِ . ولم يكن النجاح حليفهُ دائماً بل كثيراً ما آب بالفشل لكنهُ استفاد منهُ كما استفاد من النجاح ولولاهُ ما اتقن وسائل الدفاع ولا احسن الاساليب التي بلغ بها ما بلغ من الراحة والرفاهة

—✻—

ما هو الجوهر الفرد

حديث بين عالم وعاميّ

في المعمل العلمي التابع لمصلحة المقاييس بالحكومة الاميركية

تصور نيوتن الجوهر الفرد ذرة دقيقة صلبة قاسية. وتصوره كلفن حلقة زوبعية في الاثير. وحسب الاستاذ رولند بناءه معقداً كالبيانو وصوره بوهر كالنظام الشمسي. واخيراً قال شرويدنغر انه كرة من القوة الكهربائية فما هي الحقيقة؟

الزائر: اريد ان ارى جوهراً فرداً

العالِم: وهذا ما اتوق اليهِ انا كذلك

الزائر: اليس في استطاعتك ان تريني جوهراً فرداً. لقد كنت احسب ان لدى علماءِ مصلحة المقاييس اكثر الآلات العلمية اتقاناً واحكاماً — من مكرسكوبات وغيرها فهزّ العالم رأسهُ وقال. ومع ذلك ليس في امكان هذه الآلات ان تّرينا الجوهر الفرد. فما من عالمٍ تمكن بعدُ من مشاهدتهِ. وما من عالم لهُ بارقة املٍ في رؤيتهِ يوماً ما

فقال الزائر وفي كلامهِ شيء من مرارة الفشل: احقيقة ما تقول؟

العالِم — نعم. انِ حجم الجواهر الفردة من العوامل التي تمنع رؤيتها. فالمكرسكوب القوي يريك جسماً لا يزيد قطرهُ على جزء من مائة الف جزء من البوصة. ومع ذلك تستطيع ان تحشد في جسم هذا حجمهُ مائة مليون جوهر فردٍ. اضف الى ذلك ان الجواهر متحركة حركة دائمة فاذا استطعنا مشاهدتها بالمكرسكوب لم نستطع تبيّنها ومعرفة بنائها لاهتزازها الدائم

الزائر: ولكن كيف عرفتم كلَّ ما عرفتموهُ من الحقائق المرتبطة بها؟

العالِم: ان ما نعرفهُ نزر اذا قيس بما يقال اننا نعرفهُ. فقد قسنا احجامها قياساً غير مدقّق ونعرف معرفة تكاد تكون تامة كيف تفعل في احوال مختلفة. والتجارب الطبيعية والكيماوية لا تثبت لنا الاّ افعال هذه الجواهر في احوال مختلفة من تأثير الحرارة والرطوبة والبرد والمغناطيسية والكهربائية فيها وهلمَّ جراً. اما شكل الجوهر الفرد فلا نعلم شيئاً عنهُ

الزائر: ولكن اسمح لي بان اوجّه اليك سؤالاً. الا يقال ان الجوهر الفرد يشبهُ

نظاماً شمسيًّا نواتهُ بمثابة الشمس فيهِ وكهاربهُ بمثابة السيارات ؟

العالِم : لقد كان هذا رأي بوهر العالِم الدنماركي وكان رأيهُ مفيداً جدًّا

الزائر : اذن جوهر بوهر صار في خبر كان ؟

العالم مبتسماً . لم يكن جوهر بوهر في وقت ما جوهراً يفي بكل مطالب العلم الحديث والاستاذ بوهر مستنبطهُ كان يعرف ذلك حق المعرفة ففي كثير من الاحوال كان يلزم ان نضرب ببعض النواميس الكهربائية عرض الحائط لنتمكن من تعليل بعض الظواهر الطبيعية بهِ .ومع ذلك قبله العلماء قبولاً وقتيًّا وهم يعلمون نقائصهُ لانهم لم يجدوا حينئذٍ ما يفي بمطالب العلم مثلهُ

الزائر : هذا غريب .لم اكن اعلم ان في جوهر بوهر نقائص فقد كنت احسب مما اقرأهُ عنهُ في الصحف والمجلات انهُ يفي بكل مطالب العلم وانهُ اكتشاف عظيم

العالِم :كان لجوهر بوهر حسنات عديدة وبها فاق كل ما سبقهُ من الآراء التي من شأنها تصوير الجوهر الفرد .وكانت هذه الحسنات مما يسهل بسطهُ في الصحف السيارة كمشابهتهِ للنظام الشمسي . ففعل الكتَّاب ذلك . ولكن نقائصهُ مرتبطة بادق مسائل العلم يصعب بسطها ان لم يكن متعذراً.

الزائر : ولكن بناء جوهر بوهر على ما اعلم يشبه نظامنا الشمسي . وكانَّ بناء الطبيعة كلها قائم على هذا النمط حتى يتعذر عليَّ ان اصدق انهُ ليس كذلك. ان الصورة جميلة تستهوي العقول واكاد اجزم بصحتها

العالِم : باسماً بسمة يمازجها شيء من الحزن .لو كان في امكاننا ان نرى حقيقة بناء الجوهر الفرد لما كنا نجد بناء آخر في الطبيعة يفوقهُ جمالاً لانهُ يكون حينئذٍ الحقيقة مجردة

الزائر : بعد صمت قصير. لقد قلتَ شيئاً لم افهمهُ حين الكلام على بوهر وجوهرهِ. قلت ان بوهر « مستنبط » هذا الجوهر ألم يكون جوهر بوهر اكتشافاً ؟

العالم :كلاَّ . ان حديث جوهر بوهر لا يختلف عن حديث الآراء المختلفة التي ابتدعها العلماء لتصوّر الجوهر الفرد . فالتجارب العلمية تدلنا على ما يجب ان يفعلهُ الجوهر في احوال معينة . عندئذٍ يعمد العلماء الى خيالهم وتصوّرهم فيستنبطون شكلاً ماديًّا يستطيع ان يفعل ما يجب ان يفعلهُ الجوهر الفرد على ما دلت عليهِ التجارب . وبعد استنباط هذا الشكل يستمرُّ العلماء في تجاربهم . فيكشفون حقائق جديدة عن

افعال الجواهر . ثم يقارنون هذه الافعال بما يستطيعهُ الجوهر المعروف . فاذا كان الجوهر المعروف قادراً ان يفعل هذه الافعال فبهِ والاَّ فيعمدون الى الخيال مرة اخرى يستنبطون شكلاً جديداً للجوهر يستطيع ان يقوم بكل الافعال المعروفة عن الجواهر الفردة . وهكذا ترى ان الآراء في شكل الجوهر الفرد وبنائهِ تتغير بتقدم العلم وارتقاء البحث

الزائر : من استنبط الشكل الاول للجوهر الفرد ؟

العالِم : ظن القدماءُ ان المادة مكونة من ذرات دقيقة ولكنهم لم يجربوا التجارب التي تمكنهم من ضبط ظنونهم فكان لخيالهم النصيب الاوفر في هـذه الآراء . والرأي الاول الذي ابتُدع في العصر العلمي الحديث هو رأي نيوتن الذي وصف هذه الذرات في كتابهِ « البصريات » فقال انها متحركةٌ صلدة قاسية لا تخترَق وانها صلدة الى درجة لا يستطاع عندها تحطيمها او تجزيئها « وان ما من قوى تستطيع ان تجزّىء الوحدات التي خلقها الله اولاً »

فيظهر من ذلك ان نيوتن تصور هذه الذرات صلدة قاسية وعلّل قساوة الاجسام وليونتها بترتيب هذه الذرات فيها وتفاعلها

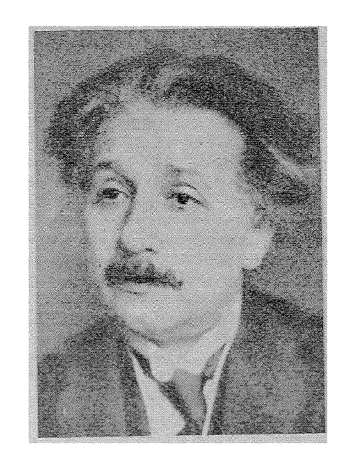
وبعدما انقضى على هذا القول ثلاثمائة سنة قلَبهُ لورد كلفن رأساً على عقب اذ قال ان صلابة الاجسام سببها ذرات لينة سريعة الحركة

الزائر : نعم اذكر شيئاً من ذلك لما كنت لا ازال اتلقى العلوم العالية . لقد شبّه كلفن حينئذٍ الجوهرَ الفردَ بحلقة من دخان

العالِم : نعم . دعاهُ الجوهر الزوبعي وجاء بادلة كثيرة لتأييد قولهِ منها ان الماء المنطلق بقوة من فم انبوب دقيق يدير دولاباً لقوتهِ اي ان الماء السائل يكتسب قوة الجوامد من حركتهِ السريعة . وان دولاباً من جلدٍ اذا كان ساكناً كان ناعماً متهدلاً ولكنهُ متى ادير بسرعة صار قاسياً جدًّا . وكان رأي كلفن ان الجوهر الفرد ليس الاَّ حلقة تدور دوراناً زوبعيًّا في الاثير وتحمل معها النور

الزائر : وماذا حدث لجوهر لورد كلفن

العالِم : ما حدث لغيرهِ . فجوهر كلفن كان يملأُ فراغاً في علم الطبيعة منذ خمسين سنة لان العلماء تمكنوا من ان يفسروا بهِ اموراً كثيرة لم يتمكنوا من تفسيرها بسابقهِ



الاستاذ اينشطين



الاستاذ بوهر

أمام الصفحة ١٢٥

مقتطف اكتوبر ١٩٢٨

فقد كان الدوران الزوبعي من صفات هذا الجوهر وعن هذا الدوران تنشأ اهتزازات الاثير التي دعيت بالامواج وبها علّل تموج النور . ولكنهُ لدورانهِ الزوبعي لم يكن في صفاتهِ جذب الجواهر الاخرى اليهِ وهذا قضى عليهِ لان المادة لا تكون من جواهر لا تستطيع ان يجذب احدها الآخر

الزائر : وماذا حلَّ محلَّهُ

العالم : انقضت حقبة من الزمن من غير رأي خاص في ماهية الجوهر الفرد . وفي اواخر القرن الماضي قام الاستاذ رولند احد اساتذة جامعة جونز هبكنز الاميركية وقال لا ادري ماهية بناء الجوهر من جواهر الحديد ولكن يجب ان يكون بناؤهُ معقداً كبناء البيانو

الزائر : ولكن جوهر بوهر أبسط من جوهر رولند كثيراً

العالم : يجب ان نذكر ان رولند لم يعش حتى يطلع على ارتقاء العلوم الطبيعية الذي تلا اكتشاف اشعة اكس والعناصر المشعة . ونتائج هذا الارتقاء اثبتت لنا امراً خطيراً اساسيًّا وهو ان الجوهر الفرد يجب ان يكون كهربائيًّا في بنائهِ

الزائر : ما ابعد الشقة بين هذا الجوهر وذرات نيوتن الصوانية !

العالم : ولكن لما كنا لا نعلم حقيقة الكهربائية فبناء الجوهر الفرد منها يكاد يكون فوق ادراكنا

الزائر : هذا بديع . وان سروري بمعرفة هذه الحقائق يضاهي سروري برؤية الجوهر الفرد نفسهِ لو كان ذلك ممكناً . والآن فقط بدأت ادرك لماذا بنى بوهر جوهرهُ من الشحنات الكهربائية — الكهارب والبروتونات . ولكن هل يستطيع جوهر بوهر ان يجذب غيرهُ اليهِ

العالم : ليست هذه الصفة من الصفات اللازمة لهُ

الزائر : (دهشاً) ليست من صفاتهِ اللازمة ! بعد ما تحطم على صخرتها جوهر لورد كلفن . ماذا حدث في تلك الاثناء مما جعل هذه الصفة التي كانت لازمة لجوهر كلفن غير لازمة لجوهر بوهر

العالم : اينشطين !

الزائر : وماذا قال اينشطين

العالم : قبل اينشطين كانت الجاذبية صفة من صفات المادة . فابان اينشطين انها قد تكون من صفات المكان (الفضاء) اي ان جسماً من الاجسام ينجذب الى غيره لا لان هذا الغير فيهِ صفة تدعى صفة الجاذبية بل لان شكل الفضاء الذي يتحرك فيهِ الجسم المنجذب يحتم عليهِ الاقتراب من الجسم الثاني . ومن هذا القبيل ترى كل اشكال الجواهر التي استنبطت سواءً

الزائر : فلماذا لا نعود الى بعض الاشكال الماضية ونحاول تطبيقها على مقتضيات العلم

العالم : لان العلماء كشفوا حقائق كثيرة عن فعل الجواهر لا يسع الجواهر القديمة ان تفي بتعليلها

الزائر : وجوهر بوهر ايضاً لا يفي بذلك على ما قلت لي . فماذا حلَّ محلهُ ؟

العالم : جوهر شرويدنغر الموجي

الزائر : لم اسمع بهذا الجوهر الجديد بعد

العالم : كلاّ لانهُ استنبط منذ ثلاث سنوات فقط . وكثيرون من المشتغلين بهذه المباحث المنقطعين لها لا يزال تصوّرهم لحقيقتهِ مبهماً غاية الابهام

الزائر : وهل هو كهربائي في بنائهِ ؟

العالم : نعم لا ريب في ذلك اذ يظهر ان هذه الصفة اساسية في بناءِ كل جوهر على ما يظهر لنا من اتجاهِ البحث العلمي . والفرق بين جوهر بوهر وجوهر شرويدنغر هو فرق في توزيع القوة الكهربائية في داخل الجوهر نفسهِ . ذلك ان جوهر بوهر كما تعلم مبني من نواة مركزية كهربائيتها ايجابية تدعى البروتون ومن كهارب تدور حولها كهربائيتها سلبية . فالقوة الكهربائية في جوهر بوهر مركَّزة في نقط معينة هي البروتون والكهارب . اما جوهر شرويدنغر فالقوة الكهربائية فيهِ موزعة على السواء داخل كرة من الفضاء حجمها حجم الجوهر الفرد . كذلك ترى ان الكهارب في جوهر بوهر دائمة الحركة سريعتها واما الشحنات الكهربائية في جوهر شرويدنغر فساكنة لا تتحرك ولكنها قادرة ان تغير مقدار كهربائيتها في نقط معينة واوقات معينة . وهذا التغيير في قوتها يحدث امواج النور في الفضاء المجاور للجوهر الفرد

الزائر : من الصفات التي اتصف بها جوهر بوهر مقدرتهُ على اطلاق احد كهاربهِ من حين الى آخر فكأنهُ حجر رحى يدور وينطلق منهُ في اثناء دورانهِ ذرات دقيقة في الفضاء

العالِم : وكل جوهر يجب ان يكون حائزاً لهذه الصفة. لان التجارب العلمية تستلزمها وشرويدنغر يتصور جوهره كرة دقيقة نابضة بالقوة الكهربائية تنطلق منها مقادير دقيقة من الكهربائية كل مقدار منها بمثابة الكهرب . وقد يصطدم هذا المقدار من القوة الكهربائيـة بجوهر آخر فتتحد بهِ وتصير جزءًا منهُ فيكبر بها الجوهر او تكثر قوتهُ

الزائر : يظهر ان تركيب هذا الجوهر بسيط للغاية . ترى ماذا يقول رولند لو عرف بهِ

العالِم : نعم ان تصوّرنا لبناء الجوهر الفرد اخذ يزداد بساطة ولكن القواعد الرياضية التي نبني عليها هذا التصوُّر وهذه الحقائق البسيطة صعبة ومعقدة جـداً . ولمعرفة تصرُّف جوهر من جواهر شرويدنغر في احوال معينة يلزم للباحث ان يكون متفوقاً في معرفة الرياضيات العالية

الزائر : وهل يفي جوهر شرويدنغر بكل مطالب العلم الحديث

العالِم : انهُ كافٍ لتعليل كل الظواهر التي كان جوهر بوهر كافياً لتعليلها وفوق ذلك يعلل ظواهر اخرى لم يكن تعليلها قبلاً في حيّز المستطاع . ويمتاز على جوهر بوهر في انهُ لا يقتضي الاغضاء عن بعض النواميس الكهربائية المعروفة

الزائر : (في شيء من التهكم) .على اني اظن انكم لا بد ان تجدوا فيها نقصاً يوماً ما فتطرحوهُ خارجاً

العالِم : لا شك في ذلك . فاننا لا نزال بعيدين عن مرتبة الكمال . وهذا الجوهر ليس الا طفلاً علميًّا . ومن يستطيع ان يتكهن بالنقائص التي تبدو فيهِ متى شبَّ . ومن يدري انهُ يستطيع ان يفي بتعليل كل الحقائق العلمية الجديدة .ولكن مهما يكن مصيرهُ فلا ريب في انهُ الآن خطوة الى الامام

الزائر : ياليتنا نستطيع ان نرى الجوهر الفرد رأي العين ! . . . ملخصة عن السينتفك اميركان

العلم والاخلاق

الاستاذ هولدين الذي نلخص عنه هذا المقال من اشهر كتاب الانجليز وكبار مفكريهم ، كما انه من اشهر علماء البيولوجيا في العصر الحاضر . والمقال الذي نلخص عنه هذه الآراء قد سيق في قالب الرد على الاسقف انج الحكيم المعروف . فتركنا من المتن الاصلي كل ما هو خارج عن موضوع البحث حاذفين ما وجه فيه من الردود الى الاسقف مكتفين بان نعطي القراء في هذه الاسطر لب الآراء الاساسية التي تقوم في حقل الكاتب الكبير

يؤثر العلم في الاخلاق من خمس طرق مختلفة على الاقل . ولا ريب في انَّ حصرنا لهذه الطرق التي يؤثر من طريقها العلم في الاخلاق ، يساعدنا بدياً على تحديد هذا الموضوع الهام تحديداً نتوخى من طريقه ان نفصلهُ تفصيلاً تامًّا على قدر الامكان واليك بيان هذه الطرق الخمسة

١ — ان تطبيق العلم بصورة عملية يخلق واجبات جديدة ويوقفنا امام مسؤوليات لم نكن لنفكر فيها من قبل . فان قحطاً اذا كان قد وقع في بلاد الصين منذ قرنين فرطا من الزمان ، لم يكن ليضع الرجل الانجليزي او الامريكي ازاء اية مسؤولية مهما كان نوعها ، لانهُ لم يكن في استطاعة احد ان يمدّ يدهُ الى مساعدة المنكوبين بأية وسيلة . أما اليوم فان استخدام البخار في السفر والكهربائية في نقل الاخبار ، كلاهما جعل القيام بمثل هذا الواجب مستطاعاً

٢ — قد يقيدنا العلم بواجبات ويضعنا امام مسؤوليات محدودة بما يظهر لنا من نتائج ينتظر وقوعها تبعاً لاعمال نقوم بها . فاننا جميعاً متفقون على انهُ لا ينبغي لاحد أن يلوث مياه الشرب بميكروب التيفوئيد مثلاً . وفي الجائز ان نكون منقسمين في الرأي تلقاء تطعيم اولادنا بمصل الجدري ، ونحن اشد انقساماً في الرأي لدى البحث في هل يجوز ان نمنع رجالاً ونساءً من التمتع بحقوق الابوة والامومة اذا دلنا العلم على ان تزاوجهم قد ينتج اولاداً مصابين بنقص في التكوين الطبيعي او بامراض تنتقل بالوراثة

٣ — يؤثر العلم فيما نرى من قواعد الاخلاق بأن يغير من وجهة نظرنا في طبيعة الدنيا التي نعيش فيها ، كاخضاع الميثولوجيا لسلطانهِ . فان شخصاً ما قد ينظر في الحيوانات والانسان بنظر القانع بان الجميع من « اخوة » واحدة او « اولاد عمومة » اذ يرجع الجميع الى اصل واحد منهُ اشتقوا ، وبذلك يزيد مقدار ما يخضع لهُ من الواجبات

والالتزامات الادبية . في حين ان آخر يرى أن أنبل ما تمَّ عليهِ الطبيعة البشرية من الاعمال ليس الاَّ نتاجاً لقانون التناحر على البقاء الذي لا يعرف اخلاقاً ولا يقبل في الوصول الى نتائجهِ المحتومة من هوادة ، وبذلك يرفض عن اعتقاد واقتناع ان يساعد الضعفاء والمرضى الذين يقاسون الآلام . وهنالك ثالث يتأثر بما يرى في الانسانية من تكالب على الحطام والمتاع ، فيلجأ الى صورة من صور الابيقورية المهذبة ويقبع في عقر دارهِ غير حافل بما يقوم حوله من جلبة الاجتماع . على انك في كل مظهر من هذه المظاهر تقع على عنصر بعينهِ من عناصر الحق الثابت

٤ — كلما تقدم علم الانسان — الانثروبولوجيا — خطوة نحو التحديد الذي يدخلهُ في منطقة العلم الصحيح ، فانهُ في كل خطوة يخطوها في هذه السبيل يؤثر تأثيراً عميقاً فيما ندرك من معنى الاخلاق وما نتصور من اصطلاح الآداب ، اذ يظهرنا كل يوم على « قانون » جديد من قوانين الاخلاق هو بذاته واحد من مجموع القوانين التي يعكف عليها ويعتقد بصحتها ويطبقها بغير تلكؤٍ اقوام تختلف نزعاتهم وطبائعهم وعناصرهم وبذلك يضع امامنا علماً جديداً يتفرع منهُ هو علم الاخلاق المقارن

٥ — واخيراً قد يؤثر العلم في الاخلاق من طريق ذلك الاسلوب الذي يعكف عليهِ رجال العلم، لدى النظر في حقيقة العالم . لان هذا الاسلوب يقوم لدى الواقع على احترام الحق ، ورفض كل النتائج التي لا تبررها البراهين والمشاهدات، تلك النتائج التي تختص بها صور الدين ومذاهب اللاأدرية . ناهيك بما يستتبع هذا الاسلوب من كبت العواطف والانفعالات على قدر المستطاع ، لان اطلاق العواطف من عقال العقل اكبر عقبة تقوم في سبيل الوصول الى الحق . فرجل العلم يستوى عندهُ الاهتمام باجل زهرة واخبث حشرة ، وان كان عملهُ النهائي يرمي الى ابقاء النوع الذي ينتج الازهار الجميلة، وافناء النوع الذي ينتج اخبث الحشرات

***

على اني اعتقد ان الوجه الثاني من اوجه هذه العلاقة التي تربط بين العلم والاخلاق هو اكثر وجوه هذه العلاقة نفعاً من طريق العلم . فان العلم بما يخلق لنا من مضاعفات شديدة في الحياة يزودنا بفرص تمهد لنا سبيل الخطيئة ، ربما يؤدي اليـهِ تغيير في وجهة نظرنا الى العالم ،قد يحملنا على ان نلجأ الى صورة من صور الفوضى الاخلاقية. غير ان العلم على الرغم من كل هـذا لا يضرُّ بنا اذ يظهرنا جليًّا على نتائج افعالنا وان

اعداء العلم يزعمون ، وذلك في الوقت الحاضر على الاقل، بان علاقته العملية بالذوات البشرية ، ما دامت قاصرة على الابدان دون الارواح، فانهُ يحملنا على ان نعنى بما هو اسفل وان نهمل ما هو اعلى ، وانهُ يصرفنا بذلك عن العناية بأمر اخواننا في الانسانية. على اني بوجه عام ارحب بهذه الاقوال ولا آنف من ان افتخر بها ، لاني على الرغم من اني لا اعتقد بوجود روح مفارقة للبدن ، اعتبر ان خير البدن مساوٍ لخير الروح ، اذ في كليهما ينحصر معنى الانسان منظوراً اليهِ من وجهة خاصة

اعتقد اني اتبع « قاعدة الاخلاق الذهبية » ما دامت واجباتي نحو اخي في الانسانية قاصرة على ان اطعمه اذا جاع واكسوه اذا عري واعتني بهِ اذا مرض . ذلك لاني اريد ان يفعل بي اذا ما اصبت بشيء من الجوع او العري او المرض مثل ما افعل بغيري . ولكني اذا اردت ان اتخطى حاجات البدن من امر العناية بأخي الانسان ، فأني اجتهد في ان اعلمهُ رغم انفه وعلى الضد من ارادتهِ ، وان اقنعهُ بما اعتقد وان اطبعه بطابعي سواء اكنت متديّناً او لا ادريًا او ملحداً . فاذا امعنت في عملي هذا انتهيت اما بان ارسل جماعة للتبشير بين اهل الوثنية ، او اجهز جيشاً يقوم بحرب صليبية ليفني الكفار من وجه البسيطة . واني لاعترف باني لن افزع من فكرة وضع نظام اخلاقي تكون وجوه الخير التي نحاول ان نفرضها على اخواننا في الانسانية ذات صبغة مادية ، وان يحل فيهِ قانون الصحة محل فكرة الخلاص الاخروي

اذا اعتبرنا هذه الحقائق في مجموعها استبان لنا أن حفظ الصحة يحتاج الى درجة خاصة من التعليم ، ولما كان نوع التربية او التعليم الذي يحتاج اليهِ كي نصل الى هذه النتيجة تابعاً لعلم البيولوجيا بالذات ، ولما كنت معدوداً من البيولوجيين ، اصبح من الطبيعي أن اجذل اذا ما رأيت المعلومات البيولوجية تنتشر بين الناس . واذا صح أن الغاية من التعليم تنحصر في ان يعرف الانسان نفسهُ ، كان من الضروري ان يبدأ الانسان بمعرفة ما يؤدي الى هذه النتيجة ، فيعمد الى درس التشريح والفسيولوجيا . فاذا رمينا في امر اصلاح الانسانية الى غرض لا يقلُّ عن هذا شأناً بان فكرنا في جعل الناس اكثر احتمالا للشدائد واقوى مراساً في العمل ، كان لا مندوحة لنا عن أن نلجأ الى علم الصحة نذيع قواعده ونبثها في صدور الناس. فاذا نظرت بجانب هذا الى عالم السياسة والاقتصاد الفيت ان الضرر أو سوء الطالع الذي يصيب رفيقي قد يكون فيهِ فائدتي . اما في علم الصحة فالواقع على الضد من ذلك . فما دام لدينا دساكر

في وسط المدن ومحافر تنشر الغبار في الجو ، فلدينا اوساط حسنة يربى فيها ميكروب السل ، الذي يصيب الفقير والغني على السواء . وما دام لدينا امر يعيش ستة افراد منها في حجرة واحدة ،فاننا عاجزون عن ان نمنع انتشار مرض الدفثيريا او الحصبة

ولا شبهة مطلقاً في اننا اذا اعتبرنا هذه النتائج في مجموعها بان لنا ان زيادة قوة الاحتمال في الناس والعمل لها ، مسألة تتعدى حدود الشعبية والسلالة والنوع . اي انها مسألة لا يجب ان يعنى بها شعب دون شعب ولا سلالة دون سلالة ولا نوع دون نوع. فكل طفل روماني يصاب بالفالج ، وكل هندي يصاب بالجدري ،وكل جرذ يحمل ميكروب الطاعون ، كل هؤلاء انما يظهرون في مخهم بمظهر يؤثر من ناحية ما في الاعمار بما ينقصها

يقول لنا بعض علماء ممن درسوا علم النفس وهم فوق ذلك متشائمون من الحياة متبرمون بها ، ان الناس لا يمكن ان يكونوا مجاميع كبيرة الاَّ اذا غزا نفوسهم الخوف واكل صدورهم الحقد والكراهية. على اني اعتقد ما دام في جو الكرة الارضية ميكروب يسبب مرضاً وبائيًا ،فان الناس سوف يقعون دائماً على اسباب للكراهية واخرى للخوف تفت دائماً في عضد الانسانية

لست من الماديين ، ولكن لااعتقد ان تأثير العلم ماديًا في قانون الاخلاق قد كان ذا اثر سلبي . فان علاقة العلم بالاخلاق لم تؤثر في نفي كثير من صور الخير والشر التي قامت في عقول الناس لاغير ، بل انها خلفت حالة ما تساوت فيهـا فكرتا الانانية والغيرية . وان دستوراً ماديًا ، كالصحة العامة مثلاً ، لهُ من الفوائد ما لا نستجليه في غيره من المبادىء الميدينية — التي تقول بان اللذة غاية الحياة — كالسعادة مثلا ، لان في استطاعتنا ان نقارن بين صحة اثنين ، في حين ان المقارنة بين مقدار سعادتهما مما يخرج عن طوق استطاعتنا

***

وهنالك وجوه أخرى من العلاقات التي ابرزها العلم بين حاجات الحياة والاخلاق . على اننا اذا نظرنا بتأمل وجدنا ان اخص هذه الاوجه انما نجتليها اذا اكببنا قليلا على التأمل في حالات اوجدها علم البيولوجيا في الحياة . على اننا نريد ان نخلص من هذا التمهيد بفكرة فلسفية لانريد ان نفوتها على القارىء .فان هذه العلاقات الجديدة التي جدت بتجدد المعرفة بين العلم والاخلاق ، قد قلبت الفكرة في «الحقيقة». فقد تبدل الناس في الاعتقاد بان « الحقيقة » انما ترجع الى « الغيب » اعتقاداً آخر

اثبت في روعهم ان « الحقيقة » انما ترجع الى الشهادة — الى عالم الكون والفساد ، الى المادة والعلاقات المادية. ومها اختلف الناس في تقدير فكرة الحقيقة ،فان العلم يقول بانها نسبية وهذا حد الامكان الذي يفتح فيه امام العقل البشرى باب الاتناج الصحيح

نرجع لدى الكلام في علاقة البيولوجيا بالاخلاق الى الحقائق التي هي اثبت من غيرها عند العلماء . انا نعرف النواميس التي تحتكم في توريث عدد من النقائص الخلقية وبعض هذه النقائص ،كالعمى اللوني مثلاً ، غير ذات شأن كبير ، ما دمنا نستطيع ان نجعل سائقي السيارات والملاحين من غير هؤلاء . اما غير هؤلاء ، كالذين يكونون قصيري الاصابع مثلاً ، فقد نعتبرهم ضرراً ينزل بالانسانية . ثم هناك طبقة ثالثة ، كالمصابين بالهاموفيليا — امتناع تخثر الدم — والمصابين ببعض ضروب من الصمم ، فان هؤلاء يمتنع عليهم ان يعيشوا على صورة طبيعية ، ولا يمكن ان يفيدوا في الحياة شيئاً ، بل لا نبالغ اذا قلنا بانهم خطر على الحياة ذاتها

فاذا عرفنا ان هذه الامراض تتوارث في كثير من مختلف الصور والاحوال،وان الصورة التي تظهر فيها هذه الامراض موروثة قد تجعل تطبيق قواعد اليوجنية — تحسين النسل — مستطاعاً او غير مستطاع ، حُدّد اذ ذاك موقفنا ازاء المصابين بهذه الامراض وما يماثلها . فاذا اعدمنا مثلاً كل الذين هم ذوي اصابع قصيرة صبيحة الغد ، فاننا ولا شك نقضي على هذه الصفة من الانسان قضاء تامًّا . ولكن على الضد من ذلك يكون حالنا اذا نحن قتلنا كل المصابين بالهاموفيليا . فاننا ولا شك نحتاج بعد ذلك الى مئات من الاجيال حتى نستطيع ان نختزل عدد المصابين بهذا المرض الى نصف العدد الموجود الآن. والطريقة العملية في معتقدي هي ان المصابين بمثل هذه الامراض يجب ان يحذّروا من صفات النسل الذي ينتج عن تزاوجهم ، وان يمهد لهم كل سبيل مستطاع ليقنعوا بان يعيشوا بلا عقب .ولكني بجانب هذا لا أرى مسوغاً من حالات الاجتماع في الوقت الحاضر يحملنا على الاعتقاد بان تنفيذ هذه النظرية جبراً في حد الاستطاعة . على ان الوقت لا بد من ان يهيء الافكار لقبول مثل هذه المبادئ

تصح لدينا هذه النظرة ذاتها اذا نحن حاولنا تطبيقها على نسبة النسل . فان الاغنياء في انجلترا يتناسلون بنسبة اقلّ من تناسل الطبقات العاملة ، وان زيادة النسبة في موت الاطفال بين هذه الطبقات الدنيا ،لا يعوض عن الفرق في نسبة زيادة النسل ولم تبدأ هذه الظاهرة الاّ منذ جيلين فقط ، والغالب انها سوف تذهب آثارها مع

تقدم الحالات الاجتماعية . ذلك لاننا نجد في استكهولم ، حيث لا يعيش الفقراء في دساكر قذرة كما هي الحال في لندن ، وحيث تحفظ هنالك سجلات فنية تعرف بها نسبة النسل بين الطبقات ، أن نسبة النسل بين الاغنياء تزيد عنها بين الفقراء . وكذلك يخيل الينا ان هنالك علاقة بين الغني وبين العوامل الوراثية التي تحدد كمية الذكاء ، ولولم تثبت الابحاث العلمية هذا الامر اثباتاً قاطعاً . لان طبقة الاغنياء تتكون من مجموع من الاسر هم لدى الواقع من الطبقة ذوات المهن الفنية والذين يتوارثون الذكاء بلا ريب في حين ان افراد طبقة العمال هم الذين توجد بينهم الاسر التي اتصفت بالضعف الذهني

على ان معلوماتنا في توارث الكفايات العقلية غير كاملة حتى نستطيع ان نقضي بحكم في ان خضوعها عدة اجيال متعاقبة لفعل الانتخاب قد يقضي عليها الى حد ما ، ولو ان كل الظواهر تدل على ان الطبيعة متجهة في هذه السبيل . فاذا سلمنا مع هذا بوجهة نظر المتطرفين من المشتغلين بالديوجنية فماذا تكون النتيجة ؟ يقول الاسقف « انج » وغيره من الغلاة ان الحكومة يجب ان تعرض لسكان الدساكر معاشاً يخرج من خزانة الدولة كل سنة ليزدادوا عدداً ويكونوا عائلات اضخم . في حين ان غيرهم يقولون بان مساعدة هؤلاء على حساب الدولة جريمة

فاذا رجعنا الى تعاليم البيولوجيا وجدنا ان هناك خلافاً يقوم بين مدرستين . مدرسة تستوحي العلم وأخرى تستوحي المشاعر والوجدان . ولا جرم ان هذا الخلاف سبب من اكبر الاسباب التي جعلت كثيراً من الناس يشكون لاول وهلة في النتائج التي يصل اليها العلم وما هم منها في كثير ولا قليل

والمحصل أن الاخلاق اذا قامت على العلم لا على الوجدان ، وتحددت علاقاتها بمقتضى ما يقع في الحياة من ظروف ، وما يقوم فيها من حالات ، استطعنا ان نعتبر الانسانية كلاًّ أعظم ، على الفرد نحوه مسؤوليات وللفرد عنده واجبات . فالخلية في الجسم الحي تعاون في بناء الحياة ، ولكنها في حياتها الفردية أسعد حالاً ، اذا هي قورنت بفرد من البروتوزوى مثلاً . فاذا كان الكل الاعظم مستقلاً استقلالاً تامًّا عن افراده ، اي اجزائه المكونة له ، فلا جرم تكون سعادتهم بعيدة عن ان تؤثر في حالاته أو تكون ذات فائدة له . اما اذا اعتبرنا ان في حياتهم حياته ، وفي سعادتهم سعادته ، وانه لن يكون له من وجود الا بهم ولهم ، أصبحت حقوقهم حقوقه ، وواجباتهم واجباته ، ومسؤولياتهم مسؤولياته

اسماعيل مظهر

فعل المكان بالحيوان

او أثر البيئة في النشوء وبقاء الانسب

يرى الذين يضربون في البراري والقفار ويشاهدون ما فيها من الوحوش والطيور او يرقبون ما على الرياحين والاشجار من الهوام والحشرات ان لون جسم الحيوان يشبهُ غالباً لون المكان الذي يقيم فيهِ فالبلدان الشمالية التي تغطيها الثلوج اكثر السنة تكون حيواناتها بيضاء اللون غالباً . والصحارى والقفار الكثيرة الرمال تتغلّب الصهبة على لون حيواناتها . والغياض الكثيرة الازهار تكثر فيها الطيور المبرقشة والحشرات المزخرفة . والآجام التي يقع ظل قصبها على الارض خطوطاً مستوية يستوطنها النبر المخطط . وكثيراً ما ترى الفراش شبيهاً بالزهر الذي يقع عليهِ والدود بالاغصان التي يدبُّ عليها . وكلٌّ نوع من الحشرات شبيه بالمكان الذي يقيم فيهِ في لونهِ وقد يشبههُ في شكلهِ ايضاً . بل قد يتغير لون الحيوان الواحد اذا تغير لون المكان بتغير الفصول وذلك كلهُ من المشاهدات العيانية التي لا يختلف فيها اثنان

والبحث عن الاسباب من اول اعمال العقل فلا يكاد الطفل يفصح عما في ضميرهِ حتى يُقلقَ الذين حولهُ بالمسائل العديدة عن اسباب ما يراهُ. ولا بدَّ من ان يسأل كثيرون كما سألنا مراراً عن سبب تلوُّن الحيوان بلون ما يحيط بهِ من المكان . وقد اجاب العلماء قبلاً عن هذا السؤال بقولهم ان العناية الالهية لوَّنت الحيوان بهذه الالوان وقايةً لهُ اي حتى يختفي عن عين عدوهِ فلا يفتك بهِ .ويُردُّ على ذلك انهُ لو قصدت العناية وقاية الحيوان لوقتهُ على اسلوب اسهل واتم وهو ان تمنع بعضهُ من اكل البعض الآخر بجعلهِ كلهِ من آكلات النبات مثلاً وعدم خلقها فيهِ الميل الطبيعي الى الافتراس لانهُ ما الحكمة من جعل الاسد مائلاً بالطبع الى افتراس الحيوانات وجعل طعامهِ كلهِ من لحمها ثم حمايتها منهُ وتركهِ حتى يموت جوعاً ناهيك بان هذه الحماية غير وافية بالغرض لان الاسد لم يزل يفترس الحيوانات ولم يزل كل طعامهِ من لحمها

ثم نظر اصحاب مذهب النشوء في الوان الحيوانات فعللوهُ تعليلاً آخر اقرب الى العقل وهو انهُ اذا ولد لظبية خشفان لون احدهما مثل لون الارض التي هي فيها ولون الآخر مخالف للون تلك الارض ومرَّ بها اسد فالراجح انهُ يرى الخشف الذي لونهُ

مخالف للون الارض ولا يرى اخاهُ فيفترس ذاك ويترك هـذا فيكون لون نسلهِ مثل لونهِ ومثل لون الارض التي هو فيها واذا ولد لهُ اجراء لونها مخالف للون الارض فالراجح انها تُفترَس قبل اخواتها ومن ثم يصدق قول القائلين ان لون الحيوان المشابه للون المكان هو سلاح طبيعي لوقايتهِ . ولا نعني بذلك ان كل حيوان مشابه لمكانهِ في لونهِ هو بمأمن من الاعداء بل انهُ آمن من الذي لا يشابهُ لونهُ لون مكانهِ وذلك بنوع عام . ويعبَّر عن ذلك عندهم بالانتخاب الطبيعي . الاَّ ان هذا التعليل لا يحل المشكل كلهُ بل تبقى فيهِ الحلقة الاولى غير محلولة وهي كيف يتغير لون الحيوان اولاً حتى يصير مثل لون مكانهِ فان كان لذلك علة طبيعية فهذه العلة يجب ان تفعل في نسلهِ ايضاً . وهذا لا ينفي الانتخاب الطبيعي ولكنهُ يعلّلُ ما لا يُعَلل بهِ

وقد بحث العلاَّمة ولس الطبيعي في هذا الموضوع بحثاً استقرائيًّا فوجد ان الطيور التي تزيد فيها القوَّة الحيوية في اوقات معلومة هي اكثر برقشة من غيرها . وقد علم من قديم الزمان ان بعض الحيوانات يزول لونهُ في فصل الشتاء والبرد فلعلَّ سبب ذلك ضعف القوَّة الحيوية فيهِ . وصعد بعضهم بالارانب الى جبل يعلو عن البحر ٩٥٠٠ قدم وربى اجراءها هناك سبع سنوات متواليات فصغرت اجسامها قليلا وابيضَّ لونها وتغيَّر دمها تغيُّراً كيماويًّا فزاد فيهِ الحديد وزاد امتصاصهُ للاكسيجين واذا بقي نسل هذه الارانب هناك سنين كثيرة ثبت هذا التغيُّر وزاد مقداراً فيصير منها صنف مخالف للاصل الذي أُخذت منهُ بفعل المكان لا غير . ومفاد ذلك ان زيادة القوة الحيوية تزيد الالوان ونقصها ينقصها ولعلَّ هذا هو سبب برقشة الديوك

وقد اثبت بعضهم ان لون الحيوان قد يتوقف على لون طعامهِ فان في بعض جهات البحر حشائش قرمزية اللون وهذه تأكلها الحلازين والمحار فتنصبغ بلونها القرمزي ثم تأكلها الاسماك فيصير لونها قرمزيًّا مثلها . واخذ بعضهم يطعم الديدان اطعمةً ملوَّنة فكانت ابدانها تنصبغ بلونها لكن يظهر ان ليس لذلك تأثير في الحيوانات الكبيرة او ان تأثيرهُ فيها تختلط بفعل مؤثرات أُخرى فلا ترى نتيجتهُ

وقد انتبه كثيرون الى ان السمك الذي يعيش مدة من حياتهِ في النهر ومدة اخرى في البحر يتغير لونهُ باختلاف النور النافذ في الماءِ فاذا كان الماءُ قليلاً صافياً ينفذهُ النور كان لون السمك ابيض ثم اذا انتقل الى الماءِ العميق المظلم اكدرَّ لونهُ وضرب الى

السواد فليس هنا محل للانتخاب الطبيعي لان هذا التغير يصيب السمك الواحد فلا بدَّ من علاقة للنور في تغيير لونهِ

ومعلوم ان الضفدع الصغيرة التي تقيم على اغصان النبات والاشجار تكون خضراء بين النباتات الخضراء فاذا وضعت على الارض او على اوراق سمراء صار لونها اسمر . وهذا التغير معروف ومشهور في الحرباءِ وفي بعض العظايات .وقد بحث احد العلماءِ في سبب تغيُّر لون الضفدع فوجد في جلدها ثلاث طبقات من الحويصلات في الطبقة السفلى منها صبغ اسود وفي الطبقتين اللتين فوقها صبغ اصفر وازرق وفوقها غشاء رقيق شفاف فاذا كانت على اوراق النبات الخضراء امتزج اللون الاصفر بالازرق فكان منها لون اخضر وهذا اللون يضرب الى الصفرة او الى الزرقة حسب لون النبات ضارباً الى الصفرة في خضرتهِ او الى الزرقة . واذا وضعت على الارض او على شيء مظلم بدا لون الطبقة السفلى والصبغ الاسود الذي فيها . وهذا يشبه تلوُّن الحرباءِ فانها اذا كانت على اوراق النبات الخضراءِ ظهر لونها اخضر مثلها واذا مشت على الاغصان الخمرية اللون صار لونها خمريًّا واذا وضعتَ عليها اناءً يحجب عنها النور صار لونها اسود . وهذا التغير اما ان يكون سبَبهُ فعل عصبي يؤثر في الحويصلات المختلفة الالوان او يكون سببهُ النور نفسهُ والثاني هو الارجح . وقد اثبت بعضهم ان السمك الذي يتغير لونهُ بتغير لون الماءِ لا يعود لونهُ يتغير اذا عمي ولو تغير لون الماء . وهذا يدل على ان النور يؤثر في عصب البصر فينتقل تأثيرهُ الى أعصاب أُخرى تنبسط بها الحويصلات الملونة او تنقبض . واثبت غيرهُ ان النور يؤثر ايضاً في الحويصلات الملونة مباشرة فانهُ وضع ضفدعاً في الظلام حتى اسودَّت والصق قطعاً من الورق الاسود باجزاء مختلفة من بدنها ثم عرضها للنور فاخضرَّ جلدها كلهُ الاَّ المكان المغطى بالورق فانهُ بقي إسود . وفقأ آخر عيون بعض الضفادع الخضراءِ ووضعها في مكان مظلم فاظلم لونها ثم وضع معها غصن نبات اخضر فعاد لونها الى خضرتهِ كان النور الاخضر المنعكس عن الاوراق الخضراءِ يؤثر في اعصاب الجلد تأثيراً خاصًّا رأتهُ الضفدع أو لم ترَهُ . وللعلماءِ مباحث كثيرة تدلُّ على ان الطعام والمكان يؤثران في الوان الحيوان وهم لا يزالون يبحثون في ذلك بحثاً دقيقاً مبنيًّا على التجربة والامتحان وسيكشفون غوامض هذه المسألة ويوضحون أساليبها كما كشفوا كثيراً من اسرار الطبيعة

آراء في الادب والعمران

للمرحوم الدكتور صرُّوف

وذكريات شخصية من قلم الامير شكيب ارسلان

٢

كان الدكتور صرُّوف للعلم خليلاً صافياً لا يرى بهِ بديلاً ولا يرضى الاَّ بمجالسة ذلك الصديق الذي صافاهُ الدنيا وما فيها

انقطع للعلم ولكل ما يخص العلم ونظر الى الامور الاخرى كلها من خلال العلم

وبرغم هذا لم يكن يتعصب للعلم التعصب الذي يغلب العقل والعرف والعادة ويجهل مراعاة الزمان والمكان ولاسيما الذي يمس الاخلاق . بل كان كل ذلك عندهُ مسؤولاً عنهُ . وقد مرَّ بنا من قضية كتاب اناتول فرانس ما يعرب في هذا الباب عن مشربهِ اعراباً كافياً وبالاجمال كانت عندهُ المعارف والاخلاق توأمين متلازمين لا يرى هذه الاَّ بهذه

وكانت فيهِ سجية العلماء الحقيقيين من التواضع والوداعة والتحرج عن البتّ في الامور والجزم الذي يجزمهُ بعضهم كأن الحقيقة اصبحت في جيبهِ وكأنهُ لو ارتفع الغطاء لم يزدد يقيناً . كلاَّ . لم يكن من هذا النمط بل كان مشربهُ انهُ مهما كانت القاعدة العلمية نازلة منزلة الحقائق لا يتلقاها الانسان الاَّ مع شيء من التحفظ يبقى معهُ الباب مفتوحاً لنظريات جديدة . وكان كثير التأني والتروي قليل التسرُّع ابعد الناس عن التهور . هذا ما كنت الحظهُ من كتاباتهِ منذ عرفتهُ . ولا اقدر ان احكم كيف كان في عنفوان شبابهِ فإن المرء يطيب ويصفو من نفسهِ في الكهولة ما قد يكون عاتياً متعسفاً في ايام غلواء الشباب . الاَّ اني ارجح كون تلك الروح الطاهرة كانت من اصل فطرتها ونشأتها صافية رائقة رضية مطمئنة لا تحجب نظرها اقذاء الشهوات ولا تتحكم في احكامها سورة الاهواء ومما لامرية فيهِ ان علو السن وازدياد الحنكة قد كسبا ذلك الصفاء الفطري لمعاناً

وكان لا يحتقر رأي احد ولا يزدري ولا يهزأ ولا يقابل الآراء الضعيفة بالاعراض التام ولا يقول : هكذا تقرر وجف القلم . وانما يعرض كل ما يأتيهِ على المحك ويقول

هذا الذي عندنا وهذا الذي قالوهُ حتى اليوم ويأتي بالشواهد على ذلك . ثم لا يأنف
ان يقول بانهُ قد يكون الحق خلاف ذلك ولكنهُ لا يقدر هو ان يعطي الا ما عندهُ
وكثيراً ما كان يدعو المعترضين ان يُدلوا بحجتهم ويفيضوا ما عندهم ولو بما يخالف رأيهُ
لانهُ لم يكن يهمهُ ان يفوز في الجدل ولا ان يقال انهُ هو صاحب الحقيقة بل كان يهمهُ
ان تعرف هذه الحقيقة ايًّا كان صاحبها

***

ومرةً — وليس من عهد بعيد — ابديت واعدت معهُ بمراسلات خاصة فيما بيننا
بموضوع العرب ومكانهم من العلم . فقلت لهُ ما معناهُ ان هناك نزعة جدية في التحامل
على العرب وتنقص شأنهم واستصغار ما اتوا بهِ من مدنية وما اثّلوهُ من عمران واكثر
ما يستدلون على ذلك بالآراء العصرية واكثر ما يعتنون باظهار ضؤولة المدنية العربية
بجانب المدنية الاوربية . وهي محاكمة غريبة جدًّا لان العرب المتمدنين والاوربيين
المتمدنين لم يعيشوا في عصر واحد بل حضارة العرب ازدهرت قبل اليوم بنحو الف
سنة والمعارف والاختراعات التي فاتتهم قد فاتت امماً مثلهم واجلَّ منهم كالرومان واليونان
والصين فلا يعيب العرب ان يجهلوا منذ الف سنة ما عرفتهُ اوربة بعد الف سنة فالزمان
كالانسان كلما مرت عليهِ الايام ازداد خبرة ولا عجب ان يكون الزمان الشيخ اعلم من
الزمان الشاب . ولعلهُ يأتي يومٌ بعد الف سنة مثلاً تصير فيهِ معارف العصر الحاضر
في جانب معارف ذلك اليوم مسخرةً من المساخر . أفيكون ذلك سبباً لاحتقار المدنية
الحاضرة واتهام الاوربيين بالقصور ؟

ان العرب كانوا في ايام دولتهم حملة العلم وناشري المدنية والمثل الاعلى في عصرهم
ذاك وكانوا هم الواصلين بين الشرق والغرب ثم جاءت ادوار انحطوا فيها باسباب مختلفة
كما انحطت امم غيرهم بعوامل متنوعة وكما انحطت رومة مثلاً . ونهض الغرب الاوربي
من نحو ثلاثمائة او اربعمائة سنة وسبقهم وهذا لا ينكر كما ان العرب كانوا لعهدهم نهضوا
وسبقوا امماً عظيمة كانت في اوج المدنية في ايامها كالرومان والفرس وهذا التقدم والتأخر
مشهودان في تاريخ الامم وتلك الايام نداولها بين الناس . فلم نفهم معنى هذه الشرّة في
غمط فضل العرب والاحنة على مدنية العرب والاجتهاد في اثبات ان العلم الفلاني لم يضعهُ
العرب وان العلم الآخر انما نقلوهُ نقلاً وما اشبه ذلك . فاية امة راقية لم تنقل عن

غيرها واية امة عاقلة أنفت من استعارة الاشياء المفيدة من سواها وكيف كان الامر فالعلماء الاوربيون اجمعوا على ان هناك مدنية عربية زاهرة مزدهرة خاصة بالعرب موسومة بطابعهم كان لها المقام الاول في حقبة من الزمن .

فاجابني الدكتور صروف بما يعترضهُ بعضهم على فضل العرب وما ينسبونهُ من الاعجاب بالمدنية العربية الى غلو المستشرقين المحبين للعرب وما يقال من ان العرب دخلوا على حضارات قديمة ضخمة فدمروها وماآثر جليلة فنسفوها . وقال لي ما معناهُ : اننا نشرنا ما عرفناهُ من فضل العرب ولكن لم نقدر ان نخوض في الفلسفة العربية التي قيل انهم برعوا فيها لاننا لا نعرفها فمن اولى منك بان تخوض عباب هذا الموضوع وتنشر في المقتطف ما تثبت بهِ فضل امتك وامتيازها على غيرها وتنقض آراء من يحاول تنقص العرب

وهكذا اراد الفقيد المترجم ان يستوري هذا الخاطر الصلد ويستمري هذا العارض الكزّ في هذا الموضوع الجلل حبًّا بتمحيصه وتجلية الحقيقة منهُ . ولقد كان لهُ احسن الله مآبه حسن ظن في هذا العاجز اوكان حسن ظنه هذا من الباب الذي تقدم عنهُ وهو انهُ لم يكن يحتقر رأي أحد .

ولقد جاوبتهُ على كتابه هذا الذي لم اجدهُ حتى هذه الساعة بين اوراقي المتلاطمة الامواج ومتى وجدتهُ لا ارى بأساً من نشرهِ . ولست بمتذكر كل فحوى جوابي لهُ لان الذين يكتبون آناء الليل واطراف النهار يستحيل عليهم ان يتذكروا كل ما يجري بهِ اقلامهم . واظن اني وعدت بتوفية هذا الموضوع حقه وشرعت بإعداد الوثائق اللازمة لذلك ومن اهمّ ما لفت نظري من هذا البحث مقالة للدكتور محمد شرف منشورة في « جريدة السياسة » لخّص فيها ما قام بهِ العرب من جهة العلم العملي وما وفقوا اليهِ في العلوم الرياضية والطبيعية والكيمياء والطب واثبت بها ان عمدة العرب في العلم كانت التجربة

ولكن الاشغال والاسفار البعيدة والسياسة — قاتل الله السياسة — عاقتني عن اتمام هذا العمل الذي كنت في الحقيقة لا اتوخى فيهِ الاّ اقناع الدكتور صروف نفسه بأن مقام العرب الاولين في العلم كان اجلّ مما يتوهم وان المستشرقين لم يحلوا العرب ما ليس لهم لا بل ان اكثر المستشرقين نقصوهم ولم يزيدوهم . نعم كنت حريصاً على ان

ازيد قيمة العرب في نظرهِ وان كنت عارفاً انهُ كان ذا رأي عظيم فيهم وانهُ انما كان يريد ان يزداد قلبهُ اطمئناناً

والحقيقة ان للعرب دورين احدهما ما قبل الاسلام والثاني ما بعده

فدورهم قبل الاسلام تحدث عنهُ مآثرهم الزراعية في اليمن . ومدائنهم العظيمة في جزيرة العرب والبيوت المنحوتة في الجبال والآثار الباهرة في بتراء وتدمر والسويداء وغيرها فهذه كلها مما صنعت ايدي العرب . وان قيل ان النبط هم الذين قاموا بكثير من ذلك جاوبنا : ومن هم النَّبَط ? ومن هم العمالقة ? بل قلنا اكثر من ذلك : ومن هم الفينيقيون ? كل هذه الامم امم سامية خرجت من جزيرة العرب وكلها تركت مآثر لا يمحوها الملوان

واما دور العرب بعد الاسلام فلا الدولة الاموية في الشام ولا الدولة العباسية في بغداد ولا الدولة الفاطمية في مصر ولا الدولة الاموية الثانية في الاندلس كانت تعاب بتدمير او نسف عمران بل جميع هذه الدول كانت معمّرة مثمرة مؤسسة مؤثلة لا يجد مؤرخ منصف فيها مجالاً لوصمةٍ من هذا القبيل . واما تحامل بعض الافرنج ممن لا تزال في قلوبهم نزعة صليبية او ممن يقصدون بذلك اغراضاً استعمارية سياسية في انكار اهمية مآثر هذه الدول في العمران والمدنية فلن يسطو على الحقيقة ولن يطمس الواقع الراهن وهو ان هذه الدول بلغت المكان المدني الاعلى في وقتها وكانت دول الافرنجة يومئذٍ بجانبها همجاً

نعم عدت على الامة العربية عوادٍ اخذت بها الى هاوية الانحطاط اهمها اثنتان : الاولى كائنة المغول الذين نسفوا عمران المشرق كلهِ واستأصلوا ملايين النسَم وازلوا حضارة بلاد الاسلام عن درجتها العالية فلم تقم لها قائمة تحمَدُ منذ عصفت تلك الريح الناسفة العاتية . والثانية حروب الافرنج الصليبية في الشام ومصر والمغرب والاندلس مما استمر مئتين من السنين ونزف دماء الدول العربية التي لم يبق لها وقت ولا مال ولا رجال الا للدفاع عن نفسها

واظن اني ذكرت في جوابي للمرحوم هذين السببين وان كنت لا اقتصر عليهما بل اجد من فتور همم العرب وفشوّ الظلم وخلل الادارة في حكوماتهم وفساد اخلاق علمائهم الذين صاروا يفتون للامراء باهوائهم اسباباً اخرى .

ولا انسى سبباً آخر لهُ التأثير الاكبر في انحطاط العرب وهو جمود الفقهاء و نفورهم من العلوم الطبيعية والرياضية ونظرهم في ذلك بدعاً في الدين وتمسكهم باسلوب من التعليم مخصوص لا يحيدون عنهُ

ولا اقول كما يظن بعضهم جهلاً ان العلوم الطبيعية والرياضية والطب والفلك والفلسفة كانت بالتمام مهملة في القرون الاخيرة في الازهر وجامع الزيتونة وجامع القرويين والاموي الخ لكنني اقول انها كانت غير مرغوب فيها وكان عدد من يتلقاها نزراً بالقياس الى طلاب النحو والفقه وكان مقتصراً فيها على نظريات قديمة من القرون الوسطى اصبحت لا تساوق هذا العصر

ولقد كانت هذه النظريات بعينها هي مرجع الاوربيين الى ما قبل هذا العصر بثلاثمائة سنة او اكثر ولكن هؤلاء بحثوا ونقحوا وزادوا وجروا الى الامام ونحن جمدنا على ما كنا عليهِ

***

واعود الى كلامي وذكرياتي عن الدكتور صروف فاقول :

كتب إليَّ الدكتور صروف في تاريخ لا اقدر ان اعينهُ الآن ولكنني اظن انهُ منذ ثلاثين سنة يستمد رأي هذا العاجز في شيء يتعلق بالمقتطف وذلك انهُ قال لي : قد بلغ منا التعب مبلغهُ وأرى ان نفسح في المقتطف اكثر من ذي قبل للمواضيع الادبية والتاريخية والروايات . او ما هو بمعناهُ . فجاوبتهُ بأن لا يفعل . وقلت لهُ : أنت تعلم ان مزية المقتطف التي انفرد بها هو كونهُ مجلة علمية فنية لا يضاهيه في هذا الباب مجلة أخرى عربية فينبغي للمقتطف ان يحفظ هذا المركز الذي اختص بهِ وان لا يتحول مجلة ادبية روائية يضارعهُ في هذا الموضوع مجلات وجرائد كثيرة . فأما انكم تعبتم وان لا تفسكم عليكم حقاً وان الانسان اذا لم يوفر لنفسه نصيبها من الجمام لم يستطع ان يحسن الشغل كما يريد فعلاج ذلك ان تستكثروا من المساعدين والمؤازرين الذين يمكنهم ان يكتبوا تحت اشرافكم . ويظهر ان الاستاذ المرحوم راقهُ هذا الرأي وعول عليه . واذا عثرت على المراسلات التي بيني وبينهُ في ذلك التاريخ لا أتأخر عن نشر ما يناسب أخذهُ منها . ولم ازل اتذكر ايضاً انهُ كتب إليَّ مرة يسألني عن ماهية المخطوطات التي وجدت في حجرة كانت مغلقة من الجامع الاموي بدمشق لعلّ

فيها ما يستحق الاعتبار من الوثائق التاريخية او غيرها فكتبت يومئذ الى دمشق واتذكر ان الجواب الذي جاءني منها لا يفيد شيئاً فيه طائل من جهة تلك الاوراق المحفوظة في تلك الخزانة

***

هذا ما عنَّ لي ان اذكرهُ هذه المرة عن المرحوم الدكتور صروف . ولن يكون هذا المقال آخر كلامي عنهُ لان الذي انقطع لخدمة العلم خمسين الى ستين سنة متوالية لا ينبغي للذين شهدوا معاركه المتواصلة في ساحة العلم وللذين استفادوا من ثمرات عنائهِ واستضاءوا بمصابيح آرائهِ ان يجتزئوا من الاشادة بذكره بمجرد تأبين واحد او ترجمة حال تكون هي ختام القول عنهُ . بل الدكتور صروف ممن ينبغي ان يبقى ذكره ملهج الالسن ما دامت العربية وما عمر نادٍ للعلم في الشرق . وجدير بهِ ان تضاف الى اسمه الاندية الادبية وان تنسب اليهِ المدارس والمحافل وان يطلق اسمهُ على الشوارع في مدائن الشرق الكبرى لان اصحاب الاعمال الخالدة يجب لهم التخليد بالالسن والاقلام حتى يعلم المجتهد اذا اجتهد ان الانسان لا يذهب عملهُ سدًى وأنهُ إن عاش حياة واحدة بالجسم فهو يعيش الدهر كله بالروح والذكرى . كثير من المفكرين ومن ادباء الوقت يعرفون عن الدكتور صروف اكثر مما أعرف وربما كانت لهم خلطة بهِ لم تكن لي . لاننا كنَّا متباعدين في الاقطار فهؤلاء يقدرون ان يحكموا عمَّا إذا كنت في هذا التأبين زدتهُ عن حقهِ او بخستهُ حقهُ او اديتهُ اليهِ كما هو غير منقوص . وعلى كل حال كيف كانت احكامهم في المقابلة بين وصفي هذا وبين كنهه فانا على يقين بأن الدكتور الفقيد هو من الافذاذ النابغين في الدهر النادرين في الفضل واللامعين في آفاق الشرق لمعان الانجم الزُهْر والذين لمثلهم يقال البيت الآتي :

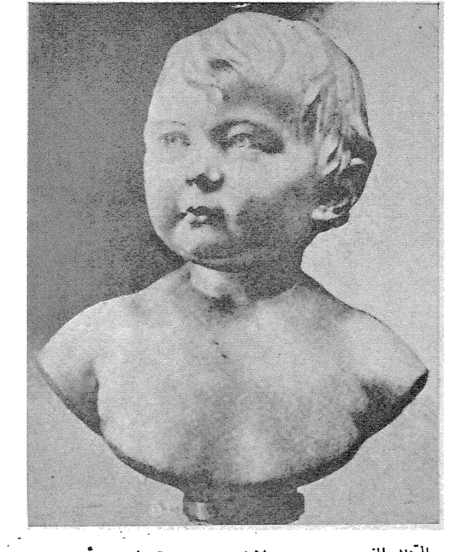
هيهات أن يأتي الزمان بمثلهِ ان الزمان بمثلهِ لبخيل

جزاهُ الله افضل الجزاء على جهاده الطويل في خدمة اشرف شيء ترقَّت بهِ المدنية وهو العلم وافضل مزية تحقق بها الانسان وهي الانسانية

لوزان شكيب ارسلان



الفتاة « اليس » التي كتب لها كتاب « اليس في بلاد العجائب »
وقد بيعت مخطوطتهُ بأربعة عشر ألف جنيه



التمثال الذي صنعه هودن لابنته بيع بتسعة واربعين ألف جنيه
مقتطف اكتوبر ١٩٢٨ — امام الصفحة ١٤٣

الاميركيون يغزون انكلترا باموالهم

ليستأثروا بكنوزها الفنية

الفن والحرب — الفن والنهضة — الفن يسير غرباً

بقلم صحافي انكليزي

اما وقد عزم الاميركيون ان ينفقوا جانباً من اموالهم لابتياع آياتنا الفنية — فلست تجد قصراً انكليزيًّا في مأمن من هجماتهم المتوالية وقد أصبح الانكليزي الذي يملك صورة من تصوير ريبرن[1] او رُمني[2] اغنى من شريف يملك صوراً لاسلافهِ سواءٌ كانوا من آل سسل او آل كافندش[3] . فلماذا نرى الانكليز مقبلين هذا الاقبال على بيع نفائسهم الفنية للاميركيين وهم يعضون الاصابع ندماً وحنقاً لان هؤلاءِ يبارونهم في هذا الميدان

السبب بسيط معقول . لو كنت املك النسخة الخطية لرواية « أليس في بلاد العجائب » تأليف ددجسن وعُرض عليَّ ان ابيعها باربعة عشر الفاً وخمسمائة جنيه لما ترددت مطلقاً في بيعها . او لو كنت املك صورة من صور العذراءِ تصوير رفائيل وعرض عليَّ ثمناً لها ثروة ضخمة تساوي ١٧٠ الف جنيه لقبلت في الحال ولو قضي عليَّ ان اخصم من هذا المبلغ كل عمولة السمسرة . ولقد اشعر في الحالين بأسى عميق اصعّدهُ حسرة على نفائس الفن تخسرها بلادي ولكنني اتعزى بان العناية الالهية لم تتركني بعد هذه الخسارة مجرّداً من قوة الدولار العظيم

ولا ادري السبب الذي يحمل بعض صحفنا على النيل من الاميركيين لاقدامهم على شراءِ هذه الكنوز باموالهم . فقد كنا في الزمن الماضي نُحسب امراء الفن لانا كنا نجول في ايطاليا نبحث في خزائنها وبيوتها عن آيات فنية تحدرت اليها مع الزمن ثم نفوز بها لقاءِ مبالغ لا تذكر . فلماذا نلوم غيرنا الآن حين يطلب الينا ان نباريه في شراءِ كنوزنا والاحتفاظ بها فنحجم حين يلزم الاقدام . ها هوذا هودن[4] يصنع لابنتهِ تمثالاً صغيراً لا يزيد علوهُ عن ١٧ بوصة ونصف بوصة على ان نيويورك ترى ان قيمة

---

(١) ريبرن مصور اسكتلندي (٢) رمني مصور انكليزي (٣) آل سسل وآل كافندش من اسر الانكليز العريقة في الشرف (٤) مثال فرنسوي

هذه « السخافة » تساوي ٤٩ الف جنيه فتدفع الثمن وتفوز بالتمثال . وعندي ان كل رجل مستعدٌ لان يبذل هذا المبلغ من المال لهُ الحق في ان يفوز بقطعة من الجمال المجسَّم

لنكن منصفين في احكامنا . ماذا دفع لورد الجن [٥] ثمن الاعمدة الرخامية المنتزعة من هيكل البارثنون في أثينا التي نقشها فيدياس ؟ ماذا دفع نبوليون ثمناً لمجموعاتهِ الفنية المشهورة ؟ ومهما يبلغ حنقنا على الدكتور روزنباخ [٦] فيجب الاعتراف بانهُ لم يجردنا من بعض كنوزنا قبل ان يملأ جيوبنا مالاً وقيمة هذا المال في اكثر الاحيان تفوق قيمة الاثر الفني الذي ابتاعهُ

ان الولايات المتحدة تعامل انكلترا الآن كما كانت انكلترا تعامل اوربا في الماضي. اننا نفاخر ونتبجح احياناً « بصورنا » والحقيقة أن تحت هذه اللفظة نخفي اعجابنا الشديد بالمصورين الايطاليين والاسبانيين والفلمنكيين الذين صوَّروها. نفاخر بمتحفنا البريطاني! اي متحف على وجهِ البسيطة اقل تمثيلاً لحضارة الانكليز وثقافتهم من المتحف البريطاني. ونفاخر « بالجاليري الاهلية [٧] » ! هل عرفت ايها القارئ معرضاً فنيًّا اكثر جمعاً لفنون البلدان المختلفة من الجاليري الاهلية او الانكليزية !

كلاَّ ! ان آيات الفن العالي خاصة بالجنس البشري على اطلاقهِ وليس لامة خاصة او لبلاد معينة ان تحتكرهُ . لذلك لا ادرك معنى لقول بعض الصحف بان الاميركيين يقفون في غرف المزاد صفًّا واحداً يقابلهم صف من الانكليز. فالاميركيون يبارون بعضهم بعضاً في شراءِ القطع الفنية البديعة في بلادهم ويدفعون اثماناً عالية كما يفعلون بانكلترا. وقد بيعت مجموعة القاضي جاري [٨] فبلغ ثمنها ٤٦٠ الف جنيه وبيعت احدى صورها — صورة عربة الحصاد لغاينزبورو [٩] — باثنين وسبعين الف جنيه

فالعامل الفاصل في هذه المزادات انما هو عامل الثمن — الثمن الاعلى سواء دفعهُ انكليزيٌّ او اميركيٌّ . والقول بان الاميركيين يفوقون غيرهم في الكلف بابتياع النفائس

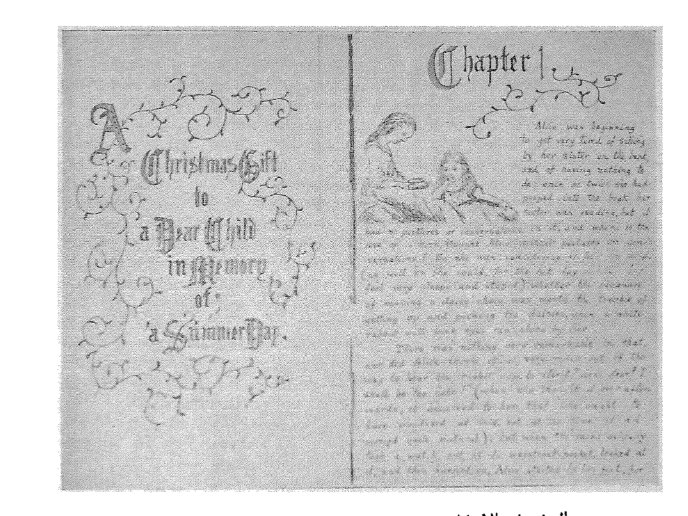
(٥) لورد الجن احد ساسة الانكليز كان سفيراً لانكلترا في الاستانة سنة ١٧٩٩—١٨٠٤ نقل هذه الاعمدة الى انكلترا ثم دفع الانكليز ثمنها ٣٦ الف جنيه ووضعت في المتحف البريطاني

(٦) اميركي اشتهر بجمع الكتب النادرة

(٧) الجاليري الاهلية — هي معرض الصور المشهور بلندن امام ميدان ترفلغار

(٨) القاضي جاري مثر اميركي كان رئيساً لشركة الصلب وتوفي في العام الماضي

(٩) غاينزبورو مصور انكليزي



A
Christmas Gift
to
a Dear Child
in Memory
of
a Summer Day.

Chapter 1.

Alice was beginning
to get very tired of sitting
by her sister on the bank,
and of having nothing to
do: once or twice she had

الصفحتان الاوليان من مخطوطة « اليس في بلاد العجائب »
مقتطف اكتوبر ١٩٢٨ — امام الصفحة ١٤٥

الفنية غير صحيح الآن لان كلف اميركا تعداها الى المانيا وهولانده وجمهوريات اميركا الجنوبية والاثرياء من ابناء هذه البلدان صاروا من اكبر العوامل في توجيه سوق الفنون

واني لا اقدر ظاهرة من ظواهر الثقافة الاميركية مثل هذا التعطش للفوز بابدع آيات الجمال. فالرحالة الاوربي لا يستطيع ان يدرك انفصال البلدان الاميركية وشعبها عن ماضيهم السحيق الحافل بالذكريات الا بعد ما يجول في الولايات المتحدة الاميركية اياماً لا يرى فيها سوى مدن قامت على صدر الغبراء كما يطلع الفطر بين ليلة وضحاها. فمطمح الاميركي الاعلى الآن انما هو الاستيلاء على ما يصلهُ بذلك الماضي الذي انجب اجدادهُ الكرام. وهو مطمح لا يزال تحقيقهُ في اول عهدهِ

وجلُّ ما يشكو منهُ الانكليز ان الحرب وما جاء في اثرها من ديون اثقلت كواهلهم منعتهم من مباراة الاميركيين في السخاء على شراء التحف والنفائس الفنية

وعندي ان حرباً تنشب في قارة من القارات لا بدَّ ان تجني ثمار الفوز فيها قارَّة اخرى. ولدى التدقيق ارى ان الفن وآثارهُ الجيدة تسير غرباً بعد كل حرب كبيرة. فلما سقطت القسطنطينية في ايدي الترك توزعت آثارها الفنيَّة في كل انحاء اوربا. ولما اشتبكت ايطاليا في اواخر القرن الثامن عشر واوائل القرن التاسع عشر في حروبها الدامية مع نبوليون سيقت اكثر تحفها الى متاحف باريس ولندن

والعناية بالفن تؤيد صحة قول القائلين ان الآثار الفنيَّة يجب ان تجمع في بلاد تحفظها في مأمن من غوائل الحروب. وكما ان علماء الآثار من الاوربيين كشفوا عن كنوز الحضارات القديمة المدفونة في التراب، هكذا ترى ان آيات الفن الاوربي اذا بقيت في اوربا اختفى عليها يوماً ما ما اختفى على مكتبة لوفان وكاتدرائية ريمس فاذا اراد باحث بعد الف سنة ان يرى ما كانت عليهِ مدنية اوربا في القرن العشرين فعليهِ ان يزور متاحف نيويورك وشيكاغو وغيرها

ولما كانت اوربا قدقرَّرت ان لامندوحة لها عن الحرب فعليها ان لاتلوم الاميركيين! تفوز الامم — كما يفوز افراد الرجال — بما يعلقون عليهِ الشأن الاكبر في الحياة. فاذا كانت اوربا تؤثر الذخيرة الحربية على «عذارى» رفائيل واذا كانت اميركا ترفع مقام «العذارى» فوق مقام الذخائر فالنتيجة المعقولة ان تفوز اوربا بذخيرتها الفتاكة واميركا «بعذارى» رفائيل الخالدة!

لما جاء الاميركيون فرسايل لم يطلبوا ارضاً يضمونها ولا غرامة يفوزون بها . انما طلبوا السلام مرفرفاً فوق ربوعهم وفوق ربوع العالم اذا أمكن . فاذا غضب الاوربيون لصور كورو [١٠] وكوردجيو [١١] ورفائيل وتماثيل هودن ورودان [١٢] يستأثر بها الاميركيون فليذكروا انهم آثروا مشكلات دانتزغ وفيومي والرور عليها

ولكن اذا استنطقنا الارقام وجدنا ان الإنحاء على الحرب واثرها في خسارة هذه الآثار النفيسة لا يقوم على اساس صحيح . فقد ثبت من احصاء قامت به جمعية المشتغلين بالآثار الفنية القديمة ان قيمة ما ابتاعهُ الاميركيون من انكلترا بعد الهدنة بلغ خمسين مليوناً من الجنيهات اي بمتوسط خمسة ملايين جنيه كل سنة . وهذا يشمل الصور والتماثيل والرياش والمخطوطات وغيرها من آثار الفن . فلو ان كل انكليزي دفع كل سنة ضريبة مقدارها ١١ غرشاً صاغاً لجمعت الامة الانكليزية خمسين مليوناً من الجنيهات اشترت بها هذه النفائس واحتفظت بها في بلادها — في متاحف لندن وليدس ومنشستر وغيرها من المدن الكبيرة

ولكن اذا كانت مدينة سان فرنسسكو مستعدة ان تدفع مائة الف جنيه ثمناً لصورة غينزبورو « الولد الازرق [١٣] » ومدينة شفيلد تؤثر ان تنفق ١٠٠ الف جنيه لاقامة حلبة لسباق الكلاب والخيل فلماذا نلوم ابناء الاولى ونغض الطرف عن ابناء الثانية

كل صاحب ثروة كبيرة يقاس نفعهُ لامتهِ بمقدار النفع الذي يمهد سبيلهُ لابنائها . ففي ولاية داكوتا الشمالية مثلاً ترى رجلاً قد اثرى وبعد اثرائهِ وجّه همهُ لابتياع صورة بعشرة آلاف جنيه . تكلفهُ هذه الصورة ٧٠٠ جنيه في السنة تأميناً عليها وفائدة على ثمنها ومن حين الى آخر يرسلها الى معارض الفن فيتمتع الناس بمشاهدتها . الا ترى ايها القارىء ان رجلاً كهذا ينفق مالهُ في عمل يفيد ويسرّ مثل الغني الذي ينفق عشرة آلاف جنيه لانشاء اسطبلات يربي فيها خيل السباق ؟

كان انتشار درر الفن القديم من القسطنطينية بعد سقوطها بمثابة نثر بذور في تربة خصبة ثمّ فكانت النهضة الاوربية في القرن الثالث عشر وما يليهِ من اعمارها افلا يكون انتقال النفائس الفنية من اوربا الى اميركا بالبيع مقدمة لنهضة اخرى تساوي النهضة الاوربية وقد تبزّها ! اني ارى ان ذلك كثير الاحتمال. اه «ملخصة بتصرف»

---

(١٠) كورو مصور فرنسي (١١) كوردجيو مصور ايطالي
(١٢) رودان مثال فرنسوي (١٣) صورة مشهورة لغينزبورو

خمسة في سيارة

مناقشة في الديمقراطية والنظام البرلماني

٧

وانكفأنا راجعين من فيشي قاصدين الى ما فوقها من جبال « الاوفرن » مارين « برويَّا » معرجين على « كليرمون » وبغيتنا بلدة صغيرة تدعى « البوربول »

وجبال هذه الولاية في فرنسا تختلف عن جبال سافواي فجبالها اقلُّ ارتفاعاً واكثر اشجاراً واوديتها تنساب فيها الانهار كالحيات بهدوءٍ وتؤدة فلا عنف الطقس في سافواي ولا برده ولا جبال الالب تصطدم بها اينما سرت

***

وفاجأ الانكليزي صديقهُ الافرنسي سائلاً : — هل تؤمن بالمياه المعدنية ؟ ولماذا احتكرتم الماء الشافي من كل داء وتقاسمتمُوهُ قراكم فيما بينها فهذه ماؤها يشفي من امراض الكلى وتلك من امراض المعدة وهذه تعيد الامعاء سيرتها الاولى وتلك تكسب الدم نشاطاً والاعصاب توتراً وجارتها تقوي الحلق والصدر وهكذا الى ما لانهاية لهُ حتى ليخيل الينا انكم لا تموتون من كثرة ما حبتكم بهِ الطبيعة من اسباب الحياة

الافرنسي — انك تحسدنا هذه المياه . وليس السر في المياه فقط بل في ما حولها من طبيعة فتَّانة تذهب بهموم النفس وتفرّح القلب فيعود الى المرء نشاطهُ

الانكليزي — ولقد اتقنتم تجارتها

الافرنسي — ولِمَ لايكون الامر كما تقول ؟ أَحتَّم في التجارة ان تكون في الحديد والفولاذ وبناء السفن وحياكة الصوف والقطن؟ ان لكل امرءٍ ما اعطتهُ الطبيعة والعبرة في استثمار هبتها فاذا تركت وشأنها جاء آخرون يعرفون لها حقها فيكسبون

المصري — تعال نرَ مَنْ في شعبيكما يفوق صاحبهُ قوةً وابتكاراً

الانكليزي — اني احترم الشعب الافرنسي احترامي لشعبي فليحمل كل واحد منا قول صاحبه على محمل النيَّة السليمة او على محمل المزاح والعبث . ثم ادار غليونه في فمهِ وقال: اعلم ياهذا اننا قوم مولَّدون لا مقلَّدون . واننا اقوياء صبورون لا ذكاء لنا ولا بُعْد نظر . واننا ان ننجح فبهذه الصفات وبهذه السيئات . فليس النجاح وقفاً على الذكي . لا . بل هو الى الاغبياء اقرب منهُ الى الاذكياء

فحملق صاحبنا المصري في الرجل ثم ادار وجهه وحملق في الفرنساوي كأنهُ يستنجدهُ على فهم هذه المعمّيات

الانكليزي — دعني افسر ما اقول — أما اننا مولدون لا مقلدون فظاهر في تاريخنا كل الظهور. نحن خلقنا ثلاثة اشياء هي كل العالم الآن — العالم المادي والعالم الادبي

المصري — ما هي

الانكليزي — اولها النظام البرلماني — هذه بدعة نحن كوّناها ووسيلة لتسيير الامور نحن خلقناها. بل هذا رداء فصلناهُ وخطناهُ ولا نزال نرقّع فيهِ ونجدّد رغم ما هو عليهِ من عيب — وجاءَت اوربا بعدنا تنحو نحونا ومثلها كل ممالك اميركا حتى عمّ هذا النظام مشارق الارض ومغاربها

وكأني بالعالم رأى اننا اثرينا وامتدَّ سلطاننا فنسب الامر الى هذه الوسيلة فصارت ممالكهُ تقتبسهُ الواحدة تلو الاخرى وافق مزاجها ام لم يوافق ونسي معظمها ان الوسيلة شيء والغاية شيء آخر

فنحن قوم خلقنا ربُّنا عمليين نكيّف حياتنا المادية والادبية على نظام الطبيعة الحيّ المتغير. رأينا فيما رأينا الضرائب تُجبَى منا فقلنا لا بدّ لنا من مراقبة سبل اموالنا شأن التاجر في تجارتهِ. فبرلماننا كان ولا يزال مجلس ادارةٍ لشركة تجارية يتناقش اعضاؤه ويبحثون ويأخذون ويعطون توصلاً الى خير طريق لادارة الشؤون. واما ان يخطبوا فهذا ليس اصلاً عندنا بل يقوم بهِ نفر بين حين وآخر لغرض معلوم لا يلبث ان يزول . فالخطابة ليست منافشة او مباحثة ولا تؤدي الى اقناع ولا يلجأُ اليها قوم يرغبون في الوصول الى حلٍّ موفق في امر طارىء

بل انظر الى مقاعد النواب في برلماننا تَرها مقاعد صفّت يزحم بعضها بعضاً فيجلس الاعضاء مزاحمين فلا يتيسر لمن يقف للكلام ان يتحرك مشيراً بيديهِ لان الغرض تمحيص الرأي لا قرْع الآذان بمنكر الاصوات

اما سوانا — ولا اقول هذا منتقداً اذ لكلٍّ خلقةٌ — فبنى المنبر ووسّع الكرسي واحضر القلم والدواة فكثر الكلام وقل العمل

فالنظام البرلماني من أوله الى آخره نظام مساومة وهو نوع من الحكومات منقول عن الاعمال التجارية في امة تقدس التجارة ونعبر عنهُ بقولنا Government by Concession. فاما ان يؤخذ وتفرَض له السلطات وتعيّن، ساعة في الامة وساعة في الناخب وساعة في

الرأي العام فامر ما خطر لنا عند ما أوجدناه ببال

المصري — اني ارى علة نجاح نظامكم في هذه الروح التجارية في اعمالكم وهي روح شريفة عندكم لان اساسها الصدق في المعاملة . والفضل في اذاعة فائدتها عائد الى فيلسوفكم باكون . اما عندنا فالتجارة غير محترمة ولا اعلم اذا كان السبب في اخلاق التجار او في اننا لم نفهم حقيقة التجارة كما تفهمونها. فانتم بتجارتكم تخلقون ثروة تبيعونها ثم تنفقون عن سعة. اما نحن فسماسرة نتوسط بين المنتج والمستهلك وتغلّ ايدينا الى عنقنا . فترانا وقد ورثنا مذهب ابن خلدون فلا نأبه للتجارة ولا نعير التاجر التفاتاً مخافة ان تلصق بنا الاوصاف التي اختصه بها فيلسوفنا ابن خلدون[1]

الافرنسي — (مخاطباً الانكليزي)وانا غير مؤمن بالنظام البرلماني كلهِ فاني لا ارى في هذه البرلمانات الا مؤامرات على تولي الحكم واحزاباً ترمي الى زعامة هذا او ذاك. وكل ذلك على حساب هذا الرجل المسكين دافع الضرائب واسمهُ « الجمهور »

المصري — اعودةٌ اذن الى الاستبداد والى الحكم المطلق ؟

الافرنسي — أفإن قلّلنا من ضوضاء البرلمان او من سلطانهِ نُتّهم بالعودة الى الحكم المطلق — لا — لا — اننا نبغي اداة صالحة لتسيير امور الناس على أفضل سبيل وارخصهِ. فكما تطورنا من نظام الى نظام قبلاً هكذا نلبث نغير ونبدل على ما يوافق منافعنا

ولماذا هذا العدد من المنتخبين ؟ أخلعنا ملوكنا لنجعل من كل عضو ملكاً ننفق عليهِ عن سعة

الانكليزي — لماذا لا يقوم نظام المجالس البلدية في كل بلدة ولماذا هذا الغرام بالوحدة وبالسلطة. اذا فهم الناس ان الوظيفة العامة معناها الخدمة لا السلطان استراحت البشرية . وليس من سبيل الى هذا التفهيم الا بتنوير الجمهور ليحسن الدفاع عن مرافقهِ وليوقف خدامهُ على حدودهم لا يتعدونها . سواء كانوا افراداً او جماعات

الافرنسي — ذكرت الخطابة منتقداً ولكنكم انتم الانكليز لا تشكون منها شكوانا نحن . فعندي ان لا دواء لداءِ الجماعات الا الغاء الخطابة — قللوا من الكلام تقللوا الضلال . واي فائدة ترجى من خطب حماسية عقباها تضليل الجماعات ودفعهم وراء العواصف والاهواء

---

(١) راجع مقدمة ابن خلدون الفصل (في ان خلق التجار نازلة عن خلق الاشراف والملوك)

ولا تخلط الخطابة بحسن البيان فهذا يستدعي منطقاً وحجة وعقلاً — امور لا تتوافر الاَّ في جوٍّ هادئ من المناقشة لا تأبه بهِ الجماهير

الانكليزي — ولا تنسَ الصحافة فمعظمها في هذه الايام ادوات دعاية فتضليل وسواء أرحم الله نورثكليف ام لم يرحمهُ فهو الذي اوصلها الى ما هي عليهِ الآن

المصري — (في سره) والله ان هؤلاءِ القوم ينطقون بما افكر انا فيهِ من زمان ولا اجسر ان اجاهر بهِ مخافة ان اتهم بشرقيتي الجاهلة المتقهقرة . (بصوت عالٍ) وماذا تصفون لهذه العلل

الافرنسي — تنوير الجمهور باعطائهِ الحرية التامة في امورهِ الشخصية والاكثار من العلوم الطبيعية في المدارس. ماذا اقول بل جعل العلوم الطبيعية اساس التعليم وغايتهُ. ليجرب الناس هذا بضع سنين ترَ السياسيين الافاقين كيف ينقلبون

المصري — ان اعظم اثر تركتهُ في نفسي مشاهداتي الاوربية عدم اكتراث الناس لرجال السياسة الاَّ من نبغ منهم وخدم خدمة عامة معروفة وهؤلاءِ لا يكادون يعدون على اصابع اليد الواحدة فترى الناس عندكم الآن يبجلون الكاتب المفكر ويحترمون العالم العامل ويصفقون للممثل البارع ويثنون على التاجر المجتهد ولا يبالون بالسياسيين وهذا امر ما كنت اتوقعهُ لشدة ما نحن عليهِ في بلادنا من الاهتمام بالسياسة وما الى السياسة من شعوذة. ولا تنا نقرن كل اعمالكم باعمال رجال سياستكم

السيدة الافرنسية ضاحكة — ذكرت لنا يا سيدي (تخاطب الانكليزي) اول الامور الثلاثة المختارة فما هو ثانيها

الانكليزي — الامبراطورية البريطانية ! فهذا ملك ما بنى مثلهُ البناؤون من قبل ضخامة واتساعاً وارتباطاً وتفككاً . شيدناهُ بجهدنا وبدمنا ما قلدنا فيهِ احداً ولا اتبعنا خطوات الغير . اننا بنيناهُ حجراً فوق حجر بصلابة العزم ومتانة القصد كهذا الكلب bulldog اذا امسك باسنانهِ لم يفلت

وقد قلت لكم اننا قوم خالون من الذكاء وبعد النظر فانهُ لو كنا على شيءٍ من هذا لحسبنا الحساب واخذنا العدة للامور ولكننا لا نفعل . بل نأخذ بتلابيب الامر بكل ما اوتينا من قوة فاما النجاح او الموت

وهل لك كالحرب العظمى دليلاً على غفلتنا . فانهُ لو كنا بعيدي النظر شديدي الذكاء لعلمنا ان الحرب ويل علينا اكثر مما هي على اعدائنا ولاقلعنا عن

خوض غمارها . بل كنا اخذنا لها العدة . ولكننا بدأناها فلم نتركها الاً وقد فزنا ولكنها ضربتنا وهدَّمت كياننا الاقتصادي

قل للانكليزي ما شئت من آيات الوطنية واستنجده بكل دواعي الشرف فلا تحرك لهُ ساكناً

اما أبلغهُ ان لعبة من الالعاب الرياضية لم يتقنها بعض الناس واساءوا فيها المعاملة وخالفوا القانون فانك تقيم الامبراطورية البريطانية وتقعدها [1] . وكان صاحبنا استلذَّ حديث امره فاكملهُ وقال

واما الامر الثالث الذي اوجدناهُ فهو الصناعة . نحن الذين جعلنا بلادنا معامل ومصانع تقذف بمختلف البضائع في اسواق العالم . ولم يكن قبلنا شيء اسمهُ صناعة بالمعنى المعروف فما لبثت اوربا واميركا ان اقتفت آثارنا واهملت الزراعة حتى انك تكاد تحسب القارة الاوربية قد انقلبت معملاً واحداً لجميع ادوات الحياة

الافرنسي — الاً نحن فلا نزال نجمع بين الامرين . وها هوذا العالم قد زاحمكم وكاد يقضي على صناعتكم . فقد كنتم الوحيدين فاصبحتم وكل العالم يشارككم . فماذا انتم صانعون

الانكليزي — لا اعلم . ولكني شديد الايمان بقوة شعبي فلن يعدم وسيلة تخرجهُ من هذه الازمة فنحن لا نتمسك بشيء بل نجرّب كل شيء . فقد نحول مصانعنا الى غير ما وضعت لهُ وقد نلجأ الى نظام اشتراكي يعم العالم نحن الذين يتهمنا الناس بالانانية

المصري — لقد طال عليكم القدم فاصبحتم اجداداً لكم اولاد حلّوا محلكم وآن لكم ان تحالوا الى المعاش

***

واقتربت السيارة من ضواحي البوربول وملّت السيدتان الكلام السياسي الاجتماعي فقالت احداها للاخرى ما قولك لو نزلنا هنا وقصدنا الى البوزبول راجلتين تاركتين الرجال في حديثهم . فالمسافة قصيرة والطريق سهل . فأبى الرجال عليهما ان تفارقاهم وقالوا بل نمتنع عن الكلام بل نعمد الى الرقص ان شئتما . قالتا بل تنزلون ونذهب كلنا مشاة . فقد مللنا القعود واضنانا الجلوس — فكان امراً مقضيّاً

سامي الجريديني

(١) راجع كتاب : Le Silence du Col. Bramble par André Maurois

سحر في الهواء

المستنبطات المنتظر تحقيقها

العلم والصناعة والزراعة دعائم الحضارة بل روح العمران والاسباب اللازمة لارتقاء الامم . وقد وقف المقتطف صفحاته منذ انشائه على تعميم العلوم ورفع شأن الصناعة والزراعة وبسط المعارف . وفيما يلي ملخص مقالة لكاتب اميركي ذكر فيها بعض المستنبطات التي ينتظر تحقيقها في المستقبل القريب وهي جامعة بين الفكاهة والفائدة العلمية

كان معظم المستنبطات التي استنبطت بين سنة ١٨٠٠ وسنة ١٨٧٠ من قبيل الآلات والادوات الميكانيكية ، واما المكتشفات والمستنبطات التي كشفت واستنبطت في السنوات الحديثة فاكثرها كهربائي او كيماوي او كيماوي معدني

ففي الولايات المتحدة الاميركية الآن خمسة ملايين آلة لاسلكية مستقبلة . وقد أُلفت فيها الشركات لنقل الصور الفوتغرافية بالتلغراف السلكي واللاسلكي . والتلفزة المتظمة صارت على الابواب وبعض المستنبطين عاكف الآن على اتقان الوسائل لاذاعة الصور المتحركة واستقبالها كما تذاع الخطب والاغاني والانباء والقصص وتستقبل. ومتى اتقن نظام « البيم » اللاسلكي الذي ابتدعهُ ماركوني صار في الامكان توزيع القوة الكهربائية لاسلكيًا فتلتقطها البواخر في عرض اليمّ والطيارات محلقة في الفضاء

والاشعة التي فوق البنفسجي تكنُّ في امواجها فوائد صحية جزيلة فتألفت شركات مالية كبيرة غرضها تنظيم استعمالها وقد لا يتأخر اليوم الذي يمكن فيه اقتناء مصابيح في الدور والمكاتب والمعامل والمدارس تفيض منها هذه الاشعة الحيوية على الناس

ان هذا العصر عصر المكتشفات والمستنبطات الكيماوية. فبالطرق الكيماوية نستطيع ان نركّب من الهواء اسمدة نسمّد بها ارضنا . وبالوسائل الكيماوية نستطيع ان نصنع جوارب حريرية وادهاناً مختلفة من الاشجار . والمادة الاساسية التي تستعمل في صبغ السيارات تستعمل لصنع الجوارب الحريرية والمتفرقعات والجلد الصناعي واشرطة الصور المتحركة وامشاط السلولويد وفرش الشعر وورق الصحف

ومع ذلك ترى ان العلماء لم يهتدوا بعد الى اماطة اللثام عن حقيقة السلولوس

ولكن من يدري حقيقة الكهربائية — وها هي ذي العجائب التي بنيت على ظواهر الكهربائية تكاد تكون معجزات . والبديع في صناعات السلولويد انك تستطيع ان تستخرج سلولوساً من اي شيء قديم

ولي ثقة عظيمة بمعدن الكروم واثرهِ في مستقبل العمران . فلقد ثبت منذ مدة غير وجيزة انهُ اذا اضيف معدن الكروم الى الصلب صار الصلب قاسياً لا يفعل بهِ الصدأُ . واذا قدرنا ما يخسرهُ العالم كل سنة بسبب الصدإِ بلغ ملايين الجنيهات . فاذا استعمل صلب الكروم حيث كان الصلب العادي يستعمل قبلاً وُفّرت مبالغ من المال لا يستهان بها

وقد ظنَّ بعض العلماءِ انهُ لا بدَّ ان يجيء يوم ينفد فيهِ ما في مناجمنا من النفط . ولكني لا ارهب ذلك اليوم مع علمي ان مصادر النفط محدودة . لاني اعلم ان هذه المادة الثمينة تستخرج من القار والفحم الحجري وقد انشئ في المانيا معمل لاستقطارها من الفحم بالجري على اسلوب كيماوي صناعي يدعى اسلوب برجيوس . اما ما يستقطر من قطران الفحم الحجري فيفوق التصور . وها هي ذي ملابس السيدات الزاهية الالوان تصبغ باصباغ تستقطر من قطران الفحم الحجري . ولكن المستقبل يكنُّ عجائب لا تقاس ازاءها غرائبُ الاصباغ الزاهية

وانا حريص كل الحرص فيما اقولهُ عن مستقبل الطيران والطيارات . ولكن ما انتظرهُ من التقدم في هذا الميدان يحيّر الالباب . فصناعة كبيرة كبناءِ الطيارات وتسييرها في خطوط منتظمة لا تبنى بين ليلة وضحاها . على ان المعامل تخرج الآن طيّارات متينة البناء امينة الجانب وقد اخذت الحكومات تعنى باعداد ميادين الطيران لقيام الطيارات ونزولها وتجهيزها باحدث وسائل الانارة والحركة . وعندي ان مستقبل الطيران رهن استنباط يمكن الطيارة من النزول في بقعة صغيرة من الارض من غير ان تتعرض للاصطدام بما يحيط بتلك البقعة من الحواجز والمباني . كذلك نحتاج الى اداة كالهليكوبتر تمكن الطيارة من الصعود في خط قائم من مكان وقوفها فلا تضطر ان تجري على الارض مسافة قبل ذلك . ويكون من شأن هذه الآلة ايضاً ان تمكن الطيارة من النزول الى الارض نزولاً عموديًّا من غير ان تضطر الى الجري على سطح الارض قبل وقوفها

واذا القينا نظرة عامة على خريطة الارض وجدنا بقاعاً من اخصب بقاع الدنيا

وحراجاً غبياء لا يقيم الناس لها وزناً من الفائدة الاقتصادية لان سبل الاتصال بها متعذرة فمتى اتقنت وسائل النقل الجويّ صارت هذه البلدان قريبة من المدن العامرة وصار استخراج خيراتها في متناول الانسان

ومن المستنبطات التي ينتظر تحقيقها قريباً «النور البارد». وكيف يكون النور بارداً ؟ ففي المصباح الكهربائي المستعمل الآن سلك معدني دقيق يحمى بالكهربائية الى حدّ الاضاءة بنور باهر . ولكن قوة هذا النور لا تبلغ سوى ٤ في المائة من القوة الكهربائية التي تنفق في اضاءة المصباح لان باقي القوة الكهربائية يتحول حرارة فقط تحمي السلك قبل اضاءته . فاذا تمكن احد المستنبطين من ابتداع وسيلة لقلب هذه النسبة فيصير ٩٦ في المائة من القوة الكهربائية يتحول نوراً و ٤ في المائة فقط يتحول حرارة صار في الامكان انارة دورنا كما تنيرها الآن بجزء من عشرين من القوة الكهربائية التي نستعملها الآن . واذا استعملنا من القوة الكهربائية ما نستعمله الآن استطعنا الحصول على نور يفوق النور الذي نحصل عليه الآن عشرين ضعفاً

ولكن المستنبطين ما كفون الآن على ابتداع طرق لترخيص الكهربائية . وعندي انهُ لا تنقضي مائة سنة علينا حتى يصير في حكم الجنون توليد الكهربائية من الفحم الحجري او الماء المنحدر لان الكهربائية لابدّ ان تولّد حينئذٍ من حرارة الشمس او من قوة المد والجزر او من حرارة باطن الارض

ففي كثير من البلدان ترى الغياسر وهي ينابيع فوّارة تنفجر منها المياه الحارة في اوقات معينة . فالاماكن التي تكثر فيها هذه الينابيع لابدّ ان تصبح في المستقبل مدناً صناعية لان حرارة باطن الارض تستخدم حينئذٍ لتوليد الكهربائية والقوة الكهربائية ركن الصناعة الحديثة

اما قوة الشمس فتفوق التصور واستعمالها متوقف على استنباط آلة تمتصّ الحرارة ولا تشعها . والامور مرهونة باوقاتها . فكل المواد المعروفة الآن تمتص الحرارة وتشعّها وما من مادة صنعت بعد تستطيع ان تمتص الحرارة وتخزنها . فاذا كشفت او استنبطت مادة من هذا القبيل فاقت القوة التي يستطاع خزنها من حرارة الشمس حدود التصوّر . فتصبح الشمس حينئذٍ مصدراً فعالاً للقوة الهائلة الرخيصة الثمن

اما استخدام المدّ والجزر فمسألة قديمة . ولكن المستنبطين لم يكفوا بعد عليها بجدّ وعزيمة

وقد استنبطت وسائل بسيطة في اسلوبها غريبة في نتائجها لاستحداث اصناف جديدة من النباتات والخضروات والاثمار والازهار . والاستاذ بربنك امير المستنبطين في هذا الميدان كما ان اديصن امير المستنبطين في ميدان الكهربائية

وقد استنبط بربنك مئات من الانواع الجديدة من الاثمار والازهار وادخل فيها صفات لم تعرف فيها قبلاً . فاستنبط برقوقاً (خوخاً) لا قشرة قاسية لنواته وتيناً بشوكه لا شوك في اغصانه . وعنده ان مجال الاستنباط في هذا الميدان متسع جداً وان غرائبه تفوق كل ما استنبطه اديصن وماركوني وبل وفورد وغيرهم

واستعمال السماد لاعادة قوة التربة اليها من ابدع المستنبطات الحديثة . ولا بدَّ ان تبتدع وسائل ميكانيكية وكيماوية تمكن جماعات الناس المختلفة من تغيير الاحوال الجوّية حتى تلائم مزروعاتهم بادارة زرٍ كهربائي . والمستنبطون الزراعيّون لابدَّ ان يحدثوا في عالم الزراعة من العجائب ما احدثهُ اديصن وطمسن وستينمتز في الكهربائية . فاننا لا نعلم سبباً يمنع نموّ اثمار الفراولة حتى يكون حجم كل منها حجم البطاطس . وقد تصبح اثمار الكرز والبرقوق (الخوخ) والتفاح كبيرة كرؤوس الكرنب (الملفوف) ورخيصة مثلها او ارخص

وقد قرب العهد الذي نحصل فيهِ على مطّاط رخيص الثمن لان التجارب العلمية لتركيب المطّاط تركيباً كيماويًّا او زرعهِ كما تزرع الحنطة اخذت تؤتي ثمارها ولا ريب في ان المطّاط يصبح يوماً ما رخيصاً كقطران الفحم الحجري. وحينئذٍ ترصف بيوتنا ومكاتبنا وشوارعنا بهِ

اما العجائب التي يمكن استحداثها بواسطة الامواج الصوتية فحدث عنها ولا حرج. ففي يد المهندسين الآن آلة لاسلكية تبعث في الفضاء في اوقات معينة بامواج صوتية من طول معين فتفجر مقداراً من الديناميت على ٢٠ ميلاً او ثلاثين اذا كان هذا الديناميت مجهزاً بآلة تلتقط هذه الامواج وتتأثر بها . ويستعمل مثل هذا الجهاز للبحث عن المعادن في الارض . ذلك ان سرعة امواج الصوت في احوال معينة معروفة فاذا صدرت الامواج من الآلة المرسلة في دقيقة معينة والتقطتها الآلة القابلة في الدقيقة المعينة لالتقاطها عرف المهندسون ان الارض التي مرّت فوقها هذه الامواج لا تحتوي على معادن فيها . واذا ابطأت الامواج في الوصول عرفوا ان الارض التي مرت فوقها

تحتوي على رواسب معدنية وقد كشفت بهذه الطريقة آبار كثيرة من النفط عمقها مئات من الامتار قبل ان تحفر بئر واحدة منها

ولا بدَّ ان يفوز الانسان يوماً ما بالطعام المركّب تركيباً كيماويًّا . ففي السنة الماضية ادب احد اصدقائي مأدبة لجمهور من معارفهِ لم يقدّم فيها سوى الاطعمة المركّبة في المعمل الكيماوي . فقدَّمت « الاوردوڤر » على انواعهِ شركة كهربائية معروفة واللبن والزبدة والقشدة شركة زيت مشهورة واللحوم شركة اخرى تعنى بالخمائر والخضروات المختلفة قدّمها كيماوي كبير حتى الشوربا كانت مركبة تركيباً كيماويًّا ولم يكن للفلاح او البستاني اثر في اعدادها . واعداد الطعام على هذه الطريقة كان منطبقاً على انواع الاثمار والمثلوجات وغيرها من اصناف الحلوى

***

لم اذكر حتى الآن القوى المدخرة في الجواهر الفردة . فقد قيل ان الهدروجين في مقدار من الماء يملأ ملعقة شاي يولّد مائة الف كيلو وط من الكهربائية تساوي قوتها قوة ١٣٣ الف حصان. فاذا كان في الامكان اطلاق هذه القوة الهائلة واستخدامها صار الاستغناء عن الفحم امراً محتوماً . وقد نستطيع حينئذٍ ان نقطر القوة اللازمة لادارة معمل كبير كما نقطر القطرة في العين

وبينما العلماء مكبّون على درس الجواهر الفردة والكهارب ترى علماء البكتيريولوجيا والفسيولوجيا مكبين على درس الغدد لانهُ ثبت لهم ان بين الغدد وخصوصاً الصماء منها وبين الحياة علاقة متينة تتعدى الصحة والنشاط الى العواطف والصفات الادبية كالشجاعة والمضاء

وقد ثبت لي من مراجعة كتب الباحثين في هذا الموضوع ان نتيجة هذه المباحث لا بدَّ ان تؤدي الى اطالة الحياة ولا استغرب مطلقاً اذا وجدت الرجل في ذروة نشاطهِ الجسدي والعقلي حين يكون في المائة من العمر . واذا نظرنا الى كل الوسائل الميكانيكية التي تمكّن الانسان من ان يقضي في ساعة عملاً كان يستغرقهُ اياماً من قبل عرفنا ان اطالة الحياة على هذا المنوال تؤدي الى زيادة ما ينتجهُ الرجل الواحد اضعافاً كثيرة

— o:o —



امير اللواء مصطفى مختار بك مدير المجلس العالي ومدير المدارس
ويصح أن يقال انهُ أول ناظر للمعارف المصرية
في عهد الاسرة العلوية

مقتطف اكتوبر ١٩٢٨ — امام الصحفة ١٥٧

التعليم الابتدائي في مصر

تاريخه ونظامه من ايام محمد علي باشا الى اليوم

[صدق البرلمان المصري على قانون تنظيم المدارس الابتدائية للبنين وامتحان شهادة الدراسة الابتدائية — بعد ان قضى كل من مجلسي النواب والشيوخ اكثر من جلسة في بحث القانون ومناقشة كل مادة من مواده بحثاً دقيقاً . ففي بدء السنة المدرسية الجديدة رأينا ان ننشر المقالة الآتية في تاريخ التعليم الابتدائي ومدارسه منذ ايام محمد علي الى اليوم]

التعليم الاولي والابتدائي

ينقسم التعليم الابتدائي في مصر الى نوعين :

الاول — التعليم الاوّلي ، وهو التعليم القومي او تعليم الشعب . والتدريس فيهِ باللغة العربية . فيتعلّم الطفل التهجئة والحساب واللغة العربية والاخلاق وتدبير الصحة والتربية الوطنية والمعلومات العامة وقليلاً من الجغرافية والتاريخ

ومدة التعليم الاولي اربع سنوات وست سنوات في نوعين من المدارس (الاول) يسمَّى التعليم الاولي القديم ، و(الثاني) التعليم الالزامي

ومن المدارس الاولية ينصرف التلاميذ إما الى الصناعة او الزراعة او الاحتراف باية حرفة للارتزاق . او الى الورش الصناعية . وأما الى النوع الثاني من التعليم وهو التعليم الابتدائي

وهناك نوع من التعليم الاولي لايزال مقصوراً على ابناء الطبقتين المتوسطة والعليا من اهالي بعض المدن . وهو « رياض الاطفال » ومدتهُ ثلاث سنوات.

الثاني — التعليم الابتدائي . ويعلَّم فيهِ ما يُعلَّم في المدارس الاولية باسهاب مع تعليم اللغة الانكليزية (او الفرنسية بحسب القانون الجديد) ويستمد تلاميذه إما من رياض الاطفال أو من المدارس الاولية سواء كانت تابعة للحكومة او مجالس المديريات او الجمعيات

ومن التعليم الابتدائي يخرج التلاميذ إما الى التعليم الثانوي او الى مدارس الزراعة المتوسطة او الى الورش الصناعية

في ايام محمد علي باشا

وقد عني المرحوم محمد علي باشا (رأس الاسرة المالكة) بالتعليم الاولي والابتدائي

كما عني بباقي فروع التعليم ودرجاته . فلما بدأ بانتشال البلاد من وهدة الانحطاط جعل غاية التعليم جميعه تكوين الجيش . فكانت المدارس كلها تابعة للحربية . ثم اصدر امراً في ٩ مارس سنة ١٨٣٧ بانشاء ديوان المدارس اسندت رياسته الى مير اللواء مصطفى مختار بك . فوضع لائحة للتعليم الابتدائي مشتملة على ٢٧ مادة . نص في المادتين الثانية والثالثة منها على انشاء خمسين مدرسة منها اربع بالقاهرة وواحدة بالاسكندرية والباقي في انحاء القطر . وان يكون عدد التلاميذ في كل واحدة من مدارس القاهرة والاسكندرية ٢٠٠ تلميذ . وفي كل من مدارس الاقاليم ١٠٠ تلميذ

وكانت ايرادات الحكومة في ايام محمد علي لا تتجاوز ثلاثة ملايين من الجنيهات يصرف منها على التعليم نحو ١٠٠ الف جنيه

وكانت مدرسة المبتديان بالناصرية (ولا تزال الى اليوم في شارع قصر العيني) اول مدرسة ابتدائية انشأها محمد علي بالقاهرة . وبلغ عدد تلاميذها في ايامه ٣٣٤ تلميذاً يتولى تعليمهم ١٢ معلماً . ويقوم بخدمتهم ٥٩ خادماً. ويصرف عليها ١١٠٠ جنيه في السنة

وانشئ في الاقاليم ٣٨ مدرسة (كتّاب) كان فيها ٤٥٧٩ تلميذاً ، يقوم بتعليمهم ١٤٦ مدرساً . ويخدمهم ٦٤٤ خادماً . ويصرف عليها ٨٦٥٤ جنيهاً في السنة

وكانت مدة الدراسة في المدارس الابتدائية من سنة ١٨٣٧ — ١٨٤٧ ثلاث سنوات يتعلم فيها الطالب (بحسب المادة ٩ من اللائحة) : القراءة والكتابة ومبادئ الصرف والنحو والحساب والفرائض الدينية

في ايام عباس وسعيد

ولما تولى عباس الاول (سنة ١٨٤٨) ضيّق دائرة التعليم واغلق كثيراً من المدارس واخصها المدارس الابتدائية فلم يبق منها الا ثماني مدارس منها مدرسة المبتديان بالناصرية وكان فيها ٢٠٩ تلاميذ ونفقاتها ٨٤٨ جنيهاً . وانشأ في كل مدرسة عالية مدرسة ابتدائية واخرى ثانوية . وبقيت الحال كذلك في عهد سعيد باشا

وفي أيام هذين الحاكمين كانت مدة التعليم الابتدائي ثلاث سنوات تدرَّس فيها مبادئ اللغة العربية والخط واللغة التركية ومبادئ علم الحساب ومبادئ اللغة الفرنسوية

في ايام الخديو اسماعيل

وتولى الخديو اسماعيل الحكم في ١٩ يناير سنة ١٨٦٣ . وفي ٢٦ من الشهر المذكور اصدر امره باعادة ديوان المدارس (الذي عطله عباس باشا الاول) وانشأ مدرسة

ابتدائية واخرى تجهيزية بالعباسية ومدرسة ابتدائية بالاسكندرية

ولم ين لحظة عن الاهتمام بارسال البعثات العلمية الى اوربا وانشاء المدارس وتحسين حالتها . ومنح مدارس طائفة الاقباط الارثوذكس بالقاهرة الفاً وخمسمائة فدان . وقرر انشاء مدرسة ابتدائية في كل مديرية . وشجع التعليم بان وهب المعارف عشرة آلاف فدان . ثم قدم اليها جفتلك الوادي وتبلغ مساحته ٢٢ الف فدان

وانشأ مدرسة السيوفية (السنية) للبنات في سنة ١٨٧٣ لتعليمهن العلوم والاشغال اليدوية . وقد تطورت هذه المدرسة في اشكال مختلفة كان آخرها برنامج سنة ١٩١٤ الذي جعل فيه التعليم الابتدائي ٦ سنوات وادخلت فيه الاشغال اليدوية واشغال الابرة والتدبير المنزلي والطبخ وبستان الاطفال

وفي ايام الخديو اسماعيل وضعت لائحة للتعليم الابتدائي (سنة ١٨٦٧) زيدت فيها مدة التعليم سنة فاصبحت اربع سنوات بدل ثلاث يدرس فيها :

اولاً — اللغة العربية من نحو وصرف ومطالعة وانشاء وعقائد التوحيد وواجبات العبادة والادب

ثانياً — لغة اجنبية او تركية

ثالثاً — مبادئ الجغرافية والتاريخ

رابعاً — اصول الحساب وتطبيقه على التجارة ومبادئ الهندسة وتطبيقها على المساحة

خامساً — نبذة فيما يتعلق بالحيوانات والنباتات الاهلية ومقدمة لفن الزراعة

سادساً — الخط الثلث والنسخ والرقعة والرسم

في ايام الخديوين توفيق وعباس

وفي ايام الخديوين توفيق وعباس (من سنة ١٨٧٩—١٩١٤) اتسع نطاق التعليم الابتدائي واحكمت قوانينهُ ونظاماتهُ . ومع ان مدتهُ بقيت اربع سنوات كما كانت في عهد الخديو اسماعيل لم تكد تمر سنتان او ثلاث حتى دخل شيء من التغيير او التبديل في الدروس بزيادة او نقص في المقرر

والعلوم الاساسية التي لم تتغير او تتبدل هي : (١) القرآن الكريم والديانة (٢) اللغة العربية (٣) الترجمة (٤) الحساب والهندسة (٥) التاريخ (٦) الجغرافية (٧) اللغة الافرنجية (٨) الخط الافرنجي (٩) الرسم . ومن حين الى آخر كانوا يدرسون دروس الاشياء وتدبير الصحة

وكانت الجغرافيا تدرس باللغة الاجنبية . ففي اوائل عهد الخديو توفيق كانت اللغة التركية لغة اساسية ثم جعلت اختيارية منذ سنة ١٨٨٨ وابطلت في اول حكم الخديو عباس

وكان التلميذ حرًّا في ان يتعلم احدى اللغتين الفرنسوية او الانكليزية. ولكن منذ قبض المستر دنلوب على زمام وزارة المعارف اخذ يحارب اللغة الفرنسوية في التعليمين الابتدائي والثانوي حتى قضى عليها قضاءً مبرماً

واهم ما حدث في تاريخ التعليم الابتدائي هو تقرير لائحة امتحان الشهادة الابتدائية في سنة ١٨٩١ وسمح للبنات في فترة من الزمن بالتقدم لنيل هذه الشهادة

وبعد ان انشيء امتحان الشهادة الابتدائية صار لا بد من الحصول عليها للدخول الى المدارس الثانوية ومدرسة الفنون والصنائع ومدرسة الزراعة ومدرسة الطب البيطري ومدرسة البوليس والمناصب الصغرى في دواوين الحكومة واخصها المديريات والبوستة وسكة الحديد . وفي مصالح الحكومة الوف لم يتعلموا غير التعليم الابتدائي . وليس في ايديهم غير الشهادة الابتدائية ولكن هذه الشهادة لم تعد مقبولة للدخول في مناصب الحكومة او المدارس الخصوصية او مدرسة الفنون . واصبحت معدودة شهادة انتقال الى المدارس الثانوية والدخول الى مدارس الزراعة المتوسطة وورش الصناعة فقط

النهضة الحديثة

واتسع نطاق التعليم الابتدائي اتساعاً مدهشاً . وارغمت المدارس الاهلية ومدارس الارساليات الدينية منذ انشاء امتحان الشهادة الابتدائية على اتباع منهاج المعارف . وكان لانشاء مجالس المديريات تأثير عملي في تنشيط حركة التعليم الابتدائي

وفي سنة ١٩٢٤ المدرسية كان لمجالس المديريات ٦٣ مدرسة ابتدائية للصبيان فيها ١٠٣٠٤ تلاميذ . تقدم منهم الى امتحان الشهادة الابتدائية ١٠٤٠ تلميذاً فنجح ٦٤٢ تلميذاً . وكان لها ١٣ مدرسة للبنات فيها ١١٩٥ تلميذة . والآن قلّ ان يخلو احد مراكز المديريات (ويزيد عددها على مائة مركز) من مدرسة ابتدائية للصبيان تابعة لمجلس المديرية . وفي جميع عواصم المديريات (١٤ مديرية في القطر) وبعض المراكز مدارس ابتدائية للبنات

وكانت للحكومة (سنة ١٩٢٤ — ١٩٢٥) ٤٠ مدرسة ابتدائية للصبيان فيها ١٤٨٦٦ تلميذاً تقدم منهم الى الامتحان ٢٢٦٥ تلميذاً فنجح ١١٩٤ تلميذاً و٧ مدارس للبنات فيها ١٠٩٣ تلميذة

وبلغت نفقات التعليم الابتدائي للاولاد بمدارس وزارة المعارف (سنة ٢٤—٢٥) ٢٦٠ الف جنيه ونفقات التعليم الابتدائي للبنات ٨٦ الف جنيه

وبلغ عدد المدارس الابتدائية التي تديرها وزارة المعارف (في سنة ٢٦ — ٢٧) المكتبية ٤٥ مدرسة للصبيان منها عشرون مدرسة في العاصمة و١٤ في الوجه البحري و١١ في الوجه القبلي ومجموع ما فيها من الفصول (الفرق) ٤٧٩ فصلاً. وعدد المعلمين ١٦٣ (يستثنى من ذلك مدرستان جديدتان بالقاهرة لم يدون بالكشف عدد المعلمين فيها) ومن هذا المجموع ٧٣ شيخاً لتعليم اللغة العربية والديانة و٣٦ للعلوم (الحساب والهندسة ودروس الاشياء ومبادىء العلوم والرسم والاشغال) و٥٤ للآداب (واللغة الاوربية والخط الافرنجي والترجمة والتاريخ والتربية الوطنية والرياضة البدنية وتدبير الصحة)

والى جانب مدارس وزارة المعارف ومجالس المديريات مئات من المدارس الابتدائية تابعة للبطريكخانات (واخصها لطائفة الاقباط الارثوذكس) والارساليات الدينية من انجيليين وفرير والجمعيات الخيرية وجمعيات التعليم والافراد والحكومة تشرف على كثير من هذه المدارس الاهلية (ما عدا مدارس الارساليات) وتدفع لها اعانات مالية. وقد اصبح التعليم الابتدائي والثانوي عملاً ماليًا وتجارة رابحة يقوم بها غير واحد من الماليين وخريجي المدارس العليا

القانون الجديد

ولما عرض القانون الجديد لتنظيم التعليم الابتدائي وامتحان الشهادة الابتدائية على مجلس النواب (جلسة ٧ فبراير الماضي) قال الاستاذ النقراشي بك مقرر لجنة المعارف:

«كانت مدة الدراسة في المدارس الابتدائية والثانوية لغاية سنة ١٩٢٤ اربع سنوات الا انهُ رئي في سنة ١٩٢٥ زيادة هذه المدة الى خمس سنوات. ولكن لما تولت الوزارة الحالية الحكم امر معالي وزير المعارف بتشكيل لجنة ضمت بين اعضائها عدداً من حضرات الشيوخ والنواب، وقد رأت هذه اللجنة زيادة مدة الدراسة في المدارس الثانوية سنة ولكنها رأت الاكتفاء بجعل مدة الدراسة في المدارس الابتدائية اربع سنوات».

وقد نص في القانون الذي اقرهُ البرلمان على ان تكون مدة الدراسة بالمدارس الابتدائية للبنين اربع سنوات. ولا يقبل بالسنة الاولى من المدارس المذكورة من نقصت سنه في اول السنة المدرسية عن سبع سنين كاملة او زادت على عشر. ولا يبقى في هذه المدارس من زادت سنه في اول السنة المدرسية على عشر سنوات في السنة

الاولى او على ١٢ في السنة الثانية او على ١٤ في السنة الثالثة او على ١٦ في السنة الرابعة

والمواد التي تدرس بالمدارس الابتدائية هي : القرآن الكريم والدين ، اللغة العربية ، الخط العربي ، اللغة الانكليزية او الفرنسية ، الخط الاوربي ، التاريخ ، الاخلاق والتربية الوطنية ، الجغرافيا ، الحساب ، الهندسة العملية ، مبادئ العلوم ، تدبير الصحة ، الرسم ، الاشغال اليدوية وفلاحة البساتين ، الرياضة البدنية والالعاب

ويجوز ان تعطى دروس في المواد الاختيارية الآتية : الموسيقى، التصوير ، الآلة الكاتبة ، امساك الدفاتر ، اللغات وغير ذلك من المواد الاخرى التي يرى وزير المعارف تعليمها بصفة اختيارية

ولا ينقل تلميذ من فرقتهِ الى الفرقة التي هي ارقى منها مباشرة الاَّ اذا نجح في امتحان الانتقال . وتقصر امتحانات الانتقال على المواد الاساسية . واما المواد الاضافية والاختيارية فيعقد لها امتحان مسابقة قبل نهاية كل عام دراسي . ويمنح المتفوقون فيها جوائز على حسب الشروط التي يقررها وزير المعارف

ويعقد امتحان عام لمن اتموا الدراسة الابتدائية . ويسمح بالدخول الى هذا الامتحان لكل تلميذ تلقى دروسهُ بمدرسة اميرية او حرة او بمنزلهِ

ويمتحن التلاميذ لنيل الشهادة الابتدائية تحريراً في المواد الآتية : اللغة العربية واللغة الانكليزية او الفرنسية والخط العربي والخط الاوربي والحساب والهندسة العملية والجغرافيا والتاريخ ومبادئ العلوم والرسم . ويمتحنون شفوياً في اللغة العربية واللغة الانكليزية اوالفرنسية.ولا يعد التلميذ ناجحاً الاَّ اذا حصل على النهاية الصغرى لكل مادة وكذلك على ٤٠ في المائة على الاقل من مجموع النهايات الكبرى لدرجات مواد الامتحان

ويعقد امتحان ملحق يدخله التلاميذ الذين لم يستطيعوا حضور امتحان الدور الاول او اكماله لاسباب قهرية . والتلاميذ الذين رسبوا في امتحان الدور الاول في مادة او اكثر من مواد الامتحان التحريري او الشفوي بشرط ان يكونوا حاصلين في الامتحان التحريري على النهاية الصغرى المقررة لمجموع مواد الامتحان . ويمتحن المتخلفون عن حضور الدور الاول او اكماله وكذلك الراسبون في الامتحان التحريري في جميع مواد الامتحان. اما الذين لم يرسبوا الاَّ في الامتحان الشفوي فيعاد امتحانهم في الدور الثاني في مواد هذا الامتحان فقط

وما أحسن ما قالهُ الاستاذ الشمسي باشا وزير المعارف السابق في مذكرتهِ التي قدم

بها مشروعي قانوني التعليم الابتدائي والثانوي الى البرلمان :

« ان المقصد الاول للتعليم ليس تنشئة الموظفين وانما هو اعداد الوطني المستنير . ولهذا وجب أن يكون للتعليم اساس جديد يمهد السبيل لجيل جديد . لهُ حقوق كاملة وعليه تبعات كبيرة . ولقد عنيت وزارة المعارف بمسايرة ارقى الامم في احدث الخطط والنظم . وقد فرض الانقلاب ، الذي سببتهُ الحرب ، على الامم ان تعنى بمضاعفة الانتاج وان تربط التعليم بما لها من حاجات اجتماعية وضرورات اقتصادية فلم يبق شأن للعلم النظري المحض اذا كان عقيماً لا ينفع البلاد نفعاً محسوساً . واصبحت الثقافة العامة شرطاً لكمال الفنون والصنائع . وليس من ينكر ان فريقاً كبيراً من الناشئة تدفعهم الحاجة الى ابتغاء الرزق وهم في فتاء السن فيعالجون في ميدان العمل مختلف المهن من كتابة وزراعة وتجارة وصناعة وليس لهم في ذلك من معين الا الثقافة العملية . لهذا كلهُ اجتمع الرأي على ان يعنى في المعاهد بتدريس المواد العلمية العملية وبان يكون التحصيل بوسائل واساليب عملية ». وقد قصدت وزارة المعارف بادخال المواد الجديدة في التعليم الابتدائي كالاخلاق والتربية الوطنية الى ان تساعد على تكوين جيل قائم على الاستقلال ، بصير بالحقوق والتكاليف ، عليم بمهمته بين الامم . وقصدت بادخال مبادىء العلوم والاشغال اليدوية الى ان تربي الطفل من الوجهتين البدنية والخلقية

واخذت الوزارة بتجارب الامم الراقية من وجوب تنويع المدارس الابتدائية والثانوية في البلاد فادخلت فيها لهذا الغرض من المواد الاختيارية ما يمكن ان تختلف باختلاف كل اقليم حتى لا تتماثل المدارس وتتركز باجمعها في افق واحد . وبتنويع المعاهد بحسب غايات التعليم ووجهة الطلاب في ميدان الحياة تصبح المدارس اكثر مرونة وحياة واقوى في المجموع على سدّ حاجات البلاد

واذا كان محمد علي باشا (رأس الاسرة المالكة) قد قصد بالتعليم الابتدائي اعداد التلاميذ لخدمة الجيش اولاً فالمصانع ومصالح الحكومة ثانياً . فاننا اصبحنا بعد انقضاء مائة سنة في غير حاجة الى رجال جيش او موظفين . بل الى مزارعين وصناع يطبقون العلم على العمل . واذا كانت الحكومة قد ادركت هذا الغرض فان امامها عملاً اكبر من التشريع والتقنين . وهو ايجاد عمل للجيوش الجرارة التي تخرجها سنويًّا المدارس الابتدائية ولا يرضى واحد من حاملي الشهادة الابتدائية ان يحمل فأساً او يسوق محراثاً

توفيق حبيب

المرأة والتعليم عند العرب

فصل من كتاب «فضل العرب على التعليم»[1]

﴿ بعض شهيرات النساء الشرقيات ﴾ يعتقد الغربيون عامة بان المرأة الشرقية ظلت دائماً في مستوى عقلي قد لا يعلو كثيراً على مستوى دابة الحمل ويرجع بعض السبب في هذا الاعتقاد الباطل الى ما يقصهُ السياح والمبشرون وما تنشرهُ الصحف من أقاصيص مبنية على النظر السطحي أو على رواية جانب واحد من جانبي المسألة. ولسوء الحظ لم يعرض الجانب الآخر للانظار عرضاً وافياً بالمرام فبقي الرجل العادي او المرأة العادية في اوربا واميركا يقرن كلاهما ذكر المرأة الشرقية بذكر « الحريم » ويفوته ان يذكر ملكة سبأ العربية التي غادرت اليمن في جنوب بلاد العرب وتجشمت وعثاء السفر الى بيت المقدس لتسمع حكمة سليمان، وزنوبيا التدمرية المتعلمة التي كانت تلمُّ الماماً واسعاً باشعار هوميروس واستطاعت ان تدافع زمناً عن سيادتها على مدينتها الصحراوية وتدفع عنها جيوش روما ، وخديجة المرأة التاجرة التي كانت لها قوافل تحمل متاجرها الواسعة بين جزيرة العرب ودمشق وقد تزوج منها النبي محمد بعد ذلك ، والخنساء الشاعرة العربية وقد عاشت قبل الاسلام وبرّزت على الرجال من شعراء عصرها. أما نساء هذا العصر في تركيا وسورية ومصر فقد اخذن يشتركن بنصيب وافر في الحياة الوطنية في بلدانهن وما كنَّ في هذا الامر محدثات ولكنهن انما يعدن نشاط النساء اسلافهن في الشرق سيرتهُ الاولى

﴿ النساء المتعلمات في أول عهد الاسلام ﴾ واذا رجعنا بنوع خاص الى تعليم المرأة عند العرب وجدنا ان بعضاً من النساء كن يقرأن ويكتبن حتى في حياة النبي. ومما يستوقف نظر القارئ انهُ الى جانب السبعة عشر رجلاً الذين ذكرهم البلاذري (صاحب كتاب فتوح البلدان) وقال انهم يعرفون الكتابة — كان يوجد أيضاً اربع نساء متعلمات او خمس في بداءة الاسلام (سنة ٦٢٢ م) . ويؤخذ من رواية هذا المؤلف ان النبي طلب من الشفاء بنت عبد الله ان تعلم حفصة زوجتهُ صناعة كتابة الرُّقى لانها كانت قبلاً تعلمها الكتابة نفسها وقد كانت الشفاء تعرف الكتابة قبل مجيء الاسلام . وقيل أيضاً ان ام كلثوم كانت تعرف الكتابة . وروت عائشة بنت سعد ان

(١) وضعه بالانكليزية الدكتور خليل طوطح ونال به شهادة دكتور فلسفة من جامعة كولومبيا

اباها علمها القراءة كما كانت كريمة بنت المقداد تعرف الكتابة . وكانت ام سلمة تقرأ ولكنها كانت تجهل الكتابة — هؤلاء ست نساء وهن الشفاء وحفصة وام كلثوم وعائشة وكريمة وام سلمة عشن في بلاد العرب في النصف الاول من القرن السابع للميلاد وكنّ متعلمات

وقد عقد مؤلف آخر هو النووي (سنة ١٢٧٨ م) فصلاً في كتابه « تهذيب الاسماء » ضمنهُ قاموس تراجم — طبعه فستنفلد — لشهيرات النساء وسنذكر بعضهن فيما يلي من اللواتي كن واسطة لنقل احاديث النبي وكان لهن اثر يذكر في تاريخ الاسلام في عصره الاول . نذكر منهن اولاً الاختين عائشة وأسماء ابنتي ابي بكر اول الخلفاء الراشدين فقد كانت الاولى زوجاً للنبي وحبيبة الى قلبه وكانت ذات زكانة وفطنة في كثير من الامور، وقد قلنا قبلاً انها كانت متعلمة وفي رواية النواوي انها كانت تحفظ الف حديث من احاديث النبي . ومعلوم انها كانت من القوة بحيث اشتركت في ادارة الشؤون السياسية واخيراً خاضت غمار الحرب لمقاتلة الخليفة علي ابن طالب وقد اسفرت تلك الحرب عن هزيمتها في واقعة الجمل

وكانت اختها اسماء امرأة شهيرة كذلك ، اذ اشتركت في ترقية الثقافة الاسلامية ويعزى اليها ٥٦ حديثاً . ومما يحسن ذكره ان هذه المرأة كانت خير امّ انجبت عبد الله ابن الزبير الذي ابى ان يعترف للامويين بحق الملك فقتلهُ الحجاج صلباً ومما يدل على ما كان لاسماء من النفس العالية والقلب الجريء ذهابها مع زوجها الى واقعة اليرموك (سنة ٦٣٤ م) وهي الواقعة التي انتصر فيها العرب على الروم وكسروهم شر كسرة وملكوا جميع سورية . ويدل على ذلك ايضاً تشجيعها لولدها على تحدي الحجاج خصمهِ العنيد بقولها لهُ : « يابني عش كريماً او مت كريماً » وقد عمرت هذه السيدة مائة سنة وهي بتمام قواها العقلية من دون ان تسقط لها سن واحدة

وممن نذكرهن ام الدرداء وهي امرأة متعلمة كانت تؤدي صلواتها في اوقاتها المفروضة وكانت ولوعة دائماً بمصاحبة رجال العلم وقد عاشت حوالي منتصف القرن السابع والرأي مجمع على ما كان لها من مقدرة وذكاء

﴿ مدارس البنات ﴾ وهؤلاء النساء اللواتي ذكرناهن انما تلقين علومهن في دورهن كما كان ذلك شأن الرجال ولكن بعد هذا بدأ التاريخ يروي لنا ان البنات كن يذهبن الى المدارس وابعث من ذلك على الدهشة ان معلميهن كانوا من الرجال وانهن

كن يتعلمن مع الصبيان جنباً الى جنب فقد ذكرت مدرسة للبنات في الكوفة في خلال القرن التاسع ، وفي حي بني عبس في الكوفة ايضاً كانت توجد مدرسة اولية (مكتب) كان بين تلاميذها فتاة ويظهر ان النساء الشابات كن يذهبن الى المدرسة ايضا مع البنات كما تدل على ذلك قصة رجل عقد آصرة صداقة مع معلم مدرسة من الكوفة لكي يتمكن من التزود بنظرةٍ من محبوبتهِ التي كانت تلميذة في تلك المدرسة وكان خليل المعلم يعلم الصبيان والبنات في ذلك الموضع عينهُ وقيل ان الوليد بن عبد الملك من الخلفاء الامويين (سنة ٧١٥ م) اجتاز ذات مرة بموضع كان معلم مدرسة يعلم فيهِ صبياناً وفي جملتهم جارية تتعلم القرآن . فالجواري كن ينلن قسطاً من العلم ويستدل على ذلك من رواية قصها المرحوم البروفسور براون من جامعة كمبردج فقد ذكر ان جارية عرضت على هرون الرشيد (سنة ٨٠٩ م) بعشرة آلاف دينار فقبل شراءها بشرط ان تؤدي امتحاناً وهنا قال البروفسور براون :

« فامتحنها اشهر اساتذة الفقه والشرع والتفسير والطب والفلسفة والادب والشطرنج بالتتابع واحداً بعد الآخر ولم تقتصر على احسان الاجابة عن جميع اسئلتهم بل كانت تعقب على ذلك بسؤال توجههُ الى كل منهم فيعجز عن الجواب عنهُ »

ولهذه الشهادة قيمة عظيمة لانها تبين لنا كيف ان المسلمين في العصور الوسطى كانوا يعنون بتعليم العلوم العامة. وقد أيد صاحب الاغاني هذه الرواية برواية اخرى جاء فيها ان خالداً بن عبدالله ابتاع ثلاثين جارية بثمن غالٍ فالفاهن يقرأن القرآن ويجدن الغناء ويحفظن الشعر حتى انهن كن يروين جميع قصائد الكُميت الشاعر. ومما يستحق الذكر ان جارية من اسبانيا تلقت عن معلمها النحو واللغات ثم صارت حجة فيها بعدهُ

فيظهر اذن مما تقدم ان البنات كن يذهبن الى المدرسة مع الصبيان كما أنهنَّ كن يتلقين العلم في دورهن . واذا استغرب احد ما قلنا عن اشتراك الجنسين في تلقي العلم واختلاطها او اذا خدع بما يراهُ اليوم من عادة تحجب النساء فليذكر ان هذه العادة ليست من عادات العرب بعد ما اثبتنا الآن ان نساء العرب كن يرافقن ازواجهن الى ساحات القتال ويشاطرنهم عبء الحياة العامة ويقرضن الشعر ويشتركن في تدبير الشؤون العامة. وقلما استعمل الحجاب او انكرت على النساء حريتهنَّ الاَّ في مجتمعات المدن وهي ليست مجتمعات عربية صحيحة وانك لتجد النساء الفلاحات في سورية وفلسطين سافرات كما ان نساء البدو لا يغطين وجوههن

﴿ المعلمات العربيات ﴾ ومما هو جدير بالذكر ان بعض النساء العربيات في عصرهن قد اتيحت لهنَّ الفرصة للاشتراك في بث العلم في بلادهن وقد استقيت البرهان على ذلك بنوع خاص مما رواهُ ابن خلكان والمقري فقد ذكرا كثيراً من النساء اللواتي احترفن صناعة التعليم واليك اسماء بعضهن : —

فمنهن شهده بنت ابي نصر كانت احدى نساء الطبقة المتعلمة واشتهرت بمهارتها في التعليم ، وتلقى العلم على يديها كثيرون من الطلبة الذكور ، ويقال ان الامام الشافعي (سنة ٨٢٠ م) لما ذهب الى القاهرة حضر على نفيسة بنت ابي محمد واستمع للاحاديث التي كانت ترويها وقد اشتهرت هذه السيدة « بالصلاح والورع » كما اشتهرت بالعلم

وقد قال ابو حيان ان في جملة الاساتذة الذين تلقى العلم عنهم ثلاث نساء وهن : مؤنسة بنت الملك العادل (اخي صلاح الدين سنة ١١٩٦ م) وشاميه بنت الحافظ وزينب بنت عبد اللطيف . وهناك معلمة اخرى هي شهده الكاتبة بنت عُبرَي التي علمت عبد الرحمن الفقيه في كتاب الحديث الشهير ونعني بهِ « صحيح البخاري »

وفي اشبيلية مريم بنت ابي يعقوب وكانت تعلم النساء آداب اللغة ولم تكن معلمة فقط بل كانت شاعرة ايضاً. وقد روى ياقوت ان ابن عساكر تلقى العلم عن ١٣٠٠ معلم ونحو ٨٠ امرأة وكانت النساء يعلمن ويمنحن الاجازات (الشهادات) ايضاً كما ذكر ذلك ابن خلكان

وروى المقري المؤرخ الاسباني ان عرب الاندلس كانوا يفخرون بنسائهم المتعلمات وقد نقل عن احدهم قوله في باب المفاخرة : « هل انجبت بلادكم نساء كشاعرتنا ولادة المروانية التي تباحث الوزير ابن زيدون في الشعر. وهل لزينب بنت زياد من ندٍّ عندكم »

ثم استطرد المؤرخ قائلاً ان اهل الاندلس رجالاً ونساءً واولاداً كانوا متضلعين من آداب اللغة

مهما تكثر النظريات الشائعة بين المسلمين عن تعليم المرأة فالواقع يدل على ان النساء شاطرن الرجال الصناعات الادبية وقد ظهر مما اسلفنا ان البنات كن يذهبن الى المدرسة مع الصبيان وان الجواري بلغن درجة عالية من الثقافة والتهذيب وان النساء كن يعلمن الطلاب الذكور الموضوعات الادبية العالية

ولست ادعي طبعاً ان تعليم المرأة كان عاماً في البلدان العربية ولكن الامثلة الكثيرة التي اوردتها تدل على ميل حقيقي الى تمهيد السبيل للمرأة لتشاطر الرجل تلقي العلوم والتثقيف العقلي . اه

قبل ان يصيح الديك

(تتمة القصة)

ثم رفع محمود عقيرتهُ وصرخ باعلى صوتهِ . وبعد هنيهة اقبل روبرت نحوهما يظلع متعثراً وهو يقود فرسهُ المرْهَق وحشو اجفانهِ واذنيهِ وانفهِ رمل كثيف سدَّ عليهِ منافذ البصر والسمع والتنفُّس وكاد يقضي عليهِ خنقاً . فبادر محمود اليهِ واخذ بيدهِ وحال دون سقوطهِ من شدة الإِعياءِ وقال : —

« على مقربة منا قرية عرب سكانها من اصدقائي . فلعلك تفضّل المبيت فيها عند شيخ القرية »

— « لا استطيع الانتقال خطوة واحدة لان التعب آخذ مني كلَّ مأخذٍ — والموت اقرب اليَّ من حبل الوريد ان لم يُتَح لي الآن ان اضطجع واستريح »

فناطهُ محمود بذراعهِ وهبط بهِ كهفاً فيهِ جامع صغير محجوب عن عيون الذين هم خارج الكهف . وهذا الجامع كان قديماً ، حسب رواية محمود ، مأوى واحدٍ من اولياءِ الله . وفيما هم داخلون قال محمود لرفيقيهِ

« هنا تحت الارض حجرة يفزع اليها طالب النجاة فيأمن الخطر . ولكن الاهتداء اليها سرٌّ قلَّ من يعرفهُ غيري » ثم ضغط عرقاً في الحائط واذا بحجر كبير مستدير انفتح على مهل عن فرجة تكفي لدخول الانسان بسهولة . واستأنف محمود كلامهُ قائلا : —

« نترك الجوادين هنا — فلا خوف من مغادرتهما هذا الملجأ لانهُ على ضيقهِ خيرٌ لهما من التعرض لمكاره الإِعصار — واذا كنتما لا توجسان خوف صحبتي والمبيت في ضيافتي فسأبذل جهدي في توفير اسباب راحتكما »

وظلَّ ديفد وروبرت سنين طويلة يذكران تلك الساعات التي قضياها في حجرة الوليّ . فان محموداً أعدَّ لروبرت الخائر المنهوك فراشاً ليّناً من جلود الضأن أضجعهُ عليهِ وأطعمهُ ما تسنى عندهُ فأكل وتملى نوماً عميقاً مريحاً . وجلس محمود وديفد يدخّنان ويتسامران

لم يحاول محمود إنكار ما اتُّهم بهِ بل اعترف لضيفهِ بقتلهِ للعاشقَين . وفي اثناء

اعترافه بما جنته يداه . نمّت عيناه على الالم المبرّح العابث بنفسه من شدة حزنه على المرأة التي احبها من صميم فؤاده

وأخبره ديفد بالوسائط المتخذة لاقتفاء اثره والقبض عليه . ولكنهُ ظلّ ، حتى بعد ما علم بعزم اخوي القتيلة على الاخذ بثأرها ، واثقاً بنجاته وسلامة حياته . فقال لديفد : —

لا بدّ ان الحظ يسعدني فانجو من كل خطر يتهدّدني . لا لاني اطمع بلذّة الحياة بعد ما سئمتها بفقد من كانت موضوع حياتي وقبلتي في صلاتي بل لانهُ يعزّ عليَّ ان أُقاد الى الموت اذلّ من فقع بقرقر[1] . ولن يحول دون نجاتي سوى الغدر . وهذا انا في مأمن منهُ . فسأبقى هنا الى الصباح . وكان حصاني قد أُصيب بالعرج ولولا ذلك لكنت الآن في اطراف السودان . ولكنهُ قد شفي مما اصابهُ . وغداً ينتهي الإعصار فيصفو محيَّا الجو ويسهل السفر على من ارادهُ »

— « أصحيح هذا ؟ »

— نعم . فالليلة آخر عهدنا بهذه الزوبعة . وغداً صباحاً اذهب لطيّتي . وانتما تعودان الى القاهرة »

« حقق الله الآمال فقد ذقنا من الإعصار الامرّين وضللنا الطريق . ولكنك قادر ان تردّنا الى سواء السبيل »

— « سأفعل ذلك بملء الرضى والمسرّة . والآن خيرٌ لك ان تلتمس الراحة من عناء يومك برقاد تنعم به ولو بضع ساعات

وفي تلك الليلة قضى الإعصار انفاسهُ كما توقّع محمود وبزغ فجر اليوم التالي مبشّراً بيوم صحوٍ وصفاءٍ لامزيد عليهما . فاستيقظ محمود باكراً جدًّا وأعدّ القهوة لضيفيه. وقبلما برزت الغزالة من خدرها كان اولئك الثلاثة متأهّبين للانطلاق . فوقف محمود امامهما ودلّهما على طريق القوافل وكانا قد ضلاّه في اثناء الزوبعة. فقال لهُ ديفد :

« نستودعك الله ونشكر لك معروفك العظيم . ولولاك لم يسهل على روبرت النجاة من مخالب الموت فأذهب في كلاءة الله وحفظه. وكن واثقاً كلّ الثقة باننا بعد مفارقتنا لك سننسى اننا لقيناك »

(١) مثل يضرب في الذل

« اشكر لكما هذا الشعور العميق الصادق . ولست بموجس أقل خوفٍ ما دامت سلامتي متوقفة على اخلاصكما وصحة ولائكما . والآن حانت ساعة . . . » ولم يتمكن من تتمة كلامه لان روبرت صاح بصوت عالٍ قائلاً : —

« لله ما اشدَّ طيشي وحماقتي ! فقد نسيت محفظة نقودي في حجرتك . سأعدو راجعاً لآخذها واعود باسرع من لمح البصر » فاعترضهُ محمود باسماً وقال : —

« لا . ليس في إمكانك الدخول الى الحجرة . امسك حصاني ريثما اذهب واعود في طرفة عين

٤

انطلق محمود يعدو الى الحجرة ووقف ديفد وروبرت ينتظران رجوعهُ واجمين ساكتين . وما لبثا ان سمعا ضجيجاً عالياً ووقع حوافر خيل واصوات هتافٍ تصيح مردّدة الفاظ الوعيد والتهديد والحثّ على الثأر والانتقام . فعراهما ذعر ارتعشت لهُ اعضاؤهما . والتفتا الى جهة الصخب والجلبة فأبصرا كوكبة فرسان مقبلين نحوهم وقد اطلقوا الاعنّة واشرعوا الاسنّة . وما أبطأوا ان اطبقوا عليهما وكانوا ستّة منهم اثنان كانا اخوَي ياسمين القتيل . وكان كلٌّ من ديفد وروبرت يعرف اللغة العربية فعلما من حديث هؤلاءِ الفرسان انهم يجوبون اطراف البادية مفتشين عن القاتل . فأحدقوا بهما ولجوا عليهما في ان يدلاّهم على مخبإِ محمود . ولم يصدّقوهما عندما صرَّحا بانهما لا يعلمان عنهُ شيئاً وانهما قدما من القاهرة للتنزه بالطواف في الصحراء . وفي بداءة الحديث كلّمهما رئيس هذه العصابة برقة ولين فعلّل ديفد نفسهُ بأنهم صدّقوا ما قالاهُ لهم وعما قليل يطلقونهما . ولكنَّ واحداً من الفرسان — وكان سابقاً في خدمة الصائغ لا لا — عرف الجواد الثالث واخبر رفقاءه بانهُ لمحمود بك فبات الرجلان الانكليزيان في ورطة يصعب عليهما الخلاص منها . على انهما تذرعا بالحزم والثبات واصرّا على إنكار كل علاقة بالقاتل . وقال ديفد : —

« قد يكون هذا الحصان للرجل الذي تقتفون اثرهُ . واذا صحَّ ذلك فليس بعيداً ان يكون فارسهُ ملقىً ميتاً في القفر . ونحن قد عثرنا على الفرس ليلة امس في اثناءِ الإعصار وكان عائراً بلا فارس . فأخذتنا الشفقة عليهِ وابقيناه معنا » فردَّ عليهِ رئيس العصابة قائلاً : —

« ليس الامر كما ذكرت بل حيث يكون الفرس يكون الفارس . انكما رجلان انكليزيان لا شأن لنا بكما . ولكن اذا اصررتما على الانكار وأبيتما ان تدلانا على القاتل الذي تعلمان مقرّهُ فاننا نحتزُّ رأسيكما وندفنكما في الرمل » فاجابهُ ديڤد بحزم وثبات جأش : —

« لا تجسران على مسّ شعرة منا لاننا انكليزيان . وهبكم قتلتمونا فلستم بمعيدين القتيلة الى الحياة » . فصاح بهِ الرئيس صيحة الغيظ والحنق وقد قدحت عيناهُ شرر السخط والغضب : —

« صه ايها الكلب ! والا عجلت في إخماد انفاسكما ومواراتكما حيث يتعذّر العثور على آثاركما »

فهمس روبرت في اذن ديڤد قائلاً : —

« هذا صحيح ! فان فتكهُ بنا من اسهل الامور عليهِ . ونحن لا ناقة لنا في هـذا ولا جمل . فلماذا نتعرّض للخطر بلا اقل مسوّغ ؟ » فأجابهُ ديڤد والغيظ آخذ منهُ كل مأخذ : —

« ابجدٍّ تقول هذا يا روبرت ؟ وهل مرادك انـ تبوح بما نعلم طمعاً في انقاذ جسدك الحقير الدنيء ؟ ومن المحقق عندي انهم لا يجسرون ان يمسونا باذى . لا تعبأ بوعيدهم وتهديدهم . فعما قليل ترى انهُ برق خلـب وغيث جهام » ولكنّ واحداً من الفرسان ملّ سماع حديث بلغة يجهلها فانهال عليهما بالشتم والسبّ . وعاد الرئيس الى سابق الانذار والتهديد ناصحاً لهما ان يخبراهُ اين يختبئ محمود بك وهو يعدهما بأنهُ يطلق سراحهما ويقيهما من كل خطر وضرر . ولم يرتب ديڤد في وفائهِ بوعدهِ ولكنهُ أبى ان يغدر بمحمود الذي آواهما وانقذ حياة روبرت من خطر الموت واصرّ على قرارهِ الاول لم يحد عنهُ قيد شعرة

وفيما كان واحدٌ من الرجال يجول حول البقعة التي كانوا واقفين فيهـا عثر على الجامع الصغير وخفّ مسرعاً الى رفقائهِ يبشـرهم بما كشفهُ . ولكنّ تفتيشهم للجامع لم يجدهم نفعاً لان محموداً كان عند ما نزل ليفتـش عن محفظة النقود قد احتاط لنفسهِ واغلق الحجر خلفهُ

وهذه الخيبة الاخيرة اضرمت نار السخط والاستياء في قلب رئيس العصابة . فالتفت الى ديڤد وقال لهُ وشرر الحنق يتطاير من عينيهِ : —

« إن لم توضحا لنا وجود جواد محمود بك معكما على وجهٍ مقنع يبرهن صحة دعواكما بعدم معرفة مقرّهِ فاننا سنتخذ وسائل عنيفة تضطركما الى الاعتراف مكرهين ثم تكلف الرفق والهوادة وقال مخاطباً ديفد : —

« يظهر لي ان رفيقك على غير شاكلتك . واظنهُ يسهل حملهُ على ان يقول الحقّ اذا فوضتُ استنطاقهُ الى سليم » (وهو سوداني ضخم الجثة شرس الاخلاق) فلما سمع روبرت هذا الكلام وعلم انهُ هو المعنيُّ بهِ صرخ هالعاً مذعوراً وقال : —

« ويلاهُ ! يقتلونني ! أغثني يا ديفد اغثني . ليس في طاقتي احتمال هذا الامر ؟ ولا انا ممن يروم ان يسعى الى حتفهِ بظلفهِ . فحياتي وحياتك معرّضتان لخطر الموت فداء حياتهِ . يجب ان ننقذ حياتنا ولو آل الامر الى إفشاءِ سرّ محمود ؟ »

وحين سمع الرئيس اسم محمود لم يبق عندهُ اقلُّ ريب في صحة ما اتهم هذين الرجلين بهِ . ومن فورهِ أهاب بسليم فانقض على روبرت وشدَّ وثاقهُ وانبرى لهُ رجلٌ آخر شاهراً خنجراً كبيراً ليطعنهُ بهِ

فحمل ديفد على حامل الخنجر . ولكنَّ اثنين من الرجال الباقين هجما عليهِ وطوّقاهُ بأيديهما وحالا دون تمكنهِ من ابداءِ اقلّ حركة مع كل ما اظهرهُ من البسالة وشدة البأس في محاولة الإفلات منهما . ومع وقوعهِ في قبضتهما لم يصدّق انهم يتعمدون الفتك بهِ او برفيقهِ وعدَّ عملهم هذا إسرافاً في التهديد والإرهاب ليرغموها على الاعتراف بما يعلمانهِ عن محمود . ولكن لما شعر روبرت بوخز الخنجر في ذراعهِ انتفض متلوّياً من شدة الألم وصرخ صرخة الجزع والقنوط وما عتّم ان باح بسرّ مخبإِ محمود في قبر الوليّ

ولم يكن ثمَّ من حاجة الى البحث والتفتيش لان صراخ روبرت رجَّ طبقات الهواء وتجاوبت اصداؤهُ من جميع الجهات وعلى أثرهِ اقبل محمود صاعداً من مخبإهِ وهو يطلق النار من مسدّسهِ دفاعاً عن الرجلين اللذين عدَّهما من اصدقائهِ

وكان الفصل الاخير من هذه الفاجعة قصيراً جدًّا . فبعد هنيهة كان جثمان محمود بك ملقى على الرمال وقد غادرهُ رصاص أعدائهِ كخريطة الغربال . وغشيت الافق من ناحية الجنوب سحابة نقع[1] كثيفة دلّت على ركون العصابة الى الفرار بعد ما نالت مبتغاها

(١) غبار حوافر الخيل

وكان روبرت قد شعر ولو موقتاً بسقوط شأنهِ الادبيّ حتى في عيني نفسهِ . فخرّ على وجههِ وأمعن في النشيج والشهيق . أما ديفد فجثا بجانب جثّة ذلك الذي اخلص لهما الود ووثق بوفائهما وامانتهما وقال بصوت تقطعه زفرات الغمّ والاسف : —

« ايها الصديق الوفيُّ الامين ! . وضعتَ ثقتك بنا . ولكنك في الساعة الاخيرة من حياتك ظننتَ أننا كلينا اسلمناك وغدرنا بك » . ثم رفع صوتهُ قليلاً وقال : —

« والله وحدهُ يعلم اني افضّل ان اموت اشنع ميتة على ان ارتكب هذا الاثم العظيم . ولكنك فارقتَ الحياة وانت جاهل لهذه الحقيقة »

ثم نهض من مجثاهُ وذهب الى حيث كان رفيقهُ . فرمقهُ بنظرةٍ شفت عما كان في قلبهِ من شدة الاحتقار لهُ وفرط الاسف على محمود بك وقال لهُ : —

« قم يا روبرت . فقد ذهبوا وزال عنا الخطر »

فقال روبرت وهو يحاول التنصل والدفاع عن نفسهِ : —

لعلك تجهل يا ديفد لماذا ابيت ان اموت ! فقد حرصتُ على حياتي لاني رمتُ العودة الى القاهرة لاشاهد ايفا لورين . فانا مشغوف بها حبًّا . وسأعرض عليها الاقتران بي . فان اجابت سؤلي . . . . . »

فاعترض ديفد تتمة كلامهِ بقولهِ لهُ : —

« لن تجيب سؤلك لاني خطبتها منذ ثلثة اسابيع »

« ومع ذلك وطّنتَ نفسك على الموت بايدي أولئك الاجلاف الاوغاد ؟ »

« نعم . لاني لم اشأ ان اعود اليها موصوماً بعار الغدر والخيانة ! ولعلك تذكر قولك لي منذ وقت قصير انك لن تُقدم على خيانة صديقك حتى في سبيل انقاذ حياتك »

ثم تحوّل عنهُ وعاد الى حيث كانت جثّة محمود بك فوقف مطرقاً حاسر الرأس خاشع الطرف ينظر الى شهيد المروءة والوفاء وفؤادهُ صالٍ لظى الكآباء . وحينئذٍ صاح ديك من قرية العرب التي بين كثبان الرمال

ترجمة : اسعد خليل داغر

البلاغة في الفضاء

او الوصل والفصل في العالمين

درس اعوص المسائل الطبيعية بابسط الاساليب واوضح الامثلة
آخر مراحل العلوم الطبيعية — ملتقى العلم والفلسفة

سئل الفارسي : ما هي البلاغة ؟ فقال : هي معرفة الفصل من الوصل . فهل درى الفارسي ، ومن سأل الفارسي ، انهُ بذلك رسم كنه العلم الطبيعي ؟ . فقد سأل نبيه اعمى احد الشبان الذين شرعوا في درس الطبيعة ، قال : هل يمكنك ان تصف لي الفلسفة الطبيعية بكلمة واحدة بحيث اتصوَّرها تصوّراً اجماليًّا ؟ . قال الشاب : نعم ، فكيف تفهم الجسم البشري ؟ . قال الاعمى افهم انهُ قطعة متنقلة. قال الشاب وكيف تفهم نجوم السماء ؟ . قال اتصورها اجراماً منتثرة في ساحة الفضاء . قال الشاب : ان الفلسفة الطبيعية تعلمك ان هذا الجسم الذي تلمسهُ ليس قطعة واحدة ، بل هو مؤلف من ذرات هي كالاجرام السموية ، لا صلة بين الذرَّة واختها ، وانها على ابعادٍ ثابتة كالنجوم . ومع ذلك فهي تؤلف جسماً واحداً . هذا ما قالهُ الشاب في العلم الطبيعي قولاً اجماليًّا . ولا شيء يدهشني كانطباق الاكتشافات الطبيعية الحديثة على القولين المنقولين ، قول الفارسي ، وقول الشاب الفيلسوف . فان ميدان الطبيعيات من جماد وسائل وبخار ،من اكبر الاجرام السموية الى اصغر الايونات — الذرات المكهربة — انما هو ميدان فصل ووصل ، او اتصال وانفصال . ومهما يدرس الباحث،ومهما يتعمق ويكتشف فهو لا يخرج عن حدود « الفصل والوصل »

وقد دلتنا المكتشفات الطبيعية الاخيرة ، التي محورها حل الجوهر الفرد ، الى الاجزاء التي يتألف منها ، على حكمة ذلك القول ، الذي كنا نحسبهُ من قبل قولاً شعريًّا . فقد ثبت بالاختبار والفعل ان الجوهر الفرد — الذي كان يحسب فيما سلف اصغر اجزاء المادة ، او الجزء الذي لا يتجزأ — هو نظام شمسي مصغَّر . ففيه جزء صلب متين مركزي يدعى « البروتون » ، هو في الجوهر الفرد كالثابت النجمي في نظامهِ . وحولهُ ذرات صغيرة تدعى كهارب ، او الكترونات ، هي منهُ كالسيارات من الثابت الذي تدور حولهُ . وان تلك الكهارب تختلف عدداً في مختلف العناصر ،

وهذا هو السر في اختلاف الجواهر وزناً وصفةً . وان لكل كهرب من الكهارب فلكاً خاصًا ، يدور فيه حول بروتونه ، دوران الكواكب حول الشمس . فالجوهر الفرد نظام شمسي مصغر ، والنظام الشمسي جوهر فرد مكبر . انما يختلفان في امر واحد وهو ان الكواكب تلازم افلاكها — كل في فلك — فالارض في فلكها ، بين فلكي الزهرة والمريخ ، منذ وجد النظام حتى ينحل ويعود الى الحالة السديمية او يتفرق في الفضاء باقتراب جرم كبير منهُ يجذب بعض اجزائه اليهِ وهذا غير محتمل على ما يُعلم . وليست الكهارب كذلك ، فانها قابلة للانتقال من فلك الى فلك. فاذا انتقلت من فلكها الى فلك داخلي هو اقرب الى الكتلة المركزية — البروتون — تقلصت المادة ، او بالحري نقص حجمها .واذا كان الانتقال من فلك داخلي الى فلك خارجي، تولَّد من ذلك ما يسمونهُ « مادة اضافية» وهذا الجزء من المادة الذي يسمونهُ «الاضافي» قابل للحل او الفناء—اذا صح استعمال هذه اللفظة—وحين ينحل او يتلاشى لتصادمهِ باخيه تتولد عنهُ الاشعة وهي متنوعة الاوصاف من الاشعة التي فوق البنفسجي الى الاشعة التي تحت الاحمر ، ومنها اشعة رنتجن ، واشعة ملكن ، وغيرها من الاشعة التي تجعل صفائح الفولاذ شفافة ، وتريك ما وراءها ، او تريك ما في الظلام . وليست هذه القضايا من بنات الخيال بل هي موضوع اشتغال اقطاب هذا الفن في المختبرات الطبيعية في انكلترا واميركا والمانيا وفرنسا وايطاليا والدانمارك واسوج وهولاندا وفي سائر الممالك المتمدنة . فانهم يحلون الجواهر الفردة ، ويرون كهاربها ،ليس بالعين بل بالفعل،بوسائل وكيفيات لا يتسنى لنا تبيانها هنا

فما الذي يصل تلك الذرات بعضها ببعض فتؤلف الجواهر الفردة ؟ .وما الذي يصل الجواهر الفردة بعضها ببعض فتؤلف العناصر المادية اوالبسائط الكيمية ؟. وما الذي يصل دقائق تلك البسائط بعضها ببعض فتؤلف الاجسام العضوية ؟ . ما هوالرابط او الجامع؟ هذا هو آخر مواطن البحث الطبيعي .قال فارادي ابو الكهربائية الحديثة ما نصه :—

«عند ما افكر بعلاقة الفضاء، بالقوة المغنطيسيَّة ،واتأمَّل صفة الظاهرة المغنطيسية العامة ، خارج المغنطيس ، أراني اكثر ميلاً ، الى الاعتقاد بوجود عمل لها خارج المغنطيس ، من التسليم بان تلك التأثيرات هي مجرَّد جذب ودفع عن بعدٍ . وعمل كهذا هو من وظائف الاثير . فلا يبعد انهُ ، اذا كان هنالك من اثير ، ان تكون لهُ وظيفة اخرى غير نقل الاشعة » : انتهى قول فارادي

وقال السر اوليفر لدج العالم الطبيعي الشهير ما يأتي : « ان اشهر اختباراتنا على سطح هذا السيار — الارض — هو مشاهدتنا تأثير جسم في جسم آخر . ترى حصاناً يجرُّ عربة ، او مغنطيساً يجتذب قطعة حديد ، او تفاحة تسقط من شجرة الى سطح الارض بفعل الجاذبية ، وترى اللاعب بكرة القدم يقذفها بقدمه ، او برأسه ، وترى البندقية ترمي طائراً برصاصها ، او ترى نفسك تنزع قبعتك عن رأسك ، او تفتح نافذة او ترمي حجراً . وقلما تتجاوز اختباراتنا في هذا الوجود هذه الاختبارات ، اعني تأثير جسم في جسم آخر

« على ان هنالك اختلافاً واضحاً بين متنوّع الاحوال ، في الامثلة المذكورة . ففي بعضها كان الجسمان المتفاعلان متصلين وفي بعضها منفصلين وبعيدين ، لاصلة بينهما . وتأثير جسم في جسم آخر عن بعد ، امر يحتاج الى ايضاح اكثر من التأثير الحاصل في جسمين متصلين

« وقد تخطر على بالك امثلة اخرى عن تأثير جسم في آخر ، ربما كانت اقرب الى فهمك من هذه الامثلة . فأنك تؤثر في كلبك عن بعد ، بان تصفر لهُ ، او ترمي عصاك في الماء فيسرع لانتشالها بفمهِ . وكذلك تؤثر في شخص آخر اما بالصراخ ، او بالكتابة ، او بارسال برقية اليهِ »

ولكن في كل هذه الاحوال تعلم ، او يجب ان تعلم ، انهُ لابد من واسطة تعمل بينك وبين من تؤثر فيه . وان تلك الواسطة تحمل التأثير وتحقق المقصد . فلا بد من واسطة بها يعالج الفاعل المفعول لوصول الاثر اليهِ . وقد ينشأ في ذهنك هذا السؤال وهو : هل يصل التأثير دائماً بطريق مباشر ، او يوجد بين المتفاعلين ، ما يماثل المقذوفات او الاسلاك الموصلة بين منفصلين ، وهل الواسطة مطّردة ؟

لقد حيَّرت هذه المسألة الفيلسوف نيوتن ، فلا غرابة اذا حيَّرتك . فان الارض لاتفعل بالتفاحة ، او بالحجر الساقط من الجو فقط ، بل هي تؤثر في القمر في كبد السماء . ولا ريبة في ان الفضاء بين الارض والقمر خالٍ من واسطة مادية . كذلك تسود الشمس على سياراتها وتؤثر في ابعد نجوم السماء . وان كان التأثير عن بعدٍ امراً غير مفهوم عندنا ، نظراً الى بُعد الشقة بين الشمس والنجوم

فالذين يفكرون في هذه الامور يميلون الى السؤال : — هل ما نراه من الانفصال ، بين الاجرام هو حقيقي او ظاهري فقط ؟ . وهل تؤثر الاجرام بعضها في البعض

الآخر مباشرة أو انهُ يوجد بينهما موصل ؟ وخلاصة ما ينتج عن التفكير والبحث في هذه النقطة مسألتان متضادتان

الاولى : لاتأثير للجسم خارج حدودهِ

الثانية : لااتصال بين جسمين على الاطلاق

وبعبارة اوضح ، ان الاتصال بين اجزاء المادة « مستحيل » . فلا بد من فسحة بين كل جسمين ، مهما التصقا . وفي تلك الفسحة تستقر الصلة التي تحمل القوةمن المؤثر الى المتأثر . ويلزم ايضاح كلٍّ من هاتين القضيتين على حدة ، وتبيان علاقتهما بموضوعنا الطبيعي الخطير

ويلوح لنا ، لدى اول نظرة ، ان انكار الاتصال بين المواد ليس امراً ضرورياً لانهُ يحوّل امراً كليّ الوضوح،الى نوع كليِّ الابهام والخفاء . فان الاتصال يظهر لنا معقولاً اكثر من التأثير عن بعد . فيحتاج الامر الى شيء من الايضاح والتبيان . فلنتقدم اذاً لدرس هاتين القضيتين

فان القضية الاولى « لا تأثير للجسم خارج حدودهِ » تنطبق على الشعور العام . ولكن هنالك مسألة تعترض بحثنا وهي : — اين الاتصال في جذب المغنطيس لقطعة من الحديد ؟ . فهل تأثير المغنطيس محصور ضمن حدودهِ ، او انهُ يمتد الى حدٍّ معين من البعد عنهُ نسميهِ « منطقة نفوذه » ، فتنبعث القوة منهُ ، وتصل قطع الحديد ضمن حدود تلك المنطقة ، بسرعة لا ندركها ، وعلى كيفية لا نتصوّرها ، فتجتذبها ، ولو ان الحواس لا تدرك مستقر تلك القوّة ، وكيفية فعلها ؟

والامر العلمي الخطير ، الذي لا يجوز لعالم إغفاله هو : ان انتقال التأثير من المؤثّر (بكسر الثاء) الى المؤثّر فيهِ (بفتح الثاء)لا بد منهُ .على انهُ قد يكون من شكل الوسط المؤلف من المؤثرين ، وقد يكون ذا شكل آخر ، او عديم الشكل الهندسي والبناء الطبيعي على الاطلاق — كالجاذبية مثلاً —ومع ذلك فهو رابط قانوني يقيني الوجود . ومنهُ جاذبية الملاصقة العاملة بين ذرات العنصر الواحد وقوة الالتصاق العاملة بين ذرات عناصر متمايزة . وقد يكون غير ذلك من الربط التي لا يزال كنهها ، الى الآن تحت البحث، كالمغناطيسية والجاذبية العامة ، وهي من اهم النقط التي تلامسها النسبية التي عني بها الاستاذ البرتِ انشتين الشهير

هنا نودع الكلام . وسنعود اليهِ ان شاء الله

حنا خبّاز

العلم والعمران بعد غد

قوة العناصر المشعة

ان قوة الشمس، وهي جانب من القوة الكونية، مدّخرة في الجواهر الفردة التي تتكوّن منها المادة ولا بدّ ان تبنى نتائج خطيرة على اكتشاف هذه الحقيقة الاساسية

فقد كان اكتشاف مدام كوري لعنصر الراديوم باعثاً قويًّا لاستنهاض همم العلماء فاخذوا ينقبون عن الوسائل التي يتوسلون بها لاطلاق القوى الهائلة الدفينة في العناصر المشعة ثم اخضاعها لمنفعة الناس . وقامت طائفة كبيرة من علماء الانكليز والاميركيين والفرنسيين والالمان بتجارب بديعة في اسلوبها خلابة في إحكامها فكشفوا عن القوة الرائعة التي تفوق حدود التصور الكامنة في المواد المشعة وتنبعث منها انبعاثاً محدوداً واثبتوا ان الجواهر الفردة في هذه المواد تطلق في كل الاحيان قوة كهربائية تغيّر المادة بانطلاقها من شكل مادي الى شكل آخر — فاذا كانت المادة معدناً تحوّل الى معدن آخر كما يحدث في الراديوم إذ يتحول الى رصاص . ونذكر في مقدمة هؤلاء العلماء ولم رمزي وارنست رذرفورد البريطانيين وتشردز الاميركي وبكرل الفرنسي وجيزل الالماني

هذه القوة التي كشف عنها العلماء ما زالت تنطلق من المواد المشعة منذ ملايين السنين ولكن ما انطلق منها بانحلال الجواهر الفردة لم يحدث خسارة ظاهرة بعد في المادة الاصلية .

وأشار الاستاذ صدي الى ذلك في كتابه المسمى « العلم والحياة » قائلاً :

إن وجود الراديوم وهو المادة التي تولد من تلقاء نفسها اشعاعات قوية يستطاع تحويلها الى نور وحرارة — وعلاوة على ذلك لا تستطيع الانقطاع عن هذا الاشعاع — جاء مناقضاً لكل قاعدة من قواعد العلم الطبيعي

وربَّ سائل يسأل: ما مدى القوة التي تنبعث من الراديوم عند الاشعاع ؟ والجواب انهُ عند كشف مركبات الراديوم النقية قيس مبلغ القوة التي تتولد منها فاتضح ان القوة في غرام واحد منها تكفي لتسخين غرام من الماء، من درجة التجمد الى درجة الغليان في ٤٥ دقيقة وينتج من ذلك اننا اذا اخذنا قدراً من الراديوم ومثلهُ من اجود انواع الوقود تولد من الاول حرارة في ثلاثة ارباع الساعة كالحرارة التي يولدها الوقود الآخر في ثلاثة ايام

ففي خمس عشرة سنة ينبعث من الراديوم مقدار من القوة يكاد يبلغ الفي ضعف القوة التي تصدر من الوقود ومع ذلك يبقى ذلك المقدار من الراديوم حافظاً لكيانه لا تبدو عليه أية علامة من علامات الاستنفاد. ويقال ان حرارة الراديوم عند موازنتها بحرارة اشتعال الفحم الحجري تفوقها بنحو ثلث مليون ضعف. وان الرطل الواحد من الراديوم يولد قوة تساوي القوة التي يولدها ١٥٠ طناً من الديناميت

وفي المواد المحيطة بنا مقدار من هذه القوة لا ينفد مصدرهُ، فاذا تيسر للعلماء السيطرة عليه واستخلاصهُ ثم استخدامهُ — وبعض العلماء يرون انهم موشكون على ادراك كنه ذلك السر — قيضت للجنس البشري قوة لا حدَّ لها، اذا قيست بجميع ضروب القوى من فحم حجري، وزيت معدني، وماء ينحدر، فاقتها اضعافاً، فيضطر الناس الى اغفال تلك المصادر اذ يصبحون مسيطرين على المنبع الفعلي والمصدر الحقيقي للقوة

اخضاع القوة

ولا تمرُّ سنة الآن من غير ان يجرب العلماء طريقة جديدة من شأنها ابدال القوى المستعملة الآن بغيرها او تقويتها حتى تتضاعف فائدتها. فالكيماويون يكدون اذهانهم في ابتداع ضروب من الوقود لعلها تحل محل الفحم الحجري والزيت المعدني

ومن اولئك العلماء فرنسويان وهما الاستاذان «برودوم» و«هودري» كادا يفوزان باستنباط نفطٍ صناعي بطريقة كيماوية وذلك من اللجنيت اي الفحم الحجري الاسمر الذي تملك منهُ فرنسا مقادير كبيرة في اراضيها واراضي مستعمراتها

ويجرب مهندسون آخرون تجارب غايتها اخضاع احدى القوى التي استخدمت قديماً، في الصناعة الحديثة، ويرى بعضهم استخدام الريح من جديد لتدوير الدواليب. وقد تنبأ (هولداين) بحلول يوم تغص فيه بلدان الريف بالطواحين الهوائية المعدنية وهذه تدوّر المحركات الكهربائية فتولد المحركات تياراً كهربائياً قوياً يجمع ثم يوزع وما يفيض منهُ يستعمل لحلّ المياه الى اوكسجين وهيدروجين. لان هولداين يقول إن الهدروجين السائل افعل الوسائل لخزن القوى

وقد استنبط الدكتور انطون فلتنر الالماني استنباطاً جديداً لاستخدام قوة الريح في تسيير السفن ومدار استنباطه اسطوانتان طول كل منهما مائة قدم وقطرها ١٠ اقدام يقيمها في السفينة وتديرها الآلات التي في قعرها بمتوسط مائة دورة في الدقيقة فاذا هبت ريح ولطمت هاتين الاسطوانتين حين دورانهما سيّرت السفينة في جهة

عمودية لجهة هبوبها وكانت قوة الريح اربعة اضعاف ما تكون اذا نفخت في شراع .
ويستطاع التحكم في تسيير السفينة بتغيير الاتجاه الذي توجه اليهِ السفينة وبتغيير دوران
هاتين الاسطوانتين كما يستطاع التحكم بتسييرها بتغيير وضع الشراع اذا كانت شراعية

وليس الغرض من هذا الاستنباط ايجاد وسيلة جديدة لتسيير البواخر بل الاستعانة بهِ حين هبوب الريح على الاقتصاد فيما يوقد فيها من الفحم وقد بنيت في المانيا وانكلترا عدة بواخر من هذا القبيل

وتُجرَّب التجارب الآن لاستخدام الريح على هذا المنوال لتدوير الآلات البخارية وتوليد النور والحرارة بنفقات زهيدة في البلدان التي يندر فيها الوقود

وفي الوقت نفسهِ زعم احد اساتذة مدينة بتروغراد أنهُ اخترع آلة تدور بقوة الشمس مباشرة — ولعلها ثمرة لتوسعهِ في التجارب الكيماوية التي باشرها الدكتور كوبلنتس Coblentz احد علماء قسم المقاييس بالولايات المتحدة الامريكية وهو الذي انتج مقداراً صغيراً من القوة الكهربائية بتعريض بعض العناصر الكيماوية لضوء الشمس داخل زجاج ملوَّن

والغاية من كل هذه المباحث الخاصة بالقوة هي الغاية القديمة نفسها التي من شأنها تعزيز قوة الانسان الفردية واستبدال الوسائط الميكانيكية بها استبدالاً يمكنهُ من جمع المال وتوزيعهِ في زمن اقصر من الزمن الذي كان يستغرقهُ حتى الآن فيخفف اعباء التعب البدني التي يتجشمها ويتسع امامهُ الوقت للهو والسرور والرياضة ويتاح لهُ توثيق عرى الالفة بين الطوائف البشرية

فهل زيادة القوة الميكانيكية ينشأ منها فعلاً رخاء الجنس البشري؟ وهل هي تخفف من وطأة الجهاد لاجل البقاء؟ او هل هي تذكي نار الجهاد والتنافس بين صناع الآلات في العالم؟

التراسل الفكري

ولقد ارتقت وسائل المواصلات ارتقاءً مطّرداً فقصّرت الابعاد الشاسعة وقربت الممالك بعضها من بعض وقد صحبها في العهد الاخير اتقان وسائل المخاطبات التي جعلت التراسل الفكري بين الشعوب المختلفة في حيز المألوف من شؤون العمران . وفي ذلك كما في غيرهِ كان للعلماء والمستنبطين ابلغ اثر في تجهيز الحضارة بما يغيّر معايش الناس واحوالهم الفكرية وعاداتهم الاجتماعية وملاهيهم تغيراً يضاهي التغيير الذي طرأ على احوالهم المادية

ومع ذلك نحن واقفون عند مطلع عصر جديد وقد بدأنا فقط ندرك طرفاً من العجائب التي كشفت حديثاً — العجائب التي لو ظهرت في العصور الخالية لعدها الانام معجزات . وبها اخذنا ننتقل من عالمنا المادي الى عالم بعيد عن المادة — الى مقدس القوى الازلية

قد يكون غلوًّا في الاطناب وصف استنباط يطلق عليه اسم الراديو او اللاسلكي ونراهُ كل يوم في دورنا ودور جيراننا هـذا الوصف . ومع ذلك نقول ان في هذا الاستنباط قوة سوف تغير قوى الانسان المفكرة ، اذا ما استطاعت قوة في الوجود تغيرها . ان المستنبطات اللاسلكية ظاهرة فذة من مظاهر القوة الجديدة التي ستمكن الانسان من السيطرة على الحياة الى حدٍّ لم يخطر لهُ في الحلم — هذا اذا تمكن من الانتفاع بها — بل انها مثال آخر من امثلة قوة الجواهر الفردة او نموذج من نماذج تحرك الالكترونات تحركاً ازليًّا — او هي صورة من صور اشعاع القوة التي ترى العلماء مكبّين على استقصائها في كل اشكال المادة

وقد فتح اللاسلكيّ للجهلاء والاميين ميداناً جديداً من ميادين العلم الواسعة كما اكسبهم عواطف اسمى مما كان لهم في سابق حياتهم اذ صير البلدان والافكار متصلة بعضها ببعض . ويجب الاّ نغض من مبلغ التأثير الذي احدثهُ الى الآن في الافكار البشرية اسلوب اذاعة الانباء بالطريقة البرقية اللاسلكية التي انتشرت في بلدان اوربا واميركا وأملنا ان تجعل هذه الاذاعة في المستقبل اقل ابتذالاً مما هي الآن عند بعض مرسليها

ومع ذلك ليس الصوت الذي يخرج من حنجرة المتكلم الجهير ولا ذكاء المتكلم او الخطيب او المغني هما ما يجعل اللاسلكيّ عجيبة من عجائب الدهر ، بل العلم بأننا نملك اداة لنقل الافكار نقلاً قريباً من الاسرار الخفية عدّ المخلوقات البشرية بقوى تكاد تفوق ادراك العقل لانها ارفع مما وصل اليهِ العالم المادي الذي كنا نعتقد قبلاً اننا درسناهُ وعرفنا اسرارهُ وخفاياهُ

بيد اننا ما زلنا في فاتحة هذا العلم الحديث والعلماء يعدّون وسائل مختلفة يتقنون بها استخدام اهتزاز الجواهر الفردة فيستعملون الحرارة ، والضوء ، واهتزازات الصوت ، وسائل للتغلب على الوقت والمسافات . ثم ان نظام الشعاع الذي اخترعهُ ماركوني للتليفون اللاسلكي قد اجتاز دورَ التجربة والامتحان وتعداهُ الى دور التطبيق العملي فمن الممكن الآن حصر الاشعة اللاسلكية الاعتيادية وتوجيهها في جهة معينة

بنظام من شأنهِ عدم ضياعها هدراً عند ما ترسل من انكلترا الى كندا او استراليا فيمكن استقبالها فقط في منطقة ضيقة فيجتنب توزيع الامواج الاعتيادية توزيعاً عاماً في العالم . وهذا ما يفضي الى استعمال قوة أقل في الجهاز المرسِل والى زيادة الجلاءِ في الرسائل الملتقَطة . وقد قال مدير ادارة شركة ماركوني انهُ لا توجد صعوبة ما تحول دون انشاء نظام تليفون لاسلكي ، في هذه السنة ، بين بريطانيا العظمى وكندا وغيرها من املاك التاج البريطاني

هذا وقد اسفرت التجارب الحديثة التي جربت في اسلوب « البيم » اللاسلكي بين تغري جريمسبي في انكلترا ، وملبورن في اوستراليا عن نتائج باهرة وبذا يتمكن جُمَّاعُ الناس في ربوع الامبراطورية كلها من محادثة بعضهم بعضاً بسهولة ووضوح كما يحادث الواحد الآخر بالتليفون في المدينة نفسها او القرية عينها

فاذا ما حُقّق هذا الامر في الامبراطورية البريطانية تحقق أيضاً مثلهُ في الولايات المتحدة الامريكية وغيرها من ممالك العالم فتصير ذات نظام تليفوني واحد عام ينطوي على ملايين من المحادثات التي تقطع بعضها بعضاً في الفضاء في كل جهة

وقبلاً تمكن الناس من محادثة بعضهم بعضاً بالامواج اللاسلكية الاعتيادية فيما بين الولايات المتحدة الامريكية وانكلترا ، وللآن كما يقول المتهكمون ، ما من احد في أي جانب من جانبي الكرة الارضية استطاع ان يقول شيئاً جديراً بالذكر يعادل سعر المحادثة . ثم ان الآلة المستعملة للمخاطبات أشد غرابة من ذكاء الانسان نفسهُ الذي يستعملها

ولكن ، ايقف هذا الذكاء البشريُّ عند مستواه الحاضر ؟ وهل تتغيَّر الاخلاق بتأثير التواصل بين فكر وآخر ، وبين امة وأخرى ؟ هذا ما لا يمكن التكهن بهِ

وقد يأتي يوم يتمكن فيهِ احد الناس ان يقول ما هو حريٌّ بالقول وجدير بأن تسمعهُ المسكونة طُرّاً راجية رجاءً جديداً في حسن مصير البشرية . او على الاقل شاعرة شعوراً جديداً بالحكمة . وانا لنرجو الاَّ يكون ذلك القول انذاراً يهدد بدنو الدينونة !

تقدم الرؤية عن بعد

وما عمّ اختراع السمع عن بعد (اي التلفون اللاسلكي) ان ظهر في حيز الوجود حتى عقبهُ الامل باتمام اختراع آخر وهو (الرؤية عن بعد) — ويسمى التليفيزن وقد عرّبناهُ تلفزة والفعل تلفَزَ والآلة تلفاز — وبهِ ينتظر ان تذاع اقوال الناس وصورهم

في وقت واحد فيرى المرء الاشخاص ويسمع حديثهم وهو جالس في داره ، مما جعل احد العلماء يشتق لذلك الاختراع لفظاً سمَّاهُ بهِ وهو — أوريفزن — أي الرؤية بالاذن او السمع بالعين

وبعد مضي ٢٥ سنة من اليوم كما يقول المستر تشاتان Mr Chattan سوف تصنع آلات (الاوريفزن) من حجم واحد وشكل متجانس تنطوي كل آلة منها على جهاز عملي قد لا يُستَغنى عنهُ في اكثر البيوت — وسوف تكون آلة الاستقبال مركبة في الدار بحيث لا ترى وتمتد منها ادوات جهيرة الصوت متوارية عن الانظار في غرف السكنى وهذه الادوات الجهيرة الصوت تقوي كلَّ الامواج الصوتية التي يمكن للاذن سماعها وتعيدها كلاماً مفهوماً او موسيقى شجية من غير ان تشوهها

وآلة الرؤية عن بعد — التلفاز — تسجل بأمانة وبألوان طبيعية فصول الحوادث الرائعة وشُرُط التصوير الشمسي (الفلم) والصور وما شاكلها على ستار شفاف يُعَدّ خصوصاً لهذا الغرض ويركب تركيباً فنيًّا فيصبح كَلوْح من الواح الحائط في كل دارٍ

ولعلَّ ذلك الاختراع يبدو لنا ارفع مكانة من الالاعيب التي يلهو بها الصغار لانهُ يجعل العالم المنظور قريب المنال منا في قاعات الاستقبال فنتمكن من رؤية تمثيل الممثلين وسماع اقوالهم في حال قيامهم بها على بعد الوف من الاميال . وهذا مما يفضي حتماً الى تغيير ما نفهمهُ الآن من مقاييس الزمان والمكان . وليس هذا من قبيل التنبؤات بالحوادث البعيدة الوقوع بل من النتائج التي ستنتج من اجتهاد العلماء ومثابرتهم على التجارب التي لا بدَّ ان تظهر ثمراتها في القريب العاجل

وقد أعلن السناتور ماركوني إعلاناً ادهش الملأ وذلك عند اجتماع جمعية شركتهِ العمومية وفحواهُ انهُ احرز نتائج باهرة في المباحث التي قصد بها الى استنباط نظام لاسلكي يمكنهُ من ارسال الصفحات المكتوبة كما ترسل الصور الفوتغرافية لا كما ترسل التلغرافات العادية كلمة كلمةً فيقتصد بذلك وقتاً وقوة

اما المستر بايرد وهو اول من مهد الطريق في انكلترا للرؤية عن بعد فقد قام بعرض صور كثيرة استطاع نقلها نقلاً خاصًّا مستعجلاً

ومخترع نقل الصور بالتلغراف هو الدكتور الكسندرسون ولكن اختراعهُ يستعمَل لنقل الصور الساكنة فقط. اما جهاز الرؤية عن بعد فاسرع منهُ نقلاً بعشرين الف مرة . وهذا مما يجعل نقل المرئيات المتحركة في مقدور الانسان

ومن المدهش أيضاً بشأن هذا الاختراع العجيب انهُ يحلل الصور الى أمواج صوتية — لان لكل شيء من المرئيات صوتاً خاصًّا بهِ عند ما تصل اهتزازاته الى الغشاء الحاجز في الميكروفون . ولبعض الوجوه البشرية عند ما تتحلل الى امواج صوتية أنغام مزعجة واضحة . وهذا مما يتوقعهُ الانسان طبعاً — كما ان البعض الآخر من الوجوه يولد أنغاماً شجية . وبناء على ذلك يرى المستر بايرد انهُ في الامكان صنع أساطين جراموفون لوجه انسان يريد ذلك فتدوَّن اهتزازاتهُ الصوتية في الشمع ثم تحوّل الى مرئيات يهون نقلها بجهاز الرؤية عن بعد

وهذا الاكتشاف سيقلب صناعة الفلم رأساً على عقب إذ في المستقبل القريب يضحى نظّارة دور الصور المتحركة وفي وسعهم رؤية حوادث التاريخ المعاصر برجالها ومشاهدها كما تحدث على بعد ألوف من الاميال .

وهذا مما يؤول الى انقلاب كبير في انشاء الصحف لان الانسان اذا قصد الى لوح التلفاز في غرفتهِ المخصصة للمطالعة أو في قاعتهِ الخاصة باستقبال ضيوفهِ استطاع إبصار حوادث العالم وسمع أخباره في حال حدوثها . وحينئذٍ تنحصر فائدة الجرائد في كونها تظل سجلاً خالداً للحوادث قريب المنال وتذكرة لما غبر من الوقائع التي مرَّ عليها البصر وقرعت السمع مع ما يستوجبهُ ذلك من تعقيبات وشروح

ويعنُّ لي ان تأثير الكلمة المكتوبة ربما يزول إذ من المحتمل أن الرجل العامي الذي يرى انهُ يملك كثيراً من وسائل التراسل الحسي والمعنوي مع جهات العالم المحيطة بهِ قد يجد الجريدة اليومية على مائدة فطورهِ شيئاً تافهاً وما فيها من الانباء قديماً لانهُ يكون قد شاهد الحوادث نفسها حال حدوثها

وقد عانينا شيئاً من هذا القبيل في غضون الاضراب العام الذي وقع في انكلترا سنة ١٩٢٥ . وتفصيل الخبر انهُ في بدءِ ذلك الاضراب عند ما انقطعت الجرائد عن الظهور سادت الكآبة على النفوس إذ احسَّ كل قارىء انهُ في عزلة عن العالم فصار كل امرىءٍ في قطيعة من اخوتهِ . وكانت الحوادث الموجبة لليأس تقع بين ظهرانينا دون علمنا كأننا لا نكترث لها ولا يهمنا أمرها كما لو كنا رجعنا القهقرى الى العصور الاولية حينما كان الانسان لا يدري شيئاً من حوادث العالم . واستمرت الحال على هذا المنوال فشعرنا بتلك الوحشة اشد شعور حتى قيّض الله لنا شركة الاذاعة اللاسلكية البريطانية

فأنشأت تذيع لنا الانباء اليومية في اوقات معينة وكان رسولها في عملها المكروفون وهو الآلة التي تقوي الاصوات حين اذاعتها فرأينا إذ ذاك على كل دار صارياً من صواري المحادثات اللاسلكية

أما الآن فمتى تقدم اختراع الرؤية عن بعد وبلغ غايتهُ من الاتقان أصبح لا يصبو الى القراءة الاّ عقول الشيوخ وكبار العلماء الذين لا تخدعهم مظاهر المدنية الحالية. ومن المحتمل ان ذلك يقضي علينا نحن الادباء ومؤلفي الروايات والصحافيين—فمن ذا يا ترى يكون لهُ حينئذٍ متسع من الوقت يمكنهُ من قراءة ما نكتبهُ لهُ في مصنفاتنا بينا تكون الحياة كلها سائرة هذا السير السريع

واذ ذاك تصير الخبرة التي لم نكسبها نحن ولم يكسبها اجدادنا الاّ في عمر طويل من التجربة والمرانة رهن الطلب يظفر ابن العصر بخلاصتها في ساعة او ساعتين من وقته

ومن ذا الذي يهوى حينئذٍ قراءة الروايات أو مطالعة التواريخ اذا ما كان في قدرتهِ الذهاب الى أماكن وقوعها بالفكر والبصر ومشاهدة حوادثها

اذن يرجح بتوالي الزمن أن تزول من العالم معرفة القراءة والكتابة متى أمسى الانسان قادراً على مخاطبة غيرهِ والاصغاء لهُ بسهولة وهو في سحيق الاقطار

ولعلَّ هذه المخترعات الحديثة تقتل الثقافة الموروثة من العصور الغابرة فنفقد بفقدها الشغف بالماضي وما لهُ من الآداب والفنون لان الحاضر سيفيض علينا بآلاف من المرافق الجديدة والملاهي الحديثة والعجائب العصرية. والمستقبل لهُ اثر فعّال في استهواء النفوس وتشويقها

وقد جرى هذا قبلاً — فقد حلَّ اختراع اذاعة الاخبار بالوسائل اللاسلكية من تلغرافية وتليفونية محل القراءة في كثير من البيوت حيث كان افراد تلك العائلات يكبون على مطالعة الكتب في ليالي الشتاء الطويلة. أما الآن فقد تغيرت الحال وغدت دور الصور المتحركة خصماً لدوداً للمكتبات لان الرؤية أسهل بكثير من القراءة وهجر القراءة جملة اذا لم يحصل بعد غدٍ فانهُ سوف يحدث في المستقبل القريب

الرؤية في الظلام

وما زال العلاَّمة بارد مواصلاً تجاربهُ في الاشعة الخفية الكامنة وراء الاشعة الحمراء في الطيف الشمسي التي لا تراها عين الانسان. بيد انهُ يقول ان هذه يمكن اظهارها

على الواح فوتوغرافية تُعَدُّ باسلوب خاص لهذا الغرض فيتسنى بذلك رؤية الاشياء في حلك الظلام

وهـذا يذكرنا برائع نبوءة ملتون الشاعر الانكليزي في قصيدته (الفردوس المفقود) اذ يقول « ان هذه الشعل تنير الظلماء بالاضياء »

وفضلاً عن الاستضاءة بهاته الاشعة في الظلمة فانها تخترق غياهب الضباب فيتاح للطيارين استخدامها كما يتيسر لربابين البواخر الاستعانة بها على اكتشاف مواقعهم عند ما يخيم عليهم الضباب

ولا بدَّ ان تظهر لها منافع اخرى في اثناء الحرب — اذا دارت رحاها مرة اخرى — وعند ذلك يتمكن الجيش المحارب من تعيين محل عدوهِ ولو توارى هذا العدو وراء سحابة من الدخان

وما فتىء العلماء المخصصون للحرب جادّين في البحث محاولين استخدام الاهتزازات اللاسلكية في ادارة آلات الحرب المدمرة التي لهم او في تعطيل امثالها عند خصمهم

وفي هذا الصدد يقول احدهم وهو الاستاذ (لو) « اننا لواثقون من الظفر باختراع دبابات تدب على الغبراء وغواصات وطرابيد تخترق الماء وطيّارات تحلق في الهواء بحيث نتحكم بها عن بعدٍ بامواج لاسلكية .... هذا وفي الطاقة الآن ان تستخدم الطيارة طوربيداً وتوجههُ بانتظام ثم تقذف بهِ الى هدفهِ فيستطيع قائد الطيارة وهو على بعد عدة اميال من ذلك الطوربيد ان يوصى الى طوربيدهِ بإنفاذ ما يبغيهِ من التدمير بكل احكام »

والعلامة ماركوني موقن بان نقل القوة بنظام « بيم » ليس بعيداً عن الامكان ولو الى مسافات متوسطة على الاقل. فاذا تحقق هذا الامل فتح لنا ميداناً جديداً لاستخدام القوة اللاسلكية في اعمال ميكانيكية عديدة . وقد يسهل على هذا المثال اذاعة القوة من المحطات المركزية الكبرى فتستعملها المصانع وتستغني بها عن استعمال الفحم الحجري والزيت المعدني والماء

ولا بدَّ ان يترتب على ذلك انقلاب خطير في الحياة الاقتصادية في العالم . وعند ما يتم ذلك بتجربة واحدة خطيرة تغدو المنافسة الدولية للحصول على المصادر الحالية لانواع القوة كالفحم الحجري سخافة لا يعبأُ بها

الدكتور صروف مؤرخا

لما كان علم التاريخ يرتكز على دعائم كثيرة اهمها علم الآثار القديمة وعلم النقود وعلم الخطوط وعلم أصول الشعوب وانسابها وعلم وصف المعيشة قبل التاريخ وعلم الاشتقاق اللغوي واشباهها وجب ان نرسل لمحة عامة في مباحث المقتطف التي اهتم بنشرها المرحوم العلامة الدكتور يعقوب صرُّوف احد منشئي هذه المجلة المحبوبة ولاسيما ماكان من تعريبه وانشائهِ . ومن هذه المقدمات نستنتج الحقيقة فيما اذا كان مؤرخاً — فلنشرع بهذه الاستقراءات

(اولاً) من هو المؤرخ ؟ هذا سؤال اجوبتهُ كثيرة ولكننا نقتصر منها على ما يأتي (١) العلوم التي يحيط بها (٢) امانتهُ في نقل التاريخ وتجردهُ لهُ (٣) زكانتهُ وبعد نظرهِ فيهِ (٤) اسلوبهُ الكتابي (٥) تفننهُ في تنسيقهِ وتبويبهِ

اذا نظرنا الى المقتطف في أوائل عهدهِ واستقرأنا مباحثهُ التاريخية الى آخر ايام المؤلف في خدمتهِ رأيناهُ يستقرئ الحفريات الاثرية ويصف عادياتها ويقتبس اخبارها من مصادرها الاصلية بصورها الرائعة حتى انك لتستخرج من المقتطف كتباً في علم الآثار ولاسيما آثار مصر التي كان يطوف بنفسهِ ليشاهدها ويكتب عنها كما مرَّ في ترجمتهِ المطولة في (مجلتنا الآثار) في المجلد الرابع منها[1] ولم تكن ابحاثهُ في النقود القديمة وتواريخها وانواعها وصورها وما يسكُّ منها حديثاً وما يتعلق بها [2] باقل تقصياً في التنقيب والوصف وضعاً وتعريباً . وكذلك علم الخطوط باللغات المختلفة ولاسيما لغتنا العربية [3] فانهُ كتب فيهِ مقالات جليلة الشأن

وهكذا الحال في علم اصول الشعوب وفروعها وانسابها وتواريخها واخلاقها وعاداتها ولغاتها[4] من قديمة وحديثة ومدنية وهمجية وشرقية وغربية معتمداً فيها على اسدّ الآراء واحدث العلوم ناظراً في اقوال من تقدمهِ وممحصاً كثيراً منها ومنتقداً ما شذَّ منها عن القاعدة الصحيحة ومترجماً مشاهيرها

(١) المقتطف ٤ : ١٩٣ و٣١٨ و٨ : ٢٦٥ و٣٠ : ٨.٦٥ و٤٥ : ٢٨ و٤٦ : ٤٣٤
(٢) راجع مجلة المقتطف ٤ : ٢١٤ و٨ : ٨٩ و٥٩ : ٥٢٩ الخ
(٣) المقتطف ٤ : ١٨٥ و٦ : ٣٣ الخ
(٤) المقتطف ٤ : ٨٩ و٦ : ١٩٥ و٨ : ٣٣ و٤٥ : ٣٢١ و٤٧ : ١٦٣

اما وصف شؤون الشعوب قبل التاريخ [١] ففيهِ مقالات جميلة المقاصد نبيلة الاغراض جزيلة الفوائد جليلة الشؤون وكذلك في اصول الانسان وتحقيق ما ذهب اليهِ النسابون [٢] والمؤرخون فتراهُ يزيّف الآراء الواهية ويدعم اقوالهُ باصح الابحاث وامثل التنقيبات حتى يكشف القناع عن الحقائق الوهمية ويميز صحيحها من فاسدها وراجحها من مرجوحها

ولكنهُ مع كل تفرعات مباحثهِ وتوسعهِ في فنون الصحافة ، التي خُصَّت بها المجلات الكبيرة ووقوفهِ على ما يكتبهُ ارباب المجلات الاجنبية الكبرى ومكاتبوها قداً بقى لنفسهِ حصةً وافيةً من تحليل الالفاظ وفقه اللغة والاوضاع وارجاع الكلمات الى نصابها واصابة الرأي بمعرفة مظانها [٣]. فابدع في ما انشأ او ما اختارمن الكتابات والمعرّبات الى غير ذلك مما لا محل لتفصيلهِ الآن فنترك الحكم فيهِ لمطالعي المقتطف وكلهم من العلماء الاعلام والادباء العظام

ولا عجب اذا اجاد صرُّوف في هذه المباحث وقد تضلّع من العلوم على اختلافها واتقن اهم اللغات القديمة والعصرية ووقف على متفرق المؤلفات العربية والاعجمية فمحّص وحقق ونقّب وراجع وبحث وزيّف او وافق الى ان انجلت لهُ الحقائق ، المعروضة امام نظرهِ النقّاد وجَلَدهِ العظيم وبحثـهِ الكثير وتتبعهِ الدائم . فان كبار المجلات والصحف والمؤلفات التي تلفظها لهوات المطابع الاوربية والاميركية والشرقية كانت تلقى بين يديهِ يقلّب صفحاتها ببصيرة وتدقيق ويزن اقوالها بعيار الحكمة والتحقيق ويقتطف منها (لمقتطفهِ) اطيب ثمارها فلا يخالف بين ما اختارهُ وما كتبهُ بقلمهِ فيوفق بين الذوقين الشرقي والغربي ويهتم بالنقد التاريخي [٤] الذي هو اليوم دعامة العلم الصحيح المسمى (بفلسفة التاريخ)

فهل كان الدكتور صرُّوف بعد هذا مؤرخاً ؟

لا نشك ان صروفاً كان مؤرّخاً محققاً عارفاً باصول هذا الفنّ مستقرياً لفروعهِ

---

(١) المقتطف ٨ : ٤٢٢ و٤٤ : ٣٤٤

(٢) المقتطف ٤٤ : ٤٧١ و٣٥ : ١٢٢١ و٦٥٨

(٣) راجع المقتطف ٣٥ : ٧٠٣ و٧٠٤ و٣٨ : ٢٣٠ و٤٤٢ و٤٦ : ١ الخ

(٤) راجع المقتطف ٥٣ : ٦٩٢ و٦٩٩ و٩٠٧ و١٠٧٨ و٣٨ : ٩٠ و٢٣٥ و٤٤٢ و٤٤ : ٤٠١ و٤٩ ; ١٨٧ و٥٩ : ٢٩٩ و٣٠ : ٩٢٧ و١٠٢٥ و٣٣ : ٨٦٢ و٣٤ : ١٩٠ و٦٠٢

واليك الآن بعض الادلة التي ندعم بها قولنا . قال في المجلد الثلاثين من (المقتطف) في كلامهِ عن (تاريخ التمدن) لزميلهِ المرحوم جرجي بك زيدان المؤرخ المعروف في الصفحة ١٠٢٧ ما نصهُ :

« والكتاب على هذا النسق من جمع زبدة القضايا التاريخية وتبويبها حتى صار بها تاريخ العرب معقولاً على نوعٍ ما . ولكن لا يزال فيهِ كثير مما لا يكاد يصدقهُ عاقل . وحبذا لو زادنا المؤلف من المقابلة بين ما فيهِ وما في تواريخ الامم المعاصرة للعرب ونبه على كل ما لا يحتمل وقوعهُ منهُ فان التحقيق والتمحيص لازمان كالجمع والتبويب ان لم يكونا الزم منهما ولاسيما في تاريخ نصفهُ منقول عن ألسنة الرواة » انتهى — وفي كلامهِ هذا ما يدلُّ على كلفهِ بفلسفة التاريخ التي تردُّ الاشياء الى المعقولات والممكنات

وفي (المجلد الرابع والثلاثين) الصفحة ١٩٠ — نقد كتاب (مشهد العيان) واشار الى انهُ قد وقف على اصلهِ للعلامة الدكتور مخائيل مشاقة الشهير فوجد طابعيهِ قد تصرفوا بهِ تصرفاً مخلاً لانهم ذكروا اشياء لا اهمية لها وحذفوا اشياء مهمة

وهو قول سديد يدل على مبلغ تقصّيهِ في البحث وتحقيقهِ وقرظ في هذا المجلد في الصفحة ٦٠٢ كتاب (معجم الادباء) لياقوت الرومي (الجزء الثاني) واقترح وضع فهرس لترتيب اسماء الاعلام بحسب شهرتها كالميداني في حرف الميم والجوهري في الجيم وهو اسلوب عصري يسهل البحث على الطالب

ومن ادقّ ابحاثهِ التاريخية التعليل عن تسمية (النحو) بمقالة شائقة في الصفحة ٢٣٥ ومجلد ٣٨. وان يحيى تصحيف يوحنا واستشهد بكلامهِ بعض العلماء منهم المرحوم العلامة الاب لويس شيخو اليسوعي في مجلة (المشرق) ١٦ : ٥٤

ولا بأس من ايراد كلامهِ الذي نقلهُ في المقتطف (٥٩ : ٢٩٩) سنة ١٩٢١ جواب سؤال — فقال ما خلاصتهُ :

«فاتبتنا ببحث بضع دقائق حقيقتين جديدتين (الاولى) ان (يوحنا) النراماطيقي هو غير يوحنا المؤرخ اسقف (نحو) ولو خلط بينهما ابن النديم وغيرهُ من الكتاب الذين سبقوهُ والذين لحقوهُ حتى كتاب الافرنج

« و (الثانية ان كلمة (نحو) او (نحو) هي اسم بلد في مديرية المنوفية في القطر المصري كان يوحنا المؤرخ اسقفاً عليها . وان العرب الذين سموا علم قواعد اللغة (نحواً) سموهُ كذلك ظنّا منهم ان الرجلين رجل واحد . وان اللقب الثاني مرادف معنىً

للّقب الاول تحريف غراماريا Grammaria اللاتينية واليونانية بمعنى (كتب) (انتهى)

وهذا برهان آخر على عنايتهِ باشتقاق الالفاظ وصحة توجيهها اللغوي المعقول

وعند وصفهِ آثار (فلسطين وسورية) في المجلد الثاني والستين والصفحة ٢٥ ذكر ما اسرّهُ اليهِ المنقب الاثري المرحوم ادمون دوريغللو سنة ١٨٧١ عن محلٍّ توجد فيهِ آثار مهمة بين صور وصيدا لانهُ اكتشفها وسدَّ مغارتها لتحفظ في البلاد (المقتطف ٦٢ : ٢٧)

ومما ينبئ بركنهِ للتاريخ واللغة وموافقتها ايضاً قولهُ في جواب سؤال في (المقتطف ٦٤ : ٤٧٣) عن اصل لفظة مصر الافرنجية والعربية وهو :

« الكلمة الافرنجية مأخوذة من اليونانية اجيبتوس Aigyptos، والمظنون ان الكلمة اليونانية محرفة عن كلمة مصرية تلفظ (هكپتاح) اي مدنية پتاح وهي مدينة منف . والكلمة (مصر) العربية من كلمة (مَزَر) العبرانية ومعنا المسوَّر » اهـ

ومن هذا القبيل رواياتهُ التاريخية وهي (رواية فتاة مصر) وصف فيها تاريخ المجتمع المصري في مطلع القرن العشرين بعاداتهِ وازيائهِ واحوالهِ الاجتماعية والادبية والمالية طبعت ثلاث مرارٍ . و(رواية امير لبنان) في وصف لبنان في العقد السادس من القرن الماضي استرسل فيها الى ذكر ثورة سنة الستين الاهلية ومطامع الدول السياسية فيهِ

و(رواية فتاة الفيوم) وهي رواية عصرية تصف حالة مصر الاجتماعية والاقتصادية ومنزلتها التاريخية وآثارها النفيسة بقالب روائي

اما كتاب (سرّ النجاح) لصموئيل صميلز الانكليزي ففي تعريبهِ وتسميتهِ واضافة اشياء مهمة عن مشاهير العرب اليهِ براهين دامغة على ولعهِ بالتاريخ واحتفالهِ بتراجم المشاهير المهمة . وهكذا تجد في ما جمعهُ من المقتطف اخيراً في كتابي (اعلام المقتطف) و(الروّاد) ما يحلّي جيد التاريخ بعقود الفوائد الصحيحة وكثيراً ما كان يراجع لمقالاتهِ المعربة اقوال العرب القدماءِ او المحدثين فيستشهد بها ويضعها في مظانها . ويختار الرحلات المهمة العربية والاجنبية فيفيها حقها ولا يقصّر في نقدها وتذييلها بما يرفع الابهام او ينفي الاوهام

هذه لمعة مختصرة سئلتُ وضعها في هذا الموضوع المتسع الجوانب الكثير التشعبات وهي تعد من قطر ونقطة من بحر تجدّد لنا ذكرى الاسف على فقيد العلم والفضل المرحوم الدكتور صرّوف اثابهُ الله وحفظ اسرتهُ الكريمة خير خلف لخير سلف

زحلة (لبنان) عيسى اسكندر المعلوف

صاحب مجلة (الآثار)



المرحوم نور الدين بك مصطفى

امام الصفحة ١٩١

مكتبة شرقية نادرة

ونبذة من سيرة جامعها

نور الدين بك مصطفى

الموت نقاد على كفهِ جواهر يختار منها الجياد

في صباح يوم ٢٣ مايو سنة ١٩٢٨ اختار الله لجواره صديقنا المرحوم نور الدين بك مصطفى فانطفأ بفقدهِ مصباح من مصابيح العلم في مصر واندك صرح من صروح الفضيلة وركن من اركان النهضة العلمية. ففي ذمة الله ايها الصديق. فلقد كنت انس العلماء وكعبة الفضلاء ومرجع اهل الجد والنظر. كيف لا وقد كان رحمهُ الله كبير الهمة عظيم القدر. قوي العزيمة سليم الطوية غزير العلم كثير العمل لا يهدأ ليلاً ولا نهار فاثر ذلك في صحتهِ فاسرعت اليهِ منيتهُ في منتصف العقد الخامس من حياتهِ فصدق بذلك ظن ابي العلاء المعري اذ يقول :

ركوب النعش اسرع لابن دهر يريد الخير من قتب ومسرج

زرتهُ قبل وفاتهِ بايام فراعني ضعفهُ وآلمني مرضهُ وهو منهك القوى مكب على عملهِ المالي والعلمي فرجعت باللائمة عليهِ لاهماله الرياضة البدنية كالاعمال اليدوية والمشي في الخلاء فتبسم وقال افعل ان شاء الله وبعد ايام سألتهُ فاجاب قد فعلت وقد اضمر في نفسهِ قول جذيمة الابرص لقصير (رأيك من الكن لا في الضح)

وقولهُ ايضاً (لا يطاع لقصير امر) فذهبا مثلين. وقول ابي تمام

ملك يرى تعب المكارم راحة ويعدُّ راحات الفراغ متاعبا

وقول المعري

ان صح لي اني سعيد فليتني ضمني صعيد
صمت حياتي الى مماتي لعل يوم الحمام عيد

لم يعقه المرض عن البحث والتنقيب في الكتب والدرس والتحصيل فكنت في نصحي لهُ ناهجاً منهج المثل المشهور (ان المنبت لا ارضا قطع ولا ظهراً ابقى) وكان في نفسهِ ناهجاً منهج المتنبي اذ يقول

على قدر اهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكرام المكارم

ومنهج المثل «اماهلك واماملك» ومهيع امرئ القيس اذ يقول :

بكى صاحبي لما رأى الدرب دونهُ وايقن انا لاحقان بقيصرا
فقلت له لا تبك عينك انما نحاول ملكاً او نموت فنعذرا

لقد كانت صداقتي لهُ رحمهُ الله اساسها العلم . والصداقة العلمية أثبت اساساً واقوى ركناً واوفى عهداً وادوم مودة واعلى شأناً لذلك اردت ان اذكر شذرة من تاريخ حياتهِ وما آثرهِ العلمية والادبية لان لسير العاملين في اخلاق الناشئين اثراً وفي صحائف اعمال الآباء للابناء مدّخراً

وانما المرء حديث بعده فكن حديثاً حسناً لمن وعى

سيرته

ولد المرحوم في مدينة (اوخرى) من بلاد مكدونيا سنة ١٨٨٣ ودرس فيها الدروس الابتدائية و لتلك البلاد مناظر جميلة فاثرت في نفسهِ روعة مناظرها وسحر ازاهيرها. وبهجة مزارعها البهية .واشجارها الباسقة وانهارها المتدفقة وطيورها المغرّدة فرسمت على لوحة قلبهِ صور تلك المناظر فاوحت الى عواطفهِ حب الشعر وجمال الطبيعة وانوار هذا الوجود . تلك هي المدرسة العليا التي يتربى فيها النابغون من نوع الانسان ثم سافر الى (مناستر) فتلقى هناك الدروس الثانوية ثم سافر الى الاستانة ودرس بمدرسة الحقوق في تلك العاصمة وتخرج فيها بدرجة الامتياز وفي سنة ١٩٠٣ حضر الى مصر وفيها تزوج وانتظم في سلك جمعياتها العلمية والادبية فمن ذلك (الرابطة الشرقية) وقد كان فيها مناراً يهتدى بهِ ومن اعظم الاعضاء العاملين بها و(المجمع اللغوي) و (جماعة التعليم الشرقي الاسلامي) وسبب هذه الاخيرة انهُ قدم الى مصر الشيخ حسن بن احمد العطاس من بلاد الملايو بمملكة جهور بهارو وطلب مني ان اسعى في تشكيل لجنة في مصر لبذل النصح لتلك الاقطار في ان يجمعوا المال ويفتحوا المدارس فاجبت طلبه .

واجتمع الاخوان فشكلوا لجنة معي وكان الفقيد واسطة العقد ونبراس الهدى واقوى عضد لي فيها وبقيت اللجنة مثابرة على عملها الى الآن ولكن انحصر عملها في ارشاد الطالبين الذين يحضرون لتلقي العلم بمصر

﴿آثار الفقيد في اللغة﴾ منها دائرة المعارف التركية بيّض منها (حرف ا) بمقدار خمسة اجزاء كبيرة خلاف الصور ووصل الى حرف صق بالمسوَدَّة الكاملة ووصل الى

النهاية بمسودة مختصرة ولهُ مقالات كثيرة في جريدة اقدام التركية عن العشرين الكلمة التركية التي عجز عن تفسيرها اعظم علماء الترك وحاز في نتيجة ذلك لقب الامام الاعظم في اللغة التركية ولهُ مقالات علمية نشرت في جريدة الاهرام مثل النيل — الذئب الابيض ولهُ شعر في كل من التركية والفارسية والعربية

وليس يتسع المقام لذكر ما كان يعرفهُ من فروع اللغات الكثيرة التي لها صلة بهذه اللغات كالمامهِ بالشركسية والبلغارية والمغولية وغيرها وانما الذي يجدر ذكرهُ الآن ما دار من الحديث بينهُ وبين صاحب السعادة نائب سفير دولة ايران اذ توجهت معهُ في العام الماضي لرد الزيارة اليهِ مرتين ، مرة في السفارة ومرة في منزله فكانا بحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وكان من حديث الفقيد ان قال انني لما وجدت ان رباعيات عمر الخيام قد ترجمها الناس من الانجليزية الى العربية والانجليزية مترجمة عن الفارسية ايقنت انني بما لي من المعرفة بالفارسية يجب عليَّ ترجمتها نظماً ولقد علق بذهني من ذلك المجلس هذه الابيات

اكسرت ربي اناء خمري   وهدمت ربي بناء عمري
افبعد شربي يثور غيري   الويل لي اعداك سكري

والخطاب في البيت الثاني للغير لا لله

ومن الرباعيات ما قالهُ المرحوم ايضاً من نظمه المترجَم

لك الشكر مني يُزوِّدُ منَّكْ   فكيف اعيش لاقضيَ دينك
فعالي سوء فتجزى بسوء   فما الفرق يارب بيني وبينك

ومنها : ثور يقال بانهُ تحت الثرى   فكذاك ثور في النجوم منورا
انا ما رأيتهما ولكن في الورى   آلاف حمر صرت بينها ارى

وهذا النظم فيهِ معانٍ لم ترد في الرباعيات المترجمة من الانجليزية فيحسن نشرها بتمامها وعسى ان يُعنى بذلك ورثته الفضلاء

المكتبة النورية

وهي اعظم مكتبة في العالم من حيث الفنون الجميلة الشرقية وهو المؤسس لها وفيها نحو (٢٠) الف كتاب ثلاثة ارباعها من المخطوطات والآثار اليدوية المتنوعة ومنها اكثر من مائتي مصحف لاكبر الخطاطين والنقاشين في الشرق وبعض قطع بيد ملوك

بني عثمان مثل محمود الثاني وعبد المجيد الاول واحمد الثالث وهكذا بعض ملوك ايران والافغان وتركستان ومصر وغزنه والمغول والسلجوقيين

وفيها شيء عجيب لا نظير له وهي صورة من التوراة بالقدس الشريف التي استخرجها ملك ايطاليا (امبرتو) ومنها آثار في علم الفلك غير مطبوعة تأليف عمر الخيام وفيها صورة فريدة في العالم للرسام الشهير (ماني) الذي اسس الديانة المانية والذي ادعى النبوة وقال معجزتي هي صوري وهذه الصورة وحدها قدرت بمليون ريال من احد اغنياء الاميركيين في حياة المرحوم . ومن اعجب ما سمعتهُ منهُ ما قالهُ لي قبل وفاته بنحو ثلاثة اشهر ما نصه: عندي كتاب بالفارسية فهاك اسمعك موضوعاته فلما سمعتها قلت هذا كتاب اخوان الصفاء بعينه فقال هو بالفارسية منسوب الى الفارابي مكتوب في القرن الرابع الهجري قلت واخوان الصفاء في نفس التاريخ ولكنهُ منسوب لغيره بالعربية ؟

ولقد انفق المرحوم في سبيل تلك المكتبة معظم ثروتهِ وربع قرن من حياتهِ القصيرة التي لم تدم اكثر من خمس واربعين سنة . هذه نبذة من حياة صديقنا نور الدين بك مصطفى ايفاء لبعض ما لهُ من حق الصداقة وحضًّا على اقتفاء آثار العاملين مثلهُ وتعريفاً بقدر الفن والعلم الذي ادخرهُ في مكتبتهِ . فهل ينافس ابناء الشرق الاسلامي اهل اميركا واوربا في حفظ تلك الذخائر ببلادهم حتى تكون مشرق علم ومنبع حكمة في بلاد الاسلام ام يتركونها كغيرها فريسة الاهمال فتهرب من الشرق الى الغرب ؟ ان الفرصة سانحة والشرق قد استيقظ والآمال اليوم اقوى منها امس والله لا يضيع اجر من أحسن عملا طنطاوي جوهري

[المقتطف] ينفق الاميركيون ملايين الجنيهات لشراء نفائس الآثار الفنية في انكلترا وغيرها من بلدان اوربا على ما بيناهُ في مقالة في هذا الجزء . وقد اخذ كتاب الانكليز يعيّرون ابناء قومهم لتهاونهم في جمع النقود لشراء هذه النفائس والاحتفاظ بها في بلادهم . ويظهر لنا مما ذكرهُ الاستاذ الشيخ طنطاوي جوهري في هذه المقالة ان مجموعة المرحوم نور الدين مصطفى بك تحتوي على نفائس فنية وعلمية كثيرة . فعسى ان تهتم الحكومة وان يهتم الاغنياء بشراء هذه النفائس الفنية وعرضها في دار الآثار العربية او متحف آخر قبلما يفوز بها الغربيون وينقلونها الى بلادهم

القار في الشرق الادنى

القار في بلاد الترك

في بلاد الترك اماكن عديدة فيها قار منها مدينة وان باعالي دجله ففي قلعتها عين ينبع منها القار . ومنها سُميّساط باعالي الفرات وفيها عيون من القار والمومياء ذكرها بلينيوس الروماني . ومنها مرسين على ساحل البحر الرومي وفيها حجارة يقطر منها النفط . ومنها لوقية المعروفة الآن باضالية وهي الى الغرب من مرسين وفيها اطمة يسميها الترك ينار طاش اي الحجر المتّقد وهي في جبل هناك تخرج منهُ غازات خلقية تتقد منذ ثلاثة آلاف سنة او اكثر وهو المكان الذي ذكر اليونان ان فيهِ ناراً دائمة لا تنطفئ تخرج من فم غول عظيمة سموها خيمارة وزعموا ان رأسها رأس اسد وبدنها بدن عنزة وذنبها ذنب تنين فكان منها أُسطورة الخيمارة المشهورة واشتقت منها بالانكليزية والفرنسية لفظة معناها خيالي او خرافي . ولفظة الخيمارة هذه فينيقية الاصل من حمارة بالفينيقية ومعناها متّقد قالهُ السر بُنفرتن ردْوُد

وفي العربية شيء مثل هذا في مادة خَمَر بالمعجمة وحَمَر بالمهملة ما يدل على الحرارة او الاشتعال منها خَمَر العجين اي ستره لكي تدبّ فيهِ الحرارة واختمرت الخمر غَلَت كذلك الخَمْر والخَمير والخَميرة . ومن مادة حَمَر الحَمَارّة بتشديد الراء وأُلحَمَارَة بتخفيفها والحَمرّ والحَمْراء وكله بمعنى شدة الحرّ في الصيف . والحُمْرة للون الاحمر وللداء المعروف ، وحَمِر الرجل تحرّق غضباً واحمرّ البأس اشتدّ او اضطرمت نار الحرب واستعرت . والحمارة حرة ببلاد العرب والحميراء مصغرة موضع قرب المدينة . وسيأتي ذكر الحَمارة والحُميراء والحرّة عند ذكر القار في جزيرة العرب

ولعل اصلح لفظة عربية للخيمارة اليونانية هي الحُميرة كما جاء في الياذة البستاني او الحُمَيراء مصغرة وبالحاء المهملة او الخَميراء غير مصغرة وبالخاء المعجمة او الحَمَارَة بالمهملة ولعل هذه اقربها الى الفينيقية واليونانية وقد تقدم انها حرّة في بلاد العرب

القار في الشام

القار في الشام ليس كثيراً بالنسبة الى العراق ففي جوار الاسكندرونة عيون منهُ كذلك في نواحي حلب وفي كسب وكُفريّة والخِربة وعمان والحُمّيس في جبال انطاكية واللاذقية . وفي عين زحلته وجزّين من اعمال لبنان . وفي جبل الضهر بين

الليطاني والاردن . وفي جبل الشيخ والحُمَر فيهِ مشهور . وفي سَحْمون وعين التينة على نهر الليطاني . وفي غور الاردن وبحر لوط وهناك آبار الحُمَر التي ورد ذكرها في التوراة كما تقدم والتي كان القدماء يستخرجون الحُمَر منها ويبيعونهُ في مصر للتحنيط فهو هناك في وادي المحوَّط ووادي سبَّة والنبي موسى . وكثير من هذه الاماكن تبعث منها غازات هدروكربونية مكبرتة . واستخرج الترك حمراً من نواحي بحر لوط في زمن الحرب لاجل الوقود

القار في مصر وسينا وجزيرة العرب

القار معروف في هذه البلاد على سواحل البحر الاحمر ففي مصر جبل الزيت المشهور وقد مرَّ ذكرهُ . اما الامتياز في البحث عن النفط فيهِ فانهُ اعطي سنة ١٩٠٥ لشركة اسمها شركة النفط المصرية المحدودة ثم خلفتها سنة ١٩٠٧ نقابة الزيت المصرية المحدودة ثم شركة اخرى سنة ١٩١٠ ثم أُلفت في سنة ١٩١١ الشركة المصرية الانكليزية وهي التي في يدها الامتياز الآن . وهاك جدولاً فيهِ ما استخرج من النفط الاسود في بعض السنين من قاطات خمس بجبل الزيت : —

السنة	المستخرج بالطن		
١٩١١	١٢٢٠	١٩١٤	١٠٣٦٠٥
١٩١٢	٢٧٤٥٤	١٩١٥	٣٤٩٦١
١٩١٣	١٢٦١٨	١٩١٦	٥٤٨٠٠
		١٩١٧	١٣٤٥٠٠

والنفط معروف في سيناء فهو هناك في وادي غرَنْدَل على ساحل خليج السويس مقابل جبل الزيت وفي الطرف الجنوبي من شبه الجزيرة وفي وادي عرَبة وفي جزيرة تيران عند مدخل خليج العقبة وفي جزيرة فرَسَان في البحر الاحمر . وفي سيناء حمَّامات كبريتية كما في العراق منها حمَّام موسى وحمَّام فرعون وربما كان فيها قديماً آطام اي عيون من نار كما في باكو وكركوك . وذكر ابن اياس في حوادث سنة ٦٥٦ للهجرة ظهور النار في وادي شطا بالمدينة (المقتطف سنة ٢٣ ص ٣٩٧) وهي اما بركانية والبراكين معروفة في الحجاز او عين من نار اي من غازات خلقية

وذكر السر بُفرتن رَدْوُد ان نماذج من القار جيءَ بها الى المُكَلاَّ وعدَن وروى العرب ان صخوراً في حضرموت يقطر منها النفط ولعل ذلك في بَرَهوت وهو وادٍ في حضرموت يظهر من وصفهِ ان فيهِ نفطاً قال ياقوت في معجم البلدان « بَرَهوت

وادٍ بحضرموت فيه ارواح الكفّار وفيه بئر ماؤها اسود منتن تأوي اليه ارواح الكفار» الى ان قال « وحكى الاصمعي عن رجل من حضرموت قال انا نجد من ناحية برهوت الرائحة المنتنة الفظيعة جدًّا فيأتينا بعد ذلك ان عظيماً من عظماء الكفار مات فنرى ان تلك الرائحة منهُ »

وقد مر بنا في ما نقلناهُ عن المسعودي ان في بَرَهوت اطَمة ربما كانت عينا من نار كما في كركوك وباكو . ولا يعلم الاّ الله ما في حضرموت والشحر والرّبع الخالي من الكنوز ولا سيما الذهب والنفط فجزيرة العرب صخورها نارية في سينا وعدَن والحجاز وحضرموت والشحر وعُمَان والدهناء والنفط والذهب معروف في كثير من هذه الاماكن . ولا يخفى انهُ لا علاقة بين النفط والصخور النارية اما الذهب فيكون على الغالب في هذه الصخور وهي كثيرة في جزيرة العرب يدل على ذلك اسماؤها كالحرّة والنسفة واللاّبة والحِلاءة والحمارة والحمراء وغيرها ولا متسع لوصفها الآن وانما نختم كلامنا بترجمة بعض الالفاظ الواردة في هذه المقالة وتعريب بعضها

اطـمة (Volcano) ويقال بركان وجبل النار وقد تأتي بمعنى عين النار

اطمة صقلية (mt. Etna) .اطيْمَة (Arch) اقْوُن الحمّام ويقال قِـين . نقّاطات (Oil fields) حَمّات (Thermal or hot springs) . حَمَارة او حُمَراء (Chimaera) . نَسْفة ونَسَفَة (Basalt) ويقال نَشْفة ونَشَفة حرّة (Basaltic tract) . وحَمَارة وحُمَراء . لابة (Lava) حِلاءة (Extinct volcano) . دَالِيَة او شادوف (Sweep or swipe) . سُعْن (Leather bucket) . ابو سُعْن (Marabou or Adjutant) . دُمُسْتق (Domesticus) معناها في الاصل قيم البيت او استاذ الدار ثم صار لقباً للقائد من قوّاد الروم وكان عندهم دمستقان احدهما للشرق والآخر للغرب وجرى الترك على ذلك بعد فتح القسطنطينية فسموا الاول منهما اناطولي بكلربكي اي امير امراء الشرق وسموا الآخر روم ايلي بكلربكي اي امير امراء بلد الروم ثم الغوا المنصب الاول وجعلوا الثاني رتبة بقيت الى ايامنا . بِطْرِيق (Patricius) . شمَشْقِيق (Tzimiscea) مجوسي او هربذ جمعها هرابذة (Fire-worshipper or Gheper or Parsi) لغُثيط (Logothete) حاسب او امين بيت الماء

بغداد امين المعلوف

حجة الاسلام : الامام الغزالي

اثرهُ في الاسلام

لقد علق بالاسلام مذ احتكَّ اتباعهُ الاولون بسكان اسيا الغربية (في العراق وسورية) عدة قواعد ومذاهب فلسفية كان لها اثر عميق في تكييف الفقه الاسلامي . فالمعتزلة في الحقيقة ظاهرة طبيعية لهذا التأثير القديم . ولما جاء الاشعري (٣٣٤ هـ .) وتم انفصالهُ عن حظيرة المعتزلة ، اخذ اتباعهُ المتكلمون يقرعون حجة الفلاسفة ، بالسلاح الذي يحاربونهم بهِ . لكن لم يلبث علماء الدين حتى عجزوا عن الذود عنهُ بسلاح الفلسفة ، فساد بين الطبقات وقتئذٍ ميل صوفي يرتكز على الالهام لا العقل . هذه هي الحالة التي صادفها الغزالي . فقد عظم الفرق بين جمود المتكلمين وما يأخذون بهِ من القواعد والحدود ، وتطرف الصوفية وما يميلون اليهِ من نبذ كل سلطة او تقليد والاتكال على الالهام . فكان اجلُّ ما اتى بهِ انهُ ادمج العنصرين معاً بادخال بعض مبادئ التصوف المنعشة في علم الكلام

وبذلك صد المتكلمين عن نظام التفكير المدرسي من البحث فيما يتعلق باصول الدين كالكتاب والسنة الى البحث في هذه المآخذ نفسها . وهذه لعمري وجهة اصلاحية كبيرة ، تصادفها في جميع الاديان النامية المتطورة. وقد كانت من مميزات الاصلاح الديني في القرن السادس عشر ، حين ثار لوثر واترابهُ على القواعد الدينيـة والعقائد الكنسية السائدة حينئذٍ

فمع ان الغزالي يعد رسميًّا من الطبقة الثانية في الفقه فقد عمل على حطهِ من المنزلة الرفيعة التي كان يشغلها قبل ظهور المتكلمين . وقد لام هؤلاءِ لجعلهم دين العامة مجرد عقائد مركبة لا غير ، وهو في هذا الانتحاء يتبع خطى امامهُ الشافعي (٢٠٤ هـ) وقد وافقهُ الاجماع على اكثر آرائهِ في الاصلاح وعدَّ (مجدّد عصرهِ)

وقد أخذ على الغزالي تحقيرهُ علم الفقه وعدم الاعتداد بهِ ، واتخاذهُ الطريقـة الصوفية اساساً لاقتباس المعرفة (راجع تهافت ابن رشد (٥٢٠ هـ) . والحقيقة ان الغزالي يحبذ العلوم الشرعية ، بيد انهُ لا يجعلها الملجأ الاخير لانها لا تفيد اليقين شأن (الاتصال) الصوفي. والفقهاء بل الفلاسفة ايضاً كابن سينا (٤٣٨ هـ) وابن رشد وهما من اشد الخصوم لهُ كلهم يعترفون بحقيقة مثل هذا الاتصال، الاَّ انهم يحبسونهُ على الانبياء

والاولياء ، ويقولون بوعورة مسلكهِ وصعوبة التساهل به . اما الغزالي فيغرق بين علمين ، وهو يشبه القلب بالحوض تصب فيهِ جداول كثيرة هي انواع العلم بالحواس . لكن في قعره ينبوع يخرج منهُ ماء زلال اعذب من ماء الجداول وذاك هو العلم بالالهام . وان انت سألت الغزالي عن مصدر هذه القوى في (القلب) اجابك انها هبة ربانية واستشهد بالحديث (ان لربكم في ايام دهوركم نفحات الا فتعرضوا لها) واعطاك برهاناً على ثبوتها الاحلام والكرامات بل النبوة نفسها !!

ولكن يجب الاَّ نستنقص من مكانة الغزالي في التفكير لهذا الاستسلام . فيوجد اليوم بين فلاسفة القرن العشرين من ينحو هذا الانتحاء فيعدّ لهُ ذلك مذهباً فلسفيًّا خاصًّا . واقرب هؤلاء الى الغزالي Mansél الذي يقول بان المعرفة مسألة نسبية وان العقل البشري يعجز لذلك عن ان يدرك او يفكر في امور قطعية لاحد لها . وهذا هو موقف الغزالي بعينهِ حين تقرأ ما بين سطور التهافت وتحسب للفرق بين المؤثرات اللغوية والدينية في الحالتين ، حسابها . ولئن اعترض خصوم منسل بقولهم ان مثله في نظريته هذه كمن بدأ في نشر غصن يقعد عليهِ ، فالغزالي قد اهتم بدعم مقعدهِ على هذا الغصن بالاستسلام الى الوحي سواء اكان في الكتاب والسنة او في اختبارات الاولياء والصالحين . ولم تقتصر هذه النظرة في الدين وعلاقته بالفلسفة على الغزالي وحده ، لاننا نجد الفيلسوف اليهودي الاندلسي ابن ميمون الذي عاش بعدهُ بنحو قرن يحتفظ بهذا الميل نفسه

ولنا ايضاً ان نقابل الغزالي من حيث نظرياته اللاهوتية بمفكر آخر هو Ritsch من اعلام العصر الحاضر . فانهُ كالغزالي من قبلهِ بثمانية قرون ، يمانع في كل تأثير فلسفي يطرأ على اللاهوت . ويقول بان اساس العقيدة يجب ان يكون مستقى من ظواهر دينية محضة ، لادخل للشك والتفكير فيها . ويجب ان يكون الوحي هو الينبوع الاكبر فاذا ما تعدينا الحد المعيّن في السؤال عن المعرفة وتمادينا باستعمال (كيف ولماذا) نكون قد تجاوزنا حدود المعقولات ، ودخلنا منطقة في ابحاث ما فوق الطبيعة وهي كلمات فارغة لا تجدي في كشف الحقائق فتيلاً

فالغزالي اذن ، لشدة اهتمامهِ بالآخرة ولاعتدادهِ بعامل الخوف في الدين ، ولامياله الصوفية المبينة سابقاً ، قد اتم ما بدأ بهِ القشيري (٤٦٥ هـ) فجعل الصوفية من الطرق التي لا يشك في عقيدة اهلها . وهو بذلك بداية عصر جديد في تاريخ الاسلام ، كما كان

الاشعري لعلم الكلام من قبلهِ .فالصوفية كنظام في العقيدة وجدت قبل الغزالي وفي ايامهِ ولكن اقدم الطرق الصوفية المعروفة حتى اليوم ، لم تؤسس الاَّ بعد انقضاء ما ينيف على الخمسين عاماً من وفاتهِ

ومن حسناتهِ انهُ شرح الفلسفة ، وكرر نشر اعتراضاتهِ وانتقاداتهِ عليها حتى الفها العامة . فالغزالي اذن في دفاعه عن الدين ومحاولته خنق الفلسفة ، قرب بالحقيقة ابحاثها العويصة باسلوبهِ التصويري البديع من اذهان عامة الشعب الذين كان يكتب لهم . وهو بذلك قد احسن الى الفلسفة من حيث لا يشعر ، في حين انهُ كان يريد لها الاساءة . وهذه احدى النقاط التي يأخذهُ بها خصمه الالد ابن رشد ، فهو يقول انهُ افسد بذلك على العامة معتقدهم السليم ولم يستطع ان يفهمهم شيئاً . والحقيقة انهُ كان لهُ الاثر الكبير ، فيكفيك ان كلمتي فيلسوف وفلسفة لم تعد توقظ في المسلم شعور العجب والرهبة التي كان يبعثها في نفسه الجهل والكتمان

والغزالي في اكثر ما اوردناه عنهُ لم يكن مبتكراً ، لكنهُ شأن الشخصيات النادرة المؤثرة ولج طريقاً مهملاً فجعلهُ بهمتهِ والمعيّتهِ المسلك المشهور ، والطريق العام

وقد شهر الدكتور Sachau في مقدمة رسالتهِ عن ابو الريحان البيروني (٤٣٠ هـ) نقداً مرًّا على الغزالي قال فيهِ : لولم يقم الغزالي وامثاله فيخنقوا روح البحث والابتداع الكامنة في العرب ، لكان هؤلاءِ حقاً اهل الاختراع والابتكار طرًّا ، وانجبوا من قبيل البيروني الجم الغفير . لكن البارون De Vaux انبرى للدفاع عن الغزالي ، فرد قول الدكتور بامرين الاول ان المؤهلات والظروف التي تصحب نبوغ العظماء لا تزال مجهولة لم تصل اليها يد العلم . والثاني ان النابغة الحقيقي يستحيل وان يخضع للرأي العام ومقاييسه مهما بلغت سلطته ، وان ليس اسهل عليهِ من ان يخاص من مثل هذا التأثير ليحيا حياته الخاصة في جوّ ومحيط يكونهما لنفسه . فلو جادت الايام في تاريخ الاسلام بعد البيروني ، بمن كان يحق ان يكون نابغة لما تأخر عن الظهور ابداً

ونختم كلمتنا باغرب ما جرت بهِ المقادير ، فالغزالي الذي جاهد لينبذ التقليد وثار على السلطة ليحرر الاسلام من ربقة الاسر لشبح الماضي المخيف وظلام الجمود ، اصبح هو بعينه بعد سنين قليلة من موته ، سلطة وثقة بل (حجة للاسلام) يستند اليهِ !

القدس شكري مهتدي

ب . ع

باب الزراعة والاقتصاد

الحركة التعاونية بمصر (١)

﴿عمر بك لطفي﴾ : يحق لمصر أن تفتخر بابنها البار المرحوم عمر بك لطفي مؤسس النهضة التعاونية الذي يعد من زعماء الحركة التعاونية في العالم من أمثال « أون » و« ريفيزن » واضرابهما . فهو اول مجاهد مصري في سبيل انقاذ الطبقات الفقيرة من مخالب الفقر وفي العمل على تنظيم جهودهم وترقية شؤونهم المادية والادبية عن طريق التعاون . واصبح من الحق أن يسمى « أبو التعاون المصري »

كان المرحوم عمر بك لطفي وكيلاً لمدرسة الحقوق ثم ترك خدمة الحكومة واشتغل بالمحاماة ليكون في جو حر يخدم فيه بلاده أجل الخدمات . وكان يقينهُ ان مصر في حاجة الى تأسيس نهضة اقتصادية عامة تنتشلها من تحكم رؤوس الاموال الاجنبية وسيطرتها على مجهودنا الانتاجي . بان يبعث في الطبقات العاملة روح النشاط والعمل ويدفعهم الى تأسيس النظم الاقتصادية والاجتماعية واهمها النظم التعاونية

اشتغل عمر بك لطفي بالتعاون من حوالي سنة ١٩٠٦ وقام برحلات الى اوربا وتعرّف في ايطاليا بزعيمها التعاوني « لوزاتي » وقد التقيا عند غرض واحد وهو رفع شأن الوطن من طريق التعاون فكانا صديقين حميمين ودأب على نشر الدعوة التعاونية بمصر نخطب الامة وحاضرها في الاندية والمجتمعات متنقلاً في عواصم القطر مضحياً براحتهِ ووقتهِ ومالهِ في سبيل بث الروح التعاونية بين أبناء وطنهِ

وقد تناولت جهودهُ بحث النظم والمبادئ التعاونية وتنظيم الجمعيات وطرق تسييرها والاوضاع التشريعية التعاونية بالطرق العلمية والقانونية . ولم تعن الحكومة إذ ذاك بتعضيد التعاون ووضع القوانين التي تكفل نشره وتثبيت دعائمه. فكان عمر بك مشترعاً ماهراً في استخلاص التكييف القانوني للجمعيات التعاونية من القانون المدني والحماية

(١) مقتطف من كتاب « الجمعيات التعاونية ونظامها في مصر » تأليف الدكتور توفيق حامد المرعشلي مدرس التعاون والتاريخ بمدرسة عابدين للمعلمين

الجمعيات التعاونية ومبادئها والمحافظة على حقوق الاعضاء . ولقد اعتمد على إيمانه التعاوني ومبادئ التعاون السامية وعكف على نشر الدعوة بين الطبقات المختلفة واشتغل بتأسيس الجمعيات التعاونية كما اشترك في تأسيس البعض الآخر . وعاون في وضع النظم والطرق التعاونية فنجحت جهوده وبشرت بثمرة عظيمة

﴿الجمعية الزراعية والتعاون﴾ : اهتمت الجمعية الزراعية بدعوة عمر بك لطفي فألفت لجنة (في سنة ١٩٠٩) كان عمر بك احد اعضائها . وقد بحثت اللجنة الموضوع ووضعت الاقتراحات التي تؤسس عليها الحركة التعاونية . فاشارت بوجوب العناية بالمنشآت التعاونية للتسليف الزراعي وبالجمعيات التعاونية الزراعية للبيع والشراء . واختارت النماذج الصالحة لمصر كقطر زراعي . ووجدت انهُ يجب ان تقوم الحكومة بمهمتها التعاونية . فوضعت اللجنة مشروع قانون لصيانة الجمعيات التعاونية وتنظيمها وشكلها القانوني . ووضعت ايضاً مشروع لائحة ونظاماً داخلياً للجمعيات

وقد سعى رئيس الجمعية الامير حسين كامل « المغفور لهُ السلطان حسين » سعياً متواصلاً ليحمل الحكومة على إصدار هذا القانون . ولكن تعب اللجنة ذهب سدًى فقد أهملت اقتراحاتها

﴿ جمعية التعاون المالي بالقاهرة ﴾ : على ان اهمال الحكومة لم يثن عزم عمر بك . فقد أسس في سنة ١٩٠٩ «شركة التعاون المالي التجارية بالقاهرة» وهي تشبه من وجوه كثيرة جمعيات « شلس » واستصدر بها امراً عالياً من الحكومة سنة ١٩١٠ وقد قامت هذه الشركة على المبادئ التعاونية وسارت في عملها بتعهدهِ اياها بالتنظيم والعمل فنجحت وهي ما زالت قائمة الى الآن يزداد رأس مالها وتقوم بخدمات مالية لاعضائها

﴿ جمعيات التعاون للتدبير المنزلي ﴾ : وقد اثمرت الدعوة التعاونية لدى طوائف الموظفين والعمال في اكثر عواصم القطر فأسسوا جمعيات تعاونية استهلاكية للتدبير المنزلي « كشركة التعاون المنزلي لموظفي الحكومة بالقاهرة » ويرجع الفضل في تأسيس هذه الشركة الى الاستاذ احمد بك فهمي القطان (مراقب التعليم الزراعي والصناعي بوزارة المعارف في الوقت الحاضر) . وكشركات التعاون المنزلي بالاسكندرية والسويس والمنصورة وطنطا وبني سويف والعياط والمنيا وكوم امبو وغيرها وقد سارت هذه الجمعيات على المبادئ التعاونية فخدمت أعضاءها باختيار احسن انواع الحاجات المنزلية لتوزيعها عليهم باثمان مهاودة

﴿ جمعيات التعاون الزراعية ﴾ : وكان من اهم ما تصبو اليهِ نفس عمر بك ان يرى الجمعيات الزراعية منتشرة في انحاء القطر لا تخلو منها قرية لانتشال الفلاح المصري من ايدي المرابين والوسطاء وترقيتهِ ماديًّا وادبيًّا فواصل سعيهُ وجهودهُ لعلمهِ أن رخاء وطنهِ وسعادتهِ متوقفان على تنظيم جهود الفلاح الذي يستحق كل عناية ومساعدة حتى ينقذ من المساوئ المادية والادبية التي تحيط بهِ من كل صوب

وكان من ثمرة جهوده أن كانت بلدة شبرا النملة من أعمال مركز طنطا اول بلدة أسست نقابة زراعية سنة ١٩١٠ وتلتهـا قرى اخرى في الوجهين البحري والقبلي واسست جمعيات تعاونية زراعية للبيع والشراء والتسليف. كبلاد كفر الحمام ونشيل بالغربية وسنتماي واوليله بالدقهلية وميت القرشي بالشرقية ونامول بالقليوبية وخربتا بالبحيرة وبشتيل وناهيا بالجيزة والنويرة ببني سويف وغيرها

﴿ وفاة عمر بك لطفي ﴾ : ظل يجاهد في تأسيس النهضة التعاونية الى ان توفي في ٤ نوفمبر سنة ١٩١١ فكان فقدهُ خسارة كبيرة على مصر

كان رحمهُ الله قبل وفاتهِ يعد تأسيس نقابة عامة (اتحاد) للتعاون المنزلي والزراعي فحقق هذا المشروع اخوهُ المرحوم احمد بك لطفي المحامي المشهور

﴿ تأثير عمر بك ﴾ : ولاشك انهُ يرجع الفضل الى عمر بك في تنوير العقول وارشاد المصريين الى الروح والمبادئ التعاونية حتى تكوّنت طبقة من الشبيبة المستنيرة اشتغلت بالتعاون وجاهدت بعدهُ في صيانة المنشآت التعاونية التي أسست في عهدهِ كما حرضت الطبقات على تأسيس المنشآت التعاونية المختلفة

وممن اشربوا الروح التعاونية الاستاذ عبد الرحمن الرافعي المحامي فكان اول من وضع مؤلفاً في التعاون باللغة العربية وهو كتابهُ القيم « نقابات التعاون الزراعية » الذي ظهر في سنة ١٩١٤ وهو سفر نفيس يشهد لمؤلفهِ بالعلم وسعة الاطلاع كما انهُ يعد الاساس العلمي للنهضة التعاونية المصرية

وتقلبت الاحوال العامة بمصر من سياسية واقتصادية واجتماعية فلم تنته الحرب الكبرى سنة ١٩١٨ حتى تضعضعت حالة الجمعيات التعاونية ولم يبق من النقابات الزراعية اكثر من ١١ نقابة مع ما صارت اليهِ من ضعف وتفكك. كما افلس بعض الجمعيات الاستهلاكية الصغيرة ولم يبق الاَّ الجمعيات الكبيرة في القاهرة والاسكندرية وبعض عواصم اخرى.

اما جمعية التعاون المالي بالقاهرة فقد ناضلت فعاشت بفضل المبادئ القويمة التي شيدها عليها مؤسسها المرحوم عمر بك

على انهُ لم يغب عن الطبقة المستنيرة ان يناضلوا عن التعاون إبقاء على نهضة تعبت الامة في تأسيسها فظهر في سنة ١٩١٧ كتاب التعاون في الزراعة للاستاذ صادق بك حنين (صادق باشا حنين وزير مصر المفوض في روما في الوقت الحاضر)

﴿ النهضة العامة ﴾ : ولما قامت ثورة الاستقلال بمصر سنة ١٩١٩ كان من شأنها إحداث نهضة عامة في كل ناحية من نواحي الحياة فكان للأحوال الاقتصادية منها حظ وفير

﴿ بنك مصر ﴾ : وكان من اثر هذه النهضة ان أنشئ بنك وطني هو بنك مصر سنة ١٩٢١ بأموال مصرية . وهي امنية قديمة تاق اليها المصريون فاقبلوا على مشترى اسهم البنك غير طامحين الى ارباح يجنونها بل كان في نظرهم ان الاقدام على مشترى هذه الاسهم تضحية وطنية فحسب . وبفضل هذا الاخلاص أطرد تقدم البنك .ساعد عليهِ مقدرة مديره المالي الكبير طلعت بك حرب . ولا أدل على اطراد تقدمه من ازدياد رأس مالهِ سنة بعد اخرى حتى وصل رأس المال في ٣١ ديسمبر سنة ١٩٢٧ الى مليون جنيه مدفوع كله وارتفع ثمن سهمهِ من ٤ جنيهات الى ٦ جنيهات وكسور في الوقت الحاضر

وقد قام البنك بخدمات مالية جليلة ومما يذكر لهُ بالفضل انشاؤه أربع شركات صناعية وهي (١) شركة مصر لغزل ونسج القطن (٢) وشركة مصر لنسج الحرير (٣) وشركة مصر للكتان (٤) وشركة مصر لمصايد الاسماك

﴿ اهتمام الحكومة ﴾ : وكان من اثر النهضة أيضاً أن نشطت وزارات الحكومة في تعضيد النهضة الاقتصادية ووضعت كثيراً من المشروعات النافعة فأنشأت مصلحة الصناعة والتجارة (تابعة لوزارة المالية) لتشجيع الصناعات وتنشيط التجارة بكل الوسائل . وكان من هذه الوسائل أن اودعت الحكومة بنك مصر لغاية ٣١ ديسمبر سنة ١٩٢٧ من اموالها مبلغ مائتي الف من الجنيهات لاقراضها للهيئات الصناعية وهو عامل قوي لترقية الصناعات

﴿ تجديد النهضة التعاونية ﴾ : كان من نتائج النهضة العامة أن وجهت وزارة الزراعة عنايتها نحو إحداث حركة تعاونية بالبلاد وخاصة لنشر الجمعيات التعاونية الزراعية . فانشأت « قسم التعاون » ليكون ادارة خاصة يسهر على نشر الدعوة التعاونية ووضع

الخطط والنظم للارشاد والتأسيس والاشراف على الحركة التعاونية حتى تنبعث الروح التعاونية في نفوس الاهلين

﴿ المؤلفات التعاونية ﴾ : ولقدقرنت هذه الحركة بعامل مهم من عوامل النهضة وهو ظهور المؤلفات التعاونية . وهي دعامة قوية يجب العناية بها ليتأصل غرس التعاون وينمو ويثمر . وهي بحسب تاريخ ظهورها

عني الدكتور حسين الرفاعي (مفتش المالية) بتعريب كتاب « روح التعاون » ظهر سنة ١٩٢٢. ثم الاستاذ ابراهيم رمزي (مفتش التعاون بوزارة المعارف في الوقت الحاضر) أخرج « كتاب الجمهور في التعاون الزراعي » سنة ١٩٢٤. ثم كتابهُ « مبادئ التعاون » سنة ١٩٢٧ . أما الاستاذ الدكتور ابراهيم رشاد مدير قسم التعاون فقد اخرج كتابهُ الممتع « التعاون الزراعي » سنة ١٩٢٥ . فضلاً عن مجهودهِ الفني في إصدار نشرات قسم التعاون

واصدر ايضاً الدكتور يحيى احمد الدرديري في سنة ١٩٢٦ كتابه « التعاون »

ولا شك أن لهؤلاء يرجع الفضل في تأسيس النهضة التعاونية بعنايتهم بالناحية العلمية منها . والامل كبير في رجال الفنون الاقتصادية والمشتغلين بالتعاون أن يبرزوا من علمهم الجم المؤلفات التعاونية فما زالت البلاد في حاجة شديدة الى الاكثار منها وحتى تتكوَّن مكتبة تعاونية عربية أسوة بالبلاد الاوربية فقد اصبح في اكثر اللغات الحية مكتبة تعاونية لا تقل في ضخامتها عن مكاتب العلوم الحديثة الاخرى

﴿ التعليم التعاوني بمصر ﴾ : يدرَّس التعاون في مصر كعلم مستقل بمدرسة الزراعة. وفي سنة ١٩٢٥ قررت وزارة المعارف تدريس هذا العلم بمدارس المعلمين الاولية . فكانت خطوة مهمة في سبيل تقوية النهضة التعاونية الجديدة . لان طلبة هذه المدارس سيكونون طبقة مستنيرة في بلاد الريف . وسيكون لاتصالهم بأهلهم وعشيرتهم في القرية تأثير كبير عليهم وساعد قوي على نشر الدعوة التعاونية فضلاً عن أنهم يستطيعون القيام باعباء أعمال الجمعيات التعاونية التي تنشأ . ولا نجد غيرهم في القرية اقدر منهم على ذلك

لكن وزارة المعارف أزمعت الغاء تدريس هذا العلم من مدارس المعلمين ابتداء من سنة ١٩٣٠ . ونحن لا يسعنا بعد أن اتضحت حاجة البلاد الى التعاون الا أن نرجو وزارة المعارف أن تعيد النظر في هذا الموضوع

القطن المصري في سويسرا
وتأثره بالحرير الصناعي

تقرير

رفع حضرة قنصل المملكة المصرية بجنيف عاصمة سويسرا الى وزارة الخارجية المصرية التقرير التالي عن القطن المصري الذي تستوردهُ سويسرا وتأثرهُ بصناعة الحرير الصناعي فرأينا اثباته لما تضمنهُ من المعلومات والفوائد وهو :

القطر المصري بلاد زراعية معظم ثروتها ان لم يكن كلها راجع الى ما تنتجهُ الارض من المحاصيل الزراعية ولما كان القطن هو الجزء الاكبر من هذا الانتاج الزراعي فهو اذن عماد الثروة ولذلك تهتم الحكومة بهِ اهتماماً عظيماً فتعقد لهُ المؤتمرات في مصر وأحدثها المؤتمر الدولي الذي عقد في القاهرة سنة ١٩٢٧ أو ترسل مندوبيها الى المؤتمرات الخارجية كما تفعل في المؤتمر الذي يعقد في زوريخ بسويسرا هذا العام . وفي هذه المؤتمرات يقف الغزالون على مطالب المنتجين ورغباتهم . وتنفق الحكومة كذلك المبالغ العظيمة على عمل المباحث التي تؤدي الى تحسين نوع القطن وفوق ذلك فهي تسن القوانين بشأن هذا المحصول وتسهر على تنفيذها ورائدها في كل ذلك السعي وراء كل ما من شأنه رفع أثمان القطن في الاسواق

ومن ذلك يرى انهُ يتعين على مصر مراعاة تقلبات سوق هذا المحصول ودرس أحوالها بالعناية الواجبة والدقة الكافية لتستقصي الاسباب التي تؤثر في المقطوعية التي تصدر من مصر الى الخارج ومتى وقفت عليها عملت على ازالتها لانهُ كلما ازداد الطلب على القطن ارتفع الثمن الامر الذي من شأنه مضاعفة الثروة الاهلية في بلاد القطر

وبما ان صناعة النسج في مصر ما زالت في مهدها ولم تتدرج بعد لاستنفاد جزء من محصول القطن المصري أصبح هذا المحصول بطبيعة الحال موقوفاً على الاصدار الى الخارج لنسجه وأصبح من الواجب علينا الوقوف على حركة أسواق النسج الخارجية لعلنا نتوصل الى تنشيط هذه الاسواق لتزيد مقطوعيتها السنوية عما هي عليهِ

ولما كانت واردات سويسرا من مصر تكاد تنحصر في القطن وذلك لاحتياجها اليهِ لنسجه في معاملها ولاصدار المنسوجات بعد ذلك الى الخارج بعد ما تستهلك منها

في بلادها ما يسد حاجتها رأينا أن نطرق موضوع القطن المصري الذي تستورده سويسرا في هذا التقرير لنتعرف مدى تجارته ولنقف على العوامل التي تؤثر في مقطوعية سويسرا من القطن المصري وذلك لكي نتبين الطريق الذي يجب اتباعه اذا نقصت تلك المقطوعية

تستورد سويسرا القطن لنسجه من أميركا ومن مصر وهي تميل الآن الى زيادة ما تستورده من القطن المصري وذلك لما رأت فيه من جودة تيلته ونعومة شعرته وسهولة نسجه مما لم تجده في القطن الاميركي . وعلى ذلك فهي تحل قطننا تدريجيًّا محل القطن الاميركي الى حد ما ويرى من الجدول الآتي مقدار ما تستورده سويسرا من القطن موزعاً بين أميركا ومصر من جهة وقيمة هذه الواردات بملايين الفرنكات من جهة أخرى . كما يرى من الجدول الذي يليه نتيجة النزاع القائم بين القطنين لاكتساب معامل النسج في سويسرا ومن الجدول الثالث يتضح انهُ بعد ما كانت سويسرا تستورد من اميركا ثلثي ما تحتاج اليهِ معاملها من القطن الاميركي والثلث فقط من القطن المصري أصبحت تستورد الآن النصف من أميركا والنصف الآخر من مصر وهناك أمل في ان تستمر هذه الزيادة تدريجاً نظراً الى ما في القطن المصري من المزايا التي لا تتوافر في القطن الاميركي كما قدمنا

الواردات على سويسرا بالطن

	من اميركا	من مصر	سائر البلدان
١٩١٣	١٥٦٠٠	١٠٤٠٠	١٣٠٠
١٩٢٠	١٣٢٠٠	٠٥٩٠٠	٢٠٠٠
١٩٢١	١٤١٠٠	٠٩٧٠٠	٠٨٠٠
١٩٢٢	١١٩٠٠	٠٨٥٠٠	١٠٠٠
١٩٢٣	١١٥٠٠	١٢٥٠٠	٣٣٠٠
١٩٢٤	١٤٠٠٠	١٣٥٠٠	٢٢١١
١٩٢٥	١٦٢٦٠	١٣١١٠	١٤٩٠
١٩٢٦	١٣٤٧٠	١٢٩٨٠	١٨٤٠

القيمة مقدرة بمليون الفرنكات

١٩٢٤	٦٠	٦٥	٧
١٩٢٥	٥٢	٦٤	٤
١٩٢٦	٣٣	٥٠	٣

القيمة مقدرة بمائة كيلو جرام

العام	من مصر	من اميركا
١٩٠١	٩٩٠٠٠	١٢٦ ٠٠٠
١٩٠٢	١٠١٠٠٠	١٢٨ ٠٠٠
١٩٠٣	٩١٠٠٠	١٣١ ٠٠٠
١٩٠٤	٩٠٠٠٠	١٣٧ ٠٠٠
١٩٠٥	٩٢٠٠٠	١٣٧٠٠٠
١٩٠٦	١٠٤٠٠٠	١٣٦٠٠٠
١٩٠٧	٩٠٠٠٠	١٤١ ٠٠٠
١٩٠٨	٩٠٠٠٠	١٣٧ ٠٠٠
١٩٠٩	٩٠٥٠٠	١٤١ ٠٠٠
١٩١٠	٨٠٦٠٠	١١٨ ٠٠٠
١٩١١	٩٨٠٠٠	١٣٨ ٠ ٠
١٩١٢	١٠١٠٠٠	١٥٢ ٠٠٠
١٩١٣	١٠٣٠٠٠	١٥٦ ٠٠٠
١٩١٩	١١٠٠٠٠	١٢٩ ٠٠٠
١٩٢٠	٥٩٠٠٠	١٣٢ ٠٠٠
١٩٢١	٢٧٠٠٠	١٤١ ٠٠٠
١٩٢٢	٨٥٠٠٠	١١٩ ٠٠٠
١٩٢٣	١٢٥٠٠٠	١١٥ ٠٠٠
١٩٢٤	١٣٥٠٠٠	١٤٠ ٠٠٠
١٩٢٥	١٣١١٠٠	١٦٢ ٦٠٠
١٩٢٦	١٢٩٨٠٠	١٣٤ ٧٠٠

تستورد سويسرا القطن لنسجه في معاملها كما قدمنا ثم تصدره الى الخارج بعد ما تحتفظ منهُ لنفسها بما يسدحاجتها ويرى من الارقام المذكورة فيما يلي النسبة بين الواردات والصادرات في المواد الاولية اللازمة للنسج

المقدار بالطن

عام	١٩١٣	١٩٢٥	١٩٢٦
واردات	٤٧٩٤٠	٨٣٨٢٠	٦٩٥٦٠
صادرات	٢١٩٩٠	٢٥٤٢٠	٢٠٩٣٠
ما تستهلكهُ سويسرا	٢٥٩٥٠٠	١٨٤٠٠	١٨٦٣٠

فيتضح من هذه النسبة ان مقدار ما كانت تستهلكهُ سويسرا قبل الحرب بعام من المنسوجات كانت اكبر كثيراً من المقدار الذي تستهلكهُ الآن ولو بحثنا عن سبب هذا النقص في استهلاك المنسوجات القطنية لرأينا انهُ راجع الى ما تستهلكهُ سويسرا من نسيج الحرير الصناعي بجوار نسيج القطن وهي مسألة من الواجب

رعايتها والنظر بعين الانتباه الى ما يترتب عليها من النتائج اذ انها صناعة نسيج تزاحم صناعة المنسوجات القطنية ولما كانت المقطوعية من القطن في سويسرا محدودة او تكاد تكون كذلك فكلما كثرما يعرض من نسيج الحرير الصناعي على السوق نازعت نسيج القطن ولما كانت صناعة آخذة في التقدم في جميع البلاد وسيصبح من الصعب على سويسرا في المستقبل كما كان الحال سابقاً تصريفها بالتصدير الى اسواق غير اسواقها ولما كانت صناعة مرغوب فيها لقلة ثمنها فستضطر سويسرا بطبيعة الحال الى الانقاص من الكمية التي تستهلكها من المنسوجات الاخرى لاستهلاك كمية منسوجات الحرير الصناعي المطروحة في السوق من معاملها ويترتب على هذا اقلال مقطوعيتها من القطن وفي هذا خطر

ولما تحدثهُ صناعة الحرير الصناعي في ما تستوردهُ سويسرا من الاثر كما سبق ان بينا نرى ان نذكر شيئاً عن هذه الصناعة في سويسرا لتحدد قيمة تأثيرها في القطن المستورد من الخارج . يعمل في سويسرا اربعة معامل رئيسية يشتغل فيها خمسة آلاف عامل ويخرج أحد هذه المعامل يومياً من عشرة آلاف الى اثني عشر الفاً من الكيلوجرامات وقد حازت منسوجات الحرير الصناعي في سويسرا شهرة واسعة في الاسواق الاجنبية لحسن نوعها . [وهنا اشار جناب القنصل الى مقدار الصادرات والواردات من الحرير الصناعي في سنتي ١٩٢٤ و١٩٢٥ وتعليل انخفاض الواردات سنة ١٩٢٥ عنها في سابقتها بانشاء معامل جديدة للانتاج . ثم فسر زيادة الصادرات في سنة ١٩٢٥ عن ١٩٢٤ بقوله أولاً ان جانباً كبيراً مما صنع في سويسرا استعملتهُ معامل النسج فيها لما رأت الاقبال على هذا النوع من النسيج . . . وثانياً انهُ في يوليو سنة ١٩٢٥ اصدر قانون في انكلترا يحمي تلك الصناعة فيها فاضطرت سويسرا ازاء هذا القانون وقبل ان يدخل في دور التنفيذ ان تنتج اكبر كمية ممكنة لتصديرها لانكلترا وهذا يفسر ارتفاع قيمة الصادرات في عام ١٩٢٥ على عام ١٩٢٤ كما قدمنا . . .]

ومما تقدم يرى ان صناعة الحرير الصناعي قد أثرت في ما تستوردهُ سويسرا لمعاملها من القطن ولولا انها (سويسرا) رفعت نسبة ما تستوردهُ من القطن المصري الى النصف بعد ما كان اللازم لمعاملها منهُ الثلث كما قدمنا لكانت نقصت مقطوعيتها من القطن المصري نقصاً اكثر من ذلك ولكننا نؤمل ان معامل سويسرا ما دامت تفضل القطن المصري على القطن الاميركي لجودته ان تستمر على الاقل في طلب المقطوعية التي تستوردها سنوياً من القطن ان لم تزدها على حساب القطن الاميركي

باب شؤون المرأة وتدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيه كل ما يهم المرأة واهل البيت ـ معرفته من تربية الاولاد وتدبير الصحة والطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة وسير شهيرات النساء ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

التعب العقلي وتأثيره في الجسم

التعب عقليًّا كان او بدنيًّا اذا زاد اضرَّ فاذا احسَّ الانسان بهِ فعليهِ ان يطلب الراحة قليلاً لتتجدد قواهُ قبل ان يستأنف عملهُ ثانية. واذا فعل ذلك وجد في آخر يومهِ ان ما اتمهُ من الاعمال لا يقل عمَّا يتمهُ اذا واصل الانكباب عليها كل ساعات النهار من غير انقطاع وأمن فوق ذلك السقطات التي يتعرض لها من يعمل وهو متعب. وهو ضروري للعقل والبدن لا يتقوّيان الاَّ بهِ ولكنهُ اذا زاد كان لهُ مضار جمة قد تتمكن من الجسم فتلازمهُ

وقد بحث العلماء كثيراً في تأثير التعب العقلي في الجسم فاثبت بعضهم ان طلبة الجامعات يقلُّ تناولهم للطعام وينقص وزنهم زمن الامتحانات واذا طال الامتحان كان لهُ في أجهزتهم العصبية تأثير يشبه اعراض النوراستينيا المزمنة

وبحث عالم روسي يقال لهُ اغناتيف في ٢٤٧ تلميذاً بين العاشرة والسادسة عشرة من العمر في احدى مدارس موسكو العسكرية فوزنهم ثلاث مرات المرة الاولى قبل ان يبدأُوا بالاستعداد للامتحانات والمرة الثانية بعد ان فرغوا منها والمرة الثالثة بعد ان عادوا من عطلة الصيف . وكان الفرق بين المرة الثانية والمرة الاولى ان ٧٩ في المائة من التلاميذ نقص وزنهم و١١ في المائة بقوا على ما كانوا عليهِ و١٠ في المائة زادوا وكان يجب ان يزيد وزن الجميع لانهم احداث في زمن النمو. وزاد وزن ٩٠ في المائة منهم بعد العطلة ونقص وزن ٦‚٤ في المائة فقط وكان فيهم ١٣ تلميذاً لم تكفهم العطلة لتعويض

كل ما خسروهُ في الامتحانات . وقد قال اغنانيف ان مثل هـذا التأثير الظاهر في البدن لا بد ان يتناول الدماغ ايضاً

وبحث غيره في مقدار الطعام الذي يتناولهُ التلاميذ في المدرسة فوجد انهُ يقل كل شهر عما كان في الشهر الذي قبلهُ . ويرى كثيرون ان سبب ذلك هو تأثير التعب العقلي المباشر في اعمال الهضم والاغتذاء لانهُ يعطلها بعض التعطيل وقال البعض ان لهُ سببين آخرين ايضاً اولهما قلة تأكسد الدم وقلة افراز غاز الحامض الكربونيك منهُ لقلة عمل التنفس عند الانكباب على العمل العقلي وثانيهما تجمع الفضلات التي تنشأ عن العمل في الدم وتأثيرها فيهِ تأثيراً كيماويًّا

وقد بحث بعضهم في ١٨ طالباً من طلبة الجامعات و١٧ ولداً بين العاشرة والثانية عشرة قبل ان يبدأُوا بالاستعداد للامتحانات وبعد ان فرغوا منها فكان كلّ مرة يقدّر عدد الكريات الحمراء في دمهم ومقدار الهيموغلوبين فيهِ ومقاومة الكريات الحمراء فلم يظهر لهُ تغير في عدد الكريات ولكن الهيموغلوبين نقص ١٠ في المائة بعد الامتحانات في طلبة الجامعات ونقص نقصاً يقرب من ذلك في الاولاد وضعفت مقاومة الكريات الحمراء ضعفاً يقابل الضعف الذي يطرأ عليها اذا تناول الانسان بعض السموم واستنتج هذا العالم من ابحاثهِ هذه ان التعب العقلي يولد في الجسم سمًّا يضعف الدم . ثم بحث ابحاثاً اخرى استنتج منها ان سبب الانيميا في اولاد المدارس هو تجمع سموم التعب في اجسامهم وقد وجد هلوج ان التعب العقلي يقلل تجدد الكريات الحمراء في الدم وان ذلك يتوقف على صعوبة العمل وطول مدتهِ وفترات الراحة التي تتخللها ومقدار الرياضة او الحركة البدنية والهواء النقي

ولكن بورشمان الروسي اثبت ان الكريات الحمراء يزيد عددها في طلبة المدارس اذا خرجوا للنزهة في العطلات المدرسية وتقل اذا عادوا الى المدرسة واكبوا على دروسهم. وانهُ اذا نُقل الاولاد من مدرسة مسقوفة الى مدرسة تعلمهم وهم في الهواء الطلق ظهر هذا الفرق في دمهم ايضاً

وللجلوس تأثير كبير في التنفس فانهُ يقل في القسم العلوي من الصدر في اثناء الانحناء للكتابة . وقد بحث احدهم في تنفس تلاميذ المدارس وهم جلوس فوجد ان ما يتنفسونهُ من الهواء في ثلاث دقائق يقل ٨ في المائة عما يتنفسونهُ في مثلها وهم وقوف واذا طالت المدة ايضاً زاد الفرق

والطلبة الذين ينقطعون لتحصيل العلوم اللغوية والرياضية وغيرها مما لا يقتضي حركة بدنية تكثر اصاباتهم بالامراض اكثر من الطلبة الذين يدرسون الكيمياء والحيوان والطبيعيات ويجرون التجارب والابحاث فيها . وسبب ذلك ان هؤلاء يذهبون ويجيئون في اثناء اعمالهم اما أولئك فيكبون على الكتب وقلما ينهضون من كراسيهم. وتزيد الامراض بين التلاميذ في اواخر السنة المدرسية وفي زمن الامتحانات وصحة الذين يتعلمون قبل الظهر فقط اجود من صحة الذين يتعلمون قبل الظهر وبعدهُ

وتجنب هذه المضار سهل جدًّا وذلك بان يلتفت صاحب العمل العقلي الى بدنهِ قليلاً ويعطيهُ قسطاً من الراحة والرياضة اليومية التي لا تقتضي بذل قوة كثيرة والخروج في الهواء الطلق . ومن راعى هذه الاعتبارات بقيت لهُ عافيتهُ وامكنهُ القيام باعباء الاعمال الكبيرة

المسز املين بانكهرست

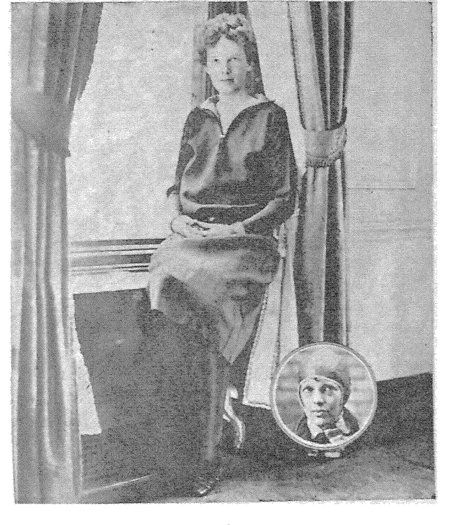
زعيمة الانكليزيات المطالبات بحقوق النساء السياسية

بدأت شهرة « المسز بنكهرست » العالمية عام ١٩٠٣ عند ما انشأت « جمعية اتحاد النساء الاجتماعي والسياسي » وقد كانت هذه السيدة في طفولتها — وهي ابنة روبرت غولدن احد تجار منشستر — مثال الذكاء والحزم وصلابة الرأي . ولدت سنة ١٨٥٨ وفي سنة ١٨٧٩ تزوجت الدكتور رتشرد بنكهرست » من كبار المحامين الذي كان بدوره من أشد انصار كل عمل اصلاحي يعرض لهُ وكانت زوجته عند زفافها اليهِ شابة جميلة تشتعل في صدرها نار الحياة والنشاط . فاندفعت بكل قواها الى خوض معمعان المعركة في سبيل « حرية الرأي » والاشتراكية الاجتماعية . ولم تغفل حتى في بدء عهدها هذا ان تضع حق الانتخاب للنساء في برنامج الاصلاحات المؤدية الى ايجاد سماء جديدة وارض جديدة

وفي عام ١٨٩٨ توفي زوجها « الدكتور بنكهرست » تاركاً لارملتهِ ثلاث فتيات وفتى لتعنى بتربيتهم على ايراد قليل جدًّا كان حتماً اكثر كثيراً لولم ينفق الزوج الراحل بضعة آلاف من الجنيهات على مشروعاته الاصلاحية . فرأت « املين بنكهرست » الارملة الشابة ان لا بد لها من الالتجاء الى العمل لتستطيع ان تكفل اطفالها وتقوم



مسز بنكهرست



مس ايرهارت

امام الصفحة ٢.١٣ — مقتطف اكتوبر ١٩٢٨

بواجب تربيتهم وتعليمهم. فحصلت على منصب مسجلة للمواليد والوفيات في« شورلتون اون ملدون » وهي مقاطعة قريبة من مدينة منشستر.

على انها لم تلبث ان تركت المنصب وانصرفت الى خدمة قضية المرأة . وكانت على الارجح تتناول راتباً عن ذلك اثبتت باعمالها انها استحقت كل بارة منهُ.وبدأت « مسز املين بنكهرست » عملها السياسي في سبيل نيل المرأة حقوقها بصورة جدية في عام ١٩٠٦ فجندت جيشاً كبيراً من النساء يعمل تحت قيادتها . وانهالت عليها التبرعات من كل حدب وصوب حتى انهُ قيل ان الاموال التي جمعت للقضية النسوية تفوق اي مبلغ جمع لاية قضية او مشروع آخر

ورأت ان الاكتفاء بالخطب والمطالبة بالاساليب السلمية المشروعة لايكسب قضيتها الخطورة التي تريدها لها ولا يلفت نظر الناس لفتاً كافياً اليها .وان الرجل لن يتنازل عن شيء من حقوقه للمرأة الا مرغماً ،فاتخذت الشدة والعنف مبدأ لها ، وانشأت من بين مناصراتها فريقاً من النساء الفدائيات اطلقت عليهن لقب المجاهدات ، فاندفعن تحت رايتها الى استخدام العنف والاعتداء والتخريب.ولم يحجمن عن الاعتداء على الوزراء والنواب وجلدهم بسياطهن بل حطمن واجهات الدوائر والمخازن ، واوقدن النار في صناديق البريد ، واتين غير ذلك كثيراً من اعمال الشدة والعنف لارغام الحكومة على الاهتمام بحركتهن واجابة مطالبهن

وكتبت الى « السر هنري كامبل بنرمان » رئيس الوزارة الانكليزية في ذلك العهد كتاباً قالت فيه : —

« ان النساء سئمن ما يظهره نحوهنَّ رجال السياسة من العطف، وما يخدعونهن بهِ من الاقوال وانهن لم يعدن يكتفين بالوعود والمجاملات بل يطلبن الاعمال وسيمضين في جهادهن الى ان ينلن مطالبهن »

وفي سنة ١٩٠٦ ذهب وفد برياستها الى البرلمان وقابل الزعماء وافهمهم صريحاً ان النساء مصممات على نيل حقوقهن مهما بذلن في سبيل ذلك ، ومهما تحملن من عناء. وقد قاست « مسز بنكهرست » من جراء اعمالها وتحريضاتها ، وفي سبيل قضيتها كثيراً من الاضطهاد والسجن بين عام ١٩٠٨ وعام ١٩١٣

وقد حاربت « مسز بنكهرست » السجن مع كثيرات من زميلاتها بالامتناع عن

الاكل حتى اضطر رجال الحكومة مرة من المرات الى تغذيتها بالقوة بعد ان اشرفت على الموت . على ان اضرابها عن الطعام جاء بالنتيجة المرغوبة ، فلم تمض في السجن اكثر من ٢٦ اسبوعاً من مجموع المدد المحكوم بها عليها وهي تزيد عن اربع سنوات

وقد كان لهذه السيدة شخصية مغناطيسية تجتذب الناس اليها . ومقدرة خطابية تؤثر في سامعيها وتدفع بهم الى القيام باي عمل تدعوهم اليه وقد كان النساء شديدات الاعجاب بها وكثيراً ما تحمسن عند سماع خطاباتها فتقدمن ينثرن حليهن وجواهرهن تحت قدميها مساعدة للقضية التي تخدمها

وقد هذبت بناتها تهذيباً عالياً وعلمتهن العلوم الراقية ثم انشأتهن على مبادئها ، فشاركنها في جهادها واشتهرت منهن « كرستابل بنكهرست » التي تولت تحرير جريدة اسمها « بريطانيا » خصيصة لخدمة القضية النسوية ، وانشأت مقالات كثيرة في غيرها من الصحف والمجلات دفاعاً عن مبادئها

واشتهرت ابنتها الثانية « سيلفا » التي كانت تحرر جريدة « دردنوط العمال » ولها مؤلفات كثيرة عن الحركة النسوية وعن روسيا الشيوعية وغيرها

وقد بلغت الفتاتان — وخصوصاً الاولى منهما — من الشهرة في جهادهما ما كاد ينسي الناس مكانة والدتهما

وظلت « املين بنكهرست » تواصل جهادها بمساعدة ابنتيها ومن التف تحت رايتها من النساء الى ان نشبت الحرب الكبرى فحولت مساعيها عندئذ الى العمل للقضية الوطنية العامة والى الدعوة للتجنيد . ويقال انه كان لمساعيها ومساعي النساء العاملات معها الفضل الاكبر في نجاح حركة التجنيد في انكلترا

ولما انتهت الحرب عادت الى الالحاف بمطالبها . وقد كان لعمل المرأة في الحرب اثر عظيم في تبدل آراء رجال السياسة نحوها فعاشت « املين بنكهرست » لترى آمالها محققة ولتشهد جهادها الطويل يتوّج بالقانون الجديد الذي ابرمهُ البرلمان البريطاني وهو يقضي بمساواة المرأة بالرجل في حقوق الانتخاب

(مقتطفة عن العروسة)

المرأة وتقدم الطيران

بين عهدين
١٩١٤ — ١٩٢٨

العلم والعمران يسيران الى الامام على جثث ضحاياهما . وقد ادركت المرأة ذلك كلَّ الادراك فلم تحجِن عن التقدم الى الميدان تستخفها الجرأة ويستثيرها الاقدام . وعبور الاوقيانوس الاتلنتيكي مثال بليغ على صحة ما نقول. خمس سيدات حاولن ان يجتزنهُ طيراناً مجاراة للشجعان من الرجال الذين فازوا بذلك فغرق ثلاث منهن في اليم قبل تحقيق الامل هنَّ مسز جريسن التي حاولت اجتياز الاتلنتيكي من اميركا الى اوربا في طيارتها «الفجر» في شهر دسمبر من السنة الماضية . والبرنسس لونشتين ورذيم التي حاولت اجتيازهُ من اوربا الى اميركا في ٣١ اغسطس سنة ١٩٢٧ يصحبها الطياران الكولونل منشن والكابتن هملتن . والمس السي مكاي التي حاولت اجتيازه في ٣١ مارس سنة ١٩٢٨ مع الكابتن هنشكلف .

اما السيدتان الباقيتان فهما المس روث الدر التي حاولت اجتيازهُ في ١١ اكتوبر سنة ١٩٢٧ مع الكابتن هالديمان فنزلت بهما الطيارة على مقربة من جزائر الازورس والتقطتهما باخرة اتفق وجودها هناك . والثانية المس ايرهارت التي فازت فوزاً كاملا باجتياز الاتلنتيكي في ١٧ و١٨ يونيو الماضي على الطيارة فرندشيب على ما اثبتناهُ في مقتطف يوليو الماضي صفحة ١١٤

وعندنا ان ابلغ مثل تضربهُ المرأة لاقدامها وشجاعتها وأثرها في ترقية الطيران هو فوز اللايدي هيث الانكليزية التي طارت وحدها بطيارة صغيرة من مدينة الكاب بجنوب افريقية الى لندن . ومثلها اللايدي بايلي التي طارت وحدها كذلك بطيارة صغيرة من لندن الى مدينة الكاب وقد مرتا كلتاهما بمصر

يضاف الى ذلك المثل البليغ الذي تضربهُ الامهات والزوجات والخطيبات والاخوات اللواتي يقبلن ان يتعرض ابناؤهن وازواجهن وخاطبوهنَّ واخوتهن لمخاطر الطيران ولا يكتفين بذلك بل يشجعنهم على اقتحام ميدان الجهاد بقلب مملاهُ الشجاعة ويحدوهُ الامل

***

تم كل هذا في السنتين الاخيرتين. ولكن النساء جارين الطيران منذ نشأته الاولى. واليك ما فعلتهُ سيدة انكليزية قبيل الحرب نعيد نشرهُ الآن لمقارنتهِ بافعال اخواتها اللواتي جارين الرجال في اكثر الاعمال خطراً واكثرها استلزاماً للصبر والشجاعة والاقدام

المسز بلر احذق امرأة طيارة

هي سيدة انكليزية اولعت في صباها بركوب الاوتوموبيل ولم تكتفِ بركوبهِ بل جعلت تصلح في آلاتهِ ولها مخترعات فيهِ تدلُّ على حذق شديد ومهارة فائقة . واول مرة طارت في طيارة سنة ١٩١٠ ثم طارت مرة اخرى بعد بضعة اشهر ومن ثمَّ أُولعت بركوب الطيارات فدخلت مدرسة الطيران في دوي بفرنسا وكانت السيدة الوحيدة في تلك المدرسة فاقامت فيها سنة ونصف سنة درست في غضونها كل ما يتعلق بالطيران وعمل الطيارات وجعلت تعمل بيديها كل اجزاء الطيارة مثل اي ضابط من ضباط الفرقة الطيارة في الجيش الفرنسوي

وطارت اول مرة وثاني مرة في دوي مع استاذها واذن لها في المرة الثالثة ان تطير وحدها ولكن اشترط عليها ان تطير في خط مستقيم ولا تدور في الجو لانهُ حسب انها لا تستطيع الدوران فطارت ثم ادارت طيارتها قليلاً فوجدت انها تستطيع ان تديرها بسهولة فجعلت تدور بها مرة بعد اخرى. واساتذة المدرسة تحتها وقوف يعجبون من جسارتها وجرأتها

ونالت الشهادة من تلك المدرسة في ٢ ابريل سنة ١٩١٢ وكانت تعد من امهر الضباط الطيارين الذين تعلموا معها لانهم كسروا ٢٧ طيارة ثمنها ٤٠٠٠٠ جنيه واما هي فلم تكسر ولا طيارة مع انها كانت تطير مثلهم . ولما جرت المسابقة لاجل كاس النساء بقيت طائرة ساعتين في عاصف شديد ثم نفد زيت الآلة المحركة فوقفت بغتةً ووقفت المروحة اما هي فلم تضع صوابها كما يقع للطيارين في مثل هذه الحالة بل ادارت الطيارة ونزلت بها رويداً رويداً فوصلت بها الى الارض سالمة كأنهُ لم يصبها شيء

وكانت مرة تطير بطيارة فيها آلة قوتها ١٣٠ حصاناً فرأت وهي طائرة ان اسلاك الطيارة اطول مما يلزم ولم تكن قد فحصتها قبلما طارت بها فانحنت وضغطت على الاسلاك وانزلت الطيارة الى ميدان الطيران وكان الوقت ليلاً ولم تكن قد رأت ذلك الميدان من قبل لكنها وصلت الى الارض في الميدان المعد لنزول الطيارين . وهي عازمة الآن ان تطير من اوربا الى مصر بطريق البلقان

الفتاة المصرية والعمل

اصلاح خطإٍ

حضرة الاستاذ محرّر المقتطف

ذكرتم في المقال عن « ذكرى قاسم امين » المدرج بتوقيع « سفوري » في باب تدبير المنزل من عدد يونيو المنصرم ان صاحب العزّة محمد طلعت بك حرب قال في حديثٍ معي « انهُ لا يرى مانعاً في قبول البنات للعمل في البنوك ومكاتب الاشغال »

وانا في الحديث الوحيد الذي نشرتهُ لطلعت بك في « السياسة الاسبوعية » في العام الماضي لم أذكر قط شيئاً كهذا ، ولم يردْ في ذلك الحديث موضوع عمل الفتيات في البنوك والمكاتب ، كما اني لم اسمع مرة من طلعت بك ما يقرب من هذا الرأي

لذلك ارجو نشر هذه الكلمة تقريراً للواقع ، والسلام « مي »

فوائد منزلية

لا تستعملي ماء الصابون لتنظيف فرشاة الشعر بل اغمسيها حتى مقبضها بماء الصودا الفاتر. ثم عرضيها للشمس مقلوبة اي شعرها الى تحت وقفاها الى فوق فتنظف. اما الماء السخن والصابون فينعم شعر الفرشاة ولا ينظفهُ

لتنظيف الفرو الابيض ان كان غير شديد الوسخ امزجي مقدارين متساويين من مسحوق النشاء الابيض ومسحوق البورق وافركي الفرو بهِ جيداً ثم انفضيه في الهواء الطلق

اذا اضطررت الى ا وضع البرانيط في صندوق مع الثياب فاملئي داخل البرانيط قماشاً فلا تتحطم قوالبها

لتنظيف برنيطة القش بلي فرشاة بالماء الفاتر اذيب فيهِ قليل من الصابون وافركي بها البرنيطة . ثم اغسليها بماء نقي . ثم ضعي قليلاً من الحامض الليموني .او الطرطريك او الاكساليك. في اناء نظيف وصبي عليهِ من الماء الغالي ما يكفي لغمر البرنيطة . ثم زجيها في هذا الماء خمس دقائق . وبعدئذٍ دعيها تنشف في الشمس

باب المراسلة والمناظرة

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناه ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان . ولكن العهدة فيما يدرج فيه على اصحابه فنحن براء منه كله . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمه ما يأتي : (١) المناظر والنظير مشتقان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيره عظيماً كان المعترف باغلاطه اعظم (٣) خير الكلام ما قل ودل . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطولة

شرقي ممتاز في جمهورية اميركية

الدكتور جبرائيل طربي

للبناني تحت كل سماء مآثره ومزاياه الرفيعة الكامنة التي كثيراً ما تتجلى في المهجر حيث تقدس الحرية ويصان الحق فيظهر على المسرح العام متفوقاً مبرزاً

هو ابن حنا طربي وبرباره ابي منصور البسكنتاويين « لبنان » . ولد في بوكارمنكا « كولومبيا » حيث ترعرع وعلى محياه علائم النبوغ وامارات النجابة . واتمَّ دروسه العالية في الجامعة الوطنية في عاصمة هذه الجمهورية « بوغوتا » لما كان لهُ من العمر ثلاثة وعشرون عاماً . وولج عالم العمل طبيباً نطاسيًّا وجل اهتمامهِ ان يكون طبيب جماعات يعمل مبضعه الحاد في جسمها الفاسد . وهذا ما كان يجاهر به من على المقاعد المدرسية كتابة وخطابة

طربي سياسياً

ترك العاصمة آمًّا مسقط رأسه . وكان الجمهور عندئذ يتأهب للخوض في معركة الانتخابات للمجلس التشريعي في مقاطعة سانتدير . فرأى فيهِ حزب الاحرار الذي ينتمي اليه — ما يؤهله للاندماج في صفوف المنتخبين . وهكذا كان . نزل الى مضمار السياسة فكانت لهُ جولات رائعة احلته في ارفع الدرجات فاصبح والكل يخشى نزاله ذا كلمة نافذة . وكانت الغيوم متلبدة في جو المجلس ومصلحة المقاطعة تتلاعب بها الاهواء ويد الاميركيين تحوك الشباك خفية طمعاً بالاستيلاء على ينابيع البترول . في هذا الوقت

العصيب دوى في القاعة صوت طربي مؤنباً منذراً وقدم الى الجموع كباكورة اعماله خذلان زميله المرتشي الذي كان آنذاك رئيس المجلس وارغمه على الاستقالة من منصبه بعد ما كشف القناع عن حقائق راهنة تؤيد حجته . فاصبح بعد ذلك مطمح الابصار ومحط الآمال . اسمه رمز الاخلاص والجهاد تتناقله الالسن وتردده الاندية

طربي رئيساً لحزب الاحرار

وحتى الآن لم تمض الا اربع سنوات وهو في ميدان السياسة عامل بهمة لاتعرف الملل نظم في خلالها صفوف حزبه ونفخ فيه روح الشباب فكافأهُ على خدماته بانتخابه له رئيساً

مكانته في الجمهورية الكولومبية

انقسم حزب الاحرار في هـذه الجمهورية على نفسه وفي الانتخابات العمومية لمجلس الامة خُذل الحزب المنشق بعد ما اصلاه طربي واعوانه حرباً خطابية فاصلة فكان لهذا الفوز المبين رنة استحسان في كل الانحاء زادت في شهرته ومهدت له سبيل النجاح وما لبثنا ان رأيناهُ منتخباًعضواً لمجلس الامة عن حزب الاحرار باكثرية ساحقة

لمجلس الامة في هذا العام اهمية لم يسبق لها مثيل في تاريخ الجمهورية . فكولومبيا تشغل افكار المتمولين في وول ستريت ولندن . وحكومتا الولايات المتحدة وانكلترا تتزاحمان على نيل الامتيازات لاستخراج البترول. والامة الكولومبية في تطور سريع وتيار التقدم الاجتماعي اخرجها من طور الخمول الى طور العمل. والحكومة بين حماسة شعبها ومطامع الاجانب في مأزق حرج . ولمجلس الامة ان يقرر المصير في مثل هذه الحال

دخل طربي العاصمة فاستقبله اتباعه احسن استقبال مؤكدين له اخلاصهم ومناصرتهم اياه لانه في عرفهم بطل المعركة ولانهُ قادر على تفريج الازمة المحتكمة بجرأته المعهودة

انتخابه نائباً لرئيس مجلس الامة

وفي الاجماع على انتخابه نائب رئيس دليل قاطع على تقدير الساسة لهُ حق القدر واعتباره زعيم النواب الاحرار . فيكون هو اول نائب رئيس لايزيد عمره على سبع وعشرين سنة . هذا الشاب القائد للاقلية فاق متقدميه بجرأته الفائقة ومنطقه الصريح المقنع فهو بدون معارض خطيب مصقع وكاتب مجيد في الاسبانية . واعداؤهُ السياسيون انفسهم يقرون انهم لم يَروا حتى الآن لهُ نظيراً في توقد القريحة وسهولة التعبير

ماركس فيديل سوارس الذي كان رئيساً للجمهورية واديباً مشهوراً وصف الفتى

طربي في احد « احلامه » الذائعة بين الناطقين بالاسبانية وصفاً دقيقاً جاء فيهِ على مقدرته الخطابية وغزارة مادته في هذا الفن

اعماله الحزبية

استدعى وزير الحربية ورئيس الحكومة ليقدما تقريراً عن اعمال الحكومة في الاعتصاب الذي قام بهِ العمال في نهاية العام المنصرم وعن الوسائل الصارمة التي اتخذتها لردهم جبراً الى شغلهم . فاحتدم الجدال وناقش طربي الوزيرين الحساب مقبحاً اعمالها المناقضة للشريعة ومدافعاً عن حقوق العمال غير هياب . وكان من اعجاب الناس بهِ ان حملوه بعد انتهاء الجلسة على الاكتاف بين الهتاف والتهانيء

اعماله الوطنية

والقرارات التي دعمها بوقفاتهِ المشهورة وجعلها بقوة الحق شرائع معمولاً بها عديدة فهو رجل عمومي لا نفعي يتفانى في خدمة العامة وحتى الآن ليس في تاريخ حياته السياسي نقطة سوداء. وفي كل يوم ترى صحف العاصمة حافلة بالاخبار عن كل ما تيه ناطقة بفضله مجمعة على تكريمهِ على اختلاف نزعاتها

ومما استلفت انظار الوطنيين وشغل افكار المتمولين الاجانب ما جاهر بهِ عند وصولهِ الى العاصمة وملخصه ان الحكومات السابقة كانت متساهلة الى حد الضعف فيما يتعلق باعطاء الامتيازات فانتقدها انتقاداً جارحاً على صفحات الجرائد مبشراً ان زمن الخنوع مضى وشأن الحكومة اليوم في ثروتها غيرهُ بالامس . وان الامة تسفك آخر نقطة من دمها قبل ان تدع سيادتها القومية تحت رحمة لندن او نيويورك

وقد بدأت تتحقق نبوءتهُ وانتقل من القول الى العمل قائلاً مع اكثرية زملائهِ بانبساط ملكية الدولة على ما في جوف الارض الكولومبية من سائل ومعدن ثمينين. امامنا عدد من جريدة « الوقت » el tiempo احدى امهات الجرائد في العاصمة يتضمن خطاباً شاملاً لطربي يعضد بهِ الشريعة الجديدة فهي الثالثة من نوعها بعد الشريعتين المكسيكية والارجنتنية في اميركا الوسطى والجنوبية وبموجبها تحفظ حقوق الشعب وتصان ضد الجشع الاميركي الذي يهدد كيان الجمهوريات في العالم الجديد

ومجلس الامة في هذه الاونة على ابواب العطلة النيابية فاستناداً الى تصريح اقطاب السياسة في هذه الجمهورية كان لطربي القدح المعلى في المناقشات وقد تكللت مساعيهِ بالنجاح المنشود . فالمقاطعة التي يمثلها تستعد لتضع على رأسه اكليل غار تقديراً

لتضحيته وتجرده . فلبنان يفتخر به لان دمه لبناني وكولومبيا تمجده لانه تحت سمائها فتح عينيه على نور الحياة . والجالية السورية اللبنانية ترى في الفتى النابغ رمزاً للتفوق الشرقي وبرهاناً ساطعاً على مقدرة الشرقيين حيث ينفسح امامهم المجال

بوكارمنكا كولومبيا جورج صليبا

اصلاح التقويم

حضرات الافاضل اصحاب المقتطف الاغر

بعد التحية قرأت في عدد يوليو الجاري ردكم على السؤال الخاص بالتقويم الغريغوري من احد قراء مجلتكم باميركا فاقراراً للحقيقة رأيت من الصواب ان الفت نظركم الى ان السنين المئوية ليست كلها عادية بل تكون واحدة منها كبيساً كل اربعمائة سنة مثل سنة ١٦٠٠ وسنة ٢٠٠٠ وسنة ٢٤٠٠ وهلم جرًّا وبذلك يكون الفرق بين التقويم الغريغوري والسنة الشمسية معادلاً لجزء من عشرة اجزاء من اليوم في كل ٤٠٠ سنة كما ترون ذلك من العملية الآتية :

اولاً — عدد الايام الحقيقي في ٤٠٠ سنة حسب النظام الشمسي :

ايام سنة

٣٦٥٫٢٤٢٢٤ + ٤٠٠ = ١٤٦٠٩٦٫٨٩٦ يوماً

ثانياً — عدد الايام في ٤٠٠ سنة حسب التقويم الغريغوري

ايام سنة

٣٦٥ + ٣٠٠ = ١٠٩٥٠٠ يوماً

٣٦٦ + ١٠٠ = ٣٦٦٠٠ «

١٤٦١٠٠ «

خصم ثلاثة ايام لثلاث سنين مئوية

غير كبيس ٣

١٤٦٠٩٧ «

يتضح من ذلك ان التقويم الغريغوري يسبق النظام الشمسي بما يعادل ٠٫١٠٤ من اليوم اي ١/١٠ من اليوم تقريباً كل اربعمائة سنة — هذا وتفضلوا بقبول مزيد احترامنا

وديع خوري بشركة السكر بالشيخ فضل

مكتبة المقتطف

بهجة الافراح في مناجاة الارواح

تأليف الدكتور ابرهيم عربيلي — صفحاته ١٤٠ قطع صغير — عني بنشره يوسف توما البستاني صاحب مكتبة العرب بالفجالة بمصر

ما زال البحث في الروح وخلودها واستحضارها ومناجاتها وما يتبع ذلك من اسرارٍ تحيّر اللب من الوجهتين الدينية والدنيوية يشغل بال النـاس على اختلاف مراتبهم ودرجاتهم من الثروة والعلم والتديُّن

والباحثون في ذلك فريقان فريق يقول : ان كل ما اطلعنا عليهِ من هذا القبيل وكل ما امتحناهُ لم نجد فيهِ ما يخرج عن التخيُّل والخداع . او ما لا يفسَّر بالاستهواءِ الذاتي او ببعض النواميس الطبيعية المعروفة او ما لا يمكن ردُّهُ الى غيره ممـا لا يتعذر تفسيرهُ او ما في صحته شبهة قوية

والفريق الثاني يقول : ان استحضار الارواح ومناجاتها امر لا ريب فيهِ .وان بعض الناس ممتاز بمقدرة خاصة على مناجاة هذه الارواح ومخاطبتها كما يمتاز المستنبط المبدع او الموسيقي المبدع بقوة قلَّ من يجاريه فيها من الناس

وبين الفريقين فريق شبيه بالفريق الاول يقول : نحن لا ننفي المناجاة ولا نثبتها وان كنا نرتاب في صحتها للاسباب التي يدلي بها اصحاب الرأي الاول وانما نقف موقف العالِم الحذِر نقول لا ندري لاننا لا نعرف كلَّ الحقائق التي نستطيع ان نبني عليها حكماً قاطعاً . ويستشهدون على موقفهم هذا بتاريخ العلم . فكم من مرة وقف المفكرون وقالوا كذا وكذا مستحيل . ثم لم تلبث الايام ان دارت دورتها وصار كذا وكذا من الحقائق الاساسية التي يقوم عليها العلم

بين هذه الفرق الثلاث يروح ويغدو جمهور كبير من الافاقين المخادعين جعلوا ديدنهم الشعوذة باسم الارواح وهم في اكثر الاحيان خادعون عن تدبر وروية . لذلك حين قدمت مجلة السينتفك اميركان جائزتها المشهورة منذ بضع سنوات وعرضت ان

تمنحها لكل وسيط يستطيع ان يقوم بعمل روحاني يثبت امام نقد لجنة من العلماء بقيت الجائزة معروضة ما يزيد على سنة لم يفز بها احد مع ان نفراً غير قليل تقدم لنيلها فكان اكثرهم خادعاً ففُضح خداعه وكان بعضهم او بالحري احدهم يخدع عن غير وعيٍ منهُ فكُشف عن حقيقته

وكان من اعضاء اللجنة هوديني المشعوذ المشهور الذي وقف حياتهُ بعدها حتى مماته على محاربة المشعوذين الذين يشعوذون باسم المناجاة فطاف الولايات المتحدة من اقصاها الى اقصاها يكشف عن حقيقتهم ويفضحهم للناس ولم يغنِ بعض هؤلاء المشعوذين ان شهد لهم بصحة اعمالهم رجال من علماء اوربا الممتازين يكتبون وراء اسمائهم انهم « نالوا جائزة نوبل في كذا » ففضح هوديني هؤلاء كما فضح غيرهم لان العالم الممتاز في ناحية واحدة من نواحي التفكير العلمي لا يسلم من الخطاءِ في موضوع يختلف عن البحث الذي اقطع لهُ مدى الحياة . فشهادة الكيماوي في مناجاة الارواح قد لا يكون لها من الوزن ما قد يكون لشهادة المشعوذ المنصف المخاص لان هـذا ادرى بوسائل المشعوذين والنصابين واهدى الى الكشف عنها

لذلك لا نرى فائدة كبيرة من قائمة طويلة عريضة ذكرها الدكتور عربيلي في احد فصول كتابهِ وذكر فيها جمهوراً من الاساتذة «والبروفسورين» ليسوا من «الاستذة» في شيءٍ

مثال ذلك ذكرهُ « للبروفسور ستياد العالم الاميركي الذي غرق في اللوزيتانيا » وهو في الغالب يريد المستر وليم ستيد محرر مجلة المجلات الانكليزية سابقاً الذي كان من المغالين في صحة المناجاة وغرق في الباخرة تيتانك سنة ١٩١٣

ومن الذين ذكرهم البروفسور بوث تاركنكتون . ولم نعلم من قبل ان هذا الروائي المشهور صار « بروفسوراً »

ومنهم البروفسور تيندال : احـد الاعضاء في « منتدى فحص اعمال الارواح وقوى النفس »

اننا والله نحار في امر طبيب تربى تربية علمية دقيقة يزجي الينا كلاماً من هـذا القبيل لا تدرك لهُ حقيقة او هو بالحري من قبيل الاقوال التي يقولها اصحاب المناجاة انك لا تدري على اي وجه تقلبها وكيف قلبتها فانك لا تستطيع ان تقف لها على معنى.

وهكذا نرى قائمة طويلة اكثر قوامها اساتذة من المعتقدين لمناجاة الارواح

فمن هو الاستاذ تندل . وما هو هذا « المنتدى » . ومن هم اعضاؤهُ. وهل تؤخذ اقوال المعتقدين بالمناجاة حجة على صحة المناجاة او على صحة التجارب التي يرونها . او لا يجوز ان يكون الاعتقاد ملك عليهم مسالك النقد السليم فغابت عنهم شعوذات كان اقل نظر سليم يفضحها ؟ قال المؤلف :

«وهنا اذكر حادثة من هذا النوع وهي : في إحدى المرات حضرت جلسة كان فيها نحو ٢٠٠ نفس فاحضروا للوسيط نحو مائة شيء من رسوم وساعات ومناديل وخواتم وغيرها ووضعوها جميعها على مائدة امامه ، فغمض عينيه لكي لا يبصر وبعد ذلك كان يقبض على الشيء ويجسه بأطراف انامله ويشرح صفات صاحبه وقصة حياته وتاريخه ومن مات لهُ وما اسمه ويناجي له ويعرفهُ عن حاله ومن مات له وما جرى له في هذه الحياة وسبب انتقاله منها الى عالم الارواح ومن الجملة لمس رسماً لولد وحالما أخذه بيديه أخذ يشرح صفات ذلك الولد . ولما شم الرسم وقع على الارض مغشياً عليه كأَنهُ في حال النزاع من اشتداد مرض الخناق وللحال صاح ، هكذا مات الولد صاحب هـذا الرسم الذي في يدي . فانتصبت والدة الولد التي وضعت ذلك الرسم على المائدة وامام الوسيط وصاحت نعم هكذا مات ولدي وطفقت تبكي وهكذا كان يصف حالة كل شخص ينتسب لاحد من الحضور قضى أو لا يزال في قيد الحياة حتى تعجب كل الحاضرين واظهر افعالاً تحير العقول وهذا تم على ضوء النهار فلا نعلم كيف يتم أمر حوادث كهذه وما الذي يسببها ويظهرها» ص٣٦

لماذا لم يتقدم هذا الوسيط الى لجنة السينتفك اميركان لاثبات حقيقة ما يدعي ؟ او يعقل ان رجلاً هذه مقدرتهُ على التنبوء بالغيب لا تتهافت عليه الحكومات ليكشف لها الاسرار التي تجهلها

لم نحجم مرةً عن ان نذكر في المقتطف ما يجدُّ من البحث العلمي في هـذا الموضوع الخطير .ولكن الاندفاع في سبيل نشر هذه الآراء من غير قيد علميّ خطر على الفكر اذ يغلّه باغلال الاوهام والخرافات بينما نحن نطلب لهُ انفساح مجال الحرية بتعليمه العلوم الطبيعية والبيولوجية

﴿ السعيديات ﴾ وهو الجزء الاول من ديوان سعيد ابو بكر التونسي. صفحاتهُ ١٠٩ من القطع الوسط . وقد طبع بالمطبعة الاهلية نهج الديوان عدد ٥ بتونس

معضلات المدنية الحديثة

ومقالات اخرى

بقلم اسماعيل مظهر بك — صفحاته ٢٢٦ قطع المقتطف — طبعت بدار العصور بمصر

مجموعة مقالات نفيسة عالج فيها كاتبها اهمّ المسائل العلمية والفلسفية والاجتماعية التي تشغل عقول المفكرين في هذا العصر ؟ ما هو اساس الحضارة المقبلة : الرقي الادبي ام النشوء العضوي ؟ هل التاريخ علم او فنّ ؟ ما هي حقيقة النهضة الشرقية وما هي اظهر مظاهرها وابقى آثارها ؟ ما هو طابع المدنية الحديثة وهل هي مدنية فرد ام مدنيـة جمهور ؟ ما هي الاسباب التي قام عليها الانقلاب التركي الحديث وما هو اثرهُ في تغيير اساليب الفكر ؟ ما هي النسبية وما هو اثرها العلمي والفلسفي في ارتقاءِ الفكر الانساني ؟

لا نظن قارئاً من قراء المقتطف يطلع على هذه الاسئلة الاَّ ويدرك حق الادراك انها اخطر المسائل العقلية التي تتجه اليها افكار المفكرين. وان الاجوبة عنها من اهم المباحث التي تعالجها المجلات والكتب العلمية والفلسفية

وربَّ معترض يقول: ولكنها مباحث لا يفهمها الاَّ الافراد القلائل ففائدتها محصورة في دائرة ضيقة وكان يجدر بصاحبها ان ينفق وقتهُ في كتابة شيءٍ يفهمهُ الجمهور ويستفيد منهُ . فنردُّ على هذا المعترض بقول السيد المسيح « ليس بالخبز وحدهُ يحيى الانسان » ولا بدَّ من الشدائد يتمرس بها الانسان حتى يبني نفسهُ على اركان من اقدام وحزم ومثابرة كما تقوى العضلات بالمرانة الرياضية. كذلك الكتَّاب والجمهور . فاذا بقي الجمهور يتلقى من ايدي الكتاب ما يريدهُ هو لم يرتقِ مستواهُ العقلي فوق حدٍّ محدود. لذلك نجد مكاناً رحباً في كل نظام اجتماعي للكاتب الذي يكتب للخاصة . ولا بأس بقلتها . فاذا تلمذ كلُّ كاتب عشرة من الشبان وعلمهم حقائق جديدة وهذبهم باساليب من التفكير يحسبها افضل الاساليب لا يلبث ان يتعدى اثرهُ العشرة لان لكل من هؤلاءِ العشرة رفاقاً واصحاباً يتحدثون معاً ويتناقشون في الموضوعات التي تشغل اذهانهم . فالكاتب الذي يكتب للخاصة كالبزرة تلقى في الارض لا تلبث ان تبرز نبتة طرية ثم يقوى اصلها وتمتد فروعها وتؤتي ثمارها

وكم كنا نودّ لو ان صديقنا مظهر بك يعمد الى ضرب الامثال في مقالاته العلمية والفلسفية يخفف بها ما يعتور هذه المباحث من غموض. وقد فعل ذلك احياناً فكانت الامثال

التي ضربها علاوة على صحتها التاريخية من العوامل التي سهّلت تصوير المعنى الفلسفي تصويراً واضحاً . مثال ذلك قولهُ حين الكلام على نزعة اليونان الفردية في سياق كلامه في «مدينة الفرد ومدينة الجماهير» :

«ان من اكبر الفضائل التي يحسد عليها القدماء وعلى الاخص الشعب اليوناني القديم هو بروز الذاتية الفردية واستقلالها فكراً وعملاً وبعدها عن التأثر بحياة الجماهير . لهذا نجد ان الفيلسوف منهم ظهر كفيلسوف على طريقة من الفلسفة ومضى ثابت اليقين فيما يوحي اليهِ بهِ عقله وتملي عليه تصوراته ولو ذاق الموت في سبيل مبدئه . ألم يمت سقراط لانهُ مضى طوال حياته يحاول ان يفهم الناس انهم جهلاء وأن الدعوى والغرور اكبر مفاسد النفس ، واكبر برهان على الجهل ؟ ألم ترَ كيف جلس ديوجينيس على باب الاكاديمية لافلاطون مخفياً ديكاً عراه عن ريشه، حتى اذا ما عرّف أفلاطون الانسان بانهُ حيوان أنسل رمي بالديك الى وسط القاعة قائلا « هـذا انسان افلاطون » . وافلاطون حينئذ ذلك الرجل العظيم الذي كان يبلغ حب تلاميذه له مبلغ حب العباد الصالحين لمعبوداتهم غير المرئية ؟ وهل اتاك حديث ارسطوطاليس اذ ناقش استاذه افلاطون فأهانه بعض الطلبة فتركهم حتى اذا انتهز فرصة غيابهم كتب على السبورة هذه الجملة — « نحن نحب افلاطون ونحب الحق . فاذا اختلفا فأيهما أولى بالمحبة ؟ »وهل عرفت حديث ديوجينيس اذ وقف ازاءه الاسكندر المقدوني وهو جالس بجوار برميله الذي كان يعيش فيه وسأله هل ترهبني ؟ فأجابه هل انت صالح ام شرير . فأجابه بل صالح . قال وكيف ارهبك وأنت رجل صالح ؟ وسأله : هل تريد مني شيئاً ؟ فقال لا . بل تحول قليلاً لانك حلت بيني وبين الشمس . فهمّ بعض اتباع الاسكندر بايذائه . فانتهرهم قائلاً . لو لم اكن الاسكندر لتمنيت ان اكون ديوجينيس »

اصول الحقوق الدستورية

تأليف البرفسور ايسمن — ترجمة الاستاذ محمد عادل زعيتر — صفحاته ٣٠٠ من قطع المقتطف طبعه ونشره صاحب المطبعة العصرية بمصر

مؤلف هذا الكتاب عضو في المجمع العلمي الفرنسي واستاذ في كلية الحقوق بباريس وفي مدرسة العلوم السياسية . والمترجم تلميذ المؤلف واستاذ لقانون المرافعات الجزائية وعلم السياسة في مدرسة حقوق فلسطين . والموضوع — موضوع الدستور والحكومات

الدستورية — يشغل بال كلّ شرقي . فكيف اجلت الطرف في بلدان الشرق العربي سمعت صوتاً صارخاً ينادي الدستور ! الدستور ! لاعتقاد شعوبها ان الدستور خير وسيلة للحكم كشف عنها الفكر البشري وايدتها حوادث التاريخ . فالكتاب اذاً جاء في وقته وفي حين الحاجة اليهِ والى أمثالهِ . فعسى ان تكون مطالعتهُ برهاناً ساطعاً على ان الدستور يطلب لذاتهِ اولا لان « الذين يعشقون الحرية لا يفكرون في ترك الحكومة البرلمانية ولو كانوا من اشد الناس انتقادا لها » ص ١٥٢ سطر ١٩ . وثانياً ان مجرد الحصول عليهِ لا يكفل جني الخير المنتظر منهُ . فهو يلقي على جمهور الناخبين والنواب وغيرهم من ممثلي الامة تبعات كبيرة اذا لم يحققوها كان الجهاد في سبيلهِ والحصول عليهِ عبثاً

والكتاب مقدمةٌ في ممالك الدولة والحكومة وبابان في الاول منهما خمسة فصول تتناول النظم والمبادئ التي نشأت عنها حقوق انكلترا . وكيف صار دستور انكلترا من عناصر الحرية في الوقت الحاضر . ثم بيان لقواعد الحكومة التمثيلية ونظام المجلسين الاشتراعيين — اي النواب والشيوخ — ومسؤولية الوزراء واصول الحكومة البرلمانية وارتقاؤها في انكلترا وفرنسا

والباب الثاني يشتمل على خمسة فصول ايضاً بسطت فيها المبادئ الفلسفية التي استمدت من القواعد الدستورية مثل مبادئ الفلاسفة في القرن الثامن عشر التي اعلنها رجال الثورة الفرنسية ومبدأ السيادة القومية وما يتفرع عنهُ من حقوق التصويت السياسي وشكل الدولة ، وحقوق التمثيل على انواعهِ . ومبدأ فصل السلطات والعلاقة بين السلطتين التشريعية والتنفيذية وغير ذلك

والكتاب منظم ومبوَّب تبويباً مدرسيًّا واسلوب ترجمتهِ صحيح العبارة سهل المأخذ

الجمعيات التعاونية ونظامها في مصر

تأليف الدكتور توفيق حامد المرعشلي — صفحاته ١١٩ قطع وسط — طبع بالمطبعة المتوسطة بشارع العشماوي بمصر

الفقر رجل يقتلهُ التعاون

هذه هي العبارة الصريحة المرمى التي طبعها المؤلف على غلاف كتابهِ ملخصاً فيها اثر التعاون في نهضة الامة . وقد قال في مقدمتهِ حثًّا على وجوب العناية بتدريس التعاون في مدارس المعلمين الاولية ما يأتي :

« ان المجتمع المصري زراعي اكثر منهُ شيئاً آخر . لذلك كان التبشير بالتعاون الزراعي في اواسط الفلاحين أهم ناحية يعنى بها من يريد الخير لمصر

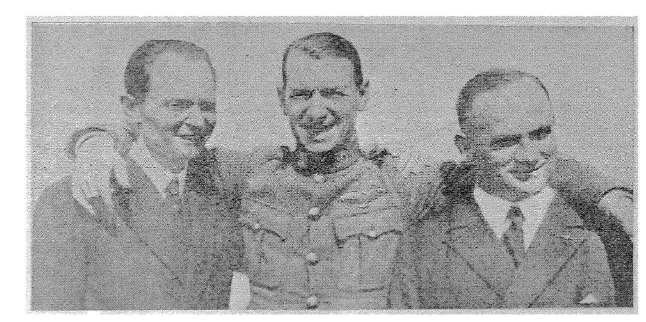
« لكن الوسط القروي ضئيل الاستنارة ، فلا تجد بهِ من تعتمد عليهِ في المهمة التعاونية وتوكل اليهِ أمرها . لان ابناء الفلاحين الذين يدرسون دراسة عالية أو فنّية لايعيشون في مساقط رؤوسهم ، بل يلجأون الى مراكز الاعمال العامة في المدن والعواصم حيث يجدون عملا يلائم مهنهم . اما من درسوا دراسة ابتدائية أو ثانوية أو في المعاهد الاخرى ، فان هم استوطنوا بلادهم ، فانهم لايقبلون على مزاولة الاعمال الحيوية بالقرية أو قل لاطاقة لهم بها ، لان دراستهم لاتوجههم الى شيء منها

«وإذا كان تدريس التعاون بمدارس المعلمين الاولية عاملاً مهمًّا على تقوية الحركة التعاونية في الاوساط الريفية ، فان طلبة هذه المدارس يحصّلون من المعارف العامة قدراً غير يسير ، تجعلهم يكونون طبقة مستنيرة بالقرية ، وتراهم حين يتمون دراستهم يلجأون الى قراهم ووجهتهم العمل بين اهلهم وعشيرتهم ، وقد لا تجد في القرية ارغب منهم في تحمل اعباء الاعمال الحيوية التي توجههم اليها دراستهم ، فتى وجهتهم الدراسة الى ناحية التعاون كانوا ساعداً مهماً على نشر الدعاية التعاونية بل وكانوا خير من تجدهم بالقرية ، يستخدمون في ادارة الجمعيات التعاونية

« من هنا نحس بالخسارة التي تعود على مصر من وراء الغاء تدريس التعاون بهذه المدارس . ذلك الالغاء الذي اعتزمتهُ وزارة المعارف ابتداء من سنة ١٩٢٩ — ١٩٣٠ الدراسية »

وقد اقتطفنا من هذا الكتاب المفيد فصلاً عن نشأة التعاون في مصر والرجال الذين تعهدوهُ والفوا فيهِ ونشرناهُ في باب الزراعة والاقتصاد من هذا الجزء . فعسى ان يعنى بهِ اولو الامر في وزارتي المعارف والزراعة ويفسحوا لحركة التعاون مجال التقدم والاتساع لما فيها من الخير الشامل لفلاحي القطر

﴿ دروس رسم المجسمات ﴾ لتلاميذ المدارس الثانوية تأليف صبحي افندي تادرس مدرس الرسم بالمدرسة العباسية الثانوية بمصر . طبع بالمطبعة الرحمانية بمصر . صفحاتهُ ١٣٧ صفحة من قطع المقتطف . مزدان بالصور والرسوم



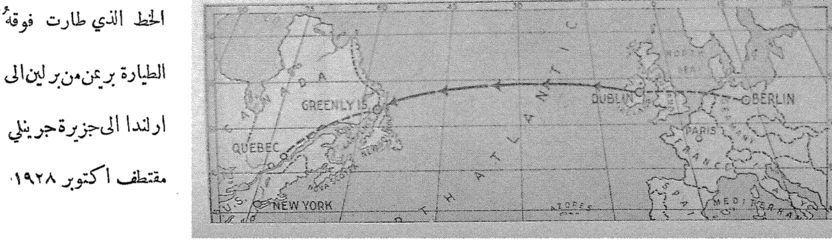
الفرسان الثلاثة

وهم من اليمين الى اليسار

(١) الكابتن كوهل

(٢) الماجور فتزموريس

(٣) البارون فون هونفلد

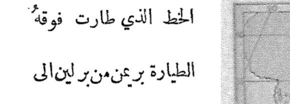


الخط الذي طارت فوقهُ

الطيارة بريمن من برلين الى

ارلندا الى جزيرة جرينلي

مقتطف اكتوبر ١٩٢٨.



باب الاخبار العلمية

اوجه القمر في اكتوبر

	يوم	ساعة	دقيقة
الربع الاخير	٦	٧	٦ صباحاً
الهلال	١٣	٥	٥٦ مساءً
الربع الاول	٢١	١١	٦ مساءً
البدر	٢٩	٠٠	٤٣ صباحاً
الحضيض	٢	٠٠	٠٠ صباحاً
الاوج	١٧	١٠	٦ مساءً
الاوج	٣٠	٣	٥٤ صباحاً

السيارات

عطارد . والزهرة وزحل كواكب مساء

المريخ . يشرق نحو الساعة العاشرة صباحاً

المشتري . يشاهد في اثناء الليل

اعظم الرحلات الجوية الحديثة

طيران البريمن من اوربا الى اميركا

لقد فاز طائفة من الطيارين الشجعان بعبور الاوقيانوس الاتلنتيكي من اميركا الى اوربا عبره اولاً الانكليزيان الكوك وبرون سنة ١٩١٩ وتلاهما لندبرغ وتشمبرلين وبرد وشلي والمس ايرهارت ومن صحبهم في رحلاتهم المختلفة . اما عبور الاتلنتيكي من اوربا الى اميركا فبقي مستعصياً على الطيارين حتى فاز به الطياران الالمانيان كوهل وهونفلد والطيار الارلندي فتزموريس على متن الطيارة بريمن وذلك في ١٢ و١٣ ابريل الماضي

والسبب في صعوبة اجتياز الاتلنتيكي من الشرق الى الغرب هو في الغالب هبوب رياح شديدة من الغرب الى الشرق تعيق الطيارة عن التقدم بالسرعة الكافية فينفد ما فيها من البنزين قبل وصولها الى الشاطئ الاميركي فتسقط في اليم

وقد اطلعنا الآن على مقالة للكابتن كوهل الالماني ربّان الطيارة بريمن وصف فيها المصاعب التي لقيها ورفيقاه في طيرانهم من ارلندا الى جزيرة غرينلي فرأينا اثباتها فيما يلي لما فيها من الفكاهة والفائدة . قال:

وراء الحفاوة البالغة التي نالها طيارو الطيارة بريمن كان يجول في خاطري فكر واحد مداره ما هو اثر فوزنا في مستقبل الطيران بين اوربا واميركا

ولي كلُّ الامل بان فوزنا يعود بفوائد جمة على الذين يحاولون تضييق الشقة بين القارتين على اجنحة الطيارات . والطريقة المثلى التي استطيع ان اصف بها بعض الملاحظات التي عنَّت لي في اثناء الطيران وبعض الحقائق التي دوتها لتكون مرجعاً للذين يتبعوننا هو ان اصف الرحلة من اولها الى آخرها مرحلة مرحلة

لا ريب في ان حالة الجوّ عند بدء الرحلة هي اهم العوامل في نجاح الرحلة او اخفاقها . ففي صباح ١٢ ابريل بلغنا ان حالة الجو فوق جانب كبير من الاوقيانوس مرضية وان الرياح التي كانت تهب من الغرب الى الشرق في اليوم السابق اخذت في السكون فتأهبنا للرحيل ونحن نعلم ان عناصر الجو هي الدُّ اعدائنا . وكنا نحسب ان اخطر المناطق امامنا هي المنطقة التي بين جزيرة جرينلندا وكندا حيث تكثر الرياح والزوابع عادة وعندي ان اهمَّ الامور التي يجب ان يعنى بها طيارو المستقبل هو اعداد المعدات للتغلب على الجوّ في هذه المنطقة

لما قمنا من مطار بلدونل بارلندا كانت ريح جنوبية تهب من ورائنا فكان ذلك معواناً لنا على القيام والاتجاه في الجهة التي نتوخاها . وعليهِ صعدنا الى الطيارة في نحو الساعة الخامسة صباحاً بعدما فحص البارون هونفلد والكابتن فتزموريس كل اجزاء الطيارة . وفي الساعة السابعة والدقيقة الخامسة كنا قد اجتزنا ارلندا الى شاطئها الغربي وصرنا نقترب من صدر اليم الواسع وكنت في اثناء ذلك ادون الملاحظات والارقام عن قوة الريح واتجاهها ومقدار ما يحرق من البنزين من الاحواض المختلفة ودوران المحرك وغير ذلك من الامور التي لا بدَّ من معرفتها . ولم نلبث ان صرنا على ارتفاع يتراوح بين ٣٠ و ٥٠ قدماً فوق بحرٍ رهوٍ فسرنا الى محجتنا بسرعة ١٠٥ اميال في الساعة

وكنا قد اخذنا معنا «قنابل دخان» فاستعملناها لمعرفة اتجاه الهواء وسرعة هبوب الريح ووجدنا ان ريحاً شرقية جنوبية كانت تهب من ورائنا بسرعة نحو عشرة اميال في الساعة فارتفعنا الى ١٤ الف قدم لنمتطي متنها ونجني من هبوبها اقصى فائدة مستطاعة

كنا في الساعات الاربع الاولى من طيراننا — اي من الساعة الخامسة الى الساعة التاسعة والدقيقة الخامسة والثلاثين — نستعمل البنزين من الحوضين اللذين على يمين جسم الطيارة فاقفلناهما حينئذٍ وجعلنا نستعمل البنزين الذي في الاحواض المحفوظة في الجناحين . ولكني لاحظت في الساعة السابعة والدقيقة الثلاثين مساءً ان سيل البنزين غير منتظم نخفت سوء المغبَّة .

فاطلقت البنزين من حوضي الجسم لنصلح ما قد يكون قد طرأ من الخلل على احواض الجناحين ولم تنقضِ علينا ثلاث دقائق حتى كان سيرنا منتظماً كل الانتظام

وحسبت اننا نستطيع ان نطير بالبنزين الباقي معنا ١٤ ساعة . وبينما انا افكر في الامر ويستخفني الامل بالوصول الى البر الاميركي قبل نفاد البنزين التفتنا الى الافق فرأينا خطاً ابيض يعلوه واشباحاً مظلمة فاتضح لنا اننا ولا شك سائرون الى حتفنا

اذكر هذا ليكون الطيارون الذين يجيئون بعدنا على بينة من مسالك الجوّ الحافلة بالخطر . لان هذا الخط الذي تبيناهُ على الافق لم يكن الاَّ دليلاً على تلبد الغيوم في المنطقة التي امامنا — والغيوم اعدى اعداء الطيارين ففي هذه المنطقة نفوز او نموت او بينما نحن سائرون جعلت اسائل نفسي اتثبت البريمن في المعركة المقبلة ؟ اتستطيع ان تخرج منها ظافرة ؟

كان الليل مظلماً لتلبد الغيوم ولم يكن بد من التقدم الى الامام لاننا كنا قد اصبحنا على ٣٠٠ ميل من جزيرة نيوفوندلند

هنا بدأت المعركة بين ثلاثة رجال على طيارة من صنع الانسان وبين عناصر الطبيعة . ارتفعنا الى علو ٤٧٥٠ قدماً فوق هذه الغيوم المخيفة وسرنا غرباً باقصى سرعتنا . ولكننا لم نلبث ان رأينا الطيارة تخترق منطقة اخرى من الغيوم المتلبدة على هذا الارتفاع فلم نرَ طريقاً للخلاص الاَّ الهبوط الى سطح البحر فنسير مخترقين الضباب بدلاً من اختراق الغيوم لان خطر الضباب اقل جداً من خطر السير في الغيوم

ففعلنا ولما صرنا على علو ٧٥ قدماً عن سطح البحر اخذ رشاش الامواج يصيبنا واخذت الطيارة ترتجف وترتجّ واخذت الاجنحة تنحني وعجلة التدوير تهتز اهتزازاً شديداً حين تلطم الطيارة موجة عالية

وهنا اقول ان اقدر الطيارين فقط يجب ان يسمح لهم بمحاولة الطيران فوق الاوقيانوس الاتلنتيكي . وعندي انهُ متى انشئت مدارس لتعليم الطيران يجب ان يختص قسم منها «للطيران فوق الاتلنتيكي» فيختص بهِ الطيارون كما يختص الاطباء في فرع واحد من فروع الطب

وكان لا بدَّ لنا من الاعتماد على البوصلة لمعرفة اتجاهنا وارشاد الطيارة في سيرها فلما اقتربنا من هذه الغيوم المظلمة وجدت اننا على ارتفاع كاف يمكننا من الاستمرار في سيرنا بين طبقة الغيوم وطبقة الضباب ولكن لما اقتربنا من سطح الماء وصارت الامواج تضرب الطيارة احياناً فترجها رجّاً صارت البوصلة في يدي تهتزّ اهتزازاً

لم ادر معهُ في اية جهة نحن سائرون . فلم يسعنا حينئذٍ ان نسير الى الامام من مسترشدين بالبوصلة فسرنا على غير هدىً

وهنا بدأت ادرك فائدة اللاسلكي في الطيران . ولانا لم نكن قد اخذنا معنا آلة لاسلكية شعرت بشدة الحاجة اليها حين صرنا في خطر لا ندري باباً للخلاص الاَّ بمعرفة اتجاهنا من البواخر او المنائر او المحطات اللاسلكية القريبة منا

ولكننا كنا قد قررنا الاستغناء عن الآلة اللاسلكية لثقلها مع معرفتنا بفائدتها الكبيرة . على اني اصرح الآن ان الراديو سيكون ذا شأن خطير في مستقبل الطيران

وبعد البوصلة ارى ان أهم آلات الطيران هو مقياس الارتفاع لان الاحتفاظ بارتفاع معين درءاً للاصطدام باعمدة او جبال او مبانٍ شاهقة ليس بالامر الهين

وبينما نحن كذلك رأيت نجمة القطب فقابلتها على ابرة البوصلة فوجدت ان هذه كانت قد اتجهت خطأً الى جهة اخرى وانا سرنا الى الشمال مسافة طويلة ابعدتنا عن محجتنا فاتجهنا مهتدين بنجمة القطب الى الجنوب الشرقي

وهنا رمى فتزموريس بعض قنابل النور التي معنا . لانا كنا قد اعددنا كل المعدات اللازمة . ولم نخطئ الاَّ في اهمال اللاسلكي . وعلى نور هذه القنابل رأينا الحراج والغابات تحتنا . ثم رأينا قمم تلال وآكام فصرنا نحاول اجتنابها لئلاَّ نصطدم بها . وعلمنا حينئذٍ اننا وصلنا الى اميركا الشمالية فكان فرحنا لا يوصف

زجاج ينكسر ولا يتشظى

من الغريب ان زجاجاً من هذا القبيل لم يصنع قبل الآن . مع ان الحاجة اليهِ كبيرة جدًّا فأكثر وسائل النقل يستعمل فيها الزجاج كالقطارات والسيارات فاذا وقع اصطدم طارت شظايا الزجاج كلَّ مطار وكانت من اكبر اسباب الخطر على المسافرين. وقد فطن لذلك صانعو الطيارات فجعلوا زجاج نوافذها من الواح السلولويد الشفافة كما فطن من قبلهم صانعو قطارات النفق في اميركا فصنعوها كلها من فولاذ حتى اذا اصطدم قطار منها بالآخر لم يتحطم كما تتحطم السكك الحديدية ولم تطر شظايا الاخشاب كانها سهام القضاءِ لا مفرَّ منها

وفي انباءِ الولايات المتحدة الاخيرة انهُ قد تمَّ لبعض ارباب الصناعة فيها صنع زجاج ينكسر ولكنهُ لا يتشظى وذلك ان يأتوا بلوحين من الزجاج العادي ولوح من السلولويد النقي الشفاف يضعونهُ بينهما ثم يعالجون الالواح الثلاثة معاً في افران

كهربائية حتى تصير لوحاً واحداً ثم يحيطون كل قطعة زجاج من هـذا القبيل بما يمنع تسرب الرطوبة الى ما بين هـذه الالواح فتفقدها شفوفتها ويجعل خطر استعمالها أكثر من فائدته ·

والظاهر ان هذا الزجاج ليّن يلتوي قبلما ينكسر ولكنهُ متى انكسر لم تطر شظاياهُ في الهواء لان الطبقة الوسطى ملتصقة كلَّ الالتصاق بالطبقتين اللتين على جانبيها فتمنع شظاياهما من الانتشار

وقد صنعت من هذا الزجاج الواح مؤلفة من ثلاثة الواح من الزجاج بينها لوحان من السلولويد وصوّب اليها الرصاص من مدفع مكسيم على بعد ١٥ ذراعاً منها فلم يخترقها

همُّ العالم وجزاؤه

ذكرنا في مقتطف يوليو الماضي خسارة الطب بوفاة نوغوشي العالم الياباني الذي قضى في افريقيا بالحمى الصفراء بعد ما قضى عليها في جنوب اميركا . وهكذا صح قول الشاعر العربي « ان البعوضة تدمي مقلة الاسد » . وقد قرأنا الآن انهُ في احتضارهِ طلب الى اخوانهِ اعضاءِ اللجنة الطبية التي ذهبت الى افريقيا للبحث في حقيقة هذا المرض ووسائل مكافحتـهِ ان يأخذوا نماذج من دمهِ ويحقنوا بها القردة ليعرفوا هل الحمى الصفراء الافريقية والحمى الصفراء الاميركية مرض واحـد ام لا . ومعرفة هذا الامر لابدَّ منها لانَّ في النيَّة مد سكة حديدية من غرب القارة الافريقية الى شرقها . فاذا مدّت هـذه السكة قبل كشف وسيلة للقضاء على هـذا المرض انتقلت جراثيمهُ معها الى شرق افريقيا ومنها قد تتصل ببلدان الشرق المزدحمة بالسكان كالهند وغيرها

وهكذا نرى ان همَّ العالِم الحقيقي هو خدمة الانسانية عن طريق العلم خدمة مجردة عن كل مطمع مادي . ولكن عقل الانسانية الموزَّع في عقول ابنائها على ممرّ العصور يدرك قيمة هـذه الخدمة ويحبو العالِم الحقيقي مجداً خالداً جزاءً لهُ

تركيب السكر بالصناعة

ذكرنا في مقتطفي فبراير ودسمبر سنة ١٩٢٥ ان الاستاذ بايلي احـد اساتذة جامعة لفربول تمكن من ابتداع طريقة لتركيب السكر من الماء واكسيد الكربون الثاني وخلاصة طريقتهِ انهُ يأتي بانبوب شفاف من الكوارتز ويملأهُ باكسيد الكربون الثاني والماء اي بمادتين فيهما كربون واكسجين وهدروجين لان السكر مركب من هذه العناصر ثم يصوّب الى الانبوب الاشعة التي فوق البنفسجي

فتركّب من هذه العناصر مادة كيماوية تدعى فور ملدهيد وهي مادة سامة ولكن يسهل تحويلها بواسطة الاشعة التي فوق البنفسجي الى سكر العنب وهذا يسهل تحويلهُ الى سكر القصب. وقد كانت الصعوبة في تركيب الفورملدهيد من الماء والاكسيد الكربون الثاني فذللها ولكن نفقات العمل كبيرة جدًّا

وقد قرأنا الآن ان الكيماويين السويسريين آمي پكته وهانس فوچل تمكنا كذلك من تركيب السكر بطريقة أخرى. ذلك ان السكر العادي المستقطر من قصب السكر او البنجر ينحلُّ بفعل الحوامض الضعيفة الى نوعين من السكر يختلفان عنهُ ويختلف احدهما عن الآخر. احد هذين النوعين يدعى غلوكوس وقد اخذ الاميركيون يصنعونهُ من الذرة والثاني يدعى فركتوس ويمكن صنعهُ من نبات الخرشوف «الارضي شوكي» على ما اثبت العلماء في مصلحة المقاييس الاميركية. وقد حاول العلماء من زمن بعيد ضمَّ هذين النوعين من السكّر لصنع السكّر العادي منهما فلم يفوزوا بذلك قبلاً. وهذا ما حققه الاستاذان پكته وفوچل. فقد كشف الاستاذ پكته ان سكّر الفركتوس نوعان متماثلان في تركيبهما ولكنهما يختلفان في ترتيب الجواهر التي تبنى جواهرهما منها. فلما حوّل الفركتوس العادي الى النوع الآخر تمكن من جعلهِ يتحد بالغلوكوس ففاز كذلك بصنع السكر العادي (سكروس) وقد تمَّ لهُ هذا الاتحاد باضافة اربعة جواهر من الحامض الخليك الى كل جوهرين من الغلوكوس والفركتوس فلما تمَّ اتحاد هذين الجوهرين ازال الحامض باضافة قلوي اعتيادي. وهذه الطريقة علمية لا يمكن استعمالها تجاريًّا الآن لكثرة نفقاتها والاستاذ پكته من اساتذة جامعة جنيڤا وعمره ٧١ سنة

هل يستطيع كل واحد ان يطير ؟

كانت الاسئلة الاولى التي وُجّهت الى محرّر هذه المجلة بعد طيرانهِ من باريس الى لندن ذهاباً واياباً «هل أُصبتَ بالدوار؟ وهل يصاب بهِ كل ركّاب الطيارات عادة؟ وترى ما هو اثر الطيران في الصحة — في القلب والشرايين وغيرها من الاعضاء؟» وهي اسئلة تهمُّ الجماهير الآن بعدما كانت تهمّ الافراد لان المواصلات الجوية اصبحت منتشرة في آفاق الارض. وها هي ذي الخطوط الجوية تخترق بادية الشام وتصل العراق وفارس والهند بمصر وفلسطين. فالبحث في هذا الموضوع يقتضيهِ الزمن ومصالح الناس

وقد اطلعنا على مقالة وافية في هذا الموضوع نشرتها مجلة ناتشر جاء فيها ان الطيران التجاري يجب ان يكون في متناول كل انسان في حالة صحية طبيعية . فالغاية الاولى من الطيران التجاري هي الوصول الى المكان المقصود باسرع ما يمكن من غير ان تتعرض حياة المسافرين للخطر . ولذلك ترى الطيارة ترتفع عن الارض الى علو لا يزيد على ١٥٠٠ قدم ومن ثم تستوي على عرش الهواء وتسير الى هدفها لا تهتز ولا ترتج . بل نقول عن خبرة ان اهتزاز القطار السريع او السيارة السريعة في ارض غير مستوية كل الاستواء اكثر من اهتزاز الطيارة التجارية حين طيرانها

وسائقو الطيارات التجارية لا يمنحون اجازة بذلك قبلما يجتازون فحصاً طبيًّا مدققاً. كما انهم يجهّزون بادوات لاسلكية يعرفون بها اخبار الجوّ في البلدان التي ينتظر ان يمروا فوقها ولذلك ترى ان شركة امبيريال اروين نقلت نحو ٦٠ الف راكباً على متن طياراتها مسافة نحو ثلاثة ملايين ميل من غير ان يصاب احد بما يعرض حياتهُ للخطر

وقد اشرنا الى هذا الامر مع عدم علاقته بموضوعنا الخاص لان السرور في اثناء الطيران يزداد اضعافاً اذا كان المسافر عارفاً ان حياتهُ في مأمن من الخطر

اما مسألة الدوار فهي في الغالب مسألة استعداد عقليّ والغالب ان لا يصاب المسافرون بهِ ما لم يكن الجوّ مضطرباً اضطراباً شديداً. وحينئذٍ تهوي الطيارة قليلاً بين آنٍ وآخر فيحس المسافر كأنهُ في زورق صغير هابط من ذروة موجة كبيرة . فاذا كان المسافر من الذين يصابون بالدوار حين الصعود في ارجوحة والتمرجح بها مثلاً اصيب حينئذٍ بالدوار

ويندر للطيارات التجارية ان ترتفع اكثر من خمسة آلاف قدم . وهذا الارتفاع لا اثر ضار لهُ في المصابين بامراض القلب والرئتين . انما يشعر المسافرون بان تنفسهم صار عميقاً ويميلون الى الجذل والغناء

اما اثر التحليق في الفضاء الى عشرين او ثلاثين الف قدم فوق سطح البحر فلهُ أثر في الصحة لا محلّ للتبسط فيهِ الآن

عيد جوزف بلاك

في ١٦ ابريل الماضي انقضت مائة سنة على ميلاد الكيماوي الانكليزي جوزف بلاك الذي خلد اسمهُ باكتشاف «الهواء الثابت» اي غاز الحامض الكربونيك ومبدأي الحرارة الكامنة والحرارة النوعية . وقد كان معاصراً لبريستلي وكافندش بانكلترا ولافوازيه وبرتلو وفوركروي بفرنسا وقد اشار اليهِ الاخير بقولهِ «هو حكيم الكيمياء

في القرن الثامن عشر». وقيل ان بروست صاح حين ذكر بلاك قائلاً «هذا بطريرك الكيمياءِ»

ولد في ١٦ ابريل سنة ١٧٢٨ من والدين اسكتلنديين وتلقى مبادئ اللغة الانكليزية على امهِ. ولما كان في الثانية عشرة ارسل الى مدرسة في بلفاست وفي السادسة عشرة من عمرهِ دخل جامعة غلاسجو ثم انتقل منها الى جامعة ادنبرج ونال منها شهادة الطب سنة ١٧٥٤ وكان حينئذٍ في السادسة والعشرين من عمرهِ. وخلف استاذهُ كلن محاضراً في الكيمياء في جامعة غلاسجو سنة ١٧٥٦ ثم خلفهُ استاذاً للكيمياءِ في جامعة ادنبرج سنة ١٧٦٦ على انهُ في منصبهِ هذا لم يكشف اكتشافاً جديداً بل وقف وقتهُ على اعداد محاضراته.

ويقال بوجهٍ عام ان عهدهُ في التلمذة وعهدهُ الاول في التعليم بجامعة غلاسجو كانا اخصب سني حياتهِ انتاجاً علميًّا. فانهُ اكتشف الهواء الثابت الذي دعاهُ لافوازيه بعدئذٍ غاز الحامض الكربونيك في عهدهِ الاول واشار الى ذلك في رسالتهِ التي نال بها اجازة الطب ثم توسع في درس المسألة في السنتين التاليتين. وفي اثناء تدريسهِ بجامعة غلاسكو اكتشف مبدأ الحرارة لما لاحظ قدراً من الجليد يمتصُّ مقداراً من الحرارة من غير ان تتغير حرارتهُ. وابتدع تجارب علمية محكمة لاثبات رأيهِ. وفي اثناءِ تجاربهِ هذه لاحظ ان موادَّ مختلفة تحتاج الى اقدار مختلفة من الحرارة لترفع حرارتها درجة واحدة فادى ذلك الى اكتشافهِ مبدأ «الحرارة النوعية»

ويقال بوجه عام ان جوزف بلاك اشتهر باحكام تجاربهِ الكيماوية ودقتها وحذرهِ في استنتاج النتائج منها. وقد توفي في ٦ دسمبر سنة ١٧٩٩

اكتشافات اثرية في الفيوم

ان الماء الغزير الذي هطل في مصر في شهر نوفمبر الماضي ادى الى اكتشاف اثر كبير الشأن في الفيوم فان المس كاتن طمسن زعيمة بعثة المعهد الملكي الانثربولوجي لحظت بعد المطر ان العشب اخذ ينبت في شقة تشبه بقايا طريق روماني قديم فتساءلت عن علة ظهور العشب في هذه الشقة التي لها شكل خاص وشرعت في البحث فتبين لها بعد التنقيب ان تحت هذه الشقة مسالك مائية قديمة العهد ونظاماً لري الحياض يشمل ما مساحتهُ ٢١ ميلاً مربعاً من ارض الصحراء. وعنيت الحكومة المصرية بالامر فارسلت عمالاً ليساعدوا في اعمال التنقيب فاسفر البحث عن اكتشاف مساكن وأوانٍ من الخزف ونقود قديمة

اصلاح التقويم

اجتمعت اكادمية العلوم الاميركية واصدرت قراراً تؤيد فيهِ اصلاح التقويم حتى تصير السنة ١٣ شهراً كل شهر منها ٢٨ يوماً وان الشهر الجديد يتألف من الايام الثلاثة عشر الاخيرة من شهر يونيو والايام الخمسة عشر الاولى من شهر يوليو فيجتمع لدينا حينئذٍ ٣٦٤ يوماً في السنة فيجعل اليوم الزائد في السنة العادية عيداً يدعى « يوم السنة » ولا يدخل في تقويم الاشهر . واليومان الزائدان في السنة الكبيسة يدعى احدها « يوم السنة » كما في السنة العادية والثاني « اليوم الكبيس » ولا يدخلان في تقويم الاشهر . وبذلك يتم لمصلحي التقويم جعل عيد الفصح في يوم معين وتاريخ معين كل سنة

وسيعرض على الجمعيات المرتبطة بجمعية الامم اقتراحاً يطلب فيهِ اليها ان تبذل مساعيها لحمل حكومات البلدان المختلفة على التعجيل في اصلاح التقويم

احدث المستنبطات اللاسلكية

استنبط السناتور مركوني والمستر ماتيو طريقة جديدة تمكنهم من استعمال نظام البيم اللاسلكي الذي ابتدعهُ ماركوني لاستقبال اشارات مورس اللاسلكية والاغاني المذاعة من محطة اخرى في وقت واحد . وامتحنوا ذلك في محطة بردجوتر الانكليزية لنظام البيم اللاسلكي فكان الحاضرون يرقصون على انغام موسيقية تذاع من مدينة منتريال بكندا وتلتقطها محطة بردجوتر من غير ان تشوشها اشارات مورس التلغرافية التي كانت تذاع وتستقبل في الوقت نفسهِ

ويمكن استعمال هذه الآلة الجديدة في كل المحطات اللاسلكية فتمكن المحطة الواحدة من مضاعفة الرسائل التي تلتقطها من غير نفقة كبيرة

الحرارة وجنس المولود

جرَّب الاستاذ اميل وتشي احد اساتذة جامعة ايوى الاميركية تجارب علمية اثبت بها ان حرارة الماءِ لها اثر كبير في جنس الضفادع التي تنشأ من البيض الذي يلقى فيها. فانهُ اخذ مقداراً من بيض الضفادع ووضعهُ في ماء حرارتهُ طبيعية فكانت مائة من الدعاميص التي ولدت منها اناثاً و٩٦ ذكوراً . وهي نسبة عادية . ثم اخذ مقداراً آخر ووضعهُ في ماء درجة حرارتهِ ٩٠ بميزان فارنهيت فكانت الدعاميص كلها ذكوراً

واثبت الدكتور سيمون شاندلر احد اساتذة مدرسة الطب بجامعة لويولا

(شيكاغو) انهُ يمكن تحديد جنس المولود قبل ولادتهِ بالتحكم في الغدد التي وراء الغدد الدرقية (الباراثايرويد) . فانهُ حينما ازيلت هـذه الغدد من الوالدين تضاعف عدد الذكور بين المواليـد بالنسبة الى عدد الاناث

اللغة التركية والحروف اللاتينية

جاء في رسالة لمكاتب المقطم من الاستانة ان اللجنة الحكومية المكلفة بوضع حروف هجاء لاتينية للغة التركية شرعت في عقد جلساتها وينتظر ان تتمكن من رفع تقريرها الى وزارة المعارف في اول اكتوبر ولم يعد ثمت شك في انها ستشير بابطال استعمال الحروف العربية شيئاً فشيئاً واستعمال الحروف اللاتينية تدريجاً . ولم يعد تغيير حروف الهجاء في عهد الحكم الجمهوري مسألة دينية تصدم الشعور الديني كما حدث في مسألة لبس البرنيطة. وقد جاء في التلغرافات العامة التي وردت بعد نشر هذه الرسالة ان الغازي مصطفى كمال شرع يستعمل الحروف اللاتينية في بعض مراسلاتهِ

مطر فتاك

ذكر الدكتور فريمان في مجلة « علم الاسبوع» ان الانباء الواردة من ايطاليا تشير الى وقوع مطر على جوانب بركان بزوف من شأنهِ ان يفتك بالمزروعات ويعرض النـاس لانزعاج شديد لدى استنشاقهم الهواء في اثناء وقوعهِ وبعدهُ . والظاهر ان هـذا المطر يحتوي على غاز الحامض الكبريتيك والحامض الهدروكلوريك . هذان الغازان وغيرهما من المواد الكيماوية الغازية تصعد من فوهة البركان فتذوب في ماء المطر وحين وقوعها معهُ تفتك بالمزروعات لشدة فعلها الكيماوي . ولكنها في الغالب تتبدد في الفضاء لعدم وقوع المطر فينجو الناس من آثارها . ومن رأي الدكتور فريمان ان معظم الخطر في الاقتراب من فوهة بزوف هو في استنشاق هذه الغازات التي تصعد دائماً منهُ

اقدم الموميات

جاء في تلغراف ورد على الديلي ميل في ٧ يوليو ان المستر هارولد مكريكن الباحث الاثري اكتشف في جزر الوتيا الى الجنوب الغربي من ولاية الاسكا موميات من العصر الحجري اقدم من موميـات اهرام الجيزة . ويقول الدكتور وسلر مدير القسم الانثروبولوجي في المتحف الاميركي انهُ اذا كانت الموميات محنطة تحنيطاً جيداً فانها تكون اول ما عرف من هذا القبيل خارج مصر

اكرام اديصن

نشرنا على غلاف هـذا الشهر صورة ملونة لاديصن امير المستنبطين على ذكرما قرره مجلس الكنغرس الاميركي من ضرب مدالية ذهبية تذكاراً لاعماله الخالدة وتقديمها اليه باسم الكنغرس

وهكذا تكرم الامم النوابغ من ابنائها لانَّ مجدهم مجدها وذكرهم ذكرها وآراءهم ضياؤها وسيرهم طريق المجد يترسمهُ الطامحون من ابنائها نحو مطالب الحياة الجيدة وغايات العمران العليا

الطيران بين النجوم

وضع الغربيون لفظاً جديداً للطيران بين الكواكب هو لفظ « استرونتكس » يقابلهُ لفظ « ايرونوتكس » اي الطيران في الهواء . والبرهان على ان الطيران بين النجوم لم يبق حلماً كما كان حين كتب جول فرن رواياتهِ المشهورة ان الجمعية الفلكية الفرنسوية عينت جائزة سنوية قدرها ٢٠٠ جنيه تمنح لمن تؤول مباحثهُ العلمية الى ترقية علم « الاسترنوتكس »

هبة علمية

منح المرحوم المستر هنري هربرت ولز تاجر السجاير الانكليزي المعروف مائتي الف جنيه لجامعة برستول لتشيد بها معملاً للعلوم الطبيعية فقرر مجلس ادارة الجامعة ان ينشىء خطبة سنوية يطلق عليها اسم خطبة ولز التذكارية تخليداً لذكره يلقيها كلَّ سنة عالم مشهور في العلوم الطبيعية. وقد قبل السر جينز رئيس الجمعية الفلكية الملكية ان يلقي الخطبة الاولى في ٣٠ اكتوبر القادم

حل البرلمان المصري

في ١٩ يوليو استصدرت وزارة حضرة صاحب الدولة محمد محمود باشا مرسوماً ملكيًّا يقضي بحل مجلس النواب والشيوخ وتأجيل انتخاب اعضائهما وتعيين الاعضاء المعينين في مجلس الشيوخ مدة ثلاث سنوات. ولدى انقضاء هذا الاجل يعاد النظر في الحالة لتقرير اجراء الانتخاب والتعيين المذكورين او تأجيلهما زمناً آخر وفي تلك الاثناء تصدر القوانين بمراسيم ملكية

المغالاة في التحف

في ٥ يوليو الماضي بيعت في لندن سجادة قديمة طولها ٢٥ قدماً وعرضها ١٠ اقدام بمبلغ ٢٣١٠٠ جنيه . وقد صنعت هذه السجادة في ايران في القرن السادس عشر ثم اخذت الى فينا سنة ١٦٩٨ هدية لامبراطور النمسا والمجر وبعد ذلك باعتها الحكومة النمسوية

الجزء الثاني من المجلد الثالث والسبعين

صفحة

هل مرضت بحمى الدنج ؟

هل تريد ان لا تمرض بها ابداً ؟





اذا كنت قد مرضت بحمى الدنج فانت الآن ضعيف جداً ! انك تحتاج الى القوة والنشاط لكي تسترد صحتك وعافيتك وفي مثل هـذه الحالة لا يوجد مثل شراب « ونكرنس » الذي يصفه سبعة عشر الف طبيب في انكلترا وحدها

ان ونكرنس هو اعظم مقو صحي طبي للناقهين من مرض او للمصابين بضعف فاذا كنت قد مرضت بحمى الدنج فخذ ونكرنس لتتقوى واذا كنت لم تمرض فخذ ونكرنس لانه يقويك ويجعل جسمك قادراً على مقاومة حمى الدنج وعلى فرض انه اتاك ميكروب هذه الحمى الخبيثة فانه لا يؤثر بك ابدا

جرب ونكرنس — اشتر زجاجة اليوم تجد فيها لنفسك الصحة والعافية والراحة

WINCARNIS

المتعهدون — الشركة المصرية البريطانية التجارية في ٣٣ شارع سليمان باشا (توفيق بك مفرج)

شركة مصر للنقل والملاحة

الاكتتاب في زيادة رأس مالها

يتشرف مجلس ادارة « شركة مصر للنقل والملاحة » بأن يعلن انهُ بما لهُ من السلطة المخولة اليهِ من الجمعية العمومية قد قرر في جلستهِ المنعقدة يوم السبت ٦ اكتوبر سنة ١٩٢٨ زيادة رأس مال الشركة من ٧٥٠٠٠ الى ١٠٠٠٠٠ جنيه مصري وأن يطرح للاكتتاب العام هذه الزيادة البالغ قدرها

٢٥٠٠٠ جنيه مصري

موزعة على ٢٥٠٠ سهم قيمة كل سهم عشرة جنيهات مصرية لها حق في أرباح الشركة ابتداء من أول يناير سنة ١٩٢٩

وقرر بدء الاكتتاب في أول نوفمبر سنة ١٩٢٨ ونهايتهِ في ٣١ ديسمبر سنة ١٩٢٨ وقد يقفل باب الاكتتاب قبل نهاية موعدهِ عند بلوغ الاكتتاب نهاية المقدار المعروض

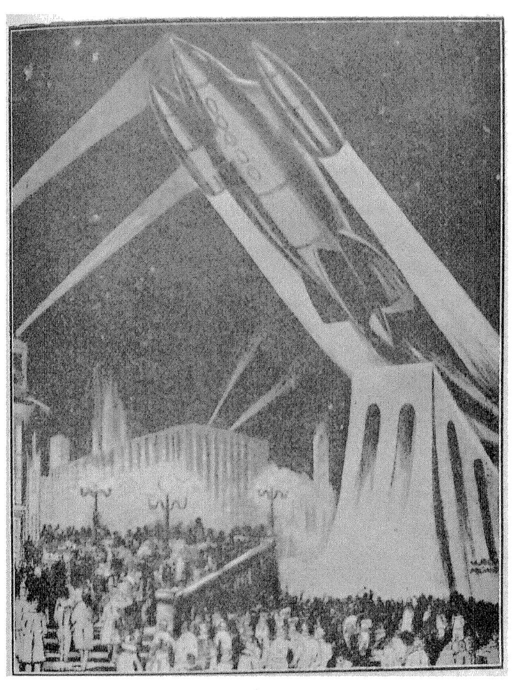
وتقبل الاكتتابات بواسطة « بنك مصر » في مركزهِ الرئيسي بشارع عماد الدين بالقاهرة وبواسطة فروعهِ بالاسكندرية والاقاليم

و « شركة مصر للنقل والملاحة » شركة مساهمة مصرية بأسهم اسمية يملكها المصريون صدر بها مرسوم ملكي في اول اغسطس سنة ١٩٢٥ لاغراض أهمها أن تتعاطى « جميع عمليات النقل البحري والبري والنيلي والجوي على العموم »

وقد حققت الى الآن من هذه الاغراض انشاء وتنظيم اسطول كبير نهري على آخر طراز بمعداتهِ ومخازنهِ ومحطاتهِ للملاحة في النيل يشتغل بسرعة فائقة في نقل الاقطان والحاصيل المصرية والبضائع من جهة الى أخرى. وأنشأت خلاف المحطات العادية فرعين هامين أحدهما بالقاهرة على النيل بالرملة جهة السبتية والآخر بالاسكندرية عند نهاية الترعة المحمودية وأعدت هذين الفرعين بأحدث المعدات اللازمة للنقل وبأحسن المخازن لحفظ البضائع للشحن والتفريغ.

عضو مجلس الادارة المنتدب

محمد طلعت حرب



صورة مبنية على الخيال تمثل قيام الطيارة المبنية
على مبدأ الصاروخة من برلين الى نيويورك

مقتطف نوفمبر ١٩٢٨
إنظر الصفحة ٢٥٣

المقتطف

الجزء الثالث من المجلد الثالث والسبعين

١ نوفمبر (تشرين الثاني) سنة ١٩٢٨ — الموافق ١٨ جمادى الاولى سنة ١٣٤٧

كلمات للدكتور صروف

الاوهام وتولدها ونموها

اخبرنا صديق صادق رفيع المقام انهُ يعرف رجلاً اذا سألتهُ ان يحضر لك نوعاً من الفاكهة تفاحاً او موزاً او برتقالاً مدَّ يديهِ في الهواءِ واعادهما مملوءتين بالفاكهة التي طلبتها. وقال انهُ رآهُ يفعل ذلك عياناً . وطلب منهُ مرةً ان يأتيهُ بخمسين جنيهاً فمدَّ يديهِ في الهواءِ واعادهما مملوءتين بالذهب . ولا شبهة في انهُ قصَّ علينا ما يعتقد صحتهُ ولكن هل هو صحيح لذاتهِ . نحن تجاه هذا الخبر بين امرين إِما ان نصدق ان بعض الناس يستطيعون ان يقطفوا الاثمار من الهواءِ وان يستخرجوا منهُ الذهب المسكوك وإِما ان نسلم بان بعض الناس يتوهَّم انهُ رأى ما لا حقيقة لهُ . اما الامر الاول فينفيهِ اختبار البشر في كل العصور وكل البلدان ولو وُجد انسان واحد يستطيع ان يستخرج الذهب من الهواءِ لصار اغنى من قارون وتعلم الناس منهُ هذه الصناعة فصار الذهب ارخص من الماءِ . ولو امكن قطف الاثمار من الهواءِ لابطل الناس زرع الجنائن والبساتين وعاشوا بلا تعب ولا نصب . واما الامر الثاني او الفرض الثاني وهو ان يتوهَّم الانسان انهُ رأى ما لا حقيقة لهُ فكثير الوقوع وما من احد الاَّ ويرى كل يوم في احلامهِ اموراً كثيرة لا حقيقة لها وكثيراً ما يتخيلها وهو صاحٍ ومن ذلك الخيالات والتخيلات والهواجس على انواعها . واذا ضعفت قوة الحكم فيهِ حينئذٍ ولو قليلاً كما تضعف وقت التعب العقلي والنعاس والسكر والبحران حسب ان ما يخيَّل لهُ حقيقي . ويصيبهُ مثل ذلك في حالة الاستهواءِ سواء استهواهُ غيرهُ او استهوى هو نفسهُ

وبديهي اننا اذا كنا بين فرضين احدها مناقض لاختبار الناس في كل العصور والآخر لا يناقضهُ الاختبار بل يؤيدهُ وجب علينا ان نأخذ بالفرض الثاني لا الاول

ثروت باشا

بقلم تلميذه الروحي وكاتب سره الخاص الدكتور احمد فريد رفاعي مدير ادارة المطبوعات

***

قدس الله ذكراك ، وطيب مثواك ، صديقي العلاَّمة المرحوم الدكتور يعقوب صرُّوف

أذكر بجلاء ووضوح ذلك اليوم المترع بالدروس والعظات ، يوم أزمة الجيش ، حين كانت وزارة عدلي باشا ، وحين كان ثروت باشا وزيراً للخارجية ، وحين كان للحكومة الانجليزية موقفها الخاص الدقيق . اذكر ذلك اليوم تماماً ، واذكر ان المرحوم الدكتور يعقوب صرُّوف تلفن اليَّ وانا في مكتبي اثناء ساعات العمل ، وقال انهُ يود مقابلتي في شأن خاص يهمني ، واذكر انني ذهبتُ اليهِ ، وافضى اليَّ برغبتهِ في مقابلة دولة ثروت باشا ، لأمر ذي بالٍ

مرَّت ايام قليلة،وكانت ازمة الجيش قد اشتدت وطأتها ، وزادت حدتها ، ومررت كعادتي في الصباح وانا في طريقي الى الديوان على المقطم ، وقابلت وقتئذٍ الاستاذ الدكتور « نمر » فقابلتُ عندهُ طيب الذكر الدكتور « صرُّوف » ، فأخذني الى حجرتهِ ، وكادتْ الفاظهُ تكون رحمة الله عليهِ رحمة واسعة :—

« ثروت باشا بلا ريب من اكبر ساسة اوربا . عقلية جبارة حادة ، وذكاء متناهياً ، وأصالة رأي . ولكن الشرق لا يفهمهُ الآن . وسيحملونهُ على الاعناق في القريب . يجب ان تؤمن بذلك وان تثق بهِ تمام الوثوق . انهُ وطني غيور جداً . ومطلع غزير المادة ، يقتل موضوعاتهِ بحثاً وتنقيباً وتقليباً على مختلف الوجوه» . ثم قال : « اتعرف لماذا ذهبت لمقابلتهِ ؟ » . قلت لا . قال : « لما حصلت ازمة الجيش : رأيتُ واجباً عليَّ ان ابحث الموضوع الذي جعل الانجليز يقفون امام سعد وعدلي وثروت هذا الموقف . . . بحثت فوجدت ان المسألة مبالغ فيها ، وانهُ ليس للانجليز ما يبرر موقفهم في تجسيمها ، وان لمصر من الحقوق ما لا ينكر حتى في كتاب مصر الحديثة للورد كرومر . .

« رأيت ذلك ، فقابلتُ ثروت باشا ، وسألتهُ عن وجهات نظرهِ ، وعن اوجه دفاعهِ وعن الحلول التي ارتآها ... فوجدتهُ لم يترك شاردة ولا واردة . . . والذي ادهشني ، ان تلك النقط التي ظننتُ انني قد وقفت على كنز حينما أطلعتُ عليها . . . كانت



المغفور لهُ عبد الخالق ثروت باشا

مقتطف نوفمبر ١٩٢٨
امام الصفحة ٢٤٢

بمثابة وشلٍ من بحر . . . . . كانت لا شيء . حقًّا انهُ لرجل عظيم . واني مسرور جدًّا ياصديقي لتلمذتك لهُ، وصلتك بهِ . ستستفيد ستستفيد . »

ومات الدكتور يعقوب صرُّوف . ولم يمضِ حول حتى مات ثروت باشا بعد أن رأس حفلة تأبينهِ . فقد كان « ثروت » وفياً لاصدقائهِ . الاحياء منهم والاموات

مواهبه :

لست بمتعرض للبحث في السياسة ، وماذا كان لزعيمنا الراحل من وجهات نظر في سبيل خدمة بلادهِ ، ولا بموازنٍ اوجه النفع في اتباعها ، او اتباع غيرها ، وأوجه الضرر في التنكب عنها والأخذ بسواها . فان ذلك يجب ان يترك للتاريخ اولاً ، ولسواي ثانياً ، ولغير المقتطف ثالثاً . ولعلهُ يجدر بي العناية بمواهبهِ من حيث النواحي الشخصية فأتحدث اليك عن ثروت باشا كمحدث ، وكخطيب ، وككاتبٍ ، كما أتحدث اليك عن نواحيهِ الخلقية كحيائهِ وتواضعهِ ، ومحاسبتهِ لضميرهِ ، تاركاً لصديقي الكاتب النابغة الدكتور طه حسين ان يمتع القراء ببحث عن وفاء ثروت ووده وصداقته ، مجتزئاً بالقليل عن الكثير ، لضيق المقام في مجلة شهرية تعنى بمختلف الموضوعات وشتى البحوث

ثروت باشا كمحدث :

في عنقي ان اعترف ، باني قبل صلتي بثروت باشا ، لم اكن اعلم بطريقة عملية اثر سحر الحديث الطلي في النفوس ، واختلابهِ للنهى والالباب

نعم لقد قرأتُ ما كتبهُ « توماس كارليل » عن تلك الملكة في « روبرت بارنز » الشاعر البريطاني النابه ، وقرأت ما سطرهُ بلوتارك في كتابهِ عن اقطاب الخطابة وما عزاهُ الى الخطيب اليوناني « انتيفون » من اذاعتهِ عن نفسهِ اعلانه باستعدادهِ بتطبيبهِ امراض العقول والاذهان ، ومداواة علل النفوس والارواح ، بسحر كلامهِ ومعسول لفظهِ . وقرأت شيئاً مما كتبتهُ العرب في هذا الصدد من اقبال المستمع الى محدثهِ واثر الحديث العذب من النفوس واخذه بمجامع الافئدة . . . . ولكنني ، لم ارَ ولم اسمع ولم اشاهد محدثاً في قوة ثروت ورقتهِ ، ولا من يدانيهِ فيما حبتهُ الطبيعة بهِ من اكتساب ثقة مستمعه

يتكلم ثروت باشا اليك ، والي ، والى من هو اقل منا جاهاً او اصغر سنًّا ،

فتأبى عليه نفسه المرحة الطروبة ، ووجهه الوضاء البسّام ، وروحه البهجة الفرحة ، وقلبه المترع حبًّا ووداداً . يأبى عليه ذلك كله الاّ ان يكون مثلك وفي سنك ومقامك ، والاّ ان يكون السخي في امتاعك وارضائك ، لا عن تعمد واجتهاد ، بل عن سليقة واستعداد . وربما كان من العدل ان نقول ، ان لهذه الناحية الجذابة من شخصيتهِ البارزة القوية ، أكبر أثر في نجاحه في مفاوضاته السياسية

واذا جاز لنا ان نستطرد في بيان مقدرتهِ في هذه الناحية ، وتفوقه فيها ، مع ظرف ولباقة ، ورقة وحصافة ، وإيمان بالسليقة بما للقول العذب السلسبيل ، من صنع حسنٍ جميل ، وما للحديث الشيق الطريف ، من أثرٍ ممتع ظريف ، نقول لك ان ثروت باشا كان في مفاوضاته يعنى بتعرف نفسية مفاوضه ، ويدرس بصبر وأناة وسائل اجتذابه الى صفه . فكان يستغل تلك المنحة النادرة التي حبتهُ بها الطبيعة ، والتي كانت في سليقتهِ ودمهِ — في نيل حقٍ ودفع ظلم ورد جائحة !

لقد تحدث الى اللورد اللنبي ، وستنشر مذكرات المرحوم ثروت باشا عن مفاوضاته الخاصة بتصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ يوماً ما ، وسيقف المصريون منها كيف كان اللورد هائجاً غاضباً على اثر الحالة السياسية بعد مشروع اللورد كرزون ، وكيف الان ثروت باشا قناته ، وهدأ روعه ، وغير نفسيته ، وكيف اضحى اللورد الهائج من خيرة المدافعين عن مصر ، وقضية مصر ، حتى لوَّح باستقالتهِ اذا لم تنصف الحكومة الانجليزية هذه الامة الوديعة فتعلن استقلالها وترفع الحماية عنها ، وتوافق على مطالب ثروت باشا

لقد أملاني رحمهُ الله كل حديث دار بين اللورد اللنبي وبينهُ ، وأثق بأنهُ حينما تتاح الظروف المناسبة لن يتأخر انجال زعيمنا السياسي العظيم ، عن نشر تلك الاحاديث التي لا مندوحة للمصريين من الوقوف عليها ليعلموا مبلغ جهاد أبطالهم وثبات زعمائهم في الدفاع عن بيضة وطنهم

لقد أرعد اللورد وأبرق بادىء ذي بدء ، وتكلم عن قوة بريطانيا واساطيلها وعن تصميمها بالاحتفاظ بقنال السويس طريقها الى الهند ، وأسهب في بيان سلطانها وافاض في اظهار حولها وطولها . . . . واخيراً ماذا ؟

تكلم ثروت باشا مع باترسون ، ومع كليتون ، ومع ايموس ، ومع غيرهم من كبار المستشارين البريطانيين الموظفين بالحكومة المصرية واصحاب « بعض الرأي » في الوكالة البريطانية . كما تكلم مع كبار موظفي تلك الدار . . . . وكان قد درس الموضوع

بحذافيره ، والاشخاص بميولهم ونفسياتهم واتجاهاتهم. وكان قد درس ايضاً النبي وما يحيط بهِ اي درسهُ شخصاً وبيئة ... واخيراً كان لثروت النجح والتوفيق ، وكان لاحاديث ثروت الفوز الباهر . تلك الاحاديث التي جعلت وزير خارجية انجلترا الحالي « تشمبرلين » يجهر بأن لم يترك احد من وزراء خارجيات دول اوربا في نفسه من الاثر ما تركهُ فيها زعيمنا الراحل الكريم

ثروت باشا كاتب :

وقد اطلع الكثيرون بلا ريب على كتابات الزعيم الراحل ، وحكموا بما لهُ من « ذوق » خاص في تخير الالفاظ ، وجنوحهِ الى السلاسة مع الفخامة ، ونزوعهِ الى السهولة مع الطلاوة ، واني لا أرى مندوحة لي هنا من اقتطاف هذه النبذة الصغيرة من كلمتهِ الانتخابية لتبين منحى الراحل الكريم في كتابتهِ قال « إني لأخاطبكم واخاطب إخواني المصريين جميعاً بما خاطبتُ بهِ «سعداً» في كتابي اليهِ إثر دعوة الامراء للاتحاد. يوم تبينتم جميعاً بأتم وضوح ، وانصع جلاء ، ان تقاطعنا لم يضر بأحدٍ سوانا . أخاطبكم قبل ان تصدروا حكمكم باختيار من شئتم لينطق بلسانكم ، وليتكلم بشكاتكم ، وليفصح عن مشيئتكم ، وليناضل في سبيل قضيتكم ، وليحقق آمالكم ومطالبكم . أخاطبكم مهيباً باخلاصكم :

« نحن الآن أحوج ما نكون الى أن يقف الزعماء في هـذه البلاد المغلوبة على أمرها ، من قادتها قبل خصومها ، موقف الناصح البصير يمحض قومه خالص النصح فكفاهُ تناحراً وكفاهُ تهاتراً »

« اجل لقد كان اجدى واخلق ان ينادي بهم وهم على ابواب البرلمان : أن ادفنوا يا قوم حزازات الماضي ، وولوا اموركم خياركم ، وصفوة عشائركم ، وخلاصة احزابكم كوّنوا منهم مجموعة صالحة تناضل عن حقوقكم وتستخلص لكم مطالبكم ، وكم كان يجدر بكل متصدر للزعامة ان يرشد المصريين الى استخدام ما وصلنا اليهِ احسن استخدام واستغلالهِ على اكمل الوجوه فنتخذ منهُ عدة في المضيّ لاتمام ما بقي » اه

وقد يكون من الممتع حقـًا ان تعلم ان لثروت باشا كتباً هي من المنثور المنتخب ، في كتب الادب . وقد يكون من الممتع ايضاً ان تعلم ان لهُ ذوقاً سامياً في النقد ، وان اذنهُ تسمع وتقدر ، ولعل لهذه الاذن « السميعة » المحبة لجميل النغمات ، ورخيم الاصوات ، وعذب الاغاني ، وشجي الاناشيد ، شيئاً من الدخل غير قليل حينما ينتقي

هذا اللفظ وذاك ، وحيناً يوازن ويفاضل بين جملة واخرى

ولثروت باشا سليقة مدهشة في ترتيب المعاني بطريقة تحليلية منطقية جذابة ، ولهُ من اطلاعهِ الوفير وتجاريبه العديدة ، وذكائه النادر خير معين على ابراز ما يريد في حلة مستحبة مستملحة تنم عن نفسيتهِ المرحة الطروبة .

ويصح لي ان استطرد هنا الى حادثة وقعت لي مع الراحل الكريم ليست الاولى من نوعها . ذلك ان دولتهُ امرني بكتابة مذكرة في موضوع خاص . وكانت طويلة متشعبة ، وكنتُ قد عنيت بها عناية خاصة ، وعرضتها على دولتهِ بعد الفراغ منها، فنظر فيها دولته نظرةً يحكم عليها من لا يعرفهُ او يعاشرهُ انها نظرة سطحية . ويؤمن من يتصل بهِ بانها عميقة ومدبرة ومفكرة . ثم امسك بيراعتهِ وعلم على بعض فقرها بارقام الصحف التي يصح ان توضع فيها ، وقد خزن في ذهنهِ الجبار مواضع ما قرأ من عشرات الصحف في كتابتي الاصلية الى المقام السلس الذي تخيلهُ وارتآهُ ..

ثروت باشا كخطيب :

وليس من شك ان ثروت باشا المحدث الرقيق الحاشية ، الجذاب الحديث ، الرشيق الاسلوب ، الشيق الكتابة ، لا بد أن يكون خطيباً مفوهاً من الطبقة الاولى . وكان اول عهد الرأي العام بهِ خطيباً بارعاً ، مالكاً أعنة القول والبيان ، في مرافعتهِ في قضية الورداني حين كان نائباً عمومياً . وتعتبر هذه المرافعة — الى جانب متانتها في الاسلوب وقوة السبك وفخامة اللفظ ، آية فنية من القطع الخطابية النادرة المثال

وقد رآهُ الجمهور في الجمعية التشريعية مع المغفور لهُ المرحوم سعد باشا زغلول وهما في المناقشة والمحاجاة فرسا رهان

ثم استمع اليه الجمهور ايضاً في افتتاح لجنة الدستور ورآهُ قبلها في « الكونتنتال» حينما تكلم كلماته المأثورة الخالدة عن المعارضة

واخيراً استمع اليه الجمهور في حفلة تأبين سعد . فكان لنبرات صوتهِ ، ولطريقة القائه ، وحسن ايماءاته ، وجميل اشاراته وصادق احزانه ، الى جانب دموعهِ السيالة النبيلة — كان لذلك كله مدعاة لاجماع الجمهور على مكانتهِ الخطابية الاولى

لقد كان ثروت وطنيًا مؤمناً بحقوق البلاد ، ومؤمناً بوجهات نظره في خدمة قضيتها الاستقلالية . وكان لهذا الايمان اثره العميق من ثروت الخطيب ، وكان ثروت

مؤدباً بطبعه ، جذاباً بنشأته ، حلو الحديث بتربيته وبيئته ، متواضعاً محبوباً بسليقته —
فكان لهُ من جماع هذا الاثر الخالد في ثروت الخطيب

والآن نتقدم الى القاء نظرة عجلى على بعض نواحيهِ الخلقية ، كحيائهِ وتواضعهِ ومحاسبتهِ لضميرهِ ، مجتزئين بالقليل من الحوادث عن كثيرها ، تاركين للصديق الدكتور طه حسين افراد بحث عن وفاء ثروت وودهِ وصداقتهِ كما أسلفنا ، مقررين في الوقت نفسه ان ثروت باشا كان الزوج البر الكريم ، وكان الوالد العطوف الرحيم ، وكان الصديق الودود الحميم . واذكر اني كتبتُ في محليات المقطم في شهر مارس عام ١٩٢٢ بحوثاً تناولتُ فيها ذلك مما لا حاجة بي الى اعادة نشرهِ ، لوفرة النواحي الخلقية الاخرى المتطلبة عناية ودرساً

حياؤه وتواضعه :

يقول الاستاذ دلاور بك صديق المرحوم ثروت باشا وكان ملازماً للفقيد في اخريات ايامهِ في باريس ، في مذكراتهِ التي بعث بها الى المجال راحلنا الكريم عن تلك الايام السوداء ، ان الباشا قال لهُ في يوم الخميس ٢٠ سبتمبر الماضي اثناء تريضهما في الشانزليزه والليدو انهُ يشعر بآلام في الذراع كشيء من الروماتزم ، وطلب اليهِ اسم طبيب اخصائي لهذا المرض ، وفي يوم الجمعة ٢١ سبتمبر خرج دولته للرياضة كعادتهِ ولم يتمكن دلاور بك من الاتصال بهِ ، وعند الظهر اضطرتهُ الحالة الى تكليف بواب مسكنهُ بطلب «فاين بوم» طبيب الجهة الذي قرر اصابتهُ بالروماتزم وبضعف قليل بالقلب

استمرت الحالة واشار حامة الباشا واقرباؤه عليهِ بتغيير الطبيب بسواهُ ، فقال رحمهُ الله « كلاً . لا معنى لجرح احساس الطبيب ، لنترك لهُ هو الاستعانة بالاخصائي الذي يختارهُ ان رأى لزوماً لذلك ! »

حتى في تلك الساعة الحرجة ، ابى حياؤه الطبعي ، وخلقه النبيل ، وأدبه الجم الا المحافظة على كرامة الغير محافظة ربما كان لها بعض الدخل في استفحال الحالة وتطورها

ولماذا أذهب بعيداً وأمامي خطاب دولتهِ الاخير الذي تعطف وبعث لي بهِ في ١٢ سبتمبر من سنت مورتز قبيل قيامهِ إلى باريس وقد أهمل كاتب زراعتهِ في أداء مهام كلفهُ دولتهُ بها ، قال رحمهُ الله ما نصهُ بالحرف الواحد : « لم يرد لي من الكاتب شيء عن أحوال الزراعات فأرجوك أن تكلفهُ بكتابة تقرير عن حالة كل عزبة ويرسله

اليَّ بباريز، ويستحسن أن لا يعلم ان هذا بناء على طلبي بل ان ذلك من فكرك ليظهر لي نشاطه مدة غيابي خصوصاً أني كلفتهُ بذلك قبل سفري . اهـ »

محاسبته لضميره

أما محاسبته لضميرهِ فحدث عنها ولا حرج. انها وايم الحق لتتطلب مني قبل سواي أن أفرد لها مقالاً خاصًّا أذكر فيها مئات الامثلة والوقائع التي شاهدتها بنفسي عن كثب ، كموقفه من سيف الله باشا يسري حين استنصحهُ في أمر ذي بال بعد استقالة دولته عام ١٩٢٢ ، وكموقفه في الشئون السياسية الجليل منها والهين، وكموقفه في شأن مراد بك أحد وكلاء النيابة حينما كان نائباً عامًّا ، وفي شأن الدكتور طه حسين وكتابه حينما كان وزيراً للخارجية وحينما كان رئيساً لمجلس الوزراء في وزارتهِ الاخيرة، وكموقفه ازاء احمد مختار حجازي بك وكيل مديرية أسيوط عام ١٩٢٢ وغالب كفافي بك وكيل مديرية جرجا في ذلك الحين ، بيد ان ذكر ذلك يطول بي ، وبالقراء ، وبهذه المجلة ، ويطول جداً فلا مفر من الاكتفاء بالحادثة الاخيرة الخاصة بغالب بك كفافي

لقد ابلغ ثروت باشا من بعض اصحاب الرأي ان « لغالب كفافي » من الصفات مالا يليق معها بقاؤه في خدمة الحكومة فبعث بي الى الوجه القبلي بمهمة التفتيش وكلفني بزيارة كل مديرية من غير ان يفهمني غرضهُ الاساسي

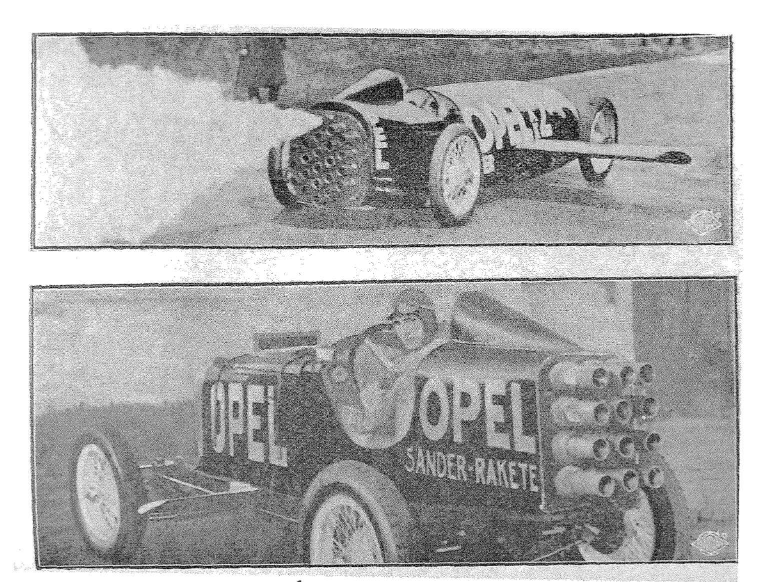
سافرت ودرست كل حالة ثم قابلت دولتهُ بمنزله في سنت لوران حينذاك وعرضت على دولتهِ نتيجة مأموريتي وتأكد منها الزعيم براءة « غالب » وطهر ذيله .

طلبهُ المرحوم المبرور الى الاسكندرية في مهمة ما ، ووقف على حقيقة الرجل بفراستهِ وبنظرة من وراء نظارتهِ ، وما تردد بعدئذ في ترقيتهِ محافظاً لدمياط .

خرج غالب وخرجنا على اثره ، وما عتم ان قال لي الراحل الكريم :

« كيف يطلبون مني احالة موظف كهذا الى المعاش، وكيف استقبل الله وهو سائلي بلا ريب ما جريرة هذا الموظف ؟ أما علموا اني ملزم بأن انتصف لخصومي وعداتي من نفسي بنفسي . . . ؟ هل فاتهم ان للكرسي مسئولية خطيرة امام ضميري وأمام الهي ، واني مسئول عن حولي وقوتي امام حول الله وقوته »

اقسم ان ثروت باشا قال لي تلك الجملة الخالدة الاثر في نفسي ، إن لم يكن فاه بها بلفظها ونصها فبروحها ومعناها . فإنا لله وانا اليهِ راجعون « احمد فريد رفاعي »



منظران للسيارة « اوبل » المبنيّة على مبدأ الصاروخة

الطيران الى النجوم : فلنستعمر الزهرة

السفر من اوربا الى اميركا في ساعة ونصف ساعة

بطيارة تنطلق كالسهم بسرعة ٤٥٠٠ ميل في الساعة

مبدأ الصاروخة في حركة الطيارات والسيارات

خذ بيضة وانقبها من رأسها ومن عقبها ثقبين صغيرين احدهما اكبر من الآخر وافرغها من محها وزلالها ثم املأها ماءً الى نصفها وسدَّ احد الثقبين وخذ قطعة من الخشب ودقَّ بها اربعة مسامير حتى تستطيع ان تضع البيضة عليها مرتفعة نحو بوصة عن الخشبة وضع تحت البيضة ذبالة مشتعلة وضع الخشبة والبيضة معاً في مغطس ماء فلا تلبث ان ترى الخشبة والبيضة عليها تمخر الماء كانها باخرة من البواخر

وتعليل ذلك ان جانباً من الماء الذي في البيضة يتحول الى بخار لا يلبث ان يتكاثف ويحاول التمدد فتمنعهُ من ذلك جدران البيضة فلا يجد لهُ منفذاً الا الثقب الصغير في احد طرفيها فيخرج منهُ بقوة وفي اثناء خروجهِ يدفع البيضة والخشبة التي اقيمت عليها في جهة مناقضة لجهة اندفاعهِ .هذه هي القاعدة التي بني عليها مبدأ الحركة بآلة تندفع الى الامام بصواريخ أُقيمت في مؤخرتها . وينتظر منها ان تكون الآلة التي يستطيع ان يصل بها الانسان الى السيارات والنجوم

***

فقد ذكرت الصحف السيارة في اول الصيف ان سيارة من هذا القبيل تعرف « بسيارة الصواريخ » جربت في برلين وهي كما تراها في الصورة لها في مؤخرها اثنا عشر انبوباً يخرج منها دخان يدفع السيارة بخروجهِ فتنطلق كالسهم بسرعة مدهشة تكاد تفوق سرعة اسرع السيارات وينتظر ان تفوقها اضعافاً مضاعفة

ليس في هذه السيارة محرك بالمعنى المعروف يولد الحركة بالاحتراق الداخلي ثم تنتقل هذه الحركة الى العجلات . ولكنها كما يدل عليها اسمها « صاروخة» اقيمت على عجلات والصواريخ في القاموس سهام من النفط يرمى بها في الحصار لاحراق البيوت وهي التي تشعل في الاعياد والحفلات الوطنية فتنطلق في كبد الفضاء ومبدأ انطلاقها قائم على انها تحترق من مؤخرها فتنطلق منها غازات تدفعها في الجهة المعاكسة

وهذه هي الحال في السيارة الجديدة . فانهُ في اطراف الانابيب الداخلية اسطوانات في كل منها مقدار من مادة متفرقعة اذا اشعلت تولدت منها غازات تضغط على جدران الاسطوانات فلا تجد لها منفذاً غير افواه الانابيب خارج السيارة فتنطلق منها وفي انطلاقها تدفع السيارة الى الامام كأنها رصاصة او قذيفة من فوَّهة مدفع . والمعروف لدى سائقي السيارات وراكبيها ان السيارة تتدرج في سرعة حركتها فتكون بطيئة اولاً ثم تكسب زخماً في سيرها حتى تبلغ اقصى سرعتها ولكن السيارة الالمانية التي بنيت على هذا المبدإ بلغت سرعة ٦٠ ميلا في الساعة بعد ما سارت مائتي قدم لا غير مع انها لا تزال في دور التجربة والامتحان

وهنا يتبادر الى الذهن سؤال مهم . ما هي اقصى سرعة تستطيع ان تسير بها هذه السيارة ؟ لا يخفى ان المكان الذي جربت فيهِ لا يسمح فيهِ ان تتعدى سرعة السيارة حدًّا معيناً . ولكن مهندس السيارة والمشرف على صنعها وسائقها كلهم يعتقدون انهُ في استطاعتها التفوق على اقصى سرعة بلغتها سيارة الكابتن كامبل وهي ٢١٦ ميلاً في الساعة اذا سارت في منبسط مستوٍ من الارض . ويقال ان فون اوبل رئيس شركة سيارات اوبل يفاوض سكك حديد الدولة بالمانيا ليبني لها عربة تسير ٣٠٠ ميل في الساعة

ويمكن تطبيق هذا المبدإ على الطيارات كما يمكن تطبيقهُ على السيارات ومركبات السكة الحديدية . ويقال انهُ تبنى الآن طيارة في معامل راب في كاتزنشتاين من اعمال مقاطعة كاسل بالمانيا على هذا المبدإ ينوي ان يطير بها صانعها « انطون راب » وهو من اشهر طياري اوربا، الى طبقات من الجو لم يبلغها احد من قبل

***

اذا كان الانسان يطمح الى الوصول الى الزهرة والمريخ او الى ما وراء المريخ من سيارات وكواكب فهذه وسيلة تنيلهُ امنيتهُ ولا تعرف الآن وسيلة اخرى تمكنهُ من ذلك . ان الشقة بين الارض واقرب السيارات اليها تقاس بملايين الاميال . وهذه الشقة خالية من الهواءِ لا تفلح فيها طرق الانتقال المستعملة الآن لانها تعتمد على الهواء. فالبنزين في آلات السيارات والطيارات لا بدَّ لهُ من ان يمتزج بالهواءِ قبل اشتعالهِ . ومحركات الطيارات لا تستطيع ان ترتفع بالطيارات ولا ان تسيّرها الاَّ اذا دارت في جوّ غازي كالهواء فاذا دارت في فراغ لم يكن في استطاعتها الارتفاع ولا السير الى الامام ولا الثبات في الجوّ

والطريقة الوحيدة التي يستطيع الانسان ان يستعملها للوصول الى القمر هي ان يقذف نفسهُ اليهِ كرصاصة بندقية . والظاهر ان السيارة او الطيارة المبنية على مبدإ الصاروخة كالسيارة الالمانية التي ذكرناها هنا هي التي في مقدورها ان تحقق هذا الامل

كان الروائي الفرنسي روني Rosny اول من اطلق على المواصلات بين النجوم لفظة «استروتكس» اي الملاحة بين النجوم يقابلها في الفاظ العامة لفظة «ايروتكس» اي الملاحة في الهواء. وقد اعجبت الجمعية الفلكية الفرنسية بهذه اللفظة الجديدة فوافقت عليها فصار الحلم الذي كان يجول في عقول بعض الروائيين — واشهرهم جول ڤرن — امراً تعنى بهِ الجمعيات العلمية ويقبل عليهِ المهندسون فيبذلون الوقت والمال في امتحانهِ ومحاولة تحقيقهِ . قد لا نتمكن من الوصول الى القمر الاَّ بعد قرون كثيرة ولكن التجارب الحديثة في المانيا تثبت ان امامنا مبدأً جديداً للحركة لا بدَّ ان نستعملهُ يوماً في السكك الحديدية والسيارات والطيارات

***

التملُّص من قوة الجاذبية والانطلاق في الفضاء بين السيارات والنجوم مسألة اشتغلت بها عقول المفكرين من علماء وكتاب منذ اقدم الازمنة . وفي سنة ١٨٦٥ كتب اشيل ايرو وهو من معاصري جول ڤرن كتاباً موضوعهُ « من الارض الى القمر » اقترح فيهِ استعمال صاروخة للطيران من الارض الى القمر . اما جول ڤرن فتصوَّر روَّاد السماء سائرين في قذيفة كبيرة كقذائف المدافع تنطلق باحتراق مقدار كبير عن المادة المفرقعة فنظر كبراء العسكريين الى اقتراحهِ هذا شزراً مستهزئين بهِ . ولكن اقتراح ايرو كان صواباً على ما اثبتتهُ التجارب الحديثة في المانيا

وفي سنة ١٩٠٧ عني مهندس فرنسي بحساب مقدار القوة اللازمة لقذف وزن معين بسرعة معينة الى القمر او الى الزهرة او الى المريخ . هذا المهندس هو روبرت اينو بلتري احد ابناء فرنسا الممتازين ومن اذكى مهندسيها واشهر واضعي الرسوم لحركات الطيارات . ونشر حساباته هذه سنة ١٩١٢ بعدما عرضها على جمعية الطبيعيات الفرنسية. وفي السنة السابقة كان الدكتور اندره بنغ البلجيكي قد نال امتيازاً لآلة تمكنهُ من زيادة طبقات الجوّ مهما بلغت لطافة الهواء

وفي سنتي ١٩١٢ و١٩١٣ حسب الاستاذ غودَرْدْ الاميركي حسابات دقيقة شجعتهُ على محاولة تحقيق فكرهِ سنتي ١٩١٥ و ١٩١٦ في جامعة كلارك الاميركية فوجد

انهُ في الامكان صنع صاروخة تصل الى القمر وعند وصولها تشعل مقداراً من مسحوق المغنيزيوم فيضيء بنور لامع يمكن رؤيتهُ من الارض باقوى التلسكوبات. ثم عني ثلاثة من المهندسين الالمان بدرس المسألة هم اوبرث وهوهمن وماكس ڤاليه كلٌّ على حدة والاخير (ڤاليه) اشهر الثلاثة واكثرهم حماسة واندفاعاً في سبيل تحقيق امنيته وهو الباعث الحقيقي على بناء سيارة اوبل التي جربت بها التجارب الالمانية اخيراً. وقد وصل هؤلاء الثلاثة في سنة ١٩٢٣ الى نتائج لا تختلف اختلافاً مهمًّا عن النتائج التي وصل اليها اينو بلتري الفرنسي وجودرد الاميركي

وقد عاد اينو بلتري الى البحث في هذا الموضوع فقدم رسالة مسهبة فيهِ الى الجمعية الفلكية في يونيو سنة ١٩٢٧ واتفق مع صديقهِ اندره هرش على ان يمنحا جائزة سنوية قدرها ٢٠٠ جنيه للباحث الذي يوسّع نطاق الاسترونتكس بمباحثهِ كما ذكرنا في باب الاخبار العلمية في الشهر الماضي

***

لقد اتفق المهندسون وعلماء الظواهر الجوية على ان الطيران على عشرة اميال من سطح البحر لهُ امتيازات لا يستهان بها . لان سرعة الطيارة على بضعة آلاف قدم من سطح البحر تحتاج الى قوة كبيرة تستلزم حرق مقدار كبير من البنزين فتقصر بذلك المسافة التي تستطيع الطيارة ان تجتازها من غير ان تحط على الارض او على جزيرة عائمة في البحر ويقلُّ عدد المسافرين الذين تستطيع ان تنقلهم . لان على الطيارة ان تقاوم ضغط الهواء في سيرها وهذا الضغط يزداد كمربع السرعة والقوة اللازمة لمقاومة هذا الضغط تزداد كمثلَّث السرعة

والطريقة المثلى لتقليل مقاومة الهواء هي الارتفاع في الجوّ الى عشرة اميالٍ فوق سطح البحر حيث كثافة الهواءِ خُمس ما هي على سطح البحر . ويسهل حينئذٍ صنع طيارة محكمة البناء تهوّى وتدفأُ ويكون ضغط الهواء فيها ما هو على سطح الارض حتى يكون المسافرون في جوّ كالجوّ الذي تعودوهُ

والصعوبة في تحقيق هذا الفكر هي عدم وجود آلة تستطيع ان تطير في الجوّ على هذا الارتفاع للطافة الهواء كما بينا في أول هذا المقال. لذلك ترى المهندسين مكبّين على ابتداع وسائل مختلفة تمكن الطيارات المستعملة الآن من الطيران في جوّ شديد اللطافة منها تغذية المحركات بهواء شديد الانضغاط. ولا يعلم بعدُ هل تفي هذه الوسائل بالحاجة

ولكن سواء وفت او لم تف فالمهندس ڤاليه يؤكد ان الطيارة كما هي الآن لا تستطيع ان تطير الاَّ في هواء كثيف وانهُ متى لطف الهواء تعذَّر عليها الطيران . فالهواء لازم لحمل الطيارة و لتسييرها و لتجهيزها بالقوة بعد امتزاجه بالبنزين واحتراقهما معاً

فاذا ارتفعت الى عشرة اميال فوق سطح البحر كان في امكان الطيارات التجارية ان تبلغ سرعة تزيد على ٢٥٩ ميلا في الساعة واذا ارتفعت الى ثلاثين ميلاً او اربعين فوق سطح البحر امكنها ان تزيد سرعتها من الف ميل الى اربعة آلاف ميل في الساعة ولكن هذا متعذر على الطيارات كما هي . ولذلك يرى انهُ لا بدَّ من استنباط نوع جديد من الطيارات اذا اراد الانسان ان يجعل مسالكهُ في طبقات الجو العليا وعندهُ ان الطيارات التي تندفع بقوة الصواريخ هي الوسيلة الوحيدة المعروفة التي تستطيع ان تحقق هذا الغرض

وهكذا استنتج ڤاليه ما استنتجه ايرو وجودرد وبنغ وأينو بلتري وغيرهم من قبل وهو انهُ لا بدَّ للانسان من ان يستنبط لذلك صاروخة موافقة

وقد حسب ڤاليه حسابات دقيقة بنى عليها صورة خلابة لاجتياز الاتلنتيكي بطيارة من هذا القبيل . قال : لنفرض اننا عزمنا على اجتياز المسافة بين برلين ونيويورك في ثلاث مراحل الاولى بين برلين وڤيجو باسبانيا والثانية بين ڤيجو وجزيرة طبيعية او صناعية في الاوقيانوس والثالثة بين هذه الجزيرة ونيويورك

تندفع الطيارة من برلين في زاوية تكاد تكون قائمة حتى تصل الى طبقات الجوّ العليا باسرع ما يمكن ففي ١٧ ثانية يبلغ ارتفاعها نحو ميلين وسرعتها ٤٠٠ متر في الثانية ولا تنقضي عليها ٤٨ ثانية حتى يبلغ ارتفاعها نحو خمسين كيلو متراً (او ثلاثين ميلاً) فوق سطح البحر ويكون بعدها عن مكان قيامها نحو ٤٣ ميلاً وتكون سرعتها في خط افقي قد صارت ٢٠٠٠ متر في الثانية او نحو ٤٥٣٠ ميلاً في الساعة فتصل ڤيجو في ٢٧ دقيقة وتجتاز المسافة بين برلين ونيويورك في ٩٣ دقيقة او نحو ساعة ونصف ساعة

والامر الآن الذي يراهُ ڤاليه عائقاً في سبيل تحقيق هذه الأمنية هو مقدار المادة المتفرقعة اللازمة لدفع الطيارة في الفضاء . فقد حسب ان ٦٩ في المائة من كل وزن الطيارة يجب ان يكون مادة متفرقعة في المرحلة الاولى و ٧٦ في المائة في كل من المرحلتين الباقيتين وعلى ذلك لا يمكن ان يكون الوزن الذي يمكن حملهُ من ركاب او امتعة اكثر من ١٥ في المائة من وزن الطيارة . فنقل ما وزنهُ طن من برلين الى

نيويورك يقتضي احراق ٥٢ طنًّا من المادة المتفرقعة . الثمن كبير ولكن نفقات السرعة لا بدَّ ان تكون كبيرة !

فطيارة ڤاليه من الوجهة الهندسية النظرية امرٌ في حيّز الامكان ؟ ولكن ماذا يكون اثر السرعة في قلب المسافر واعصابهِ ؟ هذا امر يحتاج الى تقصٍ تام لا بدَّ منهُ قبل النظر في تحقيق السفر بهذه السرعة التي تفوق ادراك البشر اذ ما الفائدة من طيارة تطير اذا كان الانسان لا يستطيع ان يطير بها

وقبلما يتحقق تسيير طيارة من هذا القبيل بين برلين ونيويورك على ارتفاع ٤٠ ميلاً فوق سطح البحر وبسرعة نحو ٤٥٠٠ ميل في الساعة يجب ان يعنى علماءُ الظواهر الجوية بدرس احوال الهواء على هذا الارتفاع. ولما كانت البلونات التي تستعمل لقياس برد الهواء وكثافتهِ على هذا العلو لا ترتفع اكثر من عشرين ميلاً كان لا بدَّ من استكشاف حالة الجوّ على علو اربعين ميلاً بطيارة تسير على مبدإِ الصاروخة . لذلك ترى فون راب الالماني مكبًّا على صنع هذه الطيارة كما تقدم وستكون مجهزة بآلة عادية ومحركات علاوة على الصواريخ ويكون في وسعها ان تقطع من ٣٠٠ ميلٍ الى ٤٠٠ ميل في الساعة

وبعد ما تستكشف طبقات الجوّ المتوسطة الارتفاع بهذه الطيارة تبنى اخرى تستطيع ان تحلق الى ثلاثين ميلاً او اربعين ميلاً فوق سطح البحر وتسير بسرعة تختلف بين ٧٠٠ ميلٍ و ٩٠٠ ميل في الساعة

فقد ثبت من مباحث الاستاذ ده بورث الفرنسي ان جو الارض طبقتان الاولى علوها نحو خمسة اميال وتدعى بالتروپوسفير والثانية تدعى بالستراتوسفير وحرارتها ٥٠ درجة تحت الصفر بميزان سنتغراد . ونحن كما لا يخفى نعيش في الطبقة الاولى ولم يتمكن الطيارون ان يرتفعوا بطياراتهم الى ابعد من ثمانية اميالٍ فوق سطح البحر اي الى علوٍ يزيد قليلاً على اعلى قمم الجبال . وقد تمكن الاساتذة ده بورت وروتس واسمان من درس احوال الجوّ الى ارتفاع عشرين ميلاً بواسطة بلونات خاصة يحملونها آلات للرصد ويطلقونها في الجوّ فترتفع الى هذا العلو ثم يعيدونها الى الارض ويدرسون ما دونتهُ من الحقائق . اما ما هي حالة الجو فوق هذا الارتفاع فلا نعلم الآن وقد ادت ارصاد الشفق القطبي والرجم الى تضارب في آراءِ العلماءِ ازاء حرارة الجوّ على هذا العلو السحيق

فنحن اذن في حاجة الى رائد يمتطي طيارة تسير بمبدإ الصواريخ ويخترق طبقات الجو الى ارتفاع مائة ميل

واذا اختار ان يخترقها في فصل من السنة تكثر فيهِ النيازك والرجم فقد لا يصل الى العلو الذي يطلبهُ قبل ان يصطدم باحد هذه الرجم المنقضة في كبد الفضاءِ . وقد يتاح لهُ ان يرى الشفق القطبي في روعة جمالهِ . ايستطيع حينئذٍ ان يبقى حيًّا في مثل هذا الجوّ المكهرب ؟ وماذا يكون اثر الاشعة الكونية فيهِ ؟ فان الاستاذ ملكان اثبت انها اقوى نفوذاً من اشعة اكس اربعمائة ضعف وان جوّ الارض يحجبها عنا ويقينا منها . وماذا تكون الحرارة على هذا الارتفاع العظيم ؟ ألا يجوز ان تكون قريبة من الصفر المطلق ؟ وماذا يكون اثر هذا البرد في جسم السائق وفي معدن الطيارة ولو كانت الطيارة محماة من الداخل ؟

ومع ذلك ترى المهندسين فاليه وا ينوپلتري وغيرهما لا يكتفون بما تقدم بل يرمون الى بلوغ القمر والمريخ والزهرة . فيجب اذاً الانفلات من قبضة الجاذبية حينئذٍ وذلك يستلزم قوة لدفع الطيارة في الفضاءِ تفوق ادراكنا الآن

***

وقد حسب الاستاذ جودرد انهُ اذا اردنا ان ننقل على متن صاروخة من هذا القبيل ما وزنهُ كيلو واحد من مسحوق المغنزيوم لانارتهِ حين الوصول الى القمر وجب ان نستعمل ما وزنهُ ٦٠٠ كيلو من المواد المفرقعة لتوليد القوة اللازمة لذلك. فما نحتاج اليهِ اذاً مادة تفوق افضل انواع البارود المعروف الآن في قوتهِ . ولذلك ترى المهندس اينوپلتري يجيل طرفهُ لاكتشاف مادة تصلح ان تكون مصدراً للقوة فنظر اولاً في مزيج من الاكسجين والهدروجين. والقوة التي تتولد من غرام منهُ تفوق القوة في غرام من النتروسلولوس ثلاثة اضعاف فنستطيع ان نطلق باثنين وستين كيلوغراماً منهُ ما وزنهُ كيلو غرام واحد الى حدود جوّ الارض بسرعة ميلين في الثانية . وعليهِ فهو غير كاف لتحقيق الغرض المطلوب . ونظر ثانياً في القوة المخزونة في جواهر الهدروجين. فلو كان استعمالها في حيز الامكان لكانت مصدر قوة لا بأس بها . لان هذه القوة تفوق القوة التي تتولد من اقوى انواع البارود نحو عشرة أضعاف فباحراق نحو عشرة كيلوجرامات منها يمكن ان نطلق كيلو جراماً واحداً من جاذبية الارض بسرعة ٦ اميال في الثانية . ولكنَّ توليد القوة من هذه الجواهر تصحبهُ حرارة شديدة لا يسعنا معها

ان نستعمل المعدن في انابيب الطيارة اذ اي معدن لا يصهر اذا مرَّ بهِ غاز حرارتهُ ١٨٠٠٠ درجة بميزان فارنهيت . ونظر ثالثاً في القوة التي تتولد من انحلال المادة . وقد قيل مراراً على ألسنة علماء الطبيعيات ان في ملعقة من الماء قوة تستطيع ان تدفع باخرة من البواخر الكبيرة من اوربا الى اميركا ثم تعيدها الى اوربا . هنا لدينا اول مصدر من القوة المركزة يستطيع ان يعمل العجائب

ولكن العلماء لم يهتدوا بعدُ الى الطريقة التي تمكنهم من اطلاق هذه القوى الهائلة من مكامنها . وجولة في الكون مثل التي يتصورها اينوبلتري يجب ان تؤجَّل حتى يتمكن علماء لم يخلقوا بعد من حل المادة واعادة بنائها على طرق لا نزال نجهلها

على ان هذا المهندس الفرنسي البارع يمعن في التصوّر المبني على الحساب الرياضي الدقيق . فيقول لنفرض اذا فزنا بمصدر للقوة يدفعنا في كبد الفضاء بالسرعة التي نتوخاها افلتنا من جاذبية الارض ووصلنا الى القمر بعد مسير خمسين ساعة ثم الى الزهرة فنستغرق في سيرنا اليها ٤٨ يوماً واربع ساعات او الى المريخ فنقضي ثلاثة اشهر في الطريق

وهو يرى ما يمكن ان يعترض بهِ على تصوّرهِ هذا . فيقول ان الرجم اذا احتكت بجو الارض احترقت كأنها عود ثقاب لشدة الاحتكاك وهذه الطيارة نيزك منقضّ في قلب الفضاء فماذا يحدث لها وهي تحتك بالهواء

ويردُّ على هذا الاعتراض بقولهِ اننا نتحكم في سرعة الطيارة فتكون السرعة قليلة حيث الهواء كثيف ونزيد كلما لطف الهواء ونبلغها اقصاها حين نخرج من منطقة جوّ الارض . وخطر الرجوع الى الارض اعظم من خطر القيام لانهُ يلزم حينئذٍ ان يبطأ سير الطيارة قبل دخولها في جو الارض لئلا تحترق

ولا يخفى انهُ حين ينفلت الانسان من جاذبية الارض يصبح لا وزن لهُ ولذلك يقترح المهندس ڤاليه ان تكون ارض الطيارة من المغناطيس حتى تجذب اليها الركاب فلا يعلقون في الهواء بين سقف الطيارة وارضها

***

ما هو مصير الارض ؟ يقول العلماء انهُ بعد ما ينقضي عليها ملايين من السنين تصبح ذرة رماد تدور في الفضاء . وماذا يكون مصير الجنس البشري حينئذٍ ؟ ايموت آخر انسان عطشاً وجوعاً ؟ كلا : يقول علماء فرنسا (علماء الاسترنتكس) فلنستعمر الزهرة او المريخ كما استعمرت اوربا اميركا وندع الارض حينئذٍ تسير في مجراها

بقدر الصعود يكون الهبوط

مَثَل حكيم

لجاكوب كاتس الهولنديّ

ولد جاكوب كاتس في زيلند من اعمال هولندا سنة ١٥٧٧ . وكان محامياً وسياسيًّا وسفيراً وشاعراً. وبعد ما جال في اوربا ووقف على ما شاء من شؤون الناس واطوارهم عاد الى بلاده واشتغل بالمحاماة. ومع شدّة انكبابهِ في حياتهِ الطويلة على العمل بصناعته هذه كان من وقت الى آخر يتفرَّغ لنظم ما يُعْـرَف بالشعر الغنائيّ ووضع القصص الادبية المغزى بألسنة الطيور والحيوانات على مثال كتاب «كليلة ودمنة» المشهور . فلقيت قصائدهُ وقصصهُ استحساناً عظيماً عند قرّائها .وكان الهولنديون ،لفرط شعورهم بمحبتهِ لهم وعطفهِ عليهم وتحرّيهِ عمل كلّ ما فيه خيرهم وصلاحهم، يلقّبونهُ بالأب كاتس

وكانت قصص الاب كاتس مع قصرها تمتاز ببساطتها ووضوح معانيها وكونها موضوعة على الخصوص لتثقيف العقول وتهذيب النفوس كالقصة الآتية : —

ران الغرور على قلب غيلم[1] —كما يرين على قلوب كثير من الناس — فخُيّل اليهِ انهُ ليس كمثلهِ في عظمة الاهمية وخطورة الشأن. وسوَّلت لهُ نفسهُ ان يراعي النظير بين حالة عقلهِ وصورة جسدهِ فيستبدل بجبلّتهِ الترابية جبلّةً اكرم مادةً واسمى عنصراً وكان عشراؤهُ واصدقاؤهُ قد امعنوا في التأمل فلم يستطيعوا ان يتبينوا فيهِ اقل شيء من ادلة التفوق والنبوغ . ولكنهُ عزا حكمهم هذا الى عجزهم عن ادراك ما بلغتهُ قواهُ العقلية من السموّ والارتقاء . واصرّ كل الاصرار على السعي في إقناعهم باستطاعتهِ ان يتألق في كرة لا يقدرون على بلوغها مهما تشرئبّ اعناقهم اليها

وحدث ذات يوم انهُ رأى نسراً واقفاً على شجرة يستريح من عناء طيران طويل المدى قضاهُ في اعلى طبقات الجوّ . فدنا منهُ . وبعدما تلطّف في تحيتهِ والسلام عليهِ سألهُ ان يحملهُ على منكبيهِ ويوغل في الارتفاع بهِ الى اسمى درجة يستطيعها لكي يبرهن لابناءِ جنسهِ — الغيالم والسلاحف — انهُ اهل للارتقاءِ الى مقام ارفع جدًّا من

(١) ذكر السلحفاة

مقامهِ على الارض . ويتمكن من الاشراف على مجالي الارض الرائقة ومظاهر البحار الشائقة ويراقب بزوغ الغزالة من خدرها في الاعالي ووقوع انوارها الباهرة على سطح الارض حيث الغيالم والسلاحف يخبطون في ليل الجهل ويسقطون الى اسفل دركات الانحطاط

فلما فرغ من كلامهِ ادرك النسر ما كان عليهِ ذلك المأفون من شدة الزهو والغرور فبش بهِ وقال لهُ انهُ بملءِ الارتياح مستعد ان يجيب سؤلهُ وينيلهُ ما تصبو نفسهُ اليهِ. وما عتم ان اقلّهُ وطار بهِ محلقاً في عنان السماءِ حتى بلغ من الارتفاع مبلغاً اعيا الغيلم ان يرى منهُ وجه الارض او يتبيّن اثراً لما يدبُّ على سطحها . وما ابطأ أن اصابهُ دوارٌ شديدٌ جشأت بهِ نفسهُ وتملك الانزعاج فؤادهُ فودَّ لو انهُ كان باقياً على الارض ولم يطع نفسهُ الامّارة بالسوءِ . ولم تكن حالتهُ هذه بخافية على النسر . لكنهُ تجاهلها وظلَّ يمعن في الصعود بهِ ، قائلاً لهُ انهُ عامل بما اراد وبالغ بهِ ذروة الرفعة والسؤدد

وظلَّ النسر يسمو بهِ ويعلو حتى ارتقى الى حيث لا ترى العين سوى ضياء الشمس ولا تسمع الاذن غير حفيف النسيم . وحينئذٍ التفت الى الغيلم وسألهُ هل طابت نفسهُ وقرت عينهُ بهذه الرحلة الجوية ونال فيها ما شاء من الارتقاء الى اعالي السماء ؟ وهل يود الصعود الى ما هو اسمى وارفع ؟ وهل يعد السكنى هنا افضل منها على سطح الارض

ولكن الدوار والهلع كانا قد اخذا من الغيلم كل مأخذ وبات من جرَّاهما ينظر فلا يرى وينصت فلا يسمع ويحاول الكلام فلا يستطيعهُ . واذ ذاك زعق بهِ ابو الابرد [1] زعقة الهزءِ والاحتقار وقذف بهِ من على ظهره فهوى متخبطاً في انحدارهِ حتى سقط على صخرة صماء فتحطم وذهب ضحية غرور أطمعهُ بالمحال وعلّلهُ بنيل ما لا ينال

وفي كلّ زمان ومكان اناس كهذا الغيلم يخدمهم الحظ او يسعدهم مع ضعة اصلهم وخسّة نفوسهم وضعف عقولهم فيرتقون بغتة الى اعلى المناصب والمراتب بلا شيءٍ من الاهلية والاستحقاق. وكثيراً ما يعقب هذا الصعود السريع هبوط اسرع منهُ ينحدرون فيهِ اشد انحدار الى قرارة الذل والعار . ولله در القائل : —

بقدر الصعود يكون الهبوط فإياك والرتب العاليهْ
وكن في مكان اذا ماسقطتَ تقوم ورجلاك في عافيهْ

(١) كنية النسر

مصر واوربا

بلادي قطعة من اوربا — الخديوي اسماعيل
الشرق شرق والغرب غرب . والاثنان لن يلتقيان — رديرد كبلنغ

الشرق والغرب

قد يضطر الانسان في بعض الاحيان الى الخوض في مسائل صارت تُعَدُّ مبتذلة . ومع ذلك ترى انهُ كيفما دار الفكر في مصر فانهُ يقع في دورانهِ على موضوع العلاقات بين الشرق والغرب

ان الشرق والغرب اللذين هما قطبا نشاط البشرية والبلاد الوسيعة التي عاشت فيها جماعات عديدة كل منها على اسلوب خاص بها قد فرَّق بينهما بعد المسافة وفواصل عديدة قروناً طويلة ولكن هذه الفواصل أخذت تزول وتلك المسافة تضيق يوماً فيوماً منذ سنين قليلة فقط والفضل في ذلك للغرب

من مميزات هذا العصر الذي يظهر ان ابناءهُ قد اخضعوا جميع القوات المادية لامرهم هو ان عوامل النقل والنشر والتوحيد تفعل فيهِ فعل العجائب وان الطيارة التي اجاد امير الشعراء شوقي بك في وصفها خير رمز لذلك فهي تحلق في كل صوب فوق البرور والبحور وتنطلق صاعدة في سبيل الجو متخطية جميع الحدود التي في جوانبهِ فتقرب وجوه النظر بين اهل الشمال واهل الجنوب وبين اهل الشرق واهل الغرب . وبينما هي تحلق في الزرقة حيث تتحد موسيقى الجو الكبرى بانغام المحرك يقف الفكر باهتاً امام امور مدهشة ستصير عما قريب عادية لدى الجميع . بل هناك ما هو اعظم من هذا فان المسافر الذي يغادر لوبورجه وهو نائم فيستيقظ وهو في نيويورك او بومباي او القاهرة يمكنهُ ان يوصل صوته الى حيث يريد ويرى بعينيهِ صور الغائبين عند ما يشاء فهو بذلك يملك قوة الوجود في كل مكان

وبناءً على ذلك يمكن ان نتصور انهُ سيأتي يوم تتغلب فيهِ السرعة على المسافة والوقت ما لم يقف العقل البشري فجأة بفعل قوة غريبة عند حد معلوم من الارتقاء وما لم يحدث حدث هائل لا نتوقعهُ يعود بنا القهقرى الى درك الانحطاط الذي كانت فيهِ البشرية من قبل . فاننا نرى الكائنات التي تتنافس على وجه البسيطة تسير في سبيل التمازج المتزايد

والتوحّد الشامل ونرى جهازاً عصبيًّا واحداً سريع التأثر والاحساس تمتد فروعه في كل جهة. فنحن نسير نحو توحيد العالم توحيداً ظاهراً وقد صارت العزلة اليوم حتى العزلة اللذيذة في خبر كان سواء أردنا ذلك او لم نردهُ ولا يمكن ان نتباعد عن جيراننا ولذلك يجب علينا أما ان نحاول ان نستفيد منهم واما ان نحاذر من وثباتهم علينا . فيجب ان نعرفهم وان نحبهم اذا امكننا ذلك .

وبينما الحضارة المادية تسير بخطوات الجبابرة في الغرب حدث عنها مباشرة حادثان عظيمان . الاول هو ان حرباً لم يكن لها نظير من قبل حطمت برج العجرفة الذي كان يقيمهُ الغرب تمجيداً للرجل العصري. والثاني هو ان شعوباً كان يُظَنُّ انها تغطُّ غطيطاً منذ الوف السنين في بلاد المشرق استيقظت واخذت تفكر في ان تنتزع من الغرب سيادة كان يعتقد انها تبقى لهُ الى الابد

قضت اوربا سنوات وهي كأنها بركان مدافع فاندفنت في حفر الخنادق انوار العقل وكنوز الادب. فلم تقف الامور عند خراب البلدان بل شمل الخراب النفوس وصاح الجميع : يا للافلاس ! وفي ذلك الوقت العصيب اراد كثيرون ان يحاربوا المادية التي كانت قد ثبتت دعائم ظلمها الوحشي على اكوام من الخرائب وان يخلصوا من اضطراب ليس فيهِ من نفع فلجأوا الى التأمل ومناجاة الروح وادراوا وجوههم نحو الشرق يستوحونهُ أسرار الحكمة القديمة . ونخص بالذكر من هؤلاء سبلنجلر وكيزرلنغ في المانيا ثم رومين رولان وهنري مسيس وغيرهم في فرنسا . ثم ترجم بعضهم كتب رابندرانات طاغور وتسابقت الاقلام الى الكتابة في هذه المسألة . وكان للازياء نصيب في ذلك الميدان

ولا ريب في انهُ لم يكن يسع احداً ان ينكر ان الشرق قد اخذ يسير في مدارج النهوض. فهل يجب ان نعتقد ان في حياة الشعوب والحضارات فترة راحة وفترة نشاط وان الشرق بعد ان هجع عدة قرون ازفت ساعة يقظته ونهوضه ؟ ان هذا ممكن . بيد انهُ يجب في كل حال ان نعتقد ان للغرب في هذا النهوض فضلاً لان الشرق تعلم في مدرسة الشقيق والسيد الخصم — اي الغرب — لا فرق ان كان نور الحضارة الغربية بهره فاتجه اليهِ أو انهُ اراد ان يقاوم ظلم الاستعمار فسعى يطلب لنفسه سلاحاً. وعلى ذلك كان الانقلاب الخارجي في اليابان غريباً مدهشاً وقد أظهرها انتصارها على روسيا في مظهر اذهل اوربا حتى تنادى القوم في اوربا وامريكا بالخطر الاصفر

واليوم ترى في جميع انحاء الشرق سواء في الشرق الادنى او الاقصى او تركيا او الهند او الصين حياة جديدة بل حياة ثائرة فيها نزعة للحرب. فالقوم يقدمون على تجارب ويشعرون بحاجة الى التضام والتآلف وتزيد رغبتهم الشديدة في خلع نير الامم الغربية. وهذه حقيقة لا سبيل الى انكارها فالشرق لا يجهل الغرب ولا يريد ان يجهله

وهذا ما يجعلنا نعتقد ان الساعة أزفت للاهتمام بامر العلاقات بين الشرق والغرب وان الواجب هو التعارف

ولكن اذا كان يبدو ان بين اوربا وامريكا شيئاً من الوحدة واذا امكن ان يقال ان روحاً اوروبيًّا عامًّا بدأ يظهر يجب ان نعترف ان في الشرق وجوهاً من النظر تختلف كل الاختلاف وانهُ يجب تحديد ما يراد الكلام عنهُ

ان اكثر الناس في اوروبا لا يرون للشرق الا قيمة خيالية . ويكفي للتحقق من صحة هذا القول ان يطلع المرء على « نداءات الشرق » في « نشرات الشهر » وان نعلم ان المستشرق « سيلفان ليفي » وامثالهُ يحذرون الناس من الحكم على الشرق بما يراهُ السائح الغربي في الاسواق الشرقية او بما يقرأهُ في بعض الكتب . فقد قال هذا المستشرق : « من وضع في صف واحد سوريًّا من بيروت وايرانيًّا من فارس وبراهمانيًّا من بنارس وباريًّا من ديكان وتاجراً من كنتون ومندرياً من بكين وياميًّا من التيبت وياكوتيًّا من سيبريا وكنيبالاً من سومطرة وزنجيًّا من الكونغو وبربريًّا من القبيلة يكون أشدّ الناس جهلاً بعلم الشعوب »

لا يوجد مشرق واحد بل يوجد مشارق كثيرة ولذا تقضي علينا الحكمة والنزاهة ان نحذر ونوضح موضوع بحثنا هذا

ان معرفة احد بلدان الشرق هذه ليست من الهنات الهينات ولا بدع ما دام الانسان لا يستطيع ان يعرف نفسهُ ومن حولهُ معرفة تامة . فكما انهُ قد يحكم علينا ان نبقى منعزلين الى الابد في سجن جسمنا كذلك قد يمكن ان لا تتصل حضارتان الواحدة بالاخرى

ان معرفة بلدٍ ما امر غير يسير . نعم ان الاطلاع على ما كتب عن ذلك البلد مفيد وذو قيمة ولكن لا شيء يقوم مقام معرفتهِ مباشرة اذ يجب معاشرة رجالهِ طيلة سنين عديدة واستنشاق الهواء الذي استنشقوهُ . بل ان هذا ايضاً لا يكفي فيجب تعرُّف كل شيء بنشاط وبذل جهد متواصل لزيادة الاقتراب من الاشياء والاشخاص ولكشف

الاسرار . واذا فكرنا بما كنا عليهِ من الانعزال في احد احياء باريس أو في احدى زوايا الارياف في فرنسا يخيل الينا اننا اذا جئنا الى هنا وفتحنا عيوننا للحقائق قد نجونا من مصيبة كبرى . ونعود فنقول ان من يحاول ان يتحدث عن الشرق قد يتيه فيلجأ الى البلاغة والفصاحة ولذلك نقتصر على ما اختبرناهُ بشخصنا وعلى امل ان نتحف القراء ببحث منظم جلي لا نتحدث الا عن العلاقات التي بين وادي النيل واوروبا وبوجه التخصيص عن العلاقات الفكرية

مصر واوربا في التاريخ

ان تاريخ علاقات مصر الخارجية يتصل كلهُ بموقعها الجغرافي فهي باب الدخول الى افريقيا واسيا وواقعة على الطريق المؤدي الى السودان وجزيرة العرب والهند واليابان . وقد زاد في اهميتها حفر قناة السويس . ثم انها تطل على البحر المتوسط وتشترك في حياة جميع الشعوب القاطنة على شواطئه ولذلك كانت دائماً ملتقى اجناس مختلفة ومثابة اديان عديدة . ثم انها تشترك هي وسائر بلدان الشرق الادنى في اداء مهمة التقريب بين اسيا واوربا

ان تاريخ مصر يدلنا على انها كانت تارةً متجهة نحو آسيا وطوراً نحو البحر المتوسط ومن ورائهِ الى بلاد اوروبا . فقد حارب الفراعنة الاشوريين وذهبت سفنهم الى الاوقيانوس الهندي ووفد الى مصر من آسيا الملوك الرعاة وفرس قمبيز وجنود عمرو ابن العاص . وجاء تجارمن اليونان فأقاموا على شواطئها . وتبودلت السلع بينها وبين الجزائر واشباه الجزائر في بحر الروم . واشرق نور حضارة يهودية يونانية في مدينة الاسكندرية في عهد البطالسة . وجعل حكام رومة وادي النيل ملكاً لهم وأهراء غلال

واخيراً حتى في ابان الحروب الصليبية نزل بعض التجار الغربيين في مدن الدلتا وأذن لهم بالاقامة والاتجار فيها . ولما وقع القديس لويس ملك فرنسا في الاسر عومل باحترام . وكان بعد ذلك ان وقّع السلطان سليمان وملك فرنسا فرنسيس الاول على وثيقة الامتيازات فدل ذلك على استمرار العلاقات . ثم جاء نابوليون بونابرت وجاءمعهُ علماء لم يكتفوا بجمع الملاحظات والمخطوطات بل انشأوا طرقاً وانعشوا التجارة وشيدوا اسس الاصلاح وادخلوا الناس في ميدان حضارة جديدة

ولما جاء محمد علي اتجهت مصر نحو اوروبا فاهتمت فرنسا وانكلترا بشؤونها كل الاهتمام طيلة القرن التاسع عشر . فكانت انكلترا تسعى لتأمين طريقها الى الهند وفرنسا

تناوئها وتقف سدًّا في سبيل مطامعها اتباعاً لسياسةٍ هي من تقاليدها وعطفاً على مصر. ثم وضعت الدولتان لنفوذهما في وادي النيل قواعد اتفقتا عليها

ومن المعلوم ان محمد علي لجأ خاصة الى فرنسا فطلب ان تمده بالرجال العسكريين والمهندسين والزارعين والاطباء . فجاء الكولونل سلف ونظم الجيش المصري واشتغل لينان وبلفون بسدود النيل وجسوره وشرع موجل في بناء قناطر الدلتا وحفر كوست ترعة المحمودية وجاء جومل بالقطن وانشأ كلوت بك المستشفيات والنقالات . ثم ذهبت البعثات العلمية الى مدارس فرنسا ولما عاد اعضاؤها الى بلادهم اخذوا يروّجون فيها ما كانوا قد تلقنوه في تلك المدارس . وحذا خلفاء محمد علي حذوه ولا سيما اسماعيل باشا فاستعانوا بالفرنسويين نذكر منهم فرديناند دلسبس وماريت باشا ومسبرو

ولكن بعد حوادث عرابي باشا في سنة ١٨٨٢ اخذت انكلترا تسعى لطبع مصر بطابعها فجاءت لها بمهندسين وموظفين اداريين واساتذة انكليز واتصل غزالو ليفربول بالاسكندرية اتصالاً وثيقاً . وذهب الشبان المصريون الى معاهد العلم في انكلترا لاتمام دروسهم وزاد عدد المصريين الذين يتكلمون اللغة الانكليزية بسهولة واصبحت الالعاب الرياضية منتشرة في وادي النيل و « البيبا » القصيرة شائعة الاستعمال

بيد ان العلاقات التي نشأت بين مصر واوروبا ظلت في القرن التاسع عشر لاتهم الا جماعة من علية القوم وكانت بالاخص اقتصادية وسياسية . فكانت مصر والحالة هذه منطقة نفوذ واستغلال يعدونها تابعة لهم وكانت هي تحذرهم وربما في داخل قلبها تكرههم . ثم ان عامة الشعب غير المتعلمة كانت من جهة اخرى محتفظة من وراء حصن الاسلام بحياتها الغريبة المحجبة لاتنفذ اليها تأثيرات الغرب فظلت لاتعرف شيئاً عن الغرب وظل الغرب لا يعلم شيئاً عن الفلاح المصري

***

ولم تخرج مصر عن عزلتها ولم تستيقظ وتهتم باوروبا الا سنة ١٩١٨ بعد الحرب العظمى . فمن عاش في هذه البلاد منذ ثماني سنوات قد شاهد انقلاباً عظيماً ورأى حياة جديدة تدب في ارجائها

على ان هذه الحياة الجديدة لم تظهر في الحقيقة فجأة ويجدر بنا ان نذكر اثنين مهّدا لهذه الحياة. الاول الشيخ محمد عبده مصلح الاسلام والثاني مصطفى كامل باشا ابن الوطن

اما الشيخ محمد عبده تلميذ السيد جمال الدين الافغاني فهو اول من اسمع صوتاً عصرياً

في الازهر حصن الاسلام وحارس القرآن والمحافظ على التقاليد الاسلامية والمتشبث بالعلوم الدينية الاسلامية . فأخذ يشرح القرآن على طرائق جديدة امام صحافيين وقضاة ومحامين نال بعضهم فيما بعد شهرة واسعة — مثل سعد زغلول باشا — ويثبت لهم ان ديانة النبي محمد لا تتعارض مع دروس الحياة وتلقُّن العلوم العصرية مثل الحساب والجغرافية والطبيعيات فنبه عقول شيوخ الازهر

واما مصطفى كامل باشا فكان بشبابه الزاهي ولمعان عينيه وفصاحته المتدفقة الخلابة يمثل شخص الوطن العزيز الحي ويهز الحركة الوطنية هزاً شديداً والشبان من حوله يهتفون ويصفقون . وقد تولى زعامة هذه الحركة من بعده رجل شهير هو سعد زغلول باشا ووحد بين الاقباط والمسلمين فصارت الحركة مصرية حقيقية

ولما جاءت الحرب واعلنت انكلترا الحماية على وادي النيل زادت الحركة شدة واندفاعاً . وذهب سعد زغلول باشا ورفاقه يوم ١٣ نوفمبر سنة ١٩١٨ بالنيابة عن مصر الى ممثل الدولة البريطانية للمطالبة باستقلال بلادهم مستندين الى المبادئ الولسنية ومعتمدين على المساعدة التي قدمتها مصر للحلفاء . والقراء يعلمون ما حصل بعد ذلك وكيف اعترفت انكلترا بتصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ « بان مصر مملكة ذات سيادة ومستقلة »

***

وأول ما فعلتهُ مصر الجديدة هو انها استغنت عن موظفيها الاجانب لتثبت مبدأ استقلالها. ولكنها لم تكن تريد بذلك قطع العلاقة بينها وبين اوروبا بل بالعكس فقد اظهرت على الاثر ولا تزال تظهر رغبتها في ان تشترك مع جامعة الامم والشعوب وان تقتفي اثر ارقى امم اوروبا

ولما افتتح مؤتمر الاحصاء الدولي حديثاً في مصر قال ثروت باشا رئيس الوزارة يومئذ: « ان اجتماع معهد الاحصاء الدولي اليوم في القاهرة امر لهُ عندنا اهمية خاصة فهو يثبت من جديد دخول مصر في جامعة الامم ويعد مرحلة جديدة من مراحل اشتراكها مع ارقى الشعوب في المباحث العلمية التي تقوم بها وفي الجهود التي تبذلها في سبيل ترقي البشرية ورخائها » وان هذه الكلمات التي ترن رنيناً غريباً تماماً قد سمعناها كثيراً ويمكن ان نقول انها تعبر عن افكار علية المصريين

ماذا تعلمت مصر من اوربا

فمنذ خلعت مصر نير اوربا ادارت طرفها نحوها لكي تتعلم منها

ومن الطبيعي ان حضارة الغرب بدأت تستغويها بمظاهرها الخارجيـة كالسيارة والتلفون الاوتوماتيقي وازياء النساء الباريسية والرقص والحانات والوسكي

ثم استهوتها الحضارة الصناعية والتجارية فاشترت من الغرب آلات واتبعت طرائقهُ الميكانيكية واستوحت اساليبه التجارية وكثر الطلب على المهنـدسين ورجال الاشغال . وكثرت آلات الحرث الحديثة والسواقي والطلمبات . وشاع استعمال الاسمنت المسلح وظهر بنك مصر. وبات من مبادىء الشبان المصريين العصريين ان يكونوا عمليين وان لايضيعوا الوقت وان يسعوا وراء الغنى كما يفعل القوم في اوروبا

اما في الميدان الاجتماعي فالانقلاب ظاهر للعيان فقد تحررت المرأة وصار الحجاب يطرح شيئاً فشيئاً في زوايا المهملات . والشبان والشابات يرقصون معاً على انغام الفونوغراف والزوج يخرج مع زوجته للنزهة (وهو في اكثر الاحيان ليس لهُ الا زوجة واحدة) . ومن عوامل هذا الانقلاب ظهور طبقة متوسطة من الموظفين والاساتذة والصحافيين والقضاة والمحامين يزداد عـددها يوماً فيوماً تلبس الملابس الاوروبية وتتكلم بالانـكليزية او الفرنساوية وتذهب ايضاً الى اوروبا في فصل الصيف . وهذه الطبقة الجديدة تأبى ان لايكون لها مقام معلوم في الهيئة الاجتماعيـة وتطلب ان تتنعم في الحياة بمزايا محدودة تماماً وسيقدرها الناس حق قدرها بعـد عشر سنوات

واما في السياسية فمن العبث الاسهاب في الـكلام . ففي مصر دستور على طراز الدساتير الغربية وبرلمان يسير على خطوات البرلمانات الاوربية

ثم ان مصر لم تتردد في ان تطلب من اوروبا ان تعاونها ببعض من رجالها المفكرين فقبلت ان تستبقي المدرسين الاجانب في مدارسها الى ان تخرج طبقة من تلاميـذهم المصريين تستطيع ان تحل محلهم . وانشأت بسعي جلالة مليكها جامعة يلقي فيها اساتذة اوربيون من ذوي الشهرة العلمية دروساً ويستطيع ان يتثقف فيهـا انجب الطلاب المصريين عندما يتوطد فيها روح تعليم عالٍ معزز للثقافة . وقد ظهر نشاط المفكرين المصريين خصوصاً في ترجمة المؤلفات العديدة وهم يرمون في ذلك الى جعل علم الغرب

قريب التناول للجميع وشحن الكتب المدرسية بهِ فترجموا في الحقوق والطب والطبيعيات والكيمياء مؤلفات الثقات وترجموا تصانيف اوربية متنوعة وروايات تمثيلية مثلت على مسارح مصر

ولاوروبا في هذه البلاد الغنية بالآثار التي لا مثيل لها نفوذ فني فتفد اليها جوقات تمثيلية اجنبية تمثل الروايات الرائجة في هذا العصر وبعض الروايات القديمة . ويأتي مشاهير المغنين فيغنون هنا . ودور السينما منتشرة في كل مكان . وتقام معارض تعرض فيها طرائف الفنون الغربية . واذا كان بعض الشعراء لا يزالون متشبثين بطرق النظم القديمة فان خليل مطران ينسج على منوال الغرب. ثم ان الكتاب الشبان يقتدون في كتاباتهم بزملائهم الغربيين واذا كان المصوّرون امثال محمود سعيد وناجي ومثّال ممتاز مثل مختار يريدون ان يظلوا متشبثين بالتقاليد المصرية فان لهم فناً وطرقاً جديدة تضارع ما عند الاوروبيين منها

لباب الحضارة الاوربية

ولكن هل يجوز أن نقول ان مصر تعرف اوروبا ! كلّ اوروبا ؟ او هل هي تعرف من اوروبا ما يستحق أن تعرفه ؟ ان هذا غير محقق فان هناك كثيرين من المشعوذين يتصدرون المجالس ليروجوا بضاعتهم . وهناك كثير من المتشائمين الذين لا يروقهم الا ان يخلقوا المشاكل ويثيروا الشقاق. وكثير من المنادين بالويل الذين ينذرون في كل مكان بقرب نهاية العالم . ولا ريب ان اوروبا التي يشكو منها طاغور هي اوروبا ذات الآلات الظالمة المغرمة بتحليل الشيء المولعة بالسيطرة . وهذا أمر قلناه معهُ غير مرة وسنقوله كلما دعت الحال لاننا نفحص أنفسنا دون محاباة . ولكن في اوروبا شيئاً غير هذا ايضاً . وانا نرى من المفيد ان نلفت نظر المصريين الى شيء في اوروبا تعلمنا نحن الذين بعدنا عنها ان نقدره حق قدره . ونريد أن نبين لهم ما هي في نظرنا نحن الغربيين قيمة اوروبا وما هو جمالها الحقيقي وان جعلناهم بذلك يزيدون شعوراً بالفرق الجوهري بيننا وبينهم

ان اوروبا تهتم أولاً بمعرفة الشيء معرفة دقيقة وقد فصلت العلم عن الدين «وتأبى المبالغات والخيالات والتصورات الغامضة الخيالية وتميل الى النقد وتحليل الاوهام تحليلاً دقيقاً وتقسم وظائف الفكر تقسيماً معقولاً وتنظم صوره» . وهذا ما أنشأ عندها تلك

الصفات المشكو منها وهي حب إستطلاع لا يعتريه ملل وخضوع للحقائق والحذر ونزاهة في الاختبار ووضوح وتدقيق في الكلام

ثم انها خلقت الحق العام الذي وان كان غير كامل الا انه يرتكز على مبدأ كرامة الانسانية . وأبدعت لغة قضائية يعبر فيها عن مبدأ واحد للعدل الزمني والعقل

ثم ان كلمات يسوع الناصري طالما تردد صداها في قلبها لخيرة أبنائها يعدون مبدأ « أحبوا بعضكم بعضاً » أسمى مثل أعلى ويحسبونه عدلاً سرمدياً

نعم كلّ حرٍ في أن يقيم فرقاً بين الشخص ومعرفته وبين الفكر والروح وأن يزدري وأن ينكر مذهبنا هذا . ولكننا نقول الآن هذا بلا شك خير ما يمكن ان تقدمه أوروبا

فمن شاء ان يعرفها يجب أن لا ينظر فقط الى تجارها بل يجب ان يتجه الى من هم أعلى منهم أمثال دانتي وشكسبير وغوته وفيكتور هوجو وافلاطون ودكرت وسبينوزا وكونت وبستور وانشتين وميخائيل انجلو ورمبرنت وبتهوفن. الى نخبة مشاهير الكتاب والفلاسفة والعلماء ورجال الفن الذين نرى ان نتائج عقولهم هو شرف للعقل البشري عامة لا للعقل الغربي فقط

ثم يجب ان تنظر الى العاملين البسيطين الذين يدفعهم حب التثقيف الزائد . أولئك الذين يقفون جسمهم ونفسهم على مهمة ما حبًا بمثل أعلى

ثم يخلق بنا أن نشير الى الجهد الذي يبذله بعض المفكرين الاوروبيين في سبيل التقريب بين جميع الشعوب على قاعدة الاحترام المتبادل فانه يوجد في فرنسا مثلا بعض أماكن يفد عليها من كل أنحاء الدنيا أناس حسنو الادارة ليعربوا عن وجهات نظرهم بكل اخلاص رغبة منهم في نشر الوفاق والسلام .وان هناك مفكرين لا يزالون يعتقدون ان الانسانية توجد في جميع الاوطان وجميع البلدان

***

ها نحن قد بلغنا لباب مسألة العلاقات بين مصر واوروبا . فاما الماكنات فان المصريين يحصلون عليها سريعاً . وكذلك الوثائق والنظريات والطرائف وما يصلح به الوجه . ولكن أي دم يغلي تحت الوجه المدهون ؟ وأما الروح ؟ وأما النفس ؟ واما الدعوى بالتفاهم العميق المتبادل ؟ فماذا يكون من أمرها ؟ هنا يخلق بنا أن نحذر التفاؤل الخادع والتشاؤم المثبط

يذهب البعض الى ان المصريين سيفشلون في مدرسة أوروبا وأنهم في كل الاحوال لن يقتبسوا الفكر الغربي . ومن أصغى الى كلام هؤلاء يخيّل اليه ان أولئك الذين يظهر أنهم قريبون جداً من الاوروبي في ملابسهم وتربيتهم وتصريحاتهم لا يزالون بعيدين عن الاوربي مراحل لا تحصى

ويذهب البعض الآخر الى أنهُ يجب ان لا تنخدع بحمى التقليد التي عند المصريين والى أنه اذا كانت مصر تستعين بأوروبا لصياغة موظفيها ورجالها الفنيين وتجارها ولسنّ قوانينها وانشاء مدارسها فانما تفعل ذلك لكي تقوم على أوروبا عندما ما تسنح الفرصة فهم يشكون في وطنية المصريين ويرمونهم بالكبرياء والتصلب وحتى ببغض الاجانب

وفي الحقيقة ليس على المصريين أن يصيروا فرنسويين أو انكليزاً بل واجبهم الاول هو أن يخلقوا من جديد غير طالبين من اوروبا الا خميرة حياة. وهذا أمر معقول جداً واذا فعلوا كذلك لا نرى أنهم لن يضيعوا حتى ولو أساءوا التقليد . فان كل شيء أفضل من الموت . ومن الضروري عندما يحتكون بفكر الغرب وعقائده ومشاغله أن يقوم في أنفسهم نزاع شريف وألم يحرك حماستهم. على ان عقيدتهم الاسلامية السليمة تقريباً تكفي أيضاً زمناً طويلاً لدعم حياتهم الروحية . ولن يكون نجاح الا بعمل عجيب وهو السعي لجعل مصر اليوم ، بطرق معوجة اذا دعت الحال ، وبالرغم من أزمة وطنية قد لا يكون منها مفر وقد لا تخلو من الاخطار، وارثة الحضارة الفرعونية الكبرى عن أهلية

ولسنا نعتقد أن هذا النجاح مستحيل

لا ريب أن أمام المصريين عدة مراحل يجب أن يجتازوها . لكن ليس من المحتم أن يكون كل عمل عجيب سريعاً كالبرق . ان في مصر شبيبة ذات ارادة حسنة جداً تسير في سبيل النهوض . ومن المأمول أن يبلغ هذا النهوض قنته في وقت قريب. واننا نعتقد ان هذه النهضة يجب ان تقوم وستقوم تحت ظل الاتفاق مع اوروبا . اما ما يكون بعد ذلك فان الله وحده يعلمه

الى المفكرين المصريين

وهنا نوجه كلمة الى المفكرين المصريين

ان لقب المفكر ينطوي في كل مكان على واجبات شريفة ولكنها ثقيلة فهو يفرض على صاحبهِ في بلد يجدد حياته واجب بذل النفس بل التضحية بها في قضاء اعمال

غير ظاهرة او لا يعرف فضل فاعلها . ان جامعة الامم هي مثل حلبة الالعاب الرياضية والعصر من حديد والعدل لا ينزل على الارض الا اذا وُضع على الارض . اما الوقت الذي كان يمكن ان يتمتع الانسان فيه بالراحة التامة الطويلة فقد ولى وذهب . وفي كل مكان تتطلب الحال البطولة اذا كان البطل هو اكثر اخوانه نشاطاً وعلماً واهلية واذا كان الانزه هو الذي يطلب التفوق ويسعى الى الكمال في غير كلل او ونى

فالمهمة التي على عاتق المفكرين المصريين مثيرة للحماسة وصعبة في آن واحد

عليهم في الداخل ان يديروا اصلاح النظام الاقتصادي والمالي واصلاح الاحوال الصحية واصلاح التربية الفردية والاجتماعية والادبية

اما في الخارج فعليهم ان يتعرفوا سواهم وعلى الاخص ان يعرّفوا أنفسهم لسواهم . ويخلق بنا ان نشدد في ما يختص باوربا من حيث الامر الثاني

عند ما يتحدث مفكرو اوربا عن الشرق كما فعلوا في خلال السنين الاخيرة يعنون خصوصاً الهند والصين والفرس واليابان بفلسفاتها ولا يعنون مصر

اما مصر الفراعنة فلا يعرفها عدا السياح الذين يهتمون بآثارها وبعض رجال الفن الذين يعنون بفن الكهنة ، الا الاختصاصيون بالرغم من اكتشاف آثار توتعنخ امون . ثم ان الحضارة اليونانية التي ازهرت في الاسكندرية والتي ابقت أثراً عظيماً في الفكر الغربي مدفونة في بعض المؤلفات في مكاتب اوربا . يضاف الى ذلك ان مصر وان كان أزهرها اشهر جامعة اسلامية ليست بالبلد الاسلامي الوحيد ولا أقدم بلد اسلامي . والقرآن تعرفهُ اوربا أيضاً بطريق الجزائر ومراكش وبلاد العرب والهند : أما مصر اليوم فانها تشتغل بتجديد حياتها . ولذلك حين تثبت للمصريين ان بعض اوروبا يعطف عليهم نطلب اليهم ان يخرجوا قليلاً قليلاً من حيز بلدهم الجميل وان يعلنوا عن وجودهم بالعمل مع سائر الامم والشعوب وبالاخص بتآليفهم التي تفيدهم فائدة كبرى اذا توصلوا الى ترجمتها في القريب العاجل الى اللغات الاوربية .

على ان مصر اليوم ليست بالبلد الذي لا يعرفهُ مفكرو الغرب فان عدداً كبيراً من الكتاب رجال الفن الذين يطوفون العالم يعرجون عليها ويلقون عليها نظرة وانا نذكر منهم بيير بنوى ودورجليس وبونردي وكسل والاخوان تارو وغيرهم

ومنهم من أقام فيها ردحاً مثل روبر وطراز الذي قضى فيها وقتاً وعاد الى اوروبا

يحمل معهُ ليس صوراً خيالية بسيطة او مثالاً وهميًّا بل شيئاً من روحها يتحدث عنهُ في مباحثهِ ودروسه. ومثل فرنسوى بونجان الذي بروايتهِ التي وضعها بالاشتراك مع الاستاذ احمد ضيف يجعل اهل اوربا يعلمون من هو «المنصور» وما هو «الازهر» وحياة شعب كامل كانت الى الآن مجهولة لديهم. ومثل هنري توبل بك الذي عرَّف عظمة المكس والصحراء. ومثل بول فندربورت الذي يتغنى بمحاسن الشرق في «رسائل الشرق»

وتذهب من وادي النيل الى اوربا مجلات ونشرات يشترك في انشائها بعض المصريين. وهذي «رسائل الشرق» التي تحمل للعالم الاوربي معلومات كثيرة دقيقة عن مصر وتنقل لهُ بعض مصنفات مصرية. وهو عمل جليل والاقبال عليها في اوربا ذو اهمية لمصر. وان ترجمة رسالة التوحيد للشيخ محمد عبده الى اللغة الفرنساوية بقلم برنار ميشل والشيخ مصطفى عبد الرازق تجعلنا نتمنى ان يترجم سواها ليطلع عليهِ اهل اوربا

ولا ريب ان انشاء «منتدى ادباء مصر» خطوة جديدة في سبيل التقريب بين مصر واوربا. وكما ان مصر تشترك اليوم في عدة مؤتمرات اقتصادية دولية ستشترك متى دخلت في جمعية الامم في المؤتمرات العلمية والادبية

الخاتمة

قد قال بول موران «ان سير الآلات اسرع من سير الافكار» وهذا هو الامر الذي ينجم عنهُ الضرر. فالواجب الآن ان نقدّم الرجال والافكار وان نعتبر اثرها في هدوء ووضوح

ولسنا نريد ان نقول انهُ متى عرفت مصر واوربا الواحدة الاخرى تتعانقان هوى وغراماً. ان هذا امر مرغوب فيهِ ولكن لا يزال هناك حوائل. والمثل العامي الذي يقول «الحب لا يكون بالقوة» قول صواب. ولكن لا ريب في ان مصلحتنا هي ان نتعارف. وهذا امر واضح لان كثيراً من الاختلافات يتبدد يومئذٍ. وتصبح بعض الآراء التي نتشبث بها اليوم معتقدات قديمة. ويتسع مدى الفكر. وتقوم التربية الدولية الحقيقية بفضل التعارف والمعرفة

وليس ذلك أمراً محالاً فان الفريقين يتباريان للاتفاق والتعاون والاخاء
ولذلك نرى انهُ يخلق برجال الفكر والاجتماع أن يتفاءلوا تفاؤلاً معقولاً

عن «مجلة الاسبوع المصري» لفرنان لبرت ترجمة : فريد حبيش

المخاطبات اللاسلكية والطيران

طيارة محلقة فوق البحر تتلقى الرسائل اللاسلكية من البر وتجيب عنها

عبور الباسفيكي بالطيارة فوز باهر للتخاطب اللاسلكي

ذكرنا في باب الاخبار العلمية من مقتطف يوليو الماضي نبأ فوز اربعة من الشجعان باجتياز الاوقيانوس الباسفيكي من الولايات المتحدة الى اوستراليا في ثلاث مراحل على طيارة تدعى الصليب الجنوبي. وقد اضاعت هذه الطيارة اتجاهها مرة ولقيت عواصف كادت تقضي عليها لولا انها كانت تحمل معها آلة لاسلكية استطاعت ان تتصل بها بالبواخر والمحطات اللاسلكية القريبة والبعيدة فعرفت منها موقعها واتجاهها . فكان فوزها فوزاً للاسلكي . ولما كان تقدم اللاسلكي والطيران من ابدع مظاهر العمران في هذا العصر رأينا ان نلخص مقالة في هذا الموضوع للدلالة على علاقة احدهما بالآخر . قال الكاتب :

كنا قد قضينا اربعاً وعشرين ساعة في محطة سان فرنسسكو اللاسلكية امام الآلة المستقبلة ونحن على اتصال دائم بالطيارة « الصليب الجنوبي » وهي تشق طريقها كالحمام الزاجل من كاليفورنيا الى جزائر هواي. اربعاً وعشرين ساعة قضيناها نتحدث مع مدير الآلة اللاسلكية في الطيارة المذكورة وهي محلقة في الجوّ تبعد عنا مئات والوفاً من الاميال لان المسافة بين كاليفورنيا وهواي نحو ٢٥٠٠ ميل

وبينا نحن جذلون لنجاح الطيارة في رحلتها ولاتصالنا الدائم بها ساد السكون كأنهُ سكون اهل الكهف ثم جاءت الكلمات التالية فوقعت علينا وقع الصاعقة وهي : « اظن اننا اضعنا اتجاهنا » وهل من خطر اعظم شأناً لدى طيارٍ يسير بسرعة مائة ميل في الساعة او اكثر من اضاعة اتجاهه ؟ وخصوصاً متى كان هدفهُ نقطة قائمة على صدر اليمّ اذا حاد عنها قليلاً شمالاً او جنوباً او شرقاً او غرباً فمصيرهُ الى الموت المحتوم !

عرفنا ان البنزين في احواض الطيارة كان آخذاً في النفاد . وانهُ ليس في وسع رجالها ان يضيعوا الوقت جزافاً وان حياتهم معلقة على الآلة اللاسلكية التي صنعناها لهم خاصة فاذا وفت بالغاية منها تمكنوا ان يتصلوا بالبواخر التي تمخر عباب البحر وان يعرفوا مكانهم من سطح الكرة. فلبثنا هنيهة ننتظر انباءهم وقلوبنا تخفق وجلاً على مصيرهم

ولكن صحّ فألنا ووفت الآلة اللاسلكية بالغاية منها . فان بارجة اميركية

التقطت رسالتهم الاخيرة . ثم التقطها بارجة اخرى . وتلتها المحطة اللاسلكية في هنولولو عاصمة جزائر هواي . ولم تمض على عامل اللاسلكي بضع دقائق حتى عرف على وجهٍ مدقق مكان الطيارة ومن ثمَّ سهل على قائدها ان يديرها في الجهة المرومة ويسير الى هدفهِ باسرع ما يستطيع ليصل اليهِ قبل نفاد البنزين

ولما قامت هذه الطيارة من جزائر هواي في طريقها الى استراليا لقيت عواصف شديدة اخذت تتقاذفها كما تتقاذف ريشة في مهب الريح مع ان وزن الطيارة بما فيها يبلغ نحو ١٧ طنًّا . ولكن الآلة اللاسلكية كانت اداة النجاة من هذا المأزق الحرج. لان عاملها استطاع ان يعرف مما التقطهُ من الرسائل ان العاصفة تدفع الطيارة في دائرة فلا تخرج من منطقة العاصفة حتى تدخل فيها ثانية . ولولا اللاسلكي لما انكشفت لربانها هذه الحقيقة ولوقعت الطيارة في اليمّ وضاع منها العين والاثر

وقد كانت الطيارة في اثناء طيرانها مسافة ٧٣٥٧ ميلاً في مراحلها الثلاث دائمة الاتصال بالبواخر والبوارج التي في عرض البحر وبالمحطات اللاسلكية التي على البر الاميركي وجزائر هواي.وقيل ان احدى المحطات في بلومفنتين بجنوب اميركا التقطت الانباء المذاعة منها مع انها كانت على مسافة تزيد على ١٢٠٠٠ ميل منها

واكبر ما يدعو الى الاعجاب ان نقرأ من الاميركيين اراد ارسال الرسائل الى رجال الطيارة فكتبوا رسائلهم كما تكتب التلغرافات العادية فأُرسلت لاسلكيًّا في الحال وجاءت ردودها . وهذه اول مرة في تاريخ اللاسلكي حُقّقَ فيها شيءٌ من هذا القبيل. وكان التخاطب مع الطيارة في كل ساعة من طيرانها واضحاً كل الوضوح ، الاَّ في آخر المرحلة الثانية والمرحلة الثالثة حين صمَّ صوتُ المحركات اذانَ العامل اللاسلكي فيها فلم يستطع ان يسمع كلَّ الرسائل الموجهة اليهِ ولكن المحطات اللاسلكية التي كانت على اتصالٍ بهِ كانت تتلقى رسائلهُ صريحة واضحة

لم ننسَ ان طيارة لندبرغ لم تكن مجهزة بالراديو ولكن الطيارين الالمانيين اللذين اجتازا الاتلنتيكي من اوربا الى اميركا اعترفا بان اكبر خطاء ارتكباهُ هو اهمالها حمل آلة لاسلكية . ولولا الآلة اللاسلكية لما عاد احد من رجال البلون ايطاليا حيًّا ولكانت نكبة هذه الرحلة القطبية اشد هولاً مما هي . وفوائد المخاطبات اللاسلكية في الطيران التجاري تتأيد كل يوم . فمسى ان يعنى المهندسون بهذا الوجه من تقدم الطيران لانهُ يجعل الطيارات وسيلة للانتقال امينة الجانب كالبواخر والقطرات وغيرها

الرهان

لانطون تشيكوف الروسي

(١٨٦٠ — ١٩٠٤)

يعدُّ تشيكوف من اعظم كتَّاب الاقاصيص في العالم . ولد سنة ١٨٦٠ في جنوب روسيا . ودرس فنّ الطب في جامعة موسكو ونال شهادة طبيب سنة ١٨٨٤ . ولكنَّهُ لم يزاول هذه الصناعة قط بل تفرَّغ للكتابة . وقد وجد في العلوم التي تضلَّع منها في الجامعة خير معوان على البراعة في فنّ اليراعة . فبلغ من معرفة اطوار الناس وعاداتهم مبلغاً فائق الوصف ومنقطع النظير . واجاد تمثيلها في قصصهِ الكثيرة إجادة خلبت اذهان القرَّاء ودلَّت على ما أُوتيهُ من قوَّة البلاغة وشدة الذكاء . وقد توفي في اليوم الثاني من شهر يوليو سنة ١٩٠٤ ودُفن في موسكو

وفي القصة الآتية بيان ما يؤدّي اليهِ الرهان البسيط من النتائج السيئة والعواقب الوخيمة

القصة

في احدى ليالي الخريف المظلمة اخذ الكسي الصيرفيُّ يتمشَّى في مكتبهِ جيئَةً وذهاباً. وقد استعاد في ذهنهِ ذكر الليلة الساهرة التي احياها في بيتهِ منذ خمس عشرة سنة ودعا اليها نخبة اهل الفضل والجاه . وكان من جملة الأمور التي بحثوا فيها وجعلوها موضوع سمرهم عقوبة القتل او الحكم على القاتل بالموت . فاستهجن معظمهم هذهِ العقوبة وعدّوها منافية للدين والادب وقالوا بوجوب الغائها واستبدال السجن المؤبد بها . فتصدَّى لهم الصيرفيُّ ربُّ الدعوة وقال :

« لستُ بموافق على هذا الرأي . ومع اني لم اجرّب الحكم بالموت ولا اختبرتُ السجن المؤبَّد أرى ورأيي قرين الصواب ان العقوبة الاولى [الحكم بالموت] اقرب من العقوبة الثانية [السجن المؤبد] الى مراعاة حرمة الدين وقواعد الادب . لان الموت يصرم حبل الحياة باسرع ما يستطاع . واما السجن المؤبد فهو عبارة عن قتل تدريجيّ . فايّ القاتلين ارأف وأرفق ؟ أذلك الذي ينزع الحياة في بضع ثوانٍ ام الذي يستنزفها كلّ يوم بلا انقطاع مدة سنين طويلة ؟ »

فقال واحد من المدعوين :

« عندي ان الجريمتين كلتيهما مخالفتان للدين ومغايرتان للادب . لان غرضهما واحد وهو إطفاء شعلة الحياة . والحكومة اية كانت ليست الله . فلا يحقُّ لها اخذ مالا تستطيع ردَّهُ اذا شاءت »

وكان بينهم محامٍ في الثانية والعشرين من العمر . وقد سئل ان يبدي رأيهُ في هذه المسألة فأجاب :

« أرى ان العقوبتين كلتيهما فظيعتان ومناقضتان لقواعد الادب . ولكنني لو خُيرت فيهما لاخترتُ من فوري الثانية (السجن المؤبد) وفضلتها على الاولى . لانَّ الحياة ، على اي وجهٍ كان ، خير من عدمها »

وحمي وطيس الحوار في هذا الموضوع واتسعت مسافة الخلف بين المتحاورين . وكان ربُّ الدعوة في ذلك الحين في عنفوان الشباب وعلى جانب عظيم من النزق وسرعة الغضب . فضرب المائدة بيدهِ والتفت الى المحامي وقال لهُ بلسان المغيظ المحنق :—

« ذلك كذب وبهتان . واني اراهنك على مليوني ريال ان استطعتَ الصبر على الاقامة في السجن خمس سنوات فقط »

— « اذا كنتَ في قولك هذا جادًّا غير هازلٍ فاني مستعدٌّ للمراهنة لا على خمس سنين فقط بل على خمس عشرة سنة

فصاح الصيرفيُّ :

« خمس عشرة سنة ! اتفقنا . اشهدوا ايها السادة »

وقال لهُ المحامي :

« نعم اتفقنا على مسمع ومرأى من هؤلاءِ السادة . فانت تُغامر بمليوني الريال وأنا اخاطر بحياتي »

وهكذا تمَّ ذلك الرهان الغريب الباعث على الهزءِ والسخرية . وكان الصيرفيُّ في ذلك الحين من ارباب الثروة الكبيرة واصحاب الملايين الكثيرة . لكنهُ كان نقفاً شكساً سريع التقلب . وفيما هم جالسون لتناول العشاءِ قال للمحامي :

« خلِّ عنك الغرور ايها الشابّ وارعو عن غيّك قبل فوات الوقت . لا يهمني دفع مليوني ريال . ولكن من المحقق عندي انك لا تستطيع الاقامة في السجن

اكثر من ثلث او اربع سنوات تذهب من حياتك سدًى .ولا تنس ايُّها الفتى المنكود الحظ ان السجن الاختياريّ اشدّ وطأة على النفس من السجن الاضطراريّ . ولقد أعذر من أنذر والسلام »

***

والآن كان هذا الصيرفيُّ يروح ويجيء في مكتبهِ ذاكراً كل ما حدث في تلك الليلة وقائلاً في نفسهِ :

« لماذا أقدمتُ على هذا الرهان ؟ وما الفائدة منهُ ؟ هذا المحامي يخسر خمس عشرة سنة من حياتهِ وانا اضيع مليوني ريال باطلاً . وهل في هـذا وذاك ما يقنع الناس بان العقوبة بالموت شرٌّ او خير من عقاب السجن المؤبد ؟ لا . لا ؟ هذا كلّهُ باطلٌ وغرور. أتيتهُ مندفعاً بعامل الزهو والخيلاء واتاهُ المحامي منساقاً بشهوة الطمع وحبّ المال»

ثم تذكّر ماحدث بعد تلك الليلة . اذ ترتّب على المحامي ان يقيم في غرفةٍ في حديقة بيت الصيرفيّ تحت اشدّ مراقبة ويكون في اثناء مدة سجنهِ محروماً حتى حقّ اجتياز العتبة لمشاهدة احد من الناس او سماع الاصوات البشرية او تسلّم الرسائل والصحف . وكان مأذوناً لهُ ان يكون عندهُ آلة موسيقية وان يطالع الكتب ويكتب ما شاء من الرسائل ويشرب خمراً ويدخن تبغاً . وبموجب الاتفاق كان يحق لهُ ان يكتب على ورقة ما يحتاج اليهِ مما سبق ذكرهُ ويلقيها من نافذة صغيرة ، انشئت في غرفتهِ لهذه الغاية ، من غير ان يفوه بكلمة . وكان في الاتفاق نصٌّ صريح على اتخاذ الوسائط الضرورية لاستيفاءِ شروط السجن كلها في هذه الغرفة . وتحتّم على المحامي ان يقيم محبوساً فيها خمس عشرة سنة كاملة من منتصف اليوم الرابع عشر من شهر نوفمبر سنة ١٨٧٠ الى منتصفهِ سنة ١٨٨٥ . واقل محاولة منهُ للإخلال في الشروط المتفق عليها والخروج من سجنهِ ولو دقيقة واحدة قبل الوقت المعين تسوّغ للصيرفيّ نقض العهد وعدم دفع مليوني الريال .

***

ومن مطالعة المذكرات القصيرة التي كان المحامي يكتبها ويلقي بها من نافذة محبسهِ اتّضح انهُ قضى سنتهُ الاولى في مالا مزيد عليهِ من السآمة والضجر. وكان صوت

إيقاعه على البيانو يُسمع نهاراً وليلاً بلا انقطاع . وقد أبى قبول الخمر والتبغ في هذه السنة ، قائلاً عنها في مذكرته « ان رشف المسكر يهيج الشهوات التي هي اكبر اعداء السجين . ولا شيء ادعى الى التبرُّم والانزعاج من شرب الراح على انفراد بلا نديم ولا سمير . وكفى التبغ ضرراً ان دخانهُ يفسد هواء الغرفة ويجعلهُ غير صالح للاستنشاق » . وكانت الكتب التي أُرسلت اليهِ في هذه السنة مما يصلح للتفكهة والتسلية وقضاء اوقات الفراغ كالقصص على اختلاف انواعها

وفي السنة الثانية انقطع صوت البيانو ولجَّ المحامي في طلب كتب الادب . وفي السنة الخامسة استأنف الإيقاع على البيانو وارسل يطلب الخمر . وروى الذين راقبوهُ في هذه السنة انهُ اقتصر فيها على قضاء وقتهِ في الاكل والشرب والاضطجاع في سريرهِ . وكان يكثر من التثاؤب ومعاتبة نفسهِ بلسان الغيظ والحنق . اما الكتب فهجرها ولم يملْ الى مطالعتها . وكان يجلس في بعض الليالي للكتابة ويقضي فيها وقتاً طويلاً وفي الصباح يمزّق كلَّ ما كتبهُ . وسمعوهُ غير مرة يُعول ويبكي

وفي منتصف السنة السادسة شرع يبذل اقصى الجهد في تعلُّم اللغات والفلسفة والتاريخ وابدى في ذلك رغبة تفوق الوصف حتى شغل وقت الصيرفيّ كلهُ باعداد الكتب التي احتاج اليها . وفي اربع سنين بلغ عددها ، ست مئة مجلَّد . وفي ذات يوم بعث الى الصيرفي بكتاب يقول لهُ فيهِ : « سجّاني العزيز . اني اكتب اليك هذه الاسطر في ست لغات . فارجو التفضل بعرضها على من يعرفون هذه اللغات . وان لم يجدوا فيها غلطة قطّ فتفضل باطلاق بندقية في الحديقة ومن صوتها اعلم ان تعبي لم يذهب باطلاً . فالنوابغ في جميع الازمنة والامكنة تكلموا بألسنة مختلفة لكنَّ نار العبقرية التي تأججت في صدورهم كانت واحدة . آه . ليتك تستطيع ان تعلم مبلغ الغبطة التي أنعم بها الآن بعدما تمكنت من معرفة لغاتهم وفهم افكارهم ! » وقد اجاب الصيرفيُّ طلبهُ وامر باطلاق بندقية في الحديقة

وبعد السنة العاشرة جلس المحامي كالصنم امام مائدة الكتابة وأمعن في مطالعة العهد الجديد من الكتاب المقدس . فتعجَّب الصيرفيُّ من رجل يعي في ذهنهِ خلاصة العلوم والمعارف التي جمعها في اربع سنوات من قراءة ستمئة مجلَّد ثم يقضي بعد ذلك نحو سنة في مطالعة كتاب صغير الحجم سهل الفهم كالعهد الجديد . ولم يتمّ بعد ذلك

ان استبدل بالعهد الجديد تاريخ الاديان وعلم الفقه (اللاهوت)

***

وفي السنتين الاخيرتين من سجنهِ كان يطالع ما تقع يدهُ عليهِ إتفاقاً من الكتب بلا تحرٍّ ولا اختيار . ولما اوشكت مدة سجنهِ ان تنتهي قال الصيرفيُّ في نفسهِ :

« في الساعة الثانية عشرة غداً يُقضى الامر ويحق للمحامي ان يخرج من سجنهِ. وبموجب الاتفاق يترتب عليَّ ان ادفع اليهِ مليوني ريال .واذا دفعت هذا المبلغ الباهظ بتُّ فقيراً معدماً لا املك درهماً »

كان منذ خمس عشرة سنة ربَّ ملايين كثيرة . ولكنهُ كان في هذه المدة قد انبعث في المضاربات والمراهنات وخسر فيها مقادير كبيرة من المال واصبح عرضة للهواجس والمخاوف

وعند افتكارهِ بدنوّ الساعة الرهيبة تبرّم وتململ وقبض رأسهُ بين يديهِ وقال بلهجة القانط اليائس :

« يا لهُ من رهان مشؤوم ملعون ! وهذا المحامي العتلّ الزنيم لماذا لم يمت ويرحني من هذا العذاب الاليم ؟ عما قليل يبتزّ مني آخر درهم املكهُ فيتزوّج ويعيش في رغد ورخاء وسرور وصفاء ويغادرني افقر من ابن المذلـق اتجرَّع غصص الضنك والشقاء! لا — لا — إن هذا فوق طاقتي ولا يسعني احتمالهُ . وخير وسيلة للتخلص من هذا الضيق الخانق ان يموت المحامي . اذن لا بدَّ من موتهِ »

وكانت الساعة الثالثة بعد نصف الليل والصيرفيُّ حليف سهادٍ لم تذق فيهِ عيناه طعم الرقاد . وكان ظلُّ السكوت مخيماً على بيتهِ وجميع من فيهِ غارقون في لجة الكرى . فتناول مفتاح الباب المقفل منذ خمس عشرة سنة ولبس معطفهُ وخرج . وكان البرد قارساً والظلام دامساً . فسرى في الحديقة متلمساً طريقهُ بيديهِ كالاعمى حتى وصل الى جناحها حيث غرفة السجين وأهاب بالحارس مرتين فلم يكن من مجيب لانهُ كان مثقلاً بنوم عميق في المطبخ . ولما وصل الى باب الغرفة أشعل عود ثقاب ونظر فرأى الختم باقياً عليهِ كما كان منذ يوم إقفالهِ . وأطلَّ من النافذة الصغيرة وعلى ضياء شمعة ضئيل ابصر المحامي جالساً على كرسي بجانب المائدة وظهرهُ الى النافذة وشعر رأسهِ متدلٍّ على كتفيهِ وجانبيهِ والكتب منثورة حولهُ

فانتظر خمس دقائق والسجين باقٍ ساكناً لا يُبدي حراكاً . لانهُ كان قد ارتاض في هذه السنين الطويلة على جلوس خال من الحركة كانهُ فيهِ قطعة من جماد . ونقر الصيرفيُّ باصبعهِ على زجاج النافذة فلم يسمع جواباً ولا رأى في السجين اقلَّ حركة. واذ ذاك عمد الى الباب ففك ختمهُ وادار المفتاح فيهِ فارتفع لانفتاحهِ صريف ظنهُ كافياً لتنبيهِ الحامي ان كان غافلاً او لايقاظهِ ان كان نائماً ولكنهُ ما لبث ان رأى ظنهُ في غير محلهِ وصحت عزيمتهُ على الدخول

دخل فرأى بجانب المائدة رجلاً ليس كغيرهِ من الرجال . ذا جسد هزيل نحيل لم يبق منهُ سوى عظم ذاوٍ ذابل عليهِ جلد متغضن متكمش وهو اصفر الوجه غائر الخدين اعجف اليدين مقوَّس الظهر وقد وخط الشيب شعر رأسهِ ولحيتهِ الجعدالطويل وامامهُ صحيفة مكتوبة بخطٍّ دقيق انيق . فحدّق الصيرفيُّ اليهِ وقال في نفسهِ : —

« انهُ نائم نوماً عميقاً . ولعلهُ يرى مليوني الريال في حلمهِ وينعم بعدّها — فما عليَّ سوى ان احلهُ واضعهُ في فراشهِ واغمي وجههُ بالمخدة فتخمد بقية انفاسهِ . ولا اوجس خوف اتهامي بقتلهِ لان الفتك بهِ على هذا الوجه سيخفى حتى على امهر الاطباء . ولكنني اروم ان اطلع اوَّلاً على ما كتبهُ

ثم تناول الصحيفة وتلا فيها ما يأتي : —

« غداً الساعة الثانية عشرة تُفكُّ قيود سجني وتردُّ اليَّ حرية الخروج من حبسي والاختلاط ببني جنسي. ولكنني قبل مغادرة هذه الغرفة ومشاهدة ضياء الشمس ارى من الضروريّ أن اخاطبكم يا اهل العالم بهذه الكلمات . فبضمير صالح نقيّ وامام الله الذي يراني أُصرّح لكم إني احتقر الحرية والحياة والصحة وكل ما تفاخر كتبكم بعدّهِ من بركات هذا العالم

« خمس عشرة سنة قضيتها في الدرس الدقيق والتأمل العميق في هذه الحياةالدنيا. نعم اني لم ارَ فيها الارض ولا الناس . ولكني في كتبكم حصلت على كلّ ما يستطاب اقتطافهُ ويستعذب ارتشافهُ وتلت كل ما تطرب الآذان بسماعهِ وتقرّ العيون بمشاهدتهِ ووقفت على اسرار الطبيعة وخفايا العلوم والفنون وجولت في الارض برّاً وبحراً وكشفت المجاهل في مفاوز الارض وما كان منها تحت الماء وفوق الهواء وعرفت ما اعتاصت معرفتهُ حتى على كبار الفلاسفة والحكماء. في كتبكم صعدت الى الاعالي وهبطت

الى الاعماق واتيت ما شئت من خوارق الآيات والمعجزات واضرمت النار في مدن غادرتها رماداً ونشرت ديانات جديدة جعلت الناس كلهم لها عبّاداً . ومن كتبكم هذه جمعت حكمة الاولين والآخرين فصرت احكم انسان تحت الشمس

« والآن اقول أني ازدري كتبكم هذه واحتقر الحكمة العالمية والبركات الارضية. فكل شيءٍ في العالم باطل — ظلهُ زائل ولونهُ حائل . وهو احيل من ضباب واخدع من سراب . أراكم تزهون وتفتخرون بما أُوتيتم من حكمة وثروة وجاه وجمال ولكن هذه كلها وغيرها من اباطيل الارض لا تدفع عنكم يد الموت حين تمتدُّ اليكم وتمدُّ مطار الفناء عليكم

« انكم في غرور وضلال بل في جنون ما بعدهُ من جنون . تؤثرون الغيّ على الهدى والكذب على الصدق والحرام على الحلال والسماجة على الجمال وتستبدلون الخبيث بالطيب والطالح بالصالح

« ولكي أريكم بالفعل شدة احتقاري لما تعلقون قلوبكم عليهِ وتوجهون كل اهتمامكم في هذه الحياة اليهِ ارفض المليونين اللذين راهنت عليهما والآن انظر اليهما بعين الازدراء . ولكي احول دون استحقاقي لهما عزمتُ على الخروج من سجني قبل الوقت المعيّن بخمس دقائق فأُخلّ بشروط الاتفاق واحرم المبلغ المتفق عليهِ »

***

ولما فرغ الصيرفيّ من تلاوة الصحيفة وضعها على المائدة وقبّل المحامي في رأسهِ واوغل في البكاءِ والنحيب . وما ابطأ ان غادر الغرفة راجعاً الى بيتهِ وقلبهُ مثقلٌ بالغمّ ومفعمٌ بالشعور العميق بفرط سفالتهِ ونذالتهِ . واضطجع في سريرهِ يحاول النوم فلم يستطعهُ وقضى بقية ليلهِ في اكتئاب وانتحاب نادماً على ما اتاهُ من اعمال الخساسة والدناءة . وقبيل الفجر ران عليهِ الكرى فغرق في لجتهِ الى ظهر اليوم التالي حين جاءهُ الحارس مهرولاً واخبرهُ بانهُ رأى الرجل المقيم في الغرفة التي في جناح الحديقة وقد وثب من النافذة الى الحديقة ثم خرج من البوابة وذهب . فخفّ الصيرفيّ الى جناح الحديقة ومعهُ خدامهُ وقرّر فرار السجين بشهادة الخدّام . ولكي يجتنب قال الناس وقيلهم في هذا الموضوع اخذ الصحيفة التي كانت لا تزال على المائدة واقفل عليها في خزانتهِ

ترجمة : اسعد خليل داغر

المدرسة الطبية في عهدها الاول

على ذكر مرور مائة سنة على انشائها

واجتماع المؤتمر الطبي في دسمبر القادم

كان علم الطب قد اهمل في القطر المصري قبل ايام العزيز محمد علي باشا بسنين كثيرة وكان الناس متروكين الى رحمة الحلاقين والمنجمين اولئك ينزفون دماءهم بالفصادة والحجامة وهؤلاء يوهمون عليهم بخزعبلاتهم المختلفة. ورأى العزيز انهُ لا يستطيع ارغام الدجالين على ترك صناعتهم ما دام جمهور الشعب معتقداً بهم ومعتمداً عليهم ولا يستطيع ان يقطع دابرهم كما قطع دابر المماليك فعزم على نشر العلوم والمعارف في البلاد لان الظلمة تزول بانتشار النور فانشأ فيها بيوت العلم المختلفة وفي ايامهِ نهضت مصر من حضيض الجهل والذل الى اوج العلم والمجد

ولما نظم امر جنودهِ اهتمَّ بأمر صحتهم فاستحضر لهم الاطباء من اوربا واقامهم لخدمتهم . وسنة ١٨٢٥ احضر الدكتور كلوت من فرنسا وجعلهُ رئيس اطباء الجيش المصري فلم يكد يصل الى مصر حتى وجد الخلل في الادارة الطبية لانهُ لم يكن فيها قوانين للاطباء تعرفهم واجباتهم وحدودهم فأشار على بوزاري طبيب محمد علي باشا باتباع القانون الفرنسوي في امر الاطباء وبأنشاء مجلس للصحة يكون هو (بوزاري) رئيساً لهُ . وكان بوزاري من الرجال الكرماء المخلصين لاسيادهم ولكنهُ لم يخلُ من الاثرة ومحبة الذات فعرض الامر على مسامع العزيز وبعد قليل أُنشئَ مجلس الصحة وكان فيهِ ثلاثة اعضاء يرأسهم بوزاري واما كلوت فلم يكن منهم . واجتمع هذا المجلس اجتماعهُ الاول في الخانقة (على سبعة اميال من مصر) وذلك في ٢٥ مارس سنة ١٨٢٥ واعطاهُ العزيز السلطة المطلقة في امر الاطباء فكتب الى كلوت يعينهُ في وظيفتهِ وبعد اشهر قليلة عين كلوت ولويجي ألسندري (صيدلاني صيدلية القلعة) عضوين فيهِ ولم يلبث كلوت ان دخل هذا المجلس حتى ادخل اليهِ النظامات الصحية الفرنسوية واستعان بهِ على أهل المفاسد الذين وقفوا لهُ بالمرصاد . ثم وجَّه اهتمامهُ الى تنظيم احوال الجيش الصحيَّة في السلم والحرب فنظمها بحسب النظامات الفرنسوية . وكان اطباء الجيش يلبسون الملابس الرسمية كضباطهِ وتُوجَّه اليهم النياشين والقاب الشرف مثلهم



كلوت بك منشىء المدرسة الطبيه بمصر

مقتطف نوفمبر ١٩٢٨

امام الصفحة ٢٨١

وكان مقام الجنود في الخانقة فعزم كلوت على انشاءِ مستشفى لهم ووجد بالقرب من ذلك المكان بناءً رحباً كان ثكنة للفرسان فاستخدمهُ لهذهِ الغاية ووضع فيهِ مرضى الجيش فقط في اول الامر ثم جعلهُ عموميًّا لجميع المرضى فتكللت اعمالهُ بالنجاح. وحينئذٍ خطر لهُ ان ينشيء مدرسة طبية بجانب هذا المستشفى رجاء ان يخرج من هذه المدرسة ضباط صحة للجيش من اهل الوطن وعرض الامر على مسامع العزيز فاستصوبهُ وامرهُ ان يشرع فيهِ فأنشئت المدرسة بابي زعبل

ورأى كلوت صعوبات كثيرة تعترضهُ ولكنهُ كان رجلاً حازماً اذا رأى الصعوبة قاومها بكل عزمهِ حتى يتغلب عليها. والصعوبة الاولى التي اعترضتهُ كانت مسئلة اللغة لان الاساتذة الذين عزم على استخدامهم لايعرفون العربية والتلامذة لايعرفون الفرنسوية ولا الايطالية وحسب انهُ يضيع الوقت بتعليمهم لغة من هاتين اللغتين استعداداً لدرس الطب بها فلم يرَ لهُ بدًّا من اقامة المترجمين بين الاساتذة والتلامذة. والصعوبة الثانية هي ان اهالي مصر كانوا يعتقدون ان تشريح اجساد الموتى ممنوع دينيًّا فتباحث مع مشايخ الدين في هذه المسألة ولحسن الاتفاق اقنعهم بان درس التشريح وتشريح الموتى غايتها من احمد الغايات الا وهي حفظ الاحياءِ ولا يمكن لاحد ان يمهر في صناعة الطب ما لم يدرس علم التشريح على هذه الصورة. وكان عزيز مصر عارفاً بحقائق الامور ومترفعاً عن التعصبات الدينية ولكنهُ لم يشأ ان يأخذ الأمور بالعنف فلم يرخص لكلوت بتشريح الموتى ترخيصاً صريحاً ولكنهُ وعدهُ بأن لايعترضهُ احد اذا سار بالحكمة

والتلامذة انفسهم نفروا في أول الامر من تشريح الموتى ولكنهم الفوهُ بعد حين وصاروا يشرحون عن طيب نفس ورغبة في العلم. ولولا كلوت ما امكن للوطنيين ان يقدموا من انفسهم على تشريح الموتى لان مدارس الخلفاءِ الاولين لم تفعل ذلك مع ما بلغتهُ من الشهرة والحرية في البحث والتعلم

ومما يذكر بالاسف والاستغراب ان احد التلامذة دنا من الدكتور كلوت وهو في فرقة التشريح وطعنهُ بخنجر في رأسهِ فلم يصبهُ فطعنهُ ثانية في جواربطنهِ فلم يصبهُ ايضاً بمكروه وللحال بادر بقية التلامذة الى هذا التلميذ وحالوا بينهُ وبين استاذهِ

ولما تغلّب كلوت على كل المصاعب عُيّن مديراً للمدرسة الطبية وذلك في غرة سنة ١٨٢٧ بعد ان نسجت عناكب النسيان على المدارس الطبية العربية مدة خمسمائة عام. فاختار لها الاساتذة من الفرنسويين والايطاليين وهذه اسماؤهم ومناصبهم

غايتاني مدرس التشريح العام والوصفي والباثولوجي والفسيولوجيا
برنار مدرس الهيجين الخاص والعام والعسكري والطب الشرعي
دڤينيو مدرس الباثولوجيا والكلينيك الباطنين
كلوت مدرس الباثولوجيا والكلينيك الباطنين الجراحيين والعمليات وفن الولادة
برثلمي مدرس المواد الطبية والثرابيوتيا وعلم وصف الادوية وعلم السموم
سلزيا مدرس الكيمياء والطبيعيات
تناري مدرس النبات ومدير البستان النباتي
لسبرنزا محضر دروس التشريح والروامز التشريحية والباثولوجية

وسلم المستشفى لهؤلاء المدرسين وتلامذتهم لكي يطببوا المرضى فيهِ ويدرسوا سير الامراض وطرق علاجها . واختار انفس الكتب المستعملة حينئذٍ في اوربا لتدريس صناعة الطب وكان التلامذة مقسومين الى عشر فرق وجعل التلميذ الانجب في كل فرقة عريفاً لها وهذه هي الطريقة التي اختارها للتدريس

(١) يترجم الدرس الى العربية في حضرة المدرّس وهو يشرح كل الامور العويصة للترجمان . (٢) يقرأ الدرس بالعربية على مسمع التلامذة وهم يكتبون في دفاترهم ما يذاكرهم بهِ . (٣) يشرح المدرّس للتلامذة كل ما يعسر عليهم فهمهُ . وكان مباحاً لعريف الفرقة ان يطلب زيادة الايضاح في كل فروع الدرس . (٤) يطلب من العريف ان يراجع الدرس لتلامذة فرقتهِ . (٥) يمتحن التلامذة كل شهر في الدروس التي درسوها ذلك الشهر وحينئذٍ يختار ابرع التلامذة ويجعلون عرفاء لفرقهم . ولهذا النظام مزيتان الاولى حث التلامذة على العمل والثانية القاء المنافسة الشريفة بينهم حتى يطلب كل منهم ان يفوق اقرانهُ . واضيف الى المدرسة الطبية مدرسة اخرى لتعليم اللغة الفرنسوية وأُجبر طلبة الطب كلهم على درس هذه اللغة حتى اذا اكملوا دروسهم الطبية وخرجوا من المدرسة استطاعوا ان يطالعوا كتب الطب الفرنسوية ويعرفوا كل ما يجدُّ فيهِ . الاَّ ان هذه المدرسة الغيت بعد حين

وسنة ١٨٣٢ اختار الدكتور كلوت اثني عشر تلميذاً من انجب التلامذة وسار بهم الى باريس وقدمهم الى الجمعية العلمية الطبية فاختيرت لجنة لامتحانهم من اشهر اطبائها برآسة الدكتور اورفلا وجرى ذلك باحتفال عظيم حضره طبيب الملك الخصوصي وجم غفير من الامراء والاطباء والعلماء وحُصرت المسائل في المواد الآتية وهي (١) الكلام

على المخ والاذن الباطنة والعين وخصوصاً البلورية والكتركتا والعملية اللازمة لها . (٢) الكلام على الملتحمة وامراضها. (٣) الكلام على القناة الاربية والفتق الاربي والعملية اللازمة لهُ . (٤) الكلام على العجان وعنق المثانة واسباب الحصاة واعراضها وعمليتها على طريقة كلوت بك . (٥) شرح المفاصل الكتفية العضدية وخلع العضد ورده . (٦) الكلام على جروح الاسلحة النارية التي تستدعي عملية البتر وشرح هذه العملية . (٧) الكلام على تشريح الكبد وشرح تاريخ الالتهاب الكبدي

ويظهر من ذلك ان الدكتور كلوت بك كان يهتم بنوع خاص بالامراض والآفات التي تكثر في القطر المصري ويخرّج تلامذتهُ فيها حتى يزيد نفعهم لوطنهم . ويظهر من اجوبتهم انهم كانوا قد فهموا حقيقة ما تعلموهُ وقرنوا العلم بالعمل وان لجنة الامتحان سرّت بما اجابوا بهِ ولذلك قام كاتبها وهنأهم بفوزهم وامَّل ان يعود بهم عصر ابن سينا والرازي وابي القاسم

وفي سنة ١٨٣٧ نقلت المدرسة الطبية من ابي زعبل الى القاهرة وفتحت مدرسة لتعليم القابلات فن الولادة وأُنشئت مستشفيات كثيرة في مدن القطر واستعمل تطعيم الجدري فقلّ انتشارهُ في القطر المصري وكان يفتك قبل ذلك بستين الفاً من الاطفال كل سنة . ولما انتشر الطاعون سنة ١٨٣٠ كان يموت بهِ في القاهرة وحدها الفا نفس كل يوم فقام هو وتلامذتهُ لمقاومتهِ ومعالجة المصابين بهِ الى ان تقشعت غيومهُ من سماء القطر فسرّ العزيز من اعمالهِ وانعم عليهِ برتبة بك ولم تكن تعطى لمثلهِ . ثم فشا الطاعون سنة ١٨٣٥ فنهض هو وثلاثة من الاطباء لمقاومتهِ وكان يعتقد انهُ غير معدٍ وطعّم نفسهُ بدم الخراج امام تلامذتهِ اثباتاً لقولهِ وتشجيعاً لهم ومكث على هذه الحالة باذلاً جهدهُ في معالجة المرضى ستة اشهر فبعث العزيز يشكرهُ على ذلك وانعم عليهِ برتبة جنرال

وذهب بلاد الشام لما دخلها الشهير ابرهيم باشا وزار دمشق وبيروت وصيداء وعكاء وحيفا وجبل الكرمل وتوجّه الى الناصرة لما كان الطاعون فيها وزار نابلس وبيت المقدس وغزة وطبب المرضى وابقى لهُ في الشام ذكراً جميلاً

ولما تولى المرحوم عباس باشا اقفلت مدرسة الطب وعاد الدكتور كلوت بك الى فرنسا وبقي فيها الى ان تولى المرحوم سعيد باشا فعاد الى مصر ليعيد المدرسة الطبية الى ما كانت عليهِ من الانتظام ونجح في ذلك النجاح التام وبقي في القطر المصري الى سنة ١٨٦٠ وحينئذٍ عاد الى مرسيليا وطنهِ واقام فيها الى حين وفاتهِ سنة ١٨٦٨

العلم والعمران بعد غدٍ

هل يقضي العلم على العمران ام يهذّب اخلاق الناس فيجتنبوا شروره ؟

الاهتزازات والفكر

... وهناك مسائل اخرى لا وجود لها في دائرة الحياة المادية بحالتها التي الفناها ولكنها قد تبلغ الحد الفاصل بين الزمن والازلية . ومنها ما يأتي : ما المادة ؟ ما الزمن؟ فهذان سؤالان لا يستطيع السير أوليفر لودج وأترابه الاجابة عنهما

وابنشتين نفسه ، الذي لا يفهم نظريته الاَّ القليلون منا على حين يخبط بعضنا خبط عشواء في تفسير أفكاره — يؤكد ان الوقت مما يجدر الاهتمام بهِ في ما يتعلق بالمسافة التي بين شيء متحرك وآخر . وعلى أية حال فاني اعتبر هذا القول خلاصة ما ادركهُ من نظريتهِ واسهل ما ابسطها بهِ . ألا يصح ان تكون هذه الاهتزازات التي تقدم للبحث فيها متذرعين بما أوتينا من علم حديث يشوبهُ جهل مطبق ، جزءاً من قوة الكون الازلية ؟ أو ليس الفكر نفسهُ اهتزازاً يتصل بعقول الآخرين بعد اجتيازه مسافات سحيقة بأمواج من اطوال معينة دُوزنت لتلتقطها بعض العقول الذكية اذا كانت شديدة الاحساس

والاهتزازات الفكرية أيضاً يمكن ادخارها وتسجيلها على الاسطوانات ثم اعادة ترديدها فتضارع حينئذٍ قوة الجواهر الفردة من حيث عدم فناءِ قوتها فتبقى بعد مضي الوف من السنين في مكان ما

أولا توحي الينا هذه الافكار تفسيراً علميًّا للقصص القديمة الخاصة بالارواح والبيوت المسكونة بالشياطين والخيالات وما شاكلها ؟

وعندي أن هذا في حيز الامكان من حيث ان بعض الفعال المهيجة من حب وغضب وسواها من الانفعالات النفسية الشديدة الماضية وظهور الشخصيات البارزة قد يستمر صدوره من طريق الاهتزازات في البيوت القديمة او في اي مكان آخر ويمكن مشاهدتها كما شوهدت هناك من مئات السنين صادرة من عقول ذات احساس شاذ واستعداد خارق للعادة حتى كأنها ميكروفونات بشرية

وقد نتمكن ذات يوم من الاصغاء الى ابناءِ العصور الغابرة فنبصر اهتزازات

الاجساد التي مضى على موتها عهد طويل — هذه ضالتنا المنشودة — ولكنها صعبة المنال . وما من امرئ يستطيع ان يقول في هذه الشؤون قولاً ويجزم بان قوله صواب بيد ان الجمهور يشعر شعوراً ضئيلاً بأن اسراراً عظيمة تحدق به ممثلة في ألاعيب الاذاعة والتلفزة

وقد جاءتني من عهد قريب رسالة مقتضبة من احد اصدقائي، من غير العامة ، بل من أديب جليل بالولايات المتحدة الامريكية وما قرأتها حتى سقط في يدي — وفحواها كالآتي : — « اذكر اني منذ اشهر قليلة قد سمعت امرءًا يتنبأ بدنو الزمن الذي سنتمكن فيه من دوزنة آلات استقبال الاخبار في بيوتنا حتى نسمع لنكن يخطب قومه في مدينة جتيسبرج ». واستدرج من هذا الى القول :

«واتفق بعد يومين اني كنت احلق ذقني ولحيتي في الصباح إذ جال بفكري خاطر مدهش وهو اننا سوف نسمع يوماً ما سيدنا يسوع المسيح يلقي عظاته الآلهية على الجمع المحتشد على الجبل » — خواطر رائعة تنم عن جرأة وتدل على مبلغ ما وصلت اليه أوهام الانام مدفوعين اليها بعوامل هذه الاكتشافات التي تستجد على الدوام

وهب اننا أصبحنا وفي قدرتنا سماع عظة رب المجد على الجبل ، تلقى كما القاها في حينها نذيراً للجمهور . فهل سماعنا إياها وتأثرنا بها يجعلنا أشد تمسكاً بقواعدها الذهبية وارشاداتها الالهية ، فنرعوى عن غينا ونثوب الى رشدنا فنصبح أكرم أخلاقاً وأشد عطفاً في علاقاتنا بعضنا على بعض ؟

أو هل نغدو أقل شراهة واحتداداً في طباعنا واضعف أنانية في نزعاتنا وأقل قسوة مما جبلنا عليه ؟

ويبدو لي ان قراءة عظة السيد على الجبل لا تؤثر في سنن الحياة ولا تغير المستوى الادبي الذي بلغهُ البشر فهل يُحدث سماعها الاثر المنتظر ؟

تعاظم القوى وانحطاط الاخلاق

وهذا مما يثير موضوع البحث في مبلغ ما يعود من النفع على الخلق من استخدام القوى الجديدة التي خلقها وسيخلقها لهم العلماء بمباحثهم التي تنم على الاقدام والجرأة في مناقضة الاقوال التي كنا نحسبها لا تنال بتغيير او تبديل

وهذا الموضوع أعظم حلقة في سلسلة التحسين المادي برمتها ، فقد جعلت احوال الحياة تخطو خطوات واسعة في سبيل التغير . اذ قيّضت للجنس البشري آلات

جديدة هائلة .وهبّ العلماء لا يلوون على المصاعب ينشدون مصدر القوة الاساسيّ

ولكنّ الورى بسبب ما هم عليهِ من ضعف الارادة، ما زالوا مقصرين في اكتساب القوى العقلية بنسبة ما يسنح لهم من الفرص ، معرضين عن التحلي بأية حلية خلقية تكفل لهم السلامة من شر تلك القوى

ومن أغرب الامور التي توجب الدهشة والاسف أن الانسان الذي أخضع لسلطانهِ جميع قوى الطبيعة لم تبدُ عليهِ اعراض أية قوة من قوى الارتقاء الخلقيّ منذ فجر التاريخ ، ولم يتقدم تقدماً محسوساً بدنيًّا او خلقيًّا

ومن الثابت ان الناس ، كما هم في البيئات الصناعية ، قد انحطت قوى ابدانهم ولم يسموا على أسلافهم في قوى الاذهان . والذي نعرفهُ ان قامة الرجل في العصور الحجرية الاولى ، عند ماكان الناس يسكنون الكهوف ، كانت تبلغ ست اقدام وثلاث بوصات طولاً . وكان دماغهُ يفوق دماغ الرجل الاوربي الحالي بمقدار السدس وزناً. وكانت حواسُّهُ من بصر وسمع وشم اشد منها الآن

ولا مندوحة لنا عن الاعتراف بكل دعة ، اذا لم نرد التغلغل في تواريخ الازمنة الغابرة بان شعوب الحضارات الاولى ، كالاغريق في ابان مجدهم ، قد امتازت بقوى عقلية بارزة ظهرت آثارها في فنونهم وفلسفتهم. واذا شئنا ان نوازنها بما يقابلها في العصر الحاضر لم يخرج الاغريق منها في الكفة المرجوحة

وما برحت غرائزنا العتيقة ، وشهواتنا وانفعالاتنا النفسية ، على حالها الاولى فتثور وتستولي علينا غيلة اذا ما غضضنا الطرف هنيهة عن شريعة الاجتماع او اذا لم يكن لنا من ديننا او شرائعنا الروحية وازع لكبح جماحنا في حياتنا . وحسبنا دليلاً على ذلك الحرب العظمى فقد كانت كارثة اثبتت لنا ان رجالاً متحضرين مثل كتبة الدواوين والنوابغ والشبان المهذبين تهذيباً سامياً — قد يصيرون وحوشاً ضارية تشتهي إراقة الدماء البشرية وتقبل على التقتيل بلا رأفة أسوة بالقبائل العريقة في التوحش التي كان بعضها يقاتل البعض الآخر بالفؤوس الحجرية والسهام ذات الرؤوس العظمية

وعندي ان هذا ما يرهبهُ العلماء اشد الرهبة حينما يتأملونهُ . أجل انهم يرتاعون عند ما يعهدون الى الشبيبة بمخترعاتهم الخطرة — واقصد بالعلماء فريقاً من صفوتهم اتيحت لي محادثتهم والتنور بثاقب افكارهم وهم روّاد المباحث في طبيعة المادة والقوة وقد

اعربوا حديثاً عن تلك المخاوف التي يتوقعونها بسبب افضائهم الى العالم بنجاحهم في كشف مكنونات الطبيعة

ويقول العلاَّمة صدي الكيماوي الشهير « ان القوة الطبيعية أسيرة العلم ، ولا بدَّ ان تصبح خادمة للانسان او سيدة لهُ » . ويوضح لنا المنطق العلمي بلا مناص ان هذه المسألة اذا لم نواجهها الآن فلا مندوحة لنا من مواجهة سوء مغبتها بعدئذٍ . هذا ولم تنهض المُثُل الادبية العليا نهوض العلم لتتمشى معهُ جنب لجنب بل ما زالت قاصرة عن اللحاق بهِ والاتحاد معهُ اتحاداً . فاذا ظلت على ما هي عليهِ . وظل العلم سائراً سيرهُ الحثيث كانت النتيجة تقويض دعائم العمران

وينذر الاستاذ هولدين العالم مثل هـذا الانذار المحزن اذ يقول : — « هل خلق الجنس البشري من رحم المادة شيطاناً رجيماً أخذ يتحفز للانقضاض عليهِ حتى اذا ما تهيأت لهُ الفرصة طوَّح بهِ في هاوية لاقرار لها ؟ »

ويقول برتران رسل « يزعم الجمهور أن تقدم العلم نعمة للجنس البشري ، ولكني اخشى ان يكون ذلك أضلولة من أضاليل القرن التاسع عشر التي ترتاح النفوس اليها والتي يجب نبذها من جيلنا الذي لا تجوز عليهِ الاباطيل ، لان العلم يمكن القابضين على ازمة القوة من نيل مآربهم باسرها اكثر مما ينالونها بغير وساطتهِ . فان كانت تلك الاماني صالحة كان الظفر بها ربحاً ، وان كانت شريرة كان تحقيقها خسارة — ويلوح لنا ان نيات المسيطرين على القوة في هذا الجيل سيئة في الغالب »

ويقول الدكتور شلر من علماء كلية كُرْبُس كريستي بجامعة اكسفورد « إن البشرية ما زالت وحشية لأن الانسان ما برحت آدابه وطرق تفكيرهِ مماثلة لآداب اسلافه الذين عاشوا في العصر الحجري ، فتراه كما كان على الدوام ، مخلوقاً غير عاقل ، سريع الانفعال ، سفيهاً . . . .

« وبديهي أنه من الخطر استهداف جبلة غير مرنة كجبلة هذا المخلوق ، المحافظ على القديم من عادات وغيرها كلَّ المحافظة ، للتطور تطوراً حثيثاً ، لانه لا يستطيع تكييف نفسه تكييفاً عاجلاً كي يلائم ذلك التطور وقد تصبح تصرفاته ، المقصود بها تبادل المنفعة ، والتي ما كانت لتضره بتاتاً او كانت قليلة الضرر له ، في أوج الخطر عليه

« ولا غرو فقد يذعر اكثر العلماء ، الذين لهم دراية بمستقبل الامور ، عند رؤية الاهواء الوحشية تثور ثوراناً جنونيًّا وهي ترفل في بزة الحضارة ! »

قوات التخريب

لقد شاهدنا أن كل تلك القوى الجديدة ، التي استغلت من الطبيعة لتكون تحت سيطرة الانسان ، تستخدم وسيلة للبلاء كما تستعمل ذريعة للرخاء الاجتماعي والرفاهية البشرية . وليس لخلاص أولادنا وأحفادنا وربما أنفسنا أيضاً من الفاجعة العالمية التي ستحدث بعد غد إلاَّ وسيلتان وهما : اما عرقلة تقدم العلم وقتل العلماء عن آخرهم ، وإما تغيير أخلاق الجنس البشري باصلاح آداب الهيئة الاجتماعية وتنقية غرائزها النفسية من أدران الاميال الشريرة »

أما إبادة العلماء ، وبعضهم في مذهبي ، أناس جديرون بالاعجاب فاني آسف عليها جد الاسف . وليس بحق العلماء تغلق كتب العلم التى ورثناها عنهم ، لان العقول المتعطشة لها لا بدَّ من اطلاعها عليها ومواصلة الاغتراف من بحورها الفياضة التى تروي نفوسهم الظمآى

فلم يبقَ امامنا سبيل الاَّ اصلاح الانسان نفسه . فهل هذا يا ترى في حيز الامكان ؟ وهل في الاستطاعة رفع مستواه العقلي والادبي حتى لاتحارب امة اخرى ولا تنازل عشيرة سواها ؟ . وهذا كلهُ حلٌّ صعب المنال جداً

اما مستوى الذكاء البشري فانهُ آخذ في الانخفاض بسبب التناسل من غير الاصلح كما يقول انصار تحديد النسل

ويقول الدكتور شيلر « ان مدنيتنا تحمل في طياتها بزور انحطاطها وخرابها » وهذا العالم الذي يعد من المتشائمين تشاؤماً ذريعاً يعرب عن رأيه في هذا الصدد بقوله « ان الجنس البشري اذا اتيح لهُ الخلاص من الحروب الامبراطورية العالمية والحروب الطائفية والجنسية فلا يفضي هذا التخلص الى تحسين الحال في المستقبل تحسيناً كبيراً » اما محق الجنس البشري محقاً بواسطة الحرب فهو في عرفه انحطاط، ولكنهُ لا يكون اشد فتكاً من انحطاطهِ التدريجي واندثار فنونهِ وعلومه اندثاراً بطيئاً اذا ماطما عليها سيل الضعف العقلي »

وهذا كلهُ مما يؤسف عليهِ. وانا لا اقرُّ انذاراً مروعاً كهذا الاَّ اذا اضرمت نيران حرب عالمية اخرى واستخدمت فيها اسلحة جديدة اشدّ فتكاً بالارواح من الاسلحة التي استعملت في الحرب الاخيرة — وفي حيز قوة الانسان اتخاذ العلم عبداً لخدمتهِ لاماحقاً لذريتهِ — وعندي ان الانسان في وسعه زيادة مواهبه العقلية وفضائلهِ

الاجتماعية. وفي مقدوره ابادة جراثيم الانحطاط التي تنخر دعائم العمران اذا وجدت وفي مكنته استعمال جميع هذه الاسلحة الجديدة الفعّالة في توسيع نطاق العقل والمعارف حتى يبلغ العالم الروحي ويدرك الحقيقة الازلية

وانا على يقين ان بعد غد ولا اقول في الجيل الذي يلي الجيل الآتي — اذا اتيح لنا النجاة من الفواجع الى ذلك الحين قد يصبح الجنس البشري وفي وسعه علاج نفسه من بعض ادوائه الاجتماعية ولاسيما الحروب الجنسية والطائفية للحصول على الثروة فيرتفع مستوى الرفاهة — ولا اقول السعادة الفردية . نعم السعادة التي يصبو اليها الجمهور ولا ينالها لان الانسان بطبيعته يطمح على الدوام الى ما ليس في طاقته الوصول اليه وقلما يرضى بحالته ولا يقنع بهذه الحياة الزائلة الا اذا كان ذا مذهب روحي أو تخيلات يجد منها سلوى لنفسه. بيد أنه قد حان الزمن للجمهور ليتنبه من غفلته كي ينجو من المصائب التي ينذره بها العلماء

تعجيل النشوء والارتقاء

ولما كان لا مندوحة له عن مواجهة أحد الامرين المفضيين الى الكارثة لم يفتر العلماء انفسهم عن توجيه هممهم الى العناية بابدان الناس واذهانهم وهم يستحثون الخطو نحو أصلاح اجسام الانام قبلما يوافيهم العلم وارباه بالحمام ويهلك العلماء ايضاً قائلين «إن الانسان لم تتغير جبلته منذ بدء الخليقة ، فجدير بنا البدار الى غوثه باستعجال نشوئه وارتقائه »

وقد تواطأ العلماء على هذا التغيير سواء أرغب فيه الانسان أم رغب عنه. ويتساءل علماء الفسيولوجيا قائلين « لِمَ ينشأ فريق من البشر وشيمتهم الحنو على الآخرين بينما نرى غيرهم من الشعوب طغاة قساة القلوب على الآدميين ؟

وما سبب اشتهار طائفة من الناس بالبسالة ، وجماعة أخرى بالجبانة والنذالة ؟ على حين توصم فئة غيرها بالحدة بدلاً من تحليها بالوداعة والرزانة. واذ يعاب قوج بالبلاهة ونقص العقل يزدان غيره بحدة الذكاء والبديهة ؟

فيجيب الدكتور (لويز برمان) عن هذا التساؤل قائلاً «انما ذلك كله يرجع الى علة واحدة وهي المفرزات الداخلية ، لان حدة الادراك وصفو الذاكرة وعدم مخالفة الافكار لاصول المنطق وسمو التخيلات ونزاهة الآراء وتهيج الافكار وكبح جماح الاهواء وكذا سائر اعراض الوجدان انما تتأثر بتلك المفرزات الداخلية »

اذن يخيل الينا أن تغير أخلاق البشر انما يتوقف على مبلغ تكثير المفرزات البدنية المشار اليها او تقايلها . وعندئذ يصبح المجرم أنيس العشرة وعضواً محباً لخير الهيئة الاجتماعية. ويرعوي المقامر الدنيء عن غيّه ويكفّ عن سكره ، ويرتدع الخليع عن تهتكه. وتنقشع شهوة مختلّي الشعور في سفك الدماء البشرية سواء أكانوا في الحرب أم في السلم فيغدون مسالمين ،رقيقي الشعور ، محبين للاطفال ،مستنكرين تيتيم العيال ، فتتحسن الحال وتتحقق الآمال كما يؤكد أولئك العلماء

والمستقبل كفيل بهذا التحسين أذا ما اسفرت هذه الآراء عن نتائجها المنطقية . وحينئذٍ لا تحكم المحاكم على السفاكين الاشرار بالموت بل بالاستهداف لعملية جراحية صغيرة قلما يخللها ألم — وقد ينهج القضاة هذا المنهج في معاقبة اللصوص المعتادي السرقة وفي إيقاع القصاص بالسفلة من الائمة الذين تدهورت نفوسهم في حمأة الرذيلة فلم يتسن لهم ان يعيشوا عيشة مستقيمة — فاذا تمت العملية السابق ذكرها وقضى العليل الخلقي أسبوعاً او نحوه في دور النقاهة منها ، برىء من سقمه الخلقي وعاد الى الحياة المدنية رجلاً كريم الشيم متجدداً تجديداً تامًّا فيخدم بني وطنه بدماثة اخلاق . ولعلَّ ذلك يبدو للقارىء أمراً عجاباً

وهناك معضلة أخرى يسعى فريق من علماء البيولوجيا — علم أسباب الحياة واحوالها — في حلها ايضاً وهي : « ما الباعث على جعل مدى حياة الانسان سبعين سنة مثلاً وكونه يقضي نحبه هرماً في تلك السن بينما تكون عياله أحوج الى ما اكتسبهُ من حنكة وخبرة ؟

ولماذا لا يُرجأُ شرب تلك الكأس أو على الاقل لماذا لا يزاد زمن الشباب الذي فيهِ يزهو البدن وينبسط ، ويصفو الذهن وينشط ؟ ولماذا هذا كله ضربة لازب ؟

وجواب الدكتور ڤورونوف عن هذا التساؤل « ارسلوا توًّا هؤلاءِ على بكرة أبيهم الى محل جراحتي فاعالجهم بطريقتي علاجاً يجدد شبابهم كما يبغون »

أما طريقة ڤورونوف فتعتبر في وقتنا هذا من الوسائل القديمة قليلاً اذا قابلناها بالاسلوب الجراحي الذي وفق اليهِ الدكتور (شتيناخ) الذي يزعم ان زميله ڤورونوف لم يبلغ شأوه في تجديد الشباب

ثم يلي ذلك مسألة الوراثة وتوليد نسل أفراده سخاف العقول ، عجاف الاجسام

مما يؤول الى انحطاط البشر . وهذه عقبة كأداء تحول دون نهوض الجنس البشري . ولعله وعيد يتوعد العمران نفسه عند المتشائمين مثل الدكتور (شار) الذي يتكهن عما سوف يحدث من هذا القبيل

وقد جال علماء البيولوجيا في هذا الميدان جولة أخرى فزعم المستر (جوليان هكسلي) ان في استطاعته تغيير صفات التذكير والتأنيث في دعاميص الضفادع : وأن في مقدوره إنماء دعموصين منها من خلية واحدة تقسم قسمين عندما يتحتم عليه اتيان ذلك

وقد درس قوانين الوراثة الطبيعية وتأثير المؤثرات الخارجية في الجنين قبل ولادته وتأثير التغيرات الكيماوية في الكائنات الحيوانية الحية . فرأى ان هذه فرصة سانحة لتعجيل نشوء الانسان وارتقائه وتغيير صفاته المميزة من بدنية وعقلية ثم وضع قاعدة صحيحة لتحسين نسله

وللاستاذ (هولدين) مذهب ايضاً في هذه المباحث مبنيٌّ على تجاربه في تربية اجنة فيران في مصل مدة عشرة ايام سنة ١٩٢٥ . وعنده ان الاستمرار في هذه التجارب سيمكن العلماء بعد غد او فيما بعد ذلك او في سنة ١٩٥١ على الابعد من انتاج اطفال بالطرق الصناعية (كذا) يطلق عليها اسم الاطفال المتولدة خارج الجسم

وانا لنخطىء اذا نحن اعتبرنا هذه النظريات برمتها ترهات لااساس لها لان العلماء قد هموا بالعمل بل هم يمارسونه في وقتنا الحاضر وغايتهم تعديل وتبديل وسائط المعيشة وارشاد الناس الى طرق الحياة البدنية الطبيعية كما كانت عند خلق الخليقة وفقاً لما جاء في التاريخ ، ثم التأثير في عقول البشر واجسامهم بالمؤثرات الكيماوية وبواسطة طرق علم النفس وبتباين الطعام قبل الولادة وبعدها وبالتجارب الجراحية وبنسخ القوانين المدنية القديمة والتقاليد الفكرية كي يطول بتلك الوسائط دور الصبا ويمتد اجل الحياة ويتغير القانون الاجتماعي

ولكن اتثمر هذه المساعي الثمرة المشتهاة من سعادة مقيمة في المسكونة ؟ او إن هنالك جحيماً جديداً يقيمهُ لنا العلماء على وجه البسيطة ؟ فاذا كان الامر كذلك فلا بدَّ من ثورة البرية على العلماء والوقيعة فيهم والقضاء عليهم تخلصاً من لؤمهم وخشية اعادتهم الكرة للتحكم في اجسام الناس وانفسهم

رسول للاسلام في الغرب

وفاة سيد امير علي

نعت الينا الانباء البرقية في ٤ اغسطس الماضي المرحوم « مولانا » سيد امير علي المشترع والفيلسوف الهندي الاشهر ، فطويت بوفاتهِ صفحة حافلة من انفس صفحات التفكير الاسلامي في عصرنا ، وفقد الاسلام اماماً من احدث ائمتهِ ، وأرسخهم قدماً في دراستهِ ، ومجاهداً باسلاً قضى زهاء نصف القرن في الذود عن مبادئهِ وأحكامهِ . ولعلَّ مفكراً مسلماً لم يعمل في عصرنا لبث دعوة الاسلام العلمية والاجتماعية قدر ما عمل امير علي ببرائع بيانهِ ، وناهض حجتهِ ، وطريف نقده وتحليلهِ . فقد خاطب امير علي الغرب بلغة غربية، وعمد الى شرح مبادئ الاسلام الروحية والشرعية والاجتماعية باساليب الغرب العلمية ، فكان اول مسلم استطاع ان يخرج للغرب صورة صادقة من هذه المبادئ ، تضطرم بايمان مسلم أشربت نفسهُ روح الاسلام الحقة ولا تشوبها مع ذلك ذرة من التشيع او التحامل ، وأن يعرضها في ثوب علمي محدث ، يتذوقهُ الذهن الغربي ولا ينكره الذهن الاسلامي . وكان اول مسلم استطاع ان يخرج للغرب اجمل وادق صورة من المجتمع الاسلامي القديم ، ومدنيتهِ وتفكيرهِ

ويرجع ذلك بالاخص الى نشأة امير علي وتكوينهِ الفكري . فهو سليل اسرة عربية تنتمي الى آل البيت ، هاجرت في اواسط القرن الثامن عشر من فارس الى الهند واستقرت في موهان من اقاليم اود (ايو دهيا) في شمال الهند . وفي موهان ولد سيد امير علي في ٦ ابريل سنة ١٨٤٩ من اب مسلم هو سعادة علي وام انجليزية هي ازابيل ادا . ودرس اولاً في كلية هوجلي في كلكوتا ، ونال اعلى درجاتها في التاريخ والادب . ونال شهادة العالمية من كلية عليكره الاسلامية . ثم ذهب الى لندن ودرس القانون ونال اجازتهُ سنة ١٨٧٣ . واشتغل بالمحاماة بادئ بدء .ثم عين استاذاً للشريعة الاسلامية في كلية الرأسة في كلكوتا ، فمديراً لمدرسة الحقوق بها ، فكبير القضاة في كلكوتا. وكان قد ظهر بكفايتهِ وبيانهِ في كل هذه المناصب فعين في سنة ١٨٩٠ مستشاراً في محكمة بنغالة العليا ، فكان اول هندي جلس في هذا الكرسي . وفي سنة ١٩٠٤ اعتزل القضاء وعاد الى انجلترا ، واقام في لندن . وكان اسمهُ قد ذاع يومئذٍ ، ولفت انظار

ولاة الامر في الهند وفي انجلترا بخدماته القضائية ، وكفايته الفقهية ، ومقدرته النادرة في الكتابة بالانجليزية فعين في سنة ١٩٠٩ مستشاراً ملكيًا في المجلس المخصوص ، وانتدب للعمل في لجنته القضائية فكان ايضاً اول هندي ظفر بهذا المنصب السامي

بيد ان التدرج في مناصب الدولة ومراتبها الرفيعة ليس أعظم مافي حياة سيد أمير علي ، فان جانبها الباهر هو الانتاج الفكري ، والنشاط السياسي اللذين سلخ امير علي فيهما زهاء نصف قرن . وقد احتضن فتوته وكهولتهُ بالانتاج الفكري ، ولم يأخذ قسطه من النفوذ السياسي الاَّ في شيخوخته بعد ان تبوأ بظفره فيعالم التفكير والكتابة مكاناً اسمى . ولم يعن أمير علي بالتفكير والكتابة الاَّ في ناحية واحدة : هي الاسلام — مبادؤهُ وأحكامهُ وتعاليمهُ وتاريخهُ : ففي هذا الميدان برز أمير علي ، وكان الفقيه البارع والفيلسوف المحدث ، والكاتب المبدع ، وكان أول ما أخرج في هذا الباب رسالة نقدية في حياة النبي وتعاليمه(١) كتبها سنة ١٨٧٢ وهو فتى لا يجاوز الثالثة والعشرين فلفتت اليه الانظار في الهند . والظاهر انهُ آنس منذ البداية في نفسه كفاية خاصة لتحقيق تلك الامنية التي جاشت بها نفسه ، وخصها بتفكيره وبيانه ، وهي عرض الاسلام على الغرب في ثوبه الحقيقي ، والذود عنهُ مما يرمى به ظلماً في المجتمعات الغربية . قد وفق أمير علي في تحقيق هذه الغاية أعظم توفيق ، وأبدع فيما وفق اليه . فاخرج للغرب بالانجليزية سلسلة كتبه النفيسة في شرح مبادىء الاسلام وأحكامه . ولم يقتصر فضله في ذلك على تدوين الاحكام الشرعية وتنظيمها وشرحها كما فعل في مؤلفه الضخم : « الاحكام الشخصية في الاحكام الشرعية » (٢) وفي « مختصر الشريعة للطلبة » (٣) اللذين أملى وضعهما عليه ما شاهدهُ اثناء حياته القضائية في معاهد بنغالة الفقهية ومحاكمها الشرعية من غموض وتعقيد في درس الشريعة الاسلامية وتطبيقها على يد قضاة من الانجليز قلما يدركون روح التشريع الاسلامي . لم يقتصر فضله على ذلك ، ولكنه عمد الى غاية وعرة شاقة هي شرح مبادىء الاسلام الروحية من الوجهة العلمية ، وتحليلها من الوجهة الاجتماعية ، والمقارنة بينها وبين مبادىء الأديان الأخرى ، والى حياة النبي العربي وتصوير خلاله ومناقبه ، وشرح تعاليمه السياسية ، فأخرج أقوى كتبه

(1) Critical Examination of the Life and Teachings of Mahomet
(2) Personal Law of the Mohammedans
(3) Student's Handbook of Moh. Law

وأعظمها : « روح الاسلام أو حياة محمد وتعاليمه » [1] ، وهو مؤلف ضخم يعرض فيه بالنقد والتحليل لترجمة النبي ، وأصول الاسلام وفرائضه ، وفكرته في الالوهية ، وأحكامه في الأحوال الشخصية والاجتماعية ، وفكرته في البعث ، وروحه في القومية والسياسة والعلم والأدب ، والفرق الاسلامية ، وفلاسفة الاسلام . وفيه يبلغ ذروة الافتنان والاجادة في دقة التصوير ، وسلامة التدليل والتعليل ، وروعة البيان والعرض ، ولاسيما في مقدمته التي هي قطعة من أقوى وأبدع فصول التوحيد والكلام . أما ناحية الاسلام الاخلاقية فقد تناولها أمير علي في كتاب آخر هو : « خلال الاسلام » [2] ، الذي يعتبر تتمة لكتاب « روح الاسلام »

ولم يقف أمير علي عند هذا العرض الباهر لمبادىء الاسلام وتعاليمه ، وهذا الوصل الجريء الراجح بين العلم والدين ، بل شاء ان يقدم الى الغرب صورة صادقة من المجتمع الاسلامي ذاته خلال العصور المتعاقبة ، وان يقرن الصور المعنوية التي قدمها من الاسلام وروحه وأصوله ، بصور مادية من سير الدول الاسلامية ، فوضع كتابه «مختصر تاريخ المسلمين » [3] ، وفيه يتناول تاريخ الدول الاسلامية دولة فدولة . واذا ذكرنا تشعب الموضوع واتساعه كان وصف المؤلف كتابه « بالمختصر » حقاً من حيث الايجاز في سرد الحوادث ولكن كتاب أمير علي يقدم للقارىء صورة من ابدع الصور التي وضعت في تاريخ الاسلام ، ويبذ الكتب الموسوعة بالطرافة ، والحداثة ، وحسن الترتيب ، ودقة التحليل . وفيه يبدو أمير علي المؤرخ المستنير ، والناقد المتمكن ، فيسرد تاريخ الاسلام ودوله في ضوء النظريات الحديثة سواء من حيث الدولة او السياسة ، ويعنى بالناحية الاجتماعية والفكرية ، فيقدم عنهما في نهاية كل دولة لمحة قوية ممتعة . وتراه فيما يسرد وينقد يضطرم بروح اسلامي حق لا تشوبه شائبة تعصب او تحامل ، يحمد في مواضع الحمد ويحمل في مواضع الذم . واسلوبه في كل ذلك عذب قوي . وليس من المبالغة ان نقول انه كثيراً ما يسمو الى منافسة جيبون وماكولي خصوصاً في وصف الحوادث العظمى كالحروب الصليبية ، وغزو التتار لبغداد ، وسقوط غرناطه ، والخلاصة ان مختصر امير علي في تاريخ الدول الاسلامية من انفس ما كتب في هذا الموضوع ، وفي اعتقادنا انه قد وفق اعظم توفيق في ادراك الغاية التي قصدها بوضعه وهي « التعريف بأحدث

---

(1) Spirit of Islam (2) Ethics of Islam
(3) A Short History of the Saracens

الشعوب التي تركت في العالم آثاراً لا تمحى، والتي ما زالت اوربا الحديثة تتغذى من تراثه»

هذه هي الخدمات الجليلة التي اداها امير علي في سبيل نشر الدعوة الاسلامية والذود عنها بسلاح الحقائق والادلة والمنطق السليم . وقد سبق امير علي ومعاصره مستشرقون تجردوا لبحث الاسلام وتاريخه ، وبذلوا في هذا السبيل جهوداً نبيلة مثمرة بلا ريب ، ولكن امير علي يفوقهم جميعاً بكونه قد تحرر من اسباب التحامل التي ترى ماثلة في كثير من مباحثهم ، وادرك روح الاسلام الحقة ، ونفذ الى اعماق العواطف والخلال الاسلامية ، فكان بذلك خير اهل للمهمة التي وقف لها تفكيره وبيانه

وكان لسيد امير علي مقامهُ في الزعامة السياسية في الهند . وكان يعمل اثناء الاعوام الطويلة التي سلخها في قضاء الهند وادارتها على تحقيق امنية عزيزة لهُ هي تقدم مواطنيهِ مسلمي الهند سواء من الوجهة المادية او المعنوية ، وقد بذل في ذلك السبيل جهوداً شتى . وكان اعتداله ، وحزمه ، وكفايته ، تمهد لهُ سبيل الترحيب بآرائهِ وجهوده . وكان لهذه الجهود نصيب كبير من الفوز حينما كان عضواً بمجلس التشريع الامبراطوري ما بين سنتي ١٨٨٣ و١٨٨٥ ، على انها لم تحمل ثمرتها العامة الا في عهد اللورد مورلي في سنة ١٩٠٦ حيث رأت الحكومة البريطانية أن تدخل طائفة كبيرة من الاصلاحات الدستورية والتشريعية في حكومة الهند تحقيقاً لاماني المعتدلين وتهدئة للاضطرابات الوطنية التي وقعت يومئذٍ. على ان أمير علي كان في جهوده السياسية بالنسبة للاسلام دوليًّا أيضاً ، ففي جميع الخطوب التي كانت تدهم الاسلام أو الامم الاسلامية كان صوت أمير علي يرتفع في بريطانيا وفي اوربا . وكان آخر صيحة أرسلها في هذا السبيل نداءهُ المشهور الذي وجههُ ايام الحرب الريفية الى فرنسا ، وناشدها فيه أن تسالم شعباً صغيراً مجاهداً ، فالعالم كله يعرف انها تستطيع سحقهُ بايسر امر ، ولكن التسامح في احترام الاماني القومية لهذا الشعب الصغير الباسل ، يسجل لفرنسا في صحف الفروسية والشهامة ، فكان هذا النداء قطعة مؤثرة من البيان والحكمة التي عرف بهما أمير علي كل حياته

هذه هي صفحة موجزة من حياة هذا المفكر المسلم الكبير وآثاره الجليلة ، ففقده رزء للعالم الاسلامي كله . ولكن للعالم الاسلامي أن يتعزى عن خطبهِ الفادح بما اودعهُ امير علي صفحات آثارهِ الخالدة من عميق حكمتهِ ، وصائب منطقهِ وسحر بيانه

« السياسة » محمد عبد الله عنان

الرئيس المقبل

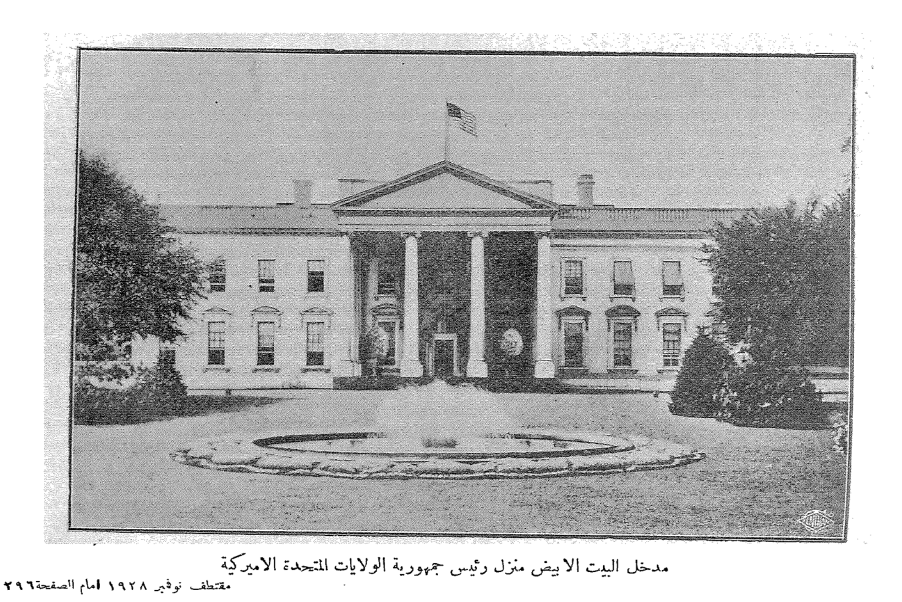
كيف ينتخب رئيس الولايات المتحدة الاميركية
لتقلد اعظم منصب من مناصب الحكم في العالم

لا يصل هذا الجزء من المقتطف الى ايدي القراء حتى تكون البرقيات العمومية قد وافتنا بنتيجة الانتخابات الاميركية لرآسة الولايات المتحدة . فرأينا ان نثبت فيما يلي طرفاً من سيرة المرشحين هوفر — مرشح الجمهوريين وسمث — مرشح الديمقراطيين ونبذة عن طريقة الانتخاب لانها تختلف عن طرق الانتخاب في الجمهوريات الاوربية

منصب الرآسة

« واراكِ سائغةً عليك زحام » : كلٌّ اميركي مولود في الولايات المتحدة الاميركية يقول في منصب الرآسة ما قاله شوقي في ادرنة . ولا غرو ، فرئيس الولايات المتحدة الاميركية أعظم حاكم متوَّج أو غير متوَّج في كل انحاء الارض . لم يكن يضاهيهِ في اتساع سلطتهِ الاَّ امبراطور المانيا قبل الحرب العالمية . فهو الحاكم الفعلي لشعب يبلغ الآن نحو مائة وعشرين مليوناً من الانفس يملكون من اسباب الثروة والعمران ما يفوقون به كلَّ امم الارض جمعاء . ورئيسهم رئيس القوة التنفيذية في الحكومة فهو الذي يبسط للمجلسين النيابيين في رسالتهِ السنوية حالة البلاد من كل وجوهها مشيراً الى الشرائع التي يجدر بالمجلسين ان يعنيا بسنها . وهو الذي يحقُّ لهُ ان ينقض كل تشريع يوافق عليهِ المجلسان الا اذا اعادا النظر فيه مرتين ووافقا بعد اعتراض الرئيس عليه فيبرم حينئذٍ رغماً عن معارضتهِ . وهو قائد الجيش الاعلى واميرال الاسطول الاول . وهو الذي يعين السفراء ويقيلهم ويسيطر بواسطة وزير خارجيتهِ على سياسة بلاده الخارجية وتوجيهها في الجهة التي يراها لازمة . انما لا بدَّ لابرام المعاهدات من موافقة الكنغرس عليها . اما حق اعلان الحرب فيحتفظ به الكنغرس لكن الرئيس بصفته قائد الجيش الاعلى يستطيع ان يشتبك مع العدو في عمل حربي يجعل نشوب الحرب لا مندوحة عنهُ كما حدث في حرب اميركا مع المكسيك سنة ١٨٤٥ — ١٨٤٦

وهو يباشر جميع هذه الاعمال بواسطة مجلس وزراء ليسوا وزراء بالمعنى الدستوري



مدخل البيت الابيض منزل رئيس جمهورية الولايات المتحدة الاميركية

المعروف بل هم سكرتيرون مسؤولون لديهِ فقط عن اعمالهم فهو يعينهم ويقيلهم متى شاء . وهو المسؤول عن اعمالهم لدى السلطة التشريعية . ومع ذلك يتولى كلَّ هذه الاعمال مدة اربع سنين سواءٌ وافق الكنغرس على خطتهِ ام لم يوافق ، ولا يسقط كرئيس وزارة اوربية — في انكلترا او فرنسا مثلاً — عند ما يسحب المجلس النيابي ثقته منه. ولا تمكن اقالته الا بعد محاكمته

كيف ينتخب الرئيس

في الولايات المتحدة حزبان كبيران — حزب الجمهوريين وحزب الديمقراطيين . والاختلاف بينهما الآن يتعذَّر تحديده تحديداً وافياً. فما يقولهُ الحزب الواحد يعارضهُ فيهِ الحزب الآخر مع ان اساس انفصالهما كان مسألة اقتصادية هي الاختلاف على مقدار الضرائب التي تضرب على الواردات. فالجمهوريون يقولون بوجوب ضرب ضرائب كبيرة لحماية الصناعات الاهلية والديمقراطيين يذهبون الى وجوب تخفيض الضرائب اخذاً بمبادئ الاحرار الانكليز الذين يقولون بحرية التجارة . وقد كانا من عهد الرئيس ولسن الى الآن مختلفين على مسألة الانضمام الى جمعية الامم فالديمقراطيون يدعون اليه . والجمهوريون يعارضونهم في ذلك

ولكل حزب من هذين الحزبين الكبيرين لجنة عامة قوامها نفر من ابنائهِ الممتازين يتناولون كلَّ سنة اختيار الرجال البارزين في الحزب وما هو نصيب كلٍ منهم بالنجاح اذا رشح للرآسة ويضعون القواعد والمبادئ التي يتقدم بها الحزب الى الجمهور واعداً بتحقيقها

وقبل ان يحل موعد الانتخاب (وهو الثلاثاء الذي يلي الاثنين الاول من شهر نوفمبر كل سنة رابعة كبيسة) تدعو هذه اللجنة مندوبي لجان الحزب في الولايات المختلفة الى عقد مؤتمر عام تتلى فيهِ الخطب وتعرض اللجنة بياناً عاماً لخطة الحزب يتناولهُ الخطباء بالنقد والتحليل حتى يستقرَّ على وجهٍ ينال اكثرية الاصوات . ثم يتقدم مؤيدو المرشحين المختلفين الى جمهور المندوبين يبينون مزايا مرشحيهم للرآسة ثم تؤخذ الاصوات مرشحاً مرشحاً فاذ نال أحدهم الاكثرية فاز بترشيح الحزب للرآسة . ولكن هذا الترشيح لا يتم عادة بسهولة الاَّ اذا كان احد المرشحين متفوقاً تفوقاً ظاهراً على سائر مزاحميهِ كتفوّق كولدج سنة ١٩٢٤ وتفوّق هوفر هذه السنة والترشيح عن الحزب الديموقراطي اصعب منالاً منهُ عن الحزب الجمهوري لان

قانون هذا الحزب يقضي على المرشح بان ينال ثلثي اصوات المجتمعين في المؤتمر حتى يفوز بالترشيح . وكثيراً ما تتحطم امال المرشحين بالفوز على صخرة هذه القاعدة . وقد حدث مراراً ان مرشحاً كان على قاب قوسين من الفوز او ادنى لا يزال يحتاج الاّ الى بضعة اصوات لكي يفوز بالترشيح فلما لم ينلها انقلب التيّار الى رجل آخر اتفقت الاحزاب المتضاربة على ترشيحهِ كما حصل في المؤتمر الجمهوري سنة ١٩٢٠ حين رُشّح المستر هاردنغ وفي المؤتمر الدمقراطي سنة ١٩٢٤ فان اعضاءهُ اقترعوا ما يزيد على مائة اقتراع من غير ان يفوز احد المرشحين الظاهرين — ماكدو وسمث — ومن ثم انقلب التيار وفاز بالترشيح المستر دايفس الذي كان سفيراً لبلادهِ في انكلترا

وبعد الترشيح لمنصب الرآسة يتم الترشيح لمنصب النيابة . وهذا سهل عادة لان منصب النيابة ليس مما تصبو اليهِ النفوس ولم يذكر في تاريخ الولايات المتحدة ان نائباً للرئيس اشتهر في اثناء تقلدهِ لمنصبهِ الاّ اذا توفي رئيسهُ وحلّ محلهُ كما حدث لروزفلت وكولدج

وبعد ما يرشح الحزبان من يريدون ترشيحهُ للرآسة يبدأ مريدوهُ وكتاب الصحف التي تؤيدهُ يروّجون لهُ في اجتماعات تعقد ومقالات تحبَّر وصور تنشر واخبار تذاع وقد يجول هو في البلاد يخطب في الجماهير عن كثب وفي وسعهِ الآن ان يخطب في جمهور صغير فتصغي اليهِ البلاد من اقصاها الى اقصاها بواسطة اللاسلكي . وفي خطبهِ يعالج المشكلات التي يعانيها الشعب والوسائل التي يقترحها لحلّها

فاذا جاء يوم الانتخاب المضروب وهو يوم الثلاثاء الذي يلي يوم الاثنين الاول من شهر نوفمبر كما ذكرنا تمَّ الانتخاب العام على المنوال التالي

ليس الانتخاب للرآسة في الولايات المتحدة الاميركية انتخاباً مباشراً ذلك ان الشعب لا يصوّت للرئيس مباشرة بل ينتخب عنهُ مندوبين ثانويين وهؤلاء ينتخبون الرئيس . ولكل ولاية من المندوبين الثانويين قدر ما لها من الممثلين في مجلسي النواب والشيوخ . والقانون ان هؤلاء المندوبين يختارون الرئيس على ما توحي اليهم ضمائرهم وما يقضي بهِ عقلهم . ولكن العرف المتبع الآن أن كلاً من الحزبين في كل ولاية من الولايات يعين مندوبين عنهُ بقدر المندوبين الذين يمثلون الولاية في الكنغرس بعدما يقطع كل مندوب منهم عهداً بأن ينتخب مرشح الحزب الذي ينتمي اليهِ . وحينئذٍ فلا ينتخب الشعب المندوبين أفراداً بل يصوّت اما لكتلة المندوبين الذين عينهم الحزب

الجمهوري أو لكتلة المندوبين الذين عينهم الحزب الدمقراطي . فانتخاب الرئيس اذاً أصبح بعدّ الولايات التي تقترع لهُ ولكن وزن كل ولاية في التصويت يزداد بازدياد مندوبيها . فلولاية نيويورك ٤٥ صوتاً . ولولاية نيوهمشير ٤ اصوات فقط . ومجموع المندوبين ٥٣١ مندوباً فالفوز بالرآسة يقضي بأن ينال أحد المرشحين ٢٦٦ صوتاً أي يجب ان تقترع لهُ ولايات مجموع مندوبيها ٢٦٦ صوتاً

ولما كان في الولايات المتحدة أحزاب أخرى غير الحزبين الكبيرين ، وكل من هذه الاحزاب يجتمع ويعين مرشحاً عنهُ للرآسة ، وفي وسع أحد هؤلاء المرشحين أن ينال بعض الاصوات الانتخابية ، فقد تنشأ عن ذلك حالة شاذة هي ان لا يفوز أحد مرشحيْ الحزبين الكبيرين بالاصوات التي لا بدّ منها لانتخابهِ وحينئذٍ يصبح تعيين الرئيس في يد الكنغرس . وهذه حالة خُشي من وقوعها سنة ١٩٢٤ لأن الشيخ لافولت زعيم حزب الاحرار .ومرشحهم للرآسة كان كثير الاتباع في الولايات الزراعية ولكن كولدج تفوق على مزاحميه وفاز في الانتخاب بأكثرية كبيرة

المرشحان

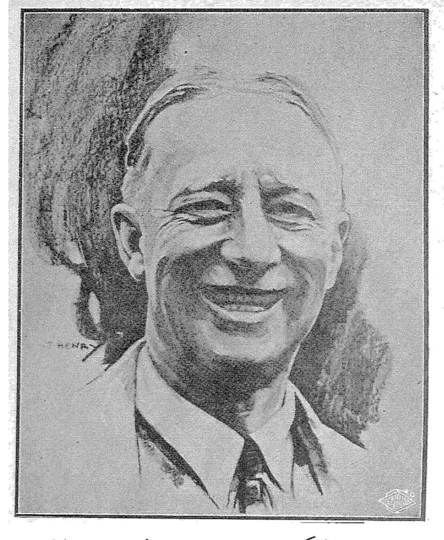
﴿ سمث ﴾ مرشح الحزب الدمقراطي : خرج الحزب الدمقراطي من الانتخاب الماضي (١٩٢٤) مخذولاً منقسماً على نفسهِ وأشد أعضائهِ نقمة أنصار الحاكم الفرد سمث لأن الحزب لم يرشحهُ عنهُ للرآسة ذهاباً منهم الى أن ذلك الامتناع سببهُ التعصب الديني .فسمث كاثوليكي وسكان جانب كبير من الولايات التي تقف في جانب الدمقراطيين يوم الانتخاب (وهي الولايات الجنوبية) بروتستانت

ولو كان الحاكم سمث رجلاً ليس لهُ من المكانة الشخصية ما يجعلهُ ويجعل انصارهُ اصحاب كلمة نافذة في حزب سياسي كبير لكان امتناع الحزب عن ترشيحهِ سنة ١٩٢٤ كافياً للقضاءِ على آمالهِ باعتلاء منصة الرآسة . ولكن هذا الرجل المخذول من حزبهِ خاض معركة الانتخاب لمنصب الحاكم في ولاية نيويورك ففاز بهِ على مزاحمهِ الجمهوري ابن روزفلت الشهير مع ان الولاية بامرها وقفت فيما عدا انتخابهُ الى جانب الجمهوريين فكان فوز سمث الديموقراطي في هذا السيل العرم من الانتصارات الجمهورية فوزاً شخصيًّا لهُ لا فوزاً لحزبهِ وكانت اعادة انتخابهِ مرتين لمنصب الحاكم اول حادث من نوعهِ في اميركا مدة قرن كامل وصار لا مندوحة لحزبهِ من ان يرشحهُ للرآسة في هذه السنة او يقضي على الحزب بالانقسام والفناءِ

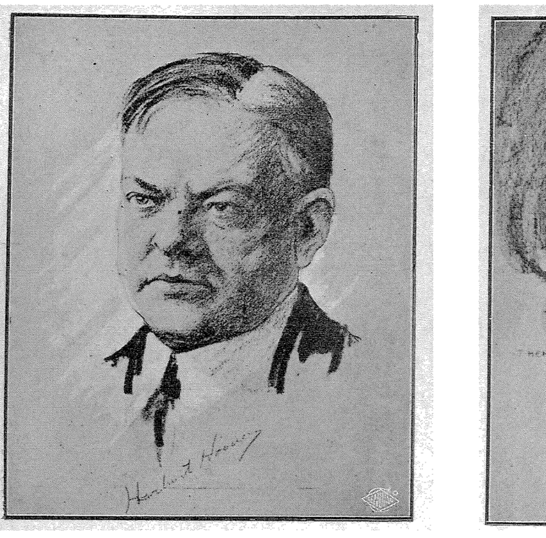
وقد صحَّ ما كان ينتظر فرشح سمث عن الحزب الدمقراطي باكثرية كبيرة واملهُ بالدخول الى منصة الرآسة فيهذه السنة اكبر من امل اي دمقراطيّ آخر لانهُ لاريب قادر ان يستميل ولاية نيويورك اليهِ يوم الانتخاب وعدد اصواتها ٤٥ صوتاً واذا فاز بذلك كان فوزهُ هنا كذلك فوزاً لشخصهِ لا للحزب الدمقراطي المضعضع الاحوال الآن

وسمث هذا رجل عصامي ، ويظهر لنا ان صفة العصامية تكاد تكون ملازمة لرؤساءِ الولايات المتحدة . فقد ولد سمث سنة ١٨٧٣ في الحيّ الشرقي بمدينة نيويورك ونشأ فيهِ وهو حيّ المهاجرين الفقراء كيف جلت فيهِ رأيت آثار الفقر والمرض بادية عليهِ. وكان ابوهُ سائقاً لعربة نقل فتلقى شيئاً من مبادئ الكتابة والقراءة في مدرسة صغيرة هناك ثم اشتغل بائعاً في سوق السمك وكان مشهوراً بين اترابهِ محبوباً منهم. ولما كان في التاسعة عشرة من عمرهِ أُنتخب عضواً في مجلس مدينة نيويورك بعدما رشحهُ لهذا المنصب مندوب « تامني هول » (وهي جمعية سياسية ديمقراطية) في ذلك الحي وجعل يتقلب في مناصب الحكومة في المدينة اولاً والولاية ثانية حتى فاز بمنصب الحاكم سنة ١٩١٨ ثم اعيد انتخابهُ اليهِ ثلاث مرات . وكان في كل ادوارهِ مثالاً للنزاهة والعناية بشؤون الفقراء والمساكين والعمال واصلاح القوانين التي تراعاهم والاهتمام بالاعمال العامة كانشاء الحدائق والمستشفيات واصلاح نظام الحكومة وميزانيتها . وكان من اشد انصار المرأة فدعا سنة ١٩١٩ مجلس الولاية النيابي لابرام التعديل الذي ادخل على دستور الولايات المتحدة القاضي بمنح المرأة كل الحقوق السياسية اسوة بالرجل

واكبر ما يعترض عليهِ في تقدمهِ للانتخاب هو انهُ معارض لقانون « منع المسكرات » ولما كان جانب كبير من اعضاءِ الحزب الدمقراطي في طول البلاد وعرضها محبذاً لهذا القانون فيخشى على سمث منهم اذا حملهم ذلك على الاقتراع مع مرشح الجمهوريين . على ان الانصاف يقضي علينا بان نقول بان سمث ليس ثائراً على القانون ولكنهُ يعتقد انهُ غير صالح للشعب الاميركي وانهُ اذا فاز بمنصب الرآسة بذل ما في وسعهِ لتعديلهِ على طريقة تكفل جني الفوائد التي يسعى وراءها دعاة المنع . ومن يعرف نظام الحكومة في الولايات المتحدة الاميركية يعلم مبلغ الصعوبة التي يلقاها رئيس مهما كان نافذ الكلمة في مجلسي الشيوخ والنواب اذا شاء تعديل مادة اساسية من مواد الدستور . فسمث رجل حرُّ النزعة صريح القول يقول بشجاعة وصراحة



الحاكم الفرد سمث : مرشح الحزب الدمقراطي



المستر هربرت هوڤر : مرشح الحزب الجمهوري

مقتطف نوفمبر ١٩٢٨ امام الصفحة ٣٠٠

ان القانون كما هو الآن لا يأتي بالفائدة المطلوبة ولا يخاف في سبيل قوله هذا خسارة اصوات كثيرة يوم الانتخاب . فهو يؤثر ان يبقى محترماً نفسهُ ولو خسر الرآسة من ان يفوز بها وهو يدري انهُ مراء لا يصرح بما يعتقد

والاعتراض الثاني عليهِ هو انهُ كاثوليكي . واذا فاز بالرآسة كان اول كاثوليكي نزل في البيت الابيض . ولكنَّ الاعتراض على سمث بانهُ كاثوليكي يحط من كرامة العقلاء الاميركيين لا من كرامة سمث اذ اي دخل لمذهب الرجل الديني في كفاءته الادارية والاصلاحية . اضف الى ذلك ان للكاثوليك اثراً كبيراً في استعمار الولايات الاميركية القديمة كما لغيرهم من المسيحيين. فقدكان الذين استعمروا ولاية ماريلندكاثوليكاً كما كان الذين استعمروا ولاية ماستشوستس من مذهب «البيورتان» .وحقُّ الوصول الى منصب الرآسة ليس موقوفاً على ابناءِ مذهب خاص في دستور الولايات المتحدة الاميركية فالاعتراض على سمث لانهُ كاثوليكي نقض لكل المبادىء السامية والتقاليد المجيدة التي نشأت عليها الدمقراطية الاميركية

اما الخوف من سيطرة الفاتيكان على سياسة الولايات المتحدة لان الرئيس كاثوليكي فيقوم على جهل مطبق بقواعد السياسة الدولية ولا متسع لدينا للتبسط فيهِ

﴿هوفر﴾ مرشح الحزب الجمهوري : وهوفر كخصمهِ الحاكم سمث رجل عصاميٌّ ايضاً . وُلد من والدين فقيرين سنة ١٨٧٤ وتوفي ابوهُ قبل ان يبلغ الرابعة من عمرهِ وماتت امهُ قبلما بلغ السابعة فعني بامرهِ جماعة من اقربائهِ من فلاحي ايوى واوريغون (وهما من ولايات اميركا الغربية) .وخاض معترك العمل في الثالثة عشرة من عمرهِ يدأب ويكدح في النهار ويحضر مدرسة ليلية في الليل حتى استعدَّ لدخول الجامعة . ولما دخلها ظل يشتغل في ساعات فراغهِ ليقوم بنفقاتهِ فيها . وتخصص في العلوم الهندسية وبعد تخرجهِ منها سنة ١٨٩٥ اشتغل بهندسة المناجم في ولاية اميركا الغربية واستراليا وبرما وشغل منصب مهندس خاص لمصلحة المناجم في الصين بين سنة ١٨٩٨ — ١٩٠٠ فجنى من اعمالهِ هذا ثروة كبيرة وذاعت شهرتهُ كمهندس في انحاءِ العالم وكان في سنة ١٩١٤ لما انتهت سيرته كمهندس قد اشترك في انشاءِ شركات لتعدين المناجم عدد عمالها ١٧٥ الفاً

كان في لندن لما نشبت الحرب الكبرى فعرف ان آلافاً من الاميركيين فصلوا لدى اعلان الحرب عن اهلهم وموارد رزقهم فالَّف لجنة تمدهم بالمال وسهل لهم سبل

الرجوع الى وطنهم فنجح في ذلك نجاحاً باهراً لم يضع لهُ فلس واحد مما اقرضهُ ومهّد لمائة الف اميركي كانوا منتشرين في بلدان اوربا سبيل الرجوع الى وطنهم

ولما غزت جيوش الالمان بلاد البلجيك غدا ألوف من ابنائها لا يملكون دوراً يأوون اليها ولا قوتاً يتبلغون بهِ . فأنشئت لجنــة لاغاثتهم وجعل هوڤر رئيسها . ثم اتسع نطاق أعمالها حتى شملت ولايات فرنسا الشمالية. وقد وزّعت هذه اللجنة من المواد الغذائية ما قيمتهُ نحو مائتي مليون جنيه واستعملت لذلك نحو مائتي باخرة أغاثت بها نحو عشرة ملايين نسمة . وهو عمل يحتاج الى نظام دقيق في توزيع الطعام حتى لا يصل الاَّ الى المحتاجين اليهِ . وقد عرف ملك البلجيك لهوڤر هذه اليد فأنشأ لهُ لقباً خاصاً قلده إياه وهو : « ابن الامة البلجيكية وصديق الشعب البلجيكي »

ويقال أنهُ ما شرعت هذه اللجنة في القيام بعملها الانســاني حتى ورد على هوڤر نبأ بأن الحلفاء غير راضين عنها لأن رجالهم يذهبون الى أن القانون الدولي يلقي على المانيا تبعة العناية بالشعب البلجيكي . وانهُ اذا فعل الالمان ذلك نقصت المواد الغذائية عندهم وأضعفهم ذلك عن متابعة الحرب . فردّت المانيا على ذلك بأن القانون الدولي لا يلزمها بشيء من هذا القبيــل . وظهر لهوڤر ان الضربة واقعة على الشعب البلجيكي اذا طال هذا الحوار العقيم بين الحلفاء والالمان . فزار كلَّ عضو من اعضــاء الوزارة البريطانية يستعطفهم باسم الانسانية ليسمحوا للجنته باتمام عملها فأجابهُ كتشنر وكان لا يزال وزير الحربية مبيناً الضرورة الحربية التي تقضي بذلك . وكان جواب الآخرين واحداً في أساسهِ : « قد تموت البلجيك جوعاً ولـكن لا مفرّ لنا من اتباع هذه الخطة »

ولما عيل صبر هوڤر ذهب الى لويد جورج وكان وزير المالية فبسط له ما يكون اثر هذا العمل الوحشي في الولايات المتحدة وكيف قد يكون من شأنهِ انقلاب الرأي العام الاميركي على الحلفاءِ . ومما قالهُ لهُ ان بريطانيا تقول انها خاضت غمار الحرب لتحمي حمى البلجيك . والاميركيون يعتقدون ان هذا هو غرض الحلفاء من خوض غمار الحرب . فأية فجيعة يشهدها الناس اذا انتهت الحرب بفوز الحلفاء وهلاك الشعب البلجيكي ! فنظر اليهِ لويد جورج وعيناهُ مغرورقتان بالدموع قائلاً « انك على حق » ووعده بأنهُ يبذل نفوذهُ

وليس لدينا متسع نبسط فيهِ اعمال هوڤر في اغاثة الجائعين من ابناءِ روسيا واوربا الوسطى بعد الحرب وكيف جمع لذلك الملايين من ابناءِ بلادهِ ليحسن بها

وكيف تولى ادارة مصلحة الغذاءِ في اميركا حين خاضت بلادهُ غمار الحرب فكان من اثرهِ في كل عمل تولاهُ اصلاحهُ وضبطهُ بدقة المهندس واحسان لمستحقي الاحسان

ولما وضعت الحرب اوزارها عاد الى اميركا ولسان حالهِ يقول « لقد تعلمت كيف تجمع الثروة ولا يهمني ذلك الآن لاني اريد ان انفق باقي حياتي في خدمة بلادي » . وبقي هنيهة متردداً الى اي الحزبين ينضمُّ وكلا الحزبين فاتح لهُ ذراعيهِ لان اسمهُ ومكانتهُ فخر لكل حزب ينتمي اليهِ . واخيراً انضم الى حزب الجمهوريين وعيّن وزيراً للتجارة في رآستي هاردنغ وكولدج فرفع هذه الوزارة من مكانها الوضيع بين الوزارات واصلحها ونظم اعمالها واشرف منها في السنة الماضية على اغاثة الاميركيين الذين طغا عليهم فيضان المسيسبي فازداد اسمهُ ذيوعاً وصار ينظر اليهِ بحقّ خلفاً لكولدج في زعامة الجمهوريين حين اعلن هذا في الصيف الماضي انهُ لا ينوي التقدم للرآسة

على ان رجال لجنة الحزب ظلّوا متخوفين من هوفر لانهُ حازم مستقلّ الرأي وهؤلاءِ يريدون عادة رجلاً يستطيعون ان يديروهُ كما يشاؤون ولكن فوزهُ جاءَ حاسماً لان الشعب الاميركي يؤيدهُ

***

فما تقدم يثبت لنا ان هوفر يختلف عن سمث في انهُ لم يخض معترك السياسة كما خاضه سمث فعرف مداخله ومخارجه. ويقول عارفوهُ انهُ اذا وقف للخطابة في جمهور كان اشبه شيءٍ بتلميذ تعلم خطاباً وجاء يتلوهُ . وانهُ في ذلك نقيض خصمهِ الذي يصح فيهِ وصف المتنبي حيث يقول :

فكأَنها نتجت قياماً تحتهم وكأَنهم ولدوا على صهواتها

فسمث يفرح بمنازلة خصومهِ على مرأى من الجمهور لانهُ قوي الحجة سريع الخاطر في الجدال السياسي وهذا كثيراً ما يستهوي الجماهير. ولكن هوفر يتفوق على سمث في ان استعداده لمعالجة مشكلات بلاده في هذا العصر — واكثرها صناعي اقتصادي — اعظم من استعداد خصمهِ كما أنه يفوقه في ما لهُ من الشهرة الذائعة في بلاده وفي بلدان اوربا بسبب اعمال الاحسان والاغاثة التي تولاها . ولذلك نرجح لهُ الفوز في الانتخاب القادم مع اننا نتمنى انتخاب سمث ليقضي الاميركيون بانتخابهِ على ما يُرمَونَ بهِ من أنهم متعصبون ضدهُ لانهُ كاثوليكي

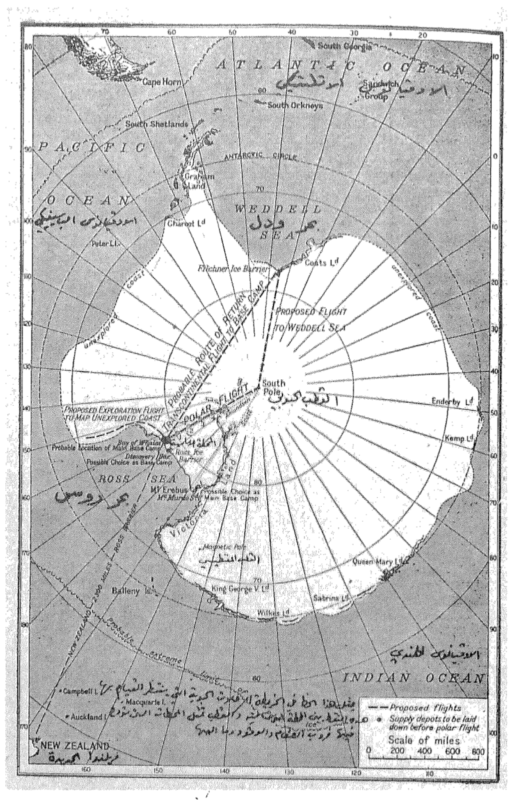
القطب الجنوبي بعد القطب الشمالي

صورة الغلاف

يرى القارئ على غلاف المقتطف هذا الشهر صورة طيارة اميركية محلقة فوق قطع طافية من الجليد . هذه هي طيارة الكومندر برد الاميركي التي طار بها الى القطب الشمالي قبلةً في ٩ مايو سنة ١٩٢٦ فكان اول انسان وصل الى احد القطبين عن طريق الجوّ . وهو يعدُّ معداتهِ الآن للقيام برحلة كبيرة الى القطب الجنوبي وما يحيط بهِ من الاصقاع المتجمدة . وسيشترك معهُ في هذه الرحلة خمسة وسبعون من الشجعان من علماء وروّاد فيسافرون في باخرة تدعى « لارسن » الى بحر روس على طرف الريف الجليدي كما ترى في الصورة المقابلة وينشئون هناك محطتهم الاساسية . ثم ينشئون بينها وبين القطب الجنوبي خمس محطات صغيرة المسافة بين المحطة الواحدة والاخرى منها مائة ميل . ويضعون فيها طعاماً ووقوداً وما يلزم لاصلاح الطيارات حتى اذا اضطرت احدى طياراتهم ان تنزل على الجليد وجدوا على مقربة من مكان نزولها ما يأكلونهُ وما يستطيعون اصلاح الطيارة بهِ . ويصحبون معهم ثلاث طيارات احداها كبيرة لها ثلاثة محركات واثنتان خفيفتان كلٌّ منها مثل الطيارة التي استقلها لندبرغ من نيويورك الى باريس . فيطيرون من هذه المحطات الى مجاهل الاصقاع المتجمدة . ومتى سنحت لهم الفرصة طاروا بالطيارة الكبيرة الى القطب واذا تمكنوا نزلوا عليهِ لتدوين الارصاد الجوية . ولكن المصاعب التي تعترضهم في هذا الجانب من الرحلة كبيرة جداً لان القطب الجنوبي في مرتفع من الارض والجليد يعلو نحو ميلين عن سطح البحر فالهواء هناك لطيف يحتاج معهُ الطيارة الى قوة كبيرة للصعود في الجوّ بعد نزولها الى الارض . يضاف الى ذلك ان ما تحملهُ من البنزين والمعدات قد يعيقها عن النهوض لثقلهِ

فاذا تمَّ هذا الوجه من الرحلة على ما يرام حاول بعض رجال البعثة ان يخترقوا الاصقاع المتجمدة من محطتهم على بحر روس الى محطة اخرى يقيمونها على بحر ودل

وقد صنعت لهم آلة لاسلكية يستطيعون ان يبقوا متصلين بها بالعالم المتمدن في اثناء رحلتهم التي تستغرق اكثر من سنة . فالوصول الى القطب الجنوبي غرض واحد من اغراض رحلة علمية يتعرض رجالها لضروب المخاطر حتى يوسعوا نطاق المعارف الجغرافية فتكمل سيطرة الانسان على الارض باقتحام الاصقاع المتجمدة الجنوبية وسلبها اسرارها



خريطة للاصقاع المتجمدة الجنوبية التي تنوي بعثة
برد أن تخترقها على متن الطيارات

مقتطف نوفمبر ١٩٢٨
امام الصفحة ٣٠٤

خواطر في اللغة

بين التقليد والفوضى

أنسلّم قيادنا لبداهة الفطرة ؟

قلب الهمزة

الهاء والهمزة تتبدّل احداهما من الاخرى قال المتنبيّ

لَهِنَّكِ اولى لائمٍ بملامةٍ واحوج ممَّن تعذلين الى العذل

وكثيرون من عشائر العلويين في شمالي سوريّا يقولون هِنتْ وهِنتِ اي إنتْ وإنتِ . بل سمعت من بعض العارفين الذين يُرْكَن الى ما يقولون انهُ يغلب على ألسنة كثيرين من اهل المدن الانكليزيّة والاميركانيّة قولهم—إيْ إزْ—اي هِي إزْ He is . وإزْ بَوك اي هِزْ بوك His book

ويقولون وهو الشائع الآن على الالسنة في كل الاقطار العربيّة وكان شائعاً كذلك في ايام سيبويه — كتابو وكتابا . و نظَرتو ونَظَرْنا — اي كتابُهُو وكتابُها ونظرتُهو ونظرتُها وهلمَّ جرًّا

والهمزة تتبدّل حرف علّة واواً او ياءً او تُلَيَّن الفاً وبالعكس اذن فالحروف الخمسة هذه تتبدّل بعضها مع بعض . وتبدُّلها انَّما هو للخفَّة وحسن الوقع في السمع فيُعْدَل اليه اذن وفقاً لبداهة الفطرة فانَّها هي الحاكمة في خفَّة اللفظ وحسن وقعهِ في السمع

وتُعرَف بداهة الفطرة بما يغلب على الالسنة فحيث يكون هذا تكون تلك وهي اذا لم يشوّشها مشوّش تسوق المتكلّم بطبعها الى الخفَّة وحسن الوقع في السمع كما انَّها تُلزِمُهُ ايضاً البقاء على الاصل حيث العدول عنهُ يؤدّي الى اللبس

ومن الامثلة على ما مرَّ اسم الفاعل الثلاثيّ من الاجوف كقائِل وبائِع وخائِف ودائِن وصائِل الخ من قال وباع وخاف ودان وصال فانَّ حرف العِلَّة قُلِب في الجميع همزة . وبيانهُ — قياس اسم الفاعل من الثلاثي هو فاعل بزيادة الف قبل عين الفعل مكسورةً ولمَّا كانت عين الاجوف الفاً لا تقبل الحركة قُلِبتْ ياءً في الجميع ثمّ قُلِبتْ الياء همزة . ويجوز ان نقول إنَّ الالف التي هي عين الفِعل تُقلَب همزة رأساً لتُكْسَر وفقاً للقياس الذي رسخ مع الاجيال

قلت اولاً . ان عين الفعل قُلِبت ياءً في الجميع وحملني على القول بذلك أنَّ الياء يسهل كسرها غالباً اكثر من الواو وشاهدنا الحسّ فانَّ « قايل» لا يرتاب لافظ لم يشوش عليهِ حكمهُ مشوّش اخف شيئاً على اللسان واسهل في السمع من «قاوِل» وامَّا قايل وقائِل فقلَّما يُشعَر بفرق بينهما في الخفَّة كما يُخيَّل اليَّ ولذلك فبعضهم ممَّن يحبُّون ليونة اللفظ يجيئون بالياءِ ولكنَّ بعضهم يفضّلون الهمز مع الكسرة لانَّها اخفّ. على ما اتخيَّل واشهى لفظاً عند من يحسنون لفظ حروف الحلق ويحبُّون النبرة التي فيها

ويُمكننا ان نحصل ممَّا مرَّ ضابطاً عمومياً شاملاً وهو أنَّ حرف العلة بعد الف وقبل حرف متطرّفٍ او في حكم المتطرف حكمهُ حكم اسم الفاعل من الاجوف يجوز قلبهُ همزةً او إبقاؤهُ على الاصل ويُترَك فيه الامر لبداهة الفطرة تقلبُ او تبقِي على الاصل اذ لم تجد داعي للقلب ادَّى بها هذا الى اللبس فتقول من قال وصان وخاف مثلاً قايل وصاين وخايف او بالهمزة ولم يَرد قاوِل ولا صاوِن ولا خاوِف ولا مَنْ يتكلم بها الآن ايضاً . ومثل ذلك منايِر ومغايِر او منائر ومغائر ومع أنّي ارى التليين فيها اخف على لساني واشهى في سمعي مع ذلك لا أُخطّىءُ من يقول بالهَمز حتّى ولا مَنْ يقول مغاوِر بالبقاء على الاصل المدلول عليهِ بمضارع الفعل كما يقولون

وقالوا في عَجُوز عجائِز ولم يرِد عجاوِز ولا من يتكلّم بهِ الآن ولكنَّهم قالوا في جَدْوَل جداول وفي مفازة مفاوز لم يرد غير ذلك ولا من يتكلّم الآن بخلافهِ . فانظر الى دقَّة نظر بداهة الفطرة وصحة احكامها ولا تخف من فوْضَى الالسنة التي يهوّل بعضهم علينا وعلى انفسهم بها . ومثل جدول ومفازة مِقْوَد او مقادة ومروحة فانهُ نُقل فيها مقاود ومراوح ولا يتكلّم احد فيها بالهمز بل انت اذا اردت همز الواو او قلبها ياءً تعاصت عليك وعصاك لسان البداهة فاركن اليها اذن ولا تخف ان تضلَّ بها عن سواء السبيل !

ما يجوز ان يلحق بهذا الباب

مما يجوز ان يلحق بهذا الباب قلب حرف العلة (الواو والياء) في الابتداء همزة وهو قليل . ولم اعثر لهُ على صورة الاَّ في باب « وكَدَ » فانهم قالوا في جميع صورهِ بالهمزة تارةً وبالواو تارةً فقالوا وكد واكد ووكّد واكّد وتوكّد وتأكّد وتوكيد وتأكيد . وقالوا أيس ويئس وآيس ويائس. وقالوا إكاف ووِكاف ووكف وأكف

وآكل وواكل وواسى وآسى وأُهبان ووهبان . وأكنة ووكنة . لكن قالوا في « واكل » انها لغة ردية . وكذلك قالوا في تأكيد ولم يعللوا عن ذلك . وعندي ان هذا العدول هو « كما قلنا مراراً » جائز لا واجب ويعتبر اي العدول عن الهمزة الى حرف العلة وبالعكس لغة فصيحة اذا ظهرت خفتهُ وحسن وقعهِ في السمع اكثر من المعدول عنهُ والاَّ فهو لغة ردية كآكل وواكل وتوكيد وتأكيد

وفي هذا الباب ما يستحق النظر اليهِ وهو انهم لم ينقلوا وكلَ في أكل ولا العكس ولكنهم نقلوا « واكل » في« آكل» والسبب في ذلك بداهة الفطرة فانها لا تعدل عن الاصل اذا أدَّى العدول الى الالتباس مهما كان اللفظ المعدول اليهِ اخفَّ على اللسان او اشهى في السمع . ولهذا لم يعدلوا الى الابدال في مجرد مهموز الفاء ولا الى الهمز في المثال الاَّ نادراً لان في العدول التباساً . على انهم لما قامت القرينة الواضحة فيوجه الالتباس عدلوا اليهِ فقالوا « وَكلَ ويّاهُ » اي اكل.« ووكّلوني وياهم بالرغم عني » اي حملوني على الاكل

فان قيل هذا لم ينقل قلت يكفي ان معظم اهل القطر المصري يقولونهُ مسلموهم واقباطهم . ومن ينكر هذا الاجماع ويحتج على عدم صحتهِ بانهُ لم ينقل في الفيروزبادي ولا في الصحاح او اللسان فلا اقول فيهِ الاَّ انهُ من الذين يزعمون ان العربية دون غيرها من سائر اللغات وجدت منذ القدم على ما هي عليهِ اوكانت عليهِ في ايام الرشيد والمأمون وان الاعراب من العرب خصوا بفصاحتها وبلاغتها هم وعبيدهم وآماؤهم من الزنوج فلا الفاظ الاَّ الفاظهم ولا تركيب الاَّ تركيبهم ولا معاني الاَّ معانيهم وان مواليهم الذين اشتغلوا بتدوين اللغة من الفرس والروم والسريان ووضع قواعدها وضوابطها هم من العصمة في حرز حريز

واغرب من ذلك ان هؤلاء الزاعمين هذه المزاعم التي اشرنا اليها ينكرون على من يستشهد بابي تمام او البحتري او المتنبي فيما لا يوافق ما يزعمون انهُ جاء عن نصيب[1]

(١) نقل المبرد في كامله عن نصيب انه كان يستعمل اللفظة ولا يعرف معناها وانما سمعهم يستعملونها فاستعملها .وكان عبد بني الحسحاس لا يحسن ان يقيم كثيراً من الحروف الهجائية كالضاد والحاء . ومتى كان اجلاف الاعراب اهل فصاحة وبلاغة يتقدمون فيهما على اهل العلم والادب من الحضر. ولكنالفتوحات الاسلامية العربية جعلت لهم مكاناً في عالم الوجود لانهم كانوا جنودها وهذا بحث لا مجال للخوض فيه الآن

مثلاً او امة بني فلان ويكبرون وايما اكبار فعلة من يجعل ابن عابدين مثلاً سلالة بيت الفصاحة والبلاغة وعلامة جيلهِ غير منازع موضع ثقة في اللغة ويقدرون ما جاء في مؤلفاتهِ قدر ما جاء في كلام نصيب وعبد بني الحسحاس الا لكن او قدر ما جاء في مؤلفات الجاحظ المولى الشعوبي وابن المقفع الدهقان الفارسي . فيا لله من منطقنا وما يفعلهُ فينا التقليد

قلب حرف العلة همزة

ومن هذا الباب قلب حرف العلة همزة وهو كثير الاَّ انهُ غير واجب انما بداهة الفطرة تتلاعب فيهِ بحسب توهماتها وتبعاً لاختلاف الاشخاص او العشائر والاسر فمنهم من يستحسن النبرة في الهمزة ومنهم من يفضّل نعومة حرف المد عليها فيقال رأس وراس وبئر وبير وبؤس وبوس وسؤال وسوال ورئبال وريبال وقارئ وقاري .وقد اكثر صرفيونا من الكلام في هذا القلب وفي كتابة الهمزة بما اوجب العلامة نصر الهوريني أن يضع رسالتهُ المشهورة بل كتابه للمطابع المصرية اقتصر فيهِ على البحث عن رسم الهمزة فكان هذا البحث مثل بحث الالمان عن ال تعريفهم « كما سمعت » ان لم يزد عليها في الطول وسرعة النسيان. والبحث كلهُ يغني عنهُ في اعتقادي بداهة الفطرة اذا استرشدنا بها فكتبنا الهمزة بصورة الحرف الذي تليّن بهِ الاَّ في مثل قرآة [1] واضآة اي بالمدة على الالف ويغني عن المدة صورة العين المقطوعة بعد الالف كما ترى في إضاءة . فاذا وقعت طرفاً بعد ساكن صحيح كضوء وعبء رسمت كما ترى في اللفظين المارين ولا كرسيَّ لها كتلك التي في قراءة وإضاءة

ما ينسلك في هذا السلك ايضاً

ينسلك في سلك قلب الهمزة واواً او ياءً وبالعكس اي قلب الواو او الياء همزة وقلب الواو ياء او الياء واواً في جمع المذكر السالم والملحق بهِ كبنون وبنين وسنون وسنين ومُؤمنون ومؤمنين . والشعرآء يعتبرون المدَّ قبل الحرف الاخير من القافية إن بالواو او بالياء واحداً قال اليشكري :

---

(١) قرآة واضآة رسمها في الاصل عند الكتاب هكذا — قرأآة واضاأآة وهذه الصورة لا التباس في قراءتها ولا تكلف او تعسف الا انهم عادوا فجعلوا الهمزة فوق الالف مدوها عليها مداً افقياً فصارت صورتها كما كتبناها ابتداء اي قرآة واضآة ولم يكتف الكتاب بهاتين الصورتين بل زادوا صورة ثالثة اي قرآءة واضآءة فاختر اي الاشكال الثلاثة اردت

فدنت وقالت يامنخّـل ما بجسمك من حَرُوْرِ
ما شفَّ جسمي غيرُ حُبّك فاهـدأي عنّي وسيْري

وقال ابو الطيب المتنبّي :

حسن الحضارة مجلوب بتطرية وفي البداوة حسنٌ غير مجلُوْبِ
اينَ المعيز من الارام ناظرةً وغير ناظرةٍ في الحُسْنِ والطِيْبِ

وهو اكثر من الكثير

ومثل الواو والنون والياء والنون في جمع المذكّر السالم الالف والنون والياء والنون في المثنّى . فانّ الغالب على الالسنة اليوم هو الذي كان يغلب عليها فيما مضى اي انّ بعضهم كانوا يلزمون الالف وآخرون يلزمون الياء وآخرون يقولون بالالف تارةً وبالياء تارةً يعتمدون على بداهة فطرتهم فيعدلون الى ما يرونهُ اخفَّ على اللسان او اشهى في السمع

وهكذا اظنُّ كان الحال في جمع المذكر السالم وان لم يَنْقُل الينا الاشياخُ الذين اخذنا عنهم او وصلتنا كتاباتهم مذهباً في ذلك كما نقلوهُ في المثنّى . الاّ انّا لانعدم الدلائل التي تدلُّ عليهِ ومنها انهم نقلوا في الاعلام التي الحقوها بجمع المذكر السالم كفِلِسْطِين وقِنَسرين اللغات الثلاث على ما في المثنّى اي التزام الواو او التزام الياء او التخليط وفقاً لما يتوهّمون من الخفّة وحسن الوقع في السمع

ومنها كذلك ما ورد على مثال قولنا وكانوا هم الظالمون تارةً اوالظالمين تارة اخرى . وامّا قولهم انهم حسبوا « الظالمون » خبراً عن ضمير الفصل والجملة خبراً عن كان في مثل الصورة الاولى وحسبوا ضمير الفصل زائداً والظالمين خبراً عن كان في مثل الصورة الثانية فمن باب الترقيع الذي لايغني عن الحقيقة ولا يقبلهُ الاّ المأخوذ بحُمّاهُ

ومنها مثل قول القائل ونقلهُ المبرّد في كاملهِ

إن كنت كارهةً معيشتنا هاتا فحلّي في بني بَدْرِ
الضاربين لدى اعنّتهم والطاعنين وخيلهم تجري

ويروى البيت بالواو والنون ايضاً اي الضاربون والطاعنون . وقال آخر

لا يَبْعَدن قومي الذين هُمُ سمُّ العداة وآفة الجُزْرِ
النازلين بكل معترك والطيّبين معاقد الأُزُرِ

وكأنّي رأيت البيت الثاني يروى هكذا ايضاً

النازلين بكل معترك والطيّبون معاقد الأُزْرِ

والتستر في مثل الامثلة التي ذكرناها بالقطع الى الرفع او النّصب هو ايضاً من قبيل الترقيع فيا لله منهُ ومن استمرارنا عليهِ . ولا يسعني الوقت ان ابيّن فساد هـذا الترقيع ببيان فساد الاركان التي بُنيَ عليها . واتماماً لهذا البحث لا بد لي من الملاحظة الآتية وهي ان فتح نون جمع المذكر السالم اخفُّ على اللسان من كسرها وكسرها بعد الف المثنّى اخفُّ عليهِ من فتحها بشهادة الحسّ التي لا تُدفع والتي هي المرجع الاخير الذي لا يحتاج الى اقامة برهان او دليل . على انهم لمّا احتاجوا الى الكسر في الجمع كسروا وعليه قول الشاعر

وماذا تبتغي الشعراء مني وقد جاوزت حدَّ الاربعينِ
اخو خمسين مجتمعٌ اشدّي ونجذ في مداورة الشُّؤونِ

ولما احتاجوا الى الفتح مع المثنّى فتحوا قال الشاعر

اعرفُ منها الجيد والعَيْنانا ومِنْخَرين اشبها ظبيانا

وظبيان علم لبعضهم ولعلَّ المشار اليهِ هنا هو احد فُتّاكهم ايام عبد الملك بن مروان وعبد الله بن الزبير

على انَّ كسر النون مع الياء اخفُّ على اللسان منهُ مع الواو . قال احد ادباء الريحانه —

ما نافعي إنْ كان ليس بنافعي جاه الصبا وشفاعةُ العشرينِ

فليعرض شاكٌّ الامر على حسّهِ وليحكم . ولا شك انَّ الذين استشهدنا بهم قد انساقوا الى ما قالوهُ بدافع الفطرة وكانوا من اشهر فصحاء زمانهم ولا يزال هذا الدافع هو المؤثر العامل كما كان قديماً انما تعاصى عليهِ مقلّدو اعاجم الموالي الذين اشتغلوا بوضع قواعد اللغة وكانوا في زمانهم العلماء الاعلام في نظر اهل الدولة من الجند والاعيان وسائر اتباعهم ولكن علمهم ولاسيا في وضع قواعد اللغة كان على ما صرنا نعلم ما هو ويكفينا في ذلك ان نظر في تعليلات القوم التي اصبحت مضرب مثل في سخافتها وفسادها

يقول بعضهم انا لو سلمنا قيادنا الى بداهة الفطرة فقلنا في جمع المذكر السالم والملحق بهِ ما توحيهِ الينا هذه اختلط الحابل بالنابل وفاتنا سهولة الفهم ان لم نقل امتنع. قلت هذا مجرّد وهمٍ والواقع يعارضهُ وينقضهُ . فهذه مركبات الاعداد بين العشرة

والعشرين فانها من ثلاث‌عشرة او ثلاثة عشر الى التسع عشرة تلزم صورة واحدة في كل حالاتها الاعرابيّة كما قالوا ولكنهم اضطروا اي النحاة مجاراة للمتكلمين ان يجوّزوا فيها بناء الجزءين على الفتح واعراب الاول مضافاً او ابقاءهُ مبنيًّا وإعراب الثاني وتنوينهُ تبعاً لما كان يتبادر الى الالسنة او وفقاً للحاجة ومع ذلك لم يختلط حابل بنابل ولا اختلّ الفهم على احدٍ ولا تعسّر عليهِ . ومنْ يتوقّف في فهم ما لو قلنا « عندي عشرين كتاباً » او يرى فرقاً في سهولتهِ بين الصورتين — عندي عشرون كتاباً . وعندي عشرين كتاباً . ؟ او ماذا يقول المتخوّف المتابع في قول من استشهدنا بهِ او بها قبيل الآن ويحسبهُ المبرّد من افصح من يستشهَد بكلامهم

لا يَبْعَدَن قومي الذين هم سمُّ العداة وآفةُ الجزْرِ

النازلين بكل معتركٍ والطيبون معاقد الأُزْرِ

فانهُ قال النازلين ثم عطف عليها فقال والطيبون أليس انتقالهُ من الياء والنون الى الواو والنون هو من باب انتقالنا الآن ببداهة الفطرة الى الاخف وعند التساوي او القرب من التساوي الى ما يسبق الى اللسان ؟ ومن يتوقف في الفهم الى ان يفطن الى الترقيع الذي رقعهُ القوم وسموهُ القطع الى الرفع او النصب في مثل قولهم مرَرت بزيدٍ الكريمُ او الكريمَ او الى التعليل الذي عللوهُ في الآية — (انّ الذين آمنوا والذين هادُوا والصّابئون والنصارى من آمن بالله واليومِ الآخرِ وعملَ صالحاً فلا خوفٌ عليهم ولاهم يحزنون) ومن بابهِ قول الشاعر

ومَنْ يك امسى بالمدينة رحلهُ فأنّي وقيّار بها لغريب

ابعدنا النجعة . وانما فعلنا ذلك لنبين للمتأمل ان علامات الاعراب غير ضرورية في الاعراب وانّ الذين سبقونا في الجاهلية والاسلام كانوا يجرون وفقاً لمقتضى بداهة فطرتهم كما يجري عموم المتكلمين منا الآن اي قلّما يعرفون اواخر الكلمة الاّ في الشعر . وفي الشعر ايضاً كانوا يتركون الاعراب احياناً ولا يزال كثيرون من كبار شعرائنا الآخذين بهذا التقليد خلفاً عن سلف يقفون على اواخر اغلب كلماتهم في الحشو حيث يستقيم معهم الوزن امّا بطبيعة الكلمة او بطريقة تلاوتهم وقد سمعت امير شعرائنا الحاضرين وشاعر القطرين والرصافي شاعر العراق يجرون مع هذا التقليد المحفوظ عند اكابرهم الى اليوم. فليفتكر مفكّر قبل ان يقيم عليّ النكير فيما اعتمدت بيانهُ وتذكير اهل الفكرة والروية بهِ

جبر ضومط

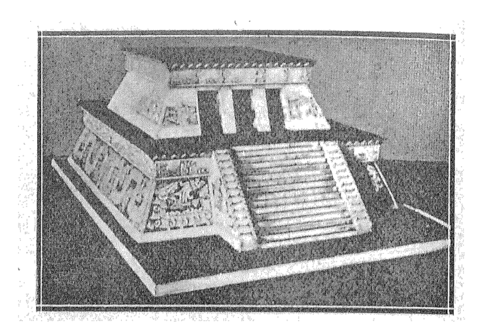
هل العالم الجديد مهد العمران ؟

وهل حضارة المايا اقدم من حضارة مصر ؟

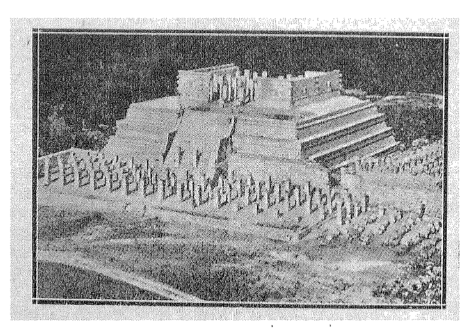
هل قارتا اميركا الشمالية والجنوبية والبلاد التي تصل بينهما وتعرف باميركا المتوسطة والعالم الجديد على ما يقول الجغرافيون — هل هما لدى التحقيق العالم القديم حيث نشأ الانسان اولاً وانشأ حضارة امتدت آثارها فيما بعدُ الى انحاء المعمور ؟

لقد كشف البحث في الشهور الاخيرة عن اربعة مكتشفات اثرية خطيرة ايدت الرأي القائل بان الانسان وصل الى هاتين القارتين وهو لا يزال على حالته الفطرية الاولى الوفاً من السنين قبل زمن التاريخ المدوّن ان لم يكن قد نشأ فيهما اولاً ومنها انتشر في اقطار الارض

فقد عثر الباحثون الاثريون ببلدة فيرو من اعمال ولاية فلوريدا الاميركية على عظام بشرية واسلحة وادوات في طبقة من الارض قديمة جداً كما يدلُّ على ذلك ما وُجد فيها من عظام حيوان المموث الذي انقرضت آثارهُ منذ آلاف السنين. ووجد جمهور آخر من الباحثين في ولايات كولورادو وتكساس ونيومكسيكو رؤوس سهام اتقن صنعاً من رؤوس السهام التي كان الهنود الحمر يستعملونها حين وصول البيض الى اميركا . وقد كانت هذه الرؤوس مع عظام نوع من الجاموس انقرض منذ زمن بعيد. ثم عثرت جماعة اخرى في بلدة فردريك من ولاية اوكلاهوما على رؤوس سهام وخمس قطع من الحجر كانت تستعمل لطحن الحنطة وصنع الدقيق منها وكان فوق هذه الآثار طبقة تحتوي على بقايا حيوانات المموث المنقرضة . وقد شاهد الدكتور هرولد كوك الامين الفخري لمتحف الآثار المتحجرة بكولورادو هذه الآثار قبل اخراجها من الارض التي وجدت فيها فقال انهُ لا يرتاب مطلقاً في ان هذه الآثار البشرية معاصرة للحيوانات المنقرضة التي وجدت مع بقاياها . فلما نظر العلماء في مدلول هذه المكتشفات الاربعة اثارت فيهم من جديد الرغبة في البحث عن اصول حضارة المايا في اميركا المتوسطة وحضارة الانكس في اميركا الجنوبية. ويعتقد الدكتور جرجوري مايسن مدير احدى البعثات الاميركية التي تنقب في اميركا المتوسطة كما يعتقد غيرهُ من المطلعين على الآثار التي وجدت هناك ان حضارة اميركا القديمة قديمة كحضارة مصر او اقدم منها وانها تفوقها من وجوهٍ كثيرة



مثال مصغّر لاحد هياكل المايا



هيكل قديم من هياكل المايا كشف في حرج كثيف طغت
عليه اشجاره واعيد ترميمه على ما ترى والاعمدة امامهُ
كانت تستعمل لحمل سقف الفناء الخارجي

مقتطف نوفمبر ١٩٢٨
امام الصفحة ٣١٢

ان معارف المصريين القدماء الرياضية والفلكية مضرب المثل. ولكن البحث الحديث في اميركا المتوسطة اثبت ان شعوب المايا كانوا يفوقون المصريين في المعارف الرياضية والفلكية فهم الذين استنبطوا الصفر الذي جعل طريقة الحساب العشري الحديثة في حيز المستطاع. وهذا مكنهم من ان يحسبوا حسابات رياضية دقيقة ويرتقوا بها الى اعلى الدرجات . فسبقوا الهنود الى ذلك بنحو الف سنة

وقد ثبت من بعض كتبهم التي لم يتلفها الاسبان حين تدويخهم لتلك البلاد في القرن الخامس عشر والتي يرجع تاريخها الى سنة ١٧٦ ب . م ان علماء الفلك في شعب المايا كانوا يفوقون معاصريهم من الرومان

ولا يخفى ان أساس التقويم هو معرفة طول السنة الشمسية معرفة مدققة . ولما كانت السنة الشمسية تتألف من ٣٦٥،٢٤٢٢ من اليوم أو ٢٩،٥٣ من الشهور القمرية فمن المتعذر قسمة دورة الارض حول الشمس أو دورة القمر حول الارض في دورانهما حول الشمس الى اقسام متساوية. فجاءت السنة في التقويم اليوليوسي الذي بقي مستعملاً في اوربا حتى سنة ١٥٨٢ وفي روسيا الى بضع سنوات خلت اثنتا عشرة دقيقة أطول مما يجب ان تكون. ولما غيرت روسيا التقويم اليوليوسي واستبدلتهُ بالتقويم الغريغوري كان هذا الفرق قد اصبح نحو اسبوعين

ولكن علماء المايا كانوا قد حسبوا طول السنة قبل ذلك بألفي سنة فجاء حسابهم دقيقاً جداً لا يخطىء الاَّ يوماً واحداً في كل ٢١٤٨ سنة يقابل ذلك في تقويمنا الحاضر خطأُ يومٍ واحد كل ٣٣٢٣ سنة

ولم يقف علماؤهم عند ذلك بل قاسوا بدقة غريبة دوران الزهرة حول الشمس والمرجح انهم قاسوا كذلك دوران المريخ ومن المحتمل أنهم قاسوا دوران المشتري وزحل وعطارد وبنوا على دوران الزهرة حول الشمس تقويماً كان يستعمل لتصحيح ما قد يقع من الخطإِ في التقويمين الشمسي والقمري وكانوا يعلمون ان ثماني سنين شمسية تعدل خمس سنين من سني الزهرة وان ٦٥ سنة من سني الزهرة تعدل ١٠٤ سنين شمسية وقد وجد في بعض التقاويم المنقوشة على الصخور حسابات تمتد الى ٣٤١٥٦ سنة وكان تقويمهم يشتمل على ايام وشهور كل شهر منها عشرون يوماً وكان يدعى « وينال » وعلى سنين كل سنة ٣٦٠ يوماً وتدعى «تُن» وعلى عقود كل عقد منها عشرون سنة ويدعى « كاتون» وعلى عصور كل عصر منهُ ٤٠٠ سنة ويدعى« باكتون»

واذا صرفنا النظر عن تفوقهم العقلي على ما هو ظاهر في معارفهم الفلكية والرياضية رأينا انهم بنوا اهرامات تساوي اهرامات مصر في ضخامتها أو تفوقها. وكان نقشهم للاحجار وصقلهم لها من أعلى مرتبة بلغها صناع العالم القديم وامتازوا بالتصوير وصياغة المعادن وتنزيلها بالحجارة الثمينة وفاقوا في بعضها رجال الفن المصريين

وكانت اكثر مبانيهم من الحجر بلغوا فيها من الاتقان ودقة الصنع اعلى ما بلغهُ البناؤون في مصر واليونان وورومية . ولكنهم لم يوفقوا الى اكتشاف المبدإ الذي تبنى بهِ القناطر فمنعهم ذلك من الارتفاع بمبانيهم الى اكثر من طبقتين . اما البرج المبني من أربع طبقات الذي وجد في بالانك بجنوب المكسيك فخروج على القاعدة ولا يقاس عليهِ

واشتهرت دولة المايا التي نشأت في غواتيمالا بالنقش في الحجر اكثر من اشتهارها بفن البناء . واما الدولة التي خلفتها في يوكاتان وازدهرت بين القرن العاشر والقرن الخامس عشر للميلاد — قبيل احتلال الاسبان للبلاد — فامتاز البناؤون فيها على النقاشين

وتاريخ هذه الدولة الجديدة مدوّن في كتب كثيرة من كتب المايا تدعى كتب شيلام بلام وُزّعت ونُشرت بعد ما اتلف الاسبان اكثر مدوّنات كهنة المايا. ولكن المؤرخ الذي يعنى بتاريخ الحضارات الاميركية القديمة لا تهمه هذه الكتب بقدر ما تهمهُ الكتابات المنقوشة في الصخور في ايام الدولة القديمة . ففي غابات غواتيمالا لا تزال آثار فلكيي المايا ماثلة للعيان لانها منقوشة في الصخر . والظاهر ان هؤلاء الفلكيين كانوا يقيمون كل سنة خامسة شاهداً حجريًّا ليكون جزءًا من تقويم او تاريخ عام . والمرجح ان سبع عشرة مدينة على الأقل كانت مزدهرة في غواتيمالا حينما بلغت دولة المايا الاولى ذروة مجدها نحو سنة ٥٢٠ ب.م وفي ذلك العصر كانت حضارتها من طبقة أرقى الحضارات المزدهرة حول البحر المتوسط حينئذٍ وتفوق من بعض وجوهها أرقى ما بلغتهُ الشعوب التوتونية في اوربا الشمالية في ذلك العصر

اما كيف انحطت دولة المايا وغادر الشعب مدنهُ الزاهرة تنعق فيها البوم والغربان فلا يزال سرًّا مكتوماً حتى الآن . ويسند بعض العلماء ذلك الى تفشي الحمى الصفراء بينهم ويقول آخرون ان حرباً اهلية طاحنة نشبت بين طوائفهم بادوا فيها ويقول آخرون ان تغيراً فجائيًّا في الطقس والتربة جعل الحصول على مقدار كافٍ من الطعام متعذراً . وما حدث في القرون الثلاثة التي تلت خراب هذه الدولة واضمحلالها وسبقت ظهور الدولة الجديدة في يوكاتان سرٌّ آخر لا بدَّ ان يكشف عنهُ البحث



رأس حجري منقوش في جدار
هيكل بيوكاتان . ويكاد يكون ناطقاً على قِدمهِ



تمثال اقيم على مذبح هيكل في
بلدة پالانك بيوكاتان (اميركا المتوسطة)

مقتطف نوفمبر ١٩٢٨
امام الصفحة ٣١٤

الدكتور يعقوب صرّوف

١ — الاقتصادي والعصامي

تحدث الينا الكتّاب عن المغفور لهُ الدكتور يعقوب صرّوف كاتباً واديباً وشاعراً ومؤرخاً فذكّرونا بمكانة الراحل الكريم العلمية وبفضلهِ على لغة الضاد بما جدد فيها وحبّر والّف ونشر زهاء خمسين سنة كان صرّوف فيها الكوكب المنير والعلَم الذي يهتدى بهِ. ونحن نرى الآن آثار اصلاحه من تهذيب في تعابيرنا الكتابية ومن انقلاب في طرق تفكيرنا فصرنا اميل الى قبول الجديد واسرع الى التمحيص طلباً للحقيقة التي كانت ضالتهُ المنشودة فلا نحفل من رأي يخالف تقاليدنا ولا نرتعش من بحث لا يتفق مع عقائدنا. الاَّ ان الكتّاب الافاضل الذين كتبوا لايفاء الفقيد الكريم حقهُ من الفضل لم يتكلموا عن مكانة الفقيد في الاقتصاد وفي تمثيلهِ العصامية وما عاد من منافعها على قراء المقتطف خاصة وعلى الشرق عامة وهذا ما أرجو بيانهِ في هذا المقال

وقبل الخوض في الموضوع ارى من الضروري ان اوضح ما اقصد من كلمة « اقتصاد » وكلمة «عصامية» تمهيداً لما اريد كتابتهُ عن مكانة الفقيد فيهما

فكلمة « اقتصاد» تساير اليوم كلمة « الادب ». هذا يشمل علوم اللغة وفنونها وكلمة «الاقتصاد» تشمل جميع الاحوال المعاشية من زراعة وصناعة وتجارة وتلك تجمع اليوم موارد المعاش للافراد والامم وعليها يتوقف رخاء الشعوب وتقدمها في مدارج العمران

اما العصامية فتطلق للدلالة على الرجل الحازم المقدام الذي يقدم على العمل لتكوين نفسهِ بنفسهِ فيشيد لهُ مكانة ونخراً بين تزاحم المزاحمين ومنافسة المنافسين لا يعول على مال ولا وسيط بل يعتمد على قواهُ ومواهبهِ الخاصة فيصل الى حيث يزيد من اعتبار الناس ويبني مجدهُ بيده

اما ان الدكتور يعقوب صرّوف كان من رجال الاقتصاد ومن نوابغهم بل ومن زعمائهم ايضاً فتشهد لهُ بذلك كتاباتهُ في المقتطف وما والاهُ بنفسهِ من فنونهِ في حياتهِ الجامعة لاننا كلنا نشهد لهُ بالتفوُّق في كل ما كتب وعمل في باب الزراعة التي عرف لها خطورتها في البلاد الشرقية وخصوصاً في الديار المصرية فخصها بمقالات ممتعة ارشد القراء بها الى وسائل زيادة الانتاج من اصلاح التربة واختيار البزور وانتخاب

السلالات واستعمال الاسمدة واتقان طرق الري وتنقية الحشائش ومقاومة الآفات فكان يفرد لكل موضوع منها مقالات يختار للتعبير في كتابة حقائقها ابسط الكلمات حتى الالفاظ العامية لتعميم فائدتها عند الخاصة والعامة فلا تفوت البلاد منافعها . ولم يقتصر في كل ما كتب في الزراعة على نقل نتائج اختبارات الآخرين الزراعية التي كانت تصل الى علمهِ فينشرها بل كان يتحراها في زراعاتهِ الخاصة ويأتي على ذكر اختباراتهِ الشخصية فيها فكان يقرن العلم بالعمل ويعوّل الكثيرون على قولهِ حتى كان المقتطف المنبر الوحيد — الى حين — بين المجلات العربية الذي يجد فيهِ الناس وسائل الارشاد والاسترشاد في هذا الموضوع الحيوي العظيم فيتبارى فيهِ المتبارون ويتسابق اليهِ المزارعون

كذلك حال الدكتور صرُّوف في الصناعات ففي ابواب المقتطف فصول عديدة ومقالات كثيرة كان ينشرها عن الاكتشافات والاختراعات وعن الصنائع والفنون فكان من يطالع المقتطف يطلع على كل ما جدَّ منها شهراً فشهراً ولا تفوتهُ شاردة ولاواردة من تقدم الصناعات ورقيها على اختلافها . ثم انهُ لم يكتفِ بما تقدم من عنايتهِ بتنوير الاذهان بل جعل من المقتطف مدرسة يتلقى فيها طالب الصناعات دروساً علمية وعملية كمقالاتهِ في صنع الزجاج والاصباغ ومفعولها ودودة الحرير وتحليل حريرها ثم صقلهِ ونسجهِ وبصمهِ وكذلك في الجلود ودبغها والسكر وتكريره واستخراج المعادن وسبكها . ولهُ في هذا الباب اليد الطولى وآراء معلومة في وضع الحروف الكتابية المستحدثة ناهيك عن اجابتهِ عن الاسئلة العديدة التي كانت ترد على المقتطف تباعاً في الصناعات فكان يجيب عنها اجوبة صائبة تدل على معرفة وتقصٍّ في موضوعاتها كانهُ احد العاملين فيها

عرف الدكتور صروف اهمية الزراعة والصناعة كما قدمنا فعمل على تشويق الناس وترغيبهم في معاطاتها لانهما الموردان الحقيقيان لرخاء الامم ورفاهيتها ولكي يزيد تشجيع الناس على الاقبال عليها لم يتأخر عن نشر الاحصاءات العديدة في مدة مزاولتهِ للكتابة لارشاد الناس الى مقادير الانتاج في مختلف الانواع الزراعية والصناعية وعن الاتيان على ذكر مواضع الانتاج والاستهلاك ليطلع عليهما صاحب الزراعة او الصناعة فيعلم منها ايضاً انتقال الغلال من بلد الى بلد في اسواق العالم التجارية حيث تنفق العروض فكان في ذلك للتاجر المصري مرشداً حتى يعمد الى اختيار اوفق الاسواق لمصالحهِ فتستفيد البلاد من استيراد انواعها الجيدة بأرخص الاثمان واقل النفقات

فالدكتور صروف كما اوضحت عمل في الزراعة والصناعة والتجارة علميًّا وعمليًّا. فألّف فيها ونشر في موضوعاتها كثيراً من المباحث فلا يخلو عدد من اعداد المقتطف من مقالات في هذا الباب كما انه عمل بها عمليًّا فتعاطى شؤون الزراعة في اراضيهِ الواسعة وشؤون الصناعة في مطبعة المقتطف والمقطم حيث كان يراجع مسودات ما يطبع من المطبوعات فيها ويعنى العناية كلها باتقان تلك المطبوعات وجمال مظهرها وما يتعلق بترويجها بما كان يختار من الطرق لنشرها وتوزيعها ولبيع حاصلاتهِ الاخرى . فهو من هذا القبيل الرجل الجامع الذي ينطبق عليه القول انه رجل الاقتصاد بكل ما في هذه الكلمة من معنى علماً وعملاً وقد ختم حياتهُ الاقتصادية بالآراء التي كان يسديها في موضوع القطن ونحن لا نتعرض لنظرياتهِ المذكورة ومما يذكر لهُ اخيراً مجاهرته بالرأي الخاص بمبدإِ الاحزاب السياسية المصرية وبوجوب جعل حزب اصحاب المصالح الاقتصادية في البرلمان هو حزب الاكثرية لانهُ عرف ان بعد نيل مصر الاستقلال لا تقوم قائمة لها الاَّ اذا نالت مكانها في عالم الاقتصاد فيجب ان تسعى اليهِ وتذب عنهُ بما تستطيع من قوة لكي تتمكن من صيانة نفسها وضمانة مستقبلها فالواجب اذاً تقديم هذا على كل ما سواه لان المال قوام الامم وسبب الرخاء كما هو مسبب الاحن وقد اسهب في هذا الموضوع في روايتيهِ فتاة مصر وفتاة الفيوم ومن يرجع اليهما يرَ كثيراً مما تحقق من آرائهِ البعيدة في حياة مصر الاقتصادية

***

وعندنا ان عناية الدكتور صروف بالموضوعات الاقتصادية وصدق آرائهِ فيها يرجع الى انَّ الدكتور صروف درج وعاش عصاميًّا وهي ميزة اهل العبقرية والنبوغ في كل الامم وفي جميع الاجيال تمكن صاحبها من استيعاب الاحكام الصادقة في نظرياتهم البعيدة التي تخفى على كثيرين ممن تربوا التربية المخالفة لتربية العصامي . فهذا يدرك الامور بما تحلى فيهِ من بداهة وذكاء لان تحصيله العلم يقترن بتحصيل المال نفسه مما يميزهُ عن ذلك السري الذي ورث المجد عن ابيهِ فاقتصرت مواهبه على معرفة الدائرة التي هو فيها فلا ينظر الى ابعد منها ولا يطلب بعدها من مزيد . اما الرجل العصامي فيخرج الى معمعان الحياة لا يستند الى سند اب او حماية قريب او الى مال او عقار موروث بل يجد بعكس ذلك ابواب التقدم مغلقة دون اماله وامانيه بل ان المعاكسين يتربصون لهُ الفرص للشل من جهوده واستغلال قواهُ في ترويج مصالحهم فيدفعهُ

حب المجد الى شق طريقهِ بنفسهِ فيعمل على ايجاد الوسائل محاولاً تذليل الصعاب ولهذا تقوى فيهِ غريزة الاعتماد على النفس كما تقوى فيهِ قوة الاستنتاج والحكم فيعمل بهما ويتقدم الى الامام لا ينظر يمنة ولا يسرة بل يرمي الى الوصول الى غايتهِ فيبلغها مهما عاكستهُ الاحوال وحالت دونهُ الصعوبات. يدلك على هذا في صروف هجرتهُ الى بلاد مصر وما تحلى بهِ من حزم وثبات رغم ما قام في وجهِ اعمالهِ من عقبات. واليك دليلاً آخر يدلك على نفس صروف العصامية وهو ترجمتهُ كتاب سر النجاح لانهُ رأى في تاريخ اولئك العصاميين الذين اتى على تراجم اخبارهم وشاد بذكر هممهم واعمالهم ما جعل كتابهُ هذا المنبه الاول في لغة الضاد والدافع للكثيرين للنهج على منهاج اولئك الاساطين في الصناعة والتجارة فاستفادوا منهُ وخلفوا ما يقارب من مجد اولئك اذا راعينا النسبة بين الاوساط والامكنة والوسائل

هذه لمحة من حياة الدكتور صروف الاقتصادية والعصامية رأيت من الواجب اذاعتها لتكون مثالاً للشباب الناهض وليعرفوا ميزة هذا الرجل الذي بدأ حياتهُ بالتعليم والتثقيف فكان يخيل الى الكثيرين انهُ سيسير سيرة اهل العلم المعروفين في الشرق في عصره كما نعهدهم ، يخلدون الى طلب العلم على طريقة العرب من التبحر في قواعد الصرف والنحو والتوسع في البيان والبلاغة والفقه فيقف عندها يجادل في رأي سيبويه والخليل والشافعي ومالك قانعاً بهذا الرذاذ من العلم وبالكفاف من العيش كسواه من العلماءِ لا يغتفرون للعالِم الطمع بالحياة وبالجاه والرفاهية والمال . ولكن جاء صروف فخرج عنهم طالباً العلوم الرياضية والفلسفية معتنياً بالحياة في كل معانيها فاثبت للعالِم حقهُ منها وان طلبهُ العلم يسهل عليهِ العمل فينال حظهُ من المعرفة ومن الرخاءِ. فحيا الله صروف حيًّا وحيا الله صروف ميتاً فقد عاش ومات وهو مثل الاصلاح رحمهُ الله

ثابت ثابت

---

٢ — صروف في معاملاته

مثال اعلى للانسانية

« لديَّ محكمة غير المحاكم الاهلية والمحاكم المختلطة وهي محكمة الضمير محكمة الوجدان محكمتي انا هذه المحكمة تقول لي انهُ يجب عليَّ الخ »

هذا ما كتبهُ اليَّ المرحوم من جواب على خطاب في شأن عرضتهُ عليهِ من الشؤون التي كنت اشرف عليها لمصلحتهِ وهو ترديدٌ لبعض ما كان يقولهُ لي ويعمل بهِ ويريدني عليهِ — والمثل يقول : استفت قلبك وان أفتوك . لقد كان رحمهُ الله قانون نفسه

كلفني منذ سنين ان اتم عملاً لهُ بهِ علاقة كبيرة وكان الموظف المدير لهُ قد اساء تدبيره فحصلت بسببهِ منازعات يهم المرحوم فضّها فكتبت مذكرة عن احدى قضاياهُ سردت فيها وقائعها باسلوب توخيتُ فيهِ مصلحتنا ووجهة نظرنا وأغفلت وتحيقت ذكر ما هو لمصلحة خصمنا فاعترض عليَّ المرحوم فأجبتهُ انني بهذه المذكرة ادفع مزاعم خصمنا بالاسلوب الذي كتب بهِ مذكرته فانا مضطر لمصاولته في ميدانه وأخشى ان بسطت الامر كما هو ان يأخذ الخصم من اعترافنا ما يوافق مصلحتهُ وينكر علينا مالا يوافقها فنخسر القضية بصراحتنا وانكاره ففكر المرحوم قليلاً ثم قال « لا تعرض عليَّ شيئاً كهذا فاذا اضطررت فافعل ما تراهُ فاني لا استطيع ان اوافق الاَّ على ما اعتقدهُ حقاً وعدلاً »

وطلبت اليهِ مرة ان يتوسط لي عند احد الرؤساء في امر يهمني ورجوتهُ ان لا يخبرهُ اني بمصر اذا سأل عني فاجابني « اود ان اجيب طلبك في هذا ولكن لساني لم يتعود الاَّ الصدق فأخشى اذا سألني ان يسبق لساني الى ما تعودت . سافر أنت وأنا اخاطبك حالاً بما يكون »

« والوزن في بوليسة الشحن ١٣٢٤ كيلو ولكن يقول وكيل المحل الذى اشتريت منه هذه المواسير ان وزنها الحقيقي ١٨٣٠ ولكنه برطل الوزان بريال لكي يخفض اجرة الشحن وانا مرتاب في قوله ولو كنت موجوداً لما قبلت منه مطلقاً ان يغش الحكومة فيحسن ان تزنوها »

هذا ما كتبهُ اليَّ من خطاب والامر فيهِ ظاهر انهُ لا يقبل ان يغش أحداً حتى الحكومة في امر صغير كهذا يعدّ في عرف الجمهور الآن من صغائر اللمم

واذكر انهُ في بعض القضايا التي لهُ بها علاقة كبرى — عرضت عليهِ أنهُ يمكن الصلح فيها بفائدة لجانبهِ اذا عرضهُ بنفسه على صاحب الشأن فيها وهو من كبار الاعيان فأبى قائلاً « أخشى ان لا أجد عندهُ ما احب فيشتد عليَّ الامر اكثر مما لو كان الرجاء لغيري » فراجعتهُ وطمأنتهُ وعرضت عليهِ ان لم يذهب هو فليكلف .... فاجابني أنا شيخ ومريض فيصعب عليَّ ان اسافر في عمل يحتمل ان لا اجد فيهِ ما أحب . كم يفوتنا من هذا السعي ؟ الفا جنيه . أحسبهما بعض ما خسرنا او كسبنا فهذا

احب لي » فلمح عليّ عدم الارتياح فقال « اعرض انت اذا شئت على .... فهو اقدر مني على السفر ويستطيع في هذا الامر لي مالا استطيعهُ لنفسي »

« المبدأ الذي نجري عليهِ في تخفيض ما لنا على المستأجرين المتأخرين هو اما ان زراعتهم لم تسدّد ما عليهم حينذاك أو انهم افتقروا بعد ذلك فلم يعودوا قادرين على التسديد او انهُ لم يبق لي سبيل لتحصيل كل مالي عندهم فأقبل جزءًا منهُ »

هذا ما كتبهُ لي لمعاملة مستأجري ارضه المدينين وكان وكيله قبلاً قد رفع عليهم قضايا فكتب اليّ الدكتور في ذلك يقول : « وقد دفع فلان كذا جنيهاً رسماً لهذه القضايا على غير ارادتي الخ . » وكان بيد احد المستأجرين اتفاق وعلى الاتفاق كلمات تدل على انهُ (خالص من الدين) زعم انها بخط وامضاء هذا الوكيل ولكن هذا انكر ذلك في جواب ارسلهُ اليَّ فرأيت ان ارفع دعوى على المستأجر فعرضت الامر على الدكتور وقلت ان وكيله سيسأل في الموضوع بالمحكمة واذا ثبت ان الامضاء امضاؤه فربما ينالهُ شيء من الضرر ولو من وجهة ادبية فطلب ان ارسل اليهِ الاتفاق اولاً فلما اطلع عليهِ كتب اليَّ يقول : «دع المستأجر فأني ارجح صحة قوله وان يكون فلان الوكيل قد نسي ومهما يكن فاني لا أريد ان ينالهُ أي ضرر وانا لا أريد ان يضر احد بسببي الخ ..»

لقد كنت حينا اشاهد شفقتهُ ورحمتهُ بمن دونه وتسامحه مع من يساويه اذا ظفر بهِ فما احسبهُ واللهِ الا مثالاً حيًّا لروح الرحمة الشائعة في آيات الانجيل وكنت حينًا ارى شدته في التمسك بحقهِ وحماستهُ في مدافعة من يدافعه عنهُ احسبني امام مؤمن يدافع عن يقينه او امام شاب تدفعهُ قوة الشباب الى الدفاع عن حرمه ومع ذلك كان لا يلبث ان يعود الى تسامحهِ ما وجد الى ذلك سبيلاً . كتب اليّ يقول عن خلاف بينهُ وبين احد معامليه « لا بد أن آخذ حقي كلهُ . ولو قال لي ان هذا حقك واريد ان تسامحني فيهِ فلربما كنت اقبل ذلك عن طيب خاطر »

كان بينهُ وبين احد جيرانهِ في الاطيان خلاف على قطعة ارض طال النزاع بسببها حتى انقلب الى تقاطع شديد وحدث وانا عنده ان وقع ذلك الجار وهو عمدة في امر اكربهُ وانهز ذلك بعض خصومهِ لتنضمَّ اليهم في مناوأته فأبى رحمهُ الله وقال : «لا يليق بي ان استغلَّ مصيبة جاري» وكان ذلك بدءُ حسن التفاهم بينهما فلما تم قال لي : « ان ما تم اليوم قضى على آخر ما كان بيني وبين جاري من سوء التفاهم وكم كنت اود ان يتم فالحمد لله »

ووجدت بخطه على كتاب اهدي الى المقتطف « لا يقرَّظ » فسألتهُ لِمَ ؟ فقال « ان مؤلف الكتاب نظر الى موضوعهِ من وجهة واحدة معتمداً على مصدر واحد فجاء الكتاب بعيداً عن الاعتدال والصواب ولا استطيع ان اقرظ كتاباً كهذا الاَّ اذا أشرت إلى ما ذكرت وحينئذٍ لا يسكت مؤلفه وانا اكره الجدل وعندي من المواضيع المحققة النافعة ما هو أولى بوقتي »

دعاني مرة لمرافقتهِ في معاينة أطيان جهة شربين بالغربية ثم عرض ما يُفضّل معهُ تأجيل قيامهِ من مصر وكنتُ وصلت اليها مساءً على نية ان نسافر معاً صباح اليوم التالي فقلت لهُ لا بأس من التأجيل وكنت حينئذٍ موظفاً في احدى المصالح فقال لي « ان وقتك ليس ملكك فلنذهب في القطار الاول ونعود في القطار التالي » ولما وصلنا الى المنصورة وكان يعرف ان أبني في مدرستها الابتدائية قال ان هذا يوم الخميس فلنأخذ ابنك معنا قلت لهُ أن ذلك يستدعي تأخير قيامنا من المنصورة ساعة ونصف ساعة قال لا بأس فلما أحضرت ابني أخذ الدكتور يمتحنهُ ويشجعهُ ويظهر لهُ الارتياح فقلت أن سنه كذا ولم يزل في سنة كذا فقال الدكتور « لا تعجل عليه ان العمر المناسب لبدء الدراسة الابتدائية تسع سنين وخصوصاً اذا لم يكن الولد قوي البنية جدًّا . ان الولد اذا دخل المدرسة صغيراً ضعف جسمه وعقله وتأخر في الدرس وسقط في الامتحانات أما اذا دخلها بعد ذلك السن وهو قوي الجسم والعقل فانهُ يعوض ما فاتهُ باستمرار تنقّلهِ في الفصول بدون تأخر » وما أصح هذا !

ولما اخذنا في الاتفاق على ان اضع مشروعاً اصلاحيًّا لبعض اطيانهِ واطيان اخرى كان في النية مشتراها حصل اخذ ورد في بعض الاشتراطات فقلت لهُ لاداعي لوضع شروط واني واثق بحسن رأيك وعطفك فقال « اني اريد ان احتاط لمستقبلك فانت ذو عائلة واخشى ان يحصل شيء فيتعبك ورثتي فاكتب التعويض الذي تريدهُ اذا ارادوا اخراجك »

وكان رحمهُ الله وانا باطيانهِ يأتي اليَّ فيمكث يوماً فاكثر فكنا اذا انتهينا من العمل نتحادث في مواضيع شتى وكان يسر حينما يرى اولادي يأنسون بهِ وقد كان يلاطفهم ويرشدهم الى الطريقة المثلى في الاستذكار وحفظ الصحة ورأى خط ابني دون ما يجب فكان يوصيهِ « بالتمرن على الاعمال اليدوية واجادتها ويحثهُ على انعام النظر في الاشياء حتى تتربى فيهِ ملكة الملاحظة والانتباه » وكان اولادي يفرحون بوجوده

ومحادثته لانهُ كان غاية في اللطف والرعاية وكان اسلوبهُ غاية في السهولة والافادة وكان يقول لي ان كتب الاحداث يجب ان تكون من وضع اكبر الاساتذة

وكنت استمدُّ رأيهُ في بعض المسائل فكان يجيبني بطريقته البديعة في التمثيل فمن ذلك

« اذا كنت ساكناً في منزل لا ترضاهُ فهل تهدمهُ وتظل في العراء او تبني غيره اولاً » هذا ما يقوله في مقابلة الآراء الثائرة بعنف على بعض المعتقدات الدينية والمذاهب الاجتماعية

وقوله « ايهما احرى اذا دخلت قصراً من القصور ان تنزه نفسك في محاسن بنائهِ ومشتملاتهِ او ان تقف بجانب مرحاضه متأففاً ، لماذا لا تنظر الا مساوئ الناس دون محاسنهم ؟ يجب ان لا تذكر المساوئ الا للعبرة بها والتنفير منها اما ذكرها وحدها للحطّ من اقدار اصحابها وتسويء سمعتهم والتشفي منهم فليس من الصواب في شيء »

نهاية كل حي

كانت فكرة الموت تساوره قبل وفاته ببضع سنين وكثر ترددها على لسانهِ بعد وفاة اخويهِ. نظر مرة الى بستان حديث بجوار منزله فقال « اتظن اني اعيش حتى اقطف ثمراتهِ ؟ »

زار في آخر مرة اطيانهُ في الفيوم وكانت آثار المرض بادية عليهِ ثم اشتدَّ عليهِ المرض في المساءِ اشتداداً اقلقني فكان مما قالهُ لي حينئذٍ « انا لا اخشى الموت فـ ٧٥ عاماً قضيت منها ما ينيف على الـ ٥٠ احمل القلم عمر كبير ولكن اريد ان اموت في بيتي بمصر فاجتهد ان توصلني اليهِ حيًّا »

لقد كان رحمهُ الله يرى « انهُ ليس من المعقول ان تكون نهاية الانسان بعد هذا التطور والرقي الفناء المطلق . لا . وان قصور وسائلنا عن ادراك ما بعد الموت لا ينفي وجود تطور آخر للانسان كروح ذلك الوجود الذي يقتضيهِ النظر الفلسفي وكثيراً ما كانت الفلسفة رائد العلم الى الحقائق »

واني لارجو ان يكون الآن قرير العين في الحياة الاخرى التي كان يعتقد بها فلسفيًّا ويحاول الوصول لاثباتها او تعرفها باسلوب علمي

اتكون مثل عواطف صرّوف ، وعقله ، وحكمته ، مصيرها الى الفناء ؟ اذاً يكون هذا الخلق وتطوره عبثاً في عبث . تعالى الصانع الحكيم عن ذلك « ما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين » صدق الله العظيم

احمد الالفي

باب المراسلة والمناظرة

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناه ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان . ولكن العهدة فيما يدرج فيه على اصحابه فنحن براء منه كله . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ويراعى في الادراج وعدمه ما يأتي : (١) المناظر والنظير مشتقان من اصل واحد فناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيره عظيما كان المعترف باغلاطه اعظم (٣) خير الكلام ما قل ودل . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطولة

الموسيقى العربية أمّ الموسيقى الاسبانية

ساعة مع الدكتور ادموندو كورايا لوبّس

من حسنات النادي الفينيقي[1] في ريوده جانيرو انهُ بات مزاراً للكثيرين من ادباء البرازيل والبرتوغال وكبار رجال الفن والقلم منهم ولا غرو فهم يرون فيه صورة الثقافة الشرقية والأدب العربي فيستفزهم الشوق للاتصال به بعد ان قرأوا ما قرأوا عن حضارة العرب في الاندلس والبورتوغال وبعد ان قام فريق من لغويهم يبحث في اصول اللغات متأثراً مصادر الكلمات العربية الفاشية في اللغة البورتوغالية . ومن الذين اموا النادي الفينيقي الدكتور ادموندو كورايا لويس البورتوغالي وهو كاتب مجيد وموسيقي مشهور له في الموسيقى مؤلف قيم تناول في بعض نواحيه الموسيقى العربية وآثارها في اسبانيا

ضمني النادي الفينيقي والدكتور لويس عصر يوم احد وكانت الموسيقى العربية مدار البحث بيننا فقلت له : اتستطيع يا استاذ وانت احد كبار الموسيقيين ان تجلو لي بعض ما غمض من تاريخ الموسيقى العربية في الاندلس

ج — لم يبق من غامض في تاريخ الموسيقى العربية فهي أُم الموسيقى الاسبانية واسبانيا اليوم هي أم الموسيقى العالمية وكفى . ثم قال ان الابهام ظل زمناً طويلا يكتنف

(١) هو نادٍ أنشأته الجالية السورية هناك

تاريخ الموسيقى الاسبانية حتى قام المستشرق الاسباني خوليان ريبارا فأماط اللثام عنه واصبحنا اذا نحن احتجنا الى البحث في الموسيقى ال Classiqne لجأنا الى الموسيقى العربية واتخذناها مسنداً

س — ما الذي ادلى به هذا المستشرق الاسباني

ج — ان خوليان ريبارا[٢] يردُّ موسيقى القرون الوسطى الى اصل عربي ويقيم الادلة والشواهد على ذلك

س — ألم تكن الموسيقى معروفة في اسبانيا قبل دخول العرب . أوَلم يكن للاسبان موسيقى شعبية كسائر الامم ؟؟

ج — ان الموسيقى قديمة العهد وقد رافقت النشوء الانساني لانها مظهر من مظاهر الحالات النفسية وقبل دخول العرب اسبانيا لم يكن هناك سوى الموسيقى المدعوة Ficta وهي مجموعة الحان كنسية مأخوذة عن اليونان وكان القسوس يحرصون عليها جد الحرص ولم تكن الموسيقى الشعبية الا فرعاً ضئيلاً منها. ولما جاء العرب وازدهرت حضارتهم وتموجت انغام الزجل والحجاز في افق اسبانيا اتصلت بها الموسيقى الشعبية واكتسبت روحاً جديداً فنشأت عند ذلك الموسيقى الاسبانية ونحن ندعوها الاسبانية العربية

س — الم يقم قبل خوليان ريبارا من دعا الى حفظ ذمام الموسيقى العربية والاعتراف بفضلها على الموسيقى الاسبانية على كثرة المشتغلين بهذا الفن تحت سماء اسبانيا ؟

ج — نعم ولا شك ولكن خوليان ريبارا كان ادقهم نظراً وأوسعهم بحثاً وقد قصر همهُ سنين عديدة بعد ان تولى تدريس العلوم الشرقية في جامعة مدريد على درس العربية وحذق موسيقاها وقد ساعداهُ في ذلك ان Juan Roiz و Julio Vicente الاسبانيين رسما له الطريق حتى ان هذا الاخير كان يقول ان الموسيقى الغربية مدينة بسلمها الى Orabi وهو مغنٍ اندلسي كان يتغنى بأزجال تكثر فيها كلمة (قلبي) Calby ولو قيست مقاطع هذه الازجال لكادت تكون دو ره مي فا سو لا سي

س — يبدو لي يا استاذ ان كلمة orabi هذه لا تدل على إسم مغنٍ اندلسي فهي عندي ترجمة للفظة (عربي)

(٢) في كتابيه La musica de las cantigas . La musica Andaluza

ج — لا اخال ذلك لان Julio Vicente يقول Este es el ealby orabi وهو يزعم ان هذا الزجل الذي كان يغنيه « اورابي » Ei calby solfamifaredo في انتظام ديوانه ينطبق على sol fa mi fa ré do

س — ولكن الموسيقي العربية لم تكن ذات روابط بل كانت سماعية أليس كذلك

ج — ان الموسيقى العربية لم تكن لها رسوم خطية notes ولكنها ذات روابط وضوابط وقد كانت عند العرب علماً رياضياً كما هي اليوم عندنا وقد افاض (الفارابي) العلامة العربي المشهور في شرح قواعدها وعنهُ اخذ المشتغلون بالموسيقى الغربية . ولو كانت الموسيقى العربية خلواً من النظام الفني لما استطاعت ان تخلف لاوروبا هذه الموسيقى التي تتمتع بها الآن

س — انني على قلة إلمامي بهذا الفن اعلم ان للموسيقى العربية سبع مراتب ولكل مرتبة سبع درجات فالاولى : يكاه . عشيران . عراق . رست . دوكاه . سيكاه . جهاركاه. والثانية : برج النوى .الحسيني . الاوج . الماهور . المحير. البزرك .الماهوران الخ . . . فما الذي اخذتموه عن هذه الاوضاع وهل يصح القول ان هذه المراتب او الابراج كانت من الموسيقى العربية بمنزلة الرسوم الخطية (Notes) من الموسيقى الغربية

ج — هو كذلك وقد اقتبسنا كل قواعدها على وجه التقريب وتعرف عندنا بـ Gammes خذلك مثلاً قياسات الابعاد بين كل برج واخر وضبطها وعدد الاهتزازات وتقسيم الالحان وافترانها ورجوعها بحيث ترى ان كل لحن ينتهي في برجهِ وهو ما ندعوهُ finir dans le ton ثم قلب اللحن والقرار transposition و changement

زد على ذلك ان التقسيمات التي نوعها الفارابي ووضع لها اسماء منها الشحاج الاعظم والصياح الاعظم والكمال الاعظم (هكذا في الاصل العربي) نجدها في الموسيقي الغربية تحت اسماء octave, quinte, tierce, واتصال المراتب بعضها ببعض في الجواب والقرار فيما نسميهِ octave supérieur, octave inférieur وهكذا دواليك . . فترى اننا احطنا بكل اصول الموسيقي العربية مع اضافة وحذف ما قضى بهِ التطور الفني ودعا الى ايجاد آلات حديثة لهُ

س — اتعتقد بان الموسيقى العربية الصرفة هي اطيب وقعاً من الموسيقى الغربية الجديدة وهل هي اغنى وارحب منها . والى اي حدٍّ من حدود الابداع وصلت

ج — ان الموسيقى العربية هي عندي اوسع واغنى من الموسيقى الغربية لولا ان

لهذه ميزة اجتماع الالحان الكثيرة في وقت واحد ولكن هذا في عرفي انفى لجمال اللحن mélodie فالموسيقى العربية هي الطف روحاً واشد استثارة للشعور النفسي واؤكد لك انها بلغت في عهد خلفاء بغداد وعلى عهد ازدهار الاندلس اقصى حدود الابداع فقد كان كبار المغنين يضحكون الناس ويبكونهم فجأة وكانت الآلات تحييهم بين ايدي العارفين الى مثل هذا التحول الغريب بل قام بين اولئك المغنين من كان يتميز بين مئات الاوتار وعشرات العازفات نغماً شاذاً فيقول يافلانة اصلحي الوتر الفلاني من عودك

س — ولكننا اليوم لا نرى بين ايدينا شيئاً من بدائع هذا الفن فما هي انجع الوسائل لكي تستعيد الحضارة العربية فنها المفقود

ج — يجب ان تعنوا اولاً بوضع الخط الموسيقى notation ثم بترويض البيانو وتعديله ليصير صالحاً لموسيقاكم لان ما لديكم من ذوات الاوتار وآلات النفخ والايقاع على كثرتها لا تفي وحدها بالغرض ولكن قبل كل شيء يجب ان يقوم فيكم من يعنى جد العناية بالموسيقى العربية فيدمجها بالثقافة لتصبح واضحة مجلوة لاني الى الآن لا اعرف موسيقياً عربياً عني في هذه الايام بدرس الادب الموسيقي ونشر الابحاث عنهُ

س — ان منا افراداً درسوا هذا الفن في معاهد اوربا وهم يعملون اليوم للتوفيق بين الموسيقى الغربية واختها الشرقية

ج — ليس هنا مجال العناية فالذين يدرسون في اوربا يخرجون موسيقيين غربيين اكثر منهم شرقيين فعلى الشرق ان يجمع بنفسهِ آثار فنهِ المبعثرة . واذا كان لا بد من الاستعانة بالغرب فاسبانيا هي وحدها التي تستطيع ان تعيد الى العرب موسيقاهم

اننا اليوم ندعو مدريد أم الموسيقى وقد بزّت ڤينا وبرلين وهي تحمل في صدرها بذور الموسيقى العربية بل ثمارها . فارسلوا البعثات الى اسبانيا وانا اكفل لكم النجاح

البريد . ريو ده جانيرو عقل الجر

وادي برهوت

خطأُ وصف المسعودي

حضرة الفاضل محرر المقتطف الأغر

جاء في المقتطف ج ٦ م ٧٢ في الصفحة ٦٣٤ فيما كتبهُ الفاضل امين معلوف نقلاً عن المسعودي رحمهُ الله تعالى ذكر وادي برهوت بحضرموت فقال :

وبعدها أطمة وادي برهوت وهي نحو بلاد أسفار وحضرموت من بلاد الشحر وذلك بين بلاد اليمن وبلاد عمان . وصوتها يسمع كالرعد من أميال كثيرة تقذف في قعرها بجمر كالجبال وقطع من الصخور سود حتى يرتفع ذلك في الهواء : انتهى بحروفه ولعله لا يخلو من سقط . وقوله نحو بلاد أسفار لعله بلاد ظفار أي ظفار الحبوظي لا ظفار اليمن فليراجع. ولأني من مستوطني حضرموت وقد وصلت الى وادي برهوت لرؤية تلك البقعة لكثرة سماعي عنها وحدثني عنها عدد ممن عرفتهم ممن دخل الى جوف المغارة منهم والدي رحمهم الله تعالى فاشتبه عليَّ حديثهم فذهبت اليها لا رى بعيني أحببت أن أقصَّ خبر ما رأيت مختصراً

فأقول أن وادي برهوت وادٍ بأسفل حضرموت بالشرق الشمالي يسيراً عن بلد تريم التي هي أشهر مدن حضرموت يبعد عنها نحو ٤٥ ميلاً وبعد وادي برهوت الجبل الذي يقال ان بهِ قبر النبي هود عليه السلام يبعد عنهُ نحو خمسة أميال وهو على يمين المنحدر من تريم. يدخل مريد الوصول الى ما يسمونهُ بئر برهوت من وادي عَدِم الى وادي برهوت وهو أحد الأودية التي تصب في وادي عَدِم وفيهِ آبار يحرث عليها بعض البدو وفيهِ شروج (١) يسقيها سيله اذا سال. وجبال الوادي غير عالية جداً وقد زرت عدداً جماً من البراكين في آسيا وأوربا فكانت الجبال التي بها البراكين أعلا مما جاورها وليس كذلك جبل برهوت وكانت فوهاتها في قممها وليس كذلك برهوت . ويوجد بقرب تلك البراكين المواد المصهورة والحمم ولا يوجد بجوار برهوت شيء من ذلك فيما رأيت وكانت زيارتي لهُ في شهر جمادى الاولى سنة ١٣٣١ هـ

وقد كان معي عدد من الرفاق والخدم فتركنا الدواب في بطن الوادي وصعدنا الجبل على الاقدام في طريق كانت صالحة لصعود الابل ولعلهم كانوا يأخذون الرماد من المغارة فيجعلونهُ سماداً للحرث ولكن الامطار خربت الطريق فتعذر صعود الابل فيها. وبعد تسلقنا في الجبل ربع ساعة وصلنا فم المغارة المساة بئر برهوت وقد بقي الى رأس الجبل اكثر مما صعدناه لأن المغارة كانت في جنب ذلك الجبل وهي مغارة واسعة فيها بعر الاوعال ومساحب الحيات وفيها صخور غير ثابتة بل يخاف من تزحلقها وسقوطها الماشي عليها وهناك عدة منافذ أو هي منافس قد سد بعضها ما جمعتهُ السيول

(١) أي الاراضي الزراعية

من صخور ووحول وما تجلبهُ الرياح وتصعده الابخرة من جوف الجبل ولم تكن معنا آلة نرفع بها الانقاض ونفتح لنا بها مسلكاً ووجدنا أحد تلك المنافذ يمكن الدخول فيهِ فتسلقنا الصفا ثم مشى زحفاً على البطن او على الظهر من شاء الدخول من الرفقة ووقف في فم المغارة البعض كما تخلف عند الدواب بعض الخدم وبعد قطعنا مسافة لا تزيد عن بضعة امتار في محل مظلم خلصنا الى محل واسع وفيه حفر كثيرة مختلفة السعة والعمق فيها رماد كبريت وحواليها صخور غير ثابتة وكان معنا فانوس وسرج وشمع فحملنا جميع ذلك وتقدمنا الى داخل الجبل وبعد كل هنيئة يتخلف بعض الرفقة وفي المحل الذي مررنا فيه تعاريج قليلة واتجاه سيرنا كان الى جهة المغيب غالباً وبعد دخولنا الى مسافة لعلها نحو ٥٠ متراً سطعت رائحة الكبريت فتخلف من بقي معي وتوهموا ان هناك طيوراً و.و. وليس هناك اثر لما توهموه . نعم في فم المغارة يوجد زبل الخفافيش وقد مشيت ومعي رجل واحد الى ان ضاق السرداب الذي نمشي فيه وظهرت امامنا عدة منافذ وسراديب حاولنا الوصول الى منتهى احدها فلم نصل ولم نمش بعد عود الرفقة الا نحو ١٥٠ متراً في المضيق . ولا يبعد ان ما بقي منه أكثر من ذلك والاقدام تغوص في الرماد الناعم الذي بأسفل السرداب كما تغوص في الماء وسقف السرداب اسود وفي بعضهِ مواد مترشحة لعلها مومياء جبلية ولم يحس أحد منا بثقل في التنفس ولا صداع ولم يؤذنا شيء سوى الحر ولو كنا اعددنا حبالاً نربط بها بعضنا ببعض او أخشاب يمكننا استعمالها كقناطر فوق الحفر ومشاعيب نتمكن بها من دفع الحيات ونحوها لان الرمي بالبارود يخاف منه ان تنهار السقوف وتطفى السرج ولو كنا تأهبنا لدخلنا الى مسافة ابعد . ويوجد بجوار ذلك الوادي آثار قديمة ضئيلة . وليس هناك دخان البتة فضلاً عن نيران وجمر ولا هناك صوت البتة ولم أرَ فيما قرأته من تواريخ بلادي ذكر شيء من هذا فلا ادري من أين ذكر ذلك المسعودي رحمهُ الله — وما آفة الاخبار الا رواتها — اما اخبار من خبرني عن برهوت وما رآه في مسالكها وكان دخولهم قبل دخولي بنصف قرن او ازيد فيختلف بعضه عما رأيتهُ . وبيسير من الادوات يمكن كشف جميع تلك السراديب وفتح المغلق منها وليس في ذلك صعوبة ولا كبير مشقة

حضرموت محمد الباقر العلوي

باب الزراعة والاقتصاد

فورد يتكلم : العمل قبل المال

لماذا لا يعتزل العمل وهو على هذا الجانب من الغنى

عظة لرجال المال والاعمال

اعظم المشكلات التي يعانيها ابناء العصر هي المشكلات القائمة على علاقة العمال بأصحاب المال . وفي ذلك نرى فورد نسيج وحده يضرب المثل الابلغ قولاً وعملاً بأن هذه المسائل يجب الا تكون . فما هي فلسفته المالية والصناعية التي يطبقها في أعماله ؟ اليك جوابه ملخصاً من حديث دار بينه وبين صحافي أميركي

يبقى الرجل في دور المرانة والتمرس بالعمل حتى يبلغ الاربعين [١] . فهو يجمع في تلك الاثناء الادوات التي لا بدَّ منها للعمل المنتج . ومتى اجتمعت لديه استعملها في تحقيق الغايات التي يقف حياتهُ على تحقيقها . فاذا ترك هذه الادوات بعد جمعها من غير ان يستخدمها فتركه لها هو الفشل بعينهِ . واذا اعتزل العمل لانهُ جمع ثروة طائلة فاعتزاله امرُّ انواع الفشل على الاطلاق

تقول اني بلغت من النجاح مبلغاً قصيًّا ولكني في الحقيقة لست سوى جامع ادوات للعمل . والرجل الخائب هو الذي يجمع ادواتهِ ثم يودعها خزانة حديدية يوصد بابها ويقف عن العمل . والمال ليس سوى اداة للعمل . ومتى تحول المال عن ان يكون اداة للعمل فقط صار خطراً على المجتمع . ان الثروات الطائلة التي لا تستعمل في الانتاج . . . ولكن لقد قضي على هذه الثروات لان كل ثروة تقف عن الانتاج تبيد وتتلقفها ايدٍ تعرف كيف تستعملها فتفيد بها وتستفيد منها

تعطي فتىً طيارة من الورق وتنتظر منهُ ان يطيّرها . او تعطيه رفشاً ومنكاشاً فتنتظر منهُ ان يحرث قطعة من الارض تعينها لهُ . ثم تعطيهُ وقد صار رجلاً رفشاً تديرهُ قوة بخارية وتنتظر منهُ ان يشترك مع غيرهِ في حفر نفق لقطار يسير تحت

(١) قارن هذا القول بقول الشاعر العربي

وماذا تبتغي الشعراء مني وقد جاوزت حد الاربعين

الارض . ومتى رأيت انهُ تمرس بالعمل وصار حكيماً محنكاً تقيمهُ مديراً على مبلغ كبير من المال وجماعة كبيرة من العمال وتنتظر منهُ ان يدبر بناء نفق كبير . انك في كل حالٍ تنتظر منهُ ان ينفق عملهُ مع الادوات التي تسلمهُ اياها ليستخدمها

والعمل الذي اتولاهُ ليس سوى اداة . وهو اكبر اداة من نوعها في التاريخ . فكلما ازداد عمالنا عاملاً واحداً وادواتنا اداة واحدة ازدادت التبعة الملقاة على عواتقنا. ولما كان عملنا الآن قد اتسع عما كان عليهِ قبلاً فعلينا ان نحقق بهِ غاية اكبر من الغايات التي حققناها من قبل . انك ولا شك تذكر ذلك المثل الوارد في الانجيل حين اعطى السيد احد خدمهِ وزنة من المال فطمرها في الارض خوفاً عليها فحكم عليهِ بانهُ لا يستحقها وجُرّد منها. ان هذا المثل يشير الى مبداء اساسي ينطبق على احوال العالم الآن كما كان ينطبق منذ الفي سنة ونحن نريد ان نحقق هذا المبدأ في اعمالنا

من القواعد الاساسية التي يقوم عليها عملنا هو ان ما نحسبهُ الآن اجوراً عالية لعمالنا قد يصير في نظرنا ونظرهم اجوراً واطية بعد انقضاء عشر سنوات . ما من احد يعرف الى اية درجة يمكن ان تبلغ اجور العمال كما اننا لا نعرف الى اي حدّ نستطيع ان نخفض نفقات الانتاج . فقد نتمكن من مضاعفة اجورنا وتخفيض اسعارنا الى نصف ما هي عليهِ الآن . وقد نتمكن من زيادة اجورنا اربعة اضعاف وتخفيض نفقات الانتاج في معاملنا الى رُبع ما هي . لا ندري . انما ندري ان الاجور لم تبلغ حدها الاعلى بعد كما ان نفقات الانتاج لم تبلغ مستواها الادنى بعد . وندري ايضاً ان هاتين الحركتين زيادة الاجور وتخفيض نفقات الانتاج لا بدَّ ان تؤولا يوماً ما الى القضاء على الفقر والمسكنة وجميع جمعيات الاحسان . فلقد وجدنا بالاختبار ان النجاح في العمل ليس وليد العطف بل وليد الاجتهاد . ان المال لا شأن لهُ في زيادة الرخاء لان المال لا يُنتج ما يحتاج اليهِ الناس . بل العمل يفعل ذلك . وزّع كل ما في بلادنا من الاموال على الناس بالتساوي فلا تزداد ثروتنا الاهلية فلساً واحداً ولا نلبث ان نقع في احضان الفاقة اذا اكتفى رجالنا او نساؤنا بما يوزع عليهم واضربوا عن العمل

ولكن ما يكسبهُ العامل من المال مقياس لحقهِ في الاشتراك مع سائر العمال في انتاج ما يحتاج اليهِ الناس . فاذا كان كل الناس يكسبون مالاً ولا ينتجون فما هي فائدة المال ؟ ماذا نشتري بالمال اذا لم تصنع المعامل المصنوعات التي نطلبها او لم تخرج المزارع المواد الغذائية التي نحتاج اليها

وقد تعلمنا ايضاً ان التفوق والاتقان امر نسبي. فالآلة التي نحسبها اتقن آلة صنعت حتى الآن ليست سوى « اتقن آلةٍ » صنعت بالامس بعد ادخال عناصر التحسين عليها . وغداً نرى ان الآلة التي نحسبها اليوم « اتقن الآلات » صارت غير متقنة اذا قيست بآلة الغد . وما يقال في الآلة يقال في الاجور والاسعار . فما يحسب الآن اجراً عالياً للعامل او ثمناً واطئاً للسيارة قد يحسب بعد عشر سنين اجراً واطئاً جداً للعامل وسعراً عالياً جداً للسيّارة لان اتقان وسائل الصناعة لا بدّ ان يؤول الى رفع اجور العمال وتخفيض اسعار المصنوعات

لذلك ترانا لا ننظر بعين الفخر الى ما عملناهُ حتى الآن لاننا ننظر اليهِ من وجهة الاتقان النسبي واثقين ان ما يجيءُ بهِ الغد سيكون اكثر اتقاناً واكمل نظاماً. ولذلك نرقب المستقبل دائماً ونعدّ لهُ العدة لاننا نحسب عملنا امانة في اعناقنا للجمهور يجب ان نتولاهُ لمصلحتهِ بكل ما اوتيناهُ من حذق وعناية . ولذلك اقول اننا وقد صنعنا ١٥ مليون سيارة لانزال في بدءِ عملنا . اه. وهذا ينطبق على قول مثال مشهور اذ دخل عليهِ احد المشاهير وسألهُ اين « آيتك في فنك » فنظر اليهِ المثال وعلى شفتيهِ بسمة الازدراء وقال « تمثالي القادم »

محصول القطن في السنة الحاضرة

مساحة المزروع وسير الزراعة

ترددت الاشاعات في اول الصيف الماضي بان الزراع الاميركيين زرعوا حوالي ٤٨ مليون فدان قطناً نخاف منتجو القطن في جميع انحاءِ العالم ولاسيما في مصر عاقبة هذا التوسع وحسبوا لهُ الف حساب لعلمهم ان متوسط ما ينتجهُ الفدان في اميركا لا يقل عادة عن قنطار ونصف قنطار فاذا صادفهُ جو معتدل وسلم من الآفات زاد هذا المتوسط الى قنطارين فاكثر فيأتي المحصول من ١٨ مليون الى ٢٠ مليون بالة فيكون اكبر محصول عرف حتى الآن ويزيد على المقطوعية العالمية ما لا يقل عن ٤ ملايين بالة اذا اضيفت الى المخزون المتخلف من المحصول الماضي وقدرهُ ٥ ١/٤ مليون بالة بلغ المجموع ٩ ١/٤ مليون بالة او نحو ثلثي محصول كامل متوسط في كميتهِ وحينئذٍ تدهور الاسعار حتماً وتعود الى اقل مما كانت عليهِ في سنة ١٩٢٦ لما زاد المحصول الاميركي على ١٨ مليون بالة

وظل منتجو القطن مضطربي البال من هذا القبيل وزادهم قلقاً ان حالة زراعة القطن في اميركا سارت سيراً حسناً في ابان نموها فخافوا ان يتحقق ما خشوا منهُ وبينا هم في هذه الحال صدر تقرير وزارة الزراعة الاميركية عن مساحة الزمام المزروع قطناً في بلادها فاذا بهذه المساحة لا تتعدى ٤٦٦٢٢٠٠٠ الف فدان اغفل منها ٣٫٨ في المئة اي ١٧٠٦٨٠٠ فدان فلم يبق سوى ٤٤٩١٥٢٠٠ فدان يجنى المحصول منها. ومن ثم اخذت تسوءُ حالة الزراعة القطنية في اميركا من كثرة التقلبات الجوية عليها وفتك دودة اللوز وسائر الآفات فيها فانحطت درجة نموها انحطاطاً كبيراً وسرى عن زراع القطن في العالم وفي اميركا نفسها وزالت مخاوفهم واحتفظ القطن باسعارهِ تقريباً بعد ما كان يخشى ان تتدهور تدهوراً كبيراً

هذا في اميركا اما في مصر فقد سارت زراعة القطن سيراً محموداً الى ان ترعرعت شجيراته وازهرت واخذت في العقد وحينئذٍ توالى على القطن السكلاريدس من الآفات ما لم يكد يسبق لهُ مثيل فساءت حاله وانحط محصوله بعد ما كان يبشر باقبال عظيم ولم تسلم زراعة الاصناف الاخرى من القطن بل اصيبت بضرر يذكر ولكنهُ لا يقاس باصابة السكلاريدس ولا باصابة الزاجوراه

وقدرت وزارة الزراعة مساحة الزمام المزروع قطناً في هذه السنة نحو ١٧٢٢٠٠٠ فدان اي بزيادة ٢٢٠٠٠٠ فدان عن المساحة التي زرعت في السنة الماضية وعللت هذه الزيادة باقبال زراع الوجه القبلي على زراعة القطن وتوسعهم فيها غير ان العارفين يرتابون في صحة هذا التعليل ويقولون انهُ يتعذر ان تزيد المساحة في سنة واحدة مثل هذه الزيادة الكبيرة لاسيما ان قانون الثلث الذي كان معمولاً بهِ في السنة الماضية نفذ بالدقة في هذه السنة

من اين اتت هذه الزيادة

والمشهور عن زراع القطن الاميركيين انهم يزيدون دائماً في تقدير مساحة ما يزرعونهُ من القطن وما ينتظر ان يجنوهُ منهُ عشرة في المئة واشتهر في الوقت عينه عن زراع القطن في مصر انهم يقللون من ذلك ما يزيدهُ الاميركيون . ومن المعروف ايضاً ان التقارير الرسمية اعتادت ان تنقص مساحة المزروع من القطن في مصر في السنوات الماضية عن حقيقتها للسبب المتقدم ومبالغة في توخي الحيطة . ومن رأي كبار تجار القطن والعارفين بشؤون زراعته في مصر ان محصول الفدان في السنة الماضية كان

أقل كثيراً مما يستخلص من تقدير وزارة الزراعة للمساحة وجملة المحصول وان ولاة الامور في هذه السنة عمدوا الى التدقيق الشديد في تعيين المساحة اكثر مما فعلوا في السنوات الماضية عملاً بالعهد الذي قطعته الحكومة لمؤتمر القطن الدولي الذي عقد في القاهرة

ومن عادة وزارة الزراعة الاميركية ان تصدر عند انتهاء موسم القطن وسواه من الحاصلات الزراعية تصحيحاً لارقام المساحة وكمية المحصول وكثيراً مالا يتعدى الفرق بين ارقامها التمهيدية والارقام الختامية المصححة اكثر من ٢ الى ٥ في المئة غير ان وزارة الزراعة المصرية لا تصدر ارقاماً مصححة في نهاية كل موسم قطن ولم تصدر ارقاماً عن مساحة زراعة القطن ومحصولها في السنة الماضية (١٩٢٧ — ١٩٢٨) حتى يتيسر مقابلتها بالمساحة والمحصول الحاليين ومعرفة الفرق بينهما من سنة الى اخرى

المحصول الاميركي

قدرت وزارة الزراعة الاميركية محصول القطن الاميركي في تقريرها التمهيدي في ٩ اغسطس الماضي بنحو ٠٠٠ ٢٩١ ١٤ بالة ثم عادت فقدرته في تقريرها الثاني في ٨ سبتمبر بنحو ٠٠٠ ٤٣٩ ١٤ بالة أي بزيادة ٠٠٠ ١٤٨ بالة عن تقديرها السابق. وعادت فقدرته في ٨ اكتوبر بنحو ٠٠٠ ٩٩٣ ١٣ بالة اي بنقص ٠٠٠ ٤٤٦ بالة

المحصول المصري

وقدرت وزارة الزراعة المصرية في تقريرها التمهيدي محصول القطن في مصر بنحو ٠٠٠ ٨٨٩ ٦ قنطار وايدتها في ذلك ضمناً شركة المحاصيل العمومية في تقريرها الشهري عن حالة الزراعة في شهر سبتمبر الماضي. وقدره محل الخواجات شيكوريل وبارد بنحو ٠٠٠ ٣٨٠ ٧ قنطار غير ان بعض كبار الزراع وفي مقدمتهم البدراوي باشا انكروا صحة تقدير وزارة الزراعة وقالوا ان المحصول لا يتعدى ستة ملايين قنطار. ومن رأي مندوب المقطم التجاري ان المحصول سيجيء حوالي ½ ٦ مليون قنطار

تأثير التقدير في الاسعار

كانت أسعار القطن المصري في بورصة الاسكندرية في ٧ سبتمبر الماضي ٣٦،٥٩ ريال السكلاريدس لنوفمبر و ٢٢،٧٠ ريال الاشموني لاكتوبر وكانت اسعار القطن الاميركي في اليوم عينه في بورصة نيويورك ١٩،٠٥ سنت الليبرة لاكتوبر وفي ٨ منه صدر تقرير وزارة الزراعة بوشنطن مقدراً المحصول الاميركي بـ ٠٠٠ ٤٣٩ ١٤ بالة

أي بزيادة ١٤٨٠٠٠ بالة عن تقديرها الاول فأحدث ذلك رجة في اسواق القطن في العالم لم يكد يعهد لها مثيل من قبل

وفي يوم الاثنين هبطت الاسعار في بورصة الاسكندرية ١٤٤٦ ريال السكلاريدس لنوفمبر و ٩٠ بنطاً الاشموني لاكتوبر تبعاً لهبوط الاسعار في بورصة نيويورك اذ هبطت ٨٨ بنطاً لاكتوبر

واخذت الاسعار من ذلك الحين تتقلب وكفة النزول ترجح كفة الصعود كثيراً حتى اقفلت يوم الاربعاء ١٩ سبتمبر في بورصة الاسكندرية ب٣٢٨٨ ريال السكلاريدس لنوفمبر و٢٠٢٠ ريال الاشموني لاكتوبر وفي بورصة نيويورك ١٧٦٨ لاكتوبر أي ان سعر السكلاريدس هبط ٣٧١ ريال والاشموني ٢٥٠ ريال في حين ان سعر الاميركي لم يهبط سوى ١٣٧ ريال لاكتوبر

هذا ما وقع في بورصتي الاسكندرية ونيويورك أما في بورصة لفربول فكانت اسعار القطن المصري فيها في ٧ سبتمبر ١٨٢٥ لنوفمبر و١٨٣١ لينابر واسعار القطن الاميركي ٩٩٨ لاكتوبر و٩٨٩ لينابر فلم يحل يوم الخميس ١٨ منه حتى اقفلت بسعر ١٦٤٠ لنوفمبر و١٦٤٧ لينابر في القطن المصري و٩١٠ لاكتوبر و٨٩٨ لينابر وفي القطن الاميركي أي ان سعر القطن المصري هبط فيها في هذه الفترة ١٨٥ ريال لاكتوبر و١٨٤ ريال لينابر في حين ان سعر القطن الاميركي لم يهبط سوى ٨٨ بنطاً لاكتوبر و٩١ بنطاً لينابر

وفي هذا التباين العظيم في هبوط الاسعار في اسواق القطن الكبرى دلالة قاطعة على شدة الضغط على بورصة الاسكندرية وضعف مركز المشتغلين فيها

والسؤال الذي يتبادر الى الاذهان في هذا المقام هو هل هناك داع حقيقي لهذا الهبوط وهل زيادة ١٤٨٠٠٠ بالة في التقدير الثاني للمحصول الاميركي على تقديره الاول تسوغ حدوث مثل هذه الرجة العظيمة

كان المحصول الاميركي في السنة الماضية حوالي ١٣ مليون بالة والمخزون المتخلف من المحصول السابق والمحصولات التي قبله اكثر ٣/٤ ٧ مليون بالة ومجموع ذلك ٣/٤ ٢٠ مليون بالة او ٢١ مليون بالة تقريباً

والمحصول الاميركي يقدر الآن بنحو ١٤٠٠٠٠٠٠ بالة يضاف اليه المخزون من المحصول السابق والمحصولات التي قبله وقدره نحو ١/٤ ٥ مليون بالة فيكون مجموعها حوالي ١/٤ ١٩ مليون بالة اي ان الموجود من القطن الاميركي في الموسم الحالي ينقص

عما كان موجوداً منهُ في الموسم الماضي نحو مليون وثلاثة ارباع مليون بالة

وكان محصول القطن المصري في السنة الماضية حوالي ٦٠٨٠٠٠٠ قنطار وكان المخزون المتخلف من المحصول السابق ١٧٨٠٠٠٠ قنطار ومجموع ذلك ٧٨٦٠٠٠٠ قنطار

وهب ان محصولنا الحالي جاء في آخر الامر ٦ ١/٢ مليون قنطار فاذا اضفنا اليهِ المخزون المتخلف من المحصول الماضي والمحصولات التي قبلهُ وقدرهُ نحو ١١٢٥٠٠٠ قنطار كان مجموعها ٧٦٢٥٠٠٠ قنطار اي ان الموجود من القطن المصري في الموسم الحالي ينقص عن مثله في الموسم الماضي ٢٣٥٠٠٠ قنطار

فهل هذا النقص في الموجود المنتظر من القطن الاميركي والقطن المصري يسوغ مثل هذا التدهور في الاسعار

لو كان الناس يتوقعون ان يكون محصول القطن الاميركي أقل من ١٤ مليون بالة وجاءت وزارة الزراعة الاميركية وقدرتهُ بما يزيد نصف مليون بالة على ذلك لما استغربنا وقوع هذا الهبوط في الاسعار ولكن آراء العارفين كانت كلها مجمعة تقريباً على ان المحصول سيكون بين ١٤ مليون و١٥ مليون بالة بل ان ٧٣ من اكبر المشتغلين في بورصة نيويورك قدروا المحصول بـ ١٤٣١٦٠٠٠ بالة أي ما يقل ١٢٣٠٠٠ بالة عن تقدير وزارة الزراعة لهُ وقدره آخرون باكثر من ذلك الى ١٥ مليون بالة . فالرأي كان مستقراً والحالة هذه على تقدير المحصول باكثر من ١٤ مليون بالة والمؤكد ان المشتغلين في بورصة لفربول لم يفتهموا هذا الامر ايضاً

تعليل هذا الهبوط

والحقيقة ان هـذا الهبوط في الاسعار لم يكن ناشئاً من الزيادة اليسيرة في تقدير المحصول الاميركي وانما كان نتيجة النضال القائم بين الصناعة والانتاج او بين اصحاب المغازل والانوال وتجار المصنوعات القطنية وبين زارعي القطن وانصارهم من البنوك والجمعيات التعاونية التي تمد هؤلاء الزراع بالمال اللازم لهم والمضاربون بين هؤلاء واولئك ليسوا سوى مسترزقة يميلون مع الكفة الراجحة . ومما يؤيد ذلك ان الاسعار لم تتأثر تأثراً يذكر عقب صدور التقدير الرسمي الثالث بنقص المحصول نحو ٤٥٠ الف بالة عن التقدير السابق

ولا يبعد ان يقع في موسم القطن الحالي ما وقع في موسم سنة ١٩٢٣ فتنهض الاسعار من كبوتها الحالية وتسترد مستواها السابق ان لم تتجاوزه

باب شؤون المرأة

وتدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيه كل ما يهم المرأة واهل البيت معرفته من تربية الاولاد وتدبير الصحة والطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة وسير شهيرات النساء ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة .

العلاج بنور الشمس

المنزل الذي يدخله نور الشمس لا يدخلهُ الطبيب

أول من اعتمد على معالجة المرضى بنور الشمس ابقراط ابو الطب الذي كان يطبب في هياكل اسكولابيوس بن ابلون فوبيوس اله الشمس والطب والموسيقى . وقام بعدهُ جالينوس في بداءة التاريخ المسيحي واعتمد على المعالجة بنور الشمس . ثم أُهملت هذه المعالجة في القرون الوسطى لانها حسبت من الشعائر الدينية الوثنية وصار المرضى يُعالجون بظلمة الجهل حتى شاع الاعتقاد أنهُ اذا لمس الملكُ مسلولاً شفي من السل لقوة الهيبة فيه

وفي النصف الاخير من القرن التاسع عشر بدت تباشير الاهتمام بالنور فاعترضت فلورنس نيتنغايل (الممرضة الشهيرة) سنة ١٨٥٦ على بناءِ مستشفى نقلي لأن اتجاههُ يمنع اشعة الشمس من الدخول الى أسرَّة المرضى

وسنة ١٨٧٦ مدح السر بنيامين رتشردصن نور الشمس في كتابهِ الشمسي «هيجيا مدينة الصحة» . وأبان ددنز وبلنت سنة ١٨٧٧ أن نور الشمس يقتل ميكروب البثرة الخبيثة . وأطنب جون رسكن في فائدة نور الشمس والضرر الناتج من انتشار الدخان فوق المدن الانكليزية. وسنة ١٨٩٠ اثبت الدكتور ثيوبولد ادريان پام بالادلة الجغرافية أن الكساح الذي يفتك بالاطفال سببهُ عدم التعرض لنور الشمس لان هذا الداء يكثر في الاماكن التي يقل فيها نور الشمس ويقلُّ أو يُعدَم في غيرها . وأبان روبرت كوخ وغيره أن نور الشمس يقتل ميكروب السل .

وسنة ١٨٩٣ أخذ فنسن يعالج مرض الذئب الاكّال (وهو نوع من التدرن) بجمع نور الشمس عليهِ . وسنة ١٩٠٠ بدأ مستشفى لندن يعالج هذا الداء بنور الشمس

وسنة ١٩٠٣ فتح الدكتور روليه أول عيادة طبية لمعالجة ما يسمى بالسل الجراحي ببلدة ليزان بالالب ثم أنشأ ما سماه « مدرسة في الشمس » ونشر كتاباً سنة ١٩١٤ موضوعهُ « الشفاء بنور الشمس » ولكن جاءت الحرب وجاراهُ بعض الاطباء في المعالجة بنور الشمس ولم يبلغ أحدهم مبلغهُ في استخدامهِ نور الشمس والانتفاع بهِ وما منهم من علل فائدة هذا النور التعليل الوافي المقنع

وقد ظهر ان كل طبيب من الاطباء كان يعتمد على خصائص المكان الذي يصفهُ في العلاج ويحسبها ضرورية لحصول الفائدة من نور الشمس فالذي مستشفاهُ في الجبل يحسب ارتفاع المكان أمراً ضرورياً لحصول الفائدة من النور والذي مستشفاهُ قرب شاطيء البحر يرد الفائدة الى هواءِ البحر. ولما رأى الدكتور كالب وليمز صليبي الاطباء الذين يعالجون بنور الشمس مختلفين في حقيقة فعله كتب في ناتشر الصادرة في ٨ دسمبر سنة ١٩٢١ و ٥ يناير سنة ١٩٢٢ طالباً تعيين لجنة للبحث في هذا الموضوع فاهتم مجلس البحث الطبي لذلك وعينت لجنة خصوصية برآسة السر وليم بايلس الفيزيولوجي المشهور .وكان من أول اعمالها ترجمة كتاب الدكتور روليه الذي موضوعهُ « العلاج بالشمس »

ويظهر الآن ان الاطباء قد اثبتوا ان الفائدة ناتجة من نور الشمس لا من حرارتها ولكن التعرض لنورها يجب أن يجري على نظام معين لأن الاشعة الكيماوية التي فيهِ (الاشعة التي فوق البنفسجي) تفعل بالجلد فعلاً قويًّا فاذا عُرض كل جسم الانسان عارياً لنور الشمس دفعة واحدة ومدة طويلة أصابتهُ صدمة قد لا يقوى على احتمالها . فالمعالجة بنور الشمس يجب أن تجري على يد طبيب خبير. والا انقلبت الفائدة المطلوبة الى ضرر .على ان التعرض لنور الشمس في أثناءِ التنزه والرياضة أمر لا بدَّ منهُ لكل انسان وخصوصاً للاطفال والفتيان والفتيات . ولكن يجب أن يكون الرأس مغطى ببرنيطة لئلا يصاب المتعرض لهُ بالرعن (ضربة الشمس)

الاسنان تحفر قبور الناس

قضي على الانسان ان يشقى باسنانهِ من المهد الى اللحد وان ينغّص عيشهُ بكثرة ما يطرأ عليها من العلل . ولو اقتصر الامر على ما تحدثهُ الاسنان من الآلام المبرحة

حين بروزها في الطفولة وخلعها في الشيخوخة وما ينتابها من الامراض المقضة للمضاجع في السنين الطوال التي تتخلل هاتين المرحلتين لاحتمل الناس بلواهم بالصبر الجميل ولكن الاسنان تحفر قبور ملايين من الخلائق في كل عام وتوردهم موارد الحتوف

ان الالم الاول الذي يشعر بهِ الانسان في سن من اسنانهِ او ضرس من اضراسهِ يكون بدء المرحلة الاولى الى القبر فان نصف قبور بني البشر حفرتها الاسنان فاهمال اي الم يطرأ على الاسنان يكون اغفالاً لنذير القبر

فاذا آلم الانسان سن من اسنانهِ فخير ما يفعلهُ ان يبادر الى طبيب الاسنان فان في وسعهِ ان يرى في داخل فمك بعينهِ الخبيرة ما لا تستطيع ان تراه انت بعينك في المرآة ومن الحكمة ايضاً ان تدع طبيب الاسنان ان يكشف عن اسنانك حيناً بعد آخر ولو لم تشعر بألم فيها فاذا كانت سليمة تطمأ نت وامنت شرها واذا كانت مستهدفة لعلة تداركتها بالوقاية فان درهم وقاية خير من قنطار علاج

ونظافة الاسنان من اهم ما يجب ان يعنى بهِ الناس وكثيرون يعتقدون انهم اذا نظفوا اسنانهم في الصباح بالفرشاة والمساحيق او الغسول والصابون او الماء ادركوا الغاية من النظافة ووقوا اسنانهم من السوس والطرطير وهذه العادة وان تكن حميدة فانها غير وافية وحدها بالمرام بل يجب ان يكرر هذا التنظيف قبل النوم مباشرة وان يغسل الفم بعد كل اكلة ولاسيما بعد الفطور واسهل غسول يمكن تحضيره واقربهُ تناولاً لجميع الناس هو ملعقة من ملح الطعام تذاب في كاس ماء ساخن

والطريقة المثلى لتنظيف الاسنان بالفرشاة هي ان تنظف من الداخل الى الخارج وان تمر الفرشاة على الاسنان في الفك الاعلى من فوق الى تحت وعلى الاسنان في الفك الاسفل من تحت الى فوق على مثال ما يفعلهُ ناشر الخشب بمنشارهِ

والسبب الاكبر في ضعف أسنان المتمدنين وشدة تعرضها للعلل والامراض الكثيرة مع كل مايبذلونه من العناية بها هو أن الطبيعة أوجدت الانسان ليأكل المآكل الخشنة القاسية التي تقتضي لوكاً كثيراً وطحناً شديداً وركبت له فكين كبيرين قويين فلما تحضَّر البشر وأخذوا يعنون براحتهم ورفاهتهم أغفلوا المآكل الخشنة التي أعدتها لهم الطبيعة وعمدوا الى تناول الاطعمة اللينة التي يسهل لوكها وطحنها فقلَّ بذلك عمل الفكين وضمر عظمهما على مر الزمان وأخذت الاسنان تقرب بعضها من بعض ويزول ما بينها من الفتحات التي كان يمر فيها الطعام في أثناء الاكل من غير أن تترك فضلات بين

الاسنان . أما وقد اكتظت الاسنان الآن في الفكين ولم يبق بينها الا فتحات ضيقة جداً فان فضلات الطعام تعلق فيها ثم تختمر وتتولد منها السموم التي تؤذي الاسنان نفسها وتسم الجسد وتفتك به على مر الايام

وتناول الاطعمة الخشنة القاسية لا يفيد الاسنان وحدها بل هو انجع علاج في مداواة الامساك فقد اثبت السر جون ارثبوت لاين الجراح الانكليزي وصاحب الدعوة الصحية المشهورة في انكلترا انهُ لا بد للانسان من تناول شيء كثير من المواد الخشنة التي لا تهضم حتى تحرك الامعاء وتدفعها الى العمل . ومن رأيه انه من اكبر الاسباب في انتشار مرض السرطان هو الامساك واغفال الناس لمداواته بالمآكل الخشنة واقتصارهم على الاطعمة التي لا تحوي من المواد الخشنة ما يكفي لتحريك الامعاء واكثارهم من المآكل المحفوظة والمقددة بطرق كيماوية ومن المؤكد ان الاطعمة الرخوة ولا سيما اللزجة منها تضر الاسنان أشد ضرر كما انها تؤذي القناة الهضمية أيضاً وتعوّدها الكسل فتحدث الامساك

والسكر الصناعي او السكرين الذي يستعمل في صنع الشكولاته او الحلوى هو أعدى اعداء الاسنان فأكل الشكولاته او الحلوى عموماً قبل النوم يفسح المجال للسم الذي يتولَّد منها لان يفعل فعله الضار في الاسنان في اثناء النوم

والطعام الذي لا يمضغ جيداً يحدث سوء هضم كما ان الاطعمة التي لا يحسن تناولها تحدث تسمماً ذاتيًّا وامساكاً والسم الذي يتولد من ذلك يصيب اللعاب الذي هو سائل الهضم الموجود في الفم فيعقد غشاء لزجاً على الاسنان يكون منهُ وسطاً حسناً لنمو البكتيريا فتسوس الاسنان وتصاب اللثة ويتلو ذلك الداء العضال المعروف بالبيوريا

الملح في الطعام وضرره

الشائع ان الملح ضروري للطعام وكل طعام يملح بملح وان الانسان لا يعيش من غير ملح ولقد كنا نسمع قصصاً يقال فيها ان قوماً من الاسرى اجبروا على اكل طعامهم من غير ملح فتولَّد الدود في ابدانهم وقتلهم . وهذه القصص موضوعة . فان بعض هنود شمالي اميركا لم يكونوا يملحون طعامهم بالملح ولا يزال جمهور منهم يعيش من غير ان يملح طعامهُ . وكثيرون من سكان اواسط افريقية لا يملحون طعامهم . والناس الذين يملحون طعامهم متفاوتون جدًّا فبعضهم لا يأكل شيئاً الا وفيه كثير من

الملح وبعضهم يكره الملح حتى في الطعام الذي لا يؤكل عادةً الاَّ مملحاً بهِ . ونحن نعرف كثيرين لا يأكلون الموز ولا التفاح ولا البرتقال ولا البطيخ الاَّ وهي مملحة بكثير من الملح مع ان اكثر الناس يأكلون هذه الاثمار من غير ملح او مدروراً عليها السكر بدل الملح

والظاهر ان استعمال الملح عادة يعتادها المرء فيصير يشعر بالحاجة اليهِ والحيوان قد يعتاد اكل الملح كما يعتادهُ الانسان فيصير يستطيبهُ ويفتش عنهُ ولكنهُ اذا لم يعتدهُ لم يعبأ بهِ فترى المواشي التي اعتادت لحس الملح تستطيبهُ جدًّا والمواشي التي لم تعتدهُ لا تلتفت اليهِ والاولى ليست اصلح من الثانية

والملح مهيج للغشاء المخاطي فاذا اذبته بالماء ومصصتهُ بانفك كثر افراز المخاط منهُ فهو يفعل بالغشاء المخاطي في الفم والمعدة كما يفعل بالغشاء المخاطي في الانف فاذا اكثر الانسان من استعمال الملح فلا بدَّ من ان يصيبهُ منـهُ زكام مزمن في معدتهِ وامعائهِ . والمقدار الكبير من الملح مقيء ومسهل لهذا السبب عينهِ . ويقال ان بعض امراض القلب والكليتين مسبب عن الاكثار من اكل الملح ولذلك يستفيد المصابون بامراض الكليتين من الاقتصار على اكل اللبن لانهم يمتنعون عن اكل الملح وهذا هو السبب في فائدة الاقتصار على اكل العنب

ولا دليل مطلقاً على ان ملح الطعام لازم للهضم لأن يهضم بدونه وفي الأطعمة الطبيعية ما يكفي من الاملاح . وقد قدر بعضهم ان الملح الذي يجوز ان يأكلهُ الانسان في اليوم يجب عليهِ ان لا يزيد على ثلاثين قمحة فاذا زاد على ذلك اضطرت الكليتان واضطر الجلد الى افراز الزيادة . فالقليل من الملح مفيد ولكن الكثير منه ضار

ثم ان الاكثار من الملح يدعو الى العطش كما لا يخفى لان الملح يخرج السوائل من الجسم فيشعر بالحاجة اليها

والخلاصة ان الاكثار من الملح لا يخلو من الضرر والاقلال منهُ لا يضرُّ بل ينفع

الاستحمام

انشأ الناس الحمامات للاستحمام من قديم الزمان فتفنن اليونان والرومان فيها وبلغوا من اتقانها حدًّا لم يصل اليهِ ابناء هذا العصر وجرى العرب مجراهم لما امتلكوا بلاد الروم وحماماتهم في مدائن الشام من اعظم مبانيها واجملها

والغرض الاول من الاستحمام تنظيف الجلد وتنشيط الدورة الدموية ولاسيما في الذين اعمالهم البدنية قليلة

اما الحمام الذي يراد بهِ تنظيف الجلد فيجب ان يكون بالماء الحار والوقت الأصلح لهُ في المساء قبل النوم ولكن درجة حرارتهِ معتدلة وينظف الجلد حينئذٍ بالليفة والصابون ويحسن ان ينتهي بغسل البدن باسفنجة مبلولة بماء بارد وفركهِ وتنشيفهِ جيداً وفائدة الماء البارد تقليص مسام الجلد بعد تفتحها بالماء الحار لكي لا يكثر العرق من الجلد

والحمام الذي يراد بهِ تنشيط الدورة الدموية وانعاش الجسم هو الحمام البارد سواء كان بالماء البارد او الهواء البارد ووقتهُ الصباح حال القيام من النوم ويجب ان لا تطول مدتهُ اكثر من دقيقة ونصف دقيقة ولاسيما اذا كان الانسان لم يعتد الماء البارد ولابد من فرك الجسم كلهِ جيداً بعد صب الماء البارد عليهِ حتى تعود الحرارة اليهِ ويحمر سطحهُ واذا كان الانسان ضعيف الجسم فليس من الحكمة ان يغتسل بماء شديد البرودة . ومن هذا القبيل الاغتسال بماء البحر وبالهواء البارد فانهُ يجب ان يكون قصير المدة ولاسيما اذا كان الجسم ضعيفاً ويجب فيهِ كلهِ فرك الجسم جيداً بعد الاغتسال حتى يحمرَّ

والحمام البخاري من قبيل الحمام السخن وهو يكاد يكون دواءً للزكام والتهاب الشعب والتهاب اللوزتين والروماتزم فيغني عن الدواء وهو من قبيل التطبيل بهبلة الماء السخن والغرض منهُ تفتيح مسام الجلد وتعريقهُ فان العرق الكثير الذي يخرج منهُ يأخذ معهُ كثيراً من الفضول المتجمعة في الجسم

اهتمام المرأة بمنظرها

ان كانت مشاغل البيت وهموم الحياة قد جعلتكِ تهملين منظركِ فسلمتِ للاقدار ولم تعودي تهتمين كيف تظهرين للذين يرونكِ فاعلمي ان المرأة تسرُّ دائماً بان لا تظهر عليها امارات الكبر والاهمال لا في قامتها ولا في وجهها ولا في ثيابها . واعتناء المرأة بنفسها ليس من قبيل التباهي والعجب الباطل كلا بل هي مضطرة اليهِ لكي تسر زوجها واولادها فانهم يحبون ان يروها على احسن ما تكون وهذا لا يكلفها من الاهتمام الا دقائق قليلة كل يوم

فعليكِ ان تغتسلي يوميًّا اذا استطعت ذلك وان تكثري من استعمال الفرشاة لشعركِ وان تستريحي بعد الغداء ولو ربع ساعة إستلقي فيها على ظهركِ واغمضي عينكِ ونزهي افكاركِ عن كل المشاغل والهموم ولو لم تنامي

واخرجي الى الهواء النقي كل يوم فان الهواء والشمس لازمان لصحة الاجسام وانتعاش الابدان لزومهما للازهار والرياحين واذا كنت تكثرين المشي في البيت فلا داعي للمشي الكثير خارجاً لان زيادة تعب الجسم لا تفيد ولكن اذا كنت قليلة المشي في البيت فعوضي عنهُ بالمشي خارجاً في نور الشمس والهواء الطلق

واذا ظهرت الغضون حول منخريكِ وعينيكِ فافضل الطرق لازالتها فرك الجلد هناك بمادَّة مغذية مثل قشدة اللبن فركاً لطيفاً بالتأني

والاكثار من شرب الماء نافع لانهُ ينظف الامعاء . ونظافة باطن الجسم ضرورية كنظافة ظاهرهِ

والرياضة الجسدية ضرورية لقليلات الاشغال البيتية ولكن المرأة التي تتحرك كثيراً في بيتها لاحاجة بها الى الرياضة بل هي محتاجة الى الراحة

واذا خفت من ان تسمني كثيراً فلا أسهل من مقاومة السمن بتقليل الاكل ولاسيما المآكل الدهنية والنشوية والسكرية وتكثير الرياضة . وامضغي طعامكِ جيداً

فوائد منزلية

لكي تحفظي قطعة اللحم جيدة علقيها بخيط بدلاً من وضعها في قصعة (صحن) لانها اما تفسد من السوائل الناضحة بها

بعد قلي (البفتاك) المملح ضعي قطعاً من الجزر في السوائل الباقية فيمتص الجزر ملحها فيصير صالحاً للشورباء

عند شيّ قطعة من اللحم اغمسيها بمزيج من الزيت والخل والخمر فيجود طعمها ورائحتها وتلين

عند شيّ اللحم اجعلي الجانب الاول يجف قليلاً ثم اشوي الجانب الآخر جيداً فيكون ذلك افضل من تتميم الجانب الاول ثم قلب الثاني

لمنع سيلان الدهن عن قطعة لحم الخنزير اغمسيها قبل شيّها بالدهن قليلاً

لحفظ لحم الدجاج نظيفاً ابيض عند غليهِ ضعي في الماء عصير نصف ليمونة حامضة



اللباب

وهو المختار مما قرضهُ جميل صدقي الزهاوي

من الشعر في ادوار حياته

الاستاذ الزهاوي عَلَم خافق من اعلام الحرية — حرية الاعتقاد وحرية الفكر وحرية القول — في بلدان الشرق ، لم يخَفْ يوماً في سبيل رأيهِ لومة لائم ولا سجن مضطهد . يدلك على ذلك قولهُ من قصيدة في الدولة العثمانية يوم كانت لا تزال سيدة العراق وسورية وفلسطين فسجن بسببها

وما هي الاَّ دولة مستبدة ... تسوس بما يقضي هواها وتعمل
فترفع بالاعزاز من كان جاهلاً ... وتخفض بالاذلال من كان يعقل
فمن كان فيها اولاً فهو آخر ... ومن كان فيها آخراً فهو اول
ألا انما بغداد قد اصبحت بهم ... يهددها داء من الجهل معضل
وقد عبثت بالشعب اطماع ظالمٍ ... يحمّلهُ من جورهِ ما لا يحمَّل

كذلك قولهُ في تهنئة المقتطف بعيدهِ الذهبي

واشجع الناس كل الناس في نظري ... ذاك الذي قلبهُ في الحق لا يجف
يبدي الحقيقة للاقوام عارية ... وان اهانوا وان سبوا وان قذفوا

وقوله :

ظنوا بان الشعر الفاظ لها ... اغلال اوزان وقيد قوافي

وقوله :

والشعر ليس بنظمهِ ذو قيمة ... اتظنُّ شعراً كل ما هو ينظم

وقد اثبت فعلاً انهُ لا يرهب ان ينظم شعراً مطلقاً من قيد القافية فنظم قصيدتهُ الطويلة « بعد الف عام » .

كذلك تراهُ نصيراً للمرأة في نهضتها ومن القائلين بالسفور حيث يقول

مزقي يا ابنة العراق الحجابا واسفري فالحياة تبغي انقلابا
ليس بالناهض المهذب شعب هو لم يجعل احترامك دابا

***

قد يختلف الكتاب والنقاد في نظرهم الى الزهاوي وشعرهِ على ما اشار اليهِ في مقدمتهِ حيث يقول « وقد كثر اللغط في مصر وسورية والعراق حولي فمن قائل انهُ لا فيلسوف ولا شاعر بل هو عالم يحكم العقل والمنطق فيما يكتبهُ او ينظمهُ وقائل انهُ شاعر لا فيلسوف وقائل انهُ فيلسوف لا شاعر ومحب يقول انهُ فيلسوف وعالم وشاعر معاً وحاقد يقسم باحرج الايمان انهُ لا عالم ولا فيلسوف ولا شاعر »

نقول قد يختلف الناس في هذا الامر ولكننا لا نظن اثنين يختلفان ان الاستاذ الزهاوي كان رائداً مقداماً من روّاد حرية الفكر في الشرق سواء بما نظمهُ من القصائد او كتبهُ من الرسائل او القاهُ من الخطب او قام بهِ من الاعمال حتى في اشدّ ايام الاستبداد هولاً

ومع ذلك لا ندري سبباً يوجب هذا التقسيم بين الشاعر والعالم والفيلسوف. فقد كان علماء النفس القدماء يظنون ان عقل الانسان اشبه شيء بخزانة كبيرة فيها ادراج كل درج منها يحتوي على موهبة خاصة من مواهب الفكر. ولكن علماء النفس المحدثين اثبتوا بعد ما درسوا اصول الفيزيولوجيا واتصال الجهاز العصبي بالعقل والادراك والعواطف وما اليها ان الانسان كلّهُ يكون ساعةً مفكراً يبني تفكيرهُ على اصول العلم وقواعد المنطق فاذا استفزّ شعورهُ مستفزٌّ ثار ثائرهُ وضرب بالعلم والمنطق عرض الحائط وهبَّ يذود عن كرامتهِ مثلاً او يدفع عن وطنهِ. كذلك الاديب تراهُ آناً يتأمل في اوضاع الاجتماع والغاز الحياة فتغلب عليهِ صفة المفكر المتأمل فاذا كتب او نظم جاءت كتابتهُ او منظوماتهُ اقرب الى تفكير الفيلسوف او الحكيم. واذا اثار الحبُّ كوامن الوجد في صدرهِ او ضرب الوطن على وتر الكرامة والعزة القومية او حرّك مشهد الكواكب معاني الاجلال والاحساس بالعظمة والجمال جاءت منظومتهُ وقد غلب فيها جانب الشعور والوصف على جانب الفكر والرأي. فيقول فريق انهُ في كتابتهِ او شعرهِ الذي من النوع الاول عالم او فيلسوف. ولكنهُ في الثاني شاعر شاعر. والحق انهُ شاعر في كلا الحالين ولو قال في كلا الحالين «انا ابن عقلي وحده» لان الشعر لم يوقف

بوماً على الشعر الوجداني او الوصفي بل هو في رأينا كل تأملٍ وكل شعور يثير صاحبهُ الى إلباسهِ ثوباً من الجمال نظماً كان هذا الثوب او موسيقى او تصويراً او حفراً

ولكننا لا نخفي ان شعر المتأمل يغلب في «اللباب» على شعر الوجدان والوصف وذلك لان نشأة الاستاذ الزهاوي انما كانت نشأة عالمٍ حكيمٍ وقد تناول في رسائلهِ ومباحثهِ وقصائدهِ الفلسفة والعلوم والتاريخ والسياسة . وليس لدينا متسع في هذا الباب نجيء فيهِ على وصف المطالب الكثيرة التي تناولها فلهُ في القصص والحوادث عبر ومواعظ وفي الوصف وبثّ الشكاة والحث على التقدم وتأييد المرأة آيات بينات

ثروة الحبشة

بلاد الحبشة الى الجنوب الشرقي من السودان المصري مساحتها نحو ٣٥٠٠٠٠ ميل مربع اي انها اوسع من فرنسا وايطاليا معاً ولكن عدد سكانها قليل لا يزيد على اثني عشر مليوناً ويقدرهُ بعض الباحثين بعشرة ملايين فقط وهي ممالك صغيرة ولذلك يلقب صاحبها امبراطوراً وفي لسانهم نغوس نغستي (نجاشي النجاشيين) وتفصل البلاد عن البحر الآن مستعمرات دول الاستعمار الكبرى انكلترا وفرنسا وايطاليا . وواضح ان هذه المستعمرات حديثة لم يكن منها شيء في اوائل القرن الماضي . وفي البلاد جبال شاهقة يبلغ ارتفاع بعضها عن سطح البحر نحو ١٥٠٠٠ قدم ونجود واسعة في انحائها الشرقية والجنوبية تتخللها انهار كبيرة يجري بعضها جنوباً الى بلاد الصومال [١] وبعضها غرباً الى السودان المصري ومنها نهر القاش ونهر الاتبرا والبحر الازرق بروافدهِ الكثيرة واهمها البحر الازرق احد فرعي النيل وعليهِ يتوقف الفيضان ومبدأهُ بحيرة صانا في الجانب الجنوبي الغربي من بلاد الحبشة . وهذه البحيرة كبيرة جدًّا مساحتها ١١٠٠ ميل مربع وعمقها في بعض جهاتها ٢٥٠ قدماً فهي اوسع من مديريتي القليوبية والمنوفية معاً

واقليم الحبشة حارٌّ رطب في السهول معتدل في النجود بارد جاف في الجبال فلما ترتفع درجة الحرارة في نجودها على ٨٠ درجة بميزان فارنهيت . نشر بروس أرصادهُ

(١) يقال ان كلمة الصومال عربية محرفة واصلها الشمال لانها على شمال من يدخل البحر الاحمر كما ان اليمن عن يمينه

الجوية سنة ١٧٧٠ في كتابهِ المطبوع سنة ١٧٩٠ فكان أعلى درجات الحرارة ٩١ وذلك في ١٢ ابريل عند الظهر واخفضها ٣٢ وذلك في ١٤ يناير الساعة السادسة صباحاً واعلى درجات الحرارة في السنة كلها بين الستين والثمانين فاقليمها معتدل كاقليم سورية وهي مثل لبنان وسواحلهِ يرتقي فيها الانسان في بضع ساعات من اقليم حار بكل مميزاته الى اقليم بارد بكل مميزاتهِ

والسنة هناك ثلاثة فصول فصل الشتاء من اكتوبر الى فبراير وهو اشد الفصول برداً ويتبعهُ فصل حار جاف ثم فصل المطر من يونيو الى اكتوبر. ويشتد وقوع المطر في يوليو واغسطس وقد يدوم الى اواسط سبتمبر او اواخرهِ والغالب انهُ لا يمرُّ شهر من غير ان يقع فيهِ مطر . اما فصل المطر الحقيقي فمن يونيو الى اواسط سبتمبر وعلى هذا المطر يتوقف فيضان النيل وفلاح مصر . فتكون بلاد الحبشة اعلق البلدان كلها بالقطر المصري فاذا استطاعت ان تحول جانباً من انهارها الى ري اراضيها فقد تضرُّ بالقطر المصري ضرراً كبيراً

فبلاد الحبشة ترتبط بالبلاد المصرية بروابط جغرافية وتاريخية وسياسية ولا بدَّ من بيان هذه الروابط على وجهٍ وافٍ ليقف عليها الخاص والعام

ويسرنا ان الدكتور عبد الحليم الياس نصير قد عني بوضع كتاب مسهب في هذا الموضوع وصف فيهِ جغرافية بلاد الحبشة الطبيعية والاقتصادية وعلاقاتها السياسية فجاء في اربعة اقسام يحتوي القسم الاول منها على النظام السياسي والاجتماعي السائد في بلاد الحبشة مثل نظام الحكم والكنيسة القبطية والرقيق الاسود . والقسم الثاني يشتمل على بحث زراعي مستفيض والثالث يتناول التجارة والصناعة وفي الرابع يعرض لعلاقة الحبشة بمصر بالدول الاوربية وجمعية الامم ويلي ذلك ملحق يحتوي على نص المراسلات السياسية التي دارت بين الحبشة والدول الاوربية المختلفة التي لها مصالح في بلادها او فيما يجاورها . فالكتاب لا يستغني عنهُ مشتغل بالسياسة المصرية لشدة ارتباط مصالحنا الحيوية بمصالح الحبشة. وما الضجة التي قامت حول سد بحيرة صانا في الخريف الماضي الا دليل على ذلك

وهو مكتوب باللغة الفرنسية ويقع في ٢٧٢ صفحة من القطع الكبير مزدانة بصور كثيرة وحبذا لو عني المؤلف بنقلهِ الى العربية ونشرهِ بين ابنائها

زلات الوالدين

الكتاب للاستاذ فيلكس توما استاذ الاخلاق في جامعة فرسايل بباريس وقد « الم فيهِ بكل اساليب التربية في العائلة من قبل المهد اي من قبل تكوُّن الجنين الى ان يصير الطفل رجلاً ويتزوج وقد جاء فيهِ على وصف ما تترك الزلات التي يقترفها الآباء في تربية اولادهم من السيئات التي تلازم الحياة . وليس من الغرابة ان نقول ان معظم الاباء والامهات في هذه الديار يجهل جهلاً مطبقاً واجبات الابوة والامومة» لذلك جاءت عناية الامير وديع شهاب بترجمتهِ ونشرهِ في وقت الحاجة اليهِ . وقد طبعهُ طبعة اولى سنة ١٩٢١ فنفدت نسخها . فاعاد طبعهُ في آخر السنة الماضية طبعاً متقناً ببيروت فجاء في ٢٢٦ صفحة من قطع المقتطف تحتوي على اجلّ الفوائد في تربية الاولاد وتهذيبهم ولا نكون مغالين اذا قلنا ان كلَّ ارباب العائلات يجب ان يقتنوهُ وان لا يكتفوا باقتنائهِ بل نتمنى أن يكبوا على مطالعتهِ وتطبيق احكامهِ فالممالك تسقط ، على ما يقول المؤلف ، والعروش تثلُّ ولكن مملكة واحدة نشأت في القرن التاسع عشر ورسخت يوماً فيوماً هي مملكة « الولد » . فنهوض كلّ امة رهن العناية باطفالها فاذا شبّوا صحاح الاجسام مهذبي النفوس مثقفي العقول كان لها منهم في شبابهم ورجولتهم زعماء اقوياء يتقدمون صفوفها في معترك الحياة والعمران . والا اذا نشأوا ضعاف الاجسام منحطي الاخلاق اغبياء العقول فقد قضي عليها بالخذلان والتقهقر فما اكبر التبعة الملقاة على عواتق الآباء والامهات وما اشرفها

المدنية والحجاب

كتاب بليغ ينطوي على آراء مفكري الشرق والغرب في قضية المرأة وعلى معارضة مسهبة لكتاب « السفور والحجاب » الذي وضعتهُ الآنسة نظيرة زين الدين . وكان المؤلف يشك في نسبتهِ اليها فكرر لفظة « المنسوب » الى الآنسة ...حين ذكر الكتاب

ويتلخص رأيهُ في العبارة التالية المقتطفة من مقدمة الكتاب ومنها يتبين القارىء أسلوبهُ العربي البليغ في ايراد آرائهِ

«ان النقاب عند المسلمين امر عظيم الشأن نهت عن ابتذالهِ الشريعة ، واثبت نفعهُ الاختبار ، ولذلك تراهم اليوم مهتمين لقضيتهِ كل الاهتمام ، معتصمين بأهدابهِ جد الاعتصام ، وكيف يتهم المسلمون للحجاب وداً ، او يخفرون لهُ عهداً وفي ايامهِ وضع العرب

لروائع الحضارة صوراً وبسطوا في وجوه السؤدد غرراً، فلا عصبت يومئذ لشوكتهم سلمات ولا قُـرعت لعزتهم صَفاة ،غير ان جهري بواجب حفظه ، واشادتي بذكر مناقبه لا يعنيان اني اقصد النحت من اثلة شعب لم يألفهُ ،ولا القول بان ديار الفضيلة عافية الرسوم عند من ابتذله فاني اعترف بحسن سجية سيدات غير محتجبات واتغنى بادب مصونات غير منقبات ، ولكن اعترافي بفضل المحصنات منهن والفاضلات لا يجعل المسلمين ولا سيما منهم من خبر الحالة الاجتماعية في الشرق والغرب يتراخون في خلع النقاب وهم غير اولياء امورهم ، وتيار الشوائب على الابواب

وأيضاً قولهُ :

ولا يظنن احـد اني خصم رقي المرأة فاني من أوائل الجاهرين بواجب تعلمها اصول تربية الاطفال وتدبير المنزل والتمريض والاقتصاد وغير ذلك من امور تستدعيها مصلحة البيت وطأ نينته فالى اولئك السيدات الفاضلات محجبات كنَّ او سافرات اردد آيات الثناء والاعجاب سائلاً للوطن العزيز بفضل مساعيهنَّ ونهضة ابنائهِ الابرار ابعد العزة والفلاح

الهندسة المستوية

النهضة العلمية في العراق ماضية في سبيلها غير حافلة بما يقوم في وجهها من العقبات. ولا ريب في انها بالغة نصيبها من النجاح اذا ظلَّ الدأب والاقدام ديدن اربابها. نقول هذا وامامنا الجزءان الثاني والثالث من هندسة وتورث وسمث المستوية نقلها الى العربية الاستاذان علي وجلال امين زريق مدرسي الرياضة في المدرسة الثانوية المركزية ببغداد ودار المعلمين العليا فيها . وقد قررت وزارة المعارف تدريس هذا الكتاب في السنة الثانية من الدراسة الثانوية . فنشكر للاستاذين عنايتهما بنقل كتب التدريس العلمية الى اللغة العربية ونشكر لحكومة العراق عنايتها بتشجيع المترجمين قولا وفعلا

الرجل الذي لا يعرفه أحد

تحليل عصري لشخصية السيد المسيح ومبادئهِ وتعاليمهِ وكيفية تطبيقها على احوال الناس ومعتقداتهم واعمالهم في هذا العصر بقلم الكاتب بروس برتون الاميركي. وقد نقله الى العربية بتصرف قليل الارشمندريت انطونيوس بشير صاحب مجلة «الخالدات» ومحررها وقد عني بطبعهِ ونشرهِ يوسف افندي توما البستاني صاحب مكتبة العرب بالفجالة بمصر

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اول انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيه مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائله باسمه والقابه ومحل اقامته امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمه عند ادراج سؤاله فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمه (٣) اذا لم يدرج السؤال بعد شهرين من ارساله الينا فليكرره سائله وان لم ندرجه بعد شهر آخر نكون قد اهملناه لسبب كاف

(١) بوز العالم الهندي

الاسكندرية . لهجت الجرائد اخيراً بذكر العالم الهندي بوز فمن هو واين تلقى علومهُ وبماذا يشتغل الآن

ج . اليكم ترجمتهُ ملخصة عن الطبعة الاخيرة من دائرة المعارف البريطانية . عالم طبيعي ولد في ٣٠ نوفمبر سنة ١٨٥٨ وبعد ما تخرج من كلية سانت زافيه بكلكتا التحق بكلية كريست في جامعة كمبردج ففاز بشهادة الامتياز العليا سنة ١٨٨٤ . وانتظم في السنة التالية في سلك ادارة المعارف بالهند فعين استاذاً للطبيعيات في كلية الرآسة بكلكتا . وخطب سنة ١٨٩٦ في مجمع تقدم العلوم البريطاني عارضاً آلة لدرس صفات الامواج الكهربائية تشبهُ من وجوه كثيرة جهاز الرابط Coherer المستعمل الآن في المخاطبات اللاسلكية . واستنبط جهازاً لتحقيق قواعد انعكاس الامواج الكهربائية وانكسارها واستقطابها . وخطر على بالهِ حينئذٍ ان فعل المستقبل الكهربائي يشبه من وجوهٍ كثيرة فعل العضلة في جسم الانسان فحملهُ ذلك على البحث في تأثر الجمادات والنباتات بانواع مختلفة من المهيجات سواء كانت كهربائية او ميكانيكية فادى بهِ ذلك الى مباحثهِ البديعة في اعصاب النباتات. وهو اول هندي فاز بلقب « عضو في الجمعية الملكية البريطانية» .F.R.S وذلك جزاء لهُ على مباحثهِ العلمية والرياضية . واسس معهداً للبحث الطبيعي في كلكتا سنة ١٩١٥ تولى ادارتهُ ونال لقب سر سنة ١٩١٧

(٢) مباحثه في اعصاب النباتات

ومنهُ . وما هي مباحثهُ

ج . من النباتات ما تتحرك اوراقهُ اذا لمستها كأنها تشعر واشهر الامثلة على ذلك السنط الحساس . هذا النبات تنبسط

اوراقهُ في الصباح وتتجه الى الشمس وتبقى منبسطة الى اواخر النهار فتنطبق حينئذٍ وتبقى كل الليل كذلك الى الصباح . واذا لمستها في النهار انطبقت ايضاً كما تنطبق ليلاً . واذا اطلتَ لمسها او لمست ساقها لم تكتفِ بالانطباق بل تدلت على اغصانها كأنها ماتت

هذه ظاهرة طبيعية لم يهتد علماء الغرب الى سببها الحقيقي ولكن الاستاذ السر جاغادس بوز استنتج بالامتحان ان في السنط الحساس اعصاباً تتأثر بالمؤثرات كاعصاب الحيوانات . فانهُ وجد ان هذا السنط يشعر بالكهربائية ولو كانت عشر ما يلزم لشعور الانسان بها . وتختلف سرعة شعورهِ باختلاف الاحوال فاذا برد قلّ تأثرهُ واذا اصابتهُ مادة مخدرة انقطع تأثرهُ الى ان يزول الخدر فيعود تأثرهُ كما كان . وعندهُ ان هذا الشعور عصبي لا ميكانيكي . وقد تمكن من تحقيق ذلك بواسطة آلة كهربائية دقيقة استنبطها للبحث في حركات النبات

وقد عرف الاستاذ بوز محل هذه الاعصاب من النبات وتأثر فروعها بالكهربائية وباستعمال الاصباغ . هذه هي خلاصة ابحاثهِ ونتائجها من اغرب الغرائب كما ترون لانها تخالف المشهور بين الناس

(٣) اكل الطيور للحجار

مونتريال . كندا . يقال ان بعض الطيور ولاسيما الحجل يهضم الحجارة حتى الصوان فهل لهُ فائدة من ذلك

ج . تلتقط الطيور الحجارة الصغيرة مع طعامها لكي تساعدها على هضم الطعام وبعضها يهضم مع الطعام حقيقة كالحجارة الكلسية الرخوة وتتناول ابدانها الكلس منهُ لتكوين قشور بيضها

(٤) هل تضيق الارض بسكانها

بونس ايرس . هل يأتي يوم تضيق فيهِ الارض بسكانها نظراً الى ما نراهُ من مساعي الدول في تسهيل اسباب العمران وتقليل الوفيات بنشر التعليم الصحي والوسائل الصحية

ج . لا نظن لان الذين تقلُّ وفياتهم بانتشار الوسائل الصحية تقلُّ ايضاً مواليدهم باحجامهم عن اخلاف النسل على الاطلاق او اخلاف نسل قليل وهو ما يعرف لدى علماء الاجتماع الآن بتحديد النسل . ودعاة هذا المذهب الآن كثارٌ لانهم يرون في الجري عليهِ فوائد اجتماعية كبيرة. وقد نعود الى معالجة هذا الموضوع الحيوي في مقالة على حدةٍ في احد الاجزاء التالية

ومما يسوءُ ذكرهُ ان الدول التي تسعى الى تلافي النقص في عدد سكانها انما تفعل

ذلك لغرضين الاول حتى لا تقلّ دخلها بقلة شعبها وثانياً حتى لا يقلّ جنودها منهم. ونشير عليكم ان تراجعوا مقالة نشرناها في هذا الموضوع في مقتطف يونيو الماضي صفحة ٦١٢

(٥) المكروبات والماء الغالي

جوهانسبرج . هل للماءِ البارد جدًّا قوة على قتل المكروبات كالماءِ الغالي

ج . كلاً فان الماء الغالي يقتل كل المكروبات تقريباً واما الماءُ الذي يصل الى درجة الجليد فقلما يقتل شيئاً منها

(٦) الخوف

بغداد . لماذا يخاف الانسان وهل الخوف يشمل الناس كلهم وهل يعمّ الحيوان والنبات

ج . الخوف طبيعي في الانسان والحيوان تولّد من ملكة حفظ النفس والهرب من الخطر اي اذا وجد في مكان مائة حيوان وهرب خمسون منها من الخطر والخمسون الاخرى لم تهرب فسلالة الاولى مضمونة اكثر من سلالة الثانية وبقاءُ نسل الاولى اضمن من بقاءِ نسل الثانية فتزيد فيها صفة الهرب من الخطر رويداً رويداً لانها مفيدة لحفظ النوع . هذا اذا صحّ مذهب وراثة الصفات المكتسبة. والاَّ فيمكن تعليلهُ بمذهب التحول الفجائي فان الحيوان الذي يولد وفيهِ صفة غريزية جديدة ظهرت فيهِ فجأة mutation تحملهُ على الهرب من الخطر تكون سلالتهُ مضمونة اكثر من سلالة الباقين الذين لم تنشأ فيهم الطبيعة هذه الصفة . وسلالتهُ تتوارث هذه الصفة لانها اساسية فيهِ لا مكتسبة فتكثر واما سلالات الحيوانات الاخرى فتبيد

والظاهر ان هذه الصفة اي الخوف او الابتعاد عن الخطر موجودة جراثيمها في النبات فترى الصنوبر يثخن قشرهُ لكي ينجو من برد الشتاءِ والسنط يطبق وريقاتهِ لكي لا يكثر التبخر منها

(٧) الجغرافيا الطبيعية

الموصل : ما هي احسن الكتب والمجلات والمصوّرات الانكليزية التي تبحث في الجغرافية الطبيعية

ج. تتناول الجغرافية الطبيعية كما تعلمون تكوّن الارض وبناءها وحالة جوّها وما يخترق سطحها من انهار وما يرتفع فوق منبسطاتهِ من آكام وجبال وما يفصل بين البلدان والقارات من بحار واوقيانوسات. فهي بطبيعتها تقسم الى ثلاثة أقسام الاول يتناول سطح الارض ويطلق عليهِ اسم « جيومورفولوجيا » وفيهِ يتصل بحث الجغرافي ببحث الجيولوجي . والثاني الاوقيانوسات والبحار وكيف تكونت والاحياء التي فيها ويعرف بالاوقيانوغرافيا. والثالث يشمل احوال الجوّ وتقلبها ويطلق

عليهِ اسم الظواهر الجوّية. ولكل من هذه الموضوعات مطولات نظنكم تجدونها موفاة البحث في الكتب التالية

Geikie's Text Book of Geology
Dana's Manual of Geology
J. Johnston's Introduction to Oceanography
Sir. W. N. Shaw, Forecasting Weather: the Air and its Ways
Morris, Descriptive Meteorology

اما المجلات الجغرافية فنشير عليكم ان تشتركوا في مجلة The Geographical Review التي تصدرها الجمعية الجغرافية الاميركية في نيويورك

(٨) سرعة النور وسرعة الصوت

اسيوط . عندما تطلق بندقية او حينما تطلق الجنود مدفعاً نرى نور الطلقة قبل ان نسمع صوتها بزمن فما سبب ذلك وكم يكون المدة بينهما

ج . سببهُ ان النور اسرع من الصوت. فالنور يجتاز نحو١٨٦ الف ميل في الثانية واما الصوت فلا يجتاز اكثر من ٣٤٣ متراً في الثانية اذا كانت حرارة الجوّ عادية اي نحو ٢٠ درجة بميزان سنتغراد. فاذا كانت المسافة بين البندقية والمشاهد ٣٤٠ متر انقضت ثانية قبلما يسمع صوت الطلقة ولكنهُ يرى النور حالاً لان النور يجتاز مسافة ٣٠٠ متر في جزء صغير من الثانية لا يمكن قياسها بساعة الآن

(٩) تنقية الدم

ومنهُ . ما هو أفضل دواء لتنقية الدم

ج . الدم نقيّ من طبعهِ ما لم يكن الانسان مصاباً بأحد الامراض التي تدخل جراثيمها في الدم. فالدواء اذاً يتوقف على ماهية المرض . فاذا كان الدواء الحمى الملارية مثلاً فالكينا تنقيهِ من جراثيمها واذا كان المرض المعروف بالزهري فافضل ماينقيهِ من جراثيمه مركبات الزئبق واليود ولكن ذلك يجب ان يكون برأي طبيب . اما الادوية التي يعلنون عنها في الجرائد انها منقية للدم فلا يمكن الحكم بفائدتها قبل معرفة تركيبها وامتحان فعلها امتحاناً دقيقاً

(١٠) مؤلفات الرافعي

تلمسان الجزائر . ماهي مؤلفات الاستاذ مصطفى صادق الرافعي . واين ينشر معظم مقالاتهِ

ج . تاريخ آداب العرب . حديث القمر . المساكين . رسائل الاحزان . السحاب الاحمر . اعجاز القرآن . المعركة (وهي مقالات ردّ بها على كتاب الدكتور طه حسين في الشعر الجاهلي). ولهُ ديوان مطبوع

اما مقالاتهُ التي يتناول فيها البحث في الادب العربي ورجالهِ فينشر اكثرها في المقتطف

(١١) رواية مانون ليسكو

ومنهُ . هل ترجمت رواية مانون ليسكو (Manon Lescaut) من الفرنسية ومن ترجمها

ج . لم نرها مترجمة ولم يبلغنا انها ترجمت . ونظنكم تحسنون فعلاً اذا ترجمتموها فانها من آيات الادب الفرنسي في القرن الثامن عشر

(١٢) الشعر في المرأة والرجل

صافيتا سوريا . ما السبب في حرمان انثى الانسان من شعر العارضين وبعض الجسم مع ان الحيوانات العليا متساوية ذكورها واناثها فيهِ وهل فيهِ فائدة حقيقية نالتها المرأة من وراء ذلك . او هل يستدلُّ من هذا الحرمان ان المرأة ترقت قبل الرجل بدليل قول علماءِ النشوءِ ان الانسان كلما تغلغل في المدنية ازداد تقلص الشعر عنهُ حتى يتلاشى . وما فائدة شعر الابطين وهل يبدو على جسم بعض الحيوانات العليا امثال هذه الظواهر من مميزات البلوغ . والاَّ فما علة اختصاص الانسان بها

ج . بين الرجل والمرأة فروق كثيرة غير نمو الشعر الطويل في وجه الرجل وعدم نموهِ في وجه المرأة . ونمو الشعر في وجههِ ليس من الفروق القديمة جدًّا كولادة الاولاد مثلاً بل هو من الفروق الحديثة بينهما بالنسبة الى غيرهِ . ولذلك تجد الشعر قليلاً في وجوه الهنود والزنوج والمغول . اما كيف حدث هذا الفرق اولاً او كيف نزع الشعر من بدن الانسان عموماً فرأي دارون فيهِ ان اناث الانسان اخذت في نزعهِ منذ عهد بعيد جدًّا قصد الزينة فبدت البشرة في اكثر الجسم وورث ذلك الذكور والاناث. ولكن شعر الذكور كان اقوى واغزر لسبب تعرضهم للمشاق فبقي في وجه الرجل او عاد اليهِ بعد زوالهِ

وقد ظهر لدى البحث ان لشعر الوجه علاقة باعضاءِ التناسل فلا يظهر الاَّ بعد البلوغ فاذا نزعت اعضاء التناسل لم يظهر كما في وجوه الخصيان والخناث وذلك مطرد في الحيوانات. اما كيفية العلاقة فغير معروفة وكل مسألة الشعر لا تزال في مجال البحث والتحقيق

(١٣) الحركة الدائمة

سانتوس بالبرازيل . هل وفّق احد من العلماءِ الى استنباط آلة للحركة الدائمة . وهل هذا متعذّر عليهم

ج . نعم هو متعذر ما دمنا نستعمل المواد التي لها ثقل أي التي تجذبها الارض والتي تحتك بعضها ببعض مهما يكن احتكاكها قليلاً . فان ثقلها واحتكاكها يزيلان بعض القوة التي تلزم لتحريكها اولاً فتضعف رويداً رويداً حتى تقف الآلة

باب الاخبار العلمية

اوجه القمر في نوفمبر

	يوم	ساعة	دقيقة	
الربع الاخير	٤	٤	٦	مساءً
الهلال	١٢	١١	٣٥	صباحاً
الربع الاول	٢٠	٣	٣٦	مساءً
البدر	٢٧	١١	٥	صباحاً
الاوج	١٤	١٠	٦	صباحاً
الحضيض	٢٧	٣	٣٠	مساءً

السيارات في نوفمبر

عطارد . كوكب صباح
الزهرة . وزحل كوكبا مساء
المريخ. يشرق نحو الساعة الثامنة مساءً
المشتري . يرى كلَّ الليل

كسوف الشمس

تكسف الشمس في ١٢ نوفمبر كسوفاً جزئيًّا يشاهد من القاهرة

يبدأ الكسوف الساعة ١٠ والدقيقة ١٨ من صباح الاثنين في ١٢ نوفمبر ويبلغ اعظمهُ الساعة الحادية عشرة والدقيقة الرابعة والعشرين فيغطى حينئذٍ ٢٢٣ جزءًا من الف جزء من قرص الشمس وينتهي الساعة ١٢ والدقيقة ٣٤

خسوف القمر

ويخسف القمر خسوفاً كليًّا في ٢٧ نوفمبر ولكنهُ لا يشاهد من القاهرة

احدث وسائل الانتقال واغربها

لا يصل هذا الجزء من المقتطف الى ايدي قرائهِ حتى يكون المهندسون الالمان قد اخرجوا الى ميدان المواصلات البرية والجوية اسلوباً جديداً من اساليب النقل والانتقال فهم يعدون المعدات الآن ليبنوا سكة حديدية جديدة في شكلها ومبدإِ سيرها فهي اولاً اشبهُ شيء ببلون من بلونات زبلن المستطيلة وبدلاً من ان تسير على خطوط حديدية في الارض تعلق من سطحها الاعلى بسلك ممدود بين محطتين تجري عليهِ فيحل الخطوط الحديدية . اي انها ستكون بلوناً معلقاً في الفضاء يسير بقوة الكهربائية والكهربائية تتصل بالمحرك من السلك الذي تعلق بهِ. وينتظر ان تبلغ سرعة هذه القطارات نحو ٢٠٠ ميل في

الساعة وهي قريبة من اقصى سرعة بلغتها سيارات سيجريف وكامبل وراي كيتش. ويبنى الآن خطان من هذا القبيل الاول بين برلين وهال والثاني بين كولون ورسلدورف

بيت داروِن

فكر المثري الاميركي الشهير اندرو كارنجي منذ ربع قرن تقريباً ان يبتاع بيت داروِن ويقف عليهِ مبلغاً من المال للبحث في مسألة النشوءِ والحكم في صحتها او عدمها حكماً نهائياً. ولكنهُ لما عرض هذا الاقتراح على مستشاريهِ الماليين اشاروا عليهِ بعدم الاقدام عليهِ لكثرة نفقاتهِ. ثم عني بهذا الموضوع السر ارثر شبلي مدير كلية المسيح بجامعة كمبردج حيث قضى داروِن جانباً كبيراً من ايام تلمذتهِ فكتب وخطب كثيراً حاثاً ارباب الاحسان على التبرّع بمبلغ من المال لشراءِ بيت داروِن وجعلهِ مزاراً وطنياً. ولكنَّ طلبهُ لم ينل اقبالاً كافياً يتفق ومكانة داروِن العلمية. وتلا السر ارثر شبلي الاستاذ اسبورن رئيس متحف التاريخ الطبيعي الاميركي بنيويورك واحد علماء الآثار المتحجرة الذين يشار اليهم بالبنان فحثَّ الاغنياء والمحسنين على ابتياع منزل داروِن ووقف مبلغ من المال عليهِ وجعلهِ دارًا للبحث البيولوجي بوجهٍ عام والبحث في مسألة النشوءِ بوجهٍ خاص واشار الى احتمال اشتراك المثرين الاميركيين في جمع المال اذا عُنيت الجمعية الملكية الانكليزية بالموضوع ووضعتهُ تحت رعايتها. ولكن مجلس الجمعية قرَّر انهُ يحتاج الى مبلغ كبير من المال لتحويل بيت ريفي بسيط الى معهد علمي حديث وانهُ اذا جمع هذا المبلغ كان انفاقهُ على البحث العلمي اجدى كثيراً من انفاقهِ على بناءِ دارٍ للبحث العلمي. وهكذا ذهبت كل المساعي لجعل منزل داروِن مزاراً وطنياً او تحويلها الى معهد علمي ادراج الرياح

لكن السر ارثر كيث العالِم الانثربولوجي المشهور ورئيس مجمع تقدم العلوم البريطاني في السنة الماضية نشر نداءً حارًّا الى محبي العلم يحثُّ فيهِ الاغنياء على الاكتتاب بمبلغ من المال لشراءِ بيت داروِن وحفظهِ كما هو تذكاراً لاعظم عالِمٍ طبيعيٍّ انجبتهُ انكلترا.

فكان للنداءِ اثر بليغ في نفس احد الذين قرأوهُ وهو الدكتور بكستن برون احد جرّاحي لندن الذي تقدم الى رئيس المجمع طالباً ان يُسمح لهُ بشراءِ بيت داروِن ووقف المال اللازم لهُ لحفظهِ كما كان في حياة صاحبهِ وان يكون البيت ملكاً للامة الانكليزية ويُعهد الى مجمع

تقدم العلوم البريطاني في الاشراف عليهِ والعناية بهِ . فقبل مجلس المجمع هذا الاقتراح وتقدم افرادٌ من اسرة دارون لمساعدتهِ في اعادة غرف البيت الى ما كانت عليهِ حين كان دارون يكتبُ فيها على كتابة « اصل الانواع » « وتسلسل الانسان » وغيرها من الكتب الخالدة . وقد جمعت الطبعات المختلفة التي طبعت ونشرت من كتبهِ لتحفظ في هذا البيت اثراً ناطقاً بصبر العالم وجهادهِ وفوزهِ النهائي

عجائب التلغراف والصحافة

زار محرّر هذه المجلة في الصيف الماضي ادارة جريدة المانشستر جارديان بمدينة مانشستر فشاهد فيها آلة تلغرافية جديدة هي من اغرب الآلات الصحافية التي شاهدها في اوربا واميركا. ذلك ان لادارة الجارديان مكتباً خاصًّا في مدينة لندن ويصل بين هذا المكتب وادارة الجريدة في مدينة مانشستر خط تلغرافي خاص يستطيع ان ينقل عدة رسائل تلغرافية في آن واحد سواء كانت ذاهبة من مانشستر الى لندن او آتية اليها او ذاهبة وآتية معاً. واغرب من ذلك ان في غرفة الاستقبال في مانشستر خمس آلات كاتبة (طيب ريتر) تراها تكتب الانباء المرسلة من لندن من تلقاءِ نفسها. وتفسير ذلك ان في مكتب لندن خمس آلات مثلها يكتب بها الكتاب الانباء التي يجمعها المخبرون او المقالات التي ينشئها الكتّاب فترسل كلها في وقت واحد على السلك التلغرافي الخاص المشار اليها آنفاً وحين وصول هذه الرسائل الى المكتب التلغرافي في مانشستر تمرُّ بآلة خاصة تفصل احداها عن الاخرى وتوزعها على الآلات الكاتبة المختلفة فتطبعها على الورق من تلقاءِ ذاتها

وفيما كان المدير التلغرافي يشرح للمحرّر عمل هذه الآلة العجيبة قال اريد ان اضرب لك مثلاً الآن فاسأل عن حالة الجوّ في لندن .وتحوَّل الى آلة صغيرة على الطاولة امامهُ . وهي آلة تلغراف مورس العادي ونقر عليها بضع نقرات وفي اقلّ من ثانية كانت احدى الآلات الكاتبة تكتب ما يأتي « الجوّ صافٍ والشمس مشرقة » فالرسالة التلغرافية التي ارسلها ذهبت الى لندن على السلك الخاص مع ان بضع رسائل اخرى كانت آتية على هذا السلك نفسهِ من لندن الى مانشستر وعاد جوابها عليهِ مع رسائل اخرى ايضاً

السابحات في الهواء

الطيارات التي كثر استعمالها الآن في النقل والانتقال والحرب في كلٍّ منها آلة قوية يحترق فيها البنزين وهي التي تحركها

في الصعود والنزول والسير. وقد استنبطت منذ سنوات طيارات يحركها الهواء فتجرُّ على الارض بسرعةٍ اما بان يمسك بها الناس بحبلٍ ويعدون عدواً سريعاً او يربطوها بسيارة تجري بسرعةٍ وفي الحالين يقاومها الهواءُ وهي جارية ويرفعها عن الارض ويكون فيها طيار يديرها يمنةً ويسرة حسب اتجاه الريح فتثبت في الجو او تسير فيهِ. فاعتماد الطائر على مجاري الهواءِ وعلى مقاومتهِ للطيارة

وقد قدمت جريدة الديلي ميل منذ ست سنوات جائزة قدرها الف جنيه تمنحها للطيار الذي يطير بطيارة من هذا النوع ويقيم في الهواء اكثر من غيرهِ. ففاز بها طيار فرنسي اسمهُ ميرول اذا اقام في الجو ثلاث ساعات و٢٢ دقيقة

ولكن اطلعنا الآن في مجلة العلم العام الاميركية ان طياراً المانيًّا يدعى فردينان شولتس طار بطيارة من هذا النوع على شواطىءِ المانيا الرملية المحاذية لبحر البلطيق فبقي في الجوّ ١٤ ساعة من الصباح حتى بعد غروب الشمس. وكان قد حلق قبلاً بها الى ارتفاع نصف ميل عن سطح البحر

وقد كثر الراغبون في هذه الطيارات بالمانيا حتى يقال ان نحو ١٥ الف من ابنائها رجالاً ونساءٍ شباناً وكهولاً قد اخذوا يزاولون الطيران بها من قبيل اللهو والرياضة. وأُنشئت لذلك اندية خاصة. يضاف الى ذلك ان شركة اللفت هنسا الالمانية ترى ان هذه الرياضة افضل ميدان لتمرين سائقي الطيارات الذين لابدَّ ان يكثر الطلب عليهم لتسيير الطيارات التجارية

ويتوقف نجاح الطائر بهذه الطيارة على دقة شعورهِ واسراع اعضائهِ الى استخدام مجاري الهواءِ. فهو من هذا القبيل يشبهُ الطير المحلق في الفضاءِ

مجمع تقدم العلوم البريطاني

اجتماعهُ السنوي

التأم مجمع تقدم العلوم البريطاني هذه السنة في مدينة غلاسجو برآسة السر وليم براغ الذي نال جائزة نوبل للطبيعيات مع ابنهِ الاستاذ وليم براغ لبحثهما في « اشعة اكس والبلورات ». وكان موضوع خطابهِ « الصناعة والعلم » اثبت فيهِ ما طالما رددناهُ على صفحات هذه المجلة من ان البحث العلمي اساس لارتقاءِ الصناعة وان اصحاب المعامل يجب ان يجودوا على العلماءِ والباحثين النظريين بمبالغ طائلة من المال لكي يتمكنوا من النفوذ الى مكامن الغاز الطبيعة وامرار الحياة. وان المنافع المادية تجنى بعد ذلك لان تاريخ العلم اثبت ان النتائج التي هي نفع محض نتجت غالباً من

الدرس والتجارب التي جرّبت على اسلوب علمي محض . وابان ان الصناعات الناجحة في بريطانيا هي الصناعات التي قامت على المباحث العلمية مثل الهندسة الكهربائية والطيارات والمواد الكيماوية وغيرها. وقال ان صناعات الفحم والحديد والفولاذ وما اليها قد تنهض عن كبوتها بفضل المباحث العلميـة

ثم توزع اعضاء الجمعية على اقسامها المختلفة نخطب رؤساء الاقسام خطبهم واشترك الاعضاء في مناقشة الرسائل المختلفة التي تليت عليهم . وسنلخص منها ما يسهل فهمهُ في اجزاء المقتطف التالية

ولما التأم مجلس الادارة لانتخاب الرئيس للسنة المقبلة اجمع اعضاؤهُ على انتخاب السر توماس هولند مدير كلية العلم الامبراطورية بلندن واستاذ الجيولوجيا وعلم المعادن في جامعة مانشستر سابقاً. وقرّر ان يلتئم المجمع في جنوب افريقية في السنة القادمة

حادث خطير في الطيران

ذكرنا في المقتطف منذ سنتين التجارب الخطيرة التي جربها الطيار الاسباني السنيور ده لا شيرقا لاستنباط دولاب يُربَط بسطح الطيارة الاعلى فيقوم فيها مقام الجناحين ويمكّنها من القيام من ميدان الطيران في خط عموديّ والنزول الى الارض في خط عمودي والوقوف من غير ان تجري على الارض شوطاً بعيداً

وقد اكبَّ السنيور ده لا شيرقا على اتقان استنباطهِ ما يزيد على السنتين وفي ١٨ سبتمبر الماضي طار من مطار كرويدن في ضواحي لندن الى مطار لوبورجه في ضواحي باريس فقطع المسافة بينهما في ثلاث مراحل واستغرق اجتيازهُ لبحر المانش ٢٠ دقيقة فقط ولما وصل الى لوبورجه حام فوقهُ قليلاً ثم هبط في خط عموديّ من علو ٤٥٠ قدماً وبعد ما جرت الطيارة ثلاث اقدام وقفت . وكان معهُ في الطيارة محرّر جريدة الايستراسيون الفرنسية . وعندنا ان هـذا الحادث في تاريخ الطيران يعادل اجتياز بلريو لبحر المانش وقد يفوقهُ وانهُ بلا شك فاتحة عصر جديد في المواصلات الجوية

جبارة الطيارات

تعنى شركة دورنيه الالمانيـة ببناء طيارة مائية ضخمة لاجتياز الاتلنتيكي يسيرها اثنا عشر محركاً قوة كل منها ٥٠٠ حصان والمسافة بين طرفي جناحيها ١٥٨ ووزنها ٤٤ طنًّا وفيها متسع لخمسين مسافراً عدد تسعة رجالٍ لتسييرها والعناية بشؤون المسافرين

اكتشاف اثري في العراق

عثر العملة على نقوش على مقربة من رأس العين في العراق تمثل رجلاً ممطياً بعيراً ومتقلداً حساماً وحاملاً ترساً مستديراً وقد وجدوا شبهاً بين هذا الرسم والرسوم التي وجدوها في تدمر فهو ليس الا مارس اله الحرب وكان الجنود الذين يخفرون القوافل ويخدمون في الجيش الروماني يعبدونهُ عبادة خاصة

الآثار العربية في مصر

اعتمد مجلس الوزراء مبلغ ٤٠٠٠٠ جنيه لاصلاح جامع احمد بن طولون الاثري على ان يصرف هذا المبلغ في الاصلاح والترميم على اربع سنوات وان يدرج منهُ مبلغ ١٠٠٠٠ جنيه في ميزانية الدولة لسنة ١٩٢٨ وسنة ١٩٢٩ المالية والباقي يصرف تدريجاً في خلال ثلاث سنوات ويقول مندوب المقطم ان لجنة الآثار العربية في وزارة الاوقاف مهتمة الآن باعداد مقايستين عن الاصلاحات اللازمة لهذا الجامع العظيم الاولى بمبلغ ٥٠٠٠ جنيه لرفع الانقاض والتراب من الزيادات واعادة العقود بالوجهتين البحرية والغربية واعادة بناء الباكية المعقودة المشرفة على الصحن . والمقايسة الثانية بمبلغ ١٥٠٠٠ جنيه لعمل الاسقف الجديدة بالإيوان الشرقي واعادته الى حالته الاولى بما كان فيهِ من النقوش العربية البديعة وان تكون كل مقايسة على حدة وان لا يتجاوز الصرف عليها في ميزانية هذا العام ١٠٠٠٠ جنيه فاذا زادت النفقات على ذلك فقد تؤخذ من مشروع ميزانية السنة القادمة .

تطوع الابطال!

الف الصليب الاحمر البريطاني فرقة من المتطوعين تبذل دمها لا في ساحة القتال — وكل منا ينفر من هذه الساحة — بل في المستشفيات ففي كل سنة تخلص حياة المئات من الناس بنقل دم جديد اليهم وقد اظهر الاحصاء ان متطوعي الصليب الاحمر الذين جادوا بدمهم لانقاذ الذين كان الضعف يهدد حياتهم جادوا بهِ ١٢٩٣ مرة في سنة ١٩٢٧ وكان معظم هؤلاء المتطوعين من الكشافة فهذه الشجاعة المراد بها النفع المرتجى خير من الشجاعة التي تجر في غالب الاحيان الويلات والآفات

اغلى حديث تلفوني

في اواخر سبتمبر الماضي استدعى احد الاميركيين المقيمين في لندن شريكهُ في نيويورك وخاطبهُ بالتليفون اللاسلكي مخاطبة مالية استغرقت ٩٣ دقيقة وكلفت ٢٨٥ جنيهاً اي نحو ثلاثة جنيهات في الدقيقة

الجزء الثالث من المجلد الثالث والسبعين

المقتطف

مجلة علمية صناعية زراعية

لمنشئيها

الدكتور يعقوب صروف و الدكتور فارس نمر

قيمة الاشتراك — في القطر المصري جنيه مصري واحد وفي سورية وفلسطين والعراق ١٢٠ غرشاً مصرياً وفي الولايات المتحدة ٦ دولارات اميركية وفي سائر الجهات ٢٦ شلناً

اشتراك الطلبة والمدرسين — قيمة الاشتراك للاساتذة والطلبة الذين يرفقون طلبهم بقيمة الاشتراك وبشهادة من رئيس المدرسة تكون ٨٠ غرشاً مصرياً في مصر و٩٥ غرشاً مصرياً في الخارج

الاعداد الضائعة — الادارة لا تعد بتعويض المشتركين ما يضيع من اعدادهم في الطريق ولكن تجتهد ان تفعل ذلك

المقالات — لا تقبل المقالات للنشر في المقتطف الا اذا كانت له خاصة ولا يعد قلم التحرير بارجاع المقالات التي لا تنشر فنرجو من حضرات الكتاب ان يحتفظوا بنسخة من المقالات التي يرسلونها

العنوان — ادارة المقتطف بالقاهرة — مصر

AL-MUKTATAF

An Arabic Monthly Review of Current Science and Literature.

Published in Cairo Egypt

Founded 1876 by Drs. Y. Sarruf & F. Nimr

SUBSCRIPTION PRICE : Egypt & the Sudan 1 L.E. or 5 Dollars
Foreign 120 P.T. or 6 Dollars

مقتطف يناير الجديد

الجزء الاول من السنة الثالثة والخمسين

الغلاف { تظهر على الغلاف صورة رمزية بديعة بالألوان تمثل العلم قابضاً على ازمة الطبيعة وحولها اطار ملون تزيدها رونقاً وبهاءً

بعض مباحثه

اؤمن بالأدب
للأستاذ عباس محمود العقاد

عين العلم تفري ظلمات المستقبل
للسترجفرد . وللمستر نقولا تسلا
رئيس شركة التلفون المخترع والمكتشف
والتلغراف الاميركية الصربي الاميركي

نظام الآداب في عالم الحيوان
لاسماعيل بك مظهر

الكهربائية في يد الكيماوي
تولد العجائب
للأستاذ حبيب اسكندر

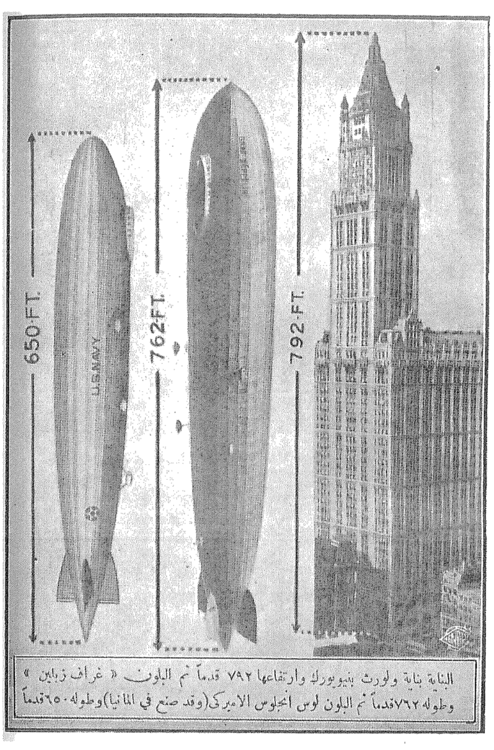
هل نترجم مصطلحاتنا العلمية
أم ماذا نفعل
للمرحوم الدكتور صروف
مقالة مخطوطة وجدت بين أوراقه

شخصية مصطفى كمال وأثرها
في نهضة تركيا

هل الحضارة الاوربية
على شفا جرف هار ؟

ما هو النجاح
الدين انج اللاهوتي الانكليزي المشهور

—0:0—



البناية بناية ولورث بنيويورك وارتفاعها ٧٩٢ قدماً ثم البلون « غراف زبلين »
وطوله ٧٦٢ قدماً ثم البلون لوس انجلوس الاميركي (وقد صنع في المانيا) وطوله ٦٥٠ قدماً

فاز « غراف زبلين » بالطيران من المـانيا الى الولايات المتحدة في ١١١ ساعة اجتاز في أثنائها نحو ٦٢٠٠ ميل ثم عاد الى المانيـا في نحو ٧٢ ساعة وفي الرحلتين كان يحمل مسافرين دفع كلّ منهـم ٦٠٠ جنيه أجرة السفر

مقتطف دسمبر ١٩٢٨

أنظر صفحة ٤٦٧

المقتطف
الجزء الرابع من المجلد الثالث والسبعين
١ دسمبر (كانون الاول) سنة ١٩٢٨ — الموافق ١٩ جماد الثاني سنة ١٣٤٧

كلمات للدكتور صروف

الترجمة ومقامها

قلما تجاوز العرب في علوم الدنيا حدَّ التقليد والاقتباس حتى في عهد الدولة العباسية التي هي من سائر دولهم بمكانِ الشبابِ من ادوار العمر— فلا اخترعوا ولا اكتشفوا ولا ابتكروا في تلك العلوم الاَّ قليلاً وانما كادوا يحصرون اجتهادهم في علوم الدين حتى جروا فيها أبعد شوط . على انهم اجادوا في باب النقل وصاروا بهِ اهل فضل لتحريهم الامانة حتى سمَّوا حلقة الاتصال بين القديم والحديث .واقلّ ما يقال فيهم انهم فهموا علوم اليونان من رياضة ومنطق وطبّ حق فهم وهذا ما مكنهم من الاجادة في ترجمتها الى العربية والاضافة اليها والتعليق عليها وادخال بعض التغيير في اعراضها

وليست الترجمة بالامر الهيّن بل هي صعبة واصعب من التأليف لان المؤلف طليق بين معانيهِ والمترجم اسير معاني غيرهِ مقيَّد بها مضطر الى ايرادها كما هي وعلى علاتها اذا لزم الامانة في الترجمة كما هو الواجب والاَّ فليس مترجماً بل مصنف .ثم انهُ يستحيل على مترجم مقالٍ ما ان يجيد ترجمتهُ الاَّ اذا فهم موضوعهُ تمام الفهم . فمن لم يدرس الفلك لا يطق ترجمة مقالة فلكية ومن لم يدرس الرياضة لا يطق ترجمة مقالة رياضية . تقول ان فلاناً ترجم المقالات البديعة في فنّ لم يدرسهُ . نعم ولكن معانيها معانيهِ هو لا معاني المؤلف الذي ترجم عنهُ . فاذا صحّ نعتها بالبديعة فربما كان ذلك لحسن مبناها لا لضبط معناها . والغربيون يجلّون قدر المترجم من كتابهم اذ لا يقدم على الترجمة منهم الاَّ من آنس من نفسهِ القدرة عليها . وترى المترجم يمهر ترجمتهُ بامضائهِ وهو الكاتب القدير وقد لا يستنكف من توقيع اصغر المقالات المترجمة بهِ

الصور المتحركة: تتكلم

اتقان استنباط جديد غريب

يجمع بين مبدأي الصور المتحركة والفونغراف

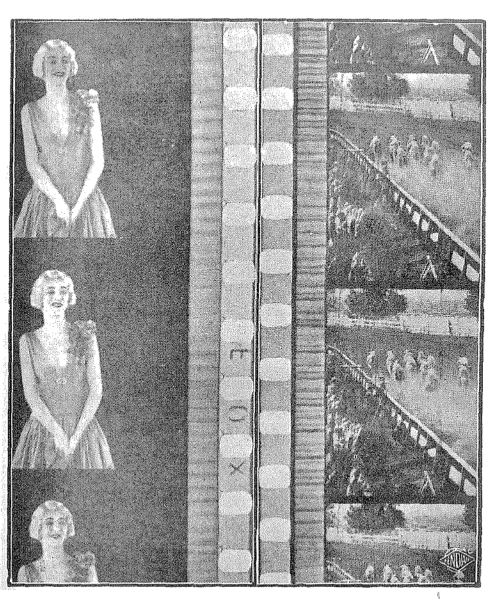
قرأنا خلاصة موجزة للمبدإ الذي تقوم عليهِ الصور المتحركة الناطقة في اوائل سنة ١٩٢٤ فحسبنا تحقيقهُ من معجزات الاختراع لاننا لم نرَ حينئذٍ شيئاً ابعد عن ممكنات العلم من تحويل الصوت الى نورٍ ورسمهِ على شريط فوتغرافي ثم تحويل هذا النور الى الصوت الاول نفسهِ واعادتهِ كلاماً مسموعاً مفهوماً

ثم اتيحت لنا زيارة الولايات المتحدة الاميركية في صيف ذلك العام فشاهدنا الفلم الناطق حقيقة ماثلة للعيان في احدى دور الصور المتحركة بمدينة نيويورك . ولكنهُ كان قد عُرض على سبيل التجربة فكانت الصور التي ظهرت فيهِ بسيطة لا تمثل اكثر من شخصٍ واحد واقفاً على الستارة الفضية يلقي خطاباً . فكنا نرى صورتهُ ونسمع صوتهُ في آنٍ واحد ، ولدى التدقيق كنا ندرك ان نبرات الصوت تتفق كل الاتفاق مع حركات الشفاهِ والرأس واليدين. وكان الاشخاص الذين رأيناهم حينئذٍ المرشحين الثلاثة لرآسة الولايات المتحدة الاميركية — المستر كولدج والمستر دايفس والشيخ لافولت

ومضت اربع سنوات لم ينفكّ المستنبطون في اثنائها عن تعهد هـذا الاستنباط الجديد بكل وسائل الاصلاح والاتقان حتى تمكنوا من ان يصنعوا شريطاً كاملاً متكلماً ويصوروا حوادث واقعية مختلفة ترى صورها وتسمع ما فيها من الاصوات كانك الساعة تشهدها . وقد عُرض هذا الشريط في احدى دور الصور المتحركة بلندن في الصيف الماضي فكان الاقبال عليهِ عظيماً وظل محور حديث الناس في مجتمعاتهم وانديتهم الى ان جاء الفلم الناطق الذي يليهِ

***

ما هو سرُّ هذا الاختراع البديع ؟ ليس في الامر سرٌّ ما . فكل ما هنالك هو تحويل صوت الممثّل الى نور تدوَّن اهتزازاتهُ او امواجهُ على جانب من الشريط السينمائي مع صُوَر الممثّل . ثم لدى عرض الشريط في دور السينما تحوَّل امواج هذا النور الى امواج صوتية تمادّ بمقوّي الصوت كلاماً مسموعاً



قطعتان من فلمين ناطقين وترى على جانب كل منهما منطقة عليها خطوط متوالية آناً ترى أحدها قريباً من الآخر وآناً ترى أحدها بعيداً عن الآخر . هذه هي المنطقة التي يدوّن عليها صوت الممثل الى جانب صورته كما تراه موضحاً في هذا المقال

من المعروف لدى قرَّاء المقتطف انهُ متى تكلم احد امام سماعة تلفون اثر صوتهُ في التيَّار الكهربائي الذي يمر في سلك التلفون فيختلف التيار قوة وضعفاً باختلاف نبرات الصوت الذي يحدثهُ. فاذا كان التلفون عاديًّا سرى التيَّار في سلك التلفون الى جهاز مخاطبك فحرّك غشاءهُ المعدني الرقيق واذا كان التلفون لاسلكيًّا انتشرت الامواج اللاسلكية في انحاء الفضاء الى ان يلتقطها جهاز مستقبل ويعيدها صوتاً مسموعاً وكلاماً مفهوماً

اما في الآلات التي تُصنع بها الصور المتحركة الناطقة فيقوَّى التيار الكهربائي الذي يولّدهُ الصوت ٢٥٠٠ مليون ضعفٍ ويتصل بمصباح كهربائي يتحول فيهِ الى نور يختلف قوةً وضعفاً باختلاف التيَّار وهذا يختلف قوة وضعفاً باختلاف نبرات الصوت واهتزازهِ كما تقدم. ويمرُّ هذا النور في شق ضيّق يقع بعدهُ على منطقة من الفلم لا يزيد عرضها على نصف بوصة ويدار الفلم بسرعتهِ المعتادة لتصوير الصور فيدوّن على جانب منهُ صور الممثلين وعلى الجانب الآخر اهتزازات اصواتهم

فالذي يحدث فعلاً هو ان الممثل يتكلم فيتحول صوتهُ من اهتزازات عادية في الهواء الى تيَّار كهربائي تلفوني ثم يقوَّى هـذا التيَّار حتى يؤثر في المصباح الكهربائي (ويدعى الفوتيون) فيتحول الى اهتزازات نورية ترسم على منطقة من الشريط السناتوغرافي جنباً الى جنبٍ مع صور الممثل المتكلم

فاذا اتصل بهذا المصباح تيار قويٌّ سببهُ صوت قوي او نبرة عالية انار المصباح نوراً باهراً يبقي اثراً قويًّا في الشريط السنمائي كأنهُ خطٌّ ابيض لامع. ومتى ثُبّت الشريط ظهر هذا الاثر خطًّا شديد السواد مكان الخط الابيض اللامع. واذا كان الصوت خافتاً ولَّد تيَّاراً ضعيفاً ينير المصباح نوراً ضئيلاً يترك في الشريط اثراً اقلَّ وضوحاً من الاثر الاول فيظهر بعد تثبيت الفلم خطًّا اقرب الى اللون الرمادي منهُ الى اللون الاسود. واذا وقف الممثل صامتاً لم يولّد تيار كهربائي ما ولا انار المصباح نوراً ما فيمرُّ الفلم من غير ان يدوّن فيهِ اثر ما

فعلى المنطقة الضيقة التي على جانب الفلم خطوط متتابعة تمثّل قوة نبرات الصوت وضعفها. ولكن ذلك لا يكفي لاعادة الصوت كما سُمع اولاً. لان هناك رنة الصوت يجب تدوينها والاَّ تشابهت الاصوات تشابهاً يصعب معهُ تمييز احدها عن الآخر

فكيف يتمُّ ذلك!

الصوت ينتقل في الهواء امواجاً فاذا كان الصوت خافتاً كانت الامواج طويلة . فاذا اتصلت هذه الامواج بالجهاز التلفوني احدثت تياراً بطيء التناوب . وعليهِ تكون الخطوط المدونة على الفلم بعيداً احدها عن الآخر . واذا كان الصوت عالياً كانت الامواج الصوتية قصيرة سريعة التتابع وبالتالي كانت الخطوط المدونة على الفلم قريباً احدها من الآخر

ولكن المسألة ليست بسيطة الى هذا الحدّ . لانهُ قلما تجد بين اصوات الناس صوتاً بسيط التركيب يمكن تحليلهُ الى نوع واحد من الامواج — طويلة بطيئة او قصيرة سريعة . على انهُ كلما تعقّد الصوت واختلفت الامواج التي يتألف منها تعقدت الآثار المدونة على الفلم وان كان مبدأ تدوينها في الحالين واحداً

هذه هي طريقة تحويل الصوت الى اهتزازات نورية تدوَّن مع صور الممثلين على فلم واحد . فكيف تعاد هذه الاثار اصواتاً مسموعة ؟

يثبت الشريط بالوسائل الفوتغرافية العادية ثم يوضع في آلة عادية للصور المتحركة بعد ما يضاف اليها جهاز خاص لا يعرقل عملها .وهذا الجهاز مؤلف من مصباح كهربائي قوي وبطرية كهربائية نورية . يوضع المصباح وراء الآلة السناتوغرافية والبطرية امامها ثم يدار الشريط كالعادة فيصوَّب نور المصباح القوي الى منطقة الشريط الضيقة التي دُوّنت عليها اهتزازات الصورة . فينفذ منها الى الصندوق الذي يحتوي على البطرية الكهربائية وتختلف قوة نفوذهِ باختلاف اسوداد الخطوط التي على الشريط وقلة اسودادها اي اختلاف شفوف الشريط وعدم شفوفهِ

في هذه البطرية يتحول النور تياراً كهربائيًّا ثمَّ يقوّى ويعاد بآلة تلفونية صوتاً مسموعاً . والآلات التي تحوّل الامواج الكهربائية الحاملة لمميزات الصوت فتعيدها اصواتاً مسموعة صارت كثيرة وعليها الاعتماد في كل المخاطبات اللاسلكية .

***

في مكان آخر من هذا الجزء يجد القارئ وصفاً لجهاز جديد بديع استنبطهُ احد الباحثين في معامل شركة كوداك الشهيرة اذا اضيف الى آلة التصوير الشمسي العادية تمكن صاحبها من تصوير الاجسام بالوانها الطبيعية . وعندنا انهُ متى اتقنت اجهزة التلفزة اي الرؤية عن بعد صار في الامكان ان يجلس الانسان في دارهِ فيرى صور الممثلين بالوانهم الطبيعية ويسمع اصواتهم في آنٍ واحد

ثروت

انقطعت اسباب الحياة بيننا وبين ثروت منذ شهرين ولم تتعوّد بعد الاطمئنان الى انهُ قد مات والرضا بما قضى الله من ان الايام ستتبعها الايام دون ان نلقاهُ او نسمع لهُ او نتحدث اليهِ

وليس مصدر ذلك انهُ كان عظيم مصر رجاحة حلم ونفاذ بصيرة وذكاء فؤاد وسعة حيلة وتفوقاً في السياسة . فقد اجتمعت لهُ كل هذه الخلال وخلال اخرى ولكنها تجتمع للناس من حين الى حين وفي مختلف البيئات والاوطان ، ثم يمضي هؤلاء الناس للقاء ربهم فيشعر مواطنوهم بما يحدثون من فراغ ، ثم لا يلبثون ان يتعودوا فراقهم ويطمئنوا اليهِ راضين او كارهين

وقد فقدت مصر منذ اول هذا القرن طائفة من ابنائها الممتازين وجمت لفقدهم وناء بها رزؤها فيهم . ولكن الناس تعوّدوا الاطمئنان الى انهم قد مضوا الى حيث لا يعودون ولكن قليلاً من هؤلاء تركوا في نفوس اصدقائهم آثاراً لا تمحى ولوعة لا تخمد وناراً لا تزيدها الايام الاّ اضطراماً ذلك لانهم كانوا يملأون قلوب اصدقائهم ويطبعونها بطوابعهم ويصورونها بصورهم الخاصة فمهما تنقطع بينهم وبين اصدقائهم الاسباب فصورهم في القلوب ماثلة واشخاصهم ملء النفوس وملء العقول وملء الحياة كلها . من هؤلاء قاسم امين وعبد الخالق ثروت

قاسم امين وثروت باشا

وما نزال نسمع الذين عرفوا قاسماً واحبّوهُ واتصلوا بهِ يتحدثون عنهُ باصوات يملأها الحب الحيّ القوي النشيط ، هذا الود الذي يحتفظ بهِ الاحياء للاحياء لا ذلك الود الوفي الشاحب الذي يصبغهُ النسيان بشيء من الفتور فيجعلهُ اقرب الى الذكرى القوية منهُ الى صلات المودّة التي يعرفها الناس في حياتهم العاملة

نعم ما نزال نسمع اصدقاء قاسم يتحدثون عن صديقهم لا كما يتحدثون عن ميت قضى بل كما يتحدثون عن صديق غابر ويرجى ان يؤوب. ذلك لان قاسماً كان قد ملا نفوس اصدقائهِ وما زال يملأها وسيملأها ابداً

اما ثروت فان اصدقاءهُ والذين تشرفوا بالاتصال بهِ يستطيعون ان يتحدثوا عنهُ

الآن كما يتحدثون عن صديق غائب ولكنهم سيتحدثون عنهُ دائماً هذا الحديث لانهُ قد ملأ نفوسهم فلن تفرغ منهُ ابداً

ولئن كنت لم اعرف قاسماً الاّ من طريق آثارهِ واحاديث اصدقائهِ فقد عرفت ثروت واتصلت بهِ واستطيع ان اتحدث عنهُ لو ان الى هذا الحديث سبيلاً

***

يقولون ان ثروت ظلم في حياتهِ وسينصفهُ التاريخ فاما انهُ قد تعرض للعقوق والجحود وكفر النعمة فشيء لا شك فيهِ. اما ان التاريخ سينصفهُ فشيء لا شك فيهِ ايضاً، ولكن اي تاريخ؟

لن ينصفهُ التاريخ القريب او قل لن يوفيهِ التاريخ القريب حقهُ من الانصاف، وكيف السبيل الى ذلك وليس بين المصريين الذين قضوا في هذا العصر الحديث رجل اثّر في حياة امتهِ الداخلية والخارجية تأثيراً عميقاً بعيد المدى كثروت. نعم ليس بين المصريين في هذا العصر الحديث من اعطى امتهُ الدستور، وليس بين المصريين في العصر الحديث من كسب لامتهِ الاستقلال، وليس بين المصريين في العصر الحديث من نشر اعلام مصر المستقلة في اقطار الارض الاّ ثروت. فهو الذي فعل هذا كله. وهو حين فعل هذا كلهُ قد تكلف فيهِ جهوداً وتجشم اليهِ اهوالاً واتصل في سبيلهِ باصحاب السلطان هنا وهناك، وكان بينهُ وبين اصحاب السلطان اولئك وهؤلاء خطوب لم يُعرف منها شيء ولن يعرف منها شيء حتى تنحلّ المسألة المصرية كلها وتصبح من حق التاريخ وحده

لقد كانت حياة ثروت السياسية تضحية متصلة، فهو لم يطلب هذا المجد الذي يطلبهُ الزعماء والساسة ولم يكد يظفر منهُ بشيء. ولم تنتهِ تضحية ثروت بموتهِ ولكنها متصلة مستمرة. فسيظل هذا الرجل العظيم مجهولاً شطراً طويلاً من الدهر لان منفعة امتهِ تقتضي الاّ تظهر اعماله على وجهها الآن

رحم الله ثروت ورحم الله قاسماً اذ كانا فرعين كريمين لهذه الشجرة الخالدة الكريمة شجرة العمل المنتج في غير تحدث ولا تمدح ولا منّ ولا رغبة في المجد ولا تهالك على الشرف. أليس قاسم هو الذي قال: ان الوطنية الصحيحة تعمل ولا تتكلم. أليس ثروت هو الذي انفق حياتهِ السياسية عاملاً غير متكلم الاّ ان يضطر فلا يقول الاّ الشيء القليل! لم يتكلم حيّاً ولن يستطيع اصحابه ان يتكلموا عنهُ ميتاً، فهو بهذا

اصدق مثال واقواه لهذه الوطنية التي تعمل ولا تتكلم

وهو كقاسم عمل حيًا وأوذي في حياته

وهو كقاسم يعمل ميتاً دون ان ينصفهُ الاحياء

ولكن قاسماً عمل ويعمل للمرأة . اما ثروت فعمل ويعمل لمصر كلها . قاسم يحرر المرأة وثروت يحرر مصر . ولعلَّ صديقي هيكلاً لم يخطئ حين قدّر انهُ يحرر الشرق كلهُ

ثروت باشا صديقاً

غير اني لم اكتب لا تحدث عن ثروت زعيماً انما كتبت لاتحدث عنهُ صديقاً . ولعل خير حديث عن ثروت صديقاً انما هو تصوير الفكرة التي كانت تملأ نفسهُ من الصداقة والاصدقاء ومن الصلة الاجتماعية عامة بينهُ وبين الناس . ولعل اصدق تصوير لهذه الفكرة جملة قالها ثروت نفسهُ ذات يوم حين استقالت وزارتهُ الاولى ومضت على استقالته اسابيع غير طوال ولكنها كافية ليظهر فيها اخلاص المخلص له وانصراف المنصرف عنهُ بين اولئك الذين كانوا يتهالكون عليهِ ويسرفون في تملقهِ حين كان اليهِ السلطان . كنت عنده في جماعة من اصحابنا وكنا نتحدث في نفر من الناس لم تصرفهم الظروف السياسية الشديدة يومئذٍ عن الاتصال بهِ والاختلاف اليهِ متعرضين في ذلك لسخط الساخطين وتنمّر المتنمرين ، وعن نفر آخرين من الناس كانوا يغشون داره صباحاً ومساءً ما دام اليهِ الامر حتى اذا اعتزل انكروه وجهلوا الطريق الى داره . وكان ممن حضر جماعة الحوا في الزراية على هؤلاءِ وتنقصهم واخذوا يثقلون على الرجل فيهم كأنما يريدون ان يضطروهُ الى ان يظهر رأيه ، فقال مبتسماً : من اخلص فلنفسهِ . ثم وجه الحديث وجهة اخرى

فلم تكن الصلة بين الناس عند ثروت رهينة بقدر الناس لها او حكمهم عليها وانما كانت رهينة بقدرك انت لها وحكمك انت عليها . فانت في مودتك لفلان لا تحفل رأي فلان في هذه المودة او بعبارة ادق انت لا تحرص على مودتك لفلان لان فلاناً يجد في ذلك لذة او منفعة او غبطة ، وانما تحرص على هذه المودة لانها تلائم نفسك ولانك تجد فيها انت رضا وطمأنينة وشيئاً من اللذة الراقية التي تسمو عن المنافع اليومية

كذلك كان ثروت يفهم الصداقة ويقدرها فهو لم يكن يحب ويبغض الا صدر في ذلك عن نفسه وعن مزاجه وعن طبيعته وعن عواطفه الخالصة . ولقد كانت نفسه رحمهُ الله كريمة . ولقد كان مزاجه رحمهُ الله صفواً كله . ولقد كان طبعه — رحمهُ الله

نقاءٍ كله . ولقد كانت عواطفه — رحمهُ الله — عذبة كلها . فليس غريباً ان تكون صداقتهُ قوية باقية صافية عذبة لا تجد الايام واحداثها سبيلاً الى تكديرها او النيل منها . ذلك لان صداقتهُ لم تكن رهينة بالمنافع واعراض الحياة انما كانت رهينة بمزاجهِ واخلاقهِ. وأشهد لقد كانت الخصومة السياسية تشتد بينهُ وبين بعض الناس حتى تنتهي الى اقصاها ولقد كان على ذلك كله يحتفظ لهؤلاء الناس في ناحية من انحاء قلبه بمودة كريمة خالصة . ويكفي ان ترجع الى احاديثه وخطبه ورسائله التي عرض فيها لهؤلاء الخصوم فسترى انهُ يذكرهم دائماً — ولاسيما الذين كان يختصهم بالمودة قبل الفتنة — بشيء من اللطف والرفق يؤثر في نفسك اشد التأثير

ولقد اذكر اني كنت عندهُ ذات يوم فانبأني انهُ كتب الى سعد — رحمهما الله — كتاباً يقترح فيهِ عليهِ الاحتكام الى جماعة من صفوة المصريين فيما شجر بينهما من خصومة . وقرأ عليَّ هذا الكتاب الذي يعرفهُ الناس جميعاً والذي هو آية من الدعة والوفاء ولين الجانب وصفاء القلب وطهارة النفس والاخلاص الصحيح في حب الوطن، حتى اذا فرغ من قراءة كتابهِ لم يدع لي من الوقت ما يمكنني من ان اثني عليهِ بل قال : وانا انتظر الرد على هذا الكتاب من لحظة الى لحظة . وتكلم في حديث آخر. وما هي الاَّ ان دقَّ التلفون فاسرع اليهِ ثم عاد مبتسماً وقال : تنتظرني عشر دقائق او ربع ساعة وانصرف . ولبثت انتظرهُ حتى عاد بعد قليل ومعهُ ردُّ سعد . فقرأهُ علينا وكنا جماعة قليلين فكلنا سخط وكلنا اخذتهُ حفيظة شديدة ومنا من لم يكد يسمع من الكتاب اسطراً حتى نهض واخذ يمشي في الحجرة ذاهباً جائياً لا يكاد يمسك عن الكلام الاَّ مضطراً. . . ولكني اشهد انهُ ما ظهر على ثروت — رحمهُ الله — غيظ ولا حفيظة ولا موجدة ، وانما ظهر عليهِ شيء من الاسف المؤلم لانهُ لم يوفق الى ما كان يسعى اليهِ من جمع كلمة الامة يومئذٍ وظهر عليهِ شيء آخر رفعهُ في نفسي يومئذٍ وهو الالم لانهُ تلقى هذا الكلام القاسي الظالم من صديق . . . وتبينت يومئذٍ انهُ كان لا يزال يحبه ويبرُّ بهِ

وقد اثبتت الايام بعد ذلك ان كتاب سعد هذا وما جاء بعده من خصومة عنيفة بين الرجلين لم يغيّر من ود ثروت لسعد ولا من حبه له . كما انهُ لم يغيّر من مضاء عزيمة ثروت على ما كان قد عزم عليهِ من جمع كلمة الامة ، وقد وفق الى ما اراد فكان الائتلاف واجتمع المختصمون ورأس سعد المؤتمر الوطني بين صديقيهِ عدلي وثروت

ولقد اذكر اني كنت عنده في اليوم الذي زاره فيهِ سعد لاول مرة بعد انتهاء الخصومة . ومهما انسَ فلن انسى صوتهُ الرقيق الحزين وهو يذكر لنا ضعف سعد رحمهُ الله — وما لقي من الجهد في الصعود حيث استقبله

يستطيع المبصرون ان يتحدثوا عن وجه ثروت ومخايله ولحظاتهِ وعن تصوير هذا كلهُ لما يضطرب في نفسهِ من العواطف والميول . اما انا فاستطيع ان اتحدث عن صوت ثروت واشهد لقد كان صوتهُ العذب مرآة لنفسهِ العذبة . ومهما انسَ فلن انسى صوت ثروت في يوم ١٦ نوفمبر سنة ١٩٢٢ . في مساء ذلك اليوم اقترف الاثم الفظيع على باب السياسة وكنت انا الذي ابلغ هذا الاثم الى ثروت في الاسكندرية بالتلفون . فلما وقع في سمعه اسم حسن عبد الرازق واسماعيل زهدي استعادني فاعدت الاسمين . . . فسمعت منهُ آهة فيها كل شيء : فيها الحزن العميق . وفيها الجزع الذي لا حد لهُ وفيها الثورة والاستنكار ثم رجع صوتهُ كما كان وسألني : هل قبض على الآثمين ؟ قلت . لا . قال يكفي . وانصرف

اني لاذكر هذه القصة الآن وأن قلبي لينقطع اسىً وان نفسي لتتفرق لوعة وان شطراً غير قليل من حياتي ليتمثل امامي بما كان فيهِ من خير وشر ، وان كثيراً من هذا الخير الذي اتمثله لمتصل بحسن عبد الرازق وعبد الخالق ثروت .

***

سمعت صوت ثروت لاول مرة في يوم من ايام سنة ١٩٠٨ في الاسبوع الاول من افتتاح الجامعة المصرية وكان قد اقبل يتلو على الطلبة مجتمعين قراراً لمجلس ادارة الجامعة يحظر على الطلبة التحدث بشؤون الجامعة الى الصحف . وكان صوتهُ حازماً وكان صوتهُ عذباً ، فاحببتهُ وملت اليهِ . ولكني لم اتصل بهِ . ومضت الاعوام وانا لا اعرف من امرهِ الا ما يعرفهُ الناس جميعاً حتى كانت سنة ١٩١٤ وكنا في آخر السنة ، وكنت قد عدت من اوربا ، وكنت اتأهب لاستئناف السفر ، وكنت قد كتبت مقالاً في بعض الصحف غضب لهُ المرحوم الاستاذ الشيخ محمد المهدي وشكاني الى مجلس الادارة وشايعهُ نفر من اعضاء المجلس يومئذٍ وطلبوا ان أُفصل من بعثة الجامعة . واجتمع المجلس وقرئ فيهِ هذا المقال ثم انصرف وبينا اعضاؤهُ يتفرقون اقبلت انا الى الجامعة فرآني الاستاذ احمد لطفي السيد بك فدعاني وقدمني الى معالي ثروت باشا وزير الحقانية . فاخذ يدي

بين يديهِ ولبث يكلمني لحظة يطلب اليَّ فيها الرفق حين اكتب ويشجعني على المضي فيما انا فيهِ من درس ونقد . ففهمت اني لم افصل من البعثة واحسست من عذوبة ذلك الصوت عطفاً زادني بالرجل حبًّا ، وعرفت بعد ذلك بساعات فصار اني مدين لهُ وللاستاذ لطفي بك بالعودة الى اوربا

ومضت ايام البعثة كلها لم القَ فيها ثروت ولم اسمع من امرهِ بشيءٍ

ثم عدت الى مصر فلقيتهُ وخرجت من عندهُ اشد الناس حبًّا لهُ واعجاباً بهِ وشكراً لحسن لقائهِ

وكان هو الذي قدمني الى الجمهور حين بدأت التدريس في الجامعة . وما كان اشد الاثر الذي تركتهُ في نفسي خطبة التقديم تلك بعد ان اجلسني ثروت على كرسي الاستاذ ووقف فقدمني الى الجمهور في لفظ عذب كلهُ تشجيع وحثّ على العمل والجد

واختلف رحمهُ الله الى درسي اياماً يحضر الدرس كغيره من الناس ، حتى اذا كان آخر الدرس اقبل اليَّ فصافحني في ظرف ودعة وعرفني بنفسهِ

ثم كانت بيني وبين الجامعة خصومة فكان رحمهُ الله اعطف اهل الجامعة عليَّ وارفقهم بي واشدهم الحاحاً عليَّ في الاّ اخلط بين العلم والمنفعة وفي الاّ تكون المصاعب المادية مهما تشتد وتشق صارفاً لي عما انا فيهِ من الدرس والجد

وكانت لثروت — رحمهُ الله قدرة شديدة الخطر على الاقناع. فكان اذا جادلك لم يلبث ان يتسلط عليك ولا سيما حين يجادلك في امر يمسك خاصة لانهُ كان في هذا الجدال صريحاً مخلصاً تحس منه في غير شك انهُ ينكر نفسهُ ولا يعرف الاّ اياك والا منفعتك فلا تستطيع ان تقاومه ولا ان تأبى عليهِ . كنت اعرف منه هذا فكنت احبهُ وكنت اخشاهُ وكنت اذا اصررت على شيء من الامر حاولت جهد الطاقة الاّ يجادلني فيهِ ثروت حتى لا يصرفني عنه . اذكر اني استقلت ذات يوم من مجلس الجامعة لخلاف كان بيني وبينهُ — رحمهُ الله في مادة من مواد لائحة الجامعة . واستقلت اثناء الجلسة فكلف من كلمني في ان استرد استقالتي فأبيت فانتقل من مكانه حتى انتهى اليَّ وهمس في اذني : لا اطلب منك ان تسترد استقالتك وانما اطلب منك ان ترجئها حتى تتكلم قلت فانا : اخشى ان تتكلم قال: فانا آبى ان تستقيل . قلت : ان كان الامر على هـذا النحو فانا مذعن لما تريد . قال . انا لا احب الاذعان وليس من شأنك ان تذعن

افتظن ان من اليسير ان تقاوم رجلاً كثروت كانت لهُ مكانتهُ وهو يتحدث اليك هذا الحديث ؟

ثروت « والشعر الجاهلي »

رحم الله ثروت . . . كانت الخصومة بينهُ وبيني في مجلس الجامعة حول مادة من مواد اللائحة تجعل الاساتذة غير قابلين للعزل . وكان — رحمهُ الله — يقبل المبدأ ولكنهُ يريد ان يحتفظ للحكومة (ولم يكن فيها) بشيء من الحق ، وان يحتاط في تنفيذ هذا الاصل. وقبل المجلس رأيه وتأجل تنفيذ اللائحة .وما هي الا اسابيع حتى ظهر كتاب الشعر « الجاهلي » وارجف المرجفون وتحدث الناس وكثر حديثهم . واقبل عليَّ بعض الاصدقاء ينقلون لي عن ثروت انهُ كان يأسف اشد الاسف لانهُ لم يكن يقدّر اني سأكون اول ضحية لرأيه في تلك المادة

زرتهُ بعد ذلك ، فلقيني ضاحكاً ثم وضع يدهُ على كتفي وقال : ان حرية الرأي اكرم من ان يعبث بها العابثون مهما يكونون ، وثق بان اول اثر لما يمكن ان ينالك انما هو استقالتي من مجلس الجامعة وانقطاع الصلة بيني وبينها وانقطاع الصلة بيني وبين الذين يعينون عليك مهما يكونوا . ولكني اطلب اليك ان تثبت للعاصفة والا تجيب الذين يخاصمونك في الصحف.فانت استاذ وكرامة الاساتذة ترفعهم عن هذه الخصومات

ولولا نصيحة ثروت هذه لكان لي للمرجفين بالشعر الجاهلي شأن آخر

رحم الله ثروت . لقد كان لهُ من السعي في مسألة الشعر الجاهلي ما لن انساهُ ابداً وما لن استطيع ان اتحدث عنهُ الآن . ولكني اذكر يوم ظهر تقرير النيابة في امر هذا الكتاب فاستقلت . وطلب هو الى وزير المعارف الا يقبل استقالتي فأبيت . فطلب الى مدير الجامعة ان يطلب اليَّ ان ازورهُ . فذهبت اليهِ في الغد فتلقاني مبتسماً وما هي الا دقائق حتى اقنعني بان استقالتي خطأ . ولكنهُ كان اظرف واكرم من ان يطلب اليَّ استردادها فأمر بالاعراض عنها . طلبت اليهِ ذلك اليوم ان ادع الجامعة وان انقل الى عمل آخر اذا لم يكن بد من البقاء في الحكومة . فقال : قد تكون منفعتك في ذلك وقد يكون من حقك عليَّ ان اجيبك اليهِ ، ولكن للجامعة عليَّ حقاً آخر

كيف تريد ان تقاوم رجلاً يتحدث اليك في هذا الظرف وفي هذه الدعة ؟

ثم مضت اشهر وكانت بيني وبين الجامعة صعوبة اخرى طلبت في اثرها ان انقل

من الجامعة فأبى وزير المعارف وأبيت . وكلفت ان ازور رئيس الوزراء ،وكنت مصراً، وكنت اعلم اني ان زرتهُ فسأنهزم لهُ. فأبيت ان اجيب دعوتهُ . وانكر عليَّ الناس جميعاً هذا الاباء ولكني طلبت الى بعض اصدقائي ان يبلغ رئيس الوزراء اني لن اراهُ ما دام اليهِ الامر ، فاذا ترك الحكم فسيراني . فسكت وسكتُّ . وانتهى كل شيء واستقالت وزارتهُ . وذهبت اليهِ ازورهُ . وكنت اقدّر اني سأجد منهُ عتباً ولوماً . ولكني لم اجد منهُ الاَّ ظرفاً وعطفاً ، ولم الق منهُ الاَّ هذه البشاشة التي اعرفها والتي يعرفها اصدقاؤهُ جميعاً وخصومهُ جميعاً والذين لا يحفظون لهُ ودًّا ولا يضمرون عليهِ حقداً . لقيتهُ ذلك اليوم واطلت المجلس عندهُ ، وتحدثنا في كل شيء الاَّ الجامعة . وانصرفت من عندهُ وانا اقدر اني سأراهُ بعد قليل . . . ولكني لم ارهُ منذ ذلك اليوم ولن أراهُ

***

لم اتحدث اليك مما كان لثروت عندي من يد الاَّ بالشيء القليل الضئيل فقد قدمت ان الحديث عن ثروت ليس بالشيء اليسير بل ليس بالشيء الممكن في اكثر الاحيان. على ان هذا الشيء الضئيل الذي تحدثت اليك بهِ يصوّر لك من هذا الرجل العظيم ناحية يدور الناس حولها ولا يحسنون تصويرها هي ناحية المودة والوفاء في المودة ، لا رغبة في المنفعة ولا ابتغاءً لها ولكن لان الرجل كان وفيًّا بطبعهِ ولأن مزاج الرجل كان مفطوراً على المودة والوفاء فيها

وماذا كان يبتغي ثروت حين يرفق بي او يعطف عليَّ ؟ واين كنت اكون من ثروت وقد اجتمع لهُ السلطان كله واجتمعت حولهُ خيرة مصر ؟

ماذا كنت اكون من ثروت رجلا كغيري من الناس ؟ ولكن ثروت هو الذي قال: من اخلص فلنفسهِ . وقد احسّ ثروت مني اخلاصاً في حبّهِ ، وما ارى الاَّ انهُ قد بعث فيَّ هذا الاخلاص لانهُ عطف عليَّ ورفق بي واخلص في ذلك حتى ملك نفسي وحتى حملني على ان احبهُ فاحببتهُ ولم اقف ولن اقف في حبهِ عند حد

وصاحب السعادة عبد الحميد باشا بدوي يذكر ان ذكّرتهُ اني حين عدت من اوربا كنت شديد الاعجاب بثروت وعدلي ورشدي . ولكني لم اكن اتجاوز هذا الاعجاب الى الحب . واذكر انهُ ناقشني فيهم ذات يوم بمحضر حسن باشا عبد الرازق رحمهُ الله فقال : لو عرفتهم لاحببتهم حبًّا لا يقل عن اعجابك بهم . وقد عرفتهم فأحببتهم.ولكني

عرفت ثروت معرفة لم اعرفها احداً غيره من هؤلاءِ الزعماء فأحببتهُ حبًّا لا حدّ لهُ كما قلت :

رحم الله ثروت . . . كيف استطيع ان انساهُ او ان اقدّر ان ذكرهُ قد يضعف في نفسي يوماً ما وانا لا أكاد اذكر حادثة من حياتي منذ رجعت من اوربا الأ ذكرت ثروت واثره فيها . لقد كنت اركن اليهِ والوذ بهِ واستشيرهُ في كل شيء . ولقد كنت اجد منهُ في هذا كلهِ عطفاً لا يشبههُ عطف . ووداً لا يشبههُ ود . ولقد كان يزيد من اثر هذا الود والعطف في نفسي ما كنت اشعر بهِ من انهُ كان عطفاً خالصاً وودًّا لا تشوبهُ شائبة . ولست وحدي الذي يستطيع ان يتحدث عن ثروت بمثل هذا الحديث ، وانما نحن كثيرون نذكر لهُ هذا الود الخالص وهذا الوفاء الصفو . يذكرهُ لهُ اكفاؤهُ واقرانه كما يذكرهُ لهُ صنائعهُ كما يذكرهُ لهُ المتصلون بهِ

ان في مصر لزعماء تختلف حظوظهم من المكانة في قلوب الناس قوة وضعفاً . ولكني اعتقد ان ثروت كان اعظم هؤلاءِ الزعماء جميعاً حظاً من القلوب التي تحبهُ فتخلص في حبهِ ، تحبهُ لشخصه لا لزعامته ولا لرياسته واكثر ما تظهر له هـذا الحب حين يبعد عن الزعامة والرياسة

نعم . ان هذه القلوب لا تملأ الشوارع ولا تدفع الى التصفيق والصياح . ولكنها على قلتها كانت غنية بالحب الذي لم يكن يتردد في التضحية . واقسم ان من اصدقاء ثروت من لو خيّر في ان يعيش او يفتدي ثروت بنفسهِ لما تردد ، لا لأ نهُ يحب مصر ويؤثرها بثروت بل لانهُ يحب ثروت ويؤثره على نفسه

رحم الله ثروت . لقد انقطعت بيننا وبينهُ اسباب الحياة منذ شهرين ، ولكننا لم نعود بعد الاطمئنان الى انهُ قد مات وما ارى انا سنتعود هذا الاطمئنان وما ارى ان لوعتنا عليهِ سينالها ضعف او خمود وان الحياة لكفيلة ان تزيد هذه اللوعة شدة ، وان ما في الناس من ضعف وفتور ومن اثرة وتغير لكفيل ان يذكرنا ابداً ما كان لثروت من قوة وشدة ومن اخلاص ووفاء

رحم الله ثروت . لئن كان رهين قبر في الصحراء فان شخصهُ رهين قبور اخرى هي هذه القلوب التي ملأها فعرف كيف يملأها فلن تفرغ منهُ ابداً

هليوبوليس طه حسين

اول رجل بلغ القطبين

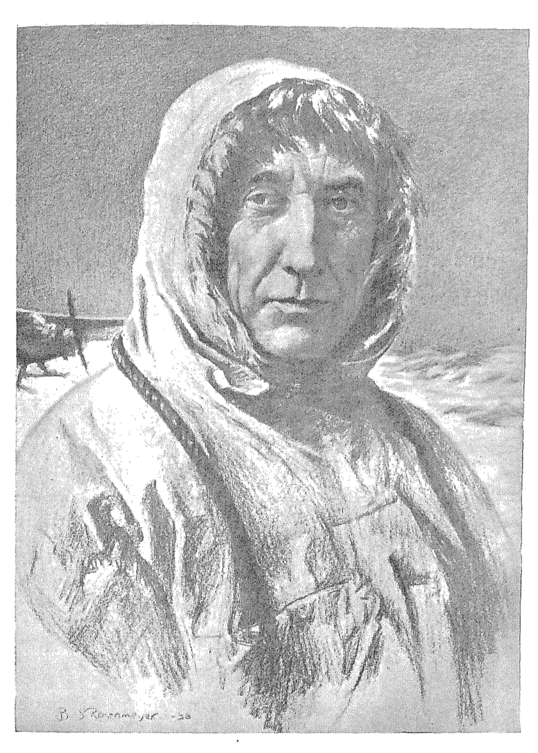
روله امندصن

في احد ايام سبتمبر الماضي عثر نفر من صيادي نروج على طوفٍ تائهٍ في البحر على نحو عشرين ميلاً من ترومسو . وبعد البحث والتحقيق ترجح انهُ طوف الطيارة البحرية التي هبَّ امندصن على اجنحتها مع اربعة من الشجعان لنجدة الجنرال نوبلي زميلهِ في الرحلة القطبية وخصمهِ الالدّ بعدها . وعليهِ يرجَّح الآن ترجيحاً هو في مرتبة اليقين ان امندصن ذهب شهيد المروءة في الاصقاع المتجمدة التي قضى فيها الجانب الاكبر من شبابهِ وكهولتهِ معانياً مصاعبها مذللاً اهوالها بعقل راجح وجسم قوي وعزيمة تفلُّ الحديد . وقد اشرنا الى ذلك في مقتطف يوليو حيث قلنا : « واكثر خوفنا ان امندصن لقي حتفهُ مع الطيار الفرنسي وصحبهما في البحث عن نوبلي ورجالهِ. فاذا صحَّ ذلك فموتهُ مفخرة لهُ يخلد بها كما هو خالد بانهُ اول رجل بلغ القطبين »

***

ولد في ١٦ يوليو سنة ١٨٧٢ في بلدة صغيرة على بضعة اميال من عاصمة نروج . ونقل والداهُ الى العاصمة بعيد ولادتهِ فتلقى مبادئ القراءة والكتابة والعلوم في احدى مدارسها . ولما بلغ الثامنة عشرة من العمر انتظم في جامعة اوسلو ليدرس العلوم الطبية اجابة لرغبة والدتهِ ولكنهُ لم يلبث فيها طويلا لان روعة الاصقاع القطبية كانت قد اخذت بمجامع نفسهِ والرغبة في اقتحامها والتغلب عليها ملكت عليهِ كلَّ سبيل. وكان منذ صغرهِ ميالاً الى ذلك فجعل يعدُّ نفسهُ لاهوال الرحلات القطبية فينام في اشدّ ليالي الشتاءِ برداً ونوافذ غرفتهِ مفتوحة على مصاريعها ودثارهُ غطاء خفيف لا يردُّ عادية البرد . وكان كلما سنحت لهُ الفرصة يصعّد في الجبال والاكام التي تحيط باوسلو او يتمرس بالزلق على الجليد او يلعب كرة القدم على الثلج

وسنحت لهُ الفرصة الاولى لتحقيق رغائبهِ سنة ١٨٩٧ اذ عيّن ملازماً في البعثة البلجيكية التي سافرت بقيادة ده غورلاش الى الاصقاع المتجمدة الجنوبية . وكان عمرهُ ٢٥ سنة . فلبثت البعثة في الجنوب نحو سنتين جمعت في اثنائها حقائق كثيرة عن الجزائر المنتشرة في جنوب الاوقيانوس الاتلنتيكي



الرحّالة النروجي رولد امندصن اول رجل بلغ القطبين

مقتطف دسمبر ١٩٢٨

امام الصحفة ٣٧٤

انتصاره الاول

وسنة ١٩٠٣ استقلَّ باعداد بعثة استأجر لها سفينة صغيرة حمولها ٤٧ طنًا وقوة محركها ٣٩ حصانًا وانضمَّ اليهِ ستة رفاق فسافروا الى جرينلندا وداروا حول طرفها الجنوبي ثم اتجهوا شمالاً ودخلوا المضايق الكثيرة التي تخلل الجزائر التي الى شمال كندا وفي جويا اسرهم الجليد سنتين متواليتين اشتغلوا في اثنائهما بتدوين الارصاد الجوية ومسح شواطئ البلدان القريبة وضبط موقع القطب المغناطيسي. وفي اغسطس سنة ١٩٠٥ أطلقت سفينتهم من عقالها الجليدي فساروا بها متجهين غرباً قاصدين الوصول الى المحيط الباسيفيكي فاسرهم الجليد ثانية قرب رأس الملك ولم يطلق سراحهم الاَّ في ١١ يوليو سنة ١٩٠٦ فساروا توًّا الى الاوقيانوس الباسيفيكي فدخلوهُ من مضيق بيرنغ في اغسطس سنة ١٩٠٦ فتمَّ لهم بذلك ما لم يتمَّ لاحد قبلهم او بعدهم وهو السفر من الاوقيانوس الاتلنتيكي الى الاوقيانوس الباسيفيكي في طريق بحري يقع الى شمال اميركا الشمالية يُعرف باللغة الانكليزية North-west-Passage

القطب الجنوبي

وفي سنة ١٩١٠ شرع امندصن في اشهر رحلاتهِ وهي الرحلة التي سبق بها الروَّاد الى اكتشاف القطب الجنوبي . فسافر من نروج في السفينة « فرام » التي استعملها نسن الرائد الاسوجي من قبل ، قاصداً ان يعبر بها من جنوب المحيط الاتلنتيكي الى المحيط الباسيفيكي ثم يتجه شمالاً الى مضيق بيرنغ فيدخل المناطق المتجمدة حول القطب الشمالي ويخترقها راجعاً الى اوربا

ولكنهُ لم يكن قد اعدَّ كل المعدات اللازمة لهُ في رحلة طويلة خطرة كهذه الرحلة فوقف في بحر روس القائم على طرف المنطقة المتجمدة الجنوبية ليقضي الشتاء هناك علَّهُ يتمكن في اثناءِ الشتاءِ من جمع المال بواسطة اصدقائهِ العديدين لشراءِ المعدات اللازمة. فخطر لهُ حينئذٍ ان يسير الى القطب الجنوبي فوصلهُ وعاد منهُ في رحلة لم تشتهر على خطورتها بشيءٍ سوى سرعتها وسهولتها . ولما وصل الى القطب اقام حولهُ ركائز يثبت بها انهُ وصل اليهِ اذا حاول احد ان ينازعهُ ذلك فسبق الكابتن سكوت الانكليزي اليهِ بنحو ثلاثة اسابيع

بعيد ذلك نشبت الحرب الكبرى وتوقفت اعمال الريادة حتى وضعت الحرب اوزارها فجمع امندصن من المال ما مكّنهُ من اعداد بعثة لتحقيق رغبتهِ القديمة وهي اجتياز

المنطقة المتجمدة الشمالية من مضيق بيرنغ الى سبتسبرجن فكان الفشل نصيبهُ ولكن الفشل يزكي الهمم في النفوس الكبيرة

الطيران الى القطب الشمالي

كان في سيتل في غرب الولايات المتحدة حين سمع ان طيارة مصنوعة من معدن الالومنيوم فازت بالطيران مسافة طويلة . فنظر بتلك الشعلة التي تخترق حجب المستقبل الى فائدة الطيارات في استكشاف القطبين وفي الحال بدأ تجاربهُ في استعمال الطيارات ولكنها باءت بالفشل . على انهُ لم يقنط من النجاح ولما منحهُ المستر الزورث الاميركي مبلغاً من المال قدرهُ ١٧ الف جنيه إبتاع طيارتين مائيتين وحاول ان يطير على متنها من سبتسبرجن الى القطب الشمالي فأصيبت إحدى الطيارتين بعطل حملها على النزول على سطح الجليد وهي على نحو مائة ميل من القطب فنزلت الطيارة الثانية أسوة بها . وأطبق الجليد على الطيارتين حتى كاد يحطمها وحتى تعذر نهوضها من الارض وتحليقها في الجوّ . فقضى امندصن وصحبهُ ثلاثة اسابيع على الجليد يعانون الاهوال وهم يحاولون تخليص الطيارتين من أنياب الجليد والعودة بهما الى سبتسبرجن فروِّع العالم المتمدن لانقطاع أخبارهم ثلاثة اسابيع ولكنهم فازوا بعد ذلك بتخليص طيارة واحدة والارتفاع بها والعودة بها الى سبتسبرجن سالمين . والفضل في كل ذلك عائد الى شجاعة امندصن ومعرفتهِ بأساليب المعيشة في الاصقاع المتجمدة وما لهُ في نفوس رفاقهِ من المكانة والاجلال [1]

وكأنَّ هذه الرحلة الجوية الى القطب وفشلها وهي على مقربة منهُ شحذت غرار عزمهِ فعني في السنة التالية والتي يليها باعداد الرحلة القطبية على متن البلون نورج ففاز باختراق الاصقاع المتجمدة الشمالية من سبتسبرجن الى الاسكا مارًّا فوق القطب الشمالي مجتازاً مسافة ٢٧٠٠ ميل في ٧١ ساعة [2] ولو ساعدهُ الحظ لكان سبق برد في الوصول الى القطب الشمالي عن طريق الجوّ . ولكنهُ مع ذلك حاز اعظم فخر ينو اليهِ رائد مقدام وهو الوصول الى القطبين . فامندصن اول رائد وصل الى القطب الجنوبي وثالث رائد وصل الى القطب الشمالي سبقهُ اليهِ الكومندر بيري مشياً على الاقدام فوصلهُ في ٦ ابريل سنة ١٩٠٩ والكومندر برد بالطيارة إذ حلق فوقهُ في ١١ مايو سنة ١٩٢٦

---

(١) راجع كتاب الرواد صفحة ٢٤٥

(٢) راجع مقتطف يناير وفبراير سنة ١٩٢٨ ص ٦٧ و١٩٢

الحضارة العربية والنهضة الشرقية

خطبة الاستاذ محمد كردعلي في اكسفورد

زهد العرب في العلوم المادية قديماً وطلائع النهضة في الشرق

عقد مؤتمر المستشرقين الدولي السابع عشر في جامعة اكسفورد في ٢٧ اغسطس الماضي لحضره نحو ثلاثمائة مندوب نابوا عن ٢٥ دولة و٨٥ جامعة و٦٩ جمعية علمية وناب فيه الاستاذ محمد كردعلي رئيس المجمع العلمي العربي ووزير المعارف السورية عن دولة سورية وناب الدكتور طه حسين والاستاذ جاد المولى بك والاستاذ سليم بك حسن الاثري عن الحكومة المصرية والخواجه فضلو الحوراني عن حكومة لبنان واحد الاباء اليسوعيين عن كلية القديس يوسف في بيروت والاستاذ كاظم الدجيلي عن العراق . فرأينا ان نثبت هنا خطبة الاستاذ كردعلي آملين ان نوفق الى تلخيص بعض الخطب التي تليت فيه متى اطلعنا على نصوصها

يا سيداتي ويا سادتي : اصيبت بلاد العرب بعد المائة الثامنة للهجرة بفتور في اعصابها تناول معظم مشخصاتها ومقوماتها وضعفت في اقطارها مادة الحياة التي كانت متجلية في طبقات رجالها فاصبحت لا تعيش الاَّ بقوة التسلسل المنبعثة فيها من قوى الادوار السالفة واكتفت بالتغني بماضيها الباهر وعزها الغابر

وكان من اول امارات تراجع الامة العربية من ميدان الفكر البشري الزهد في العلوم المادية والاكتفاء بفروع علوم الدين واللسان وعلى نسبة ماكان الغربي في تلك الحقبة من الزمن يقوم على قيود الجمود ليكسرها وينهض حرًّا طليقاً كان العربي يزيد للسلطات الدينية والمدنية خنوعاً ويحارب العقل فيتدلى ويرجع القهقرى .

ورأى الغرب من مصلحة المدنية بعد نهضته ان لا يغفل عن تعرف حالة الشرق القديمة ففكر افراد منهُ بعد اختراع الطباعة ان يحيوا شيئاً من مدنية العرب كما احيا علماؤهم مدنيتي اليونان والرومان ، وذلك لان العرب كانوا الصلة الوحدة بين اهل المدنيات القديمة وارباب المدنية الحديثة فاخذ اهل النظر من نبهاء الغرب يلوون على كتب العرب يجمعونها من الشرق ويجعلونها في خزائنهم اجمل قنية وافخر اثر ، وانشأُوا يطبعون في مدينة رومية اولاً بعض ما رأوا في نشرهِ مصلحة لهم ، ومما نشروهُ قانون ابن سينا الذي ظلَّ يدرَّس في جامعات الغرب قروناً . ولم تلبث مطبعة ليدن ان

شرعت منذ أوائل القرن السابع عشر بطبع بعض كتبنا . وبعد حين انتقلت الطباعة الى الاستانة ولم تطبع بحروفها العربية شيئاً مهمًّا بلغتنا

وهكذا اخذت نهضة الآداب العربية تسري ضئيلة في بعض اقطار اوربا، والشرقُ لا علم لهُ بما يؤسس، حتى اذا احتلَّ نابليون مصر، في أواخر القرن الثامن عشر وصحبهُ في رحلتهِ جلة من علماء فرنسا انشأ في القاهرة اول مطبعة عربية وأصدر جريدة رسمية بالعربية والافرنسية كانت ايضاً اول صحيفة عربية . ولم يطل العهد حتى قام محمد علي الكبير يأخذ باليمين ما زهدت فيهِ ايدي مَن قبلهُ . فكان حقًّا واضع اساس النهضة العربية ، بما ارسل من البعثات العلمية الى فرنسا وما انشأهُ من معاهد العلم والصناعة على مثال الغرب وبلغة العرب، وما هي الا بعض سنين حتى توفر من اختارهم من صفوة اذكياء بلدهِ على ترجمة العلوم المادية ، وتوطدت اركان النهضة في مصر على اساس علمي معقول ، وبدأ اختلاط الشرقي بالغربي يزداد سنة بعد سنة ، خصوصاً بعد اختراع السفن البخارية وامتداد الخطوط الحديدية

كان علم المشرقيات العربية يضعف في الغرب ويقوى بحسب ميل الحكومات وهدوء الاحوال الاجتماعية . والى العهد الذي قام فيـهِ العلامة سلفستر دي ساسي ، إمام المستعربين في الغرب لم نعهد مستعرباً جمع الصفات التي تؤهلهُ للبحث في كتب العرب. فكان لهذا العالم الفرنسي الفضل على المستعربين في عصرهِ فطفقوا يختلفون اليهِ في باريز، على اختلاف عناصرهم ، يأخذون عنهُ علوم العربية ولا بدع اذا كان هو ونبغاء تلاميذه من السويديين والهولانديين والافرنسيين والالمانيين والبريطانيين وغيرهم من الذين تمكنوا من معرفة اسرار لغتنا ، هم الذين عنوا بنشر امهات كتب العرب عن كفاية ثابتة ولولا عملهم العظيم لظللنا الى اليوم نجهل مدنية اجدادنا الاَّ قليلاً

طبع المعاصرون لسلفستر دي ساسي ومن خلفهم عشرات من المخطوطات العربية على اجمل طراز ، وما زال هذا الدؤوب يتسلسل في المستعربين من علماء المشرقيات ، على ما كان في اجدادهم البررة ، حتى احيوا لنا خزانة كتب فيها جماع حضارتنا . فأبدوا بما نشروا حسن بلاء اجدادنا في خدمة العلم ، وكذبوا القائلين بان العرب نقلة ليس فيما كتبوهُ ابداع ولا امتاع ، ونعوا من طرف خفي على ابناء اللغة انفسهم قصورهم ، فاكتسبوا بذلك فضل السبق علينا . ولم نزل معاشر العرب ، على ما بلغتهُ العلوم في هذا القرن من الترقي في مصر والشام خاصة ، عيالاً على المستعربين منكم في التدقيق والتحقيق

وما طبعناهُ في مطابعنا عدا الكتب الدينية واللغوية لا يعد الاَّ مثالاً مصغَّراً من جهودكم المتوالية وطول انفاسكم وشدة اماتكم في الحرص على اخراج نصوص مؤلفينا سالمة من الشوائب . ونحن اذا انتبهنا اخيراً الى نقصنا وقدرنا مساعي علماء المشرقيات حق قدرها فان الزمن الذي صرفناهُ في الدرس والبحث لم يكفِ لان يتأصل في نفوسنا روح العناية والاتقان ، لنخرج بما طبعناهُ في مصر والشام والعراق والغرب الاقصى والاوسط والادنى عدداً من الاسفار النافعة يبلغ القدر الذي اخرجهُ الغرب من حيث الكمية والكيفية . فالمستعربون الى اليوم لا يطبعون من الكتب القديمة الاَّ ما كان في نشرهِ فائدة ، ونحن ننشر الصالح والطالح وقلما خدمنا طبعاتنا بمثل ما تخدمون بهِ طبعاتكم من التجويد. وعسى ان لا يطول الزمن حتى يصبح التدقيق في ادق المسائل ملكةً فينا على نحو ما غدا لكم عادة مستحكمة نحسدكم عليها حسد غبطة . فلسنا بثقوب اذهاننا وايم الحق دون اجدادنا ولا دون غيرنا من الامم الحديثة الحضارة ولكن نقصنا ظاهر في قلة الصبر والترتيب ومع هذا نعالجهُ

وفي الحق اننا لما بدأنا في نهضتنا العلمية في الشرق العربي كان ينقصنا كل شيء ولقي القائمون بالامر والداعون الى التجدد ضرباً من المقاومة من ارباب الجمود ، فلما تمت الادوات اوكادت ، واتسع افق العمل امام العاملين، اصبح الامل معقوداً بان لا يمضي زمن طويل حتى نضاهيكم في هذا السبيل ، ونتساند معكم حق التساند في ذلك الغرض الشريف لاسيما ونحن أحقُّ باحياء تراث السلف وإن كان العلم ليس ملكاً لامة ولا لفرد

***

والآن بعد ان حدثتكم بهذا الحديث الذي تعرفونهُ ، احب ان انتقل بالاشارة الى النهضة العربية الحديثة فانها تبشر بخيرٍ عظيم ظهرت آثارهُ للعيان . فان ما نشرتموهُ واجدادكم الكرام ايها السادة من اسفار قدماءِ مؤلفينا في اللغة والشعر والادب والملل والنحل والاجتماع والتاريخ والجغرافيا والرحلات والقصص والفلسفة والفلك والطب والطبيعيات والرياضيات والموسيقى والكيمياء والزراعة والنبات والحيوان وجر الاثقال وعلم الكتب واسرار الحروف والخطوط من الفروع التي خاض العرب عبابها وما طبعناهُ نحن مقتفين فيهِ آثاركم ، قد احييت بهِ امور كثيرة من معالم الحضارة العربية ، فدخلت لغتنا خصوصاً بعد اتقاننا آداب الامم الكبرى الحديثة في طور جديد ، وانقلبت سحنة الشعر و النثر عندنا ، ودخلت الكتابة والخطابة والتأليف والوضع في دور ما كان لها

الاً في أرقى عصور الدول العربية الرشيدة . وشهد الله ان اللغة العربية اليوم تكتب بسلاسة لا تقلُّ عن السلاسة المتمثلة في أرقى اللغات العربية . وقد ظهرت لنا في العهد الاخير في مصر والشام والعراق وغيرها صحف ومجلات وأسفار ومطبوعات فيها من الابداع شيءٌ كثير ، اذا ترجم بعضها بلغة من لغات العلم في هذا القرن لا نخجل منها بل نرفع بها الرؤوس ، ذلك لأ نا عرفنا ان الغرب لم ينهض نهضتهُ هذه إلا بالاخصاء فنشأ منها الاخصائيون في اكثر العلوم واثّر كل ذلك في لهجتنا ، ورجعنا الى الاساليب التي كان اجدادنا يكتبون بها العلم ايام جدة اللغة . حتى ان اللهجة العامية اليوم في مصر والشام وتونس ارقى مما كانت عليهِ قبل خمسين سنة ، فقد دخلها كثير من الفصيح ، وحسنت تأديتها ولبست حلة أنيقة من الرشاقة تزينها جودة الفكر . وكلما ارتقى التعليم في بلادنا ، وصقلت الاذهان ، ولطفت الاذواق ، زادت لغتنا رقة ودقة ، وقربت من اساليب الفصحاء لا محالة ، فقد رأينا اليوم صبيان الكتاتيب ينطقون بالفصيح ويكتبون بالفصيح ، على صورة لم تكد تكتب منذ اربعة قرون إلا لافراد قلائل جداً في كل قطر أفنوا اعمارهم في تعلمها ، على حين يتقن ذلك التلميذ من ابنائنا الآن في بضع سنين بفضل الاساليب الحديثة التي تلقيناها على الغربيين وانتشار علم التربية والتعليم في معلمينا واساتذتنا ، مما طبقناهُ بالاخذ منكم في مدارسنا ، فارتفع بهِ مستوى العلم بين ظهرانينا

وما برحنا،وفي ذلك الفخر العظيم لنا ، نرسل الى جامعاتكم بالمئات من طلابنا يتلقون العلوم على اختلاف ضروبها على اساتذة الغرب ليعودوا الينا يعلمون ويهذبون ،وينقلون الينا من مدنيتكم كل ما يحيي مدنيتنا القديمة ، ويقربنا من تمثيل المدنية الحديثة ، على ما كان المولعون بالعلم من اجدادكم ينزلون الاندلس ليأخذوا العلم من علماء العرب . اذا عرفنا هذا فقد صح لنا ان نقول دون ما مبالغة ان في الشرق العربي الآن مدنيـة جديدة لا شرقية ولا غربية ، جمعت من مدنيتنا ومدنيتكم الاطايب . وكان لاوربا واميركا بذلك الفضل الاكبر على كل عربي في آسيا وافريقيا .

ان اسفار الاجداد تنشر اليوم بالطبع في مراكش والجزائر وتونس والعراق وزنجبار والهند وفارس. وكانت مصر والشام سبقت تلك الاقطار ، واليوم يسبق هذان القطران سائر الاقطار العربية للتوفر على احياء ما اندثر من تلك العظمة القديمة . وتمشي على أثرها تونس والعراق ، ولكن عمل مصر والشام أقوى في هـذا الباب لانهما تقدمتا للدخول في ميدان الحضارة قبل غيرها . ومصر اليوم بانتشار التعليم

والتمدن ليست دون كثير من شعوب الغرب وربما فاقت بذكاء ابنائها ، كما فاقت بذكاء تربتها واذا عرفنا ان الشرق اعطى للغرب فيما مضى مختاراً والآن يأخذ منهُ العلوم مختاراً ، حق علينا ان نطلب دوام هذه الصلة بل بعثها الى اقصى حد ممكن لان مصلحة المدنية تقتضي ذلك . واريد ان اقول انا كلنا في حاجة ماسة الى التضامن العلمي واحكام صلات التعاون بيننا ، فبقدر ما يزيد اختلاطنا تتأصل المدنية وتزول الفوارق بين الامم والشعوب ، فترفع بذلك مشاكل كثيرة ، فالشرق لا يعيش وحده ولا الغرب كذلك

انبعثت النهضة الاخيرة عندنا من القاهرة اولاً ثم تلتها بيروت ثم دمشق وتونس واليوم اخذ شعاعها يسري الى بغداد ، فاذا اخذتم بايدينا حقاً لحقت بنا غداً صنعاء ومكة وفاس وغيرها من بلاد العرب ، ومن جملة دواعي الاختلاط الرحلة الى البلد الذي تعهدهُ ، وهذا اصبح من الميسور جداً لنا ولكم بعد اتقان وسائل النقل السريع

***

ولما كان علماء المشرقيات قد اجتمعوا اليوم اجتماعهم السابع عشر في هذه الجزيرة السعيدة وفي حي اقدم جامعات القارة الاوربية رأت دولة سوريا ان تدعوكم الى التفضل بعقد مؤتمركم الثامن عشر في مدينة دمشق اول ارض انبعثت فيها المدنية العربية ، وفيها وقع اول تدوين في الاسلام ، وفيها بدىء بتعريب مدنية القدماء ، وفيها انشئت اول خزانة كتب عند العرب ومنها نقل العلم العربي الى بغداد شرقاً ، والى الاندلس غرباً ، فباسم دولة سوريا وباسم المجمع العلمي العربي وهو المجمع الوحيد في اقطار العرب الذي يتفانى في احياء لغتهم وبعث مجدهم القديم ، ادعوكم الى اجابة دعوتنا لتشرفوا من كثب على جهود امتنا ، وتدللوا بتفضلكم انكم مجمعون قلباً وقالباً على ان تزيدوا صلاتكم بديارنا وانكم منا ونحن منكم في باب هذا الاجتهاد . وان ارضاً كانت عشَّ العظماء في الاسلام ، واخرجت بني امية وعلماءهم ، وهي مهد العجائب والاديان وآية الجمال الطبيعي في البلدان ، حرية بان تزار وتتعهد بالذكرى فهي من اقصاها الى اقصاها متحف طبيعي حيثما اتقلب المرء يرى عظمة القدماء وبدائع الطبيعة الساحرة . وان ما في خزائننا من المخطوطات التي تنتظر منكم ان نتعاون على اخراجها للناس ، وما في ديارنا من مصانع وآثار جديرة بان تزار ، وان تقدس تلك العقول التي انتجتها ، فنكون قد خطونا خطوة مهمة نحو تعاون الشرق مع الغرب تعاوناً فعليًّا اساسهُ العلم والنور ورائدهُ تبادل الحب والسلام عليكم ورحمة الله

أؤمن بالعلم

العقم عقم العقول والفضل فضل العلوم

للسر ارثر كيت
رئيس المجمع العلمي البريطاني سنة ١٩٢٧

اطلعت الآن في صحف الصباح على ان سكان بلادي اسكوتلندا كانوا حينما ولدت منذ اثنتين وستين سنة ٣٢٢٥٠٠٠ نسمة، يحرثون ويزرعون ١٤٧٠٠٠٠ فدان اي ما متوسطهُ نصف فدان للنسمة الواحدة منهم . وقد زاد السكان الآن حتى بلغ عددهم نحو خمسة ملايين نسمة ونقص ما يحرثونهُ من الارض ويزرعونهُ الى ١١٤٧٠٠٠ فدان اي ان المتوسط نقص الى نحو ربع فدان للنسمة الواحدة . ومع ذلك نرى سكان اسكوتلندا الآن اوفر راحة ورخاءً من سكانها في اواسط القرن الماضي . فطعامهم انظف واكثر غذاءً وبيوتهم اكثر راحةً ودفأً وملابسهم البق واغلى ونظام تعليمهم ارقى واشمل ونفقاتهم العامة تضاعفت. وما يقال عن اسكتلندا يقال عن انكلترا وويلس بوجهٍ عام. فكأننا حققنا المستحيل فكيف فعلنا ذلك ؟

لقد حققنا هذا التقدم بثمار عقولنا التي استعملناها ادوات للعلم . والحق يقال اننا سكان الجزائر البريطانية قد عدنا لا نعتمد على حاصلات ارضنا بل على خصب عقولنا ومنتجاتها. فمساحة بلادنا يجب الاَّ تقاس بالفدان ولا أن يبنى على قياسها كذلك ما يمكن ان تسعهُ هذه البلاد من السكان . وعلينا ان لا نتخوف من ازدحام السكان في بلادنا حتى تغصَّ بهم قبل ان تبلغ قوانا العقلية حدَّها من التقدم والاكتشاف والاختراع وتصاب عقولنا بالعقم . وهناك الويل الاكبر . لاننا عدنا لا نعيش على الارض فقط بل على المكتشفات والمخترعات والحقائق الراهنة — وهذه كلها عناصر العلم بل دعائمهُ التي يقوم عليها

لا اعرف امة يحيط بها الخطر كما يحيط بنا. فعلينا ان نتصل ببلدان العالم النائية وان نحفظ مواصلاتنا البحرية من اخطار تهددها . وفي كل ذلك يجب ان نعتمد على العلم لان الشجاعة وحدها لا تكفينا . فالعلم هو خط دفاعنا الاول والاخير

لي الشرف ان اكون اميناً لصندوق المعهد الملكي الذي يديرهُ السر وليم براغ رئيس المجمع العلمي البريطاني هذه السنة . والسر وليم ساحر من سحرة العلم الحديث فقد استنبط بمعاونة ابنهِ طريقة يستعملان فيها اشعة اكس ونوعاً من البلورات لمعرفة بناء الجواهر في البلورات المختلفة وبقي اكتشافهما مجرّداً عن أية فائدة عملية حتى استعمل في فروع الصناعة على اختلافها لامتحان قوة المعادن بفحص بلوراتها على هذه الطريقة

وسلف السر وليم في هذا المعهد كان السر جيمس ديور الذي عمد الى تسييل غاز الهدروجين فاستنبط في اثناء قيامهِ بتجاربهِ زجاجة « الترموس» واكتشف مكتشفات دقيقة دخلت فروع الصناعة فخلقت مرتزقاً لالوفٍ ومئات الالوف من العمال

ومنذ قرن واحد كان ميشال فراداي مدير هذا المعهد يلهو بتجاربهِ الكهربائية فاكتشف كيفية توليد الكهربائية وصنع اول مولد كهربائي فكان ذلك العمل الحقير في بدئهِ اساساً لكل الصناعات الكهربائية على اتساعها. ولما سألهُ غلادستون : « ما فائدة استنباطك هذا » اجاب : « صبراً يا سيدي فلقد تجبي الحكومة منهُ اموالاً طائلة ». لم يولد لفراداي ولدٌ يخلد اسمهُ ولكن بنات افكارهِ تخلد ذكرهُ على مرّ العصور وتفتح امام ملايين من المرتزقين ابواب العمل والحياة . والسر تشارلس بارسنز احد اركان هذا المعهد ابن عالمٍ نفح الحضارة بآلة التربين البخاري . وكم بيت في بلادنا وغيرها من البلدان يعتمد على الحقائق العلمية التي كشفها كلفن او المستنبطات التي ابدعها وط

العلم العملي اوجد مدنتنا الصناعية . فكيان هذه المدن ومستقبلها رهن مباحث الكيماوي والطبيعي اكثر مما هي رهن حكمة السياسي او فصاحة الخطيب البرلماني . الصناعة سلسلة انكلترا الفقارية والعلم اساس الصناعة وروحها

***

هذا المامٌ بسيط بانتصارات العلماء في ميدان القوى المادية . ولكن انتصاراتهم في ميدان القوى الحية لا تقلُّ عدداً ولا مقاماً . خذ علم الطب مثلاً . فالعالم الكهربائي منح الاطباء آلة تمكنهم من تدوين كل ضربة من ضربات القلب . ورنتجن مكنهم باكتشافهِ لاشعة اكس من رؤية اعضاء مرضاهم وتحقيق عللها . والكيماوي كشف الطريق لصنع ادوية وعقاقير اقوى فعلاً من الادوية الطبيعية

ان باستور اعظم محسن لعلم الطب بل ركن الطب الحديث بدأ حياتهُ العلمية كيماويًّا . ولكنهُ دلَّ الناس والاطباء على طريقة للبحث عن اسباب الامراض وكيفية

معالجتها والوقاية منها . ولما طبّق لستر مكتشفات باستور ابدع طريقة في الجراحة خلصت ملايين النفوس من العذاب والموت . فعلم الطب يرتقي وصناعتهُ تتقدم لاعتمادها على الحقائق العلمية التي يكشفها العلماء الذين لا يمارسون صناعة الطب وانما غايتهم الاولى البحث عن الحقيقة اين كانت

ولا اريد ان احمل القارئ على الاعتقاد بان رجال العلم قد فازوا بالنفوذ الى كل اسرار الجسم الانساني ومغلقات الحياة. فان العلماء الذين انقطعوا لدرس بناءِ الجسم الحيّ يعلمون حقّ العلم ما يحيط بدرسهم من المجاهل والمعميات في بناءِ الاعضاء ومعرفة وظائفها . وليس ادلّ على ذلك من مسألة السرطان التي لا تزال الى الآن سرًّا مغلقاً

ولكني لا اظن احداً درس تاريخ ارتقاءِ العلم وكيفية ارتقائهِ يداخلهُ اقل ريبٍ بان معقل السرطان لا بدَّ ان يفتح ابوابهُ يوماً ما للباحث العلمي . لان رجال الطب يتخذون البحث العلميّ مطية لهم يسيرون عليها الى تحقيق مُثُلهم العليا . انهم يرنون بابصارهم وآمالهم الى زمن يستطيع فيهِ رجال الصحة ان يضمنوا للمولود الجديد صحة تامة وحياة لا يشوبها الم او مرض، فلا يأتيهِ الموت الاَّ حين تنفد القوة الحيوية بعد عمر طويل

ان رجال العلم يفكّرون تفكيراً جديًّا الآن في تطبيق مبادئ العلم على تحسين النوع البشري . وعندي ان النوع البشري قابل للتحسين لانهُ كما ثبت لرجال العلم ان الناس ارتقوا منذ ازمنة غابرة الى الآن في اجسامهم وعقولهم وتصرفهم يصحّ لنا ان نعتقد ان هذا الارتقاء ميسور لهم في المستقبل

والاعتقاد بصحة مذهب النشوءِ يشمل جميع طبقات الباحثين في كل فرع من فروع العلم والبحث . انهم يعلمون انهُ ما من شيءٍ سواءٌ كان حيًّا او جماداً يستطيع الجمود على ما هو . لانهُ ان لم يتقدم مع صفوف السائرين الى الامام ظلَّ متأخراً

فالعلم هو رائد المستقبل الوحيد . واذا سرنا من غير نورهِ وجب علينا ان نتلمس طريقنا في دياجي الجهل

لذلك أؤمن بالعلم. وعلى تقدمهِ اعلق مستقبل الحضارة . ولكنني مع ذلك ارى ان في الانسان نزعات كثيرة لا يستطيع العلم ان يحققها. العلم عنصر واحد من عناصر الحياة ولكن خطورة هذا العنصر تدفعني الى وضعهِ في صفٍ على حدة فوق سائر الصفوف

اؤمن بالادب : للاستاذ عباس محمود العقاد — في مقتطف يناير القادم

الى اخي يوسف

الخريف في باريس

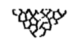
ما لهذا الشَّجَرِ عابساً كالقَدَرِ
باكياً في السَّحَرِ بدُموعِ المَطَرِ

يالصوتِ المَطَرِ في حفيف الشَّجَرِ
مثلَ نوحِ الوَتَرِ في حديثِ السَّمَرِ

يالرَقْص المطَر حولْ قلبي الضَّجِرِ
مثل شَدْوِ القُمْري حَولْ ذاوي الزَّهَرِ

يالعيْشي الكَدِرِ عنـد صفْوِ المطرِ
أنَّةُ المحتَضِرِ ثروتي بل أثرَى

باريس ادوار فارس



تاريخ الغناء العربى

(١) فى العهد الجاهلى

الغناء فن جميل يقصد بهِ تحريك النفوس بتنسيق الأصوات وتأليفها على طريقة ترتاح لها الآذان فتهتز لها القلوب وتنشرح بها الصدور

وخير الغناء ما تضمّن أغراضاً شريفة وصادف أفئدة حصيفة وصدر عن ألسنة فصيحة

والغناء العربى مظهر من مظاهر الحضارة العربية ومعرض حسن لآدابها وصورة ناطقة بمشاعرها وميولها وشرعة حام على ورودها العرب والعجم إلاَّ أن الآخرين أعجموا . والأولين أعربوا كما أطربوا . فأنهلونا من سلسالها حتى تحيّنا ريّا . وتزوّدنا رويّا .وخميلة غنّى على أيكاتها المغنون فى أحضان نجد وثرى تهامة. ومشارف الشام وربا اليمامة. وغياض اليمن وعمان . وقصور الخلفاء فى بغدان. ومروج الأندلس الخضراء فى أيامها البيضاء .كما صدحت على أغصانها العنادل وغرّدت على أفنانها البلابل وشدت على آجامها كل قُمرية ولحّنت على أعوادها بنات الهديل بلحنها الجميل فأطربت وإن أعجمت . غير أن العرب حاكت سجعها وإيقاعها فاخترعت العود والمزهر الحنون إلى غيرها من آلات الطرب وسكبت نغماتها فى قوالب من الشعر الرقيق في كل معنى أنيق يدخل إلى الآذان بلا استئذان وافتنت فى الإيقاع وأتت بطرائف من الابتداع. وقد دفعتها الحاجة إلى الغناء للتغنّى بفضائلها وشرف محتدها وذكر أيامها الصالحة وأوطانها النازحة وفرسانها الأبطال وأجوادها من جميع الأجيال ولتستنهض العزائم وقت النزال وتعيد إلى الحزين سروره وتسهّل لذى الحاجة أموره وتحرّك القلوب بالغزل والنسيب. والتشبيب بالحبيب. فيصبو الراهب فى صومعته فيدع صلاته وصيامه. وينسى تبتّله وقيامه. إلى غير ذلك من صنوف الأدب المدوّنة فى كتب العرب ولذلك توهموا أعاريض فجعلوها موازين للكلام فى بداوتهم ودوّنوا بها طرائق لحنها فى حضارتهم وجعلوا لكل غناء أو لحن وزنا كما يأتى

(١) النصب وهو غناء الركبان

(٢) الهزج وهو الغناء الخفيف الخصيص برقص العرب فإذا ما سمعه الحليم منهم

انبعث جوارحه واهتزت أعصابه فقام يرقص طرباً كالفتى لعبت بهِ الصبابة لعب الريح بالعلم

(٣) السناد وهوالغناء الثقيل ذو الترجيع الكثير النغم — وكل ذلك كان فى الجاهلية قبل أن يلبس العرب ثياب الحضارة ويتبوءوا أرائك الإمارة — قال لبيد العامرى فى معلقته :

بصَبوح[١] صافية وجذب كرينة وموتّر[٢] تأتاله[٣] إبهامها

ولقد أغرقوا فى الشغف بالغناء حتى كان الشاعر المستهام يشبه هوى حبيبه بالغناء كما قال :

وهواك عندى كالغناء لأنه حسن لدىّ ثقيله وخفيفه

وظلوا بعد الإسلام يختصون كل لحن بوزن كما سنبين ذلك إن شاء الله تعالى فى مقالاتنا الآتية فى الأغانى الأموية والعباسية والأندلسية

ولا نخال الوزن الا مأخوذاً فى الأصل من توقيع سير الإبل فى التنائف[٤] والفلوات فى الغدوات والروحات ولا ريب فى ذلك فتوقيعه يوافق خطاها يعزز ذلك أن الرجز أول ما استعمله العرب لسوق الإبل المعروف عندهم بالحُداء (والنصب المتقدم ضرب منه) لأن العربى يقضى جل حياته فى معاشرة جمله أو ناقته وأكثر الرجز ماكان مشطوراً كقول الشاعر :

يشكو إلىّ جملى طول السرى[٥] يا جملى ليس إلىّ المشتكى
الدرهمان كلّفانى ما ترى شدّ الجواليق[٦] وجذبا بالبرى[٧]
صبراً جميلاً فكلانا مبتلى

ولو ركبت أيها القارئ ناقة وسارت بك على مهل لرأيت سيرها أشبه بهذا الوزن تماماً ويتجلى للنظارة من حركات اهتزازك عليها توافُق تلك الحركات لتوقيع ذلك الرجز مقطّعاً — وبهذا الضرب كانت العرب تحدو إبلها إذا أرادت مشيها وئيدا أما إذا أراد الحادى أن تسرع الجمال فى مشيتها فإنهُ يحدوها بالرجز المنهوك مثل

(١) الصبوح بفتح الصاد المشددة شرب الخمر فى الصباح (٢) موتر مضرب ذو وتر أو أوتار
(٣) تأتاله تحركه تباعاً بتنسيق (٤) التنائف جمع تنوفة وهي البرية لا ماء فيها ولا أنيس
(٥) السرى — السير بالليل (٦) الجواليق جمع جوالق وهو الشوال باللغة العامية المصرية
(٧) البرة حلقة فى أنف البعير أو فى لحمة أنفه

يا ليتني فيها[(٨)] جذعْ أخب[(٩)] فيها وأضع[(١٠)]

واعتبر ذلك في بحر الخبب من الشعر فإنهُ يوافق في توقيعه خَبَبَ الفرس إذا ما ركض مثل

أبَكَيْتَ على طلل[(١١)] طربا[(١٢)] ؟! فشجاك وأحزنك الطلل

(وخبب الفرس يسميه بدو مصر الآن بالحجج)

ثم وضع العرب بعد الرجز سائر الاوزان التي سماها الخليل بن احمد الفراهيدي فيما بعد بحوراً حسب مقتضيات الاحوال

والشعر والغناء من أصل واحد عند جميع الامم والشعر وضع أولاً للتغني به وإنشاده للآلهة !!! أو الملوك أو الامراء ولذلك كان اليونان والرومان والفرس يقولون حتى الآن غنّى فلان شعراً وعليه جاء قول ابرهيم بن سهل

بكيتُ فقال الحسن هزءًا أتشترى ؟ بماء جفون ماء ثغر منضّد
وغنّيته شعري به أستميلهُ فأبدى ازدراء بابن[(١٣)] حجر ومعبد[(١٤)]

ولقد لبث اليونان أحقاباً لا يقولون الشعر إلا إنشاداً ولعلّ العرب كانوا كذلك قبل عصر أصحاب المعلقات (١٦٣ ق هـ) فنبغت منهم طائفة تغني شعرها كما صنع الاعشى قبيل الإسلام فقد كان ينظم الشعر ويغنيه ولذلك لقبوهُ صناجة العرب — وما فتئوا كذلك بعد الإسلام فإن الشاعر كان اذا قال قصيدة وقصد بها خليفة أو أميراً أنشدها في حضرته وهو قائم فإذا لم يكن رخيم الصوت اقتنى له غلاماً حسن الصوت جيّد اللحن ثم يدفع له القصيدة لينشدها أمام الممدوح — ولا يخفى ان للإنشاد لحناً مطرباً — وكان القدماء يعدّون الغناء لغة عامة لجميع الناس يفهمونها على تباين ألسنتهم واختلاف أمزجتهم وكان لا بد لطالب الفلسفة من الإحاطة بفن الموسيقى مع الرياضيات — وقد اتفقوا على أن لا شيء يعدل تأثير الغناء في إعداد النفوس الى الفضائل ؟

عبد الرحيم محمود
المدرس بالسعيدية الثانوية بالجيزة

(٨) الجذع من البهائم صغيرها (٩) أخب فيها أسير خبباً وهو نوع من سير الخيل المتوسط في السرعة (١٠) أضع أتوقف عن السير وأقيم في ميدانها ومعنى البيت يا ليتني في الحرب كالجذع أسير فيها كما يسير المهر خبباً وأتوقف عن السير وأقيم في ساحتها مقاتلا في كلتا الحالتين

(١١) الطلل ما بقي من الديار الدارسة (١٢) طربا حزنا والطرب يكون من فرح أو ترح فهو من الأضداد (١٣) ابن حجر هو امرؤ القيس رأس شعراء العرب في العهد الجاهلي

(١٤) معبد من أشهر المغنين الملحنين في العصور الاسلامية وسيأتي المقال فيه باسهاب ان شاء الله تعالى

الفاجعة القطبية

حكاية الرحلة — حلول الفاجعة — نجدة الروّاد

فقد الرائد امندصن

ليست الفاجعة التي حلّت بالبلون « ايطاليا » اولى الفاجعات التي حلّت بروّاد القطبين ولا اخراها . ولكنّ العالم المتمدن شعر بقربها من ابوابهِ لان ابناءه كانوا يطّلعون كلّ ساعة من ساعات النهار والليل على انباء الروّاد وقد وقعوا في قبضة الجليد والشجعان الذين هبوا الى نجدتهم وما قام في وجوههم من المصاعب والعقبات. لقد ادرك الهلاك قبلاً الكبتن سكوت الانكليزي ورفاقهُ في الاصقاع المتجمدة الجنوبية. ولكن خبر هلاكهم لم يبلغ آذان الناس قبل انقضاء بضعة اشهر على تلك الفاجعة الاليمة. على ان المخاطبات اللاسلكية التي اتقنت بعد فاجعة سكوت قلبت ريادة القطبين والاصقاع المتجمدة رأساً على عقب ومكنت ابناء الامم المتمدنة من ان يشتركوا مع الروّاد في الطرب لانتصارهم والوجل لما يحلّ بهم من الحادثات

واذا صرفنا نظرنا عن الشجاعة التي ابداها رجال البلون « ايطاليا » في اقتحام اسرار الاصقاع المتجمدة والاقدام الذي دفع رجال الامم المختلفة الى نجدتهم رأينا في حديث هذه الرحلة القطبية امتحاناً لثلاثة من اهم المخترعات الحديثة — نريد البلون والطيارة والآلة اللاسلكية

فطيران البلون « ايطاليا » من ايطاليا الى جزيرة سبتسبرجن ومنها الى القطب وما حواليهِ من الاصقاع المتجمدة اظهر للعلماء والمستنبطين مواطن القوة والضعف في آلة اخف من الهواء

اذ قد ثبت من هذه الرحلة ان استكشاف المجاهل بهذا النوع من وسائل الطيران يمكن ان يكون سريعاً وشاملاً في آن واحد ولكنهُ يعرّض الرجال الذين يقدمون عليهِ لاخطار كبيرة . ونتيجة الرحلة تجلو كثيراً من غوامض المسألة التي عني العلماءُ بدرسها وهي مسألة المواصلات الجوية بين اوربا واسيا من جهة وشمالي اميركا من جهة اخرى فوق القطب الشمالي

ولو لم يصحب طيران البلون « ايطاليا » فقدُ الرائد « امندصن » وصحبهِ لكان

انتصار « البلون » « والطيارة » في اعمال الريادة والاستكشاف والنجدة كبيراً ولفاقت الطيارة البلونَ في ذلك لان الطيارين قاموا بعمل كاد يحسب مستحيلاً . ذلك انهم اهتدوا الى مقرّ الجنرال نوبلي ورفاقهِ في مساحة شاسعة من الاصقاع المتجمدة يكاد يضيع فيها الجبل الشامخ . ولكن ضياع امندسن واضطرار بعض الطيارين الى النزول على سطح الجليد رغماً عنهم لخللٍ حلَّ بطياراتهم يشيران الى ان الطيارات لا تزال تحتاج الى كثير من الاصلاح والاتقان لكي تصبح اداة للمواصلات يصحُّ الاعتماد عليها

ومع ذلك لولا اتقان المخاطبات اللاسلكية لكان جهاد الطيارين لتخليص رفاقهم ضاع عبثاً ولبقي روّاد البلون « ايطاليا » في قبضة الجليد الى ان تحين منيتهم ولظلَّ الناس في امرٍ فقدهم امام سرّ يتعذر الكشف عنهُ

ولكن وراء الطيارات والبلون والآلة اللاسلكية تقوم شجاعة الرجال ومروءتهم واقدامهم على اقتحام المخاطر والاهوال . ومهما تكن نتيجة الجدال العنيف الذي احتدم حول اسباب الفاجعة وتصرف المسؤولين فيها فلا ريب ان اظهر مظاهر الرحلة هي تلك الشجاعة التي جعلت اقاصيص الاقدمين عن شجعانهم خرافات يرجح فيها جانب الخيال على جانب الحقيقة

قيام البعثة

لم تشرع بعثة من بعثات الاستكشاف عملها بمثل ما شرعت بهِ بعثة الجنرال نوبلي القطبية من التفاؤل وبوادر النجاح . فان مشروع الرحلة كان آيةً من آيات الوطنية الايطالية الجديدة والبلون ايطاليا الذي بُني في ايطاليا وصنعت كلُّ معداتهِ فيها جاء رمزاً بليغاً الى ايطاليا الجديدة التي خلقها موسوليني ونفخ فيها روح الحياة

لم يكن الجنرال نوبلي قد راد الاصقاع المتجمدة الشمالية او الجنوبية فعرف مداخلها ومخارجها ومخاطرها كما كان يعرفها الروّاد امثال امندسن وشكلتن وسكوت وبيري . ولكنهُ صحب امندسن سنة ١٩٢٦ في البلون «نورج» الذي طار من جزيرة سبتسبرجن فوق القطب الشمالي الى الاسكا . ومع ان تلك الرحلة كانت موفقة في كل ما قصدت اليهِ رغم المخاطر التي تعرَّض لها رجال البعثة اختلف الزعيمان — امندسن ونوبلي — في شؤون كثيرة اختلافاً ادَّى الى احتدام نار الجدال بينهما على صفحات الجرائد . فاذكى هذا الاختلاف نار الحمية في صدر نوبلي وعزم حينئذٍ على ان يثبت للملاء ان في استطاعة ايطاليا ان تبني بلوناً ايطاليًّا وتجهزهُ بالمعدات اللازمة والرجال الاكفاء

وتبعث بهِ الى القطب الشمالي يستكشف ما يحيط بهِ من الاصقاع المتجمدة

وسار نوبلي في اعداد معداتهِ بعد ما لقي تأييداً من الحكومة والشعب فعمد الى استشارة كثيرين من الروّاد والعلماءِ في اسوج ونروج والمانيا وغيرها من البلدان واتفق مع حكومة نروج على ان تأذن لهُ في استعمال خليج الملك في سبتسبرجن مقرًّا للباخرة « شيتادي ميلانو » قاعدة لاعمال بعثتهِ . وفي اوائل مارس الماضي كان قد تمَّ بناء البلون وامتحانهُ وفي الساعة الثانية من صباح يوم ١٥ ابريل الماضي قام البلون برجال البعثة من ميلان قاصداً الى ستولب (في مقاطعة بومرانيا بالمانيا) ليجتاز اول مرحلة من رحلتهِ الطويلة الشاقة الى سبتسبرجن . وكان البابا قد سلَّم ربّانهُ صليباً معدنيًّا علوهُ ست اقدام لينصبهُ في القطب الشمالي مع الاعلام الايطالية المختلفة التي كان ينوي ان يقيمها هناك

كانت المرحلة الاولى من رحلة البلون « ايطاليا » اشارة بليغة الى ما حلَّ بالبلون ورجالهِ من المصائب في الشمال بعدئذٍ . فانهم ما بلغوا جبال الكربات حتى هبّت عليهم عاصفة شديدة قال عنها نوبلي انها اقوى من كل العواصف والرياح التي لقيها في الرحلة القطبية مع امندصن واشد منها خطراً. واصيب البلون ايطاليا بعطل كبير فتحطمت بعض آلاتهِ واصيبت محركاتهُ بما استلزم وقتاً طويلاً لاصلاحها . وزد على ذلك تعطلت الآلة اللاسلكية حيناً من الزمن فاضطرَّ نوبلي ان يلبث في الجوّ ردحاً لا يدري مسيرهُ ولا مصيرهُ في جوّ مستطير متلبد بالغيوم

ولما وصل البلون الى ستولب اخذ رجالهُ يصلحون ما يلزم اصلاحهُ فيهِ ولكنهم تأخروا لاضافة بعض المعدات التي رأوها لازمة لهُ ولكي يفسحوا للباخرة « شيتادي ميلانو » وقتاً كافياً حتى تصل الى خليج الملك بسبتسبرجن . وفي هذه الاثناء كان الكابتن ولكنز الاسترالي قد طار بطيارتهِ من الاسكا الى سبتسبرجن وكان الفصل الذي تسهل فيهِ ريادة الاصقاع المتجمدة الشمالية لصفاءِ الجوّ فيهِ آخذاً في الانقضاء . وبعد ما قضوا ما يزيد على اسبوعين في بلدة ستولب قاموا منها صباح اليوم الثالث من شهر مايو مع انهم كانوا في برنامج خطتهم الاول ينوون ان يكونوا حائمين حول القطب في ذلك التاريخ . . . وكانت طية البلون بلدة ڤادسو في شمالي نروج حيث نزل البلون نورج سنة ١٩٢٦ قبل رحلتهِ الاخيرة الى سبتسبرجن . ولكن الجنرال نوبلي في هذه المرحلة ايضاً اضاع اتجاههُ حينما صار فوق القسم الشمالي من فنلندا لتلبد الغيوم وكثافة

الضباب فاضاع بضع ساعات من الطيران بحثاً قبلما تمكن ثانية من الاتجاه الى ستوكهلم التي بلغها حوالي الظهر فحام فوق احدى ضواحيها ليمكن الاستاذ ملمغرن من القاء رسالة صغيرة الى والدته . ولما بلغ البلون بلدة فادسو وُجد ان غلافهُ كان قد مُزّق في غير مكانٍ واحدٍ وان هيكلهُ المعدني يحتاج الى التقوية قبل استئناف الطيران ومع ذلك استأنف الجنرال نوبلي الطيران في صباح اليوم التالي فبلغ خليج الملك في سبتسبرجن سالماً رغماً عن عاصفة من الثلج ورياح شديدة هبت في وجههِ

وانقضت بضعة ايام قبلما تمكنت البعثة من استئناف عملها كان لا بدَّ من انقضائها لاصلاح غلاف البلون وآلاتهِ . ولكن الجنرال نوبلي كان لا يزال شديد الثقة باتمام العمل الذي ندب نفسهُ لاتمامهِ . وقد قال حينئذٍ « ان البلون ايطاليا قد تخطى الآن اكثر المراحل خطراً . وسنبدأ قريباً في تحقيق الغرض الاصلي من بعثتنا . ففي أسبوع واحد نأمل ان نعمل ما لم يعملهُ احد من قبل »

وكان قد استأجر ستة رجال من المشهورين بتصعيد جبال الالب لكي يربطهم بحبال ويدليهم من البلون الى سطح القطب فينصبوا فوقهُ صليب البابا والاعلام الايطالية لكنَّ هؤلاء لما رأوا تأخر البعثة في تنفيذ خطتها الاصلية نظراً الى ما اصاب البلون من العطل استقالوا من العمل الذي نُدبوا لهُ بعيد وصول البلون الى سبتسبرجن وحجتهم ان العمل اصبح شديد الخطر

وفي ١١ مايو اي بعد وصول البلون الى سبتسبرجن بخمسة ايام قام رجال البعثة في رحلتهم الاولى الى المناطق الشمالية وغايتهم ان يستكشفوا « ارض لنين » . ولكن البلون وصل الى « ارض فرنس جوزف » واضطرَّ أن يعود ادراجهُ لان الضباب كان كثيفاً مما جعل التقدم الى الامام محفوفاً بالخطرِ العظيم . ولما نزل الى الارض في خليج الملك صُدِم المحرك الذي في مؤخرتهِ صدمةً عطلتهُ وكادت تحطمهُ . وقبلما تمكن المهندسون من اصلاحهِ هبت عاصفة شديدة من الثلج نزعت سقف الدار التي بنيت لحفظ البلون ولولا الشجاعة النادرة التي بذلها رجال البعثة لكان تحطم تحت ثقل الثلج الذي سقط عليهِ

وفي ١٥ مايو قام نوبلي وصحبهُ ثانية قاصدين الى ارض لنين ولا يعلم حتى الآن ماذا رأوا منها لان الضباب كان كثيفاً . ولكن يقال ان بعض رجال البعثة صوروا نحو مائتي صورة ونحو ٥٠٠ قدم من الفلم ودونوا ارصاداً جوية كثيرة . واثبتوا

ان لا وجود لجزيرة غلس التي اختلف العلماء في مسألة وجودها وعدمهِ

وانقضت ايام بعد عودتهم من هذه الرحلة هبت فيها العواصف فمنعتهم من الطيران ثانية قبل صباح ٢٣ مايو فساروا حينئذٍ محاذين لخط الطول ٢٤ متجهين الى القطب فبلغوهُ بعيد منتصف الليل في ٢٤ مايو وثبت لهم حينئذٍ ان النزول بالبلون الى القطب متعذر الآن — وقد يبقى متعذراً الى ما شاء الله

وبقي البلون ايطاليا محوّماً فوق القطب نحو ساعتين قفل بعدها راجعاً الى خليج الملك ، وبقيت رسائلهُ اللاسلكية تذيع للعالم اذاعة منتظمة نبأ الفوز العظيم . ولكن الآلة اللاسلكية صمتت قبيل الفجر ووقف الناس ينتظرون بوجل نهاية هذا الصمت المخيف . ثم اذيع ان بعض المحطات اللاسلكية في سان فرنسسكو التقطت الحروف S. O. S. وهي الحروف المتفق عليها بين كل الامم على طلب الغوث لماخرات البحر والجوّ . أين البلون ايطاليا ، وماذا حلَّ برجالهِ ؟ وهل هم احياء ؟ اسئلة لم تنجل الاَّ يوم الجمعة في ٨ يونيو اي بعد انقضاء اسبوعين كاملين على ضياع اثرهم

الفاجعة

ويستطاع جمع حديث الفاجعة من اقوال الرجال الذين نجوا من الهلاك مع انها اقوال مبعثرة . فقد قيل ان نوبلي ترك الريح تدفع البلون على غير هدى لكي يستكشف ارضاً جديداً . ولكن يظهر ان حرج الموقف لم يتجلَّ لربان البلون وقائد البعثة الاَّ قبيل وقوع الفاجعة لان الآلات كانت منتظمة العمل ولم تقف عن عملها الاَّ حين أُوقفت . وحينئذٍ بدأ الجليد يتكون على غلاف البلون وبعض اجزائهِ . وقد وصف نوبلي حلول الفاجعة بقولهِ : كنا في الساعة العاشرة من صباح ٢٥ مايو سائرين في جوّ معتدل على ارتفاع ١٥٠٠ قدم واذا بالبلون قد اخذ يثقل ويهبط هبوطاً سريعاً لم نتمكن من منعهِ بكل الوسائل الهندسية المعروفة وفي اقل من دقيقتين اصطدم بالجليد فانبترت الغرفة المتصلة بالبلون من جانبهِ الاسفل نخفَّ وزنهُ فارتفع ودفعتهُ الريح في اتجاهٍ شرقي . وكل الذين كانوا في هذه الغرفة حال حدوث الاصطدام لم يسترجعوا رشدهم الاَّ ووجدوا انفسهم على سطح ركام من الجليد ولكن على انقاض آمالهم الضائعة

في وحي الروح (١)

التراب المتكلم أمام التراب الصامت

تُرى ايهما هو الصدقُ في حقيقتهِ ، ما نفرحُ بهِ أو ما نحزن لهُ ؟ أمَا إن في الحياة مِلْحاً وإن في الحياة حُلواً وكلاهما نَقيضٌ فليس منهما شيء الاَّ هو رَدٌّ للآخر او اعتراضٌ فيهِ او خِلافٌ عليهِ ، وتجدهما اثنين وهما واحدٌ في اثنين ، فأنت تُؤْتَى الحلوَ تُسيغُهُ وتَستعذِبُهُ فاذا هو بك في المِلح تَمُجُّهُ وتَغَصُّ بهِ ، ثم لا تضعُ من أمرٍ على أحسنهِ في صورةٍ الاَّ رأيتهُ على أقبحه في صورة اخرى ، والانسان من الهمّ في عُمُر دهرٍ لا يموت ومن السرور في عمر لحظة تَشِبُّ وتَهْرَمُ وتموتُ في ساعات ، والحيُّ كأنهُ من هذه الدنيا فَرخٌ في بيضةٍ مُلِئَتْ لهُ وخُتِمَتْ عليهِ فلن يزيد فيها غيرُ خالقها وخالقُها لن يزيد فيها ، ومن الصحة والمرض ، ومما قد استَبَانَتْ فيهِ الحيوانيةومما سرٌّوساء ،وما شدٌّ وهدٌّ ،ومن العقل العجيب الذي يحكم من الانسان تركيباً عصبيًّا مجنوناً ثائراً — من كل ذلك وما اليهِ مزيجٌ هو بقدرة الله أشبهُ ولكنهُ فوق ضعفنا وحيلتِنا فلن نرى منهُ في الكون الاَّ شكلَ الحَيْرة ومعناها والعذابَ بها والفرحَ بالغفلة عنها والسرورَ بإِنكارها أو المكابرةِ فيها ، والحيرة لا نفيٌ ولا إثبات ، ومتى يطلب الانسانُ الحقيقة وهو جزء منها لم يقف الاَّ على جزء منها ، فالمشكلة متحركةٌ الى كل جهة حتى لا تذهب عنها لتنساها الاَّ وانت ذاهبٌ بها لكيلا تنساها

أما إن في الحياة ملحاً وان في الحياة حلواً وكلاهما نقيض ، فالصريحُ أن يُخلق منهما المستحيل وهو الملح الحلو ..... فان لم يمكن فالممكنُ من الحقيقة للانسان ان يستحيل الانسان فيموت

***

تُرى أيهما الذي هو الكذبُ في نفسه ،الموتُ أم الحياة ؟ إنهُ الجنين فالوليدُ ثم الميتُ لا مَحالة بعد ان يُسرع الأجلُ او يَتَراخى . لا يَتَقَارُّ جنينٌ في ذاتهِ

(١) روح اخي كامل بك الرافعي وقد انتقل الى ربه في شهر يونيو من سنة ١٩٢٨ ، رحمه الله

الدموية من الاحشاء ، ولا يثبت وليدٌ في ذاتهِ اللحمية من المهد ، ولا يُترك شابٌّ في ذاتهِ العظمية للحياة ، ولا يقف شيخ في ذاته الجلدية دون القبر

من عُقدة الثمرة الى لُبِّها الى شحمتها الى قشرتها ، على ناموس القضاء والقدر في باب الحَتْم المقْضيّ من كتاب السماء ، وعلى ناموس النشوء والارتقاء في باب الهذيان العلمي من كتاب الارض . . . . . .

وكما تكون تحت الوسائد كنوزُ أحلام الليل، تكون في هذه الحياة أحلامُ الكنوز الخالدة التي يملأ الارضَ كلها ضوء لؤلؤةٍ واحدةٍ منها

تطلع الشمس تلمعُ على الناس كأنها فصٌّ خَاتَم السماء تُشير به أن تَعَالوْا الى الكنز في ضوء هذه الياقوتة الصغيرة

***

الحواس زائغةمتراجحة مقلوبة وهذا هو نظامُها ونَسقُها واستواؤُها، فليس من أحدٍ في هذا الكون الموجود الا وهو ناظر الى كون غير موجود . السماء سموات والارض أَرَضُون والأكوان عِدادَ العقول ، وكل أمل في رأس مخلوق يزيد عندهُ الدنيا أو ينقصها ويغيّر من الخليقة ويبدّل ، وكل انسان في كل يوم هو انسان يومه ذلك فكأن كل حي من كل حي غلطة . وآمالنا كأرقام الساعة هي اثنا عشر رقماً محدودة ولكنها في كل دقيقة هي اثنا عشر رقماً فلن تنتهي

والحياة خداع وغرور ، وزيغ وخطأ ، وعمل وعَبَث ، ولهو ولعب ، ومهزلة وسخرية ، والناس كالارقام تُخط على هذا التراب ثم يقال للعاصفة : اجمعي واطرحي وحلّي المسألة . . . .

***

واين كل ماصبَّتهُ الشمسُ والكواكبُ من نيرانها ، وما اخرجتهُ فصولُ الأرض من وشيها وألوانها ،وما هتفت بهِ الطير من أغاريدها والحانها ،وما تلاطمت بهِ الدنيا من أمواج انسانها . أين ما صحّ وما فسد ، وما صدق او كذب ، وما ضرّ أو نفع ، وما علا أو نزل ؟ في كل لحظة تمتليءُ هذه الدنيا لتفرغ ثم تفرغ لتمتليءُ ، وماضيها ومستقبلها مطرقتان يمرُّ بينهما كل موجود لتحطيمهِ . وكأن الحياة ليست أكثر من تجربة الحياة زمناً يقصر أو يطول، وما العجيبُ أن لا تفلح التجربةُ في احد ولكن العجيب

أن لا تنقطع وهي لا تفلح ، والعالم كالبحر من السَّراب يموج بهِ أديمُ الارض ثم لا علأ امواجهُ ملـعقة ، والحقيقة في كل شيء لا تزال تفرُّ من تحليل الى تركيب ومن تركيب الى تحليل ، لان شعور اهل الزمن بالزمن لا يحتمل المعنى الخالد ، ولعل سببَ الموت انك لا تجد انساناً يعيش في حقيقتهِ الانسانية فلا هذه الحقيقة يُسَّرتْ له كاملةً ولا هو خُلق لها كاملاً ، وفي الانسان كالطبيعة أرضٌ وسماء فترابهُ لا يتغشَّاهُ مما فوقهُ غيرُ الظل ، وقد خُلق مقسوماً ، فشُقـةٌ منهُ في ارضهِ وشُقةٌ في سمائهِ فاذا حضرهُ الموت ضرب الضربةَ بين هاتين فاخذت السماء السماء وجذبت الأرضُ الارض

هناك البرقُ الالهي ملءُ الـكون يلتمع ويخطف ولكنهُ من الانسان كشعلة تتوهَّج في غرفة ارضُها وسقفها وحيطانها من المرايا وليس في هذه الغرفة الاَّ هذا الضوء ورجلٌ أعمى . فلا سخرية ولا ضلالة ولا عبث ولا خداع الاَّ في اسلوبنا الانساني المبني على حواسنا الزائغة كما تنودُ (١) السفينةُ خفَّت على موج البحر وما عَبِثَ البحرُ بها ولكن يعبَث بها وزنها

***

يريد الله ان نخلق لانفسنا معنىً من السمع والبصر ليس في أذُن ولا عين وأن نزيد في مجموعة أعصابنا الواهنة عصباً عقليًّا يراهُ ويسمعهُ ويدركهُ ويؤمن بهِ ، فالايمان قوة جبَّارة لا تجتمع الاَّ من ردّ كل أطراف النفس المنتشرة (٢) الى عقدتها الروحية وحبسِها اكثرَ حواسها في حس واحد عنيف مؤلم ، ووضع الناعم المضنون بها في ذلك المعنى المفتوح المتهدّم الذي لا يمسك شيئاً وهو الزهد ، وحصر الآلام الطاحنة في ذلك المعنى المطبق المتحجر الذي لا يُفلت شيئاً وهو الصبر ، وردّ الاخلاق كلهــا الى ذلك العنصر الذي يضيف معنى الحديد الى معنى اللحم والدم وهو الارادة ، وبعد ذلك كله وضع كل شيء انساني في ضوء من اضواء الكلمة المتألهة المسماة بالفضيلة . يا الهي ما أقواك وما اضعفنا . كأنك تقذفنا من السماء فنجتهد ان نرتفع اليها بأنفسنا على أجنحة الاعمال التي تطير بجاذبية مما تحب

لما خلقتَ الانسانَ عبداً على قدرك صار إلهاً على قدره ، فيجب في الحق أن تعذبهُ السماء اذا وغلَ عليها طفيليًّا بلا عمل ولا ثمن

---

(١) تنود تمايل وتتحرك (٢) أطراف النفس كناية عن شهواتها

النخلة السحوق نواةٌ مخزونة في بلحة ، والعالمَ العظيم تركيب مخبوء في انسان ، فالانسان لنكده الطبيعي محيط بنواميس قاهرة تحركهُ ،وتحيط به نواميس اخرى قاهرة تحرك معهُ ،فمن ثمَّ لا يبرح يصطدم ولن يكون متجهاً أبداً الاَّ الى التحطيم . فاذا هو تورَّع وتحرَّج أمات من شهواته فأبطل بعضَ نواميسه الداخلة فيهِ فأبطل مثلَ ذلك فيما حولهُ فكان خروجُه من بعض الدنيا هو حقيقة وجوده في بعض الدنيا . ومثل هذا حقيق ان يقول : إني أحكم العالم من داخلي

***

تباركتَ ربنا وتعاليت.ان الشك فيك لهو اليقين على طريقة والايمان بك هو اليقين على طريقة اخرى . المُقعدُ لا يمشي والاعرج لا يعدو والضعيف لا يسبق العدَّاء ، فاذا انكر المقعد على من يراهُ يمشي ،والاعرج على من يُبصرهُ يَعْدو ، والضعيف على من يعرفهُ قد سبق ، فما ذلك من إنكار العين ولا من مكابرة النفس وانما ذاك رأيٌ منظورٌ فيهِ الى حظ رجْلٍ مهملة او قدم مكسورة أو عظم واهن . ومن ثمَّ لن يكون في الناس ملحد الاَّ وفي طباعهِ او أخلاقه او حوادث دنياه جهةٌ مريضة ينكسر عندها الرأي ويُبتلى بها الحس فهي توجّههُ وتصرّفهُ منظوراً فيهِ الى شعور بعينهِ . وقد ينتحر الرجل من إعراض امرأة فمنذا يقول إن النفس الانسانية في وزن قبلة ؟

فأَما الملحد بغير علة فهذا لا يوجدهُ أبٌ ولا تضعهُ أمٌ اذ يجب ان تكون طباعه لهُ وحده وميراثه منهُ وحده حتى يصدّق زعْمهُ انهُ أحد للبرهان وحده . فما يجحد الجاحد الاَّ ليجعل نفسه في الرفاهية من الامر والنهي ويخرج بها من حكم الضرورة ، والايمان كله ضرورات مسلّطةُ الحكم على ما بين المؤمن ونفسه وما بين المؤمن والناس وما بين المؤمن وربه حتى كأن فيهِ شيئاً يُلْذَعُهُ بالجمر فما يستريح من لذعة الا قدر ما يجمُّ ليحتمل اللذعة بعدها

يا الهي : انما يحبك المؤمنون ويكابدون في رضاك على مقدارٍ منك لا منهم . فانت تقذف قلب المؤمن بضرورات كشُعَل البراكين وتضرب روحه من مصائبهِ بسلسلة جبال مفتولة وتتركهُ في الارض يشعر كأنما خرَّ عليهِ سقفُ العالم

شُبَهٌ خلفها بصائرُها ، وظلمات تنتهي بعد حين الى مدّ النهار الاكبر(١) ،ومن

(١) اي أعظم ضوئه

الضرورات والمصائب والآلام يخلق الجوّ الحسّاس الذي يبسط فيه الانسان جناحي روحهِ ويسمو بها على التراب والمادة

الجوّ الجوّ ، هذه تغريدة البلبل في قفصهِ
الغذاء الغذاء . . . . وهذه قوقأة الدجاجة في قفصها

***

أيقيسُ الانسان نفسه على قياسٍ من الطبيعة في قوّتها المتراكبة، ومظهرها المسخَّر لكل ما يتفق، وتركيبها المبني على سهولة الاحتمال، ونظامها الميسَّر لعدم المبالاة ؟ ألاَ ما أحمق الزهرة التي علمت أن الدوحة لا تقتلعها الاَّ العاصفة العاتية فقالت : الآن أهزأ بالنسيم ، ثم لمسها النسيم فرمى بها ورقة ورقة .

كأن الشكل الانساني نقصٌ انساني ، وكأن الانسان لم يجيء الى الدنيا بأكمله ، وكأنهُ ما خلق منهُ الاَّ قدرٌ ما لغرضٍ ما . كأنهُ تركيب في يد الصانع الاعظم ألقى منهُ جزءًا في مرجل الفلك الارضي ليغلي قليلاً . . . ثم يتطاير ويجتمع فيتلقاه من بعد

كأنَّ هذا الانسان تحت هذه الضغطة في هذه الفَوْرة في هذا الفلك مادةٌ تُطعم جوًّا لتتحول ولتتحول ليس غير . ألاَ ما أحمقهُ وهو في المرجل على الوقدة الحامية اذا أبى ان يغلي . . . . وما أسخفهُ وهو في المِصفاة تحت الضغطة الثقيلة اذا أبى ان يُعصر . . . . وما أجهلهُ وهو في الحياة الفانية اذا نسي انهُ سيموت !

لا تغترّي ايتها الحبة الصغيرة المختبئةُ في كُدْسَةٍ من القمح تتحدَّر في ثُقب الرحى ، ولا تحسبي أنك من لهوٍ ولعب تبعثين هناك وهنا بين الحَبّ . إنك في رفق ولكنهُ رِفقُ الحجرين الآكلين اللذين لا يدعان شيئاً ولا يفلتان شيئاً وانما يرفقان بك قليلاً ليُجيدا طحنك كثيراً كثيراً

***

فتحنا القبر وضَرَحْنا للميت العزيز ، لم أقل إنهُ مات بل قلت ان موته قد مات ، كأن الحي على هذه الارض هو القبر الانساني لا الجسم الانساني فانك لتجد قبوراً من الف سنة ولا تجد انساناً في بعض عمرها ، أما ترى هموم الدنيا وأحزانها كيف لا يخلو منها أحد وكيف تخرج من النعيم كما تخرج من البؤس ؟ ما أحسبها الاَّ صوَراً من ظلمة القبر يجيءُ القبر فيها حيناً بعد حينٍ الى ميّتهِ الذي لم يمت

من يهربْ من شيءٍ تركهُ وراءهُ الاَّ القبر فما يهرب أحد منهُ الاَّ وجدهُ امامهُ. هو أبداً ينتظر غيرَ مُتَمَلْمِل وأنت ابداً متقدمٌ اليهِ غير متراجعٍ. وليس في السماء عنوان لما لا يتغير الاَّ اسم الله ، وليس في الارض عنوان لما لا يتغير الاَّ اسم القبر

وأينما يذهبِ الانسان تلقّتهُ أسئلة كثيرة : ما اسمك ما صناعتك كم عمرك كيف حالك ماذا عملك ما مذهبك ما دينك ما رأيك ؟ . ثم يبطل هذا كله عند القبر كما تبطل اللغات البشرية كلها في الفم الأخرس ، وهناك يتحرك اللسان الأزلي بسؤال واحد للانسان : ما أعمالك ؟

أيها المتقاتلون على الدنيا والانسانُ الى حين ! ان تنازع البقاء مذهب فلسفي بقَريّ لا انساني . . . . . فانها الثيران هي التي تجد من القوة أن تنتطحَ في المجزرة وتنسى لِمَ هي في المجزرة

***

فتحنا القبر وأنزلنا الميتَ العزيز الذي شفي من مرض الحياة ، ووقفتُ هناك بل وقف الترابُ المتكلم يعقل عن التراب الصامت ويعرف منهُ ان العمر على ما يمتدّ محدود بلحظة ، وان القوة على ما تبلغ محدودة بخمود ، وان الغايات على ما تتسع محدودة بانقطاع ، وحتى القارّات الخمس محدودة بقبر. . . . يا عجباً ! القبور مأهولة بملءِ الدنيا وليس فيها أحد . أية ذرة من التراب هي التي كانت نعمةً ورغداً وأيتها كانت بؤساً وشقاءً وأيتها التي كانت حبًّا ورحمة وأيتها كانت بغضاً ومَوْجِدَة ؟

سألت القبر أين المال والمتاع واين الجمال والسحر واين الصحة والقوة واين المرض والضعف واين القدرة والجبروت واين الخنوع والذلة ؟ . قال كل هذه صور فكرية لا تجيءُ الى هنا لانها لا تؤخذ من هنا . فلو أنهم اخذوا هدوء القبر لدنياهم وسلامهُ لنزاعهم وسكونهُ لتعبهم لسخّروا الموت فيما سخروه من نواميس الكون

ان هؤلاءِ الاحياء يحملون في ذواتهم معانيَهم الميتة وكان يجب ان تُدفن وتطهر أنفسُهم منها، فمعنى ما في الانسانية من شر هو معنى ما في الناس من تعفن الطباع والاخلاق

يكذب أحدهم على أخيهِ فيعطيهِ جيفة حقيقة ميتة ، ويكيدُ بعضهم لبعض فيتطاعمون من جيف الحوادث المسمومة ، ويمكر الخائن فاذاً جيفةُ عملٍ صالح قد مات ، فكل مضغة

تبتلعها من حق أخيك الحي هي كمضغة تفتلذها من لحمه وهو ميت لا تعطيك الا جيفة ثم انت من بعدُ لست بها انساناً ولكنك وحش . . . . بل وحش دنيٌّ ليست له فضيلة الوحشية التي من قوةٍ تأبى ان تمسَّ لحوم الموتى

***

واهًا لك أيها القبر . لاتزال تقول لكل انسان تَعَالَ . ولا تبرح كل الطرق تُفضي اليك فلا يُقطَع بأحد دونك ولا يرجع من طريق راجع . وعندك وحدك المساواة فما أنزلوا قطرفيك ملكاً عظامهُ من ذهب ولا بطلاً عضلاتهُ من حديد ولا أميراً جلدهُ من ديباج ولا وزيراً وجهه من حجر ولا غنياً جوفهُ خزانة ولا فقيراً عُلقت في أحشائه مخلاة

ألاَ ويحك أيها القبر لِمَ لا تأتي الاَّ في الآخر ؟ ولم لا تضع حدودَ معانيك بين الاحياء بعضهم من بعض حتى يقوم بين الضعف والقوة حدٌّ العاقبة ، وبين الظلم والعدل حدٌّ الحساب ، وبين الغنى والفقر حدٌّ الموعظة ، وبين الكبرياء والذل حدٌّ المساواة ، وبين النفوس والشهوات حدٌّ التَّقوى ، وبين الحرام والحلال حدٌّ الله

يا شقاء اهل الارض ، أما إنهم لو وُضعوا فيها موضعاً من العناية لما كان الإبهامُ في السريرة ولا كانت الغفلة في النفس ولا كان النسيانُ في الطبع ، ولولا هذه الثلاثُ في هذه الثلاثة لما كان المجهولُ البشريّ كله في شيء واحد وهو القبر

***

ان أحزاننا وهمومنا ودموعنا هي كل المحاولة الانسانية العاجزة التي نحاول بها ان نكون في ساعة من الساعات مع امواتنا الاعزاء . هم يأخذوننا اليهم اختلاجاً وانتزاعاً في هذه الاحزان والهموم والدموع ، فكأنها أمكنة تخلق من الاثير الروحي وتتجسم من معانيها كي تصلح أن يلتقي فيها روح الحي وهو حيٌّ بروح الميت وهو ميت ، كما يتلاقى روحا الحبيبين في قبلتهما أولَ مرة اذ يخلُقُ قلباهما لهذا اللقاء جوًّا اثيريًّا من الزفرات واللوعات بين الشفاه المتلامسة

او لعلَّ الموت كما يجرد الحيَّ من روحه ينتزع من أهله شهواتِ ارواحهم فيميتهم مدة من الزمن في القلب وفي العين وفي الفكر . وبذلك يردُّ جميع المحزونين الى المساواة فأهلُ كلّ ميت وإن علا كأهل كل ميت وإن نزل . ويموت بالموت الفروقُ الانسانية

في المال والجاه والقوة والجمال، حتى لا يبقى الاَّ الدمعةُ واللوعةُ والحسرة والزفرة وهذه هي أملاك الانسانية المسكينة

ياهمَّ من يحس ويعرف ويرى كيف يموت العزيزُ عليهِ وكيف يتحول من يحبه الى ذكرى. ان ما يُعمل في القبر يُعمل قريبٌ منهُ في القلب

***

وما يعرف الحيُّ ان الذاكرة فيهِ هي حاسة اللانهاية [1] الاَّ حين يموت لهُ الميت العزيز فلا يكون في الدنيا وهو في ذاكرتهِ بمعانيهِ وصورتهِ لا يبرحها

وليس يُنزل الحي من امواته في القبر الاَّ من يقول لهُ انني منتظرك الى ميعاد.

أما لو عقلها الاحياء لعرفوا ان الموت هو وحده ناموس ارتقاء الروح ما بقيت في الدنيا، ولكن ضجيج الشهوات — على انهُ لا يعلو رنة كأس ولا يغطي همسة دينار ولا يخفي ضحكة امرأة — يطمسُ على الكلمة الازلية التي فيها كلُّ قوة الصدق وكل صراحة الحقيقة فاذا هي خافتةٌ لا تكاد تُسمع ملتويةٌ لا تكاد تثبت غامضةٌ لا تكاد تُبين

أذلك سحرُ الحياة فينا، أم سوء استعدادنا لها، أم شراهةُ الجسم من لذة الحياة لابتلاع كل ما في الكون منها، ام حماقةُ الكأس التي تريد ان تغترف البحر لتكون لهُ شاطئين من الزجاج، ام بلاهةُ الانسان الذي يريد ان يطوي فيهِ معنى الخالق ليكون اله نفسهِ

ويحه من غريق أحمق يرى الشاطىء على بُعدٍ منهُ فيتمكَّث في اللُّجة مرتقباً ان يسبح الشاطىء اليهِ.... ويثبت الشاطىء ويدع الاحمق تذوب ملحةُ روحه في الماء

إسبح ويحك وانجُ فان روح الارض في ذراعيك وكل ضربة منها ثمن ذرة من هذا الشاطىء. كذلك ساحل الخلد يريد من الانسان الذي هو انسان ان يبلغ اليهِ مجاهداً لا مستريحاً، عاملاً لا وادعاً، يلهثُ تعباً لا ضحكاً، ويشرَق بانفاسه لا بكأسه، وينضح من عرَق جهاده لا من عطر لذاته

ان روح النعيم الارضي في ذراعي الغريق المجاهد لينجو، وروح النعيم الازلي في ذراعي الحي المجاهد ليفوز

مصطفى صادق الرافعي

(١) هذا رأي لنا فالذاكرة عندنا من الادلة على خلود الروح

من اغاني الدرويش

قصري

قصري بناهُ الوحيُ رحبَ المجال في القبةِ الزرقاء منذ الوجودْ
فارقصنَ فيهِ يا بنات الخيالْ يا حبذا منكنَّ هزُّ القدودْ
وامرحنَ في ساحات ذاك الجمالْ والبسنَ من تلك الدراري عقودْ
تلوح في دُهْم الليالي الطوالْ علامةً للنفس في زهدها

والذة العيش برعْي النجوم بين اسى الشاكي ورشف المدامْ
اذ تطرد الاحلام جيش الهموم اذ تنجلي الآمال تحت الظلامْ
دبّي رعاكِ اللهُ بنت الكروم وغلغلي في القلب حتى ينامْ
على بساطٍ مُدَّ فوق الغيوم حاكتهُ ايدي النفسِ من وجدها

ما تنفع الشكوى ودمعي يجورْ جفّت حياة سُلَّ منها الشبابْ
لم يبقِ منها الدهر الاَّ قشورْ لولا قليل اودعوها الترابْ
لكنَّ في قصري وراءَ البذور باقٍ الى يوم النشوز اللبابْ
قد وفّرتهُ النفس قبل العبور من هذهِ الدنيا الى مهدها

نيويورك رشيد ايوب

خمسة في سيارة

٨

مناقشة في الاستعمار والاطفال والنبوغ

المصري — هنيئاً لكم بلدكم أيها الفرنساويون . ففرنسا جنةٌ وعدكم الله بها ومن يقصدها من السياح

ألا ترى هذه السيارة تتخطى الطرق المعبّدة الى جبال مكسوّة بالحراج والغابات مرتفعة تناطح السحب تارةً وآخذةً في الانخفاض شيئاً فشيئاً الى اودية تشقها الانهار ماءً سلسبيلاً تارة اخرى

فلا تقع العين على وادٍ ليس بذي زرع او على بقعة خلت من روعة الحسن

على انهُ يخيل اليّ ان الطبيعة وحدها فعلت في الارض ما فعلت فاين السكان فاننا لم تقع اعيننا على شبح لآدميّ بعدُ مما يؤيد حقيقة عقمكم التناسلي. فبلدكم تتسع لثمانين مليوناً لا لاربعين لما حوت من الثروة على ظهر الارض وفي باطنها

فلماذا تستعمرون ان لم يكن حبًّا بالمجد واندفاعاً وراء روحكم العسكري الموروث وطمعاً باستغلال المستعمرات على اخصر الطرق واهونها حتى اذا اثريتم عدتم الى التمتع باجمل بلاد الله

الافرنسي — اننا قوم قلّ نسلنا لاننا نسعى الى تحسين النوع لا الى الاكثار منهُ. فواحدنا يؤثر المعيشة الهنيئة مؤدباً نفسه وابنه احسن تأديب على معيشة لا تمكنهُ من الاستمتاع المادي والادبي اذا كثر نسله

اما استعمارنا فهو للمجد وللترف في العيش سعياً وراء الكماليات لا الضروريات . وهل من لوم علينا في ذلك او تثريب ؟ . ان المدنية الحقة تتطلب كمالاً ورقيًّا في العيش لا اكلاً وشرباً فقط

الانكليزي — ما هذه الانانية ؟ وكيف توفقون بين ما تقولهُ وبين حاجات الشعوب التي تنزلون على ظهورها

الافرنسي — أأنتم تتكلمون عن الانانية وقد احتكرتم انواعها . لا تحدثني عن

كندا واستراليا ونيوزيلاندا فهذه بلدان يسكنها بريطانيون مثل الذين يسكنون انكلترا واسكوتلندا فاذا ذكرت حكوماتهم وتجارتهم وحضارتهم فاذكر انهم انكليز سكن بعضهم في الجزر البريطانية والبعض في هذه البلاد المترامية الاطراف فلا فضل لكم في كل ماهم فيهِ من مدنية وعمران

ولكن حدثني عن البلاد الاخرى التي لا يمتُّ اهلها اليكم بنسبٍ .ماذا فعلتم فيها واين هي من المدنية واي يد لكم في تعليمها وتهذيبها ورفعها في سبيل الحضارة الحديثة

الانكليزي — قابل حالهم الآن بما كانت عليهِ قبل ان نتولى نحن شؤونهم تجد الجواب

الافرنسي — هذا غاية التضليل . ستقول انكم قد اغنيتموهم بعد جوع وامنتموهم بعد خوف واقمتم العدل مقام الظلم . انما ليس بالخبز وحده يحيا الانسان

فهل قربتموهم الى قُدْس حضارتكم وبالتالي الى قدس الحضارة الغربية؟ وهل مكنتموهم منها في شيءٍ . بل تعطفون على الامي الجاهل حتى يتعلم ويرطن بلسانكم فتنقلبون اعداء لهُ كأنهُ اخطأ او ضلَّ السبيل . ذلك انكم تسعون الى المادة وغرضكم من البلاد الغربية عنكم ان تظلَّ سوقاً تبيعكم موادها الاولية بابخس الاثمان وتبيعونها مصنوعاتكم باعلاها . نحن وانتم قوم متمدنون . ولكننا نحن نمدّن وانتم لا تمدنون

نحن نأبى بمدنيتنا تدعمها قوتنا ونقول من شاء ان يلبس لباسنا فلهُ ما لنا وعليهِ ما علينا كأنهُ افرنسيٌّ من باريز ومن لم يشأ فليبقَ في قذارتهِ . كذلك كل اصحاب الحضارات السابقة . واما انتم فلا يندمج غير بريطاني بكم ابد الدهر

السيدة اللبنانية الافرنسية — (مخاطبة المصري) ارأيت هؤلاءِ الغربيين انهم لا يفهمون الاَّ القوة فدع جيشاً من الجيوش الشرقية يصدم جيشاً من جيوشهم ويقهرهُ ترنا عندهم قوماً صالحين . اما فيما سوى ذلك فاننا نظل سلعةً في اعينهم

على ان الذنب ليس ذنبهم .فكل حضارات العالم السابقة — كما يقول زوجي — قامت على هذا المبدأ فالدنيا مع الغالب والناس على دين القوي وعلى حضارتهِ

وصاحت السيدة الانكليزية ان اسكتوا وانظروا ما اجمل هذا الوادي فالتفت القوم واذا بهم على قمة جبل عالٍ وتحتهُ وادٍ كأنهُ قطعة من خمائل الفن تكتنفهُ آكام مختلفة الالوان باختلاف اوراق الشجر تهطل عليهِ الامطار ثم تطلّ عليهِ الشمس

وقال السائق هذه البوربول

وهي بلدة قائمة على ارتفاع نحو ثماني مائة متر عن سطح البحر وتحيط بها الجبال من كل ناحية . مياهها زرنيخية يصفونها لتقوية عظام الاطفال فتراها مكتظة بهم في غاباتها اولاد. وفي حدائقها اولاد. وفي حماماتها اولاد .وعلى ينابيعها اولاد. وعلى محطة السكك الحديدية فيها اعلان مكتوب بالقلم العريض انها محطة للاولاد . فاذا تمتع هؤلاء الاولاد بكل ما فيها تمتع الرجال والنساء بهوائها النقي وبمياهها المنعشة وبمناظرها التي تأخذ بالالباب . انما ليس في هذه الدنيا من كمال ولا بدَّ لك من ثمن تدفعهُ لكل متاع

فالرجل الذي لم يتمتع بلذة الولد ولم يفهم انهم اكباد آبائهم وامهاتهم تمشي على الارض يجوز لهُ ان يتبرم بالبوربول وان يستغني عن كل ما وهبتهُ اياها الطبيعة فراراً من هؤلاء الاطفال

فنادق البلدة عديدة مهما تنتقل من واحد الى آخر لا تستطع الفرار من هؤلاء الاطفال .ان دخلت الردهة عثرت بطفل بين رجليك وآخر امامك او جلست تقرأ اخذ صراخهم بحواسك الخمس فافقدك الصواب او قعدت لتأكل جاز لهم ان يقذفوا الكرة لاعبين في غرفة الطعام وعلى مائدته.اما النوم فحرام عليك الاَّ في الهزيع الرابع من الليل

فان تفهم هؤلاء الاولاد فلست بفاهم امهاتهم وآباءهم . فالولد عزيز على ابيهِ حبيب الى قلب امهِ . عويلهُ موسيقى لاذانهما ولعبهُ تسلية لهمومهما . انما ما ذنب الرجال العازبين ؟ ما ذنبهم في كل هذا واي جرم اقترفوهُ حتى يقذفهم الآباء بلطف ابنائهم وصحة ابنائهم وخفة ابنائهم وظرف ابنائهم ونبوغ ابنائهم

قال صاحبنا المصري يوماً لصحبهِ وقد بلغت منهُ الروح التراقي هل تعرفون حكاية كاتبكم الانكليزي تشارلس لامب . قالوا هاتها . قال كان هذا الكاتب المشهور عزباً وحدث انهُ دعي ذات يوم الى العشاء الى بيت صديق لهُ ذي اولاد يلعبون ويمرحون وبيناهم جلوس الى الطعام بادرتهُ ربة الدار سائلة انك تحب الاولاد يا مستر لامب .الا تحبهم وكيف تحبهم ؟

اجابها مسلوقين ايتها السيدة مسلوقين !

فوالله لو بعث الآن وجيء بهِ الى البوربول لاحبهم مسلوقين ومقليين ومشويين

فان كان حقاً ان ملكوت السموات لمثل هؤلاء الصغار فحق ايضاً ان البوربول لهم وليست هذه ولا تلك لامثالي

الجميع — صارخين في وجههِ — يا لك من قاس عاتٍ

السيدتان — هذا دليل على انك لم تتزوج وانك في اشد حالات الحاجة الى الزواج فيحنو قلبك ويرق طبعك

الرجلان — زوجوه . زوجوه . قصاصاً لهُ على ما يقول

ولم يطل المقام باصحابنا في البوربول فان الاربعة الذين عابوا على المصري قسوته على الاطفال لم يكونوا اشد منهُ احتمالاً للمصيبة فتركوا البلد وفي القلب غصة اذ ليس بالسهل على المرء ان يفارق بلداً حوى كل ما تشتهي النفس الاَّ محاسن الصغار وقفلوا راجعين الى فيشي فباتوا فيها ليلتهم ثم شدُّوا الرحال الى « ليون » ومنها الى « اكس لابان » فمكثوا يوماً وبعض يوم ثم قصدوا الى اعالي جبال سافواي الى بلدة تدعى « شاموني » Chamonix

***

وكأن النكتة التي رواها عن الاطفال في البوربول فكّت عقدة لسان صاحبنا المصري وشجعتهُ فزال عنهُ الكثير من حيائه فجلس في مقعد من السيارة لينظر ما ارتفع من الجبال حول شاموني ويشير الى « الجبل الابيض » ويقول . ما هذه الجبال بل ما هذا الجمال او بماذا تشبهون هذا الجبل ايها الرفاق ؟

الافرنسي — اموعظة منك على الجبل انت الآخر ؟

المصري — لا . ولكن بماذا اشبه هذا الجبل وبماذا ينبغي ان يشبَّه ؟ كيف اصف ما في الجبال من عظمة ومن وقار ومن جمال يبدو لك وانت بعيد عنهُ فيملأ خيالك اعجاباً ويصور لك البعدُ الفنّ ممثلاً فيهِ . فاذا ما اقتربت منهُ ودخلت حراجهُ أو تسلقت صخورهُ وتطلعت باشجارهِ وتفرست ذلك الجمال وتلك العظمة رأيتهما يذوبان رويداً رويداً واذا ما حسبتهُ جمالا قد صار تحت قدميك فبدا لك القريب الذي كان بعيداً وبانت معايبهُ . فالشجرة قد اعتراها اليبس والصخر تفتت تراباً والارض منها المرتفع ومنها المنخفض شأنها في كل طرقك على غير الجبال

فتبعد عن الجبل وقد ازدريتهُ ثم تبدو منك التفاتة الى الوراء فيعود اليك جماله ويرجع فيأخذ عليك حواسك عظمة ووقاراً

انهُ اشبه الاشياء بالنابغة العبقري

تقرأ الشعر الخالد فتبني للشاعر قصراً شامخاً يكاد يمس عرش الآلهة فاذا قربت

منهُ وخبرتهُ أو قرأتهُ ودرست حياتهُ رأيتهُ بشراً مثلك له كل عيوبك وقد لا يكون لهُ كل فضلك

وتسمع بالقادة الزعماء الذين استهووا الجماهير فساقوهم الى الثورة أو الى الحرب او الى الاصلاح فيصور لك البعد اعمالهم كمالاً واقوالهم احكاماً وتبرز لك اشخاصهم متقنة الصنعة من أبدع ما اتقن الخيال .ثم تقرب منهم وتتاح لك عشرتهم أو تقرأ سيرهم الشخصية فاذا انت امام رجل يحب ويكره ويغضب ويرضى ويطمع ويزهد بل يسفل حيث يعلو سواهُ فتعود وانت تظن انهُ لا يستحق ما اعددت لهُ من قصور أو انك انتَ تستحق ما كنت قداعددتهُ لهُ .ذلك لان نظام الطبيعة في الاشياء والاشخاص يأبى الوحدة — ماذا اقول بل يأبى التناسق

فالطبيعة تكره الكمال ولا تسعى اليهِ رغم ما يقولهُ لنا علماء الاخلاق . بل هي تجمع كل ما تناقض في واحد . فحيث الذكر هناك الانثى وحيث السرور هناك الغم وحيث العلو هناك الهبوط وحيث الجمال هناك القبح

تلك الزهرة جميل لونها فائح عطرها قائمة على سفح الوادي تنعشها الشمس ويحييها المطر لا تلبث ان ينهار عليها صخر من عل فاذا بها اثر بعد عين

لكل شيء في الطبيعة ندٌّ يقاومهُ ولكل شيء في الانسانية ثمن

اذا طمعت بالثروة فسعيت لها وأجهدت نفسك فاحرزتها تفقر غيرك بل تفقر نفسك في أمور أخرى . قد يتاح لك متاع المال ولكنك قد تحرم متاع الحب الطاهر أو الفكر النير أو الرحمة تبذلها للغير . او افعل الشر تنل جزاءك من عملك بالذات وترَ الخير قد برز في ناحية اخرى من نواحي ما عملت

بل عقابك على عملك أو ثوابك عليهِ آت في دنياك كرهت أو رضيت . ولا تقس هذا العقاب أو ذلك الثواب على مقياس عقلك فانك تضلُّ السبيل فعقلك ابن عاطفتك ووليد رغبتك لم يُتَح لهُ بعد ان يستقلَّ عنهما.فالقوانين التي تعاقب السارق على سرقة من السرقات بالحبس سنة واحدة وآخر على سرقة أخرى بالحبس سنتين — هل أصابت ووزعت العدل بالسواء ؟ ألم تحرم الطبيعة السارق لذة الحياة المطمئنة ولذة العمل ولذة الكسب منهُ — دع عنك ما حرمه منهُ القانون . فالطبيعة تكره الكمال ولا ترضى عن عظمة تقوم الا البستها نقصاً . فكأنَّ الانبياء اتخذوا من درسها صورة للخلود وللحياة الاخرى وما وصفوا فيها من ميزان عادل يوزع الامر بين الناس بالقسطاس

لا . انما تجزى كل نفس بما صنعت وكل شيء بما هو ليس في الآخرة فحسب بل في هذه الدنيا ايضاً

قاموس المقاصة يوزع على الناس وعلى الاشياء اقساطهم في حياتهم بله ما بعد المات صعود وهبوط . غناء وفقر . موت وحياة . عذاب وسرور . هذه هي الطبيعة بل هذه هي الحياة

أمور تناقضت واجتمعت في شخص فسموه عقلاً وعواطف وسموه الانسان واجتمعت في شيء فسموه جبالاً وبحاراً وبرداً وحراً وموتاً وحياة وسموه الطبيعة

***

وما اشبه النابغة بالجبل او اشبه الجبل بالنابغة في ان كلاًّ منهما يحتوي كل ماحوله

فليس الرجل بالعبقري النابه ان لم يضمَّ في برديه كل آمال جيله وامانيه وكل ماضي جيله وتقاليده وكل مطمح لجيله وكل مثال عال

تقرأ النابغة فترى انهُ ترجم فكرك وقال ما هممت انت بقولهِ فلذا سارت اقواله مضرب الامثال . فليس النابغة من يقول الشعر فلا تدرك ما يقول او يكتب فلا يعبر عن فرحك وحزنك وعن املك وعن شعورك . لا . انما النابغة من أخذ أبسط الامور في الحياة فحاكها رأياً جامعاً في ثوب لا يبلى او تناول اقرب الاشياء الى النفس فنطق بها فكراً حيًّا يعيش ابد الدهر

كذلك الجبل العظيم الفخم الجميل . انظر اليهِ . ألم يحو الصخور الكبير منها والمتحطم والاشجار الشامخ منها والضارب رأسهُ في الارض . انهُ جمع الوحدات وضمَّها كلها ضمة واحدة فتكاد تخاله مستقلاً عما حوى اذ يبهرك بوقار عظمتهِ وما هو الا هذه الحجارة وهذا النبات اتخذوا شكلهُ قالباً رفيع الشأن

السيدة اللبنانية — تنظر الى المصري نظرة اعجاب فلا تبدي ولا تعيد

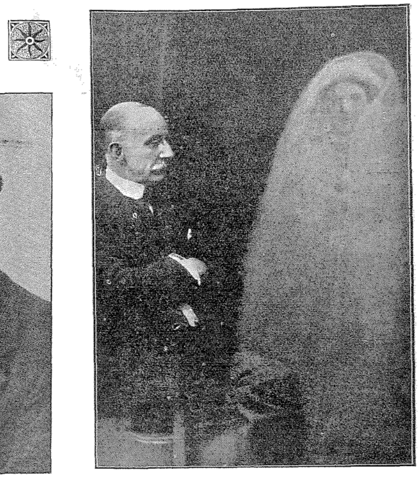
السيدة الانكليزية — لقد هبط عليك الوحي . اقبل تهنئتي

الانكليزي — اذا كنت قد شعرت بشيء من البرد فخذ هذه الكاس من الوسكي

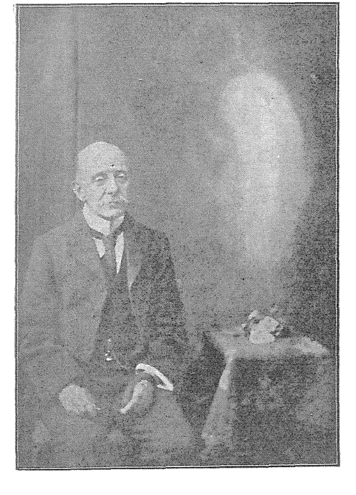
الافرنسي — حقًّا انك احسنت التعبير . ان خيال الصحراء يتبعك في اعالي الجبال فهنيئاً لك

المصري — لا هذا ولا ذاك . ولكنني امام جمال الطبيعة وفي وسط قوم كرام

سامي الجريديني


الجنرال السر الفرد ترنر وصورة روح امهِ


هوديني المشعوذ الذي وقف آخر حياتهِ
على كشف خداع الوسطاء


الجنرال السر الفرد ترنر وصورة روح غير واضحة

مقتطف دسمبر ١٩٢٨

انظر صفحة ٤٠٩

لماذا ينخدع العلماء

باعمال الوسطاء الخادعين

فصل موجز من كتاب «رسائل الارواح» الذي نشرته ادارة المقتطف في اواسط الشهر الماضي وهو يشتمل على احدث المباحث في مناجاة الارواح وانتقال الافكار وتعليل الاحلام والشفاء بالاستهواء وما الى ذلك من المباحث الخطيرة

اهتمَّ جمهور كبير من القرَّاء بما كتبناهُ عن الفتاة التي تدَّعي انها تعود الى ما كانت قبلما وُلِدَتْ فكثرت علينا مسائلهم واكثرهم يحسب ان التعليل الذي عللنا بهِ ما ادعتهُ لا يكفي لتعليلهِ كلهِ . وهذا صحيح فان ذلك التعليل لا يكفي لتفسير كل دعاويها اذا كانت صادقة في كل ما ادعتهُ وكان الذين رأوها وكتبوا عنها صادقين في قولهم وغير مخدوعين في احكامهم. لكن ذلك كلهُ بعيد عن التصديق وانخداع الناس بما يرونهُ ويسمعونهُ اكثر كثيراً ممَّا يُظَن لاول وهلة وقد اتفق مراراً ان شاهدنا بعض المدَّعين مناجاة الارواح نحن وجماعة من الادباءِ فخيّل اليهم انهم رأوا وسمعوا ما لم نرَهُ نحن ولا سمعناهُ. وزاد الفرق بيننا وبينهم حينما تكلَّم كلٌّ منا عمَّا رآهُ وسمعهُ فان الوهم صوَّر لهم الامور على غير حقيقتها حتى صرنا نرتاب في كل ما نسمعهُ عن غرائب التنويم ومناجاة الارواح

وهذا يفسّر لنا ما اجمع عليهِ جمهور من جلّة علماءِ العصر الذين يشار اليهم بالبنان فانهم يقولون ان الحوادث المنسوبة الى مناجاة الارواح بعضها حقيقي لا شبهة فيهِ وهو ليس من تصورات الذهن ولا من اوهام المخيلة بل امر واقعي لا شبهة فيهِ يقوى على الامتحان العلمي فيثبت ثبوت كل المدركات. وهم مخلصون في قولهم مقررون ما يعتقدون صحتهُ تمام الاعتقاد ولكن اعتقادهم صحتهُ لا يوجب كونهُ صحيحاً لان انخداع الناس اكثر كثيراً ممَّا يُظَن

وقد تطرف الدكتور الفرد ولس فقال ان الغرائب التي نُسبت قديماً الى مناجاة الارواح وكذَّبها جمهور العلماءِ ثبتت صحتها الآن لانهُ وقع لدى علماءِ هذا العصر ما يماثلها تماماً

وقول ولس هذا حمل البعض على استخدام مناجاة الارواح في تحقيق بعض الجرائم التي وقعت حديثاً في البلاد الانكليزية فقد وجدت جثة فتاة ملقاة في سرب من اسراب سكة الحديد ولم يهتدِ رجال الحفظ الى قاتلها ولا الى سبب قتلها فلجأ بعضهم الى اشهر المدعين مناجاة الارواح لاكتشاف القاتل فصوَّروهُ على صور مختلفة ضلت بها الافهام ولم تأتِ

بطائل كما يفعل اصحاب الرمل والمندل عندنا يقولون لك اموراً مبهمة تعلّق بها المعنى الذي يسبق اليهِ وهمك وكلها تدجيل في تدجيل واصحابها خادعون او مخدوعون

ويدَّعي الذين يعتقدون صحَّة ما يقال عن ظهور الارواح ان ظهورها ومناجاتها من الادلة القاطعة على خلود النفس ووجود عالم الارواح ويتَّهمون من يخالفهم بانهُ منكر لوجود النفس جاحد للحقائق الدينية فيقف ضعيف العزيمة وقفة الريب والخوف منهم ولاسيما بعد ان يرى بين المصدقين بمناجاة الارواح جماعة من اهل الفضل والنبل لكنهُ اذا انعم نظرهُ قليلاً في دعاويهم رأى ما يكفي لنقضها

فاولاً يرى ان الذين كانوا يهتمون اشد الاهتمام بجلاءِ هذا الامر الغامض واثبات مناجاة الارواح ثم ماتوا ولم تحاول روح احد منهم ان تتجلَّى لاحد من المنكرين وتقنعهُ بوجودها . فان كانت روح الميت تبقى في هذه الدنيا حول الاحياءِ تناجيهم وتؤثر فيهم تسمع كلامهم وتجيب طلبهم فعلامَ لا تفعل اهم شيءٍ يزول بهِ الاشكال وتنجلي بهِ الحقيقة وهو ان تقول للاحياءِ انا روح العالم فلان جئتكم لاثبت لكم ما كنت انكرهُ

وثانياً ان اشهر الذين كانوا يدَّعون مناجاة الارواح اعترفوا اخيراً انهم كانوا يستعملون الحيل لخداع الناس فالفتاتان المعروفتان باسم مرغريت فوكس وكاتي فوكس تزوجتا بعد ان خدعتا كثيرين وبيَّنتا كيف كانتا تخدعان الناس بتحريك اصابع ارجلهما فيصدر من تحريكها نقر تدَّعيان انهُ نقر الارواح اجابةً لسؤال السائلين . والدكتور سلايد الذي خدع الناس زماناً طويلاً بادعائهِ انهُ يأمر الارواح فتكتب على الالواح الحجرية اجوبة المسائل التي تُسأَلها عادة فبيَّن كيف كان يفعل ذلك . وقبل هذا بحثت لجنة من كبار العلماءِ في افعالهِ فاهتدت الى وجه الحيلة فيها

ثالثاً ان الارواح التي يزعم مستحضروها انها ارواح الموتى لا تفعل الاَّ اسخف الاعمال واحقرها فلا تكتشف سرًّا في كشفهِ فائدة لاحد ولا تنبئ بامر من الإِنباءِ بهِ نفع ما مع ان مستحضريها يدَّعون انها تفعل ما هو اغرب من ذلك . وان كانت الارواح ترى ما لا يرى وتقرأُ ما في الافكار فعلامَ لا يستخدمها رجال السياسة في كشف الغوامض السياسية ورجال القضاءِ في تحقيق الجنايات بدلاً من ان تقتصر افعالها على الالاعيب الصبيانية التي لا يجني احد منها نفعاً

رابعاً ان الذين يصدقون بمناجاة الارواح ويمارسون ذلك تضعف قواهم العصبية رويداً رويداً وينتهي امرهم الى الجنون وهذا امر معلوم يدل على ان اعصابهم كانت ضعيفة

من اصلها او مائلة الى الضعف ومن كانت اعصابهُ كذلك لا يركن الى احكامهِ وتصوُّراتهِ

الاَّ ان الذين يدَّعون مناجاة الارواح لا ينفكون عن الاتجار ببضاعتهم الرابحة لاسيما وان الذين ينخدعون بهم اكثر كثيراً من الذين يستطيعون كشف خداعهم ولا غرابة في ذلك فان كشف الخداع يقتضي علماً وخبرةً ومهارة غير عادية . الا ان المشعوذ يقف امام الناظرين ويقول لهم صريحاً ان اعمالهُ كلها تتم بالخفة والمهارة لا سحر فيها ولا شيء يفوق الطبيعة ومع ذلك لا يدرك كيفيتها واحد من عشرة من الذين يرونها فلو ادعى انهُ ساحر يعمل اعمالهُ بقوة سحرية او روحية لصدقهُ كثيرون من الذين يرونها

قال الدكتور فورنس وهو من اشهر الذين تصدُّوا للبحث عن حقيقة مناجاة الارواح « لقد رأيت رجالاً يمسكون بنسائهم المتوفيات وقد ظهرنَ لهم باجسادهنَّ وآباء يمسكون بابنائهم المتوفين وقد ظهروا بالجسد ايضاً وارامل يبكين ويتحن بين ايدي ازواجهم المتوفين وكنت اناجي نفسي قائلاً أأصبت بالعمى حتى لا ارى ما يراهُ غيري فان الذي اراهُ امامي انما هو الشخص المدعي اظهار الارواح لا غيرهُ ومع ذلك ينظر اليهِ رجل ماتت زوجتهُ ويحسب انهُ يراها امامهُ بعينها ثم يخرج وتأتي بعدهُ امرأة مات زوجها فتحسب انها تراهُ امامها ثم رجل مات ابوهُ فيحسب انهُ يراهُ امامهُ والشخص واحد لم يتغيَّر فهل قوة الابصار ضعيفة جدًّا في هؤلاء الناس او ان الشخص الذي يدعي استحضار الارواح يستهويهم فيفقدون قوة التمييز او ليس في الامر سرٌّ سوى ان النور ضئيل والليل ستَّار فيخفي الحقائق »

وقد رأينا بعض اعمال المنوّمين ومستحضري الارواح ورأينا وجه الحيلة في كثير منها ولم نرَ فيها شيئاً غريباً . ولكن اكثر الذين رأوها معنا استغربوها كلَّ الاستغراب ولم يصدّقوا الاَّ انها من الخوارق او مما لا يمكن تعليلهُ . واغرب من ذلك انخداع الاذن بالاصوات فقد كنا نسمع كلمة مبهمة لا نفقهُ لها معنىً ويسمعها غيرنا واضحةً تنطبق على ما ينتظرهُ او ما قام في ذهنهِ

ثم ان مدعي استحضار الارواح مشعوذون كلهم ماهرون في تحويل انتباه الذين امامهم عن الامور الجوهريَّة في حيلهم الى ما لا علاقة لهُ بها والمكان والزمان لا يصلحان للبحث والتنقيب فيتعذر على الرائي ان يكتشف الحيَل لا سيما وهو غير معتاد ذلك ولا متمرّن فيهِ

وزد على ذلك ان اكثر الناس تعودوا تصديق بعضهم بعضاً والاركان الى ما يرونهُ ويسمعونهُ كأنهُ حقائق لا شبهة فيها فيعسر عليهم اكتشاف الحيل وانكار ما تراهُ عيونهم وتسمعهُ آذانهم ولو كان كلهُ اوهاماً في اوهام

جراح المحبة

لاوسكار ويلد

ولد اوسكار ويلد في دبلن سنة ١٨٥٤ من أبوين كانا على جانبٍ عظيم من رفعة الشأن . واشتهرت أُمُّهُ اللادي ويلد بالقصص الارلندية التي كتبتها وطُبعت في عدة مجلّدات . تخرّج اوسكار في كلية دبلن وأكمل تحصيل العلوم العالية في جامعة اكسفورد . وكان شاعراً مجيداً وكاتباً بليغاً . فأُعجب القرّاء بمطالعة قصائدهِ التي طُبعت في ديوانهِ سنة ١٨٨١ . ومال بعد ذلك الى تأليف الروايات التمثيلية وكتابة المقالات الادبية والقصص والاقاصيص . فاجاد فيها كلّها إجادة اذاعت صيتهُ بين جميع قرّاءِ اللغة الانكليزية . ومن اقاصيصهِ « جراح المحبة » الآتية وعنوانها في الاصل « الجبّار المستأثر » اي المحبّ لنفسهِ :

القصة

اعتاد الاولاد ، كل يوم بعد الظهر في اثناءِ رجوعهم من المدرسة ، ان يذهبوا الى حديقة الجبّار حيث يطيب لهم اللهو واللعب

وكانت هذه الحديقة روضةً فيحاء غنّاء حافلةً بكل ما يُقرّ النواظر ويسرّ الخواطر . وقد فُرشت ارضها ببساط عشب شديد الخضرة والنضرة مرصّعٍ بجواهر الازهار والرياحين على اختلاف انواعها والوانها . وبين ادواحها الوارفة الظلال والطيّبة الثمار اثنتا عشرة شجرة دُرّاق [خوخ] تلبس في الربيع مطرف زهر انيق بديع وتخرج في الخريف ثمراً حلواً لذيذاً . ومما زاد هذه الحديقة حسناً وجمالاً أنّ الطيور ألفت اشجارها فكانت لا تبرح مقيمةً فيها تتبارى في الشدو والتغريد والغصون تحتها تتمايل مصفقةً لها والاولاد يشنّفون آذانهم بسماع تغاريدها ويطفرون من شدة الطرب ويرقصون ويقولون بعضهم لبعض « ما اشدّ ابتهاجنا وسرورنا في هذا المكان »

وكان الجبار صاحب الحديقة والقصر المجاور لها مسافراً لطيّة بعيدةٍ . وفي غيابهِ هذه المدة الطويلة خلا للاولاد جوّ التنزُّه في الحديقة فكانوا يأتونها عصر كل يوم ويسرحون فيها ويمرحون ويغنمون ما شاؤوا من طيب النفوس وقرّة العيون . ولما

عاد من طيّتهِ نظر فرأى الاولاد يلعبون في الحديقة. فاستشاط غيظاً وصاح بهم صيحة السخط قائلاً لهم: — « ماذا تفعلون هنا ؟ » . ولما سمع الاولاد صوتهُ الاجشّ يهدر كالرعد القاصف ولّوا الادبار وركنوا الى الفرار هَلِعين مذعورين . وشفع انتهارهُ لهم بالبلاغ الآتي : « ان هذه الحديقة حديقتي . وتلك حقيقة لا يصعب فهمها على أحد . وليس لإنسان غيري ان يجوس خلالها ويتملى حسنها وجمالها »

وما ابطأ ان بنى حولها سوراً عالياً وكتب على بابها هذا الانذار : — « من يحاول دخول هذه الحديقة يستهدف لاشدّ عقاب . ولقد أعذر من أنذر » . وكان هذا المارد الجبار مثلاً مضروباً في شدة الاستئثار. لا يحبّ غير نفسهِ ولا يشعر باقل شيء من العطف على احد من ابناء جنسهِ

وبعملهِ هذا أصبح أولئك الاولاد محرومين لذة التمتع باللهو واللعب . فقد حاولوا ان يلعبوا على قارعة الطريق ولكن حال دون بغيتهم هذه ما لقوهُ في الطريق من تراكم الغبار وكثرة الحجارة وشدة الوعوثة . فكانوا كل يوم بعد خروجهم من المدرسة يمرّون بالحديقة ويطوفون حول سورها الرفيع ويذكرون عهد تمتعهم باللعب فيها بالشوق والحنين بل بالتنهد والانين ، قائلين بعضهم لبعض « ما كان أسعدنا في ذلك الحين ! »

وانقضى فصل الشتاء وبدت تباشير الربيع في البلاد كلها بزقزقة الاطيار وظهور اوراق الاشجار وابتسام ثغور الازهار . ما عدا حديقة العملاق الطاغية فانَّ الشتاء ظلَّ فيها شديد الوطأة وراسخ القدم لم تهشّ الطيور الى التغريد فيها لان الاولاد ليسوا هناك . وعرا اشجارها فتور وخمول فما ازهرت ولا اورقت. واتفق ان زهرة جميلة أخرجت رأسها من كمها ولما رأت الانذار رقّت لحالة الاولاد وما لبثت ان عادت الى القبوع في كمّها مستأنفة نومها الشتائي. واخذ السرور كلّ مأخذ من الثلج والصقيع فطابا نفساً بما كان وهتفا من شدة الابتهاج قائلين « نسي الربيع هذه الحديقة او تناساها وسنبقى فيها راتعين على مدار السنة » . وفرش الثلج بساطهُ الكثيف الابيض على الكلإ فغطاهُ ونثر الجمدُ حبّاتهِ الفضية على اغصان الاشجار . ودعوا ريح الشمال الصرصر فلبّت دعوتهما وهبّت هبوباً عنيفاً أناخ على الحديقة بكلاكل القرّ والزمهرير ثم اهابت بالبرَد فظل ثلثة ايام متوالية يصبُّ انصباباً غزيراً على سطح القصر وجدرانهِ حتى حطم زجاج نوافذهِ وشرفاتهِ وطاف حول الحديقة يُباري ريح الشمال في العيث والإفساد وتحميل الجبّار ما لا يطاق من صنوف الإعنات والإرهاق

وطال عليهِ الانتظار من يوم الى يوم وهو يعلّل نفسهُ بقدوم فصل الربيع والتخلّص من صبارّة البَرْد وقرس الزمهرير حتى عيل صبرهُ او كاد فوقف في نافذة احدى الغرف واطلّ على الحديقة فرآها تُقاسي الامرّين من شدّة فتك الثلج والصقيع والريح الصرصر والبَرد فقال : — « لا أدري لماذا ابطأ الربيع هذه السنة ? ولا بدَّ من مجيئهِ عن قريب . فصبراً يا حديقتي صبراً انَّ بعد العسر يسراً »

ولكن الربيع لم يزر حديقتهُ قط . وحذا الصيف حذوهُ فصدّ عنها معرضاً. وخلع الخريف على كل حديقةٍ حالي الثمار العسجدية ولم يستثنِ من هذا الإِنعام الاَّ حديقة الجبَّار قائلاً « انهُ شديد الاثرة والجشع ». فلم يبرح الشتاء مخيّماً عليها وظلت مسرحاً وملعباً للبَرَد والرياح والثلج والجمد

وفي صباح يوم حدث ان الجبار ، وهو باقٍ مضطجعاً في سريرهِ، سمع ايقاعاً رخيماً جميلاً . فشاقهُ هذا الصوت العذب المطرب وظنَّ ان فرقة الموسيقى الملكية مجتازة من ناحية الحديقة . ولم يكن ذلك الصوت سوى زقزقة عصفور خارج النافذة . ولكنهُ إذ كان قد مضى عليهِ وقت طويل لم يسمع فيهِ طائراً يغرّد في حديقتهِ عدّ الزقزقة التي طرقت اذنيهِ اجمل ايقاع موسيقي في العالم. وعندئذٍ انقطع تهطال البَرَد وسكن هبوب الريح وعبق القصر برائحةٍ طيّبة النشر . فنهض الجبار من فورهِ واطلّ من النافذة وهو يقول : — « لا بدَّ ان يكون الربيع قد جاءَ »

فماذا رأى ?

رأى اغرب منظر لم يخطر قط ببالهِ ولا ببال احدٍ من الناس . فان الاولاد كانوا لشدة شوقهم الى دخول الحديقة قد استخفوا بالوعيد والتهديد وفتقت لهم الحيلة بان عالجوا اضعف موضع في السور حتى نقبوهُ وانسلوا الى الحديقة وتفرقوا تحت اشجارها ولم يقع نظرهُ على شجرة الاَّ رأى ولداً متفيئاً في ظلالها . ومما زادهُ دهشة انهُ شاهد الادواح كلها حانيةً على الاولاد « حنوّ المرضعات على الفطيم » ولم تلبث ان اخرجت ازهارها من الاكمام فبدت طيباً للنفس وقرة للنظر ومدت اغصانها الميلاء لاحتضان ملائكة في صورة بشر ! وتسابقت أسراب الطيور من كل صوب وجلست على الاغصان المتدلاّة فوق رؤوس الاولاد وامعنت في الشدو والانشاد باصوات تطرب الجماد وعمَّ الربيع جهات الحديقة الاَّ زاوية منها ظلّ الشتاء مخيماً عليها . وفي هذه الزاوية القصوى وقف ولد صغير لم يستطع لشدة قصرهِ ان يصل بيديهِ الى اغصان الشجرة فوقهُ . فكان

يروح ويجيء موغلاً في العويل والبكاء والشجرة نفسها مغشّاة بالثلج والصقيع وريح الشمال تهبُّ فوقها هبوباً شديداً . ثم حنت الشجرة اغصانها وقالت لهُ بالطف لهجة وارق نغمةٍ : « هيّا هيّا ايها الولد الصغير تسلق الاغصان واصعد اليَّ » فمدَّ يديهِ متطاولاً ومحاولاً بلوغ الاغصان المتدلاة فوقهُ فاعياهُ ذلك

رأى الجبار هذا كلهُ فذاب قلبهُ اسىً والتياعاً .وقال « لله ما اعظم غباوتي وحماقتي واشدَّ جشعي واستئثاري ! الآن علمتُ لماذا تعمد الربيع قطيعتي وصدَّ عن قصري وحديقتي . واني لآسف اشدَّ الاسف على غلاظتي وقساوة قلبي . وسأبدأ الآن بالتكفير عن ذنبي العظيم فأبادر الى رفع ذلك الولد الصغير المسكين الى ذروة الشجرة ثم اهدم سور الحديقة واجعلها الى الابد وقفاً مشاعاً على الاولاد يسرحون فيها ويلعبون ويغنمون ما شاؤوا من اسباب المسرة والابتهاج »

قال هذا وخفَّ نازلاً الى الحديقة . فلما رآهُ الاولاد فرُّوا مذعورين مرتاعين وعلى اثرهم ذهب الربيع وخلفهُ الشتاء ! ولم يبق منهم في الحديقة سوى ذلك الولد الصغير لان عينيهِ كانتا مغرورقتين بالدموع فلم يرَ الجبّار عند دخولهِ . وكان قد جاءهُ يسترق الخطى . فاحتضنهُ برفق ولطف ورفعهُ الى الشجرة . ومن فورها أخرجت اوراقها وازهارها وجاءتها الطيور تغرّد على افنانها ومدَّ الولد ذراعيهِ وطوَّق بهما عنق الجبّار وقبّلهُ . ولمّا رأى بقية الاولاد ما حدث وتيقّنوا ان الجبّار ارعوى عن شرّهِ وطغيانهِ رجعوا الى الحديقة ورجع معهم الربيع بازهارهِ واطيارهِ . فرحَّب الجبّارُ بهم هاشّاً باشّاً وقال لهم : « هذه حديقتكم ايها الاولاد الاعزّاء . لا ينازعكم فيها احد من الآن فصاعداً ولكم ان تدخلوها وتلعبوا فيها متى شئتم على السعة والرحب » . ثم عمد الى فأس وأعملها في السور فدكّهُ الى أساسهِ . واجتاز الناس امام الحديقة فاستوقف انظارهم هذا التغيير المفاجئ الذي طرأ عليها اذ ابصروا سورها مهدوماً والجبار يروح ويجيء بين الاولاد وقد اباح لهم التمتع باجمل حديقةٍ في العالم. فكانوا يقفون مبهوتين مدهوشين وقد أجمعوا كلهم على الإعجاب بما استوفتهُ هذه الروضة الغناء من اسباب الحسن والرّواء واتفق رأيهم على انَّ جمال منظر الاولاد الصغار فاق رونقهِ وبهائهِ كلَّ ما ازدانت بهِ من الاشجار والازهار والاطيار !!

واتفق ان ذلك اليوم كان عيد عطلة عند الاولاد فقضوهُ في الحديقة . وفي المساء ذهبوا الى الجبار يودعونهُ فسألهم : — « اين رفيقكم الولد الصغير الذي وضعتهُ في

الشجرة ؟ فاني لا اراهُ معكم » .وكان الجبار قد احبَّهُ على الخصوص متأثراً من تقبيله لهُ . فاجابوهُ قائلين انهم لا يعلمون اين يقيم ولم يروهُ من قبل . فاغتمّ الجبار واعتراهُ التعاج حبس لسانهُ عن الكلام

وكان الاولاد يأتون عصر كل يوم الى الحديقة حيث يوافيهم الجبار ويشاركهم في اللهو واللعب ولكنهُ لم يرَ بينهم الولد الصغير الذي احبهُ ومع اهتمامهِ بملاطفتهم كان فؤادهُ يصبو شوقاً الى صديقهِ الصغير ويقول في نفسهِ « ليت عيني تراهُ »

وتوالت السنون وطعن الجبار في السنّ وخارت قواهُ فاصبح غير قادر على مشاركة الاولاد في اللعب . فكان يجلس على كرسي كبير يراقبهم في العابهم ويعجب بجمال حديقتهِ ويقول : — « فيها كثير من الازهار والرياحين الجميلة المنظر والذكية الرائحة ولكن الاولاد اجمل ازهارها كلها »

وفي صباح يوم من ايام الشتاءِ استيقظ الجبّار وبعد ما لبس ثيابهُ وقف في النافذة واطلّ منها على الحديقة .وكانت افكارهُ الآن قد تغيرت من جهة الشتاءِ فعاد لا يشعر باقلّ بغض اوكراهية لهُ لانهُ علم يقيناً أن الشتاء عبارة عن ربيع راقد في حضن الطبيعة والازاهير ناعمة في مضاجع الراحة .ثم مسح عينيهِ بيدهِ مدهوشاً مبهوتاً وامعن في الشخوص والتفرّس لانهُ لاح لهُ منظر عجيب غريب. ففي زاوية الحديقة القصوى شاهد شجرة مزدانة بازهار ناصعة البياض فائقة البهاء ومن افنانها العسجدية تتدلى ثمار لجينيَّة والولد الصغير الذي احبهُ رائع تحتها فطار اليهِ محمولاً على اجنحة الشوق . وباسرع من لمح البصر اجتاز الحديقة حتى دنا منهُ . ولما نظر اليهِ اخذتهُ سورة الحنق فصاح مزمجراً : — «من ذا الذي اقدم على اصابتك بهذه الجراح ؟» لانهُ ابصر ندوباً [آثار جراح] في باطن كفَّيهِ وقدميهِ وكرّر سؤالهُ لهُ قائلاً «من ذا الذي اقدم على اصابتك بهذه الجراح ؟ اخبرني باسمهِ لاروي غليل حسامي من دمهِ » فاجابهُ الولد : « انها جراح المحبَّة ! »

فاخذت الجبَّار رهبة شديدة وجثا امام الولد وسألهُ : « من انت ؟ »

فاجابهُ الولد باسماً : « لقد اذنت لي في ان العب في حديقتك . واليوم تصحبني الى حديقتي التي هي جنة النعيم »

وفي عصر ذلك اليوم جاء الاولاد الى الحديقة فوجدوا الجبار ملقى ميتاً تحت تلك الشجرة ومكفناً بالازهار البيضاء

ترجمة : اسعد خليل داغر



الرأس تفري بعد تتويجه امبراطوراً يستقبل احد الممثلين السياسيين الاوربيين

مقتطف دسمبر ١٩٢٨

امام الصفحة ٤١٧

ما تريد ان تعرفهُ عن الحبشة

تتويج الرأس تفري ما كونين امبراطوراً

[كان تتويج الرأس تفري ما كونين نجاشياً للحبشة من الحوادث الكبرى في شهر اكتوبر الماضي . فرأى كاتب المقال الآتي ان يفصل علاقة مصر بالحبشة منذ ايام الفراعنة ثم دخول المسيحية الى بلاد الحبشة وسيطرة كنيسة الاقباط المصرية على الكنيسة الحبشية . وعناية النجاشي بالمهاجرين المسلمين ورد اذى المخالفين عنهم. وتوثيق عرى الود بين الحكومتين المصرية والحبشية. واخيراً فصل تاريخ الحبشة الحديثة من ايام الامبراطور تواضروس حتى بلوغ النجاشي تفري عرش الحبشة]

ما هي الحبشة؟

الحبشة هي المملكة الافريقية الوحدة التي لا تزال حافظة كيانها واستقلالها التام . فلا حماية ولا وصاية ولا انتداب ولا اشراف ولا غير ذلك من انواع السيطرة الاوربية المبسوطة على افريقيا من شمالها الى جنوبها ومن شرقها الى غربها

تبلغ مساحتها ٣٥٠ الف ميل مربع . وعدد سكانها عشرة ملايين. وسكان العاصمة (اديس ابابا) ٧٠ الفاً وجيشها العامل ١٠٠ الف . وتقدر وارداتها التجارية بمبلغ ١١٠ آلاف جنيه وصادراتها بمبلغ ١٧ الفاً

وقد انضمت الى جمعية الامم في ٢٨ سبتمبر سنة ١٩٢٦ بعد ان قبلت برنامج الجمعية وكل تعهدات الدول ومنها مقاومة تجارة الرقيق التي يقال انها لا تزال منتشرة في اكثر مقاطعات الحبشة

بين مصر والحبشة قديماً

لمصر علاقة بالحبشة قديمة ترجع الى ايام العائلة الفرعونية الثانية عشرة اذ وصلت الجنود المصرية الى سفوح الحبشة واخذت في غزو المدن وسلبها ونهبها . وفي عهد العائلة الثالثة عشرة تغلغل الجنود المصريون في البلاد الحبشية واستولوا عليها فاصبحت ايالة مصرية يولى عليها ابناء الفراعنة ويعمل الجند والموظفون المصريون فيها لنشر دينهم ولغتهم وأدبهم وخلفوا هناك آثاراً كثيرة من الهياكل والمسلات وغيرها . وبقيت الحبشة تابعة لمصر حتى سنة ٩٣٠ قبل الميلاد المسيحي

وانقلبت الآية بعدئذٍ اذ هاجم بيونكي ميامون صاحب الحبشة البلاد المصرية بين سنتي ٧٤٠ و٧٣٠ قبل الميلاد المسيحي وفتح معظم اقاليمها وتبعهُ خليفتهُ ساباسون فوصل بجنوده في مصر الى ساحل البحر الابيض المتوسط وبقوا في مصر حتى اخرجهم منها اسور بانيال الاشوري سنة ٦٦٣ قبل الميلاد . ثم عاد الحبشان فجددوا حملتهم على مصر في ايام البطالسة واستولوا على التخوم الجنوبية

الحبشة المسيحية

اختلف مؤرخو الكنيسة في حقيقة دخول المسيحية الى بلاد الحبشة . فروى بعضهم ان القديس مرقس الكاروز الافريقي بشَّرها بها . وقال آخرون ان بشيرهم هو متى الرسول وانهُ ترك انجيله عندهم . وبقي هنالك الى ان احضره الى مصر بنتينوس استاذ مدرسة اللاهوت بالاسكندرية

ولكن المتفق عليهِ هو ان الحبشة ظلت بعيدة عن المسيحية حتى القرن الرابع عشر اذ بشرها بها فرمونتيوس ، وهو شاب من اهالي مدينة صور ، خرج مع اخيهِ ايدوس وعمه ميريبوس في رحلة بالبحر الاحمر . فهاجمهم جماعة من القرصان عند شواطئ بلاد الحبشة وقتلوا العم ميريبوس ورجال سفينتهِ وابقوا على الشابين فرمونتيوس وايدوس واوصلوهما الى دار الملك فلبثا في خدمته زمناً . ثم استأذنا في العودة الى بلادهم فاذن لهما ومرا بمصر . ومثلا بين يدي البطريرك اثناسيوس الاول وقصّا عليهِ قصتهما وقالا لهُ ان في الحبشة مجالاً لنشر المسيحية وتعطشاً لسماع كلمة الانجيل المقدس . فاصغى الى اقوالهم ورسم فرمونتيوس مطراناً على الحبشة وجهزهُ بكل ما يلزمهُ للتبشير

ولما عقد مجمع نيقية في القرن الخامس كان من قراراتهِ « انه لا يجوز لمسيحي الحبشة الاستقلال بامورهم . بل هم تابعون للكرسي الاسكندري ويعين بطريرك الاسكندرية اساقفتهم »

ولا تزال الحبشة منذ بشَّرها فرمونتيوس حتى اليوم تابعة للكنيسة القبطية متمسكة بعقيدتها الارثوذكسية . وعبثاً حاولت الكنائس والارساليات المسيحية من ارثوذكسية وكاثوليكية وانجيلية التفريق بين الاحباش والاقباط . فباءت بالفشل

وكان البطريرك كيرلس الرابع آخر بطريرك قبطي سافر الى الحبشة وقد رحل اليها مرتين الاولى للتوفيق بين الاسقف القبطي وقسوس الحبشة والثانية لمهمة سياسية انتدبهُ لها سعيد باشا والي مصر سنة ١٨٥٦

وآخر مطران قبطي لها كان الانبا متاوس الذي رسمه الانبا كيرلس الخامس (البطريرك السابق) في سنة ١٨٨١ وحضر الى مصر مرتين اولاها سنة ١٩٠٢ والثانية في سنة ١٩٢٤ وسافر في المرة الاولى الى الاستانة وبطرس برج (لننغراد) وقابل كلاً من جلالة السلطان عبد الحميد والقيصر نقولا الثاني

وكان النجاشي منليك قد طلب من البطريركية القبطية منذ عشرين سنة ونيف ان ترسل اليها بعثة من الشبان للتعليم في المدارس الحبشية فاجاب طلبه. ولكن هذه البعثة لم توفق في عملها فعاد بعضها واشتغل البعض بمهام اخرى في الحبشة غير التربية والتعليم

وتوفي الانبا متاوس منذ سنتين ولم يعيَّن خلفهُ بعد ولا يعلم متى يتم هذا التعيين (اولاً) للخلاف الواقع بين الاحباش والاقباط على ملكية دير السلطان بالقدس. وتمسك كل فريق منهما بدعواهُ. وقد مضى على هذه القضية زمن طويل وحضر الرأس تفري الى مصر للنظر في حلّ الاشكال ولكنهُ لم يفلح في قصده (ثانياً) يجنح فريق من الحبشان الى الانفصال عن الكنيسة القبطية. ويشترط البعض ان يكون المطران القبطي عالماً دينيًّا جديراً بالمنصب الكبير المعد لهُ. ولم يجد الاقباط في دياراتهم ولا بين شبانهم المتعلمين من يرسلونهُ لتولي هذه المهمة الخطيرة

ويقول بعضهم ان دولة كبيرة ذات مصلحة تلعب دوراً خفيًّا في هذه المشكلة

الحبشة والاسلام

وكان اصحمة نجاشي الحبشة اول ملك فتح بلادهُ للمسلمين ورحَّب بهم وكفاهم شر اعدائهم من مشركي قريش الذين كانوا يؤذون النبي (صلعم) واصحابهُ الكرام. فاذن النبي للصحابة بالهجرة الى الحبشة فبرحوا مكة في شهر رجب من السنة الخامسة للبعثة النبوية. واقاموا في حمى النجاشي آمنين مطمئنين حتى بلغهم إيمان قريش برسالة النبي فقرروا العودة الى اوطانهم. فلما قربوا من مكة علموا ان الخبر غير صحيح ولكنهم لم يجدوا بداً من الدخول الى مكة فاحتمى كل واحد منهم بكبير من اكابر قريش

وازداد اذى المشركين فاذن النبي (صلعم) لمن يريد الهجرة الى الحبشة فهاجر ١٣٢ شخصاً يتقدمهم جعفر بن ابي طالب ابن عم النبي وزوجتهُ اسماء. ثم لحق بهم فوج آخر مؤلف من ١٥٠ مهاجراً برئاسة ابي موسى الاشعري فصادفتهم انواء القت بزورقهم الى الشاطىء الحبشي حيث التقوا باخوانهم المهاجرين

وارسل مشركو قريش وفداً الى نجاشي الحبشة تحت امرة عمرو بن العاص وعمارة ابن الوليد يحملون الهدايا لتحريضهِ على المهاجرين وطردهم بدعوى انهم اتوا الى الحبشة لايقاع الفتنة والفساد . فجمع النجاشي بين جماعتين من الفريقين وسمع اقوالهم . فبهرتهُ حجج المهاجرين . فاعاد الى المشركين هداياهم وقال لهم: ليس من العدل والمروءة ايذاء قوم لم نرَ منهم الاَّ شرف النفوس . فعاد الوفد خائباً

ولكن المشركين اعادوا الكرة وارسلوا وفداً ثانياً بعد واقعة بدر يحملون الهدايا فردهم النجاشي اصحمة خائبين

وتبودلت الكتب والهدايا بين النبي والنجاشي . وجهز النجاشي سفناً حملت المهاجرين الى المدينة

وكان النبي قد ارسل في السنة التاسعة للهجرة هدية الى النجاشي اصحمة . فوصلت بعد موتهِ . ولما بلغ النبي نعيهُ جمع الصحابة وصلى عليهِ غائباً

ويقول الواقفون على دخائل الحبشة ان المسلمين فيها الآن يبلغون جزئين من عشرة اجزاء من السكان وان في يدهم تجارة البلاد وكثيراً من مرافقها الاقتصادية

وللحبشة في الازهر رواق يعرف باسم « رواق الجبرتية » وفيهِ تربى المؤرخ الشهير الشيخ عبد الرحمن الجبرتي (١٢٤٠ هـ) صاحب التاريخ المعروف باسمهِ ولا يزال حتى اليوم أفضل مرجع لتاريخ الحملة الفرنسوية على مصر . وقد عنيت الحكومة المصرية بترجمتهِ الى اللغة الفرنسوية

ولا يزال رواق الجبرتية حتى الآن غاصًّا بالطلبة الاحباش وجيرانهم من سكان الساحل الشرقي بافريقيا . وكلهم معروفون بدماثة الاخلاق والتدين والجد في التحصيل

وبالنظر الى علاقة ايطاليا بالحبشة وما يجاورها يعنى سفير ايطاليا في مصر بامر اهل رواق الجبرتية فيزورهم ويعطف على فقرائهم ويشجع اذكياءهم بكل وسيلة

بين الحكومتين الحبشية والمصرية

وقد قامت اخيراً ضجة حول ما سموه مشروعات الاميركان في بحيرة تسانا الحبشية وعلاقة الري في مصر بهذه المشروعات وطال بحث الجرائد والكتاب في هذا الموضوع وكذبتهُ المصادر الحبشية . ثم سكت المتكلمون فيهِ على غير نتيجة

وشعرت الحكومة المصرية بحاجتها الى توثيق عرى الود بينها وبين الاحباش

فالفت وزارة المعارف بعثة من الاساتذة الاقباط للتعليم في المدارس الحبشية وقامت الحكومة المصرية بنفقاتهم

وصدق البرلمان المصري في دورتهِ الاخيرة على انشاء قنصلية مصرية في اديس ابابا واختارت الحكومة الاستاذ انيس عازر افندي المدرس في مدرسة التجارة العليا قنصلاً لها ولكن اسباباً خاصة حالت دون سفرهِ فسبقهُ موظفو القنصلية . وفي تنقلات القناصل الاخيرة تقرر تعيين عازر افندي قنصلاً في اميركا والاستاذ موسى افندي السكرتير الاول لمفوضية مصر في برلين قنصلاً في الحبشة

وتبدي الحكومة المصرية رغبة صادقة في حل مشكلة دير السلطان القائمة بين الاقباط والاحباش وتمهيد السبيل لانتخاب مطرانٍ قبطي للحبشة حفظاً لسيطرة كنيسة مصر على الاحباش

الحبشة الحديثة — النجاشي ثيودروس

يبدأ تاريخ الحبشة الحديث سنة ١٨٥٠ ففي هذه السنة كان الاهالي منشقين بعضهم على بعضٍ منقسمين فئات . فنهض كاسا محافظ احدى مدن امحرا وقاتل الرأس عالي حاكم المملكة وظفر بهِ واستولى على قاعدة ملكه . ثم طفق يحارب هذا وذاك من حكام الولايات والمقاطعات حتى بسط ملكه على الحبشة كلها في سنة ١٨٥٢ . ثم غزا مملكتي التغرة وشوا ونودي بهِ امبراطوراً ونجاشياً (ملك الملوك) للحبشة في ١٢ فبراير سنة ١٨٥٥ باسم « النجاشي ثيودروس »

وناهضهُ قنصل الانكليز في الحبشة . واشتد الخلف بينهما فعمد ثيودروس الى اساءة النزلاء الاوربيين في بلاده فاتى بهم وفي مقدمتهم قنصل الانكليز والقاهم في السجون مكبلين بالحديد . فارسل الانكليز لمحاربتهِ جيشاً مؤلفاً من اربعة آلاف جندي انكليزي وثمانية آلاف جندي هندي وثمانية آلاف للخدمة و٣٥ الف جواد و٤٠ فيلاً لحمل المدافع

وتغلب الانكليز على ثيودروس بعد حرب قصيرة فاطلق النار على نفسهِ ومات قتيلاً في ١٣ ابريل سنة ١٨٦٨ وهو في الخمسين من عمره بعد ان ملك ٢٢ سنة منها ثلاث عشرة سنة نجاشياً

يوحنا كاسا

وكان كاسا حاكم التغرة قد ساعد الانكليز وعاون جيشهم على محاربة ثيودروس . فلما تمَّ لهم النصر مهدوا لحاكم التغرة سبيل الحكم على البلاد فحارب خصومهُ من ولاة

المقاطعات وانتصر عليهم وتوّج نجاشيًّا باسم «يوحنا كاسا» في سنة ١٨٧٢

وشهرت الحكومة المصرية الحرب على الحبشة في سنة ١٨٧٦ وجردت جيشاً كبيراً تحت امرة البرنس حسن باشا (ابن الخديو اسماعيل وشقيق جلالة الملك فؤاد) فتكبد عناءً كبيراً وافنى الحبش معظم وحداته

ثم عقد الصلح بين الحبشة ومصر بواسطة الانبا كيرلس (بطريرك الاقباط السابق) بكتاب ارسلهُ الى النجاشي

وطلب النجاشي يوحنا كاسا من بطريرك الاقباط ان يعين للحبشة مطراناً وثلاثة من الاساقفة فاجاب طلبهُ . ووضع لذلك قانوناً خاصًّا ورسم هؤلاء الرؤساء الدينيين في ٨ يوليو سنة ١٨٨١

وهاجم مهدي السودان التخوم الحبشية فصدهُ النجاشي ودحرهُ وانتصر عليهِ

وبينما كان النجاشي يحتفل بدفن جماعة من جنودهِ البواسل الذين ابلوا بلاءً حسناً في محاربة المهدي انقضَّ عليهِ احد اعدائهِ وقتلهُ يوم ٩ ابريل سنة ١٨٨٩

النجاشي منليك

وانتهز منليك حاكم مقاطعة شوا فرصة موت يوحنا كاسا واضطراب الخواطر وتنازع الحكام فاعلن نفسه نجاشيًّا للحبشة ومسحهُ الانبا متاوس (مطران الاقباط السابق في الحبشة) بدهن المسحة المقدس في ٢٦ نوفمبر سنة ١٨٨٩ وسأل البطريرك ان يباركهُ ويصلي لهُ

وهاجم الايطاليون مدينة كسلا في ١٧ يوليو سنة ١٨٩٤ وفتحوها وتقدموا الى البلاد الحبشية فاحتلوا ادجرات وميكاليه وانطالو وامبالاجي فانبرى لهم النجاشي منليك واجلاهم عن بلاده . وامضى الطرفان معاهدة صلح وسلام في ٨ مارس سنة ١٨٩٦ اعترفت فيها ايطاليا باستقلال الحبشة والغاء معاهدة اوتشيالي (التي كانت قد ابرمتها مع النجاشي منليك سنة ١٨٨٩)

النجاشي ياسو

واصيب النجاشي منليك بالفالج فقاومهُ سنوات ثم عاودهُ في سنة ١٩٠٩ ويقول بعضهم انهُ قضي عليهِ في هذه السنة فكتم الاحباش موتهُ ولم يعلنوهُ الاَّ بعد سنوات

ومهما يكن من امر هذه الرواية فقد نشرت جريدة « زارع الحبشة » الفرنسوية يوم ٣٠ اكتوبر سنة ١٩٠٩ البيان الآتي :

« رأى جلالة الامبراطور منليك حسماً لما عساهُ ان يقع من الخصام والنزاع ، في مسألة من يخلفهُ على عرش المملكة الحبشية ، ان يقرر نهائيًّا انتخاب حفيده الامير ياسو فبايعهُ الملك بنفسه ، بما لجلالته من السلطة المطلقة ، امام رؤوس المملكة جميعهم ، معترفاً بانهُ خلفهُ الوحيد الشرعي ، وان لا شريك لجلالته في مملكته سواهُ

« وقد اصدر جلالتهُ الامر باعلان هذه المبايعة في انحاء المملكة كافة ، بعد ان سأل جميع الرؤوس ان يقسموا يمين الطاعة والامانة للمنتخب الجديد

« وعليه فمن الآن يلقب « اللدج ياسو » بلقب « آتي ياسو »

« وهذا الامير في الثانية عشرة من عمره وسموه كما لا يخفى ابن الرأس ميخائيل حاكم مقاطعة والو من زوجته المرحومة سوارجيا كريمة الامبراطور منليك

« وقد قضى النجاشي بهذا العمل على كل خصام بين افراد اسرته . ولاسيما بعد ان اخذ على رعاياه تلك اليمين المقدسة التي لا تنقض

« وبناء على ارادة الامبراطور منليك قد عين الرأس تسما وصياً على الامير الصغير، ونائباً عن جلالته ، الى ان يبلغ الامير سن الرشد » اه

وتليت وصية النجاشي منليك في الاداراش (ردهة الاستقبال بالسراي الملكية) واعلن المطران (الانبا متاوس) حرم كل من يتجاسر على مخالفة هذه الوصية

واعلنت وفاة النجاشي منليك رسميًّا في سنة ١٩١٣ . وكان عمر النجاشي ياسو حين ذاك ١٦ سنة فقامت بمهام المملكة الامبراطورة طاطيو (زوجة منليك) والرأس تسما. وولّي الرأس ميخائيل (والد ياسو) الحكم على مدينة اديس ابابا (عاصمة الحبشة) ثم اعتزلت الامبراطورة طاطيو الحكم . وتوفي الرأس تسما فالقيت مقاليد الملك الى الرأس ميخائيل فاتى مع ابنه ياسو من الاعمال ما لم يرض الاهالي والزعماء فعزلوا ياسو وحرمهُ المطران في سبتمبر سنة ١٩١٦ . وجهز والده جيشاً للاخذ بالثار فكسرهُ الاحباش واسروا الرأس ميخائيل . وبقي ياسو هائماً على وجهه متنقلاً من مقاطعة الى اخرى حتى قبض عليه في سنة ١٩٢١

الامبراطورة زوديتو والجازماخ تفري

وبعد ان خلع الاحباش النجاشي ياسو في سنة ١٩١٦ اعلنوا تولية الاميرة زوديتو ابنة النجاشي منليك امبراطورة على الحبشة واحتفلوا بتتويجها في كنيسة القديس

جرجس باديس ابابا يوم ١١ فبراير سنة ١٩١٧ وفي هذه الحفلة سمي الجازماخ تفري وليًّا لعهد الحبشة

والرأس تفري ابن الرأس ماكونين ابن عم النجاشي منليك. وحفيد سهلى مسلاسي ملك شوا. ولد في ١٧ يوليو سنة ١٨٩١ وعهد في تربيتهِ الى اساتذة اوربيين . وتزوج في سنة ١٩١٢ الاميرة وزيرو منن ابنة الداجاتراصغو وحفيدة الملك ميخائيل . ورزق منها بولدين وابنتين

كيف وصل الرأس تفري الى العرش

وقضى الرأس تفري اثنتي عشرة سنة وليًّا للعهد طامحاً الى اعتلاء العرش فلم ين لحظة عن زيادة عدد الحرس واستمالة الزعماء وحكام المقاطعات وكل ذي شأن خطير في المملكة

ويؤخذ من رسالة خاصة من جيبوتي انهُ في أواخر شهر سبتمبر الماضي اوعز الى بعض كبار حاشيتهِ الامناء بان يبلغوا الامبراطورة زوديتو ان (الرأس تفري) يمضي ويتعاقد مع الدول ويمنح الامتيازات بدون استشارة جلالتها وان يقولوا لها اذا سارت الحال على هـذه الوتيرة لم يبق لجلالتها شيء من السلطة او النفوذ . ولا يخلصها من هذا الموقف المريب الاَّ مقاومة الرأس تفري ومنعهُ بالقوة من اتمام مقاصده

فاصغت الامبراطورة الى اقوالهم وعملت بنصيحتهم وعقدت مجلس شورى الدولة تحت رياستها وحضرهُ الرأس تفري الذي اخذ يتحدى جلالة الملكة ويعلن مخالفتهُ لكل ما تبديه من الآراء بعبارات جافة . فخرجت من الجلسة حانقة وامرت رئيس الحرس بان يمنعوا الرأس تفري ورجاله من الخروج من القصر .

ووصل الخبر الى الاميرة منن (ولا يبعد انها كانت عارفة بكل ما دبره زوجها) فامرت حرسه الخاص ان يحاصر قصر الامبراطورة ويخرج الرأس ورجاله

فسار رئيس هذا الحرس وطلب من الامبراطورة فتح ابواب القصر . وهددها بهدم اركانهِ في نصف ساعة

وتقدم رئيس حرس القصر الى الامبراطورة (وكان على اتفاق مع الرأس) وقال لها انهُ لم يكن يدرك ما لدى ولي العهد من قوة ورجال . ونصح لها بالتسليم وذلك اولى من تدمير القصر . فعملت بنصيحتهِ وامرت بفتح الابواب فدخل انصار الرأس تفري ورؤساء الجيش . واعلنوا تنصيبهُ نجاشيًّا . وكرر الشعب المحيط بالقصر الهتاف والدعاء للامبراطور تفري ماكونين

توفيق حبيب .



الفيلسوف تولستوي وزوجتهُ

مقتطف دسمبر ١٩٢٨

امام الصفحة ٤٢٥

ذكرى تولستوي

طرف من سيرتهِ

هو الروائي الروسي الشهير والمصلح الاجتماعي الكبير . ولد في التاسع من سبتمبر سنة ١٨٢٨ وهو من اسرة المانية الاصل هاجرت الى روسيا في عهد بطرس الاكبر واول من اشتهر منها بطرس تولستوي الذي كان سفيراً لروسيا لدى الباب العالي ورقي الى مصاف الاشراف سنة ١٧٢٤ . واشتهر كثير من ابنائها في السياسة والانشاء

اما الكونت ليون تولستوي الذي احتفل بانقضاءِ مائة سنة على ولادتهِ في ١٠ سبتمبر الماضي فتلقى دروسهُ الابتدائية في مدينة موسكو وفي املاك اسرتهِ بين سنة ١٨٤٣ وسنة ١٨٤٦ ثم درس في جامعة قازان . وانتظم في سلك الجيش الروسي سنة ١٨٥١ وجعل في حاشية البرنس غورتشكوف لدى الباب العالي قبيل حرب القريم وكان في مدينة سفستابول لما هاجمتها جنود الدول المتحاربة سنة ١٨٥٥ . وكان قد اشتهر في عالم الانشاءِ والشعر بمؤلفاتهِ ومنظوماتهِ فخرج من الجندية وانتظم في حلقة امراء الانشاءِ في عاصمة روسيا بطرسبرج (لننغراد)

ثم ساح في المانيا وايطاليا وتزوج سنة ١٨٦٤ ومن ثم جعل اقامتهُ في املاكهِ قرب موسكو بين الفلاحين

ومؤلفاتهُ كثيرة اقدمها كتاب الطفولة والفتوة والشباب انشأهُ وهو في القوقاس قبيل حرب القرم . ومن اشهرها الحرب والسلم . انا كارانينا . بم يعيش الناس . حيث المحبة فهناك الله . ديانة المسيح . بماذا أؤمن . الحياة . مملكة الظلام . ملكوت الله داخلكم . الانسان ورئيسهُ . حب الوطن والديانة المسيحية . ما هو الفن . البعث

وقد ضمن هذه الكتب والروايات من الآراءِ والافكار ما يقضي بطرح الاوهام والخرافات والصلف والعتو والاعتماد على طهارة السيرة والسريرة ومعاملة الناس بالحسنى الى حدّ انكار الذات وايثار الغير على النفس وعدم الانقياد للسلطة اذا كانت تجبر المرء على ما يخالف ضميرهُ . وقد قصد مرةً ان يوزع املاكهُ كلها على الفقراء والمحتاجين ويعيش عيشة المسكنة والفقر مثلهم لكن زوجتهُ ابت عليهِ ذلك حاسبة ان لاحقَّ لهُ ان يحرمها واولادها مما لهم . فنقل املاكهُ اليها والى اولادهِ وكان يعيش عيشة الفلاحين

آراؤهُ وفلسفتهُ واثرهُ

اشار تولستوي الى غايتهِ العظمى من الحياة بقولهِ في احدى رواياتهِ « ان مثلي الاعلى هو الحق ». واذا نظرنا الى المكانة الرفيعة التي تبوأها في حياة اوربا الفكرية مدة ثلاثين سنة قبل وفاتهِ عرفنا ان تولستوي كان قوة فكرية عالمية لانهُ كان يبحث عن الحقائق ويذيعها للناس في غير تردد او ملابسة

فلقد كان من ابناءِ الاشراف محتداً ومولداً ونشأة وتهذيباً فاجتمع لهُ في نفسهِ عنصران تلازما مع تناقضهما — الاول ذلك العنصر الحيوي الذي يدفع الشاب الى غمرات الحياة بمسراتها وملاهيها . والعنصر الثاني هو ذلك التصوف الروحي الذي لا يتصف بهِ الاَّ كبار المصلحين

وقد ظهر فيهِ هذا العنصر الاخير ظهوراً واضحاً لما كان لا يزال حدثاً فقد ذكر في يوميتهِ سنة ١٨٥٥ ان نوراً علويَّا اضاء عقلهُ ونفسهُ وهو السعي لتوحيد امم الارض وربطها معاً بدين المسيح بعد تنقيتهِ من آيات التحكم والخرافات. ولكن عقيدتهُ المسيحية لم تتخذ شكلاً معيناً الاَّ بعد ما انقضى نحو ثلاثين سنة على ذلك

وكان شابًّا طموحاً الى المعالي فتنازعهُ عاملان — الاول ان ينزوي في أراضيهِ ويعيش عيشة الامير القروي والثاني ان ينضمَّ الى حاشية القيصر ويعيش عيشة امراءِ البلاط واشرافهِ. وبينما هو يتردد بين العاملين انتظم في سلك الجيش وشهد معارك حرب القرم كما تقدم فوصفها في كتابهِ « سفاستبول » فمزّق بهِ الستار الاخاذ المسدول في عقول العامة حينئذٍ على صورة الحرب وصوّر ما في الحرب من الفظاعة ومعاني الحيوانية صوراً لم يجرؤ كاتب من قبلهِ على كتابتها ونشرها

وبعد سياحتهِ في اوربا سنة ١٨٥٧ عاد الى روسيا وهو ينتقد رجال البلدان التي زارها وعادات سكانها وهو كالعادة يتراوح بين عاملين عامل التجرد الروحي وعامل الانغماس في بحر الملاهي والشهوات . ولكنهُ انقطع اولاً الى الحياة في الريف فانشأ المدارس لابناءِ القرويين وانتصر للفلاحين على الاشراف اصحاب الاملاك . ولكنهُ سئم من القيام بعمل المصلح الشاق بعد انقضاءِ سنتين فتزوج وهو في الرابعة والثلاثين وانزوى في املاكهِ مكبًّا على تأليف روايتيهِ « الحرب والسلم » « وانا كارانينا » فصوّر في الاولى حياة الشعب الروسي في العقد الاول من القرن التاسع عشر . وفي الثانية طبقات الاشراف . وهاتان الروايتان من ابلغ الروايات التي كتبت واقربها الى

الحقيقة. حتى قال احد كبار النقاد في ثانيتهما «هي الحياة على حقيقتها». وقد قرأنا في صحف اوربا ان شركة اميركية تعنى الآن باخراجها رواية سينمائية تحت عنوان «الحب» لانها من ابلغ الروايات في تمثيل مواقفه المختلفة

***

ولكن تولستوي لما بلغ الخمسين من العمر تولاهُ كرهٌ من الحياة واحتقار لها وساورهُ تشاؤم اظلمت بهِ نفسهُ رغم ماكان قد بلغهُ حينئذٍ من ذرى الشهرة والنجاح المادي . وسيطر على عقلهِ قول الجامعة الكل باطل وقبض الريح . وقد اشار الى ذلك بقولهِ « جاءَ عليَّ حين من الزمن صممت فيهِ على الانتحار تخلصاً من عذابي » . وجعل يبحث عن الله ومعنى الحياة فلجأ الى الكنيسة الروسية ولكنهُ لم يلبث ان خرج من حضنها لانهُ وجد رؤساءها يقيمون دون الدين والكنيسة حواجز لا يسمح لرجال المذاهب الاخرى باجتيازها ولانهم كانوا يؤيدون الحرب والاعدام فوضع حينئذٍ قواعد عقيدتهِ الدينية الخمس في الكتاب الذي سماهُ « ديني » وهي (١) لا تغضب (٢) لا تشتهِ (٣) لا تربط نفسك بقسم (٤) لا تقاوم الشرّ (٥) كن محباً للعادلين وللظالمين

واراد ان يطبق هـذه القواعد على مشاكل المجتمع الروسي من دينية وسياسية واجتماعية واقتصادية فاصطدم برجال الدولة ورجال الكنيسة ورجال الاعمال لان المفكرين رأوا بعد قليل من انعام النظر ان دين تولستوي القائم على مبدإ « لا تملُّك » و « لا تقاوم الشرّ » متعذرٌ تطبيقهُ لانهُ يجتث قواعد العمران من اصولها فيهدهُ هدًّا . واشار كثيرون من منتقديهِ الى ان تولستوي نفسهُ لم يتمكن من تطبيق مبادئ عقيدتهِ على حياتهِ الخاصة دع عنك حياة امة كبيرة .

على ان صوتهُ الداعي الى توحيد الامم في السعي وراء ماهو حق وصلاح وفي القضاء على الشرور الاجتماعية في روسيا اولاً وسائر بلدان اوربا ثانياً اخذ يخترق الحجب التي ضربها على عقول الجماهير وضمائرهم دعاة المحافظة والتقليد في ذلك العصر . ولما نشر كتابهُ الذي عنوانهُ ملكوت الله فيكم (سنة ١٨٩٣) حمل فيهِ حملة شعواء على استئثار الحكومة باستعباد الفلاحين لما فيهِ فائدتها وحقّر تأييدها عن سبيل الكنيسة لتنظيم جيوش مسيحية والسماح باستعباد المسيحيين في المعامل والمصانع . ومع ان الحكومة الروسية كانت تصادر اكثر رسائلهِ وكتبهِ كانت نسخ منها تتصل بالاحرار من ابناء بلدان اوربا فتتلقفها الايدي كانها آيات الوحي . ومع ذلك لم تجرؤ الحكومة على ان

تنالهُ باذى لما كان لهُ من المكانة الرفيعة في قلوب الشعب

***

على ان تعاليم تولستوي ومبادئهُ لم تنحصر في روسيا بل شمل اثرها كل دول اوربا. ولعل زكانتهُ وحكمتهُ وبعد نظرهِ لم تظهر باجلّ ما ظهرت بهِ في كتابهِ « المسيحية والوطنية » الذي نشرهُ سنة ١٨٩٤ بعيد ما توثقت الروابط السياسية بين فرنسا وروسيا بزيارة الاسطول الروسي طولون (ميناء فرنسا الحربي في البحر المتوسط) . فهبط الوحي على الصحف الفرنسوية فاخذت تتغنى ما شاءهُ البيان الفرنسوي « بالاتحاد الاخوي بين امتين عظيمتين ضماناً لسلم اوربا ». ولكن تولستوي ابان في بضع صفحات يندر وجود ما يضاهيها في بلاغة الاسترسال وقوة العارضة ان « الثأر » هو ما يطلبهُ رجال السياسة وان المحالفات السياسية لا بدَّ ان تتبعها محالفات اخرى ضدَّها لحفظ التوازن السياسي والحربي وان كلَّ ذلك لا بدَّ ان يزجَّ اوربا في حرب طاحنة . فصودرت هذه الرسالة في روسيا وكثير من بلدان اوربا ولكنهُ لم يكفَّ عن اعلان آرائهِ فاتبعها برسائل اخرى منها « رسالة الى الاحرار » (سنة ١٨٩٦) « والازمة في روسيا » و« نهاية العصر » سنة (١٩٠٥) تنبأ فيها بحدوث الثورة الروسية والقضاءِ على نظام الحكم الحالي (حينئذٍ) يتبعها ثورة وانقلاب في بلدان اوربا واميركا . ويقال انهُ لقي يوماً الموسيقي الروسي الشهير غولدنفيزر فقال : « الواضح ان مع هذه المشكلات الداخلية والخارجية لا بدَّ ان تصحو الامة الروسية ذات يوم فتجد نفسها ممزقة شرَّ ممزق . هي دولة عظيمة مترامية الاطراف الآن ولكنها قد تتفكك اوصالها بين ليلة وضحاها » وقد صحت نبوءتهُ بحذافيرها

ان عبقرية تولستوي قائمة في هيامهِ بالحق واندفاعهِ في نشرهِ غير خائف فيهِ لومة لائم . واثرهُ الخالد في حياة اوربا الفكرية هو اولاً ايقاظهُ لفكر الجمهور الروسي عن طريق مباشر والجمهور الاوربي عن طريق غير مباشر وتفتيح عيونهما لرؤية الشرور الاجتماعية التي تنخر في اركان العمران وثانياً نزع الستار المسدول على تلك الشرور والتشهير بها. ومكانتهُ كمعلم دولي اساسها هذه المقدرة الغريبة على اختراق الحجب وكشف الاكاذيب والخدع والشرور ووصفها ببلاغة تنفر القارئ منها وتثير فيهِ الرغبة في مقاومتها . فتولستوي كرجل فن اولاً ومعلم يدرك ادراكاً خفيًّا معاني الحياة الروحية ثانياً من اعظم الكتاب والمعلمين الذين قاموا في القرن التاسع عشر

الدكتور صرُّوف والمقتطف

ماذا اعطاهُ وماذا اخذ منهُ

١ : ماذا اعطاهُ

حكماء الادهر

لقد شاقني في مطالعاتي أدب كنفوشيوس ، وتقوى سقراط ، وحكمة بوذا ، واتّـزان زرادشت ،وعدالة عمر ،وصراحة كرمويل ، وسعة هيغل ،وصراحة كنت ، وخيال فنلون ، وفصاحة هيوغو ،وديموقراطية تولستوي ،وسداد لوبون ، واخلاص دي مولان ، وحرية شكسبير ، ودقة ملتن.ولكن اربعة في نوابغ الادهار المشهورين، استهووني وهم : افلاطون اليوناني ، وامرسن الاميركي ، ومكس ملر الالماني ، وفكتور غيزو الفرنسي. واذا اضفتُ الى هؤلاءِ خامساً فهو الدكتور صرُّوف صاحب « المقتطف » فقد استهواني منذ نعومة اظفاري

صروف والمقتطف

الدكتور صرُّوف والمقتطف اسمان متلازمان ، لا يذكر احدهما الاَّ وقد تمثَّل الآخر في الخيال . ظل هذان الرفيقان معاً زهاء الاثنين والخمسين ربيعاً . ورفيقان كهذين يتبادلان الانفعال والنوال . فماذا اعطى الدكتور صرُّوف المقتطف ، وماذا ردَّ المقتطف عليهِ ؟

احلام الاعيان

الناس ضحايا احلامهم ، واحلام الناس ظاهرات عقولهم ، وتطبيق حياتهم على احلامهم مقاس ماهياتهم ، واعلان ذاتياتهم ، ومجلى حقيقتهم .ويوم الممات هو ختام الرسم والاعلان. وبهذا الاعتبار قيل ان حياة المرء الحقيقية تبتدئُ يوم موتهِ

وتختلف الاحلام ، في مختلف الرجال ، في مختلف الامم ، في مختلف العصور ، في مختلف الاحوال . فقد كان حلم الاسكندر ملك الدنيا ، وحلم هنبال سيادة قرطاجنة وحلم ارمينيوس تحرير اوربا ، وحلم بولس تنصير البشرية ، وحلم جان دارك تحرير فرنسا ، وحلم كولمبوس كشف العالم الجديد ، وحلم ابرهيم لنكلن تحرير العبيد ، وحلم

بسمارك زعامة بروسيا في المانيا ، وحلم فلورنس نتينجال تخفيف آلام المرضى ، وحلم هوارد اصلاح السجون ، وحلم وليم بوث تنوير الفقراء ، وحلم مصطفى كمال انقاذ تركيا وحلم موسوليني رفعة ايطاليا . وتراجم الاعيان متاحف تتجلى فيها احلامهم ، والخط الذي يرسمونهُ في تحقيقها

اما حلم الدكتور صرُّوف فهو تنوير الامة العربية ورفع مستواها الفكري والاجتماعي بواسطة المقتطف . بهذه الفكرة عاش ولتحقيقها سعى الحياة بطولها . ومجلدات المقتطف السبعون آية فنية في متحف التاريخ تتجلّى فيها احلامهُ وتحقيقها . وفي ٦ يوليو سنة ١٩٢٧ انتهى عملهُ المباشر في تحقيق حلمهِ تليهِ نتائجهُ الخالدة

قابليات الرجال

اذا ارسلنا النظر في ذلك الفارس المغوار ، الذي صال في ميدان العلم والادب وجال ، نحو ستين سنة ، رافعاً علم العلم والفن والصناعة والفلسفة ، بحثاً وتنقيباً وتعليماً وترجمة وتأليفاً ، رأينا فيهِ ما بدا منهُ للعيان ، وما كان يمكن ان يكونهُ . وذلك غاية ما يدرك في درس الرجال

والذي اراهُ في الدكتور صرُّوف انهُ كان يمتلك مواهب ضحّى بها في سبيل مجلة المقتطف ، وكان يمكن ان تبرز هذه المواهب الى حيّز الوجود لولا اشتغالهُ بالتحرير . فكان يمكن ان يكون احد اربعة : شاعراً : رياضيًّا : طبيعيًّا : روحيًّا : واليك البيان

شاعرية الدكتور صروف

هل كان الدكتور صرُّوف ذا شاعرية ؟ وما هي ظاهرات شاعريتهِ ؟ اما انا فارى ان المقتطف نفسهُ كبرى تلك الظاهرات ، على النحو الذي رأى بهِ هيغل شعرية الوجود . فقد ذهب ابو الفلسفة الحديثة الى ان نظام الافلاك الدوارة ، وتلاؤم اجزائهِ ، وسعتها ، وترابطها ، ونواميسها ، شعرية كونية يدركها المفكّر الحصيف . وارى في نظام المقتطف وتبويبهِ واتّساقهِ وأدبهِ وبيانهِ وصبغتهِ ، على هذا النحو ، شعرية لها في نفوس قرائهِ رنّة المعلّقات وقد تزيد

على اني اذا رمت امثلة من الشاعرية البارزة بنظم القوافي فلا احرم الكثير منها ، فللدكتور صرُّوف من هذا النوع شيء كثير . من ذلك قولهُ في نصب دي لسبس على رصيف الترعة في بور سعيد

يا مارج البحرينِ يلتقيانِ — أنت المثل همّة الانسانِ
قف حيث انت فتلك اعظم وقفةٍ — فالخافقان هناك يجتمعانِ

وقال في باريس

ودّعت باريس مفتوناً بمرآها — وآي حسنٍ تجلّى من محيّاها
وجاه ملك رفيع الشأن جاورها — دهراً طويلاً ولم يبرح بمغناها
رواقهُ مسبطرٌ في معالمها — وبدرهُ مشرق في أوج علياها
وعصبة عصمتهم في صناعتهم — إلاهة الحسن فاستهدوا بسيماها
وخلّدوا ذكر ارباب السيوف ومن — فاق الورى حجّةً او فاقهم جاها
او خاض بحر المنايا فاجتنى درراً — وصاغ منها حُلَى حسنٍ بها باها
او غاص في لجّ بحر العلم مجتلياً — غوامض الكون تعميماً لجدواها
وآل علمٍ وفضلٍ طار صيتهم — فطبّق الكون ادناها واقصاها
ودّعتها وبنفسي من محاسنها — آيات حسن يهيج الشوق ذكراها

ولهُ من قصيدة في سرّ الوجود

فتّشت عن سر الوجود وقصدهِ — وسألت عنهُ النطس والاحبارا

. . . .

فاجابني ركز خفيّ قائلاً — اسمع وقل قولي أمنت عثارا
هذي الخلائق كلهنّ دقائقٌ — والكون من مجموعها قد صارا
ورقيّ هذا الكون يستدعي اندثـارَ — دقائق ونفاية وبوارا

ثم صرخة صادرة من قلب توّاق الى معرفة الحقيقة

انموت من اجل الرقيّ ضحيةً — ونصير في طلب النجاح غبارا
نور الخلائق مصدر النور الذي — يهدي الكواكب في السماء مدارا
ان لم تنر عقلَ ابن آدم لم يجد — نور الهدى بل زاد عنك نفارا
فاهدِ ايا نور البصائرُ معشراً — تخذوا الحقيقة خلّةً وشعارا
انضوا عوامل عقلهم فتثلّمت — واستوقفوا المبغى فزاد فرارا

واري في البيت الاخير ولاسيما في عجزهِ شاعرية مسفرة كشمس الضحى.

ولهُ وقد بلغ الشيخوخة

سبعون حولاً لقد مرّت وما وجدت — نفسي مقراً لها في العالم الفاني

فهل اذا عمّرت شبعين اخرى ترى — من مرفإٍ بين ابحارٍ وخلجانِ
كلا . اجسامنا والموت يرصدها — فالنفس مرفأُها في عالمٍ ثانِ
فرضان اما فناءٌ والبناءُ لهُ — لغوٌ واما بقاءٌ شاءهُ الباني
اما واجسامنا ليست سوى صورٍ — مشكلاتٍ باشكالٍ والوانِ
كهاربٌ جمّعتها النفس فانتظمت — في شكل مستودعٍ للنفس جثماني
حتى اذا تمّ في الدنيا تطوُّرها — طارت الى مركزٍ في الكون روحاني
لا بدَّ للعلم من يوم يفوز بما — يبيّن الحقّ فيهِ خير تبيانِ

ولو جمعت كل منظوماتهِ لاربت على ديوان برمتهِ

على اننا مع كل احترامنا للدكتور صرُّوف لا يمكننا أن نضعهُ في طبقة هوميرس ودانتي وغوته وشكسبير ، ولا رتبة ملتن وتنسن وهيوغو ولامارتين والمتنبي والمعري . بل ولا في مصاف رجال الطبقة الاولى من شعرائنا الحاليين . ولماذا ؟ . لانهُ باشتغالهِ بالمقتطف نحّى بشاعريتهِ التي تتجلى لنا من خلال سطورهِ تجلّي الشمس من خلال الغصون

العلوم الرياضية والفلكية

وهي في حسباني اجلّ من الشاعرية قدراً ،واوفر في دائرة الاجتماع نفعاً ،واسمى في ملكوت الفكر عرشاً . فما هو مقام الدكتور صروف في دائرة الرياضيات ، وفي قبة الفلك ؟

امّا انهُ كان قبل سبع وخمسين سنة استاذ الرياضيات في ارقى معاهد الشرق العلمية فامر تاريخي . واما انهُ ملأ المركز الذي شغلهُ بضع سنوات ، فحقيقة محفوظة في سجلات الجامعة الاميركية في بيروت

زد على ذلك ان الدكتور صروف فتح في مجلة المقتطف باباً للمسائل الرياضيّة هو عديم المثال في الصحف والمجلات العربية .كان نوابغ الفن يتطارحون فيهِ المباحث العويصة ويتسابقون الى حلها في الحساب والجبر والهندسة والمثلثات واللوغرثمات وحساب التمام والتفاضل والفلك ودخلوا في مناقشات رياضية لا يفهمها الاّ خاصة ارباب العلوم المجردة . اذكر منهم همام والحوزاني ومشاقة وشفيق منصور والشدودي . وكان الدكتور صروف الحكم والمرجع غير منازع

زد على ذلك انهُ ابرز كتاباً في بسائط علم الفلك ظهر فيهِ علمهُ واطلاعهُ

الواسع في هذا العلم الجميل . هذا عدا المقالات الضافية التي كان يزين بها جيد المقتطف من حين الى حين ، في النظام الشمسي والسيّارات والثوابت والكلف الشمسيّة والمذنبات والنيازك والسدم وبناء الكون وظاهراته الكهربائية والمغناطيسية ويترجم الفلكيين والرياضيين من رجال الطبقة الاولى مع تبيان مذاهبهم وآرائهم . وفي كل ذلك كان الدكتور صروف بعيد الغور ، واضح البيان ، سهل المأخذ ، راوياً عطش النفس

على انهُ مع كل ذلك لم يدرك شأو العبقريين في هذا الفن كفيثاغوروس واقليدس وارخميدس وكبلر وهرشل وتيخوبراهي وكبلر وميكلنصن وكلفن وانشطين ولا ارى من سبب حال دون التحاقهِ بهؤلاء الارهاط الا افول نجم الرياضيات في الشرق واشتغال صاحب هذه المواهب بانشاء مجلة المقتطف . ولو حصر قوتهُ وعمرهُ في الرياضيات لما كان ادراكه شأو من ذكرنا بعيد المنال

الطبيعيات — والكيمياء — والفلسفة

والطبيعيات اعمق مباحث العلم البشري مغاصاً ، واوسعها مجالاً ، واغزرها نتاجاً ، وعليها المعوَّل في جامعات اوربا واميركا لبلوغ البشرية طور رشادها والقبض على ازمة الطبيعة واستخدامها في مصلحة بني حوَّاء ، وللوقوف على سرّ تكوُّن المادة وحلها ، وتركيب العناصر وتحوُّلها ، وادارة رحى الحوادث الكونية في عالم البيولوجي والفيزيولوجي والسيكولوجي والاتنولوجي . وهذا الفرع من العلوم مناط آمال الناس ومحور الاعمال والسياسات وتصوُّرات البشرية

اما ان الدكتور صروف كان صلتنا برجال هذا الميدان ، وبهِ وبمقتطفهِ عرفناهم فامرٌ لا نجهلهُ . فقد عرَّف الينا كلارك مكسول وفارادي وداروين وولس وتندل وهكسلي واغاسيز وڤلطا ومندليف وكرشوف وهلمهلتز وهيكل ولدج وطمسن ومركوني وهرتز وتسلا واديصن وباستور وكوخ وفرنكلين وبنسن وبوهر ولارمور ومليكان وكروكس وطورشللي وغاليلي

كما انهُ عرَّف اخوانهم الكيمائيين دلتن ولاڤوازيه وبيلي وبلاك وكاڤانديش ودايڤي ورامزي وصدي وارنيوس وبرزيليوس ومنتهوف وكوري ودوماس وشيلي وليبج . فمقتطف صروف هو المجلى البديع ، وبهِ رأينا هؤلاء الانجاب عن كثبٍ ، وعرفنا ان بهم ازدانت جبهة البشرية ، وبهممهم العالية تمكنت الذراع البشرية من القبض على ازمّة الطبيعة

وقد عرفنا بالمقتطف فلاسفة الادهر من عهد حمورابي ومينيس حتى الساعة . وفيهم طاليس وسقراط وافلاطون وارسطو وسنيكا وبلينيوس وشيشرون واوغسطين وابن رشد وابن ماجي وابن سينا وباكن ودى كارت ولوك وهبز ومالنبروك وليبنتز وشيلنغ وهيغل ونخت وسبيونزا وكنت وڤولتير وديدرو وروسو وبوصويه وسبنسر وجيمس وبرغسن ونيتشه وبخنر واضرابهم

على ان العدالة لا تأذن لنا بادراجه في هذا السلك ، لان اشتغاله بالمقتطف حرمه من بلوغ شأو الكواكب اللامعة في سماء المجد في الطبيعيات والكيمياء

الثقافة الروحية

اما فطرة الدكتور صروف الروحية فتتجلى للبصير في كل كلمةٍ في كل سطرٍ ، في كل صفحة ، في كل مجلدٍ من مجلدات المقتطف .ولو اردت ايراد الامثلة على ذلك لهان عليَّ الامر. فقد كان الدكتور صروف في شبيبته رئيساً ومديراً لمدارس الاميركان في صيدا وطرابلس الشام . وقد ترجم للارسالية بعض الكتب الادبية المفيدة الى اللغة العربية ككتاب سر النجاح للقس صموئيل صميلز ، وكتاب الحرب المقدَّسة لجون بنيان ، وغيرها . وظل يحترم المبدأ الروحي الى نهاية حياته . وكانت سيرته مرآة الادب والفضل كاحسن المنادين بالبر ، والتزم قويم المسالك مع كل ما بلغ من الفوز والشهرة والثراء . ولم يعرج عن ادبه قط ولو مع شر الخصوم . واكبر ما نحفظهُ لهُ من الانحاء باللوم قوله في خصمٍ شديد المراس : سامحهُ الله :

والثابت عندي انهُ لو ظل في خدمة الارسالية الاميركية في التعليم والوعظ والترجمة لما قصَّر عن ادراك شأو كبراء اللاهوت كاوغسطينوس واكويناس وبوناونتورا وملانكثون ونكس وبطلر وكاري وتيلر وزملائهم .وهذه ايضاً فطرة رابعة ضحَّى بها الدكتور صروف على مذبح المقتطف

المالية

على انهُ ايضاً كان مضحياً بالمالية في سبيل المقتطف

اذا كانت مجلة عربية في الارض تستحق الارباح الوافرة فتلك المجلة هي المقتطف، مصباح العلم والفن والفلسفة والاختراع لسبعين مليوناً من ابناءِ العربية . على انّ المقتطف لم يكن مجلة تجارية ، ولم يكن اعتماد منشئيهِ عليهِ للمعيشة . ولم يتبع خطوات المطبوعات التجارية لكسب اموال الناس ، ولولا ثبات الدكتور صروف ، وكلفهِ

بالمقتطف ، لما كان لنا مقتطف ، ولكان انطفأ ذلك المصباح المنير

والخلاصة : ان الدكتور صرّوف ضحى بخمسة اشياء في سبيل المقتطف وهي : شاعريتهِ : رياضياتهِ : طبيعياتهِ : روحية منحاهُ : ماليتهِ : وكل واحدة من هذه الضحايا هي من الخطورة بحيث يتردد غير امثالهِ في التضحية بها . ولكنهُ ضحى بها غير آسف ولا متردّد . فهل استحقّ المقتطف هذه التضحيات ؟ . وبِمَ استحق ؟ . هي مسألة أرجئ الجواب عنها الآن . واستأنف البحث في الشق الثاني من موضوع هذه المقالة وهو :

ماذا رد عليه

هنا اقف حائراً ، لاني في مفرق الطرق بين كثير المنعرجات ، امام قضية عديدة الوجهات . وموجب الحيرة ليس قلة ما يقال بل كثرته . فكيف ابدأ ؟ . اية وجهة او اية شعبة اختار ؟

لا بذل من غير مكافأة . وقد رأينا ما بذلهُ الدكتور صروف في سبيل المقتطف . فما هي مكافأتهُ ؟ اني اختار ثلاثة من انواع المكافأة اشير الى كلٍّ منها بالاختصار

الاولى : جزاؤهُ علميًّا — زيادة معارفهِ

الثانية : جزاؤهُ اجتماعيًّا — اعلان جمال نفسهِ

الثالثة : جزاؤهُ روحيًّا — خدمتهُ الانسانية

اتساع نطاق معارفه

النحلة وهي تجني عسلاً تتغذّى هي اولاً بالعسل . فتذوق قبل ان تذيق . ونفس الدكتور صرّوف المتعطشة الى مناهل العلوم والمعارف ، التوّاقة الى مجالي الكشف والتعليل والاطّلاع ، نالت بغيتها في سياق جنيها شهد العلوم والمعارف لروّاد قفيرها المقتطف . فلا احد في ابناء الضاد اوسع اطلاعاً من الدكتور صرّوف على المذاهب العلمية والنزعات الفلسفية ، ومعرفة افاضل الغرب واساطين الحكمة والادب والفن فلا رجل كبير في العلوم والفنون والسياسة والادب والتجارة والاكتشاف الاَّ وهو معروف جيداً للدكتور صرّوف . كذلك لا يوجد فرع في شجرة العلوم والمباحث لم تلامسهُ ريشة الدكتور صروف . وليس على من يريد ان يقف على ذلك الاَّ ان يذهب الى ادارة المقتطف ويلقي نظرة على فهرس موضوعات المقتطف فانهُ ليذهل ، ايَّ ذهول ، اذ لا يرى شهيراً في الارض خارج ذلك الفهرس . ففيهِ الاكاسرة والقياصرة والامبراطرة والقوّاد الفاتحون ، ورجال الدين والاصلاح واليقظة والابتكار والاكتشاف

والروّاد ورجال المال والاعمال والاطباء والجراحون والعلماء والفلاسفة وارباب الفنون الجميلة ، وجميلات النساء وكبار المحسنين والخطباء والمرنمين ومشاهير الدنيا في كل فرع. ويرى فيهِ ايضاً جميع عواصم الدنيا في الحاضر وفي الغابر ، ودولها وشارعها ونظمها وعادات اهليها ونشأتها ومصيرها في اقسام التاريخ الثلاثة . ويرى فيهِ ايضاً الجبال والسهول والبحيرات والانهار والخلجان والبراكين والشركات على انواعها والمتاحف والمعارض والجامعات والتقارير السياسية والمعاهدات الدولية والاساطيل الحربية والسكك الحديدية والمباحث النفسية وسير العلوم وتدرجها شهراً فشهراً مدة ستين سنة

فالمقتطف مدينة العلم والدكتور صرّوف بابها وحاجبها . والمعارف روضة زاهرة والدكتور صروف بستانها . فدائرة اطلاعهِ اوسع دوائر الاطلاع في بني الضاد . وذلك جزاء كبير لمن يحب العلم لذاتهِ . فالمقتطف كافأ الدكتور صرّوف بهذا الاطّلاع ولولا المقتطف لاستحال ان يبلغ هذا المبلغ. اجل كان يمكنهُ ان ينبغ في احد الفروع كالرياضيات مثلاً ، او الشعر . ولكنهُ اذ ذاك لا يبلغ ما بلغهُ من التمكن وسعة الاطلاع في كل دوائر البحث على اختلاف موضوعاتها .فصحَّ في الدكتور صروف ، بهذا الاعتبار قول صاحب الامثال : يوجد من يفرّق فيزداد : فقد وزَّع الدكتور صروف حقائق العلوم ولكنهُ بذلك التوزيع ازداد علماً واطلاعاً

اعلان جمال نفسه

هذه ثانية مكافآت المقتطف لمؤلفهِ . فقد منح المقتطف كاتبهُ اثمن فرصة لاعلان جمال نفسهِ . وذلك غاية ما يرمي اليهِ الرجال في ميادين العمل في هذا الوجود

ما هو الجمال ؟ . بل ما هي مجالي الجمال ؟ . وهل كانت نفس الدكتور صروف جميلة ؟ . وهل تمكَّن من اعلان ذلك الجمال في المقتطف ؟

الجمال من الكليات التي تدرك بالبداهة ولا تتقيَّد بالحدود فيلامسها الذوق الروحي في النفس ولا تقوى الالفاظ على الاحاطة بها . وجمال النفس اسمى جمال ، وهو خلاصة ما ذخر في اهراء الوجود من نفائس الاعلان . واستكشاف الجمال هو غرض الحكيم الخاص . والجمال اس الحب . وذلك الحب هو معراج الفلسفة على ما اثبت افلاطون امام المفكرين في كل العصور وقد نقر على هذا الوتر الصوفيون — تلامذة افلاطون وذراريه في كل العصور — ولست لارقص على هـذا اللحن ، فاقرع باب الصوفية والتصوّف ، واباين الحكمة في نشوئها وسيادتها . لا . ان المقام اضيق من ان يتسع لمثل

هذا المطلب البعيد الاطراف . فاقتصر على نثر جمل مختصرة في مجالي جمال نفس الدكتور صروف على ما تبيناها في المقتطف . ومنها : توازن القوى

فضائل النفس الاربع

ذهب افلاطون ، وتابعهُ في ذلك ارسطو ، وقفى عليهما اتباعهما مدة الفي سنة ، الى ان في الانسان اربع قوى لها اربع فضائل

الاولى : القوّة الذهنية وفضيلتها « الحكمة »

الثانية : القوّة العصبية وفضيلتها « الشجاعة»

الثالثة : القوّة الشهوية وفضيلتها « العفاف »

الرابعة : القوّة الادارية وفضيلتها « العدالة »

وعلى هذه الفضائل الاربع — الحكمة والشجاعة والعفاف والعدالة — اسس افلاطون دولة النفس الكاملة في الفرد وفي المجموع، على ما هو مشروح في «الجمهورية» قال افلاطون ان النفس الحاصلة على هذه الفضائل مع التوازن والائتلاف فهي «جميلة»

وقد رأينا ذلك التوازن والائتلاف في مقتطف الدكتور صروف . فكان قانونه المتبع « لا افراط ولا تفريط » .ومع ان المقتطف مجلة علمية صناعية لم يألُ جهداً في خدمة الادب والفن والاجتماع . ومع انهُ مجلة جدّية لم يكن ناشفاً . ومع انهُ اتصف بالتدقيق لم يكن متطرفاً . ومع شدة امانته لم يكن قاسياً شامخاً . بل كان وديعاً هادىء الروح ككرمة دانية القطوف صافياً عميقاً كبحيرة عذبة المورد . وبذلك يعلن لنا المقتطف مجلى من مجالي نفس كاتبه وناسج برده

احترام الحقيقة

وهذا ثاني مجالي الجمال والرجال الحريصون على الحقيقة في وسط تيّار الاجتماع هم جواهر الشرق — بل جواهر التاريخ التوالي — والدكتور صروف هو — في الشرق — احدى تلك الغوال . فقد تشبّث بالحقيقة الى غاية ما يمكن لا تثنيه عنها لومة لائم . فلم يغش محيّا الحقيقة مصانعة . والنفس لا تحب الحقيقة الى هذه الدرجة ما لم يكن رسم الحقيقة مطبوعاً على صفحاتها . ورسم الحقيقة على صفحات النفس هو الجمال الحقيقي الذي تهواهُ النفوس . ولا نفس تهوى الحقيقة ما لم يكن لها في ذاتها حقيقة . وشغف النفس بالحقيقة هو ظاهرة التفاهم بين النفس وبين الحقيقة

لست ازعم الكمال في المقتطف . فان امكان تسرّب الخطأ اليه ، والى كل

كتابات البشر، امر لا يفتقر الى دليل . ولكن حرص الدكتور صرُّوف على اثبات ما اعتقده حقًّا هو المجلى البديع في حياتهِ . والمقتطف كان اللوحة التي عليها تجلَّى ذلك الجمال. فهل قدر احد ان يزحزح الدكتور صروف قيد انملة عن معتقدهِ في مسألة الارواح ومخاطبتها او في النشوء ، وما شاكل ذلك من الموضوعات التي كانت مدار البحث منذ أُنشيء المقتطف

النجدة :

النجدة في رأس قائمة اغراض الدكتور صروف في المقتطف . كتب اليَّ سنة ١٩٠٣ يقول : « اني ارمي بالمقتطف الى رفع مستوى الامة اجمالاً ، وهو غرض بعيد المنال لا يتسنى قبل المئات من السنين » . فكان يفتح الابواب امام العقول لتهب من سجنها وقيودها . وحيث لا يمكنهُ ان يقول ، عملاً بحكم الاحوال ، كان يشجع غيره اذا قال من ذلك تقاريظهُ كتاب قاسم بك امين وكتاب باحثة البادية . فانك لترى النجدة تتألق في خلال سطورهِ تألق شمس الصباح

اللياقة والنزاهة

الدكتور صرُّوف على ما هو ممثل لنا بقلمهِ في المقتطف اديب لوذعي فذ نزيه العواطف ، لين العريكة ، رصين كلي الجد ، غير مماذق ولا غمَّاز لمَّاز . وهو الذي ابتدع هذه العبارة — مناظرك نظيرك — وجعلها شعار البحث في المقتطف . وقد طبق عملها عليهِ ، حتى انهُ مدة اثنتين وخمسين سنة لم يخالف حكمها قط . وكان يحذف من الرسائل الواردة اليهِ كل ما ساورهُ التعرض للشخصيات . وبعضها كان يحذفها برمتها مهما يكن من امر كاتبها

فكان الدكتور صرُّوف الرجل الذي تحتاج اليهِ الامة والبلاد في عصر نهضتها ويقظتها

واذا كان المقتطف وسيلة فقط لاعلان جمال نفس الدكتور صرُّوف فهو نوع من المكافأة ازاء ما بذلهُ الدكتور صروف في سبيل المقتطف من التضحيات

الخدمة

هي ثالثة انواع المكافأة التي ردها المقتطف الى الدكتور صروف . وجد الرجال ليخدموا ، لا لغرض آخر . ونقطة دائرة خدمتهم البناء الانساني العظيم ، فالفرص السانحة لهم للخدمة هي اثمن الهبات . فاذا غنموها فقد اتموا غرض الحياة وقد اتاح المقتطف للدكتور صروف ادراك غرض الحياة. فكان رسالتهُ الحية للاجيال

التالية . وبهِ نقل الدكتور صروف من حدائق الغرب الى لغة الاعراب كل طريف شهي ، وزين هامها بنفائس الاعلاق . ولم يهب قلم اللغة العربية ما وهبها قلم صروف ، من كنوز العلم وطرائف الحكمة . فهو زعيم النهضة العلمية غير منازع ، ومقدام رجالنا غير مزاحم

فما يستلزمهُ الدفاع عن شرف الامة في عيون الاحفاد هو ان تقدر الامة زعيمها وتحلهُ المحل الجدير بهِ من المحبة والاحترام . واعظم ما تستطيعهُ الامة من هـذا القبيل هو تجلية مزاياه الروحيَّة وتبيان اهليته . انها بذلك لا تهبهُ شيئاً ولكنها تبرهن للملأ انها فهمتهُ

واخيراً آتي للجواب عن المسألة التي ارجأت الجواب عنها وهي : هل استحق المقتطف التضحيات التي ضحى بها الدكتور صروف في سبيلهِ ؟

والجواب : اذا لم يكن يستحق ذلك بالنظر الى المضحّي فانهُ يستحقهُ بالنظر الينا لان مجلدات المقتطف بيننا افيد من اي نظام فلسفة او ديوان شعر . اقول اننا احوج الى المقتطف منا الى الياذة هوميروس او فلسفة سبينوزا

ويكفي الدكتور صروف انهُ سدَّ في اللغة العربية هذا الفراغ . فهل قليل عندنا انهُ في خلال ستين سنة انبرى لتقليده عشرات من كبار الكتاب ومع ذلك لا يزال المقتطف الى الآن فريداً في بابهِ. فاننا ليس عندنا مجلة تحل محلهُ. او قليل انهُ في سبعين مليوناً من ابناء الضاد لا يوجد رجلان يملآن مركز صروف .ولا يفوت الحصيف ان مجموع الجهود التي استلزمتها مجلة المقتطف لا تقل عن جهود عبقري في بلوغ شأو الشهرة في فرع او فلسفة ، وقد تزيد عليهِ . فلم يقامر الدكتور صروف في انشاء المقتطف — لم يقامر بمواهبهِ وحياتهِ — بل عمل شيئاً مشروعاً . ووقف نفسه لاعلى عمل تستلزمهُ حال ابناء العربية. فاصدار المقتطف قفزة في الظلام هذا بعض ما تراءى لي في امر الدكتور صرّوف والمقتطف ولا ارى من يماري في ذلك من حصفاء الباحثين . واؤكد ان كثيرين منهم يتقدمون الحد الذي بلغتهُ في تشريح ذاتية الدكتور صرّوف تجلية لمحاسنها وفوائدها لابناءِ امتهِ . ولاشك عندي في ان ابناءنا واحفادنا سيكونون ابعد منا مرمى في هذا الميدان

حنا خباز

العلم امام سر الحياة

مباحث جديدة قد تكشف القناع عنهُ

خطب الاستاذ دنن استاذ الكيمياء في كلية لندن الجامعة خطبة خطيرة في مجمع تقدم العلوم البريطاني عالج فيها موقف العلم الآن ازاء سر الحياة نلخصها فيما يلي :

قال الفيلسوف ليبنتز مرة « ان آلات الطبيعة ، اي الاجسام الحية ، هي في الواقع آلات حتى في ادقّ اجزائها » . ولقد كشف علماء التشريح ووظائف الاعضاء بناء جسم الانسان ووظائف اعضائهِ وأبان علماء الهستولوجيا بناء الخلية ونواتها والمادة التي تبنى منها واثبتوا انها الوحدة الاساسية التي تبنى منها كل الاعضاء والانسجة الحية. فماذا تحتوي عليهِ الخلية الحية داخل غشائها الرقيق ؟ هنا نقترب من معقل الحياة المنيع. فاذا دخلنا هذا المعقل وجسنا خلالهُ انجلى لنا اغمض اسرار الحياة — ولعلهُ السر الحقيقي الوحيد : فندرس بناء الخلية وتصرفها في احوال مختلفة وندرس الحيوانات الدنيا المؤلفة من خلايا واحدة هو الآن عمل علماء البيولوجيا الحقيقي

ففي الخلية الحية مادة تدعى البرتوبلازم لم يوفق احد من العلماء بعدُ الى ادراك كنهها. ومن العناصر الاساسية التي تبنى منها هذه المادة نوع من المواد الكيماوية تدعى « المواد البروتينية » وكل نوع من الخلايا في كل نوع من الاحياء يحتوي على مادة بروتينية او اكثر ينفرد بها . وهذا عدا المواد البروتينية العادية . اما العناصر الاخرى التي تبنى منها اجسام الخلايا فهي الماء وكلوريد الصوديوم والبوتاسيوم والجير وبيكربوناتها وفصفاتها . وهناك مواد غريبة تدعى الانازيم من شأنها ان تفعل بالخلايا فتزيد سرعة تفاعلها الكيماوي من غير ان تفنى في ذلك . ومن الغريب ان كل خلية حية تحوي في طياتها بزور موتها وهي نوع من الانازيم التي من خواصها ان تفعل بالمواد البروتينية فتحلها. على انهُ ما زال في الخلية رمق من الحياة فهذه الانازيم الهدّامة تبقى مقيدة لا تستطيع ان تفعل فعلها . ما اغرب هذا الامر ! ان شياطين الموت كامنة في كل خلية من خلايا الاحياء ولكن اجنحتها تبقى مقيدة وافواهها الشرهة مكمومة ما زالت الحياة تدب في تلك الخلايا

وحالة البروتوبلازم في الخلايا الحية هو اشبه شيء بحالة الزلال في البيض وتعرف

هذه الحالة لدى الكيماويين بالحالة الكولويدية . ولكن لا يخفى ان اعمال الهضم والتمثيل والاحتراق والافراز لا تقف هنيهة واحدة في الاجسام الحية بل ان الخلية الحية تتبادل تبادلاً دائماً القوة والغذاء مع الخلايا التي تجاورها فكأن هذه المادة الزلالية المائعة تقريباً مركبة تركيباً آلياً يمكن دقائقها من القيام بهذه الاعمال من غير انقطاع

وهذا مما يؤيد قول ليبنتز السابق ذكره . وكأنَّ هذا الجيش من الدقائق منظم تنظيماً دقيقاً يمكنها من القيام بالاعمال المطلوبة منها بسرعة وكفاءة

اذا افرغت خزان سيارتك من البنزين ومحركها من الاكسجين وقفت السيارة عن العمل. ولكنها لا تتفكك ولا تنفرط اجزاؤها كما ينتثر عقد قُطع سمطهُ. على انك اذا منعت الاوكسجين والغذاء عن الخلية الحية ماتت في الحال واخذت تنحلُّ . وتفعل بعض الانازيم التي فيها حينئذٍ بالبروتوبلازم فتحلهُ . فما هو سبب ذلك . ولماذا تموت الخلايا ؟ ان جواهر المادة ودقائقها وايوناتها لا تزال فيها . وقد اثبت الاستاذ ميرهوف ان مقدار القوة في البروتوبلازم الميت هو هو في البروتوبلازم الحي" فهل افلتَ من هذه الخلية عنصر حيويٌّ كان نازلاً فيها

هنا ، على الباب الفاصل بين الموت والحياة ارى ان الاستاذ هل" الفسيولوجي الانكليزي اصبح في مباحثهِ على عتبة اكتشاف خطير اذا لم يكن قد اكتشفهُ الآن . فقد ثبت من تجاربهِ ومباحثهِ في الاعصاب التي ازيلت بعض اغشيتها وفي العضلات ان بناء الخلايا هو بناء كيماوي" ديناميّ" ولا بد لهُ من الاكسجين والاحتراق للمحافظة عليهِ . فنظام البناء في دقائق الخلايا الحية يميل دائماً الى التشوش والانحلال ويحتاج دائماً الى الاكسجين ليحفظ بناء الخلايا الحية على ما هو

فالآلة الحية اذاً تختلف اختلافاً كبيراً عن آلاتنا الميكانيكية . لان بناءها ونظامها ليس بناءً ساكناً بل هو بناءٌ حيوي . وعندي ان الخلية الحية اشبهُ شيء ببطرية كهربائية تفرغ اذا لم تملأ بالكهربائية . والفعل الذي يملأ بطرية الخلية الحية بالحياة هو الاحتراق

لا نستطيع الآن ان نحكم على مدى تطبيق هذه الاحكام وشمولها لسائر انواع الخلايا في الاجسام الحية ولكني اعتقد ان اثبات هذه الحقيقة من اخطر المكتشفات العلمية التي أُثبتت حديثاً وانهُ لاول مرة في تاريخ العلم قد بدأنا نفهم ، ولو كان فهماً مشوباً بكثير من الابهام — الفرق بين الموت والحياة

الألعاب الرياضية

مصر في الدورة الاولمبية التاسعة

في امستردام

لم تنتبه مصر للانضمام الى الالعاب الاولمبية بعد بعثها سنة ١٨٩٦ الاَّ سنة ١٩٢٠ وحصلت في ذلك الوقت على نتائج لا بأس بها ثم اشتركت فيها سنة ١٩٢٤ فتقدمت قليلاً وسارت في طريق مطرد من التقدم وجاءت سنة ١٩٢٨ فاشتركت مصر ايضاً في هذه الدورة — في الالعاب الآتية — كرة القدم — المصارعة. رفع الاثقال « او الربع » — الغطس في الماء — لعب السيف والشيش — ولم تشترك في الملاكمة لعدم وجود من يصلح فيها لتمثيلها — مع ان النية كانت متجهة الى كرم عبد العزيز — ولكن كرماً لم يحقق في آخر لحظة حسن ظن الذين وقع اختيارهم عليهِ فكان بهذا فصل الخطاب في هذه اللعبة

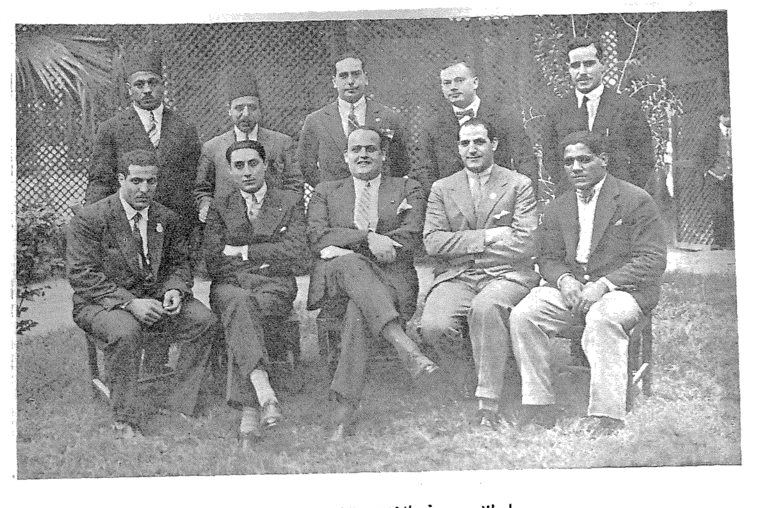
اما الامم التي اشتركت في هذه الدورة فكانت حوالي ثلاث واربعين امة من امم العالم اجمع . واذا شئنا ان نتناول الموضوع بشرح وافٍ ضاق بنا المقام ولما كان الغرض من هذا المقال ان نتحدث عن مصر فنرى ان نبدأ بفريق كرة القدم

كرة القدم

سافر هذا الفريق مكوَّناً من الذين وقع عليهم الاختيار — ولم يسافر معهُ حسين حجازي بطل الكرة في مصر لانهُ كان موقوفاً عن اللعب بناء على قرار ناديهِ لانهُ لم يتقدم لتسلم المداليات في مباراة نادي الترسانة مع النادي الاهلي . وسافر في طليعة اللاعبين أقدمهم في اللعبة وارسخهم فيها قدماً — علي افندي الحسني قلب الدفاع المشهور وكان معهُ من الاداريين احمد بك فؤاد انور بصفتهِ رئيساً للبعثة — وعلي افندي مخاص سكرتيراً — ومحمد بك صبحي اميناً للصندوق — والمستر جيمس ماكراي ممرناً — وسافر معهم ايضاً يوسف افندي محمد بصفتهِ حكماً دوليًّا

ولما نزلوا في مرسيليا لعبوا مع احدى فرقها فتعادلوا معها — ثم ذهبوا الى باريس ومنها قاموا توًّا الى امستردام قبل بدء الالعاب الرسمية باسبوع واحد

وفي خلال هذا الاسبوع علموا ان الدول المشتركة في لعبة كرة القدم كانت تسع



ابطال مصر في الالعاب الاولمبية وغيرها

وهم جلوس من اليمين الى اليسار: ابرهيم مصطفى . سلفاتور شيكوريلي . اسحق حلمي بك . ادمون صوصه (بطل العالم بالبلياردو لسنة ١٩٢٨) والسيد نصير

عشرة دولة ولحسن حظ مصر كانت قرعتها الاولى مع الترك فتغلبت على فريق تركيا بسبعة اهداف لهدف واحد في ٢٨ مايو الماضي

وكان فريق المصريين مكوَّناً من حمدي حارساً للمرمى — وسيد اباظه واحمد سالم ظهيرين — والصوري — والحسني — واحمد سليمان للدفاع . وكان خط الهجوم مكوناً من السيد اسماعيل — علي رياض — محمود اسماعيل — محمود مختار الصغير — جميل الزبير

وبعد ذلك كان من نصيب مصر ان تنازل فريق البرتغال — فنزلت بتغيير طفيف في صفوفها فتغلبت ايضاً بهدفين لهدف واحد وبتغلبها على البرتغال وصلت الى الدور قبل النهائي فنازلت فيه فريق الارجنتين — الذي تغلَّب عليها بستة اهداف لهدف واحد

هنا قد يقف الرياضي حائراً لدى التأمل في اسباب هذه الهزيمة بعد ان رأى فوز الفريق المصري فوزاً حاسماً على فريقي تركيا والبرتغال . اما الاسباب فترجع الى امور بعضها فني وبعضها ادبيّ . اما النقط الفنية التي حدت بمصر الى هذه الهزيمة فكانت ضعف فريقها من حيث الروح المعنوية . وهناك غلطة يمكن اجتنابها في المستقبل ذلك ان فرق الارجنتين والاوراجواي وغيرها من الدول وصلت الى امستردام مبكرة فوالت اللعب فيها حتى تمرست بحالة الجوّ والارض التي تلعب فيها — ولم يكن عند اللاعبين المصريين من قوة الصبر والاحتمال ما به يتمكنون من المحافظة على قوتهم فان المباراة الواحدة كانت تنهكهم ولكي يكونوا لائقين لمباراة دولية اخرى كان يتحتم عليهم ان ينالوا قسطاً وفيراً من الراحة ولم يكن لديهم ذلك — ومن جهة اخرى خلبت الباب بعض اللاعبين المدنية الغربية فساروا في تيارها غير عابئين بالمسئولية . وكل هذا يرجع الى ضعف اليد الادارية التي كان يجب ان تكون قدوة في مثل هذه الاحوال . فنجم عن هذا ان دبَّ دبيب الخلاف بينهم واصبحوا فرقاً وشيعاً — هذه هي الاسباب التي انبنت عليها هزيمة مصر مع الارجنتين ومع كل ذلك فقد كان هناك امل وحيد هو مباراتها مع ايطاليا — ولكن يظهر ان مباراة الارجنتين كانت قد فلت من عزيمة المصريين من جهة ولم يشترك بعض البارزين منهم في المباراة من جهة اخرى لما اصابهم في مباراة الارجنتين من رضوض — ويقال ايضاً ان رستم حارس المرمى المصري لم يصد الكرة مرة واحدة فان الرميات التي رميت على الهدف المصري كانت تجد طريقها سالكاً امامها — فخرجت مصر من اللعب مهزومة باحدى عشرة اصابة لثلاث اصابات

اما اللاعبون المصريون الذين نالوا ثناء الدول عامة فقد كان على رأسهم محمود مختار الصغير — وجميل الزبير — والسيد اسماعيل — ومحمود اسماعيل — وعلي رياض وجميعهم من خط الهجوم ولم يبخس ايضاً عبد الحميد حمدي حقهُ — هذا وقد رددت الصحف الغربية اسمي لاعبين مصريين احدهما محمود مختار الصغير — وثانيهما احمد سالم — وقالت عنهما انهُ يصح ان يكون كل منهما نجماً ولكن النية كانت متجهة الى محمود مختار الصغير — فهو اللاعب المصري الوحيد الذي نال اعجاب العالم اجمع

وبعد مباراة ايطاليا عزمت مصر على القيام برحلة في اواسط اوروبا فلم توفق فيها وكان يجدر بالقائمين بها ان يعدلوا عنها — وليس هذا مجال الخوض في هذا الموضوع

رفع الاثقال

الى هنا انتهينا من بعثة الكرة وعلينا ان نتحدث عن بعثة العاب القوى فنبدأ بحمل الاثقال فنتحدث قليلاً عن بطلنا المصري بل بطل العالم في الوزن الخفيف وهو سيد نصير الذي لا ارى احداً احق منهُ بالفخر والتمجيد من ابطال العالم المصريين الذين رفعوا رأس مصر

سافرت هذه البعثة ومعها ابطال المصارعة ايضاً وعلى رأسها المسيو هيرمن سكرتير الاندية الرياضية المتحدة والمسيو بيانكي ممرناً ومدرباً وفي يوم ٢٨ يوليو كان بدء المباراة في رفع الاثقال فتقدم اليها من مصر مختار حسين والسيد نصير ولا اريد ان اطيل الشرح من الوجهة الفنية او الغلطة الفظيعة التي اقترفت في تقليل وزن مختار حسين فان الامر يقتضي شرحاً طويلاً وغاية الامر انهُ قد اسيء الى مصر اساءة لا تغتفر بتقليل وزن هذا البطل. تقدم للمباراة وكانت الآمال معقودة عليهِ ونال كثيراً من العطف والتشجيع فكانت رفعاتهُ كالآتي : —

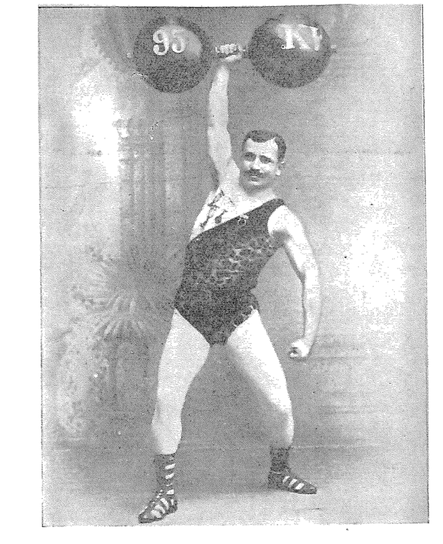
ضغطاً	خطفاً	نتراً	الجملة
٩٠	٩٢٫٥	١٢٠	٣٠٢٫٥

وكان ترتيبهُ السابع في وزن الخفيف المتوسط بين ابطال العالم — وبعدها تقدم البطل المصري سيد نصير فرفع الرفعات الآتية

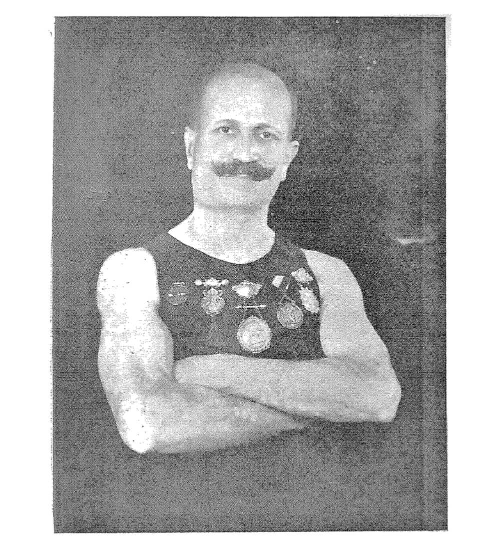
ضغطاً	خطفاً	نتراً
١٠٠	١١٢٫٥	١٤٢٫٥

فكانت مجموع رفعاتهِ ٣٥٥ كيلو

وتفوق نصير ولا تسل عما لقيهُ من التشجيع في وسط هذا الجمع الزاخر . وظلت



حنا يافث في سن الخامسة والعشرين يرفع من الكتف ٩٥ كيلو
وينال بذلك لقب بطل العالم في الوزن الخفيف



حنا يافث وقد تعدّى سن الخمسين لا يزال قادراً ان يرفع ٩٥ كيلو
وذلك بفضل طريقتهِ المفصَّلة في صدْر تدبير المنزل من هذا الجزء

مقتطف دسمبر ١٩٢٨

امام الصفحة ٤٤٥

آلاف الحناجر تردد من قلوب خالصة اسم مصر مقروناً باسم بطلها الاوحد نصير — نصير — فلتحي مصر — وهكذا لقيت مصر بين هذه الالوف المحتشدة من يعطف عليها وينادي باسمها — وما كاد يعلن تفوقهُ حتى ارتفع العلم المصري على الملعب واهتزت لذلك اسلاك البرق في العالم ومرت في اثناء الرفعات لحظات رهيبة كادت تفت في امل المصريين ولاسيما عندما اخفق نصير في احدى الرفعات — ولكن لم يثن ذلك من عزمهِ بل تقدم ثابتاً هادئاً وطلب زيادة الوزن فاجيب الى طلبهِ فرفعها بسهولة وكانت هي الرفعة الفاصلة في تاريخ البطولة العالمية

المصارعة

واشتركت مصر ايضاً في هذه اللعبة ففازت منها ببطولة عالمية اخرى هي بطولة ابراهيم مصطفى

تقدمت بابراهيم كامل وهو من وزن الديك فهُزم مرتين في يوم ٤ اغسطس وفي وزن الريشة تقدمت بعلي كامل فهزم في المرة الاولى – وفاز في الثانية وهزم في الثالثة

وفي الوزن الخفيف الثقيل تقدمت بالبطل ابراهيم مصطفى — وكان هو الامل الذي بقي لمصر ففاز خمس مرات متوالية لم يغلب في واحدة منها — فاز ثلاث مرات بالكتف (بالصرعة) ومرتين بالنقط — وكانت آخر واقعة لهُ مع روجر الالماني الذي علقت عليهِ المانيا كبير املها فنافستها مصر وانتزعت الفوز منها انتزاعاً

هنا رفع العلم المصري للمرة الثانية وكانت ساعات فرح تكل عن وصفها الاقلام اذ لا يمكن للانسان ان يصوّر بالقلم ذلك الشعور الناطق بالعطف على الابطال المصريين

وجاء دور الوزن الثقيل فهزم فيهِ ابراهيم صبح وكان قد سافر على نفقتهِ الخاصة

مسابقات الغطس في الماء

كان البطل العالمي الثاني فيها فريد سميكة — اما الاول فكان امريكياً وكان مدى البطولة لمسافات محدودة بين ٥ أمتار وعشرة امتار

اعلن الحكام في اليوم الاول ان سميكة هو الفائز ولكنهم لم يلبثوا ان راجعوا انفسهم في اليوم التالي واعلنوا انهم أخطأوا في عد النقط وان ترتيب فريد سميكة هو الثاني بين ابطال العالم — وكان ذلك بعد ان رفع العلم المصري مرة ثالثة

مسابقات الشيش والسلاح

كان لمصر نصيب كبير في هذه المسابقات فازت فيها على بعض الدول الكبرى حتى

وصلت الى الدور قبل النهائي ببطليها شيكوريل — ومويل — وكان ترتيب شيكوريل النهائي السادس بين ابطال العالم ومويل الثامن

وفي لعب السلاح ايضاً وصل فلوري ومويل الى الشوط قبل النهائي — وهي نتيجة عظيمة لمصر اذ تغلبت على جميع الدول الكبرى التي تقدمت الى هذه اللعبة

العاب الجباز

اما العاب الجباز فقد اوفدت مصر اليها على حساب وزارة المعارف عبده مختار. وظل هذا البطل يوالي التمرين ويجهد نفسهُ فوق الطاقة حتى اذا حان ميعاد اللعب وجد مختار نفسهُ غير مستعدّ لها فلم تفز مصر في هذه الالعاب لان الدول كانت تشترك بفرق وليس بافراد — ولم يجد عبد المنعم مختار عطفاً من ادارة بعثة العاب القوى — كانما هو قد جنى عليها جناية

الى هنا انتهي من هذه العجالة البسيطة بعد ان الممت بحظ مصر الماماً اجماليًّا في الدورة الاولمبية

سباح مصري يخضع المانش

اسحق بك حلمي

اسحق بك حلمي سليل اسرة عريقة في المجد هو ابن المرحوم عبد القادر باشا حلمي ولع منذ نعومة أظفاره بالرياضة وتعلق بالسباحة فاولاها كل عنايتهِ وجهده ووقف لها من وقتهِ وصحتهِ وماله ما وقف وكان يرمي الى غرض واحد حققهُ بضعة عشر نفر من العالم فكان اسحق بك حلمي احدهم

حاول غير مرة عبور المانش فاخفق ولم يقعد بهِ هذا الاخفاق عن المحاولة لانهُ كان عنيداً يريد ان يسيطر على هذا الخصم العنيد — بحر المانش — فيقهرهُ بدوره ويضرب مثلاً للبطولة المصرية يسجلهُ لهُ التاريخ

فسافر الى فرنسا هذا العام وجعل يعدُّ نفسه بالمرانة وانقاذ الغرقى من السباحين الذين كانوا يتمرنون مثله على عبور المانش وظل يوالي الاستعداد بعزم الجبابرة غير ناظر الاَّ الى امر واحد هو تحقيق رغبة مليك البلاد الذي صرح غير مرة انهُ يريد ان يرى احد رعاياهُ بين الذين عبروا المانش

بدأ اسحق بك مرانتهُ من ٩ يوليو سنة ١٩٢٨ وظل الى يوم ٣١ اغسطس حيث

انس في نفسه القدرة على تحقيق رغبة جلالة الملك فبدأ محاولته وكان ذلك يوم الجمعة بعد الظهر فنزل في الماء من رأس جرينز بفرنسا وصحبه في قارب كثير من السباحين والاصدقاء بغية تشجيعه في الاستمرار على السباحة — وظل يسبح بقوة خارقة حتى كان بعد اثنتي عشرة ساعة على بعد ميل من ميناء دوفر ولو ساعدته حالة الجو والبحر لسجل رقماً قياسياً عالمياً في سرعة اجتيازه المانش ولكن ابى الحظ وابت الطبيعة الا معاكسة البطل ليضرب لنا مثلاً آخر في الصبر على احتمال الشدائد — فقامت في سبيله الامواج وقاومه الريح وتصدى له المد ووقف في طريقه التيار فكان كفاحاً عظيماً بين الطبيعة الهائجة والانسان الذي يريد بقوة ذراعيه التغلب عليها . وظل المد والتيار يقذفان به امتاراً كلما حاول التقدم خطوة فلم يقعد به اليأس ولم يتطرق الى عزيمته الخور بل كان جاعلاً امام عينيه اسم بلاده وارادة مليكه فسار مدفوعاً بهذه القوة غير المنظورة وهو يرى في تقلبات الطبيعة ومعاكسة القدر له درساً قاسياً من الحياة — سار بين هذه الاهوال لم يبال بها وهو يشق طريقه في وسطها شقاً شأن الجبار العنيد — ولما كان على بعد قليل من الشاطىء ازيحت النظارة الواقية عن عينيه فكان ذلك داعية لتسرب الماء الملح اليهما — على ان هذه العراقيل لم تفت في عزمه بل زادته ثقة بالنفس واملاً بالفوز حتى وصل فولكستون الساعة ٤٠ : ١ بعد ظهر اليوم الثاني فكأنه قد ظل في الماء اربعا وعشرين ساعة كاملة الا دقائق معدودة وفي فولكستون قابلته الجماهير بحماسة كانت كافية ان تعيد اليه نشاطه وخرج من الماء منهوك القوى احمر العينين مما تسرب اليهما من ماء البحر ولم يلبث الا قليلا بعد ان تناول نصف كاس من الشمبانيا استعاد بها قواه حتى ذهب الى الحمام فاغتسل وتدلك وعاد هو اسحق بك كأنه لم يقم بتلك المحاولة الجريئة ولم يقهر هذا الخصم الهائل ولم تفارق شفتيه تلك الابتسامة المحبوبة

هنا قد يضيق بنا المقام عن وصف الحفلات التي اقيمت في انكلترا وفرنسا تكريماً لبطلنا المصري وكيف اهتزت اسلاك البرق مرددة صدى هذه البطولة العالمية وبعد ما انتهى كل ذلك عاد اسحق بك الى مصر حاملا اسماً مجيداً وعلى رأسه اكليل من الفخار وفي مصر تشرف بالمثول بين يدي جلالة المليك فقلده نوط الجدارة الذهبي وتلك كانت اعظم امنية تشرف بها مصري للآن ثم اقيمت له حفلة تكريم وزارة المعارف فاهديت فيها اليه كاس فضية اعترافاً من الحكومة بفضله

يحيى فهيم

باب شؤون المرأة وتدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي تدرج فيه كل ما يهم المرأة واهل البيت معرفته من تربية الاولاد وتدبير الصحة والطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة وسير شهيرات النساء ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

رسالة من البرازيل

تحتوي على رأي خاص في المرانة الرياضية

لا يسعنا ان نقفل الباب الذي جئنا فيه على ذكر ابطال مصر في الالعاب الاولمبية وسباحة المانش من غير ان ننبه برسالة جاءتنا من البرازيل من رجل قضى في التمرين الرياضي ٢٩ سنة محتفظاً بكل قواه مع انه تخطى الخمسين . فدلته خبرته على ان الطريقة التي وصفها فيما يلي هي افضل الطرق للتمرين البدني والاحتفاظ بقوى الجسد في سن الشيخوخة والكهولة ونحن ننشرها في باب تدبير المنزل لان العناية بحفظ الصحة من أول شؤون المنزل وربته

انما كتب من المقالات والآراء عن التمرين الجسدي وما اخترع من الحركات لزيادة فائدته وما نشر في الجرائد الرياضية يختلف عما يأتي هنا من امور اختبرتها بنفسي ٢٩ سنة حتى توصلت الى نتيجة احبُّ ان يجربها كلٌّ من رغب في الرياضة البدنية لعلها تساعدهُ على ان يعيش عيشة صحية خالية من الامراض ويحتفظ بقوتهِ في الشيخوخة

وتجربتها او ممارستها لا تجلب خسارة قط بل بالعكس . فانها تخزن القوى لسن الشيخوخة وهذا هو الامر المنشود

اذا كان رجل واقفاً امام نبع من الماءِ الزلال فانهُ لا ريب يشتهي جرعة منهُ وذلك لانهُ قرب ذلك النبع ليس إلاَّ . فاذا كان جسمهُ لا يحتاج او لا يتطلب ذلك الماء فهل من اللازم ان يشرب ؟

واذا كانت معدتهُ لا تحتمل جرعة ماء ولو كانت من اعذب الماءِ افلا يكون الشرب مجلبة لضرر كبير ؟

وما يجري على المعدة يجري على كل عضوٍ من اعضاء جسمنا - اذا اجبرناه على عمل شيء ليس مستعداً لهُ نكون قد اضعفناه بدلاً من تنشيطنا لهُ

ونحن جماعة الرياضيين اذا اردنا ان نسابق ونفوز على اقراننا وجب ان نأخذ بالتمرين كل يوم او يومين مرة غير حاسبين ان عضلاتنا لها ارادة يجب أن تطاع ولها قوانين تجري عليها كل سني حياتها تشعر بها وتُشعر صاحبها بقابليتها متى كانت قادرة على التمرين او متى كانت غير قادرة عليهِ. فاذا كانت مرتخية او مشلولة غير قابلة للتمرين ومرنتها فكأنك قد طردت منها الحياة بدلاً من الفضلات اي تكون قد طردت ما كان قائماً باحيائها من غير ان تفرز فضلاتٍ على الجسم افرازها بواسطة العرق او التنفس.

والبرهان على ذلك هو اننا اذا بقينا بدون تمرين ستة وعشرين يوماً على الاكثر ولم نكن نشعر بوجوبهِ طول تلك المدة وتمرنا بعدئذٍ بقابلية لم نشعر بالمٍ بعد التمرين كما يحدث دائماً وذلك دليل ساطع على ان التمرين لم يكن اقل من اللازم. ولو كان العكس لشعرنا بألم كلما حركنا تلك العضلات وذلك دليل على ان الفترة كانت اطول من اللازم

انني منذ ٣١ سنة وأنا أمارس الرياضة البدنية وقد اختبرت ذلك بعد أن مضى عليَّ ١٠ سنوات من التمرين العنيف. اذ كنت أتمرن كل يوم أو حسبما كانت تسمح لي الاحوال (وعندها كنت أرفع ٩٥ كيلو) فوجدت أنني مقبل على غلط فاضح يجرّ جسدي الى أمراض أنا في غنى عنها

ولاحظت أن الجسم اذا كان محصناً بحصون العضلات القوية فهو مثل دولة لها حصون منيعة تعتزّ بها فلا يدخلها العدو إلا بعد أن تمزق شمل عساكرهِ. هكذا صرت أبحث عن طريقة أمرّن بها جسدي ولا أنهكهُ في الوقت عينهِ. فتوصلت إلى أن أنتظر قابليتهُ حتى صرت أشعر بها. وأتمرّن كلما شعرت بقابليتهِ فحفظت قوتي مدة طويلة وبقيت أرفع ٩٥ كيلو من الكتف وصاعداً. وكان وزني ٦٧ كيلو وعمري لا يزيد عن ٢٥ سنة. فزت بذلك لقب بطل العالم للوزن الخفيف وأيضاً بطل البرازيل لكل الاوزان وذلك سنة ١٩٠٠ وبصفتي هاوياً من هواة اللعب. ولا تزال قوتي حتى الآن كما كانت عليهِ قبلاً أرفع هذا الوزن إذا شئت وهو أثقل أثقالي. وذلك يرجع فضله إلى التمرين على الطريقة التي شرحتها ففي بعض الاشهر أتمرن من ٤ مرّات إلى ١٠ مرّات في الشهر وبعض الاشهر أتمرّن كل يوم مرّة عند ما أشعر بقابلية وهذه الاشهر نادرة

وليس التمرين وحده يفي بالمرام . بل يجب ان تُلاحظ مسألة الاكل والاشغال والنوم لان لذلك أثراً عظيماً في الجسم وبكلمة اخرى يجب الاعتدال في كل شيء حتى ان طريقة تمريني تتبع كل هذه القوانين . وتحتوي على جميع حركات الجنستيك. واذا تمرنتُ مرّنتُ جميع اعضاء جسمي حتى ورؤوس اصابع رجليّ . اذ الجسم يجب ان يكون ليّناً مرناً لكي تكون قوتهُ كافية . لهذا تعوّد اللين ورشاقة الحركات لتجعل عضلاتك سهلة القياد تستعملها كما تشاء بسهولة . وقد تكون ايها القارىء الكريم من الرجال الاقوياء الذين وهبتهم الطبيعة قوة طبيعية فلا تقلْ اني قويٌّ بدون كل هذا التمرين . وعليهِ اجيبك بان المشي والوقوف والاكل كلها تمرين . وعدم التمرين هو النوم او الاستلقاء على الفراش . فلهذا كل انسان يتمرّن يوميًّا بدون ان يشعر . والطبيعة وهبتك قوة اهملتها لكنها لا تزال معك اذا استعملتها ووافقت على التمرين النظامي تجددت وحزت قوة عظيمة اذا لم تكن هرقلية

والتمرين النظامي يطرد الفضلات التي تفرَز من الاعضاء بعد الرياضة البدنية الاعتيادية كالمشي الخ . الاَّ ان هذه الرياضة اليومية غير كافية لطردها لذلك يجب أن تحرّك جميع أعضاء جسمك لتطردها خارجاً وجسمك نفسه يشعرك بلزوم طردها إذا تعودت ذلك . وربَّ سائل يقول لمَ لا يكون التمرين منتظماً كالأكل مثلاً مرة كلَّ يوم او مرة كل ثلاثة ايام أو ما شابه. اجبنا ان النوم ومدتهوالاكل ونوعهُ والمشي ومسافتهُ والشغل الخ اعمال ليست منتظمة ولا هي تجري على ما نريدهُ . حتى حالة الجوّ ليست منتظمة ولا تكون حرارة كل يوم كحرارة اليوم السابق . وهذا أهمّ داع إلى تكييف الجسم حسب تكييف الاحوال وأخصها اشغال الفكر ولا من شيء نظامي في معيشة الانسان لكي يكون التمرين منتظماً

سان بولو حنا يافث

[المقتطف] المشهور ان الرياضةالبدنية لازمة للجسم . لذلك ترى المدارس قد افسحت مجالاً في برامجها للرياضة البدنية سواء كانت من انواع الجري والقفز ورمي الحديد او من العاب الكرة على اختلافها ككرة القدم (الفوتبول) وكرة السلة (الباسكتبول) والهُكي والكركيت والبايسبول وما اليها من انواع الرياضة والسباحة . والزمت كل تلميذ من تلاميذها ان يروّض جسمهُ ساعات معينة كل اسبوع . ولا شكَّ ان الجسم يحتاج إلى الرياضة لانها تقوّي العضلات والمفاصل وتحفظ الدورة الدموية

في حالة صحية وتهيء الاجهزة المختلفة لافراز الفضلات إما عرقاً او بولاً او مع زفير الرئتين ولكنها ان تعدت الحد المعقول اضعفت الجسم بدلاً من ان تقويّه فهي بذلك ابلغ مثل على ان الاعتدال خير شعار يسير عليه الناس في اقوالهم وافعالهم

فنحن اذاً نوافق حضرة الكاتب على ان الرياضة البدنية يجب ان تمرّن الجسد من غير ان تنهكهُ . فقد عُرف كثيرون من أبطال الالعاب الرياضية الذين أنهكوا أجسامهم بالتمرين فأصيبوا بتضخم في القلب او بضعف في الرئتين او بضعف عام أقعدهم عن العمل وانتهى بموتهم في شرخ الشباب . فالرياضة البدنية لازمة للجسم ولكنها يجب الاّ تتعدى حد الاعتدال . وبعض الناس يحسب انهُ اذا لم تُتِح لهم اعمالهم وقتاً للرياضة البدنية كلّ يوم جربوا ان يعوضوا ذلك النقص باجهاد نفوسهم يوم الاجازة الاسبوعية ومنهم من يحسب انهُ اذا لم يتمكن من المشي ميلين كل يوم عوّض ذلك يوم السبت مثلاً بمشيه ١٥ ميلاً . وهذا خطأ كبير لان فائدة الرياضة لا تقوم على مقدارها بل على انتظامها بقدر الامكان

لذلك نرى نفسنا مسوقين الى التساؤل عن فائدة الخطة التي يشير بها حضرة الكاتب. فالانتظام في عالم الرياضة لا يعني انتظاماً رياضيًّا في دقته فقد تمرّن قليلاً حين تشعر بتوعّك في مزاجك وتمرن أكثر من ذلك حين تحسّ بالنشاط . ولكنك في الاول لا تنقطع عن الرياضة انقطاعاً باتًّا وفي الثانية لا تتعدى حدَّ الاعتدال . فالانسان يجنح الى الكسل في مسألة الرياضة اذا لم يكن مولعاً بلعبة من الالعاب او اذا لم يضع لنفسه قانوناً يجري عليه . فاذا انقضى شهر لم يتمرّن في خلاله لانهُ لم يشعر بقابلية لذلك خيف حينئذٍ ان يكسل بعد الشهر او ان يتعود عادة جديدة تملك عليه لبّه ويمارسها في ساعات الرياضة فتحلّ محلها . فما رأي الاطباء في ذلك ؟

مقام اللبن بين الاطعمة

في كل رطل من اللبن العادي ٣١٤ وحدة من وحدات الحرارة. فهو بذلك مساوٍ لنصف رطل من لحم البقر . او لاربع بيضات ونصف بيضة من بيض الدجاج الكبير . والبروتيين الذي فيه عظيم القيمة في التغذية فان ٩٧ الى ٩٨ في المائة منهُ يهضم ويمتصّ ولهُ مزية على البروتيين الذي في الاطعمة الاخرى ومزيتهُ انهُ خالٍ من المواد التي تولد الحامض اليوريك في الجسم وليس عرضة للفساد السريع في الامعاء

ماء الشعير – شراب منعش

ماء الشعير شراب منعش مغذٍّ يصنع صافياً بأن تضع ملعقة كبيرة من الشعير المقشور في اناء وتصب عليهِ ماء بارداً حتى يغمره وتضع الاناء على النار حتى يغلي خمس دقائق ثم تسكب الماء وتضع الشعير في اناء من الزجاج او الصيني وتضع معهُ القشر الدقيق من نصف ليمونة حامضة وفنجاناً من السكر وتصب عليهِ رطلاً من الماء الغالي وتغطيهِ وتتركهُ حتى يبرد ثم تزل الماء وتضيف اليهِ قليلاً من عصير الليمون فيكون شراباً منعشاً

غسل الريش

اذا قدم ريش الفراش والمخدات واردت غسلهُ وتجديدهُ نخيط كيساً كبيراً واتركهُ مفتوحاً من احد جوانبهِ وافتق جانباً من الفراش او المخدة وخيطهُ بالجانب المفتوح من الكيس وانقل الريش الى الكيس ثم خطهُ واغسلهُ والريش فيهِ في ماء اذيب فيهِ كثير من الصابون واعد غسلهُ ثانية ثم اغسلهُ في ماء نقي لا صابون فيهِ ولا تعصرهُ عصراً بل علقهُ حتى يتصفى الماء منهُ وضعهُ على العشب في الشمس وهزهُ مراراً ومتى نشف الريش تماماً اضرب الكيس بعصا حتى ينتفش فينظف ويصير كالريش الجديد

الغبار وازالته

من مزايا هذا القطر كثرة الغبار في هوائهِ وتراكمهُ على كل السطوح المكشوفة للهواءِ فاذا مسحت مرآةً من الغبار ونظفتها جيداً ثم تركتها ساعة من الزمان وجدت سطحها قد تغطى بطبقة جديدة منهُ . وقس على ذلك الموائد والستائر والحصر والبسط وما أشبه . وفي الغبار دقائق ترابية ونباتية وحيوانية كما يعلم من فحصهِ بالمكرسكوب وهي سبب كبير للوسخ وانتقال الامراض فلا بدَّ لربَّة البيت من أن تتعهد كل أثاثهِ بالكنس والنفض يوماً بعد يوم . الاَّ ان جانباً كبيراً من دقائق الغبار يثور في الهواء بالكنس ولا يزول من الغرف الا اذا نثر على أرضها وعلى ما فيها من البسط شيء من اوراق النبات او من نشارة الخشب المبلولة بالماءِ حتى تلصق بها دقائق الغبار قبل كنسها فلا تثور في الهواءِ

كتاب « فوائد منزلية »

نقلنا ما نشرناهُ بعنوان فوائد منزلية في بابي تدبير المنزل في عددي اكتوبر ونوفمبر عن كتاب بهذا العنوان لامين افندي الغريب صاحب مجلة الحارس البيروتية فاقتضى التنبيه

مكتبة المقتطف

نظم العقيان

في أعيان الأعيان للسيوطي المتوفّى سنة ٩١١ هـ — سنة ١٥٠٥ م

ظهر هذا الكتاب حديثاً مطبوعاً أول طبعة بالمطبعة السورية الأمريكية في نيويورك سنة ١٩٢٧ م بتحرير العلامة السوري الأمريكي الأستاذ فيليب حتّي وهو يتضمن تراجم مشهوري القرن التاسع الهجري في مصر والشام والحجاز والعراق والأندلس وسائر العالم الإسلامي وهم زهاء المائتين وأكثرهم ممن كانوا في عصر المؤلف السيوطي من قضاة ومقرئين ومحدثين وفلكيين وشعراء وساسة وسلاطين إلى غيرهم وبعض هؤلاء الاعيان لا تجد أثراً لسيرهم في غير هذا الكتاب. وحُمادى القول أنّ نظم العقيان يصوّر لنا الحالة العلمية والأدبية والاجتماعية في عصر المماليك الشراكسة بمصر خاصة وبغيرها عامّة وهو عصر جمع واختصار وإبهام وتفسير لا عصر وضع واستنباط. وصفحات الكتاب مائتا صفحة ومقياس حرفه ١٨ ومقياس حروف عناوينه ٢٤ ومقياس حروف حواشيه ١٢ من البوصة المقسمة أقساماً متساوية قدرها ٧٢ قسماً . وورقهُ متوسط من قلبين في اصطلاح الطبّاعين والورّاقين. وقد نضّدت حروفه بآلة تنضيد الحروف (Linotype) .

وفي رأس الكتاب وذيله فهرسان هما من وضع الأستاذ حتّي فالفهرس الأول يتضمن التراجم حسب الشهرة وَفق ترتيب الحروف الهجائية مع بيان رقم الصفحة أمام اسم كل مترجم من أولاء الأعيان . والفهرس الثاني يتضمن أسماء المصنفات الوارد ذكرها في الكتاب مرتبة وفق ترتيب الحروف الهجائية أيضاً مع بيان أسماء المصنفين وعدد الصفحة أمام كلّ . وغير خاف علينا ما لاقى واضع هذين الفهرسين من المتاعب الجمة (لتسهيل المراجعة والأخذ) لولا يد الصبر الجميل .

وقد أعارتني إدارة المقتطف نسختها المهداة إليها لأنها عهدت إليّ أن أبدي رأيي على صفحات المقتطف حيال هذا الكتاب الفذّ وعمل محرره الأستاذ العلم فيليب حتّي فقرأت أكثره في ليلتين فعنّت لي الملاحظات الآتية :

(١) قد أوجز الإمام السيوطيّ في أكثر التراجم بما لا يزيد على سطر مثل ترجمة الشريف محمد بن بركات والي مكة (انظر الصفحة ١٤٤) أو أربعة أسطر (انظر ترجمة البلقيني في الصفحة ١١٩) وأسهب في القليل منها (انظر ترجمة الشهاب الحجازي أحمد من الصفحة ٦٣ إلى الصفحة ٧٧) فتراه قد قتّر أكثر مما أسرف في غير ما يقتضيه المقام.

(٢) عناية الأستاذ حِتّي بضبط الرواية لانه عثر على ثلاث نسخ مخطوطة من هذا الكتاب واحدة في بيروت وأصلها في القاهرة أعاره إياه أحمد تيمور باشا من دار كتبه وثالثة في ليدن إحدى مدائن هولاندة وقد وصلت إليه صورتها الشمسية. والنسخة المصرية التيمورية أصح من النسختين الأخريين لأنها أقل غلطاً منهما كما تجلّى ذلك لمحرر الكتاب (مصححه) والقائم على نشره بعد طبعه حضرة الأستاذ حِتّي إذ قال (المخطوطة التيمورية لا أخت لها في بلدان المشرق على ما نعلم) فاعتمد حضرته النسخة التيمورية وجعلها أساساً لهذا الكتاب ونص في الحاشية على ما يخالفها من ألفاظ أو أساليب من نسخة ليدن ولم يعوّل على النسخة البيروتية لأنها منقولة من النسخة التيمورية بغير دقة تامة وهذا عمل جليل شاق وأجلّ منه وأشقّ ما قام به من إصلاح الأغاليط التي وقع فيها الناسخون للنسخ الثلاث حتى زلّت اقلامهم في طائفة من آيات القرآن الكريم فحرّفتها وأومأ إلى ذلك كله الاستاذ حِتّي في الحواشي بعد الإصلاح مع ذكر مصدره إن كان له مصدر (انظر الى الصفحتين الثانية والسادسة من الكتاب) ذلك إلى ما في المخطوطتين التيمورية والليدنيّة من الكلمات والجمل الساقطة التي بقي مكانها بياضاً كما روى العلامة حِتّي.

(٣) إن علامات الفصل والوصل ووضع عناوين للتراجم وضبط الأعلام بالحركات عمل حسن للمحرر أيضاً يقابل من القراء بعظيم الحمد وجزيل الشكر لانه يساعدهم على التفهّم ويجنّبهم الخطأ ويريحهم من عناء مراجعة المعاجم وغيرها في الاعمّ الاغلب. أما قولي إن ما تقدم من عمل الأستاذ حِتّي فدليلي عليه ما قاله حضرته في مقدمته بالصفحتين ط و ظ كما نقل لنا نموذجين بآلة التصوير الشمسي أحدهما من مخطوطة تيمور باشا وكاتبها إبراهيم بن سليمان الجينيني سنة ١٠٩٧ هـ والآخر من مخطوطة ليدن وهي مخرومة وكاتبها أحمد بن أحمد بن حسن الرديني الحسني سنة ٩٧٤ هـ ولهذين النموذجين من الأثر التاريخي ما لهما وحبذا الحال لو حذا حذوه من يطبع الكتب المخطوطة وبخاصة ما كانت بخطوط مؤلفيها المتقدمين والمتأخرين.

(٤) ظهرت لي أغلاط عروضيّة ولغويّة ونحويّة وصرفيّة وإملائيّة وغيرها في الكتاب وفي مقدمة محرّره الأستاذ حتّى فارى ضرورة الإشارة إلى أمثلة منها خدمة لقرّاء الكتاب ووفاء بحقوق اللغة العربية ليلاحظها العلماء والأدباء فيعملوا على اجتنابها وما أكثرها إذاعة بالسنة النابهين وأقلامهم على صفحات الكتب والصحف والمجلاّت المصريّة وهاكم أمثلة من كل نوع بإيجاز.

(١) الأغلاط العَرُوضية

في الصفحة ش: البيت الآتي للسيوطي من أرجوزته المسماة تحفة المهتدين باسماء المجتهدين

وقد رجوت أنّني المجددُ فيها ففضل الله ليس يجحدُ

والصواب أنّني بدل أنّني أو أنه يحرك ياء المتكلم من أنّني بالفتحة . وقلّ من يفطن لها من القرّاء لأنه من الرجز وكما في الصفحة ١٤ البيت الآتي وهو للباعوني

أتى عليّ تسعون بلا شكّ ولا ريبِ

والصواب ما ذكرته مخطوطة ليدن (أتى لي الآن تسعونا) مع زيادة ألف على تسعون ليستقيم الوزن لأن البيت من الهزَج أو مجزوء الوافر . والبيت الذي يليه مكسور وإصلاحه يحتاج الى مراجعة في مصدر آخر أما الاصلاح بتغيير بعض كلماته بغيرها تتفق هي والوزن مع المحافظة على المعنى ذاته فغير جائز في ملتي واعتقادي لأن هذا العمل ضدّ الأمانة في الرواية ومأخذي على محرّر الكتاب في هذا ونحوه أنه ذكره ولم يشر إلى أنه غير متّزن في الحاشية . والأبيات التي تليه وهي الرابع والخامس والسادس مدوّرة فوضعها كما جاءت في الكتاب خطأ في اصطلاح علماء العروض وصوابها أن تكتب هكذا

ذكرت شبابيَ الماضيـــــيَ لمّا صرت ذا شيب
فيا ألله جد بالسّتـ ـرِ لي يا ساتر العيب
وبالعفو الذي أرجو ه يا ذا الجود والسيْب

بجعل الياء الأولى آخر الشطر الأول والياء الثانية أول الشطر الثاني من كلمة الماضيّ وبجعل التاء من كلمة الستر آخر الشطر الأول والراء أول الشطر الثاني وبجعل الهاء في أرجوه أول الشطر الثاني وإذا كتب كل كلمة من هذه الكلمات في الشطر الأول بلا تجزئة كما يفعل كثير من أبناء العصر فليجعل في الفضاء بين الشطرين من كل بيت من

الأبيات المتقدمة وما شاكلها الحرف م إشارة إلى أن البيت مدوّر (موصول) ليفطن له القارئ إذا كان يعرف هذا الاصطلاح واتباع الرأى الأول أولى . ومثل هـذا الكلام يقال فى الأبيات المدوّرة الآتية بالصفحتين ١٩ ، ٩٨ على اللف والنشر المرتب وهى كما فى الكتاب

يا عين فابكى للوليد بن الوليد بن المغيرة (صفحة ١٩)

فيكون آخر الشطر الاول الياء من لفظة الوليد الأولى وهذا هو الصواب لأنه من مجزوء الكامل المرفّل .

وتأسيتمُ ختاناً بابراهيم لكن هذا الختان بموسى

كان قطعا وزال والحمد لله ومنه يعوّضان العروسا

والصواب أن يكتب (إبرا) فى الشطر الاول و(هيم) في الشطر الثانى من البيت الأول وأن تكون الهاء من الله أول الشطر الثانى من البيت الثانى لأن البيتين من الخفيف . فيكتبان هكذا

وتأسّيتمُ ختانا بإبرا هيم لكنْ هذا الختان بموسى

كان قطعاً وزال والحمد للّـــــهِ ومنهُ يعوّضان العرُوسا

وفي الصفحة ٦٤ البيت الآتى وهو للشهاب الحجازى جعله لسان حال الخصر

انظر الى الردف تستغن بهوأنا مثل المعيدىّ فاسمع بى ولا ترنى

والصواب تستغنى بياء فى آخر المضارع لأن البيت من البسيط وربما سرى الى ذهن الناسخ أو الطابع أن الياء يجب أن تحذف من تستغنى لانه مجزوم فى جواب الأمر وهذا وهم فإن المضارع يقع مجزوماً فى جواب الأمر جوازاً لا وجوباً فسيان عند علماء النحو حذف لام هذا الناقص وإبقاؤها إلى غير ذلك من الأبيات المكسورة المبعثرة فى الكتاب .

(ب) الأغلاط اللغوية

الوحيدة وقد ذكرت مرتين بالصفحة ت وصوابها وحدة بفتح الواو وكسر الحاء

وفى هذه الصفحة أيضاً (فى كاتالوك مكتبة ليدن) والصواب فى فهرس دار كتب ليدن

وفى الصفحة ث ولقد كلفنا الأستاذ سنوك هرغرينه بنقل المخطوطة هذه لنا بالفوتوغراف

والصواب أن يقال كلّفنا الأستاذ فلاناً نقل المخطوطة هذه لنا بآلة التصوير الشمسىّ ولا تثريب إذا قدم اسم الإشارة على المخطوطة فكلّف يتعدى بنفسه ولا يتعدى بحرف الجر.

وفى الصفحة خ مواضيع جمع موضوع والصواب موضوعات لأن مفرده خماسى لم يسمع له جمع تكسير وما فى المعاجم اللغوية مثل ملاعين ومشائم وميامين جمع ملعون ومشئوم وميمون فمقصور على السماع ولا يقاس عليه. وفى الصفحة ض لفظة يستنتج وهو خطأ لأن صيغة استفعل ليست قياسية فورود نتج فى اللغة وأنتج لا يقتضى صحة استنتج والصواب يستنبط بدل يستنتج وما أدرى من أين نقل صاحب المنجد استنتج وكذلك يستلفت التي في الصفحة ط والصواب يلفت أو يوجّه

وفى الصفحة خ ويمكن اعتبار كتاباته السيكلو بيدية فى موضوعاتها ودائرة اتساعها مجسّم العلوم والصواب أن يغير السيكلو بيديا بترجمتها المشهورة دائرة معارف أو مجموعة معارف فيقول ويمكن اعتبار كتاباته دائرة معارف فى موضوعاتها ولا لزوم لقوله (ودائرة اتساعها مجسم العلوم) وفى الصفحة خ أنموذج والمشهور فى المعاجم نموذج . بحذف الهمزة. وفى الصفحة س وتطوّرها فى رأس السيوطى خطأ لأن العرب لم تشتق من الطور تطوّر والصواب أن يقال وانتقالها من طور إلى طور وفى الصفحة ظ وزيادة عن التنويه والصواب وزيادة على التنويه وفى الصفحة ١٧٥ أحد المشاهير جمع مشهور لأنه لم يسمع عن العرب وليس يقاس على ملاعين ومشائم إذ هو مقصور على السماع والصواب جمعه جمع مذكر سالماً وقد رأيته فى كلام الشنقيطى مجموعاً على مشاهير فى رحلته الشنقيطية وليس قوله حجة لأنه كان فى هذا العصر بمصر وإن كان حجة فى النقل عن المعاجم ودواوين الشعراء وكتب الأنساب .

(ج) الأغلاط النحويّة والصرفيّة

الأصوليّ فى الصفحة العاشرة خطأ والصواب الأصليّ لأنك تنسب للواحد إذا أردت النسب إلى الجمع ، وفى الصفحة ٦٤ وقال فى مليحة لابسة ثوب خمرى والصواب لابسة ثوباً خمرياً وفى الصفحة الرابعة وهم ذوو القربى المذكورين والصواب المذكورون ولا ينبغى أن نلجأ إلى أنه نعت مقطوع والتقدير أعنى المذكورين فالقرّاء فى غنية عن هذا التأويل وإن صحّ تخريجه. أما الألقاب المذكورة فى الكتاب التى لا تتفق هى وقواعد النسب فالواجب ذكرها مثل ما فعل المؤلف والناشر كما هيه — لأن واضعيها أطلقوها على هؤلاء الأعيان فاشتهروا بها وما زلنا نقول الجيزاوى نسبة إلى الجيزة والصواب جيزىّ ونذكر المرحوم الشيخ أبا الفضل الجيزاوى بالصحف السيارة

(د) الأغلاط الإملائيّة

ما أكثر هذه الأغلاط على أنها من أوليّات فن رسم الحروف مثل ياابن (بالصفحتين ٨، ١٦٩) والصواب أن تكتب هكذا يابن وألف ابن تكتب فى أول السطر ولو كانت بين علمين مثل بن أبى بكر السيوطى فى أول سطر من صفحة عنوان الكتاب والصواب أن تكتب ابن أبى بكر وكذلك سقطت ألف ابن من أوائل السطور فى ابن المغيرة وابن الوليد بالصفحة ١٧ وزيدت على هشام بن الوليد فى أثناء سطرها بالصفحة عينها وحذفت ألف ابن من الحافظ ابن حجر والواجب إثباتها لأن الحافظ لقب وليس بعلم ومثل ياأيها فى الصفحة ٣٨ والصواب أن تكتب هكذا يأيها ومثل فهاأنا بالصفحة ٦٦ والصواب فهأنذا فهنا غلط إملائىّ ونحوىّ لان ها التنبيه إذا دخلت على الضمير وجب أن يؤتى بعد الضمير باسم إشارة مطابق له ويجب حذف ألف ها التنبيه وألف أنا فتكتب كما ترى (فهأنذا) وفى الصفحة ١١٦ الأولى باثبات الواو والصواب حذفها لأن الألى اسم موصول بمعنى الذين وفى الصفحتين ١٤٤، ١٤٥ (ختى م . فعلى م) والصواب كتابتها هكذا ختام . فعلام ، وفى الصفحة ١٥٦ دنى بالياء والصواب ان يكتب دنا بالالف لأنه من الدنوّ أى القرب ودنَى صار ضعيفاً ساقطاً لايناسب السياق

(هـ) أغلاط مضحكة أو خرافات

قال السيوطى فى الصفحة ٢٧ المعروف بالناجى لكونه تمذهب شافعياً بعد أن كان حنبليًّا وهذا هوى مذهبي ممقوت مضحك لأن الإمامين أحمد بن حنبل والشافعى على حق وهما ومن تبعهما من العامة فى نجاة من النار بالأعمال الصالحة . وفى الصفحة ١٦٣ قال البقاعى فى معجمه حدّثنى الخ أن أباهنورالدين لمّا ورد إلى الروضة الشريفة وقال (السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته) سمع من كان بحضرته قائلاً من القبر يقول وعليك السلام يا ولدى ! وفى الصفحة ١٧٤ قال البقاعى فى معجمه أخبرنى أنه رأى وهو صبىّ فى يوم ذى غيم رجلاً يمشى فى الغمام لا يشك فى ذلك ولا يمارى !! . وكنت أربأ بالسيوطى وهو إمام عصره فى المعقول والمنقول وقد ضرب بسهم فى الحكمة والفلسفة عن أن يكتب هذه الخرافات وسياق الكلام يدلنا على أنه كتبها وهو يعتقد أنها حق ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ؟

عبد الرحيم محمود
المدرس فى السعيدية الثانوية بالجيزة

اجتمع في مكتبة المقتطف طائفة من المطبوعات الجديدة تعذّر علينا ان تنظر فيها في هذا الجزء نظراً يتفق مع مقام مؤلفيها وخطورة مباحثها فارجأناذلك الى الاجزاء التالية واليك عناوينها واسماء مؤلفيها وناشريها

مطبوعات جديدة

١ : تاريخ الادب العربي . بقلم احمد حسن الزيات مدير التعليم العربي بجامعة القاهرة الاميركية . صفحاته ٤٠٣ طبع بمطبعة الاعتماد بمصر

٢ : العظماء : وهو كتاب بلوطرخس الطائر الصيت . ترجمة ميخائيل بشاره داود . طبع بدار المصور بمصر . صفحاته ٣١٤

٣ : العقائد . تأليف عمر عنايت . طبع بمطبعة المصور بمصر . صفحاته ١٧٢ قطع صغير

٤ : اغاني الدرويش . نظم رشيد ايوب . طبع بالمطبعة السورية الاميركية بنيويورك

٥ : امراض الجلد . تأليف الدكتور محمد كامل براده . طبع بمطبعة دار الكتب المصرية . صفحاته ٢٤٠

٦ : تدرج المذاهب في التربية . مذهب سبنسر للدكتور عبد الكريم احمد السكري صفحاته ٢١٠

٧ : تاريخ المؤامرات السياسية . تأليف محمد عبدالله عنان . نشرته مجلة الهلال ووزعته هدية الى مشتركيها . صفحاته ٢٧٨ قطع صغير

٨ : علم ادب النفس . تأليف نقولا الحداد وقد وزعته مجلة السيدات والرجال هدية الى مشتركيها . صفحاته ٢٩٠

٩ : الحوماني : ديوانا شعر الاول صفحاته ٢٠٨ والثاني ٢٢٤ قطع صغير . طبع بمطبعة العرفان بصيدا

١٠ : كتاب الاغاني . الجزء الثاني طبع بمطبعة دار الكتب المصرية . صفحاته ٥٢٠

١١ : اختلال التوازن العالمي : تأليف الدكتور غوستاف لوبون وترجمة الدكتور صلاح الدين مرصفي . نشرته مكتبة العرب لصاحبها الشيخ يوسف توما البستاني صفحاته ٤٤٠ قطع صغير

١٢ : جدول الامراض تأليف الدكتور فؤاد غصن وهو يحتوي على اسمائها بالعربية والافرنجية

١٣ : الحياة البسيطة : تأليف شارل واغنر وترجمة الارشمندريت انطونيوس بشير . نشرته مكتبة العرب صفحاته ٢٥٦

١٤ : رباعيات الخيام : ترجمها عن الفارسية نثراً ونظماً جميل صدقي الزهاوي وطبعت بمطبعة الفرات ببغداد صفحاتها ٧٢

١٥ : ذكرى امين الرافعي بقلم محمد صادق عنبر . طبع بمطبعة النهضة بمصر . صفحاته ٧٠٩

١٦ : اصل الانواع : الجزء الاول منه . ترجمة اسماعيل بك مظهر صاحب مجلة المصور وقد طبع بمطبعتها

١٧ : Art in Oriental Rugs-by De Mitry Georges Saad.

١٨ : New Arabian Nights, by H. Katibah. Scribenrs N. Y.

١٩ : Jesus the Son of Man Kahlil Jibran : Knopf N. Y.

مطبوعات اخرى

١ : انشودة الحب : للكاتب الروسي ترجنيف ترجمة سليم قبعين صاحب مجلة الاخاء بمصر صفحاتها ٩٦

٢ : التقرير الرسمي المرفوع الى عصبة الامم عن احوال الادارة العراقية سنة ١٩٢٦ ترجمة عطاعوم محرر في جريدة العالم العربي بالعراق . صفحاته ١٨٩

٣ : نهضة الحسين تأليف هبة الدين الحسيني طبع بمطبعة السلام ببغداد صفحاته ١١٦

٤ : علم صناعة الحديد وضعه يوسف العارف استاذ علوم في الهندسة الميكانيكية وعثمان عبدالله دبلوم مدرسة الفنون والصنائع الملكية . طبع بالمطبعة المصرية بمصر .

٥ : اعظم حرب في التاريخ وكيف مرت حوادثها . تأليف الاستاذ جرجس الخوري المقدسي . منشئ مجلة المورد الصافي . طبع بالمطبعة العلمية صفحاته ١٢٨

٦ : دروس في الكنيسة الارثوذكسية وضعه بالانكليزية الارشمندريت انطونيوس بشير صاحب مجلة الخالدات بدترويت مشيغان

٧ : الطبيعة المصرية : وهي طبعة ثانية من هذا الكتاب تأليف احمد محمود خليل راشد وقد طبع بالمطبعة الرشادية بالاسكندرية

٨ : اليوبيل الفضي لجريدة الافكار ومنشئها الدكتور سعيد ابي جمرة . طبع بسان بولو وصفحاته ٩٩

٩ : خديجة ام المؤمنين تأليف السيد عبد الحميد الزهراوي طبع بمطبعة المنار بمصر .

١٠ : سبيل الرشاد — دين وتاريخ واخلاق — تأليف الاستاذ الشيخ محمد صالح بشاشه المدرس بالمعارف السودانية طبع بالمطبعة المصرية بالخرطوم . صفحاته ٩٤ قطع صغير

١١ : ما وراء خزان اصوان او بلاد النوبة تأليف ابرهيم مصطفى الوليلي معاون ادارة بمركز هيا بمديرية الشرقية . صفحاته ١١٤

١٢ : الرحلة العلمية لناظرات المدارس الاميرية الى اوربا في صيف ١٩٢٦ بقلم سنية عزمي ناظرة مدرسة المعلمات ببولاق صفحاته ١٠٠ قطع صغير

١٣ : مذكرات في التربية الوطنية . تأليف يوسف نجيب . طبع بمطبعة التوفيق بمصر صفحاته ٢١٦

١٤ : كتاب الاخلاق . تأليف علي عزت الانصاري ومحمد مجاهد ناظر مدرسة الفيوم الابتدائية الاميرية واحد مدرسيها وطبع بمطبعة مكتبة الهلال . صفحاته ١٢٥ قطع صغير

١٥ : العمال التونسيون وظهور الحركة النقابية تأليف الطاهر الحداد طبع بمطبعة العرب بتونس صفحاته ١٩١

١٦ : وسائل الوقاية في وادي النيل للدكتور فريدلوزي وقد طبع بالمطبعة المصرية الاهلية

١٧ : ما تراه العيون قصص مصرية لمحمد تيمور صفحاته ١٥٨

١٨ : اثارة الاذهان في ترجمة الشهيد الحمصي ايليا جمع شوارده الخوري عيسى اسعد طبع بمطبعة حمص صفحاته ٢٧٩

١٩ : الجديد في القراءة العربية لواضعه خليل السكاكيني طبع بمطبعة دار الايتام السورية بالقدس . صفحاته ٨٣

٢٠ : مرآة الاشياء تأليف علي فكري الامين الاول لدار الكتب المصرية . طبع بمطبعة الشباب بمصر . صفحاته ٦٤ قطع اللطائف المصورة

٢١ : الشرق مجلة ادبية سياسية نصف شهرية تصدر في سان بولو لصاحبها موسى كريم

٢٢ : التقرير الرابع باعمال المجمع العلمي العربي عنه سنة ١٩٢٥ و١٩٢٦ و١٩٢٧ طبع بمطبعة الترقي بدمشق . ويحتوي على صور طائفة كبيرة من اعضاء المجمع

٢٣ : الثمرات مقالات ادبية بقلم محمد بسيم بن ديب . طبع في دار الطباعة الحديثة صفحاته ٢٠٠ قطع صغير

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اول انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيه مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائله باسمه والقابه ومحل اقامته امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمه عند ادراج سؤاله فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمه (٣) اذا لم يدرج السؤال بعد شهرين من ارساله الينا فليكرره سائله وان لم ندرجه بعد شهر آخر نكون قد اهملناه لسبب كاف

(١) السنة النورية

شطرة المنتفك . عراق . لقد قرأت في مقتطف يوليو سنة ١٩٢٨ مقالة تحت عنوان الهجرة جاء فيها ذكر السنة النورية فما هي السنة النورية وكم عدد ايامها

ج . السنة النورية اصطلاح اتفق عليه العلماء للدلالة على المسافة التي يجتازها النور في سنة شمسية . ولا يخفى عليكم ان النور يجتاز نحو ١٨٦٠٠٠ ميل في الثانية

و ١١١٦٠٠٠٠ ميل في الدقيقة

و ٦٦٩٦٠٠٠٠٠ ميل في الساعة

و ١٦٠٧٠٤٠٠٠٠٠ ميل في اليوم

و ٥٩٨٥٣٤٤٠٠٠٠٠٠ ميل في السنة .

ولما كانت اقرب النجوم الثوابت الينا تبعد عنا نحو اربعة اضعاف ما يجتازهُ النور في سنةٍ من الزمان استقرّ قرار العلماء على ان يجعلوا المسافة التي يجتازها النور في سنةٍ وحدة لقياس الابعاد التي بين الكواكب وهذه هي السنة النورية

(٢) طول السكك الحديدية

ومنهُ . ما هو طول السكك الحديدية في القارات الخمس . وفي كل قارة على حدة

ج . لم نتمكن من ان نقف على احصاء جديد بمجمل لخطوط السكك الحديدية في مختلف القارات مع اننا راجعنا أجزاء دائرة المعارف البريطانية الجديدة وكتاب السياسي السنوي لسنة ١٩٢٦ . ولكن عثرنا في الطبعة الحادية عشرة من دائرة المعارف البريطانية على احصاء يفي بطلبكم الاَّ انهُ يرجع الى سنة ١٩٠٧ واليكم البيان

القارة	طول السكك الحديدية بالاميال
اوربا	١٩٩٣٧١
اميركا	٣٠٩٩٧٤
اسيا	٥٦١٨١
افريقيا	١٨٥١٦
استراليا	١٧٧٦٦
المجموع	٦٠١٦٠٨

وفي الاجزاء التي صدرت بعد الحرب من دائرة المعارف عالج الكتّاب تقدُّم السكك الحديدية من جميع وجوهها من غير ان يشيروا الى الخطوط التي مدَّت بعد صدور الطبعة الحادية عشرة . ومتى عثرنا على احصاء حديث يفي بطلبكم ننشرهُ

(٣) معنى لفظة بروفسور

ومنهُ . ما معنى كلمة « بروفسور » وما هو مدلولها وماذا يقابلها بالعربية

ج . اصل الكلمة من فعل «Profess» ومعناهُ « اعلن » او « صرّح » واللفظة « بروفسور » لها معانٍ كثيرة منها « من يصرح على رؤوس الاشهاد بمعتقدهِ وارائهِ » ومنها « من يحترف تعليم الفنون او العلوم او اي فرع من فروع المعارف » وهذا هو مطلوبكم على ما نرجح

ففي جامعات الغرب مناصب او « كراسي » كما تُدْعى بالانكليزية كلٌّ منها خاص بتدريس فرع من فروع العلم فللفلسفة « كرسي » وللتاريخ « كرسي » وهكذا . والمدرّس — سواء كان رجلاً او امرأة — الذي يملأُ هذا الكرسي يطلق عليهِ لقب « بروفسور » . وقد اصطلح كتّاب العربية على جعل لفظة « استاذ » ترجمة « بروفسور » وجرينا نحن عليها . ولكن يظهر ان هذه اللفظة صارت تطلق الآن على كلّ كاتب واديب في مصر خرجت عن معناها الفني الاصلي . لان الغربيين لا يطلقون لقب «بروفسور» على رجل مهما علا كعبهُ في علم من العلوم الاّ اذا كان يشغل منصباً معيناً في جامعة او كلية

(٤) تمثال الحرية

ومنهُ . لماذا مثّل تمثال الحرية المنصوب عند مدخل خليج نيويورك وعليهِ مسحة البطولة وخشونة الرجل في حين انهُ يرمز الى الحرية مثال اللين والرقة

ج . لا نعلم اين اطلعتم على ان تمثال الحرية المذكور عليهِ مسحة من البطولة وخشونة الرجل . فقد شاهدناهُ منذ اربع سنوات فوصفناهُ علي اثر مشاهدتهِ بما يلي « . . . يمثل الحرية في مثال امرأة تبسط ذراعي والدة ترحب بابنائها — ترحب بهم في النهار بيسمتها اللطيفة ونظرها الوقور . وفي الليل تحمل في يمناها المرتفعة مشعالاً ينير سبيلهم الى بلاد الحرية » ثم قلنا « . . . وكأنها بما عليها من مسحة وقارٍ وجلال تحذر الذين يعبثون بحرية غيرهم من الناس وتقول ان في البلاد التي احرسها قوة تضرب على ايدي العابثين » واشرنا اليها في مكان آخر بقولنا « ما ابهى فتاة الحرية . . الخ »

(٥) الطيران الى القمر

صافيتا سوريا . قرأت في الصحيفة ٧١٢ من المجلد ١٣ من العرفان ان الاستاذ هرمان اوبرث والدكتور فرانز هوف باشرا

ا بتناء سهم عظيم مجهز بجميع لوازم الطيران والسفر المتناهي في السرعة حتى يقطع سبعة اميال في الثانية وعلى هذا المعدل يمكنهُ ان يبلغ القمر في خلال يومين ووزنهُ خمسة اطنان فهل توفقا الى معرفة كيفية استقرار هذا السهم في القمر واذا لم يكن قد حصل لهما ذلك فهل في الامكان الوصول الى القمر بهذا الواسطة

ج . راجعوا مقالتنا المدرجة في مقتطف نوفمبر الماضي تحت عنوان «الطيران الى النجوم » تجدوا فيها خلاصة طيبة لما عرف في هذا الموضوع

(٦) روح الانسان وقت النوم

ومنهُ . اين تكون روح النائم حال نومهِ . وقد يحلم ويتكلم مسمعاً كلامهُ واحياناً لا يسمع . فما تعليل ذلك

ج . اذا قصدتم بالروح الحياة فالحياة مستقرة في كل خلية من خلايا الجسم في حالي اليقظة والنوم . فاذا تركت الجسد حلَّ بهِ الموت كما ترون ذلك مفصلاً في مقالة «العلم امام سرّ الحياة » في هذا الجزء . اما الشق الثاني من سؤالكم فتعليلهُ ما يلي : النوم هو انقطاع الدماغ عن العمل انقطاعاً مؤقتاً والحلم سببهُ يقظة أحد هذه المراكز من غير ان يستيقظ النائم . فمركز البصر في الدماغ يكون ساعة السبات منقطعاً عن العمل فلا يرى النائم شيئاً . والحلم الذي تتألف أجزاؤهُ من أمور رآها الحالم سببهُ تنبهُ مركز البصر في الدماغ بعض التنبّه . وما يصدق على مركز البصر يصدق على مراكز الدماغ الاخرى — السمع والشم والذوق واللمس وغيرها

ولما كان الجهاز العصبي متصل الاجزاء بفروع الاعصاب الدقيقة المنتشرة في كل أعضاء الجسم ولما كانت مراكزهُ العليا محصورة في الدماغ فمن السهل ان تصل بعض الافعال العصبية من مركز متنبه في أثناء النوم الى مركز النطق فتتحرك أعضاؤهُ فيتكلم النائم في نومهِ وقد تتصل بالمركز الذي يسيطر على أعضاء المشي فينهض من سريرهِ ويمشي وهو ما يعرف بجولان النائم . فاذا كان الفعل العصبي المتصل بمركز النطق قويًّا ولبث برهة كان كلام النائم عالياً مسموعاً . واذا كان ضعيفاً كان الكلام خافتاً وقد يكون غير مسموع على الاطلاق

(٧) تحول القوى الطبيعية

البصرة . المعلوم ان القوى الطبيعية تتبدل بعضها الى بعض الاَّ النور . فما هو سبب ذلك

ج . والنور يتحول ايضاً الى قوة كهربائية مغناطيسية اذا وقع على بطرية خاصة بذلك . وهذا التحوُّل جعل التلفزة (الرؤية عن بعد) والصور المتحركة الناطقة (راجع ص ٣٦٢ هذا الجزء) في حيّز الامكان

(٨) اصل الحياة

مصر القاهرة . من المعلوم ان المياه

اذا عقمت ماتت فيها جميع انواع الحياة وبالامكان حفظهـا معقمة مدة طويلة . فالارض التي كانت جمرة كالشمس كانت بالطبع معقمة من فعل حرارتها . فلما بردت قشرتها وانفصلت عن الشمس واصبحت ارضنا هذه التي نحيي فيها ظهرت عليهـا الحياة فمن أين اتتها جرثومة الحياة الاولى

ج. هذا هو السرُّ الذي يبحث عنهُ العلماءُ. فقد ارتأى وتشر والسر وليم طمسن (لورد كلفن بعدئذٍ) وغيرهما ان جرثومة الحياة الاولى وصلت الى الارض على نيزك هبط عليها من الفضاء او مع غبار اتصل بها من احدى السيارات . وواضح ان هذا القول لا يحلُّ المسألة بل يبعد حلَّها . لان ما يعترَض بهِ على نشوءِ الحياة على الارض بسبب حرارتها يعترَض بهِ على نشوئها في سائر السيارات لانها كلها انفصلت عن الشمس وكانت حرارتها حين انفصالها شديدة تمنع وجود الحياة . زد على ذلك ان النيازك تحتك بالهواءِ المحيط بالارض فترتفع حرارتها الى درجة تميت جراثيم الحياة التي تحملها

وهناك رأي آخر كان زعيمهُ الاستاذ ارهنيوس الكيماوي الاسوجي الذي توفي في السنة الماضية ملخصهُ ان الحياة قديمة كالمادة وانها من الاركان الاساسية التي بني عليها الكون وان جراثيمها منتشرة في الفضاءِ ووصلت الى الارض عرَضاً

ثم تذهب طائفة كبيرة من العلماءِ الى ان الحيَّ على هذه الارض نشأ من غير الحيّ في اعماق البحار بفعل النور ويدللون على ذلك بقولهم ان الاملاح التي تدخل في تركيب جسم الانسان وتدور فيهِ تماثل في نوعها ونسبة مقاديرها ما كانت عليهِ املاح البحار منذ مائة مليون سنة

(٩) متوسط عمر الانسان

بونس ايرس: هل متوسط عمر الانسان الآن اطول مما كان عليهِ منذ مائة سنة

ج . ان متوسط عمر الناس حين وفاتهم اعلى كثيراً الآن مما كان عليهِ منذ مائة سنة . ويتعذر الحصول على احصاءات يركن اليها يؤْخذ منها ما كان متوسط عمر الانسان قبل القرن التاسع عشر . ولكن يظهر من سجلات مدينة برسلاو ان متوسط عمر سكانها في القرن السابع عشر كان ٣٣ سنة ثم زاد في القرن الثامن عشر فبلغ ٣٧ سنة

وكان متوسط عمر الناس في ولاية مستشوتستس سنة ١٨٥٥ اربعين سنة . وبلغ في نيويورك بين سنتي ١٧٧٨—١٨٨١ احدى واربعين سنة . ويؤْخذ من احصاءِ الولايات المتحدة الاميركية سنة ١٩٠١ ان متوسط عمر سكانها كان حينئذٍ ٤٩ سنة فبلغ سنة ١٩١٠ احدى وخمسين سنة وفي سنة ١٩٢٠ بلغ متوسط عمر المتوفين في ٢٤ ولاية من ولاياتها ٥٦ سنة

باب الاخبار العلمية

الصور المتحركة الملونة

اذا وقع خطٌّ من نور الشمس على لوح زجاجي احمر امتصَّ اللوح كلَّ الالوان التي يتألف منها خطُّ النور الأ اللون الاحمر فانهُ ينفذ الى الجهة الأخرى ويصبغ الجسم الذي يقع عليهِ باللون الاحمر

ونور الشمس الابيض كما لا يخفى مؤلف من سبعة الوان هي الاحمر والبرتقالي والاصفر والاخضر والازرق والنيلي والبنفسجي ولكن كلَّ لون منها مناطق تختلف الوانها باختلاف بعدها عن الالوان المجاورة لها فاذا اقتربتَ في منطقة اللون الاصفر من منطقة اللون الاخضر كان اللون الاصفر اقل صفرة واكثر خضرة منهُ في منطقة قريبة من اللون البرتقالي . ولكن العين البشرية لا تتمكن من تمييز هذه الفروق في صورٍ تتوالى عليها بسرعة كسرعة الصور المتحركة

ومعلوم لدى المشتغلين بالطباعة المصوَّرة ان الصورة التي يراها القارئ على صفحة من الصفحات المصوَّرة في هذه المجلة ليست سوى نقط دقيقة تختلف سواداً وبياضاً باختلاف مواقع الظل والنور على الجسم المصوَّر وان عين الانسان لضعفها عن تبيُّن هذه النقط ترى الشبح صورة متصلة من غير انفصال بين أجزائها

مباراة الرائد

الحكم في القصائد التي وردت على ادارة المقتطف تلبية لاقتراحهِ

أعضاء اللجنة

الاستاذ عباس محمود العقاد . الاستاذ مصطفى صادق الرافعي. الاستاذ عبد الرحيم محمود

الحكم

فاز بالجائزة الاولى وقدرها عشرة جنيهات نقداً وما قيمته ثلاثة جنيهات من مطبوعات المقتطف

حليم افندي دموس

وفاز بالجائزة الثانية وقيمتها خمسة جنيهات نقداً وما قيمته جنيهان من مطبوعات المقتطف

السيد عباس مرزا الخليلي

صاحب جريدة اقدام اليومية بطهران

فنهنئهما وسننشر القصيدة الاولى في مقتطف يناير القادم وتليها القصيدة الثانية في مقتطف فبراير وتليهما مختارات من القصائد الباقية في اجزاء تالية

ومعلوم لدى المشتغلين بالتصوير انهُ اذا مُزجت مقادير مختلفة من الالوان الثلاثة الاساسية — الاصفر والاحمر والاخضر — استطاع المصوّر ان يقلّد ايّ لون من الالوان الطبيعية . فاذا مزج الاصفر بالازرق تكوَّن اللون الاخضر . واذا مزج الازرق بالاحمر تكوّن اللون البنفسجي وهكذا

هذه هي المبادىء الاساسية التي بني عليها الجهاز الجديد الذي جعل تصوير الاجسام بالوانها الطبيعية تصويراً فوتغرافيًّا في حيز الامكان

ذلك انك تضع امام عدسية آلة التصوير ما يعرف بالصفاة اللونية وهي غشاء شفاف مقسم الى ثلاث مناطق الاولى زرقاء والثانية حمراء والثالثة صفراء. فاذا أردت تصوير وردة حمراء وقعت الاشعة المعكوسة عنها على سطح هذه المصفاة فلا تنفذ الاَّ من المنطقة الحمراء لان هذا ناموس من نواميس انعكاس الضوء ونفوذه. فاذا تخطت هذه الاشعة المنطقة الحمراء من المصفاة وقعت على عدسية الآلة فتجمعها على الشريط الحساس . ولكن سطح هذا الشريط ليس مستوياً ملساً كالشرائط الفوتغرافية العادية بل هو مضلّع تضليعاً منتظماً وشكل كل ضلعٍ على سطحهِ كنصف اسطوانة دقيقة . وهذه الضلوع تخترق الشريط طولاً وهي دقيقة تحتوي كل بوصة مثلاً على نحو ٥٥٩ ضلعاً وسطح كلّ ضلعٍ منها بمثابة عدسية تجمع الاشعة الواقعة عليها في نقط دقيقة على سطح الغشاء الحسّاس الذي يغشى الشريط

ثم يؤخذ الشريط ويثبَّت بالطرق العادية. فاذا عرض على لوح الصور المتحركة وضع وراءهُ نور قويّ يخترق الغشاء الحسّاس ثم سطح الشريط المجعد فتتكسر الاشعة ثم تمرّ في عدسية الآلة فتتجمع نقطاً دقيقة يمرّ ما كان احمر منها في الغشاء الاحمر ويقع على لوح السنما نقطاً حمراء وما كان أزرق يمرُّ في المنطقة الزرقاء ويقع على لوح السنما نقطاً زرقاء . وهكذا تتألف الصورة من نقط حمراء وزرقاء وصفراء وأخرى تجمع بين هذه وتلك ليتكوّن منها الاخضر والبنفسجي والحُمري وغيرها من ظلال الالوان وتظهر للعين صورة متصلة الاجزاء ملونة بألوان الجسم الاصلية

وهذه الطريقة لم تستعمل استعمالاً تجاريًّا بعدُ اذ لا بدَّ من نور قويّ يؤثر تأثيراً كافياً في العدسيّات والفلم . وحتى الآن لم يعرف نور قوي يكفي لذلك سوى نور الشمس

الملكة نفرتيتي : صورة الغلاف

يرى القراء على غلاف المقتطف هذا الشهر صورةً ملونة للملكة نفرتيتي التي تحسب من اجمل الملكات في التاريخ . وقد كانت زوجة الملك اخناتون (حمي توت عنخ امون) الذي نقل عاصمة ملكهِ من طيبة الى تل العمارنة ليكون حرًّا في ممارسة تقاليد معتقدهِ الخاص . وقد سمَّاهُ الاستاذ برستد « اول شخصية كبيرة في التاريخ »

والصورة التي نزفها الى القراء هي صورة تمثال بديع لهذه الملكة الجميلة محفوظ الآن في متحف برلين وهو آية من آيات الفن في ذلك العصر

فوز غراف زبلين

في ١١ اكتوبر الماضي ارتفع البلون «غراف زبلن» من مطيرهِ بفردريكسهافن بالمانيا ليجتاز المحيط الاتلنتيكي من اوربا الى اميركا بقيادة ربانهِ والمشرف على وضع رسومهِ وبنائهِ الدكتور هيغو اكنر وكان البلون يحمل عدا رجالهِ طائفة من الركاب بينهم وزير الداخلية الالمانيــة واللايدي درمند هاي المعروفة في هــذا القطر وقد كانت السيدة الوحدة على متنهِ في هذه الرحلة

وكان الدكتور اكنر يأمل ان يجتاز المسافة بين المانيا والولايات المتحدة في خمسين ساعة على الاقل اذا ساعدتهُ الريح. ولكن لما حلّق البلون في الجوّ دلّت انباء الارصاد الجوية على ان السير في اتجاه غربيّ صعب ان لم يكن متعذراً لتلبد الجوّ بالغيوم وهبوب العواصف فاتجه البلون جنوباً مارًّا فوق فرنسا واسبانيا ومنها الى ماديرا حيث التقى كيس بريد . ثم حوّل مقدمهُ غرباً في شمال الى جزائر برميودا. وفي ١٣ اكتوبر حوالي الظهر كان البلون قد صار على مقربة من جزائر برميودا الى شرقها فوردت رســائل منهُ على انهُ في خطر فاستعدت البواخر والبوارج التي كانت على مقربة منهُ لتغيثهُ اذا لزم الامر ولم تنقض ساعتان حتى وردت منهُ رسالة لاسلكية اخرى تفيد انهُ قد خرج من مأزقهِ وانهُ سائر الى طيتهِ . ذلك انهُ قبيل وصولهِ الى جزائر برميودا ثارت في وجههِ عاصفة شديدة فمزقت أحدى الزعانف التي تبنى حول مؤخرة البلون لحفظ التوازن في الجوّ وخيف ان يتسع هذا الخرق فيتمزق الغلاف كلهُ. فهبَّ ابن الدكتور اكنر واشــترك معهُ أربعة من الشجعان وبنوا صــقالة خارج البلون وهو سائر في ظلام الليل على ارتفاع نحو ١٥٠٠ قدم فوق سطح البحر وخرجوا على هذه الصقالة المعلقة بين السماء والمــاء

وحاولوا سدَّ الخرق قبل ان يتسع. ففازوا بذلك وتمكن البلون من ان يسير بعد ذلك بسرعة ٥٠ ميلا بحرياً في الساعة بعدما كان قد خفّض سرعتهُ الى ٣٥ ميلاً في الساعة

وفي الساعة الخامسة والدقيقة الثلاثين من بعد ظهر ١٤ اكتوبر وصل البلون الى مطير ليكهرست في نيوجرزي بعد ماطار فوق وشنطون ونيويورك وبلطيمور فاستغرقت رحلتهُ ١١١ ساعة اجتاز في أثنائها نحو ٦٣٠٠ ميل

وعاد البلون من اميركا الى المانيا في ٢٨ اكتوبر فاجتاز المسافة في ٧١ ساعة ويقال الآن ان همة اصحابهِ متجهة الى الاشتراك مع الدكتور نانسن الرحَّالة المشهور لاستعمالهِ في رحلة جوية الى القطب الشمالي

سيار وراء نبتون

ارتأى الاستاذ بكرنج الفلكي الاميركي حديثاً كما ارتأى بعض العلماء قبلهُ ان وراء نبتون سياراً يؤثر في نبتون واورانوس فيحولها من فلكهما المقرر وقد حسب موقعهُ وجرمهُ فوجد ان قطره يجب ان يكون نحو ٦٣٠٠ ميل اي اقصر قليلاً من قطر الارض. ولكن علماء الفلك لم يعثروا عليهِ حتى الآن في الجهة التي قيل انهُ فيها

من اقوال العلماء

انفصلت الارض عن الشمس كرة من النار منذ الف وستمائة مليون سنة :— للدكتور نرنست من جامعة برلين

متى مست الحاجة يتمكن الكيماوي من تحويل نور الشمس ونتروجين الهواء الى طعام مغذٍ : — للدكتور برنارد كيماوي اميركي

يأمل العلماء ان يصلوا الى درجة الصفر المطلق (٢٧٣° تحت الصفر بميزان سنتغراد) باستعمال سلفات الكولينيوم : — للدكتور هبكنز من أساتذة جامعة الينوي بأميركا

نبوغ الايطاليين يختلف اختلافاً كبيراً عن نبوغ الاسوجيين فاذا تزاوج أبناء هاتين الامتين نتج شعب يفوق الامتين في كثير من صفاتهِ : — الاستاذ هولدين البيولوجي الانكليزي

يستطيع الكيماويون ان يصنعوا الآن حجارة صناعية تقلد الحجارة الكريمة على اختلاف أنواعها فلا يفرقها عنها الا الخبيرون بعد امتحان مدقق : — للدكتور وايد رئيس أكاديمية العلوم بولاية انديانا الاميركية

ان استعمال القوة الكهربائية والآلات التي تسيَّر بها قد خلق للانسان مشكلة

جديدة وهي : ماذا يفعل في اوقات الفراغ — الدكتور سمث رئيس مصلحة الجيولوجيا بالحكومة الاميركية

اذا شاع الطيران كما شاع ركوب السيارات نتج عن ذلك تغيُّر في جسم الانسان والتغير يصيب عينيهِ واذنيهِ اولاً : — للكولونيل هاثواي رئيس اطباء مصلحة الطيران بالحكومة الاميركية

اذا استعملنا طيارة لمسح الاراضي تمكنا من ان نمسح بها في يوم واحد ما يستغرق مسحهُ شهراً بمزلجة يجرها كلاب :— لدونلد مكملان الرحالة

الحياة قد توجد في الفضاءِ الذي يتخلل الاجرام كما توجد على السيارات : — للسر اوليفر لدج

ان نباح الكلاب واصوات السيارات والضجة التي يحدثها قوم راجعون من سهرة راقصة في ساعة متأخرة من الليل وما اليها خطر على الصحة العامة ويجب مكافحتها : — الدكتور جون ستيفنز طبيب انكليزي

عناصر الارض في الشمس

اثبت الدكتور مجرز احد علماءِ قسم المقاييس بالحكومة الاميركية ان عنصري الكوبلت والهفنيوم من العناصر التي لها وجود في الشمس

عملية جمع : من يحققها ؟

أكثر المستنبطات العظيمة والمكتشفات العلمية الخطيرة ليست سوى عمليات جمع بسيطة

فقد كان العلماءُ يعرفون مثلاً كل النواميس التي تجري عليها المجاري الكهربائية والكهربائية المغناطيسية . ثم جاءَ مورس فجمع بين هذه الحقائق على طريقة مكنتهُ من استنباط التلغراف الذي قلب المخاطبات بين الناس رأساً على عقب.

ثم انقضت سنون جاءَ بعدها اسكندر غراهام بل فأخذ تلغراف مورس وأضاف عليه بعض الحقائق العلمية فدهش الناس لما أثبت انهُ يستطيع ان ينقل الصوت البشري مسافات شاسعة باستنباطهِ الذي أطلق عليهِ اسمهُ بالتلفون

فمن من المستنبطين يستطيع ان يحل عملية جمع جديدة . لقد أُتقنت الصور المتحركة . واتقنت المخاطبات اللاسلكية من اذاعة واستقبال . وتقدمت التلفزة (الرؤية عن بعد) وحُقق مبدأ الصور المتحركة الناطقة ومبدأ التصوير الفوتغرافي بالالوان الطبيعية كما يرى القارئ في هذا الجزء من المقتطف. فمن لنا بمستنبط مبدع يجمع بين هذه المستنبطات الاربعة فيمكننا من ان نجلس في بيوتنا نشاهد التمثيل على مسرح الاوبرا مثلاً فنشاهد الممثلين

يروحون ويجيئون ونرى الوان ملابسهم ونسمع اصواتهم في آن واحد ؟

ثوران اتنا

يقول الاستاذ غايتانا بونتي مدير مرصد جبل اتنا الشجاع ان ثوران هذا البركان الأخير يفوق ثورانه سنة ١٩١٠ و١٩١١ و١٩٢٣ قوة وتدميراً. بدأ الثوران في ٢ نوفمبر بانطلاق غيوم كثيفة من الغاز المثقل بالرماد من منحدرات الجبل الشمالية الشرقية وتعذر الرصد على عمال الرصد ولكن ثبت بعيد الظهر ان الحمم السائلة اخذت تسيل من ثلاث شقوق مختلفة وفي الصباح التالي اندفعت الحمم من شق قريب من بلدة مسكالي ولم تلبث ان انحدرت الى وادي فلبوناتشيو واحاطت بمسكالي فدمرتها في ٧ نوفمبر . وفي الوادي الممتد شمالاً اجتازت الحمم خط السكة الحديدية وصبت في البحر. وجرى تيار آخر من الحمم الى الجنوب مهدداً مدينتي كاربا وجيار فأرسلت ثلة من الجنود لتنسف شقاً يحول مجرى الحمم عن المدينتين الى البحر. وفي ٨ نوفمبر طار الاستاذ بونتي فوق فوهة البركان فرأى مجاري كثيرة من الحمم تتفجر من فوهات البركان المتوسطة وقال ان الثوران قد يدوم اسبوعاً آخر. وفي ١٢ نوفمبر وردت انباء تفيد ان ثورة البركان آخذة في الخمود

فائدة الدموع

المشهور ان الدموع تعبر عن حزن صاحبها والمه . ولكن اذا نظرنا اليها نظر الكيماوي وجدنا انها بركة من اعظم البركات. ذلك ان المادة الاساسية في الدموع هي الليسوزيم وهي من اقوى المواد المعروفة على قتل الميكروبات . ويؤخذ من مباحث الدكتور فردريك ردلي احد اعضاء الجمعية الطبية الملكية بلندن ان ملعقة شاي واحدة من هذه المادة النقية تفعل في قتل بعض مكروبات العين ما يفعله مائة جالون من ماء البحر الاجاج

ويقول هذا الطبيب ان هذه المادة توجد كذلك في كريات الدم البيضاء التي تهاجم المكروبات المختلفة حين تدخل الجسم لتقيه منها. وقد يصبح في الامكان استفرادها واستعمالها كما تستعمل المطهرات المشهورة

مصير الارض والانسان

اطلع القراء على مباحث العلامة الاميركي الدكتور روبرت ملكن التي اثبت بها ان اشعة قوية تصيب الارض من مصدر سموي تفوق اشعة اكس نحو ٣٠٠ ضعف في قوة اختراقها للاجسام . وقد خطب حديثاً خطبة قال فيها ان ما يذاع عن عزم العلماء على استخدام القوة المدّخرة في

الجوهر الفرد وتدمير الارض باطلاقها « وهم صبياني وتهويش في تهويش »

ومباحثهُ في الاشعة الكونية حملتهُ على الاعتقاد انهُ قد مضى على الارض نحو الف الف الف سنة وانهُ قد ينقضي عليها الف الف الف سنة اخرى وليس ما يمنع بقاء الانسان سيداً لها كل هذا الدهر الطويل

اللاسلكي وفساد اللبن

يدَّعي الاستاذ كارل سيدل من أساتيذ جامعة فينَّا انهُ كشف عن طريقة يعالج بها اللبن بأمواج لاسلكية قصيرة فتحفظهُ من الفساد من ثلاثة أسابيع الى أربعة أسابيع . وقد عني رجال الصحة في الحكومة الالمانية بهذه الدعوى وهم يجرون التجارب الآن لامتحان صحتها

والمبدأ الذي تقوم عليهِ هذه الطريقة هو امرار تيار من الامواج اللاسلكية القصيرة في حلة اللبن فتميت كل الجراثيم التي تفسد اللبن من غير ان تسخنهُ

رأي جديد في السرطان

يرى الدكتور مكدونلد احد اساتذة جامعة بنسلفانيا ان سبب السرطان ليس مكروباً بل ان زيادة قلوية الدم تؤثر في الخلايا فتخرج عن القيود التي تقيد نموَّها وتنمو نموًّا سرطانيًّا . وعندهُ ان علاج السرطان بالراديوم واشعة اكس يفيد لانهُ يزيد حموضة الدم بطريقة مجهولة وهو وطيد الامل ان يكشف يوماً عن مادة كيماوية تؤخذ شرباً او حقناً فتعدّل قلوية الدم الزائدة وتمنع تولد السرطان

احدث رسالة لاسلكية

قرأنا في احدى المجلات الاميركية ان كاتباً في شركة التلفون والتلغراف الاميركية كتب رسالة بالخط المختزل تحتوي على نحو مائة كلمة أُرسلت الى لوس انجلوس لاسلكيًّا كما ترسل الصور الفوتغرافية فوصلتها في سبع دقائق

وقف ركفلر

جاء في تقرير الدكتور جورج فنسنت رئيس وقف ركفلر ان مجموع ما أنفقهُ القائمون على ادارة هذا الوقف سنة ١٩٢٧ بلغ مليوني جنيه ونحو نصف مليون أُنفق أكثرها في مكافحة الامراض وحفظ الصحة العامة

السر ارنست رذرفورد

السر ارنست رذرفورد من اكبر علماء الانكليز المعاصرين وقد انتخب مؤخَّراً عضواً اجنبيًّا في اكادمية العلوم بباريس . وعدد هؤلاء الاعضاء يجب ان لا يزيد عن ١٢ عضواً ومنهم الآن السر راي لنكستر انتخب سنة ١٩١٠ والسر جوزف طمسن أُنتخب سنة ١٩١٩

الجزء الرابع من المجلد الثالث والسبعين

July—December 1928 يوليو الى دسمبر سنة ١٩٢٨



مجلة علمية صناعية زراعية

لمنشئيها

الدكتور يعقوب صرّوف والدكتور فارس نمر

المجلد الثالث والسبعون

AL-MUKTATAF

A MONTHLY ARABIC SCIENTIFIC REVIEW

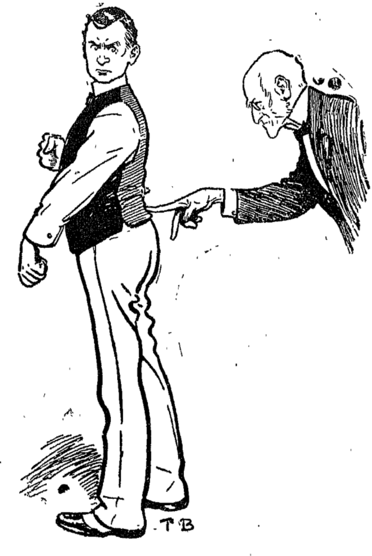
VOL. LXXIII

Founded 1876 by Drs. Y. Sarruf & F. Nimr

فهرس المجلد الثالث والسبعين



الوجع في الكليتين



اسأل نفسك — هل تتألم من أحد هذه الامراض التي سببها الكليتان وهي : —

(١) التهيج العصبي
(٢) التعب
(٣) تورم العينين
(٤) خيالات في النظر
(٥) وجع في الظهر والمباجو
(٦) فقر الدم
(٧) الروماتزم
(٨) عرق النساء
(٩) عدم انتظام التبويل
(١٠) الحصى في الكلية

اذاً فاعلم ان السبب هو مرض الكليتين ، وعليك حالا ان تعالج الكليتين فان علاجهما يشفيك من جميع الامراض التي مصدرها الكلى وحبوب دونس هي أفضل علاج للكليتين . خذ حبة بعد الاكل ثلاث مرات في اليوم وحبة قبل النوم

ولدينا كتاب عن وجع الظهر والكلى والروماتزم عدد صفحاته ٣٢ ومزين برسوم عديدة ويحتوي على أشهر شهادات الاطباء وهو مفيد جداً . ارسل خمسة مليمات فنرسله اليك حالاً واذا أرسلت ثلاثة عشر غرشاً فانا نرسل اليك علبة حبوب دونس فتجربها (المتعهدون — الشركة المصرية البريطانية ٢٣ شارع سليمان باشا توفيق بك مفرج)

